

# نفس البغوي

«معالم التنزيل»

للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي  
(المتوفى - ٥١٦هـ)

المجلد الأول

حقيقه وخارج أحاديثه

محمد عبد الله النمر عثمان جعفرية سليمان مسلم الحاشي

دار طيبة للنشر والتوزيع



الرياض - شارع عسير - ص. ب. : ٧١٢

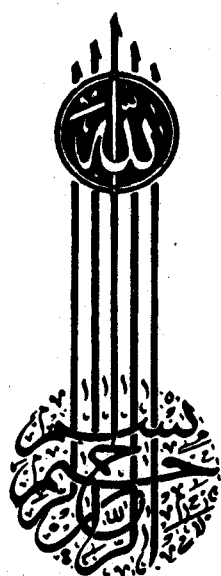
تليفون : ٤٣٥٩٣٧ / ٤٣٥٩٤٠

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٩هـ

نفس البغوي

«معالم التنزيل»





بسم الله الرحمن الرحيم

## « مقدمة التحقيق »

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد :

فإن العيش مع كتاب الله نعمة يدركها من أنعم الله بها عليه، وما أسعد الإنسان إذا جعل هذا الكتاب إمامه — وهذا شأن المسلم — فاهتدى بهديه بعد أن تدبر آياته! وما أسعد المجتمع الذي يجمع مثل هذا الفرد! وما أشد يؤس الذين حرموا أنفسهم من هدايته فخطوا في حياتهم يمنة ويسرة، وانتهوا إلى ضياع أعمارهم وضياع دنياهم وآخرتهم: (قل هل ننبتكم بالأخسرين أعمالاً \* الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا \* أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً \* ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً) .

وإن أكثر الأوقات بركة تلك التي تقضى مع هذا الكتاب الكريم، إذ يعيش الإنسان مع كلام ربه عز وجل، فيحس أنه يناجيه فيرتقي مقامه، ويشعر بالعناية الإلهية تحيط به وترعاه وتأخذ بيده إلى حيث سعادته وفلاحه، سيما وهو يدرك ما فعل منزل هذا الكتاب به في الجيل الأول الذي تلقاه وفي كل جيل أحسنَ التلقي والتزم التنفيذ. يحس عندئذ هذا الأثر العميق للقرآن في حياة الفرد والأمة متى أدركت عمن تتلقى وماذا عليها بعد التلقي. يقف على أسرار هذا الكتاب الكريم وهو يصوغ تلك النفوس صياغة جديدة جعلت منهم — أفراداً ومجموعة — نماذج فريدة متميزة في تاريخ البشرية الطويل.

ثم يدرك من يعيش مع كتاب الله عمق الخطر في دعاوى الذين يطالبون بنشر العامة تكلاماً وكتابة، ولو حاولوا التستر وراء ما يطرحونه من صعوبة النحو العربي وإملائه، تلك الدعاوى التي تريد أن تقطع صلة الأمة بكتاب ربها عز وجل فتتسلخ عن مصدر الهداية لتُغرق في التيه والضياع.

ولكن الله عز وجل الذي تكفل بحفظ كتابه فقال : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه). أحبط ويحبط كل محاولة لتضييع هذا الكتاب، فحفظته الصدور وحفظته السطور، وقبض الله من يأخذ بيانه عن رسول الله ﷺ لتجد الأمة ما يعينها على فهم كتاب ربها وحسن الأخذ به.

ولعل إمامنا — البغوي — من خير من قدم خدمة لكتاب الله عز وجل في تفسيره هذا (معالم التنزيل) حيث اعتمد على المأثور في بيان معنى الآية التي يفسرها كما سنفصل ذلك عند الكلام عن (منهجه في التفسير).

ولقد اتجهت هممنا لإخراج هذا الكتاب محققاً مستقلاً، بعد أن كان مطبوعاً طبعة حجرية قديمة، وعلى حاشية تفسير ابن كثير، وعلى حاشية تفسير الخازن، ليتم الانتفاع به على خير وجه، فعثرنا خلال البحث على مخطوطة بمكتبة الحرم المكي فعلمنا على تصويرها، ثم طلبنا من الشيخ الفاضل عبد القادر الأرناؤوط أن يبعث إلينا بمخطوطة في المكتبة الظاهرية فاستجاب لذلك وشجع على الإقدام فجزاه الله عنا خيراً، فبدأنا ونحن ندرك أهمية هذا العمل من خلال اطلاعنا على ما في الكتاب من علم يحتاجه المسلم، ومن خلال ثناء أهل العلم على الكتاب وعلى مؤلفه، وبعد أن قطعنا مرحلة إذ بخير يقول : إن أخوين فاضلين قاما بتحقيق هذا الكتاب، وهو في طريقه إلى المكتبات، فتوقفنا وقلنا لا حاجة إلى تضييع الجهد والوقت، ولنعمل في كتاب آخر، إلى أن وصل الكتاب بمجلداته الأربعة، فتناولناه لدراسته ومعرفة مدى تحقيق الفائدة منه بإخراجه على هذه الصورة ففوجئنا — وللحقيقة نقول ذلك — بأن الكتاب لم يخدم على الوجه الذي ينبغي وقد وجدنا فيه:

- ١ — اعتماد المطبوع وفيه ما فيه من الأخطاء .
- ٢ — ترك أكثر الأحاديث بدون تخريج إلا القليل مما لم يذكره البغوي بإسناده.
- ٣ — كثرة الأخطاء والتصحيحات والزيادة والنقص عن المخطوط.

وبعد مدرسة بعض صفحات الكتاب مع بعض أهل العلم واطلاعهم على عملنا أشاروا بمتابعة ما بدأناه ليتم الانتفاع من الكتاب الذي نال ثناء العلماء، فاستأنفنا العمل مستمدين من الله تعالى العون والتوفيق والأجر على خدمة كتابه العزيز، شاكرين لأستاذنا الفاضل الدكتور محمد أديب الصالح، الذي أفادنا بتوجيهاته، فجزاه الله خير الجزاء ومتع الأمة بأمثاله، كما نشكر كلاً من الأساتذة الأفاضل:

الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، الذي تفضل وأفادنا بالحصول على صورة من مخطوطة المكتبة الظاهرية. والأخ الدكتور مسفر غرم الله الدميني على ما أبداه من ملاحظات وإشارات جيدة، فبارك الله به وأثابه. والأخ المهندس محمد ياسر صفر الحلبي الذي شاركنا وقتاً طويلاً في المقابلة والمراجعة.

---

وأخيراً نتوجه بالشكر إلى الأخ الفاضل عبد العزيز ناصر الجليل، صاحب مكتبة دار طيبة بالرياض ،  
التي تولت طباعة هذا الكتاب وإخراجه بهذه الحلة القشبية.  
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

## منهج البغوي في التفسير

إن معالم التنزيل كتاب متوسط، نقل فيه مصنفه عن مفسري الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وهو من أجل الكتب وأنبهها وأسناها، حاوٍ للصحيح من الأقوال، عارٍ عن الغموض والتكلف في توضيح النص القرآني، محلي بالأحاديث النبوية والآثار الغالب عليها الصحة.

قال العلامة ابن تيمية: (والبغوي تفسيره مختصر من الثعالبي، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة، والآراء المبتدعة) وقد سئل عن أي التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة؟ الزمخشري أم القرطبي، أم البغوي؟ أو غير هؤلاء؟ فأجاب: «وأما التفاسير الثلاثة المسؤول عنها فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة — البغوي»<sup>(١)</sup>.

وقد بين البغوي شيئاً من ذلك في مقدمته إذ يقول:

«فسألني جماعة من أصحابي المخلصين، وعلى اقتباس العلم مقبلين: كتاباً في معالم التنزيل وتفسيره فأجبتهم إليه، معتمداً على فضل الله وتيسيره، ممتثلاً وصية رسول الله ﷺ فيهم فيما يرويه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً»<sup>(٢)</sup>، واقتداءً بالماضين من السلف في تدوين العلم، إبقاء على الخلف».

استجاب أجزل الله مثوبته لرغبة طلابه وأصحابه آخذاً بوصية رسول الله ﷺ، مقتدياً بالسلف الصالح في كتابه العلم حيث يقول: «فجمعت — بعون الله تعالى وحسن توفيقه — فيما سأله كتاباً متوسطاً، بين الطويل الممل، والقصير المخل، أرجو أن يكون مفيداً لمن أقبل على تحصيله مريداً»<sup>(٣)</sup>.

ومن خلال البحث يمكننا أن نقف على منهج الإمام البغوي فنوجزه بما يلي :

١ — يتعرض لتفسير الآية الكريمة بلفظ سهل موجز، لا تكلف في لغته ولا تطويل، فهو يكتفي

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣ / ٣٨٦

(٢) انظر ترجمته فيما سيأتي، ص (٣٤).

(٣) انظر مقدمة المفسر ص (٣٤).

بالوقوف على الكلمة الغريبة ليكشف عن معناها بالرجوع إلى أصلها ومصدرها، مستدلاً بالآيات والأحاديث وما أثر عن الصحابة والتابعين وأقوال أهل اللغة.

٢ — يسلك السبيل القويم في بيان المعاني فيفسر القرآن بالقرآن أو بالحديث أو بأقوال الصحابة، ويستأنس بأقوال التابعين والمجتهدين، وذلك أن القرآن يفسر بعضه بعضاً فما أُجمل في موضع فُصِّل في موضع آخر، وقد تخصص آية عموم آية أخرى.

ونجده يعتمد الجمع بين الآيات ذات المعنى الواحد، ليوضح معنى كلمة في الآية، كما فعل — على سبيل المثال — عند تفسير قوله تعالى: (ويمدهم في طغيانهم يعمهون)<sup>(١)</sup> إذ بيّن معنى المَدِّ ثم أورد قوله تعالى: (ونمّد له من العذاب مدّاً)<sup>(٢)</sup> ثم بين معنى الإمداد فأورد قول الله تعالى: (وأمددناكم بأموال وبنين)<sup>(٣)</sup>.

وعند قوله تعالى: (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً)<sup>(٤)</sup> يقول: لأن الآيات كانت تنزل تترى آية بعد آية، كلما كفروا بآية ازدادوا كفراً ونفاقاً، وذلك معنى قوله تعالى: (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم)<sup>(٥)</sup>.

وأما اعتماد الإمام البغوي على السنة في تفسير القرآن الكريم فهو سمة واضحة في تفسيره. كيف لا وهو محي السنة! ولذا فقد جاء تفسيره حافلاً بالأحاديث التي انتخبها فذكرها بأسانيدها، وقُلَّ أن يذكر حديثاً بغير إسناد، أو يورد حديثاً ضعيفاً، وقد نجده يسوق عدة أحاديث عند الآية الواحدة كما فعل عند تفسيره لقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)<sup>(٦)</sup> أو عند قوله تعالى: (والشعراء يتبعهم الغاؤون)<sup>(٧)</sup>.

٣ — يتعرض للقراءات من غير إسراف وذلك حين يجد أن القراءة يترتب عليها تغيّر المعنى، كما في قوله تعالى: (وقرن في بيوتكن)<sup>(٨)</sup> إذ يقول رحمه الله: «قرأ أهل المدينة وعاصم وقرن بفتح القاف، وقرأ الآخرون بكسرها، فمتى فتح القاف فمعناه: أقررن أي الزمن بيوتكن من قولهم قررت بالمكان أقر قراراً..... ومن كسر القاف فقد قيل: هو من قررت أقر معناه أقررن بكسر الراء، فحذفت

(١) سورة البقرة، الآية (١٥).

(٢) سورة مريم، الآية (٧٩).

(٣) سورة الاسراء، الآية (٦).

(٤) سورة البقرة، الآية (١٠).

(٥) سورة التوبة، الآية (١٢٥).

(٦) سورة البقرة، الآية (١٧٨).

(٧) سورة الشعراء، الآية (٢٢٤).

(٨) سورة الأحزاب، الآية (٣٣).

الأولى ونقلت حركتها إلى القاف كما ذكرنا، وقيل — وهو الأصح — إنه أمرٌ من الوقار، كقولهم من الوعد: عدن، ومن الوصل: صلن، أي كُنْ أهل وقار وسكون، من قولهم: قر فلان بقر وقوراً إذا سكن واطمأن.

٤ — يعرض لرأي أهل السنة وآراء مخالفهم مع الانتصار لرأي أهل السنة مدلاً عليه بالمنقول والمعقول كما ذكر عند قوله تعالى: (لا تدركه الأبصار) <sup>(١)</sup> مثبتاً الرؤية عياناً، مستدلاً بقوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) <sup>(٢)</sup> وقوله تعالى: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) <sup>(٣)</sup> وقوله تعالى: (للمذنب أحسنوا الحسنى وزيادة) <sup>(٤)</sup>، ثم بين أن النبي ﷺ فسر الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى، ثم أورد حديثاً في إثبات الرؤية، وفرق بين الإدراك والرؤية.

٥ — ويظهر بوضوح اهتمامه بالآراء الفقهية فكثيراً ما نجده ييسط آراء الفقهاء ويرجح رأي الشافعية وهو من أبرز فقهاءهم، وأحياناً يورد الآراء بدون ترجيح والقارئ الكريم سيجد هذا المنهج من خلال قراءته لهذا التفسير.

٦ — يذكر أحياناً بعض الإسرائيليات، ونراه يمر على بعضها — وهي قليلة مقارنة بالتفسير الموجودة بين أيدينا — دون التعقيب عليها، كما فعل عند ذكره لقصة هاروت وماروت في مسخ المرأة الجميلة إلى كوكب الزهرة؟ (الآية: ١١٢ من سورة البقرة) أو ما رواه عن الضحاك عند تفسير قوله تعالى: (وقتل داود جالوت) (الآية: ٢٥١ من سورة البقرة)، وفي مواضع أخرى ستأتي الإشارة إليها في التفسير إن شاء الله.

ويجدر بنا أن نشير إلى أن الاسرائيليات تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ — ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

ب — قسم يخالف شرعنا ويناقضه، وهو مردود ولا تصح روايته.

ت — قسم نتوقف فيه، فلا هو من القسم الأول، ولا من الثاني وهذا لا حرج من روايته إن كان موضوعه بعيداً عن العقيدة والأحكام.

فقد روى البخاري في تفسير سورة البقرة: باب قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا، وفي الاعتصام: باب قول النبي ﷺ: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون

(١) سورة الأنعام، الآية (١٠٣).

(٢) سورة القيامة، الآية (٢٢).

(٣) سورة المطففين، الآية (١٥).

(٤) سورة يونس، الآية (٢٦).

التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا (آمنّا بالله وما أنزل....) الآية.

والخير للمفسر أن يقلع عن هذه الإسرائيليات — أي القسمين الأخيرين — وأن يعرض عما لا طائل منه ويعد صارفاً وشاغلاً عن الأصول المعتمدة في شرعنا وهذا أحكم وأسلم.

٧ — ويلاحظ أنه رحمه الله أكثر الرواية عن الكلبي: وهو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن عبد الحارث الكلبي، الكوفي، مات بالكوفة سنة ست وأربعين ومائة. قال معتمر بن سليمان عن أبيه: كان بالكوفة كذابان، أحدهما الكلبي<sup>(١)</sup>.

والحق أن البغوي، وهو من أهل الحديث وتحرير الروايات، لم يجعل ما ينقله عن الكلبي مناط الجزم في معنى الآية ولكنّ التوسع في النقل أحياناً ليعلم الناس ما قيل في مفهوم الآية جعله يستشهد بأقوال الكلبي، علماً أنه قد يقول كلاماً جيداً في التفسير موافقاً لما ورد في المأثور. والكلبي معروفة رواياته، وموقف العلماء منها.

(١) قال البخاري: تركه ابن معين وابن مهدي.

وقال: حدثنا علي، حدثنا يحيى، عن سفيان، قال: قال الكلبي: قال لي أبو صالح: كل شيء حدثتك فهو كذب. قال ابن عدي: وقد حدث عن الكلبي سفيان وشعبة وجماعة، ورضوه في التفسير، وأما في الحديث فعنده مناكير، وخاصة إذا روى عن أبي صالح عن ابن عباس.

وقال ابن حبان: كان الكلبي سبياً، من أولئك الذين يقولون: إن علياً لم يمت، وإنه راجع إلى الدنيا، ويملؤها عدلاً كما ملئت جوراً، وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها.

وقال أحمد بن زهير: قلت لأحمد بن حنبل: يحل النظر في التفسير الكلبي؟ قال: لا.

قال ابن حبان: يروي عن أبي صالح عن ابن عباس — التفسير، وأبو صالح لم ير ابن عباس، ولا سمع الكلبي من أبي صالح إلا الحرف بعد الحرف، فلما احتيج إليه أخرجت له الأرض أفلاذ كبدها. لا يحل ذكره في الكتب، فكيف الاحتجاج به!

انظر: الضعفاء الصغير للإمام البخاري، ومعه كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي، ص (١٥٨، ٢٠٣) طبقات ابن سعد: ٣٥٨/٦ — تهذيب التهذيب: ١٥٧/٩ — ١٥٩ — تقريب التهذيب ١٦٣/٢. ميزان الاعتدال: ٥٥٦/٣ — ٥٥٩. المغني في الضعفاء للذهبي ٢٠٠/٢.

## منهجنا في العمل

يتلخص منهجنا في إخراج هذا التفسير الجليل في الخطوات التالية:

١ — إخراج نص التفسير على ما يغلب على الظن أنه نص المؤلف، وذلك باعتماد إحدى النسخ أصلاً في التحقيق، لاعتبارات تذكر في حينها، ومقارنتها مع نسخة (ب) بحيث يعتمد نص الأصل، وإذا تيقنا من أن الصواب في غير الأصل لعبارة أو كلمة أثبتنا الصواب، وأشرنا في الحاشية عند الحاجة إلى ذلك، إذ كثيراً ما نجد فروقاً طفيفة في بعض الكلمات أو الحروف مما لا يؤثر على المعنى، فقد نجد في نسخة العطف بالفاء وفي بعضها بالواو مثلاً، فلم نجد حاجة للإشارة إلى ذلك لثلاث ثقل الكتاب بكثرة الهوامش التي لا ضرورة لها، ولثلاث يتضخم حجم الكتاب.

٢ — عزو الآيات القرآنية الكريمة التي يستشهد بها المؤلف في التفسير، وتمييزها عن الآيات المفسرة بأقواس مختلفة.

٣ — تخرج الأحاديث النبوية بكاملها تخرجاً تفصيلياً بالعزو إلى الكتاب والباب والجزء والصفحة والرقم في بعض الكتب، تسهياً للفائدة وتسهياً للرجوع إلى كل الطباعات عند اختلافها.

فإن كان الحديث في الصحيحين، أو في أحدهما، اقتصرنا في العزو إليهما، لأن العزو إليهما مُعْلَمٌ بالصحة لأن الأمة قد تلقتهما بالقبول، وأما إن لم يُخَرَّج الحديث فيهما فنخرجه من سائر الكتب الأخرى. كالسنن، والمسانيد، والمصنفات، ونقل حكم العلماء والنقاد والمحدثين على الحديث، كالحافظ ابن حجر، والمنذري والهيتمي، والبوصيري، وغيرهم، والأحاديث الضعيفة أو الموضوعة — وهي قليلة — نقل الحكم عليها وسبب علتها بالتفصيل.

وسواء أكان الحديث في الصحيحين أم في غيرهما، وقد أخرجه المصنف في كتابه «شرح السنة» فإننا نشير إلى موضعه، وقد أفدنا من ذلك في تصحيح كثير من التصحيفات في رجال السند بخاصة، كما أن العزو إليه يسهل معرفة رأي البغوي في الحديث ومعناه.

٤ — عزو أسباب النزول والروايات المختلفة في نزول الآيات إلى مظانها من كتب الحديث وكتب أسباب النزول، أو كتب التفسير الأخرى، كالدر المنثور، والطبري، وابن كثير.

٥ — قد تدعو الحاجة إلى تعليق أو تعقيب على بعض المواطن في التفسير لبيان رأي مرجوح، أو



الإشارة إلى بعض الإسرائيليات ونقدها، أو غير ذلك عند الحاجة، كما سيأتي في مواضعه من الكتاب إن شاء الله تعالى.

- ٦ — إعادة توزيع النص وإخراجه بشكل يعين القارئ، ويسهل عليه المراجعة والقراءة، مع العناية بعلامات الترقيم، لما لذلك من أهمية في فهم المعنى بيسر وسهولة.
- ٧ — وتيسيراً للاستفادة من الكتاب بصورة أفضل، وتوفيراً للوقت على القارئ عند البحث عن تفسير آية معينة، فقد أثبتنا في أعلى كل صفحة اسم السورة ورقم الجزء.

هذا ولا ندعي أن عملنا هذا قد أوفى على الغاية، فلعلنا نعيد النظر فيه مرة ومرات، إن هياً الله تعالى لنا الأسباب، ولنا — بعد عون الله تعالى — من ملاحظات الإخوة الباحثين والقراء خير ما يسعف في تصويب وتجويد عملنا هذا، في طبعات قادمة، أو في الأجزاء التي تلي الجزء الأول من هذا الكتاب إن شاء الله.

«فنسأل الله المبتدئ لنا بنعمه قَبْلَ استحقاقها، المديمها عَلَيْنَا مع تقصيرنا في الإتيان على ما أوجب به من شكره بها، الجاعِلُنَا في خير أمة أخرجت للناس: أن يرزقنا فهماً في كتابه، ثم سَنَةَ نبيه، وقولاً وعملاً يؤدي به عنا حقه ويوجب لنا نافلة مزیده»<sup>(١)</sup>.

وأن يقبل منا عملنا هذا ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، ويثيبنا عليه بما يثيب به عباده المخلصين .  
والحمد لله رب العالمين،

«المحققون»

الطائف في ١ / ٤ / ١٤٠٨

(١) اقتباس من افتتاحية الإمام الشافعي رحمه الله لكتابه «الرسالة» ص ١٩.



## «ترجمة الإمام البغوي»\*

هو الإمام الحافظ، الفقيه المجتهد : محي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي ويلقب بركن الدين.

أحد العلماء الذين خدموا الكتاب العزيز، والسنة النبوية، بالعكوف على دراستهما، وتدريسهما، وكشف كنوزهما، وأسرارهما، والتأليف فيهما.

والفراء: نسبة إلى عمل الفراء وبيعها.

- 
- (١) بعض المراجع التي ترجمت للبغوي من أهمها:
- (\*) سير أعلام النبلاء ٤٣٩/١٩ - ٤٤٣.
  - (\*) العبر للذهبي: ٤٠٦/٢.
  - (\*) تذكرة الحفاظ: ١٢٥٧/٤ - ١٢٥٩.
  - (\*) البداية والنهاية: ١٩٣/١٢.
  - (\*) شذرات الذهب : ٤٨/٤ - ٤٩.
  - (\*) مرآة الجنان: ٢١٣/٣.
  - (\*) طبقات الشافعية للسبكي : ٧٥/٧ - ٨٠.
  - (\*) وفيات الأعيان: ١٣٦/٢.
  - (\*) طبقات الحفاظ ص ٤٥٧.
  - (\*) طبقات المفسرين ص ٣٨ - ٣٩.
  - (\*) معجم البلدان: ٤٦٨/١.
  - (\*) كشف الظنون ١٩٥ - ٥١٧ - ١٦٩٨.
  - (\*) الأعلام للزركلي ٢٥٩/٢.
  - (\*) التفسير والمفسرون للذهبي ٢٣٤/١.
  - (\*) معجم المؤلفين ٦١/٤.
  - (\*) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي.
  - (\*) مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده.
  - (\*) الاستدراك لابن نقطه مخطوط الظاهرية.
  - (\*) الإعلام بوفيات الأعلام للذهبي مخطوط الظاهرية.
  - (\*) مناقب الشافعي وأصحابه لابن قاضي شهبة مخطوط الظاهرية.
  - (\*) أسماء الرجال الناقلين عن الشافعي والمنسوين له لابن هدايه مخطوط الظاهرية.
  - (\*) طبقات المفسرين للداودي مخطوط عارف حكمت.

والبغوي: بفتح الباء الموحدة، والغين المعجمة وبعدها واو، هذه النسبة إلى بلدة بخراسان بين مرو وهراة يقال لها «بغ» و«بَغْشُور» بفتح الباء الموحدة، وسكون الغين المعجمة، وضم الشين، وبعدها واو ساكنة، ثم راء. وهذه النسبة شاذة على خلاف الأصل، هكذا قال السمعاني في كتاب «الأنساب».

### مولده:

إن معظم المصادر التي ترجمت له لم تشر إلى السنة التي ولد فيها، غير أن ياقوت الحموي قال في معجم البلدان: إنه ولد سنة (٤٣٣هـ) أما الزركلي فأشار في الأعلام إلى أنه ولد سنة (٤٣٦هـ).

### شيوخه:

سمع الإمام البغوي من عدد كثير من العلماء في التفسير، والحديث، والفقه نذكر بعضاً منهم:

١ — فقيه الشافعية وشيخهم القاضي حسين بن محمد المروزي، فقيه خراسان، وصاحب «التعليقة» المتوفى سنة (٤٦٢هـ) (١).

٢ — عبد الواحد بن أحمد بن أبي القاسم المليحي، الهروي، راوي الصحيح عن النعمي، وكان صالحاً، أكثر عنه الرواية، توفي سنة (٤٦٣هـ) (٢).

٣ — الفقيه أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، المعروف: بشيخ الحجاز صنف كتاب «السلوة في علوم الصوفية» وكان فقيهاً فاضلاً، توفي سنة (٤٦٣هـ) (٣).

٤ — أبو علي حسان بن سعيد المنيعي — نسبة إلى منيع جد — وكان حسان هذا رئيس مرو الروذ، الذي عمّ فضله خراسان، بيره، وأفضاله، وأنشأ الجامع المنيعي، وكان يكسو في العام نحو ألف نفس، توفي سنة (٤٦٣هـ) (٤).

٥ — أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي المروزي، الشيخ الجليل، المعمر، مُسْنِد خراسان، تفرد عن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الرازي، مات في رمضان سنة (٤٦٣هـ) وله ست وتسعون سنة (٥).

٦ — أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن، بن عبد المالك بن طلحة النيسابوري القشيري الخراساني،

(١) شذرات الذهب ٣/٣١٠، العبر ٢/٣٤١٢، سير النبلاء ١٨/٢٦١، وفیات الأعيان ٢/١٣٤، كشف الظنون ١/٤٢٤-٥١٧.

(٢) سير النبلاء ١٨/٢٥٥، شذرات الذهب ٣/٣١٤، العبر ٢/٣١٥.

(٣) اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري ١/٣١٥.

(٤) شذرات الذهب: ٣/٣١٣ - ٣١٤. العبر ٢/٣١٥.

(٥) سير أعلام النبلاء: ١٨/٢٥١. اللباب: ١/٢١٠.

الإمام الزاهد، القدوة، الشافعي المذهب، صاحب الرسالة المسماة «الرسالة القشيرية» صنف كتاب «نحو القلوب» و«كتاب لطائف الإشارات» و«كتاب الجواهر» و«كتاب أحكام السماع» و«كتاب عيون الأجوبة في فنون الأسئلة» و«كتاب المناجاة» و«كتاب المنتهى في نكت أولى النهى» وصنف التفسير الكبير وهو من أجود التفاسير توفي سنة (٤٦٥هـ) (١).

٧ — أبو بكر يعقوب بن أحمد الصيرفي النيسابوري الشيخ الرئيس، الثقة المُسند توفي سنة (٤٦٦هـ) (٢).

٨ — أبو صالح أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد بن عبد الصمد بن بكر النيسابوري الصوفي المؤذن، الإمام، الحافظ، الزاهد، المُسند، محدث خراسان، صنف «تاريخ مرو» و«خرَج ألف حديث عن ألف شيخ له، مات سنة (٤٧٠هـ) (٣).

٩ — أبو تراب عبد الباقي بن يوسف بن علي بن صالح بن عبد الملك بن هارون المراغي التريزي، الشافعي، مفتي نيسابور، الإمام الفقيه العلامة توفي سنة (٤٩٢هـ) (٤).

١٠ — أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داوود بن أحمد بن معاذ الداوودي البوشنجي، الإمام، العلامة، الورع، القدوة جمال الإسلام، شيخ خراسان علماً، وفضلاً، وجمالة، وسنداً، راوي الصحيح، توفي سنة (٤٦٧هـ) (٥).

١١ — ومنهم: عمر بن عبد العزيز الفاشاني الإمام الفاضل الفقيه . وأبو الحسن محمد بن محمد الشيرزي، نسبة إلى شيرز قرية بسرخس، وأبو جعفر محمد بن عبد الله بن محمد المعلم الطوسي، وأبو محمد عبد الله بن عبد الصمد بن أحمد بن موسى الجوزجاني . وأبو عبد الله محمد بن الفضل بن جعفر الحَرَقِي نسبة إلى «حرق» من قرى مرو، وعدة .

### تلاميذه:

لقد أقبل عليه طلاب العلم لكثرة علمه، وفضله، وسعة معرفته بعلوم كثيرة، ومنهم:

١ — الشيخ أبو منصور محمد بن أسعد بن محمد حفده العطاري — تصجفت في شذرات الذهب

(١) سير أعلام النبلاء: ٢٢٧/١٨ — ١٣٢. تاريخ بغداد: ٨٣/١١، طبقات المفسرين ص ٦١. شذرات الذهب: ٣١٩/٣، العبر: ٣١٩/٢. البداية والنهاية: ١٠٧/١٢.

(٢) تذكرة الحفاظ: ١١٦٠/٣، العبر: ٣٢١/٢، شذرات الذهب: ٣٢٥/٣، سير أعلام النبلاء: ٢٤٥/١٨.

(٣) تاريخ بغداد: ٢٦٧/٤، سير أعلام النبلاء: ٤١٩/١٨، تذكرة الحفاظ: ١١٦٢/٣، العبر: ٣٢٧/٢، شذرات الذهب: ٣٣٥/٣، البداية والنهاية: ١١٨/٢، طبقات الحفاظ ص ٤٣٧.

(٤) سير أعلام النبلاء: ١٧٠/١٩، البداية والنهاية: ١٥٧/١٢، العبر: ٣٦٦، شذرات الذهب: ٣٩٨/٣.

(٥) سير أعلام النبلاء: ٢٢٢/١٨، شذرات الذهب: ٣٢٧/٣، البداية والنهاية: ١١٢/١٢، العبر: ٣٢٢/٢.

إلى العطاردي والصحيح ما أثبتناه — وهو الذي روى كتابي «شرح السنة» «ومعالم التنزيل» توفي سنة (٥٧١هـ) <sup>(١)</sup>.

٢ — الواعظ المحدث أبو الفتوح محمد بن أبي جعفر محمد بن علي بن محمد الطائي الهمداني، صاحب «الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل اليقين» توفي سنة (٥٥٥هـ) <sup>(٢)</sup>.

٣ — أبو المكارم فضل الله بن المحدث العالم أبي سعيد محمد بن أحمد النوقاني الشافعي، وهو آخر من روى عنه بالإجازة، توفي سنة (٦٠٠هـ) <sup>(٣)</sup>.

٤ — الحسن بن مسعود البغوي أبو علي أخو الإمام الحسين البغوي تفقه على أخيه <sup>(٤)</sup>.

٥ — عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحسين بن محمد الليثي وهو إمام ورع، حافظ لمذهب الشافعي.

٦ — مشاور بن فركوه أبو مقاتل الديلمي اليزدي، يلقب بعماد الدين، وهو من كبار تلامذته، توفي سنة (٥٤٦هـ) <sup>(٥)</sup>.

٧ — ومنهم محمد بن الحسين الزاغولي توفي سنة (٥٥٩هـ).

٨ — وعبد الرحمن بن علي بن أبي العباس النعيمي توفي سنة ٥٥٤٢هـ وغيرهم.

#### عقيدته:

والإمام البغوي من أئمة السلف الصالح، الذين تقيدوا بالكتاب والسنة، في مفهوم الاعتقاد وبخاصة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته، ولنا على ذلك بعض الأدلة منها: تعليقه على الحديث الذي رواه مسلم في القدر: باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء (٢٦٥٤/٤) وذلك في الجزء الأول من كتابه العظيم شرح السنة ص (١٦٨) «قال الشيخ الإمام: والإصبع المذكورة في الحديث صفة من صفات الله عز وجل، وكذلك كل ما جاء به الكتاب أو السنة من هذا القبيل في صفات الله تعالى، كالنفس، والوجه، والعين، واليد، والرجل، والإتيان، والحي، والنزول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش، والضحك والفرح — إلى أن يقول في صفحة (١٧٠) فهذه ونظائرها صفات الله تعالى، ورد بها السمع يجب الايمان بها، وإمرارها على ظاهرها معرضاً فيها عن التأويل، مجتنباً عن التشبيه، معتقداً أن الباري سبحانه

(١) شذرات الذهب: ٢٤٠/٤، وفيات الأعيان: ٢٣٨/٤، العبر: ٦١/٣.

البداية والنهاية: ٢٩٩/١٢، سير أعلام النبلاء: ٥٣٩/٢٠، تذكرة الحفاظ: ١٣٣٣/٤.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٣٦٠/٢٠، شذرات الذهب: ١٧٥/٤، العبر: ٢٥/٣، كشف الظنون: ٥٦/١.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٤١٣/٢١. وطبقات السبكي: ٣٤٨/٨.

(٤) طبقات الشافعية للاستاذ: ٢٠٧/١. وطبقات الشافعية للسبكي: ٢١٢/٤.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى: ٣٠٠/٤.

وتعالى لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق، قال الله سبحانه وتعالى: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) «الشورى» .

وعلى هذا مضى سلف الأمة، وعلماء السنة، تلقوها جميعاً بالإيمان والقبول، وتجنبوا فيها عن التمثيل والتأويل، ووكّلوا العلم فيها إلى الله عز وجل، «أهـ ثم يذكر مدللاً على ذلك أقوال السلف<sup>(١)</sup> وقد جاءت شهادات العلماء الذين ترجموا له تؤكد ذلك:

قال ابن شهبة في طبقات الشافعية (٣١٠/١): (وكان ديناً، عالماً، عاملاً على طريقة السلف) .

وقال طاش كبرى زاده في مفتاح السعادة (١٠٢/٢): (كان ثباً حجة، صحيح العقيدة في الدين) .

### صفاته وثناء العلماء عليه:

لقد تحلّى الإمام البغوي، رحمه الله، بصفات ومزايا كان لها أكبر الأثر في تسميته بلقب «محي السنة، والإمام». وغير ذلك من الصفات التي أثبتنا له كل من ترجم له. فهو إمام في كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله ﷺ، إمام في مذهبه الذي نشأ عليه، المذهب الشافعي، وذلك بحكم البيئة التي نشأ فيها، والعلماء الذين أخذ عنهم، إلا أنه لم يتعصب لإمامه، بل كان يتتبع الدليل، وينظر في أقوال العلماء وأدلتهم، وأخذ يدعو إلى الاعتصام بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ اللذين هما أصل الدين وملاكه، ومنهما يصدر كل أمر شرعي. وهذا هو حال العلماء، الذين نهضوا بهذا الدين على بصيرة من أمرهم.

قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء: (كان البغوي يلقب بمحي السنة، وبركن الدين، وكان سيداً، إماماً، عالماً علامة، زاهداً، قانعاً باليسير) .

وقال السيوطي في طبقات الحفاظ: (وبورك له في تصانيفه، لقصد الصالح، فإنه كان من العلماء الربانيين، ذا تعبد ونسك، وقناعة باليسير) .

وقال أيضاً في طبقات المفسرين: (كان إماماً في التفسير، إماماً في الحديث، إماماً في الفقه) .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: (وكان علامة زمانه، وكان ديناً ورعاً، زاهداً، عابداً، صالحاً) .

وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان: (الفقيه، الشافعي، المحدث، المفسر، كان بحراً في العلوم) .

(١) انظر شرح السنة للمصنف ١٦٦/١ — ١٧١ .

## آثاره:

لقد ترك الإمام البغوي علوماً مفيدة وكثيرة في التفسير والحديث، والفقه، كان لها الأثر النافع، والعظيم فيمن جاء بعده، وكانت مؤلفاته تتصف بموضوعاتها القيمة، وبكلماتها السهلة، وبطريقتها المفيدة يتحرى فيها الحق، والانقياد وراء الأدلة الصحيحة، فقد وقف وقفات مع كتاب الله مبتعداً فيها عن حشو الكلام، وآراء المتكلمين، مع تقيده بالمأثور عن رسول الله ﷺ في فهم النص القرآني، وبمنهج الصحابة الكرام في ذلك، كما أنه روى الحديث واعتنى بدراسته، وشرحه ومعرفة صحيحه من سقيمه، وقد صنف كتباً كثيرة نذكر منها:

١ - التهذيب: في فقه الإمام الشافعي، وهو كتاب مشهور متداول عند الشافعية، كما أنه تأليف مهذب مجرد من الأدلة غالباً، لخصه من تعليقه شيخه القاضي حسين وعدّل فيه زيادة وحذفاً، وكثيراً ما ينقل عنه الإمام النووي رحمه الله في كتابه «روضة الطالبين». وكتاب التهذيب يقع في أربعة مجلدات ضخمة يوجد منه المجلد الرابع في المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم (٢٩٢) فقه شافعي يرجع تاريخ نسخه إلى سنة ٥٩٩ هـ هذا ما أشار إليه محقق سير أعلام النبلاء ١٩/٤٤٠ .

٢ - معالم التنزيل: والمعروف بتفسير البغوي وقد تقدم الكلام عنه في مبحث منهج البغوي في التفسير إلا أننا نشير إلى أن هذا التفسير قد طبع عدة طبعات كانت الأولى عام (١٢٨٥) هـ طبعة حجرية أثبت على حاشيتها بعض التعليقات والتراجم وهي في أربعة أجزاء مجموعة في مجلد واحد. والثانية: المطبوعة على هامش تفسير ابن كثير في تسعة مجلدات طبعت بمطبعة المنار بمصر سنة (١٣٤٣) هـ.

والثالثة: النسخة المطبوعة على هامش (تفسير الخازن) في أربعة مجلدات. والرابعة: التي صدرت قريباً في أربعة مجلدات بتحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار. وجميع هذه الطبعات قد حوت من الأخطاء والتصحيقات، التي ظهرت خلال المقابلة مع النصوص المخطوطة، الشيء الكثير، مما حملنا على خدمة هذا التفسير العظيم.

٣ - شرح السنة: قال فيه مؤلفه في الجزء الأول ص ٢ - ٤: «فهذا كتاب في شرح السنة، يتضمن إن شاء الله سبحانه وتعالى كثيراً من علوم الأحاديث، وفوائد الأخبار المروية عن رسول الله ﷺ من حلّ مشكلها، وتفسير غريبها، وبيان أحكامها، يترتب عليها من الفقه واختلاف العلماء جُمْل لا يستغني عن معرفتها المرجوع إليه في الأحكام، المعول عليه في دين الإسلام.

ولم أودع هذا الكتاب من الأحاديث إلا ما اعتمده أئمة السلف الذين هم أهل الصنعة، المسلم لهم الأمر من أهل عصرهم، وما أودعوه كتبهم. فأما ما أعرضوا عنه من المقلوب، والموضوع، والمجهول واتفقوا



على تركه فقد صنت الكتاب عنه، وما لم أذكر أسانيدها من الأحاديث فأكثرها مسموعة، وعامتها في كتب الأئمة، غير أني تركت أسانيدها حذراً من الإطالة واعتماداً على نقل الأئمة» اهـ .

لقد جمع محي السنة في كتابه هذا بين الرواية والدراية، مما جعله من الكتب القيمة، بالإضافة إلى معرفته بأقوال الصحابة والتابعين والأئمة، والمجتهدين وقد قام بخدمة هذا الكتاب كل من الأستاذين شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش وقد صدر عن المكتب الإسلامي ببيروت في ١٦ مجلداً مع الفهارس .

٤ - مصابيح السنة: جمع فيه مؤلفه طائفة من الأحاديث، محذوفة الأسانيد، اعتمد على نقل الأئمة لها، وقسم أحاديث كل باب إلى صحاح وحسان وعنى بالصحاح ما أخرجه الشيخان، وبالحسان ما أخرجه أصحاب السنن وما كان فيها من ضعيف أو غريب أشار إليه، وأعرض عن ذكر ما كان منكراً أو موضوعاً، وهو كتاب مشهور طبع أكثر من طبعة، واعتنى بشأنه العلماء بالقراءة والتعليق وعملوا عليه الكثير من الشروحات، من أهمها ما قام به الشيخ ولي الله أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب، حيث كمل المصابيح، وذيل أبوابه فذكر الصحابي الذي روى الحديث عنه، وذكر الكتاب الذي أخرجه منه، وزاد على كل باب من صحاحه وحسانه - إلا نادراً - فصلاً ثالثاً وسماه «مشكاة المصابيح» فصار كتاباً كاملاً<sup>(١)</sup> .

وقد طبع هذا الأخير عدة طبعات، وكان آخرها التي قام بنشرها المكتب الإسلامي بتحقيق الأستاذ/ ناصر الدين الألباني في ثلاثة مجلدات وطبع أيضاً مصابيح السنة في أربعة مجلدات .

٥ - الأنوار في شمائل النبي المختار: أشار إلى ذلك صاحب كشف الظنون<sup>(٢)</sup> والشيخ محمد بن جعفر الكتاني في كتاب الرسالة المستطرفة . رتبته على واحد ومائة باب على طريقة المحدثين بالأسانيد<sup>(٣)</sup> .

٦ - الجمع بين الصحيحين: ذكره صاحب معجم المؤلفين<sup>(٤)</sup> وبعض من ترجم له .

٧ - الأربعين حديثاً: ذكره ابن قاضي شهبة عن الذهبي .

٨ - مجموعة من الفتاوى: حوت فتاوى شيخه من المسائل الفقهية التي سئل عنها الإمام أبو علي الحسين بن محمد المروزي «صاحب التعليقة» فتتبعها البغوي وجمعها. توجد نسخة منها في دار الكتب الظاهرية بدمشق<sup>(٥)</sup> .

(١) كشف الظنون ١٦٩٨/٢ .

(٢) كشف الظنون ١٩٥/١ .

(٣) الرسالة المستطرفة ص ١٠٥ .

(٤) ٦١/٤ .

(٥) انظر شرح السنة ٢٩/١ .

---

## وفاته:

توفي رحمه الله بَمَرُ الرُّوذ . مدينة من حدائق خراسان في شوال سنة ستِّ عشرة وخمس مائة للهجرة. ودفن بجانب شيخه القاضي حسين، وعاش بضعا وسبعين رحمه الله.

## وصف النسخ

لقد حوت المكتبة الإسلامية الكثير من النسخ الخطية لهذا الكتاب القيم، وإن كانت تختلف في جودتها، ووضوحها، واستكمالها، وبعدها أو قربها من مؤلفها، وإليك بياناً ببعض تلك النسخ:

١ — نسخة «المكتبة الظاهرية» بدمشق حرسها الله وأعاد مجدها حصلنا عليها بواسطة الاستاذ الشيخ عبد القادر أرناؤوط، فجزاه الله خيراً، ورمزنا لها بالحرف ( أ ) وجعلناها أصلاً وهي نسخة كاملة، وواضحة الخط، وعليها بعض الحواشي، والتعليقات وافق الفراغ منها بالقدس الشريف في المدرسة الصلاحية يوم الثالث عشر من شوال، من شهور سنة خمس وعشرين وثمانمائة هجرية، وهي بخط سليمان بن أحمد بن سليمان الحدادي القرشي، الجزء الأول منها برقم خاص (٤٠) ورقم عام (٤١٣) تفسير، وعدد صفحاته (٢٢٣) ورقة من الفاتحة إلى آخر سورة الكهف، والجزء الثاني برقم خاص (٤١) ورقم عام (٤١٤) تفسير، وعدد صفحاتها (٢٠٥) ورقة من سورة مريم إلى الناس .

٢ — نسخة «مكتبة الحرم المكي الشريف» برقم عام (٢٨٣) ورقم خاص (٢٥٧)، وهي نسخة واضحة ومتكاملة، ومتأخرة في النسخ عن نسخة الظاهرية ورمزنا لها بالحرف (ب) وتقع في مجلدين، وتنتهي بنهاية النصف الأول من القرآن الكريم، ولذا أكملنا النقص من نسخة أخرى في مكتبة الحرم أيضاً برقم (٧١٣) تفسير في مجلدين، والثاني منهما يقع في (٢٥٨) ورقة .

٣ — وقد حوت المكتبة المركزية لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في مدينة الرياض العديد من النسخ الخطية بعضها مرمم والبعض الآخر ناقص.

فالنسخة الأولى: برقم (١٦٩٦) أولها (بسم الله الرحمن الرحيم، قال الشيخ الإمام الأجل السيد ناصر الحديث ركن الدين أبو محمد الحسين).

وجاء في نهايتها: (وقع الفراغ في تنميم هذه النسخة في غرة شهر رمضان سنة ثمان وأربعين ومائة بعد ألف) .

عدد أوراقها ٥٠٤ .

والثانية: برقم (٣٦٢٩) جاء في أولها: (بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن يا كريم، أخبرنا الشيخ الإمام عفيف الدين أبو علي الحسن بن ملجد بن إبراهيم المريدي رحمه الله قال:—

وآخرها: تفسير سورة التوبة عدد أوراقها: (٢٣٦) وهي مرممة ترميماً نتج عنه ضياع بعض الكلمات في بداية سورة الفاتحة ص ٩ — ١٠ — ١١ — ١٣ — ١٤ .  
ويوجد عليها حواشي وتعليقات .

والثالثة: رقمها (٣٧٨٢) عدد أوراقها (٢٠٨) تبدأ بسورة البقرة وسورة آل عمران وسورة النساء وآخر المخطوطة كتبت هذه العبارة (آخر الجزء الأول من معالم التنزيل، وكان الفراغ من نسخه يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى عفو ربه)

والرابعة: برقم (٣٦٢٧) الجزء الأول فقط عدد أوراقها (٢٩٨) وفي ورقة ٢٩٧ كتب عليها: (تم الربع الأول بحمد الله وتوفيقه وكان الفراغ من كتاب (معالم التنزيل) بإذن الله الملك الجليل في يوم الجمعة قبل الظهر اثنين وعشرين يوماً خلا من شهر ربيع الأول سنة ألف ومائة وتسعة وعشرين سنة ١١٢٩ هـ .

هذا بالإضافة إلى العديد من النسخ الناقصة وقد اخترنا النسخة (أ) أصلاً، أي نسخة المكتبة الظاهرية وذلك لقربها من وفاة المؤلف وتتمامها ولوجود بعض الحواشي والتعليقات عليها واستعنا بعد عون الله تعالى وتوفيقه بالنسخة (ب) التي جعلناها في المرتبة الثانية وذلك لوضوحها وتتمامها وسبب اقتصارنا على النسختين (أ ، ب) وصرف النظر عن غيرهما هو التحرز من ضغط الهوامش بالاختلافات التي قد تؤدي إلى النفور والملل، لعدم فائدتها للقارئ والله الهادي إلى سواء السبيل .





۱۰۰  
 ۱۰۱  
 ۱۰۲  
 ۱۰۳  
 ۱۰۴  
 ۱۰۵  
 ۱۰۶  
 ۱۰۷  
 ۱۰۸  
 ۱۰۹  
 ۱۱۰  
 ۱۱۱  
 ۱۱۲  
 ۱۱۳  
 ۱۱۴  
 ۱۱۵  
 ۱۱۶  
 ۱۱۷  
 ۱۱۸  
 ۱۱۹  
 ۱۲۰  
 ۱۲۱  
 ۱۲۲  
 ۱۲۳  
 ۱۲۴  
 ۱۲۵  
 ۱۲۶  
 ۱۲۷  
 ۱۲۸  
 ۱۲۹  
 ۱۳۰  
 ۱۳۱  
 ۱۳۲  
 ۱۳۳  
 ۱۳۴  
 ۱۳۵  
 ۱۳۶  
 ۱۳۷  
 ۱۳۸  
 ۱۳۹  
 ۱۴۰  
 ۱۴۱  
 ۱۴۲  
 ۱۴۳  
 ۱۴۴  
 ۱۴۵  
 ۱۴۶  
 ۱۴۷  
 ۱۴۸  
 ۱۴۹  
 ۱۵۰  
 ۱۵۱  
 ۱۵۲  
 ۱۵۳  
 ۱۵۴  
 ۱۵۵  
 ۱۵۶  
 ۱۵۷  
 ۱۵۸  
 ۱۵۹  
 ۱۶۰  
 ۱۶۱  
 ۱۶۲  
 ۱۶۳  
 ۱۶۴  
 ۱۶۵  
 ۱۶۶  
 ۱۶۷  
 ۱۶۸  
 ۱۶۹  
 ۱۷۰  
 ۱۷۱  
 ۱۷۲  
 ۱۷۳  
 ۱۷۴  
 ۱۷۵  
 ۱۷۶  
 ۱۷۷  
 ۱۷۸  
 ۱۷۹  
 ۱۸۰  
 ۱۸۱  
 ۱۸۲  
 ۱۸۳  
 ۱۸۴  
 ۱۸۵  
 ۱۸۶  
 ۱۸۷  
 ۱۸۸  
 ۱۸۹  
 ۱۹۰  
 ۱۹۱  
 ۱۹۲  
 ۱۹۳  
 ۱۹۴  
 ۱۹۵  
 ۱۹۶  
 ۱۹۷  
 ۱۹۸  
 ۱۹۹  
 ۲۰۰  
 ۲۰۱  
 ۲۰۲  
 ۲۰۳  
 ۲۰۴  
 ۲۰۵  
 ۲۰۶  
 ۲۰۷  
 ۲۰۸  
 ۲۰۹  
 ۲۱۰  
 ۲۱۱  
 ۲۱۲  
 ۲۱۳  
 ۲۱۴  
 ۲۱۵  
 ۲۱۶  
 ۲۱۷  
 ۲۱۸  
 ۲۱۹  
 ۲۲۰  
 ۲۲۱  
 ۲۲۲  
 ۲۲۳  
 ۲۲۴  
 ۲۲۵  
 ۲۲۶  
 ۲۲۷  
 ۲۲۸  
 ۲۲۹  
 ۲۳۰  
 ۲۳۱  
 ۲۳۲  
 ۲۳۳  
 ۲۳۴  
 ۲۳۵  
 ۲۳۶  
 ۲۳۷  
 ۲۳۸  
 ۲۳۹  
 ۲۴۰  
 ۲۴۱  
 ۲۴۲  
 ۲۴۳  
 ۲۴۴  
 ۲۴۵  
 ۲۴۶  
 ۲۴۷  
 ۲۴۸  
 ۲۴۹  
 ۲۵۰  
 ۲۵۱  
 ۲۵۲  
 ۲۵۳  
 ۲۵۴  
 ۲۵۵  
 ۲۵۶  
 ۲۵۷  
 ۲۵۸  
 ۲۵۹  
 ۲۶۰  
 ۲۶۱  
 ۲۶۲  
 ۲۶۳  
 ۲۶۴  
 ۲۶۵  
 ۲۶۶  
 ۲۶۷  
 ۲۶۸  
 ۲۶۹  
 ۲۷۰  
 ۲۷۱  
 ۲۷۲  
 ۲۷۳  
 ۲۷۴  
 ۲۷۵  
 ۲۷۶  
 ۲۷۷  
 ۲۷۸  
 ۲۷۹  
 ۲۸۰  
 ۲۸۱  
 ۲۸۲  
 ۲۸۳  
 ۲۸۴  
 ۲۸۵  
 ۲۸۶  
 ۲۸۷  
 ۲۸۸  
 ۲۸۹  
 ۲۹۰  
 ۲۹۱  
 ۲۹۲  
 ۲۹۳  
 ۲۹۴  
 ۲۹۵  
 ۲۹۶  
 ۲۹۷  
 ۲۹۸  
 ۲۹۹  
 ۳۰۰  
 ۳۰۱  
 ۳۰۲  
 ۳۰۳  
 ۳۰۴  
 ۳۰۵  
 ۳۰۶  
 ۳۰۷  
 ۳۰۸  
 ۳۰۹  
 ۳۱۰  
 ۳۱۱  
 ۳۱۲  
 ۳۱۳  
 ۳۱۴  
 ۳۱۵  
 ۳۱۶  
 ۳۱۷  
 ۳۱۸  
 ۳۱۹  
 ۳۲۰  
 ۳۲۱  
 ۳۲۲  
 ۳۲۳  
 ۳۲۴  
 ۳۲۵  
 ۳۲۶  
 ۳۲۷  
 ۳۲۸  
 ۳۲۹  
 ۳۳۰  
 ۳۳۱  
 ۳۳۲  
 ۳۳۳  
 ۳۳۴  
 ۳۳۵  
 ۳۳۶  
 ۳۳۷  
 ۳۳۸  
 ۳۳۹  
 ۳۴۰  
 ۳۴۱  
 ۳۴۲  
 ۳۴۳  
 ۳۴۴  
 ۳۴۵  
 ۳۴۶  
 ۳۴۷  
 ۳۴۸  
 ۳۴۹  
 ۳۵۰  
 ۳۵۱  
 ۳۵۲  
 ۳۵۳  
 ۳۵۴  
 ۳۵۵  
 ۳۵۶  
 ۳۵۷  
 ۳۵۸  
 ۳۵۹  
 ۳۶۰  
 ۳۶۱  
 ۳۶۲  
 ۳۶۳  
 ۳۶۴  
 ۳۶۵  
 ۳۶۶  
 ۳۶۷  
 ۳۶۸  
 ۳۶۹  
 ۳۷۰  
 ۳۷۱  
 ۳۷۲  
 ۳۷۳  
 ۳۷۴  
 ۳۷۵  
 ۳۷۶  
 ۳۷۷  
 ۳۷۸  
 ۳۷۹  
 ۳۸۰  
 ۳۸۱  
 ۳۸۲  
 ۳۸۳  
 ۳۸۴  
 ۳۸۵  
 ۳۸۶  
 ۳۸۷  
 ۳۸۸  
 ۳۸۹  
 ۳۹۰  
 ۳۹۱  
 ۳۹۲  
 ۳۹۳  
 ۳۹۴  
 ۳۹۵  
 ۳۹۶  
 ۳۹۷  
 ۳۹۸  
 ۳۹۹  
 ۴۰۰  
 ۴۰۱  
 ۴۰۲  
 ۴۰۳  
 ۴۰۴  
 ۴۰۵  
 ۴۰۶  
 ۴۰۷  
 ۴۰۸  
 ۴۰۹  
 ۴۱۰  
 ۴۱۱  
 ۴۱۲  
 ۴۱۳  
 ۴۱۴  
 ۴۱۵  
 ۴۱۶  
 ۴۱۷  
 ۴۱۸  
 ۴۱۹  
 ۴۲۰  
 ۴۲۱  
 ۴۲۲  
 ۴۲۳  
 ۴۲۴  
 ۴۲۵  
 ۴۲۶  
 ۴۲۷  
 ۴۲۸  
 ۴۲۹  
 ۴۳۰  
 ۴۳۱  
 ۴۳۲  
 ۴۳۳  
 ۴۳۴  
 ۴۳۵  
 ۴۳۶  
 ۴۳۷  
 ۴۳۸  
 ۴۳۹  
 ۴۴۰  
 ۴۴۱  
 ۴۴۲  
 ۴۴۳  
 ۴۴۴  
 ۴۴۵  
 ۴۴۶  
 ۴۴۷  
 ۴۴۸  
 ۴۴۹  
 ۴۵۰  
 ۴۵۱  
 ۴۵۲  
 ۴۵۳  
 ۴۵۴  
 ۴۵۵  
 ۴۵۶  
 ۴۵۷  
 ۴۵۸  
 ۴۵۹  
 ۴۶۰  
 ۴۶۱  
 ۴۶۲  
 ۴۶۳  
 ۴۶۴  
 ۴۶۵  
 ۴۶۶  
 ۴۶۷  
 ۴۶۸  
 ۴۶۹  
 ۴۷۰  
 ۴۷۱

[illegible][illegible]

الصفحة الأخيرة من المجلد الثاني - ظاهرية

۱۰۰  
 ۱۰۱  
 ۱۰۲  
 ۱۰۳  
 ۱۰۴  
 ۱۰۵  
 ۱۰۶  
 ۱۰۷  
 ۱۰۸  
 ۱۰۹  
 ۱۱۰  
 ۱۱۱  
 ۱۱۲  
 ۱۱۳  
 ۱۱۴  
 ۱۱۵  
 ۱۱۶  
 ۱۱۷  
 ۱۱۸  
 ۱۱۹  
 ۱۲۰  
 ۱۲۱  
 ۱۲۲  
 ۱۲۳  
 ۱۲۴  
 ۱۲۵  
 ۱۲۶  
 ۱۲۷  
 ۱۲۸  
 ۱۲۹  
 ۱۳۰  
 ۱۳۱  
 ۱۳۲  
 ۱۳۳  
 ۱۳۴  
 ۱۳۵  
 ۱۳۶  
 ۱۳۷  
 ۱۳۸  
 ۱۳۹  
 ۱۴۰  
 ۱۴۱  
 ۱۴۲  
 ۱۴۳  
 ۱۴۴  
 ۱۴۵  
 ۱۴۶  
 ۱۴۷  
 ۱۴۸  
 ۱۴۹  
 ۱۵۰  
 ۱۵۱  
 ۱۵۲  
 ۱۵۳  
 ۱۵۴  
 ۱۵۵  
 ۱۵۶  
 ۱۵۷  
 ۱۵۸  
 ۱۵۹  
 ۱۶۰  
 ۱۶۱  
 ۱۶۲  
 ۱۶۳  
 ۱۶۴  
 ۱۶۵  
 ۱۶۶  
 ۱۶۷  
 ۱۶۸  
 ۱۶۹  
 ۱۷۰  
 ۱۷۱  
 ۱۷۲  
 ۱۷۳  
 ۱۷۴  
 ۱۷۵  
 ۱۷۶  
 ۱۷۷  
 ۱۷۸  
 ۱۷۹  
 ۱۸۰  
 ۱۸۱  
 ۱۸۲  
 ۱۸۳  
 ۱۸۴  
 ۱۸۵  
 ۱۸۶  
 ۱۸۷  
 ۱۸۸  
 ۱۸۹  
 ۱۹۰  
 ۱۹۱  
 ۱۹۲  
 ۱۹۳  
 ۱۹۴  
 ۱۹۵  
 ۱۹۶  
 ۱۹۷  
 ۱۹۸  
 ۱۹۹  
 ۲۰۰  
 ۲۰۱  
 ۲۰۲  
 ۲۰۳  
 ۲۰۴  
 ۲۰۵  
 ۲۰۶  
 ۲۰۷  
 ۲۰۸  
 ۲۰۹  
 ۲۱۰  
 ۲۱۱  
 ۲۱۲  
 ۲۱۳  
 ۲۱۴  
 ۲۱۵  
 ۲۱۶  
 ۲۱۷  
 ۲۱۸  
 ۲۱۹  
 ۲۲۰  
 ۲۲۱  
 ۲۲۲  
 ۲۲۳  
 ۲۲۴  
 ۲۲۵  
 ۲۲۶  
 ۲۲۷  
 ۲۲۸  
 ۲۲۹  
 ۲۳۰  
 ۲۳۱  
 ۲۳۲  
 ۲۳۳  
 ۲۳۴  
 ۲۳۵  
 ۲۳۶  
 ۲۳۷  
 ۲۳۸  
 ۲۳۹  
 ۲۴۰  
 ۲۴۱  
 ۲۴۲  
 ۲۴۳  
 ۲۴۴  
 ۲۴۵  
 ۲۴۶  
 ۲۴۷  
 ۲۴۸  
 ۲۴۹  
 ۲۵۰  
 ۲۵۱  
 ۲۵۲  
 ۲۵۳  
 ۲۵۴  
 ۲۵۵  
 ۲۵۶  
 ۲۵۷  
 ۲۵۸  
 ۲۵۹  
 ۲۶۰  
 ۲۶۱  
 ۲۶۲  
 ۲۶۳  
 ۲۶۴  
 ۲۶۵  
 ۲۶۶  
 ۲۶۷  
 ۲۶۸  
 ۲۶۹  
 ۲۷۰  
 ۲۷۱  
 ۲۷۲  
 ۲۷۳  
 ۲۷۴  
 ۲۷۵  
 ۲۷۶  
 ۲۷۷  
 ۲۷۸  
 ۲۷۹  
 ۲۸۰  
 ۲۸۱  
 ۲۸۲  
 ۲۸۳  
 ۲۸۴  
 ۲۸۵  
 ۲۸۶  
 ۲۸۷  
 ۲۸۸  
 ۲۸۹  
 ۲۹۰  
 ۲۹۱  
 ۲۹۲  
 ۲۹۳  
 ۲۹۴  
 ۲۹۵  
 ۲۹۶  
 ۲۹۷  
 ۲۹۸  
 ۲۹۹  
 ۳۰۰  
 ۳۰۱  
 ۳۰۲  
 ۳۰۳  
 ۳۰۴  
 ۳۰۵  
 ۳۰۶  
 ۳۰۷  
 ۳۰۸  
 ۳۰۹  
 ۳۱۰  
 ۳۱۱  
 ۳۱۲  
 ۳۱۳  
 ۳۱۴  
 ۳۱۵  
 ۳۱۶  
 ۳۱۷  
 ۳۱۸  
 ۳۱۹  
 ۳۲۰  
 ۳۲۱  
 ۳۲۲  
 ۳۲۳  
 ۳۲۴  
 ۳۲۵  
 ۳۲۶  
 ۳۲۷  
 ۳۲۸  
 ۳۲۹  
 ۳۳۰  
 ۳۳۱  
 ۳۳۲  
 ۳۳۳  
 ۳۳۴  
 ۳۳۵  
 ۳۳۶  
 ۳۳۷  
 ۳۳۸  
 ۳۳۹  
 ۳۴۰  
 ۳۴۱  
 ۳۴۲  
 ۳۴۳  
 ۳۴۴  
 ۳۴۵  
 ۳۴۶  
 ۳۴۷  
 ۳۴۸  
 ۳۴۹  
 ۳۵۰  
 ۳۵۱  
 ۳۵۲  
 ۳۵۳  
 ۳۵۴  
 ۳۵۵  
 ۳۵۶  
 ۳۵۷  
 ۳۵۸  
 ۳۵۹  
 ۳۶۰  
 ۳۶۱  
 ۳۶۲  
 ۳۶۳  
 ۳۶۴  
 ۳۶۵  
 ۳۶۶  
 ۳۶۷  
 ۳۶۸  
 ۳۶۹  
 ۳۷۰  
 ۳۷۱  
 ۳۷۲  
 ۳۷۳  
 ۳۷۴  
 ۳۷۵  
 ۳۷۶  
 ۳۷۷  
 ۳۷۸  
 ۳۷۹  
 ۳۸۰  
 ۳۸۱  
 ۳۸۲  
 ۳۸۳  
 ۳۸۴  
 ۳۸۵  
 ۳۸۶  
 ۳۸۷  
 ۳۸۸  
 ۳۸۹  
 ۳۹۰  
 ۳۹۱  
 ۳۹۲  
 ۳۹۳  
 ۳۹۴  
 ۳۹۵  
 ۳۹۶  
 ۳۹۷  
 ۳۹۸  
 ۳۹۹  
 ۴۰۰  
 ۴۰۱  
 ۴۰۲  
 ۴۰۳  
 ۴۰۴  
 ۴۰۵  
 ۴۰۶  
 ۴۰۷  
 ۴۰۸  
 ۴۰۹  
 ۴۱۰  
 ۴۱۱  
 ۴۱۲  
 ۴۱۳  
 ۴۱۴  
 ۴۱۵  
 ۴۱۶  
 ۴۱۷  
 ۴۱۸  
 ۴۱۹  
 ۴۲۰  
 ۴۲۱  
 ۴۲۲  
 ۴۲۳  
 ۴۲۴  
 ۴۲۵  
 ۴۲۶  
 ۴۲۷  
 ۴۲۸  
 ۴۲۹  
 ۴۳۰  
 ۴۳۱  
 ۴۳۲  
 ۴۳۳  
 ۴۳۴  
 ۴۳۵  
 ۴۳۶  
 ۴۳۷  
 ۴۳۸  
 ۴۳۹  
 ۴۴۰  
 ۴۴۱  
 ۴۴۲  
 ۴۴۳  
 ۴۴۴  
 ۴۴۵  
 ۴۴۶  
 ۴۴۷  
 ۴۴۸  
 ۴۴۹  
 ۴۵۰  
 ۴۵۱  
 ۴۵۲  
 ۴۵۳  
 ۴۵۴  
 ۴۵۵  
 ۴۵۶  
 ۴۵۷  
 ۴۵۸  
 ۴۵۹  
 ۴۶۰  
 ۴۶۱  
 ۴۶۲  
 ۴۶۳  
 ۴۶۴  
 ۴۶۵  
 ۴۶۶  
 ۴۶۷  
 ۴۶۸  
 ۴۶۹  
 ۴۷۰  
 ۴۷۱





فاز ابن عباس علم ته عز وجل برود  
صلی الله علیه و آله منع التواضع علی خلتیه فامر ان یفر الی ادمی مثلکم الایه خست  
بالوحي و ان من الله به یوحی الی انما المیکر له و هذا سرک له  
ان یخاف کمصیر الیه و قبل یامل ربه و کر جا یکن بمعنی الخوف و الامل بیما قال الشاعر  
فلا کل ما تر جواز الخیر کان ولا کل ما تر جواز الشر واقع

[illegible]



سورة مريم عليها السلام نزلت بمكة وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل كنه بعض قرأ بعز  
 بكسر الهمزة والياء صده ابن عامر وحزق بكسرهما الكسائي وابوبكر الباقر بن فضال ويطهر الدال عند  
 الدال من صاد ذكر ابن كثير ونافع وعاصم ويعقوب والباقر بن الادغام قال ابن عباس هو  
 اسم من اسماء الله عز وجل وقال قتادة اسم من اسم القرآن وقيل اسم للشجرة وقيل هو اسم  
 اسم الله به وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله كنه بعض قال كان من  
 كريم وكبير والهامن هاد واليامن رحيم والعين من علم وعظم والصاد من صادق وقال  
 الكلبي معناه كاف لخلق هاد لعباده لوقد ايدى بهم عالم بربك صادق في وعده  
 ذكر رفع بضري هذا الذي تلوه عليك ذكر رحمت ربك وفيه تقدم وتأخر معناه ذكر  
 ربك عبده ذكر يا برحمته اذ نادى دعاريت في محرابه ندا اخفيا دعاء سئل  
 من قومه في خوف الليل قال بئني وهن العظم وضعف ورق العظم مني من الكبر  
 قال قتادة اشتكى سقوط الاضراس واشتعل الرأس شيئا شمطا ولم اكن يدعائيك  
 رب شفتا ليقولك عودتي الاجابة فيما مضى ولم تحبيني وقيل معناه اعودتني الى ايمان  
 آمنك ولم اشق بترك ايمان واخي خفت المولى من وراءني والمولى بنو النعم وقال

ابن ابي نجراس

بجاهد العصبه وقال ابو صالح الكلاله وقال الكلبي الورثة من وراءني من بعد موتي فز ابن

كثير من وراءني بفتح اليا والآخرين باسكانها وكانت امرأتي غافرا اي لا تلد فصب  
 لي من لبنك وكذا يعطى من عندك وليا ابنا يرثني ويرث من آل يعقوب قد  
 قرأ بعز والكسائي مجزم النافيهما على جواب الدعاء قرأ الآخرون بالرفع على الحال والصفة اي وليا  
 وارثا واختلفوا في هذا الميراث قال الحسن معناه يرثني مالي وقوله ويرث من آل يعقوب النبوة  
 والمعبودة وقيل اراد ارث المعبودة لان ذكرها كان راس الاخبار قال الزجاج والاولى ان  
 يحل على ميراث غير المال لانه يبعد ان يشق ذكرها وهو نبي من الانبياء ان يرث بنو عبد الله  
 والمعنى انه خاف تضيق بني عبد الله والله وتغير احكامه على ما كان شاهده من بني اسرائيل من  
 تبديل الدين وقتل الانبياء فسأل ربه ولذا صالحا يامنه على امته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع  
 الدين وهذا معنى قوله عطا عن ابن عباس واجعله رب رضا اي برأ القيا مرضت  
 قوله عز وجل يا زكريا انا نبشرك وفيه اختصار معناه فاستجاب الله دعاه فقال  
 يا زكريا انا نبشرك بغلام بولد ذكر اسمك يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال قتادة والكلبي  
 لم يسم احد قبله يحيى وقال سعيد بن جبير عطا لم يجعل له شيئا او مثله كما قال الله تعالى هل  
 تعلم له سميا اي مثلا ومعنى انه لم يكن له مثل لا من قبله ولا من بعده فقل لمن  
 له مثل في امر النساء لا كان سميا او حصورا قال علي بن ابي طالب عن ابن عباس لم يولد

ولد ميراث النبي صلى الله عليه وسلم

الحوافر مثله وقيل لم يولد الله به اجتماع الفضائل كلها يحيى انما اراد بهن لان الخليل

وقال

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه فتفت فيهما فذكر الله  
 وتعالى اعدو ذريت الفلق وقل اعدو ذريت الناس وقل اعدو ذريت الجن فاستطاع من جنته  
 وجهه وما اقبل من جسده يصنع ذلك ثلاث مرات انا ابو الحسن المبرق انا ابراهيم بن احمد انا  
 ابواسحق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة ان النبي صلى الله  
 عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على راسه بالمعوذات فلما اشتد وجعه كنت اقرأ عليه وامسح عنده  
 بيده رجاء بركتها اخبرنا الامام ابو علي الحسين بن محمد النعماني وابو حامد احمد بن محمد بن عبد الله الصالح قال ابو  
 احمد بن الحسن الحيري انا محمد بن احمد بن معقل المدياني انا محمد بن يحيى انا عبد الرزاق انا معمر بن الزهري  
 عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحسدوا في اثنين رجل انا  
 الله ملا فهو نيفقه انا الليل ولطراف الفار ورجل انا الله القرآن فهو يقوم به انا الليل والنهار  
 اخبرنا عبد الواحد بن احمد الملقب انا احمد بن عبد الله النعماني انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل انا ابراهيم بن حمزة  
 حدثني بن ابي حازم عن يزيد بن يحيى بن الهاد عن محمد بن ابراهيم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة  
 رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما اذن الله شي ما اذن الله لبي حسن الصوت  
 يتغنى بالقران يحسن به والله عز وجل سبحانه اعلم

هذا هو المتن الذي ذكره في كتابنا  
 من نسخة المخطوطات التي في  
 مكتبة المخطوطات في  
 دار الكتب في القاهرة  
 في سنة ١٢٨٥ هـ  
 في شهر ربيع الثاني  
 في يوم الاثنين  
 في سنة ١٢٨٥ هـ



## بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام الأجل السيد محيي السنة، ناصر الدين، مفتي الشرق والغرب، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء رضي الله عنه وعن والديه:

الحمد لله ذي العظمة والكبرياء، والعزة والبقاء، والرفعة والعلاء، والمجد والثناء تعالى عن الأنداد والشركاء، وتقدس عن الأمثال والنظراء، والصلاة على نبيه وصفيه محمد خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء، عدد ذرات الثرى، ونجوم السماء، والحمد لله الملك السلام، المؤمن المهيمن العالم، شارح الأحكام، ذي الجلال والإكرام الذي أكرمنا بدين الإسلام ومنّ علينا بنبينا محمد عليه التحية والسلام، وأنعم علينا بكتابه المفرق بين الحلال والحرام، والصلاة [والسلام]<sup>(٥)</sup> على حبيبه، وخيرته من خلقه محمد سيد الأنام، عدد ساعات الليالي والأيام، وعلى آله وأصحابه نجوم الظلام، وعلى جميع الأنبياء والملائكة البررة الكرام.

أما بعد:

فإن الله جل ذكره أرسل رسوله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين، وبشيراً للمؤمنين، ونذيراً للمخالفين، أكمل به بنيان النبوة، وختم به ديوان الرسالة، وأتم به مكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال، وأنزل عليه بفضله نوراً هدى به من الضلالة، وأنقذ به من الجهالة، وحكم بالفلاح لمن تبعه، وبالحسارة لمن أعرض عنه بعد ما سمعه أعجز الخليفة عن معارضته وعن الإتيان بسورة من مثله في مقابله، وسهل على الخلق مع إعجازه تلاوته، ويسر على الألسن قراءته، أمر فيه وزجر، وبشر وأنذر وذكر المواعظ ليُتذكر، وقص عن أحوال الماضين ليُعتبر، وضرب فيه الأمثال ليُتدبر، ودل على آيات التوحيد ليُتفكر، ولا حصول لهذه المقاصد فيه إلا بدراية تفسيره وأعلامه، ومعرفة أسباب نزوله وأحكامه، والوقوف على ناسخه ومنسوخه، وخاصه وعامه، ثم هو كلام معجز وبحر عميق، لا نهاية لأسرار علومه، ولا درك لحقائق معانيه، وقد ألف أئمة السلف في أنواع علومه كتباً، كل على قدر فهمه، ومبلغ علمه، (نظراً للخلف)<sup>(١)</sup>، فشكر الله تعالى سعيهم ورحم كافتهم.

(١) ساقطة من (ب).

(٥) ساقط من (أ).

فسألني جماعة من أصحابي المخلصين، وعلى اقتباس العلم مقبلين: كتاباً في معالم التنزيل وتفسيره، فأجبتهم إليه، معتمداً على فضل الله تعالى وتيسيره، ممثلاً وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فيما يرويه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً»<sup>(١)</sup>.

واقْتداء بالماضين من السلف في تدوين العلم إبقاء على الخلف، وليس على ما فعلوه مزيد ولكن لا بد في كل زمان من تجديد ما طال به العهد، وقَصْر للطالبيين فيه الجد والجهد تنبيهاً للمتوقفين وتحريضاً للمتبطئين.

ب/١ فجمعت - بعون الله تعالى وحسن توفيقه - فيما سألوها كتاباً وسطاً بين الطويل الممل،/ والقصير المخل، أرجو أن يكون مفيداً لمن أقبل على تحصيله مريداً.

وما نقلت فيه من التفسير عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، خبر هذه الأمة، ومن بعده من التابعين، وأئمة السلف، مثل: مجاهد، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وقتاده، وأبي العالية، ومحمد بن كعب القرظي، وزيد بن أسلم، والكلبي، والضحاك، ومقاتل بن حيان، ومقاتل بن سليمان، والسُّدِّي، وغيرهم فأكثرها مما أخبرنا به الشيخ أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي الخوارزمي، فيما قرأته عليه عن الأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي عن شيوخه رحمهم الله.

أما تفسير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ترجمان القرآن الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم علمه الكتاب»<sup>(٢)</sup> وقال: «اللهم فقهه في الدين»<sup>(٣)</sup> قال أبو إسحاق: أخبرنا أبو محمد ابن عبد الله بن حامد أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدوس الطرائفي ثنا عثمان بن سعيد الدارمي ثنا عبد الله بن صالح أن معاوية بن صالح حدثه عن علي بن أبي طلحة الوالبي عن عبد الله بن عباس. وقال: أنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب ثنا عبد الله بن محمد الثقفي أنا أبو جعفر محمد بن نصرويه المازني أنا محمد بن سعيد بن محمد بن الحسن بن عطيه بن سعد العوفي قال حدثني عمي الحسين بن

(١) أخرجه الترمذي: في العلم - باب ما جاء في الايصاء بمن يطلب العلم: ٤٠٩/٧ - ٤١٠ وقال هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث أبي هارون العبيدي، وأبو هارون العبيدي اسمه (عمارة بن جُوَيْن) متروك ومتهم بالكذب، شيعي من الرابعة. الجرح والتعديل ٣٦٣/٦. الميزان ١٧٣/٣. تهذيب التهذيب ٢٦٢/٧ الضعفاء والمتروكين ص ١٩٢ تقريب التهذيب. لسان الميزان ٣٢١/٧ وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب الوصاة بطلب العلم: ٩١/١ - ٩٢، وأخرجه أيضاً عن أبي هريرة وفيه: المعلن بن هلال، كُذِّبَ أحمد وابن معين وغيرهما، ونسبه إلى الوضع غير واحد. انظر الجرح والتعديل ٣٣١/٨. المغني ٦٧١/٢. الميزان ١٥٢/٤. التقريب. تهذيب التهذيب ٢٤٠/١٠. لسان الميزان ٣٩٤/٧.

(٢) أخرجه البخاري: في العلم - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم علمه الكتاب) ١٦٩/١.

(٣) أخرجه البخاري: في الوضوء - باب: وضع الماء عند الخلاء ٢٤٤/١. ومسلم: في فضائل الصحابة - باب: فضل عبد الله بن عباس برقم (٢٤٧٧) ١٩٢٧/٤.

الحسن بن عطيه حدثني أبي عن جدي عطيه عن ابن عباس. وقال الثعلبي ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن النيسابوري أنا أحمد بن محمد إبراهيم الصري المروزي أنا أبو العباس أحمد بن الخضر الصيرفي، أنا أبو داود سليمان بن معبد السنجي<sup>(١)</sup> أنا علي بن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس.

وأما تفسير مجاهد بن جبر المكي قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني قال أنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بطة<sup>(٢)</sup> ثنا عبد الله بن محمد بن زكريا ثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي<sup>(٣)</sup> ثنا مسلم بن خالد الزنجي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد.

وأما تفسير عطاء بن أبي رباح قال: ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حسن النيسابوري ثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن ياسين بن الجراح الطبري أنا أبو محمد بن بكر بن سهل الدمياطي ثنا عبد الغني ابن سعيد الثقفي عن أبي محمد موسى بن عبد الرحمن الصنعاني عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح.

وأما تفسير الحسن البصري قال: حدثني أبو القاسم الحسن بن محمد بن عبد الله بن المكنب حدثني أبو الحسن محمد بن أحمد بن الصلت المعروف بابن شنبوذ المقرئ/ ثنا سعيد بن محمد ثنا المستهل بن واصل عن أبي صالح عن عمرو بن عبيد عن الحسن بن أبي الحسن البصري.

وأما تفسير قتادة قال: أنا أبو محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني<sup>(٤)</sup> أنا أبو علي حامد بن محمد بن الهروي ثنا أبو يعقوب إسحاق بن الحسن بن ميمون الحرابي ثنا أبو أحمد الحسين بن محمد المروزي ثنا شيبان بن عبد الرحمن النحوي عن قتادة وقال ثنا أبو القاسم الحسيني<sup>(٥)</sup> أنا أبو زكريا العنبري ثنا جعفر ابن محمد بن سوار أنا محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بن دعامة السدوسي.

وأما تفسير أبي العالية واسمه رفيع بن مهران قال: ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر أنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن منصور العمركي بَسْرَخَس<sup>(٦)</sup> ثنا أبو الحسن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن [يزيد]<sup>(٧)</sup> [البصري]<sup>(٨)</sup> أنا أبو علي الحسن بن موسى الأزدي عن عمار بن الحسن بن بشير الهمداني

(١) في نسخه (أ) سليمان بن سعيد.

(٢) في نسخه (أ) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر.

(٣) في نسخه (ب) الأموي.

(٤) في (ب) الأصبهاني.

(٥) في (أ) الحسيني.

(٦) بَسْرَخَس: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح الحاء المعجمة، وآخره سين مهملة، ويقال بَسْرَخَس، بالتحريك، والأول أكثر: مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة واسعة، وهي بين نيسابور ومرو في وسط الطريق.

(٧) في ب: مزيد.

(٨) زيادة من (ب).

عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبي العالية الرياحي.

وأما تفسير القرطبي: قال: ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب ثنا أبو العباس محمد بن الحسن الهروي ثنا رجاء بن عبد الله أنا مالك بن سليمان الهروي عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرطبي. وأما تفسير زيد بن أسلم قال: أنا الحسن بن محمد بن الحسن قال كتب إلي أحمد بن كامل ابن خلف أن محمد بن جزيير الطبري حدثهم قال: ثنا يونس بن عبد الأعلى الصدفي أنا عبد الله بن وهب أخبرني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه.

وأما تفسير الكلبي: فقد قرأت بمرور على الشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسن المروزي في شهر رمضان سنة أربع وستين وأربعمائة قال: أنا أبو مسعود محمد بن أحمد بن محمد بن يونس الخطيب الكشميهني في محرم سنة خمسين وأربعمائة قال أنا أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن معروف [الهَرْمُزِيَّه] <sup>(١)</sup> ثنا محمد بن علي الأنصاري المفسر ثنا علي بن اسحاق وصالح بن محمد السمرقندي قالوا: ثنا محمد بن مروان السدي عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح <sup>(٢)</sup> أنا باذان مولى أم هانئ عن ابن عباس.

وأما تفسير الضحاك بن مزاحم الهذلي <sup>(٣)</sup> قال: أنا الأستاذ إسحاق الثعلبي ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد السدوسي ثنا أبو عمر أحمد بن محمد العمركي بسرخس ثنا جعفر بن محمد بن سوار ثنا أحمد بن محمد بن جميل المروزي ثنا أبو معاذ عن عبيد الله <sup>(٤)</sup> بن سليمان الباهلي عن الضحاك.

وأما تفسير مقاتل بن حيان قال: أنا عبد الله بن حامد الوزاني ثنا أحمد بن محمد بن عبدوس ثنا إسماعيل بن قتيبة ثنا أبو خالد يزيد بن صالح الفراء النيسابوري حدثنا [بكير بن معروف البلخي الأسدي] <sup>(٥)</sup> أبو معاذ / عن مقاتل بن حيان. ب/٢

وأما تفسير مقاتل بن سليمان قال: أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم بن محمد المهرجاني أنا أبو محمد عبد الخالق بن الحسين بن محمد السقطي المعروف بابن أبي روية ثنا عبد الله بن ثابت بن يعقوب المقرئ أبو محمد قال: حدثني أبي حدثني الهذيل بن حبيب أبو صالح [الدندان] <sup>(٦)</sup> عن مقاتل بن سليمان.

(١) في الأصل الأهرمزموري، وفي (ب) الهرمزي. والتصويب من اللباب ٣/٣٨٥.

(٢) في ب: عن أبي نصر عن أبي صالح.

(٣) في ب: الهلالي.

(٤) في ب: عبيد بن سليمان.

(٥) في الأصل: بكر ... الأزدي. والتصويب من التهذيب.

(٦) في الأصل، الديداني، وفي المطبوع (حاشية ابن كثير) الزيداني والتصويب من اللباب ١/٥١٠.



وأما تفسير السدي قال: ثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن أنا أبو الطيب محمد بن عبد الله ابن مبارك الشعيري ثنا أحمد بن محمد بن نصر اللباد ثنا عمرو بن طلحة القناد عن اسباط عن اسماعيل السدي. وما نقلته عن المبتدأ لوهب بن منبه وعن المغازي لمحمد بن اسحاق أبو شعيب فأخبرني أبو سعيد الشريحي قال: أنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي قال: أنبأني أبو نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد بن اسحاق بن الأزهر أنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن البراء العبدي قال: قرأت على أبي عبد الله عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب بن منبه. وأنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف المعقلي ثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي أنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق بن يسار المدني وأنا أبو سعيد الشريحي قال: أبو اسحاق الثعلبي أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن عقيل الأنصاري أنا أبو الحسن علي بن الفضل الخزاعي أنا أبو شعيب بن عبد الله بن الحسين الحراني أنا النفيلي أنا محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق.

فهذه أسانيد أكثر ما نقلته عن هؤلاء الأئمة وهي مسموعة من طرق سواها تركت ذكرها حذراً من الإطالة وربما حكيت عنهم وعن غيرهم من الصحابة أو التابعين قولاً سمعته بغير هذه الأسانيد بل أذكر أسانيد بعضها في موضعه من الكتاب إن شاء الله تعالى.

ثم إن الناس كما أنهم متعبدون باتباع أحكام القرآن وحفظ حدوده. فهم متعبدون بتلاوته، وحفظ حروفه على سنن خط المصحف الإمام الذي اتفقت عليه الصحابة، وأن لا يجاوزوا فيما يوافق الخط عما قرأ به القراء المعروفون الذين خلفوا الصحابة والتابعين، واتفقت الأئمة على اختيارهم.

وقد ذكرت في الكتاب قراءات من اشتهر منهم بالقراءة، واختياراتهم على ما قرأته على الإمام أبي نصر محمد بن أحمد بن علي المروزي رحمه الله تلاوة ورواية قال: قرأت على أبي القاسم طاهر بن علي الصيرفي قال: قرأت على أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران بإسناده المذكور في كتابه المعروف بكتاب الغاية<sup>(١)</sup> وهم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع، وأبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن المدنيان، وأبو معبد عبد الله بن كثير الداري المكي، وأبو عمران عبد الله بن عامر الشامي، وأبو عمرو زيان بن العلاء المازني، وأبو محمد يعقوب بن اسحاق الحضرمي البصريان، وأبو بكر عاصم بن أبي النجود الأسدي، وأبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات، وأبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفيون فأما أبو جعفر فإنه أخذ القراءة عن عبد الله بن عباس وأبي هريرة وغيرهما وهم قرأوا على أبي بن كعب، وأما نافع فإنه قرأ على أبي جعفر القاري وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وشبيهه بن نصاح وغيرهم من التابعين الذين قرأوا

(١) الغاية في القراءات العشر مخطوط في جامعة الرياض مصور عن عارف حكمت ٢٠ ورقة (الأعلام ١/١١٥).

على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقال الأعرج قرأت على أبي هريرة، وقرأ أبو هريرة على أبي بن كعب.

وأما عبد الله بن كثير فإنه قرأ على مجاهد بن جبر وقرأ مجاهد على ابن عباس، وقرأ ابن عباس على أبي كعب، وقرأ أبي بن كعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[وأما أبو عمرو فإنه قرأ على مجاهد وسعيد بن جبير، وهما قرآ على ابن عباس وقرأ ابن عباس على أبي ابن كعب وقرأ أبي بن كعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم]<sup>(١)</sup> وأما عبد الله بن عامر فإنه قرأ على المغيرة بن شهاب المخزومي، وقرأ المغيرة على عثمان بن عفان.

• وأما عاصم فإنه قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي وقرأ أبو عبد الرحمن على علي بن أبي طالب قال عاصم: وكنت أرجع من عند أبي عبد الرحمن فأقرأ على زر بن حبيش، وكان زر قد قرأ على عبد الله بن مسعود.

وأما حمزة فإنه قرأ على عبد الرحمن بن أبي ليلى، وسليمان الأعمش، وحرمان بن أعين وغيرهم. وقرأ عبد الرحمن بن أبي ليلى على جماعة من أصحاب علي، وقرأ الأعمش على يحيى بن وثاب، وقرأ يحيى على جماعة من أصحاب عبد الله، وقرأ حرمان على أبي الأسود الدؤلي وقرأ أبو الأسود الدؤلي على عثمان وعلي. وأما الكسائي فإنه قرأ على حمزة، وأما يعقوب فإنه قرأ على أبي المنذر سلام بن سليمان الخراساني، وقرأ سلام على عاصم.

فذكرت قراءات هؤلاء للاتفاق على جواز القراءة بها، وما ذكرت من أحاديث رسول الله ﷺ في أثناء الكتاب على وفاق آية، أو بيان حكم فإن الكتاب يطلب بيانه من السنة، وعليهما مدار الشرع وأمور الدين فهي من الكتب المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث، وأعرضت عن ذكر المناكير، ومالا يليق بحال التفسير، فأرجو أن يكون مباركاً على من أراده وبالله التوفيق.

### (فصل في فضائل القرآن وتعليمه)

أنا عبد الواحد المليحي، أنا [أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح]<sup>(٢)</sup> أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا علي بن الجعد أنا شعبة عن علقمة بن مرثد قال: سمعت سعد بن

(١) ساقط من المطبوع حاشية ابن كثير.  
(٢) في الأصل (أ): أبو عبد الرحمن بن أبي شريح.

(عبدة)<sup>(١)</sup> يحدث عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان قال شعبة: قلت: عن النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» هذا حديث صحيح أخرجه البخاري عن الحجاج بن منهال عن شعبة<sup>(٢)</sup>.

أنا أبو بكر بن محمد بن عبد الصمد الترابي/ أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حموية السرخسي أ/٣ أنا أبو إسحاق إبراهيم بن خزيمة الشاشي، أنا أبو محمد عبد الله بن حميد الشاشي ثنا حسين بن علي الجعفي قال: سمعت حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحارث الأعور عن الحارث الأعور قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم قال: أما إني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ألا إنها ستكون فتنة قلت فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة ولا تشيع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنوا به، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم» خذها إليك يا أعور<sup>(٣)</sup>. قال أبو عيسى: هذا (الحديث) لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول، والحارث فيه مقال.

أنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان السمعاني أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا إسحاق بن عيسى قال: سمعت ابن لهيعة يقول: ثنا مشرَح بن (هاغان)<sup>(٤)</sup> قال: سمعت عقبة بن عامر يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم

(١) في الأصل (أ): عبدة.

(٢) أخرجه البخاري: في فضائل القرآن — باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه: ٧٤/٩ وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٢٧/٤ — ٤٢٨.

(٣) أخرجه الترمذي: في فضائل القرآن — باب ما جاء في فضل القرآن (٢١٨/٨ — ٢٢١) وقال هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال إذ كذبه الشعبي في رأيه، ورمي بالرفض وفي حديثه ضعف (التقريب)، وأخرجه الطبراني مختصراً، قال الهيثمي: وفيه عمرو بن واقد وهو متروك. مجمع الزوائد ١٦٥/٧. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٣٨/٤.

(٤) في الأصل: هامان، والتصويب من التهذيب وشرح السنة، وفي سنن الدارمي: عاهان.

يقول: «لو كان هذا القرآن في إهاب ما مسته النار»<sup>(١)</sup> قيل معناه من حمل القرآن وقرأه لم تمسه النار يوم القيامة.

أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا جعفر ابن عون أنا إبراهيم بن مسلم عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال: «[إن هذا القرآن مآدبة الله فتعلموا من مآدبته ما استطعتم إن]<sup>(٢)</sup> هذا القرآن جبل الله والنور المبين والشفاء النافع وعصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه لا يزيغ فيستعجب ولا يعوج فيقوم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد فأتلوه فإن الله عز وجل يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول ألم ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف»<sup>(٣)</sup> ورواه بعضهم عن ابن مسعود مرفوعاً.

أنا أبو جعفر أحمد بن أبي أحمد بن متويه أنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد بن علي الحسيني الحراني فيما كتب إليّ أنا أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري ثنا أبو الفضل جعفر بن محمد ابن الصندلي ثنا الحسن بن محمد الزعفراني ثنا علي بن عاصم عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بمعناه.

أنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي ثنا أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن باموية الأصبهاني أنا أبو محمد عبد الرحمن بن يحيى القاضي الزهري بمكة أنا محمد بن اسماعيل بن سالم الصائغ أنا سليمان بن داود الهاشمي ثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب الزهري عن عامر بن واثلة أبي الطفيل أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعُسْفَانَ — وكان عمر استعمله على مكة — فقال له عمر: من استخلفت على أهل الوادي؟ قال: استخلفت عليهم ابن أُبَري قال: ومن ابن أُبَري؟ قال: مولى من موالينا قال عمر: فاستخلفت عليهم مولى؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنه رجل قارئ للقرآن عالم بالفرائض قاضي فقال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى يرفع بالقرآن

(١) رواه أحمد: ١٥١/٤، ١٥٥ عن عقبة بن عامر والدارمي: ٤٣٠/٢ وفي سنده عبد الله بن لبيعة صدوق خلط بعد احتراق كتبه (التقريب) وله شاهد عند الطبراني من حديث عصمة بن مالك وفيه الفضل بن المختار وهو ضعيف. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٣٦/٤.

قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني وأبو يعلى، وفيه ابن لبيعة، وفيه خلاف: ١٥٨/٧ وعن سهل بن سعد: لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار» قال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه عبد الوهاب بن الضحاك وهو متروك. وفسر بعض رواة أبي يعلى الحديث بأن من جمع القرآن ثم دخل النار فهو شر من التثنية.

(٢) زيادة في نسخة (ب).

(٣) أخرجه الحاكم: ٥٥٥/١ وقال: تفرد به صالح بن عمر عن عبد الله بن مسعود، وهو صحيح، وتعقبه الذهبي بأن صالحاً ثقة خرج له مسلم، لكن إبراهيم بن مسلم ضعيف. انظر: فيض القدير: ٥٤٦/١. الجرح والتعديل ١٣١/٢. تهذيب الكمال ٢٠٣/٢. الميزان ٦٥/١. التقريب. تهذيب التهذيب ١٦٤/١. الضعفاء والمتروكين ص ٤٠.

أقواماً ويضع به آخرين»<sup>(١)</sup> صحيح أخرجه مسلم عن زهير بن حرب.

أنا أبو بكر بن محمد عبد الصمد الترابي المعروف بابن أبي الهيثم أنا الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة أنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد أنا اسحاق بن إبراهيم الحنظلي أنا جرير يعني ابن عبد الحميد عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»<sup>(٢)</sup> قال أبو عيسى هذا حديث صحيح.

أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه أنا أبو أيوب الدمشقي ثنا سعدان بن يحيى ثنا عبد الله بن أبي حميد عن أبي الحكم المليح الهذلي عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الانجيل المثين، وأعطيت مكان الزبور المثاني، وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش لم يعطها نبي قبلي، وأعطاني ربي المفصل نافلة»<sup>(٣)</sup> غريب.

### فصل في فضائل تلاوة القرآن

أنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا علي بن الجعد أنا شعبة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل الماهر بالقرآن مثل السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران»<sup>(٤)</sup> صحيح. وقال هشام الدستوائي عن قتادة بهذا الإسناد: «الذي يقرأ القرآن

(١) رواه مسلم: في صلاة المسافرين — باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه برقم (٨١٧) ٥٥٩/١.

والمصنف في شرح السنة: ٤٤٢/٤.

(٢) رواه الترمذي: في فضائل القرآن — باب (رقم ١٨) ٢٣١/٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح وأحمد: ٢٢٣/١ عن ابن عباس والدارمي: في فضائل القرآن — باب: فضل من قرأ القرآن ٤٢٩/٢ وأخرجه الحاكم: وقال: صحيح الاسناد: ٥٥٤/١ وفي سنده قابوس بن أبي ظبيان فيه لين (التقريب) والمصنف في شرح السنة: ٤٤٣/٤.

(٣) قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني عن واثلة بن الأسقع بنحوه (مجمع الزوائد: ١٥٨/٧) وقال ابن كثير: هذا حديث غريب وسعيد بن بشر فيه لين.

وعن أبي أمامة: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعطاني ربي السبع الطوال مكان التوراة» رواه الطبراني وفيه ليث بن أبي سليم ضعفه أحمد والنسائي ويحيى وقال ابن حبان: اختلط في آخر عمره (الميزان والتقريب). وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤) رواه البخاري: في التفسير — تفسير سورة عبس: ٦٩١/٨.

ومسلم: في صلاة المسافرين — باب: فضل الماهر بالقرآن ... برقم (٧٩٨) ٥٥٠/١.

والمصنف في شرح السنة: ٤٢٩/٤.

وهو ماهر مع السفارة الكرام البررة»

أنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو عمر بكر بن محمد المزني حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله حفيد العباس بن حمزة ثنا أبو علي الحسين بن الفضل البجلي ثنا عفان ثنا أبان بن يزيد ثنا قتادة عن أنس عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأثرجة طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل القرة طعمها طيب ولا ربح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ربح لها»<sup>(١)</sup> صحيح أخرجه البخاري عن قتيبة عن أبي عوانة عن قتادة.

أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن عاصم، يعنى ابن بهدلة، عن زر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن اقرأ: وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها»<sup>(٢)</sup> قال أبو عيسى هذا حديث صحيح حسن.

أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه، ثنا النضر بن شميل ثنا هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام عن أبي أمامة أنه حدثه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شافعاً لأصحابه اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف تُحاجَّان عن صاحبهما اقرأوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة»<sup>(٣)</sup> صحيح.

أنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم ثنا بشير بن مهاجر الغنوي/ثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال كنت جالساً عند النبي ﷺ فسمعته يقول: «اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة، ثم سكت

ب/٣

(١) رواه البخاري: في فضائل القرآن — باب: فضل القرآن على سائر الكلام: ٦٥/٩ — ٦٦.

ومسلم: في صلاة المسافرين — باب: فضل الماهر بالقرآن برقم (٧٩٧) ٥٤٩/١.

والمصنف في شرح السنة: ٤٣١/٤ — ٤٣٢.

(٢) رواه أبو داود: في الصلاة — باب: كيف يستحب الترتيل في القراءة ١٣٦/٢. والترمذي: في ثواب القرآن — باب: الذي ليس في جوفه قرآن: ٢٣٢/٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح وأحمد: ١٩٢/٢ عن عبد الله بن عمر.

وابن حبان: في موارد الظمان برقم (١٧٩٠) ص ٤٤٢/٤٤٣.

والحاكم: ٥٥٢/١ — ٥٥٣ وقال: صحيح ووافقه الذهبي، والمصنف في شرح السنة: ٤٣٥/٤.

(٣) رواه مسلم: في صلاة المسافرين — باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة برقم (٨٠٤) ٥٥٣/١.

والمصنف في شرح السنة: ٤٥٦/٤ — ٤٥٧.

ساعة ثم قال: تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان، وإنهما تُظِلَّان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، وإن القرآن يأتي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفني فيقول: ما أعرفك فيقول: أنا صاحبك القرآن أظمأتك بالهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حُلَّتَيْن لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال لهما: بأخذ ولدك القرآن ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعودها مادام يقرأ، هذا كان أو ترتيلاً<sup>(١)</sup> غريب.

أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو أيوب الدمشقي ثنا إسماعيل بن عياش ثنا ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من استمع إلى آية من كتاب الله عز وجل كتبت له حسنة مضاعفة ومن قرأ آية من كتاب الله كانت له نوراً يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا الإمام أبو علي حسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر (محمد)<sup>(٣)</sup> بن محمد بن محمض الزياتي أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر ثنا إبراهيم بن عبد الله بن عمر بن بكير الكوفي أنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خَلَفَاتٍ<sup>(٤)</sup> عِظَامِ سَمَانٍ؟ قلنا نعم قال: فثلاث آيات يقرؤهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان»<sup>(٥)</sup> صحيح.

أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الزياتي ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو الأسود ثنا ابن لهيعة عن زيان هو ابن فايد عن سهل، هو ابن معاذ الجهني، عن أبيه رضي الله عنه عن

(١) رواه أحمد: ٣٤٨/٥ عن عبد الله بن بريدة عن أبيه.

والمصنف في شرح السنة ٤٥٤/٤ وقال: هذا حديث حسن غريب. وأورده ابن كثير في التفسير ٣٤/١ وقال: وروى ابن حبان بعضه، وهذا إسناد حسن على شرط مسلم، فإن بشيراً أخرج له مسلم ووثقه ابن معين وقال النسائي: ما به بأس، إلا أن الإمام أحمد قال: هو منكر الحديث.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: روى ابن حبان منه طرفاً، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ١٥٩/١.

(٢) رواه أحمد: ٣٤١/٢ عن أبي هريرة، قال الحافظ العراقي: وفيه ضعف وانقطاع، وقال تلميذه الهيثمي: فيه عباد بن مسرة، ضعفه أحمد وغيره، ووثقه ابن معين مرة وضعفه أخرى، ووثقه ابن حبان، انظر: فيض القدير: ٥٩/٦، مجمع الزوائد: ١٦٢/٧ الضعفاء والمتروكين للنسائي ص ١٧٣.

(٣) في ب: أحمد وهو خطأ، انظر: اللباب: ٨٤/٢.

(٤) الحوامل من الإبل إلى أن يمضي عليها نصف أمدتها. ثم هي عشار، والواحدة خَلْفَةٌ وعشراء.

(٥) رواه مسلم: صلاة المسافرين — باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه برقم (٨٠٢) ٥٥٢/١.

والمصنف في شرح السنة: ٤٣٤/٤.

النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ القرآن فأحكمه وعمل بما فيه ألبس والداه يوم القيامة تاجاً ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيت من بيوت الدنيا لو كانت فيه، فما ظنكم بالذي عمل به»<sup>(١)</sup>.

أنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى أنا محمد بن عبد الله الصفار ثنا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي ثنا أبو حذيفة ثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن خيثمة عن رجل أن عمران بن حصين مر على رجل يقرأ على قوم فلما قرأ سأل فقال عمران: إنا لله وإنا إليه راجعون، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ القرآن فليسأل الله عز وجل به فإنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن يسألون الناس به»<sup>(٢)</sup> رواه أبو عيسى عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد عن سفيان عن الأعمش عن خيثمة عن الحسن بن عمران بن حصين رضي الله عنه قال. وقال محمد بن اسماعيل هو خيثمة البصري الذي روى عنه جابر الجعفي وليس هو خيثمة بن عبد الرحمن.

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤٤٠/٣ عن معاذ بن أنس الجهني وأبو داود في الوتر، باب في ثواب قراءة القرآن: ١٣٣/٢. والحاكم: ٥٦٧/١، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، فاعترض الذهبي بقوله: «قلت: زئبان ليس بالقوى». وقال المنذري في مختصر السنن: سهل بن معاذ ضعيف، ورواه عنه زئبان بن فايد وهو ضعيف أيضاً ورواه الآجري في أخلاق أهل القرآن برقم (٢٢) ص ٨١. وانظر تعليق المحقق عليه.

(٢) رواه الترمذي في ثواب القرآن — باب رقم (٢٠) ٢٣٥/٨، وقال: هذا حديث حسن، وخيثمة شيخ بصري يكنى: أبو نصر، قد روى عن أنس بن مالك أحاديث.

وأحمد: ٤٣٢/٤، عن عمران بن حصين.  
والمصنف في شرح السنة: ٤٤٢/٤، ونقل تحسين الترمذي له.



## (فصل في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم)

أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي أنا أبو اسحاق إبراهيم بن خزيم الشاشي ثنا أبو محمد عبد بن حميد ثنا عبد الرزاق أنا الثوري عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(١)</sup>.

أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفري أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه أنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن البصري ثنا أبو الفضل العباس بن محمد الدوري أخبرنا يحيى بن حماد ثنا أبو عوانه عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(٢)</sup>.

أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي حدثنا عبد الله بن أحمد بن حمويه أنا إبراهيم بن خزيم أنا عبد بن حميد ثنا حبان بن هلال ثنا سهيل أخو حزم القطيعي، ثنا أبو عمران (الجوني)<sup>(٣)</sup> عن جندب ابن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»<sup>(٤)</sup> غريب.

---

(١) رواه الترمذي في أبواب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه؛ ٢٧٧/٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وعزاه المناوي لأبي داود والنسائي في الفضائل، ولعله في الكبرى، ورواه ابن جرير عن ابن عباس موقوفاً؛ ٧٨/١، تحقيق شاكر. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٥٨/١.

وفيه عبد الأعلى بن عامر الثعلبي، الكوفي، صدوق يهيم، من السادسة. ضعفه أحمد وأبو زرعة وقال النسائي: ليس بذاك القوي. انظر الضعفاء والمتروكين للنسائي ص ١٦٥، وميزان الاعتدال ٥٣٠/٢، الجرح والتعديل ٢٥/٦، تقريب التهذيب، تهذيب التهذيب ٩٤/٦ وغيرها.

(٢) أخرجه أحمد: ٢٦٩/١ عن ابن عباس.

والترمذي في التفسير — باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه؛ ٢٧٧/٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

والطبري برقم (٧٣ — ٧٧) وقال الشيخ شاكر: تدور هذه الأحاديث كلها على عبد الأعلى بن عامر الثعلبي، وقد تكلموا فيه كما سبق.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٥٧/١، وقال: هذا حديث حسن.

(٣) في الأصل الجوفي.

(٤) رواه أبو داود في العلم، باب: الكلام في كتاب الله بغير علم؛ ٢٤٩/٥، والترمذي في التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه؛ ٢٧٩/٨، وقال: هذا حديث غريب.

وسئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى «وفاكهة وأباً» (٣١ — عبس) فقال: وأي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة قال حماد: قلت لأيوب: ما معنى قول أبي الدرداء رضي الله عنه؟ فجعل يتفكر فقلت: هو أن ترى له وجوهاً فتهاب الإقدام عليه فقال: هو ذاك، هو ذاك.

قال شيخنا الإمام رحمه الله: قد جاء الوعيد في حق من قال في القرآن برأيه وذلك فيمن قال من قبل نفسه شيئاً من غير علم. فأما التأويل — وهو صرف الآية إلى معنى محتمل موافق لما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط — فقد رخص فيه لأهل العلم.

أما التفسير: وهو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها، فلا يجوز إلا بالسمع بعد ثبوته من طريق النقل.

وأصل التفسير من التفسرة وهي: الدليل من الماء الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض، كذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصتها.

واشتقاق التأويل من الأول وهو الرجوع يقال: أولته قال أي: صرفته فانصرف.

أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم الترمذي أنا الحاكم أبو الفضل الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى أنا اسحاق بن ابراهيم الحنظلي ثنا جرير بن عبد الحميد عن المغيرة عن واصل بن حيان عن أبي هذيل عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع ويروى لكل حرف حد ولكل حد مطلع»<sup>(١)</sup> واختلفوا في تأويله، قيل: الظاهر لفظ القرآن والبطن تأويله. وقيل: الظاهر ما حدث عن أقوام أنهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر وباطنه عظة وتحذير أن يفعل أحد مثل ما فعلوا فيحل به ما حل بهم وقيل معنى الظاهر

= وعزاه المنذري للنسائي وقال: سهيل بن أبي حزم: بصري، واسم أبي حزم مهرا، وقد تكلم فيه الإمام أحمد والبخاري والنسائي وغيرهم، ورمز السيوطي في الجامع الصغير لحسنه، قال المناوي: لعله لاعتضاده، وإلا ففيه سهيل بن عبد الله... فيض القدير: ١٩١/٦. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٥٩/١.

(١) رواه الطبري: ٢٢/١ — ٢٣ برقم (١٠، ١١) بإسنادين ضعيفين، أما أحدهما: فلانقطاعا بجهالة راويه وأما الآخر: فمن أجل ابراهيم الهجري. فهو ضعيف، ضعفه ابن معين والنسائي وقال أبو حاتم: ليس بالقوي الجرح والتعديل ١٣١/٢، تهذيب الكمال ٢٠٣/٢، الضعفاء والمتروكين ص ٤٠ ميزان الاعتدال ٦٥/١ تهذيب التهذيب ١٦٤/١، تقريب التهذيب. والفقرة الأولى منه عند البخاري في فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف: ٢٣/٩. ومسلم في صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف برقم (٨١٨): ٥٦٠/١. ورواه أيضاً: ابن حبان برقم (٧٤)، قال الهيثمي: رواه البزار وأبو يعلى والطبراني في الأوسط باختصار آخره، ورجال أحدهما ثقات، مجمع الزوائد: ١٥٢/٧.

والباطن: التلاوة والتفهم، يقول: لكل آية ظاهر وهو أن يقرأها كما أنزلت قال الله تعالى: «وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ  
تَرْتِيلًا» (٤ - المزمل) وباطن وهو التدبر والتفكير قال الله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقُرْآنُ حُنًى مُبَارَكًا لِّذِكْرِهِمْ  
آيَاتِهِ» (٢٩ - ص) ثم التلاوة تكون بالتعلم والحفظ بالدرس، / والتفهم يكون بصدق النية وتعظيم  
الحرمة وطيب الطعمه، وقوله لكل حرف حدّ أراد له حدّ في التلاوة والتفسير لا يجاوز، ففي التلاوة لا يجاوز  
المصحف، وفي التفسير لا يجاوز المسموع، وقوله لكل حد مطلع أي مصعد يصعد إليه من معرفة علمه  
ويقال: المطلع الفهم. وقد يفتح الله على المدبّر والمتفكر في التأويل والمعاني مالا يفتح على غيره، وفوق كل  
ذي علم عليم.



## سورة فاتحة الكتاب

ولها ثلاثة أسماء معروفة: فاتحة الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني.

سميت فاتحة الكتاب: لأن الله بها افتتح القرآن. وسميت أم القرآن وأم الكتاب: لأنها أصل القرآن منها بدىء القرآن، وأم الشيء: أصله، ويقال لمكة: أم القرى لأنها أصل البلاد دحيت الأرض من تحتها، وقيل: لأنها مقدمة وإمام لما يتلوها من السور يبدأ بكتابها في المصحف وبقراءتها في الصلاة، والسبع المثاني لأنها سبع آيات باتفاق العلماء. وسميت مثاني لأنها تثني في الصلاة، فتقرأ في كل ركعة، وقال مجاهد سميت مثاني لأن الله تعالى استثنى هذه الأمة فذخرها لهم.

وهي مكية على قول الأكثريين. وقال مجاهد: مدنية وقيل: نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة ولذلك سميت مثاني والأول أصح، أنها مكية، لأن الله تعالى من على الرسول ﷺ بقوله: «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني» (٨٧ — الحجر) والمراد منها فاتحة الكتاب وسورة الحجر مكية فلم يكن من عليه بها قبل نزولها.

### سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾  
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ صِرَاطَ  
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٦﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله: بسم الله الباء أداة تخفض ما بعدها مثل: من وعن، والمتعلق به الباء محذوف للدلالة الكلام عليه، تقديره: أبدأ بسم الله، أو قل: بسم الله. وأسقطت الألف من الاسم طلباً للخفة وكثرة استعمالها وطولت الباء قال القتيبي ليكون افتتاح كلام كتاب الله بحرف معظم، كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول لكتابه: طولوا الباء وأظهروا السين وفرجوا بينهما، ودوروا الميم. تعظيماً

لكتاب الله تعالى وقيل لما أسقطوا الألف ردوا طول الألف على الباء ليكون دالاً على سقوط الألف، ألا ترى أنه لما كتبت الألف في «اقرأ باسم ربك» (١ - العلق) ردت الباء إلى صيغتها ولا تحذف الألف إذا أضيف الاسم إلى غير الله ولا مع غير الباء.

والاسم هو المسمى وعينه وذاته قال الله تعالى: «إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى» (٧ - مريم) أخبر أن اسمه يحيى ثم نادى الأسم فقال: «يا يحيى» وقال: «ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها» (٤٠ - يوسف) وأراد الأشخاص المعبودة لأنهم كانوا يعبدون المسميات وقال: «سبح اسم ربك» (١ - الأعلى)، [وتبارك اسم ربك] (١) (٧٨ - الرحمن) ثم يقال للتسمية أيضاً اسم فاستعماله في التسمية أكثر من المسمى [فإن قيل ما معنى التسمية من الله لنفسه؟ قيل هو تعليم للعباد كيف يفتتحون القراءة] (٢).

واختلفوا في اشتقاقه قال المبرد في البصريين: هو مشتق من السمو وهو العلو، فكأنه علا على معناه وظهر عليه، وصار معناه تحته، وقال ثعلب في الكوفيين: هو من الوسم والسمة وهي العلامة وكأنه علامة لمعناه والأول أصح لأنه يُصَغَّرُ على السُمَّى ولو كان من السمة لكان يُصَغَّرُ على الوسم كما يقال في الوعد وعيد ويقال في تصريفه سميت ولو كان في الوسم ل قيل: وَسُمْتُ. قوله تعالى: «الله» قال الخليل وجماعة: هو اسم علم خاص لله عز وجل لا اشتقاق له كأسماء الأعلام للعباد مثل زيد وعمرو. وقال جماعة هو مشتق ثم اختلفوا في اشتقاقه فقيل: من أله الإلهة أي عبد عبادة وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما «ويدرك والإلهتك» (١٢٧ - الأعراف) أي عبادتك - معناه أنه مستحق للعبادة دون غيره وقيل أصله إله قال الله عز وجل: «وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق» (٩١ - المؤمنون) قال المبرد: هو من قول العرب ألهت إلى فلان أي سكنت إليه قال الشاعر:

\* ألهت إليها والحوادث جمّة

فكأن الخلق يسكنون إليه ويطمئنون بذكره، ويقال: ألهت إليه، أي فزعت إليه قال الشاعر:

\* ألهت إليها والركائب و قَفَّ

وقيل أصل الإله ولاء فأبدلت الواو بالهمزة مثل وشاح واشاح، اشتقاقه من الوله لأن العباد يُولَّهون إليه أي يفزعون إليه في الشدائد، ويلجؤون إليه في الحوائج كما يوله كل طفل إلى أمه، وقيل هو من الوله وهو ذهاب العقل لفقد من يعز عليك.

(١) من نسخة (ب).

(٢) ساقط من (أ).

قوله ﴿الرحمن الرحيم﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر. واختلفوا فيهما منهم من قال: هما بمعنى واحد مثل تدمان وتديم ومعناها ذو الرحمة، وذكر أحدهما بعد الآخر (تطبيعاً) <sup>(١)</sup> لقلوب الراغبين. وقال المبرد: هو إنعام بعد إنعام، وتفضل بعد تفضل، ومنهم من فرق بينهما فقال: الرحمن بمعنى العموم والرحيم بمعنى الخصوص. فالرحمن بمعنى الرزاق في الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق. والرحيم بمعنى المعافي في الآخرة والعفو في الآخرة للمؤمنين على الخصوص ولذلك قيل في الدعاء: يارحمن الدنيا ورحيم الآخرة، فالرحمن من تصل رحمته إلى الخلق على العموم، والرحيم من تصل رحمته إليهم على الخصوص، ولذلك يدعى غير الله رحيماً ولا يدعى غير الله رحماً. فالرحمن عام المعنى خاص اللفظ، والرحيم عام اللفظ خاص المعنى، والرحمة إرادة الله تعالى الخير لأهله. وقيل هي ترك عقوبة من يستحقها وإسداء الخير إلى من لا يستحق، فهي على الأول صفة ذات، وعلى الثاني صفة (فعل) <sup>(٢)</sup>.

واختلفوا في آية التسمية فذهب قراء المدينة والبصرة وفقهاء الكوفة إلى أنها ليست من فاتحة الكتاب، ولا من غيرها من السور والافتتاح بها للتيمن والتبرك. وذهب قراء مكة والكوفة وأكثر فقهاء الحجاز إلى أنها من الفاتحة وليست من سائر السور وأنها كتبت للفصل وذهب جماعة إلى أنها من الفاتحة ومن كل سورة إلا سورة التوبة وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي لأنها كتبت في المصحف بخط سائر القرآن.

واتفقوا على أن الفاتحة سبع آيات فالآية الأولى عند من يعدّها من الفاتحة (بسم الله الرحمن الرحيم) وابتداء الآية الأخيرة (صراط الذين) ومن لم يعدّها من الفاتحة قال ابتداؤها (الحمد لله رب العالمين) وابتداء الآية الأخيرة (غير المغضوب عليهم) واحتج من جعلها من الفاتحة ومن السور بأنها كتبت في المصحف بخط القرآن، وبما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي أنا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم أنا الربيع بن سليمان أنا الشافعي أنا عبد المجيد عن ابن جريج قال: أخبرني أبي عن سعيد بن جبير (قال) <sup>(٣)</sup> «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم» (٨٧ — الحجر) هي أم القرآن قال أبي وقرأها عليّ سعيد بن جبير حتى ختمها ثم قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» الآية السابعة قال سعيد: قرأتها على ابن عباس كما قرأتها عليك ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة، قال ابن عباس: فذخرها لكم فما أخرجها لأحد قبلكم <sup>(٤)</sup>.

ومن لم يجعلها من الفاتحة احتج بما ثنا أبو الحسن محمد بن محمد الشيرازي أنا زاهر بن أحمد ثنا أبو عيسى اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن حميد الطويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «قمت وراء أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم فكلهم كان لا يقرأ «بسم

(١) في الأصل: تعظيماً.

(٢) في الأصل: الفعل.

(٣) ساقط من (أ).

(٤) أخرجه الشافعي في المسند: ١/٧٩ — ٨٠ (ترتيب المسند للسندي) والمصنف في شرح السنة: ٣/٥٠. وانظر: تلخيص الحبير لابن حجر:

٤/ب الله الرحمن الرحيم إذا افتتح الصلاة»<sup>(١)</sup> قال سعيد بن جبير عن ابن عباس كان رسول الله ﷺ / لا يعرف ختم سورة حتى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن مسعود قال كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم<sup>(٣)</sup> وقال الشعبي: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب في بدء الأمر على رسم قريش باسمك اللهم حتى نزلت «وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها» (٤١ — هود) فكتب بسم الله حتى نزلت «قل ادعوا الله. أو ادعوا الرحمن» (١١٠ — الاسراء) فكتب بسم الله الرحمن حتى نزلت «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» (٣٠ — النمل) فكتب مثلها.

قوله ﴿الحمد لله﴾ لفظه خبر كأنه يخبر أن المستحق للحمد هو الله عز وجل وفيه تعليم الخلق تقديره قولوا الحمد لله والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة، ويكون بمعنى الثناء عليه بما فيه من الخصال الحميدة. يقال حمدت فلاناً على ما أسدى إليّ من النعمة وحمدته على علمه وشجاعته، والشكر لا يكون إلا على النعمة، فالحمد أعم من الشكر إذ لا يقال شكرت فلاناً على علمه فكل حامد شاكِر وليس كل شاكِر حامداً. وقيل: الحمد باللسان قولاً: والشكر بالأركان فعلاً قال الله تعالى «وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً» (١١١ — الإسراء) وقال «اعملوا آل داود شكراً» (١٣ — سبأ).

قوله ﴿الله﴾ اللام فيه للاستحقاق كما يقال الدار لزيد.

قوله ﴿رب العالمين الرحمن الرحيم﴾ فالرب يكون بمعنى المالك كما يقال لملك الدار: رب الدار. ويقال: رب الشيء إذا ملكه، ويكون بمعنى التربية والإصلاح، يقال: ربّ فلان الضيعة يرُبُّها إذا أتمها وأصلحها فهو ربّ مثل طب، وبر. فالله تعالى مالك العالمين وربهم، ولا يقال للمخلوق هو الرب معرّفاً إنما يقال رب كذا مضافاً، لأن الألف واللام للتعميم وهو لا يملك الكل.

والعالمين جمع عالم، لا واحد له في لفظه واختلفوا في العالمين قال ابن عباس: هم الجن والإنس لأنهم المكلفون بالخطاب قال الله تعالى: «ليكون للعالمين نذيراً» (١ — الفرقان) وقال قتادة ومجاهد والحسن: هم جميع المخلوقات. قال الله تعالى: «وقال فرعون وما رب العالمين، قال رب السموات والأرض وما بينهما» (٢٣ — ٢٤ الشعراء) واشتقاقه من العلم والعلامة سموا به لظهور أثر الصنعة فيهم قال أبو عبيدة: هم أربع أمم: الملائكة، والإنس، والجن، والشياطين، مشتق من العلم، ولا يقال للبهائم عالم لأنها لا تعقل، واختلفوا في مبلغهم قال سعيد بن المسيب لله ألف عالم ستمائة في البحر وأربعمئة في البر وقال مقاتل بن حيان: لله ثمانون ألف عالم أربعون ألفاً في البحر وأربعون ألفاً في البر. وقال وهب: لله ثمانية عشر ألف عالم الدنيا عالم منها، وما

(١) أخرجه مالك في الموطأ، باب العمل في القراءة: ٨١/١، والمصنف في شرح السنة ٥٣/٣-٥٤، وهو عند مسلم في الصلاة برقم (٣٩٩).

(٢) أخرجه أبو داود في المراسيل ص (١٢٣)، وصححه الحاكم على شرطهما: ٢٣١/١. وانظر: تلخيص الجبير: ٢٣٣/١، الدر المنثور: ٢٠/١.

(٣) أخرجه الواحد في الوسيط: ١٣/١، وفي أسباب النزول ص (٥٤) وعزاه السيوطي أيضاً للبيهقي في الشعب، انظر: الدر المنثور: ٢٠/١.



العمران في الخراب إلا كفسطاط في صحراء. وقال كعب الأحبار: لا يحصي عدد العالمين أحد إلا الله قال الله تعالى: «وما يعلم جنود ربك إلا هو» (٣١ - المدثر).

قوله: ﴿مالك يوم الدين﴾ قرأ عاصم والكسائي ويعقوب: ﴿مالك﴾ وقرأ الآخرون ﴿مالك﴾ قال قوم: معناها واحد مثل فرهين وفارهين، وحذرين وحاذرين ومعناها الرب يقال رب الدار ومالكها. وقيل المالك والمالك هو القادر على اختراع الأعيان من العدم إلى الوجود ولا يقدر عليه أحد غير الله. قال أبو عبيدة: مالك أجمع وأوسع لأنه يقال مالك العبد والطير والدواب ولا يقال ملك هذه الأشياء. ولأنه لا يكون مالكا لشيء إلا وهو يملكه، وقد يكون ملك الشيء ولا يملكه. وقال قوم: ملك أولى لأن كل ملك مالك وليس كل مالك ملكاً ولأنه أوفق لسائر القرآن مثل قوله تعالى: «فتعالى الله الملك الحق» (١١٤ - طه) «الملك القدوس» (٢٣ - الحشر) قال مجاهد: الدين الحساب، قال الله تعالى: «ذلك الدين القيم» (٣٦ - التوبة) أي الحساب المستقيم و «ملك الناس» (سورة الناس) قال ابن عباس ومقاتل والسدي: ملك يوم الدين قاضي يوم الحساب وقال قتادة: الدين الجزاء. ويقع على الجزاء في الخير والشر جميعاً يقال: كما تدين تدان.

قال محمد بن كعب القرظي: ملك يوم لا ينفع فيه إلا الدين، وقال يمان بن (رباب)<sup>(١)</sup>: الدين القهر. يقال دنته فدان أي قهرته فذل، وقيل: الدين الطاعة أي يوم الطاعة. وإنما خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للأيام كلها لأن الأملاك يومئذ زائلة فلا ملك ولا أمر إلا له، قال الله تعالى: «الملك يومئذ الحق للرحمن» (٢٦ - الفرقان) وقال: «لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار» (١٦ - غافر) وقال: «والأمر يومئذ لله» (١٩ - الانفطار) وقرأ أبو عمرو: «الرحيم ملك» بادغام الميم في الميم وكذلك يدغم كل حرفين من جنس واحد أو مخرج واحد أو قريبي المخرج سواء كان الحرف ساكناً أو متحركاً إلا أن يكون الحرف الأول مشدداً أو منوناً أو منقوصاً أو مفتوحاً أو تاء الخطاب قبله ساكن من غير المثلين فإنه لا يدغمهما، وإدغام المتحرك يكون في الإدغام الكبير وافقه حمزة في إدغام المتحرك في قوله «بيت طائفة» (٨١ - النساء)، «والصافات صفاً فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً» (١-٣ الصافات) «والذاريات ذرواً» (١ - الذاريات) أدغم التاء فيما بعدها من الحروف، وافقه الكسائي وحمزة في إدغام الصغير، وهو إدغام الساكن في المتحرك إلا في الراء عند اللام والدال عند الجيم وكذلك لا يدغم حمزة - وبرواية خلاد وخلف - الدال عند السين والصاد والزاي، ولا إدغام لسائر القراء إلا في أحرف معدودة.

قوله: ﴿إياك نعبد﴾ إيا كلمة ضمير تُخصَّصُ بالإضافة إلى المضمر ويستعمل مقدماً على الفعل فيقال: إياك أعني، وإياك أسأل ولا يستعمل مؤخراً إلا منفصلاً. فيقال: ما أعنت إلا إياك. قوله: ﴿نعبد﴾ أي نوحذك ونطيعك خاضعين، والعبادة الطاعة مع التذلل والخضوع وسمي العبد عبداً لذلته وانقياده يقال: طريق معبد أي مذل.

(١) في ب: ريان.

﴿وإياك نستعين﴾ نطلب منك المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا فإن قيل لم قدم ذكر العبادة على الاستعانة والاستعانة تكون قبل العبادة؟ فلهذا يلزم من يجعل الاستعانة قبل الفعل، ونحن بحمد الله نجعل التوفيق (والاستعانة)<sup>(١)</sup> مع الفعل، فلا فرق بين التقديم والتأخير ويقال: الاستعانة نوع تعبد فكأنه ذكر جملة العبادة أولاً ثم ذكر ما هو من تفاصيلها.

قوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ اهدنا أرشدنا وقال علي وأبي بن كعب: ثبتنا كما يقال للقائم قم حتى أعود إليك أي دم على ما أنت عليه. وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى التثبيت وبمعنى طلب مزيد الهداية لأن الألفاظ والهدايات من الله تعالى لا تنتهي على مذهب أهل السنة — الصراط — وسراط بالسین رواه أؤیس عن یعقوب وهو الأصل سمي سراطاً لأنه يسطر السابلة ويقرأ بالزاي وقرأ حمزة باثمام الزاي وكلها لغات صحيحة والاختيار الصاد عند أكثر القراء لموافقة المصحف.

والصراط المستقيم قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهما: هو الإسلام وهو قول مقاتل. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: هو القرآن / وروي عن علي رضي الله عنه مرفوعاً «الصراط المستقيم كتاب الله»<sup>(٢)</sup> وقال سعيد بن جبیر رضي الله عنه: طريق الجنة. وقال سهل بن عبد الله: طريق السنة والجماعة. وقال بكر بن عبد الله المزني: طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم. [وقال أبو العالية والحسن: رسول الله وآله وصحابه]<sup>(٣)</sup> وأصله في اللغة الطريق الواضح.

أ / ٥

قوله ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ أي مننت عليهم بالهداية والتوفيق قال عكرمة: مننت عليهم بالثبات على الإيمان والاستقامة وهم الأنبياء عليهم السلام، وقيل: هم كل من ثبته الله على الإيمان من النبيين والمؤمنين الذين ذكرهم الله تعالى في قوله «فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين» (٦٩ - النساء) وقال ابن عباس: هم قوم موسى وعيسى عليهما السلام قبل أن غيروا دينهم. وقال عبد الرحمن ابن زيد: هم النبي ﷺ ومن معه. وقال أبو العالية: هم آل الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأهل بيته وقال شهر ابن حوشب: هم أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته.

قرأ حمزة: عليهم ولديهم وإليهم بضم هاءاتها، ويضم يعقوب كل هاء قبلها ياء ساكنة تثنية وجمعاً إلا قوله (بين أيديهم وأرجلهم) (١٢ - الممتحنة) وقرأ الآخرون بكسرهما، فمن ضم الهاء ردها إلى الأصل لأنها مضمومة عند الانفراد، ومن (كسرهما)<sup>(٤)</sup> فلاجل الياء الساكنة والكسرة أخت الياء وضم ابن كثير وأبو جعفر كل ميم جمع مشبعاً في الوصل إذا لم يلقها ساكن فإن لقيها ساكن فلا يشبع، ونافع يحجر، ويضم ورش عند ألف

(١) في أ و ب (الاستعانة).

(٢) أخرجه الطبري في التفسير: ١٧١/١ - ١٧٢، وضعفه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على الطبري.

(٣) ساقط من ب.

(٤) في ب: كسر.

القطع، فإذا تلقته ألف وصل — وقبل الهاء كسر أو ياء ساكنة — ضم الهاء والميم حمزة والكسائي وكسرها أبو عمرو وكذلك يعقوب إذا انكسر ما قبله والآخرون يقرؤون بضم الميم وكسر الهاء في الكل لأجل الياء أو لكسر ما قبلها وضم الميم على الأصل.

قوله تعالى ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ يعني غير صراط الذين غضبت عليهم، والغضب هو إرادة الانتقام من العصاة، وغضب الله تعالى لا يلحق عصاة المؤمنين إنما يلحق الكافرين.

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ أي وغير الضالين عن الهدى. وأصل الضلال الهلاك والغيوبة، يقال: ضل الماء في اللبن إذا هلك وغاب. وغير هاهنا بمعنى لا، ولا بمعنى غير ولذلك جاز العطف كما يقال: فلان غير محسن ولا مجمل. فإذا كان غير بمعنى سوى فلا يجوز العطف عليها بلا، ولا يجوز في الكلام: عندي سوى عبد الله ولازيد.

وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين. وقيل: المغضوب عليهم هم اليهود والضالون: هم النصارى لأن الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال: «من لعنه الله وغضب عليه» (٦٠ — المائدة) وحكم على النصارى بالضلال فقال: «ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل» (٧٧ — المائدة) وقال سهل بن عبد الله: غير المغضوب (عليهم) <sup>(١)</sup> بالبدعة، ولا الضالين عن السنة.

والسنة للقارئ أن يقول بعد فراغه من قراءة الفاتحة «آمين» بسكتة مفصولة عن الفاتحة وهو مخفف ويجوز (عند النحويين) <sup>(٢)</sup> ممدوداً ومقصوراً ومعناه: اللهم اسمع واستجب. وقال ابن عباس وقتادة: معناه كذلك يكون. وقال مجاهد هو اسم من أسماء الله تعالى. وقيل: هو طابع الدعاء. وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع به الآفات عنهم كخاتم الكتاب يمنعه من الفساد ويظهر ما فيه.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي وأبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحى قالوا: أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا أبو علي محمد بن أحمد بن محمد بن معقل الميداني ثنا محمد بن يحيى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا قال الإمام — غير المغضوب عليهم ولا الضالين — فقولوا آمين فإن الملائكة تقول آمين وإن الإمام يقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه» <sup>(٣)</sup> صحيح.

(١) زيادة من ب.

(٢) ساقط من ب.

(٣) أخرجه البخاري في الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين: ٢٦٢/٢ ورواه أحمد: ٢٣٣/٢ عن أبي هريرة، والنسائي في الافتتاح باب جهر الإمام

(فصل في فضل الفاتحة)<sup>(١)</sup>

أنا أبو الحسين أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الكيالي أنا أبو نصر محمد بن علي بن الفضل الخزاعي أنا أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصري ثنا محمد بن عبد الوهاب ثنا خالد مغلد القطواني حدثني محمد ابن جعفر بن أبي كثير هو أخو اسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال: «مر رسول الله ﷺ على أبي بن كعب وهو قائم يصلي فصاح به فقال: تعال يا أبي فعجل أبي في صلاته، ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: ما منعك يا أبي أن تحبيني إذ دعوتك؟ أليس الله يقول: «يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم» (٢٤ — الأنفال) قال أبي: لا جرم يا رسول الله لا تدعوني إلا أجبتك وإن كنت مصلياً. قال: أحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور (ولا في القرآن)<sup>(٢)</sup> مثلها؟ فقال أبي: نعم يا رسول الله فقال: لا تخرج في باب المسجد حتى تعلمها والنبي ﷺ يمشي يريد أن يخرج من المسجد فلما بلغ الباب ليخرج قال له أبي: السورة يا رسول الله. فوقف فقال: نعم كيف تقرأ في صلاتك؟ أم تقرأ أبي أم القرآن فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها وإنما هي السبع المثاني (النبي)<sup>(٣)</sup> آتاني الله عز وجل»<sup>(٤)</sup> هذا حديث حسن صحيح.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي أنا الحاكم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد أنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ثنا يحيى بن آدم ثنا أبو الأحوص عن عمار ابن رزيق عن عبد الله بن عيسى عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بينما رسول الله ﷺ عنده جبريل إذ سمع نقيضاً من فوقه فرفع جبريل عليه السلام بصره إلى السماء فقال: هذا باب

= بآمين: ١٤٤/٢. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٦١/٣.

وفي نسخة (أ) زيادة: (وما تأخر).

(١) في ب: فاتحة الكتاب.

(٢) ساقط من (أ).

(٣) ساقط من (أ) وفي ب: الذي.

(٤) رواه الترمذي في فضائل القرآن باب: ما جاء في فضل فاتحة الكتاب ١٧٨/٨ — ١٨٠.

وأحمد في المسند: ٤١٢/٢ — ٤١٣ عن أبي بن كعب.

ورواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم باختصار عن أبي هريرة عن أبي، وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم (انظر الترغيب والترهيب للمنزدي ٣٦٧/٢) وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٤٦/٤ — ٤٤٧ وأخرج نحوه عن أبي سعيد بن المعلى: البخاري في التفسير:

١٥٦/٨

فتح من السماء ما فتح قط، قال: فنزل منه ملك فألقى النبي ﷺ فقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك. فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ولن تقرأ حرفاً منهما إلا أعطيته»<sup>(١)</sup> صحيح [أخرجه مسلم عن الحسن بن ربيع عن أبي الأحوص]<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد الشيرازي ثنا زاهر بن أحمد السرخسي أنا أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري عن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن أنه سمع أبا السائب مولى هشام بن زهرة يقول: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول. قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج»<sup>(٣)</sup> غير تمام». قال: قلت: يا أبا هريرة إني أحياناً أكون وراء الإمام فغمز ذراعي وقال: إقرأ بها يا فارسي في نفسك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل» قال رسول الله ﷺ «اقرأوا يقول العبد ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ / يقول الله حمدني عبدي، هـ/ب يقول العبد ﴿الرحمن الرحيم﴾ يقول الله أثني علي عبدي، يقول العبد ﴿مالك يوم الدين﴾ يقول الله تعالى مجدني عبدي، يقول العبد: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ يقول الله تعالى: هذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، يقول العبد ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ يقول الله فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل»<sup>(٤)</sup> صحيح [أخرجه مسلم عن قتيبة عن مالك]<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين برقم (٨٠٦) باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة: ٥٥٤/١.

والنسائي في افتتاح الصلاة: ١٣٨/٢.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٦٦/٤. وقوله: «سمع نقيضاً» أي: صوتاً.

(٢) ساقط من ب.

(٣) في ب: فهي خداج ثلاثاً. وقوله: «خداج» أي: ناقصة.

(٤) رواه مسلم في الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة برقم (٣٩٥): ٢٩٦/١.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٧/٣.

(٥) ساقط من (ب).

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ  
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ  
مِّن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ  
الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم \* ألم﴾ قال الشعبي وجماعة: ألم وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه وهي سرُّ القرآن. فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله تعالى. وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها. قال أبو بكر الصديق: في كل كتاب سر وسر الله تعالى في القرآن أوائل السور، وقال علي: لكل كتاب صفة وصفة هذا الكتاب حروف (التهجي) (٢) وقال داود بن أبي هند: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور فقال: يا داود إن لكل كتاب سرًا وإن سر القرآن فواتح السور فدعها وسل عما سوى ذلك. وقال جماعة هي معلومة المعاني فقل: كل حرف منها مفتاح اسم من أسمائه كما قال ابن عباس في كهيعص: الكاف من كافي والهاء من هادي والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق. وقيل في المص أنا الله الملك الصادق، وقال الربيع بين أنس في ألم: الألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه اللطيف، والميم مفتاح اسمه المجيد، وقال محمد بن كعب الألف آلاء الله واللام لطفه، والميم ملكه، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال معنى ألم: أنا الله أعلم: ومعنى (٣) ألمص: أنا الله أعلم وأفضل ومعنى آلر: أنا الله أرى، ومعنى آلمر: أنا الله أعلم وأرى. قال الزجاج: وهذا حسن فإن العرب تذكر حرفاً من كلمة تريدها كقولهم:

(١) البقرة: مائتان وثمانون وخمس وقيل ست وقيل سبع — الاتقان — المجلد الأول — ٢٣٥.

(٢) في ب: الهجاء.

(٣) في أ: المعنى.

قلت لها: قفى لنا قالت: قاف<sup>(١)</sup>.

أي وقفت وعن سعيد بن جبير قال هي أسماء الله تعالى (مقطعة)<sup>(٢)</sup> لو علم الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم. ألا ترى أنك تقول آلر، وحم، ون، فتكون الرحمن، وكذلك سائرهما إلا أننا لا نقدر على وصلها، وقال قتادة: هذه الحروف أسماء القرآن. وقال مجاهد وابن زيد: هي أسماء (السور)<sup>(٣)</sup>، وبيانه: أن القائل إذا قال: قرأت المصّ عرف السامع أنه قرأ السورة التي افتتحت بالمص. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها أقسام، وقال الأخفش: إنما أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لأنها (مبادئ)<sup>(٤)</sup> كتبه المنزلة، ومباني أسمائه الحسنی<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب﴾ أي هذا الكتاب وهو القرآن، وقيل: هذا فيه مضمّر أي هذا ذلك الكتاب. قال الفراء: كان الله قد وعد نبيه ﷺ أن ينزل عليه كتاباً لا يمحوه الماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، فلما أنزل القرآن قال هذا (ذلك)<sup>(٦)</sup> الكتاب الذي وعدتك أن أنزله عليك في التوراة والإنجيل وعلى لسان النبيين من قبلك، وهذا للتقريب وذلك للتبديد، وقال ابن كيسان: إن الله تعالى أنزل قبل سورة البقرة سوراً كذب بها المشركون ثم أنزل سورة البقرة فقال (ذلك الكتاب) يعنى ما تقدم البقرة من السور لا شك فيه.

والكتاب مصدر وهو بمعنى المكتوب كما يقال للمخلوق خُلِقَ وهذا الدرهم ضرب فلان أي مضروبه. وأصل الكتّاب: الضم والجمع ويقال للجد كتيبة لاجتماعها، وسمي الكتاب كتاباً لأنه جمع حرف إلى حرف.

قوله تعالى: ﴿لا ريب فيه﴾ أي لاشك فيه أنه من عند الله عز وجل وأنه الحق والصدق، وقيل هو خبر بمعنى النبي أي لا ترتابوا فيه كقوله تعالى «فلا رث ولا فسوق» (البقرة — ١٩٧) أي لا ترفثوا ولا تفسقوا، قرأ ابن كثير: فيه بالإشباع في الوصل وكذلك كل هاء كناية قبلها ساكن يشبعها وصلها ما لم يلحقها ساكن ثم إن كان الساكن قبل الهاء ياء يشبعها بالكسرة ياء وإن كان غير ياء يشبعها بالضم واواً ووافقه حفص في قوله «فيه مهانا» (٦٩ — الفرقان) (فيشبعه)<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿هدى للمتقين﴾ يدغم الغنة عند اللام والراء أبو جعفر وابن كثير وحزمة والكسائي، زاد

(١) هذا الرجز للوليد بن عتبة، وقامه: «لا تحسي أنا نسينا الإيجاف». انظر: تفسير الطبري: ٢١٢/١، تفسير الواحدي: ٢٦/١.

(٢) في هامش (أ): مقطعة غير مؤلفة.

(٣) في الأصل: السورة.

(٤) في المطبوع: مباني.

(٥) انظر في هذه الأقوال: تفسير الطبري: ٢٠٥/١ — ٢٢٤، تفسير الواحدي: ٢٥/١ — ٢٦.

(٦) ساقط من (ب).

(٧) في ب: فأشبعه.

حمزة والكسائي عند الياء وزاد حمزة عند الواو والآخرون لا يدغمونها ويخفي أبو جعفر النون والتنوين عند الخاء والغين (هدى للمتقين) أي هو هدى أي رشد وبيان لأهل التقوى، وقيل هو نصب على الحال أي هادياً تقديره لا ريب في هدايته للمتقين والهدى ما يهتدي به الإنسان، للمتقين أي للمؤمنين. قال ابن عباس رضي الله عنهما: المتقي من يتقي الشرك والكبائر والفواحش وهو مأخوذ من الاتقاء. وأصله الحجز بين الشيئين ومنه يقال اتقى بترسه أي جعله حاجزاً بين نفسه وبين ما يقصده.

وفي الحديث: «كنا إذا أحمر البأس اتقينا برسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup> أي إذا اشتد الحرب جعلناه حاجزاً بيننا وبين العدو، فكأن المتقي يجعل امثال أمر الله والاجتناب عما نهاه حاجزاً بينه وبين العذاب. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكعب الأحمري<sup>(٢)</sup>: حدثني عن التقوى فقال: هل أخذت طريقاً ذا شوك قال: نعم. قال فما عملت فيه قال: حذرت وشمرت: قال كعب: ذلك التقوى. وقال شهر بن حوشب: المتقي الذي يترك ما لا بأس به حذراً لما به بأس وقال عمر بن عبد العزيز: التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله فما رزق الله بعد ذلك فهو خير إلى خير. وقيل هو الاقتداء بالنبي ﷺ وفي الحديث: «جماع التقوى في قوله تعالى «إن الله يأمر بالعدل والإحسان» (٩٠ - النحل) الآية» وقال ابن عمر: التقوى أن لا ترى نفسك خيراً من أحد. وتخصيص المتقين بالذكر تشريف لهم أو لأنهم هم المتقون بالهدى.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ موضع الذين خُفِضَ نعتاً للمتقين. يؤمنون: يصدقون [ويترك همزة أبو عمرو وورش، والآخرون يهزونه وكذلك يتركان كل همزة ساكنة هي فاء الفعل نحو يؤمن ومؤمن إلا أحرفاً معدودة]<sup>(٣)</sup>.

وحقيقة الإيمان التصديق بالقلب، قال الله تعالى «وما أنت بمؤمن لنا» (١٧ - يوسف) [أي بمصدق لنا]<sup>(٤)</sup> وهو في الشريعة: الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان، فسمي الإقرار والعمل إيماناً؛ لوجه من المناسبة، لأنه من شرائعه.

والإسلام: هو الخضوع والانقياد، فكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيماناً، إذا لم يكن معه تصديق، قال الله تعالى: «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا» (١٤ - الحجرات) وذلك لأن

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير باب في غزوة حنين (١٧٧٦) عن البراء: ١٤٠١/٣.

وأخرجه المصنف في شرح السنة ٣٣/٤.

(٢) انفرد ابن كثير بأن المسؤول هو أبي بن كعب - حاشية ابن كثير.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) زيادة من (ب).



الرجل قد يكون مستسماً في الظاهر غير مصدق في الباطن. وقد يكون مصدقاً في الباطن غير منقاد في الظاهر.

وقد اختلف جواب النبي ﷺ عنهما حين سأله جبريل عليه السلام وهو ما أخبرنا أبو طاهر محمد ابن علي بن محمد بن علي بن محمد بن بويه الزرادي البخاري: أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي ثنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي ثنا أبو أحمد عيسى / بن أحمد العسقلاني أنا يزيد بن هارون أنا كههمس بن الحسن عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من تكلم في القدر، يعني بالبصرة، معبد الجهنني فخرجت أنا وحيد بن عبد الرحمن نريد مكة فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقوله هؤلاء فلقينا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فعلمت أنه سيكل الكلام إلي فقلت: يا أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قِبلنا ناس يتقفرون هذا العلم ويطلبونه يزعمون أن لا قدر إنما الأمر أنف قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم إني منهم بريء وإنهم مني برءاء والذي نفسي بيده لو أن (لأحدهم) <sup>(١)</sup> مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبل الله منه شيئاً حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ثم قال:

حدثنا عمر بن الخطاب قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ما يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد فأقبل حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ [وركبته تمس <sup>(٢)</sup> ركبته] فقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً فقال: صدقت فتعجبنا من سؤاله وتصديقه. ثم قال: فما الإيمان قال: أن تؤمن بالله وحده وملائكته وكتبه ورسوله وبالبعث بعد الموت والجنة والنار والقدر خيره وشره فقال: صدقت. ثم قال: فما الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لم تكن تراه فإنه يراك قال: صدقت ثم قال: فأخبرني عن الساعة فقال ما المسؤول عنها بأعلم بها من السائل قال: صدقت قال: فأخبرني عن أماراتها قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في بنيان المدر قال: صدقت ثم انطلق فلما كان بعد ثلاثة قال لي رسول الله ﷺ: يا عمر هل تدري من الرجل؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: ذلك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم وما أتاني في صورة إلا عرفته فيها إلا في صورته هذه» <sup>(٣)</sup>.

(١) في الأصل: لأحد.

(٢) في الأصل: يمس ركبته.

(٣) أخرجه البخاري في الإيمان، باب سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام: ١١٤/١.

ومسلم في الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان برقم ٨ و ٩: ٣٦/١ - ٣٧.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٨/١ - ٩.

فالنبي ﷺ جعل الإسلام في هذا الحديث إسمًا لما ظهر من الأعمال، والإيمان إسمًا لما بطن من الاعتقاد وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان أو التصديق بالقلب ليس من الإسلام بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد وجماعها الدين، ولذلك قال ذاك جبرائيل أتاكم يعلمكم أمر دينكم. والدليل على أن الأعمال من الإيمان ما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو القاسم ابراهيم بن محمد بن علي بن الشاه ثنا أبو أحمد بن محمد بن قريش بن سليمان ثنا بشر بن موسى ثنا خلف بن الوليد عن جرير الرازي عن سهل بن أبي صالح عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»<sup>(١)</sup>.

وقيل: الإيمان مأخوذ من الأمان، فسمي المؤمن مؤمنًا لأنه يؤمن نفسه من عذاب الله، والله تعالى مؤمن لأنه يؤمن العباد من عذابه<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى ﴿بِالْغَيْبِ﴾: والغيب مصدر وضع موضع الاسم فقيل للغائب غيب [كما قيل للعادل عدل وللزائر زور. والغيب ما كان مغيباً عن العيون قال ابن عباس: الغيب هاهنا كل ما أمرت بالإيمان به فيما غاب عن بصرك مثل الملائكة والبعث والجنة والنار والصراف والميزان. وقيل الغيب هاهنا: هو الله تعالى، وقيل: القرآن، وقال الحسن: بالآخرة وقال زر بن حبیش وابن جريج: بالوحي. نظيره: (أعنده علم الغيب) (٣٥) - النجم) وقال ابن كيسان: بالقدر وقال عبد الرحمن بن يزيد: كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد ﷺ [وما سبقونا به]<sup>(٣)</sup> فقال عبد الله: إن أمر محمد كان بيناً لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيماناً أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ ﴿ألم ذلك الكتاب﴾ إلى قوله ﴿المفلحون﴾. قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وورش يومنون بترك همزة وكذلك أبو جعفر بترك كل همزة ساكنة إلا في أنبئهم ونبئهم ونبئنا ويترك أبو عمرو كلها إلا أن تكون علامة للجزم نحو نبئهم وأنبئهم وتسوهم وإن نشأ ونسأها ونحوها أو يكون خروجاً من لغة إلى أخرى نحو مؤصدة ورثياً. ويترك ورش كل همزة ساكنة كانت فاء الفعل إلا تؤولي وتوويه ولا يترك من عين الفعل: إلا الرؤيا وبابه، إلا ما كان على وزن فعل. مثل: ذئب<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي يديمونها ويحافظون عليها في مواقيتها بحدودها، وأركانها وهيئاتها

(١) أخرجه البخاري في الإيمان، باب أمور الإيمان: ٥٠/١.

ومسلم في الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها برقم (٥٧): ٦٣/١ وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٣٤/١.

(٢) راجع بالتفصيل فيما يتعلق بمباحث الإيمان كتاب «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٣) زيادة من «ب».

(٤) ساقط من حاشية ابن كثير ومثبت على حاشية الخازن ص (٢٥).

يقال: قام بالأمر، وأقام الأمر إذا أتي به معطى حقوقه، والمراد بها الصلوات الخمس ذكر بلفظ (الوحدان)<sup>(١)</sup> كقوله تعالى: «فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق» (٢١٣) — البقرة) يعني الكتب.

والصلاة في اللغة الدعاء، قال الله تعالى: «وصلّ عليهم» (١٠٣ — التوبة) أي ادع لهم، وفي الشريعة اسم لأفعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء وثناء. وقيل في قوله تعالى «إن الله وملائكته يصلون على النبي» (٥٦ — الأحزاب) الآية إن الصلاة من الله في هذه الآية الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن المؤمنين الدعاء.

قوله تعالى: ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ﴾ (أي)<sup>(٢)</sup> أعطيناهم والرزق اسم لكل ما ينتفع به حتى الولد والعبد وأصله في اللغة الحظ والنصيب ﴿يَنْفَقُونَ﴾ يتصدقون. قال قتادة: ينفقون في سبيل الله وطاعته وأصل الإنفاق: الإخراج عن اليد والملك، ومنه نفاق السوق؛ لأنه تخرج فيه السلعة عن اليد، ومنه نفقت الدابة إذا خرجت روحها، فهذه الآية في المؤمنين من مشركي العرب.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من التوراة والإنجيل وسائر الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ويترك أبو جعفر وابن كثير وقالون (وأبو عمرو)<sup>(٣)</sup> وأهل البصرة ويعقوب كل مدة تقع بين كل كلمتين. والآخرون يمدونها. وهذه الآية في المؤمنين من أهل الكتاب.

قوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾ أي بالدار الآخرة سميت الدنيا دنيا لدنوها من الآخرة وسميت الآخرة آخرة لتأخرها وكونها بعد الدنيا ﴿هُمْ يَوقِنُونَ﴾ أي يستيقنون أنها كائنة، من الإيقان: وهو العلم. وقيل: الإيقان واليقين: علم عن استدلال. ولذلك لا يسمى الله موقناً ولا علمه يقيناً إذ ليس علمه عن استدلال.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ﴾ أي أهل هذه الصفة وأولاء كلمة معناها الكناية عن جماعة نحو: هم، والكاف للخطاب كما في حرف ذلك ﴿عَلَى هَدًى﴾ أي رشد وبيان وبصيرة ﴿مَنْ رِجْهِمْ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي الناجون / والفائزون فازوا بالجنة ونجوا من النار، ويكون الفلاح بمعنى البقاء أي. باقون في النعيم المقيم وأصل الفلاح القطع والشق ومنه سمي الزراع فلاحاً لأنه يشق الأرض وفي المثل: الحديد بالحديد يفلح أي يشق فهم (مقطوع)<sup>(٤)</sup> لهم بالخير في الدنيا والآخرة.

(١) في (ب): الواحد.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) زيادة من (ب).

(٤) في ب: المقطوع.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ  
 اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ  
 النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ  
 ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ  
 مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾

قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني مشركي العرب قال الكلبي: يعني اليهود. والكفر هو الجحود وأصله من الكفر وهو الستر ومنه سمي الليل كافراً لأنه يستر الأشياء بظلمته وسمي الزراع كافراً لأنه يستر الحب بالتراب والكافر يستر الحق بجحوده.

والكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر عناد، وكفر نفاق. فكفر الإنكار: أن لا يعرف الله أصلاً ولا يعترف به، وكفر الجحود هو: أن يعرف الله تعالى بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر إبليس (وكفر) <sup>(١)</sup> اليهود. قال الله تعالى: «فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به» (٨٩ — البقرة) وكفر العناد هو: أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ\* مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا  
 لَوْلَا الْمَلَأَةُ أَوْ جِدَارُ مَسْبِيَةٍ\* لَوَجَدْتَنِي سَمْحاً بِذَلِكَ مُبِيناً

وأما كفر النفاق: فهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد بالقلب، وجميع هذه الأنواع سواء في أن من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له.

قوله ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: متساوٍ لديهم ﴿أَأَنذَرْتَهُمْ﴾ خوفتهم وحذرتهم والإنذار إعلام مع تخويف وتحذير وكل منذر مُعلم وليس كل معلم منذراً وحقق ابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي الهمزتين في أأنذرتهم وكذلك كل همزتين تقعان في أول الكلمة والآخرين يلبنون الثانية ﴿أَمْ﴾ حرف عطف على الاستفهام ﴿لَمْ﴾ حرف جزم لا تلي إلا الفعل لأن الجزم يختص بالأفعال ﴿تُنذِرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وهذه الآية في أقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله ثم ذكر سبب تركهم الإيمان فقال ﴿خَتَمَ اللَّهُ﴾ طبع الله ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فلا تعي خيراً ولا تفهمه.

(١) من ب.

وحقيقة الختم الاستيثاق من الشيء كيلا يدخله ما خرج منه ولا يخرج عنه مافيه، ومنه الختم على الباب. قال أهل السنة: أي حكم على قلوبهم بالكفر، لما سبق من علمه الأزلي فيهم، وقال المعتزلة: جعل على قلوبهم علامة تعرفهم الملائكة بها. ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾: أي: على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به، وأراد على أسماعهم كما قال: على قلوبهم وإنما وحّده لأنه مصدر، والمصدر لا يُثنى ولا يُجمع. ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ هذا ابتداء كلام. غشاوة أي: غطاء، فلا يرون الحق. وقرأ أبو عمرو والكسائي أبصارهم بالامالة وكذا كل ألف بعدها راء مجرورة في الأسماء كانت لام الفعل يميلانها ويميل حمزة منها ما يتكرر فيه الراء كالقرار ونحوه. زاد الكسائي إمالة جبارين والجوار والجار وبارئكم ومن أنصاري ونسارع وبابه. وكذلك يُميل هؤلاء كل ألف بمنزلة لام الفعل، أو كان علماً للتأنيث، إذا كان قبلها راء، فعلم التأنيث مثل: الكبرى والأخرى. ولام الفعل: مثل ترى وافترى، يكسرون الراء فيها.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: في الآخرة، وقيل: القتل والأسر في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى. والعذاب كل ما يعنى الإنسان ويشق عليه. قال الخليل: العذاب ما يمنع الإنسان عن مراده، ومنه: الماء العذب، لأنه يمنع العطش.

قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ نزلت في المنافقين<sup>(١)</sup> عبد الله بن أبي بن سلول، ومعتب بن قشير، وجدّ بن قيس وأصحابهم حيث أظهروا كلمة الإسلام ليسلموا من النبي ﷺ وأصحابه واعتقدوا خلافها وأكثرهم من اليهود، والناس جمع انسان سمي به لأنه عهد إليه فنسي كما قال الله تعالى «ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي» (١١٥ - طه) وقيل: لظهوره من قولهم آنست أي أبصرت، وقيل: لأنه يستأنس به ﴿وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي يوم القيامة. قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يَخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ أي يخالفون الله وأصل الخدع في اللغة الإخفاء ومنه المخدع للبيت الذي يخفى فيه المتاع فالخادع يظهر خلاف ما يضمّر والخدع من الله في قوله (وهو خادعهم) (١٨٢ - النساء) أي يظهر لهم ويعجل لهم من النعيم في الدنيا خلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة. وقيل: أصل الخدع: الفساد، معناه يفسدون ما أظهروا من الإيمان بما أضمرُوا من الكفر.

وقوله: (وهو خادعهم) أي: يفسد عليهم نعيمهم في الدنيا بما يصيرهم إليه من عذاب الآخرة فإن قيل ما معنى قوله ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ والمفاعلة للمشاركة وقد جلّ الله تعالى عن المشاركة في المخادعة؟ قيل: قد ترد المفاعلة لا على معنى المشاركة كقولك عافاك الله وعاقبت فلاناً، وطارقت النعل. وقال الحسن: معناه يخادعون رسول الله ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ (٥٧ - الأحزاب) أي أولياء الله، وقيل: ذكّر الله هاهنا تحسين والقصد بالمخادعة الذين آمنوا كقوله تعالى «فأن الله خمسهُ وللرسول» (٤١ - الأنفال) وقيل معناه يفعلون في دين الله ما هو خداع في دينهم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يخادعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم آمنوا

(١) انظر: الطبري: ٢٦٩/١، تفسير ابن كثير: ٤٨/١.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

وهم غير مؤمنين. ﴿وما يخدعون﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وما يخدعون كالحرف الأول وجعلوه من المفاعلة التي تختص بالواحد. وقرأ الباقون: وما يخدعون على الأصل.

﴿إلا أنفسهم﴾ لأن وبال خداعهم راجع إليهم لأن الله تعالى يطلع نبيه ﷺ على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب في العقبى ﴿وما يشعرون﴾ أي لا يعلمون أنهم يخدعون أنفسهم وأن وبال خداعهم يعود عليهم ﴿في قلوبهم مرض﴾ شك ونفاق وأصل المرض الضعف. وسمي الشك في الدين مرضاً لأنه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن.

﴿فزادهم الله مرضاً﴾ لأن الآيات كانت تنزل تترى، آية بعد آية، كلما كفروا بآية ازدادوا كفراً ونفاقاً وذلك معنى قوله تعالى «وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم» (١٢٥ — التوبة) وقرأ ابن عامر وحمزة فزادهم بالإمالة وزاد حمزة إمالة زاد حيث وقع وزاغ وخاب وطاب وحاق وضاق، والآخرون لا يميلونها ﴿ولهم عذاب أليم﴾ مؤلم يخلص وجعه إلى قلوبهم ﴿بما كانوا يكذبون﴾ ما للمصدر أي بتكذيبهم الله ورسوله في السر. قرأ الكوفيون يكذبون بالتخفيف أي بكذبهم (إذ)<sup>(١)</sup> قالوا آمنا وهم غير مؤمنين.

﴿وإذا قيل﴾ قرأ الكسائي: «قيل» و«غيض» و«جعي» و«حيل» و«سيق» و«سيئت» بروم أوائلهن الضم — ووافق ابن عامر في «سيق» و«حيل» و«سعى» و«سيئت» — ووافق أهل المدينة في: سعيء وسيئت لأن أصلها قول بضم القاف وكسر الواو، مثل قتل وكذل في أخواته فأشير إلى الضمة لتكون دالة على الواو المنقلبة وقرأ الباقون بكسر أوائلهن، استنقلوا الحركة على الواو فنقلوا كسرتها إلى فاء الفعل وانقلبت الواو ياءً لكسرة ما قبلها / ﴿وإذا قيل لهم﴾ يعني للمنافقين، وقيل لليهود أي قال لهم المؤمنون ﴿لا تفسدوا في الأرض﴾ بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ والقرآن. وقيل معناه لا تكفروا، والكفر أشد فساداً في الدين ﴿قالوا إنما نحن مصلحون﴾ يقولون هذا القول كذباً كقولهم آمنا وهم كاذبون ﴿ألا﴾ كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب ﴿إنهم هم المفسدون﴾ أنفسهم بالكفر والناس بالتعويق عن الإيمان ﴿ولكن لا يشعرون﴾ أي لا يعلمون أنهم مفسدون لأنهم يظنون أن الذي هم عليه من إبطان الكفر صلاح. وقيل: لا يعلمون ما أعد الله لهم من العذاب.

(١) في الأصل: إذا.

وَإِذَا الْقَوَالِدِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ضُمُّ بُكْمٍ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي للمنافقين وقيل لليهود ﴿آمَنُوا﴾ كما آمن الناس ﴿عبد الله بن سلام وغيره من مؤمني أهل الكتاب وقيل كما آمن المهاجرون والأنصار﴾ ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ﴾ كما آمن السفهاء ﴿أي الجهال فإن قيل كيف يصح النفاق مع (المجاهرة)﴾ <sup>(١)</sup> بقولهم أَنُؤْمِنُ كما آمن السفهاء قيل أنهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين. فأخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين بذلك فرد الله عليهم فقال ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كذلك فالسفيه خفيف العقل رقيق الحلم من قولهم: ثوب سفیه أي رقيق وقيل السفیه الكذاب الذي يتعمد (الكذب) <sup>(٢)</sup> بخلاف ما يعلم.

قرأ أهل الكوفة والشام (السفهاء ألا) بتحقيق الهمزتين وكذلك كل همزتين وقعتا في كلمتين اتفقتا أو اختلفتا والآخرين يحققون الأولى ويلينون الثانية في المختلفتين طلباً للخفة فإن كانتا متفتقتين مثل: هؤلاء، وأولياء، وأولئك، وجاء أمر ربك — قرأها أبو عمرو والبري عن ابن كثير بهمزة واحدة وقرأ أبو جعفر وورش والقواش ويعقوب بتحقيق الأولى وتلين الثانية وقرأ قالون بتخفيف الأولى وتحقيق الثانية لأن ما يستأنف أولى بالهمزة مما يسكت عليه.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني هؤلاء المنافقين إذا لقوا المهاجرين والأنصار ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ كما يمانكم ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾ رجعوا. ويجوز أن يكون من الخلوة ﴿إِلَى﴾ بمعنى الباء أي بشياطينهم وقيل: إلى بمعنى مع كما قال (الله تعالى) <sup>(٣)</sup> «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ» (٢ — النساء) أي مع أموالكم ﴿شَيَاطِينِهِمْ﴾ أي رؤسائهم وكهنتهم قال ابن عباس رضي الله عنهما: وهم خمسة نفر من اليهود كعب بن الأشرف بالمدينة، وأبو بردة في بني أسلم وعبد الدار في جهينة، وعوف بن عامر في بني أسد، وعبد الله بن السوداء بالشام. ولا يكون كاهن إلا ومعه شيطان تابع له.

(١) في الأصل: المجاهرة.

(٢) زيادة من ب.

(٣) زيادة من ب.

والشيطان: المتمرد العاتي من الجن والإنس ومن كل شيء وأصله البعد، يقال بثر شطون أي: بعيدة العمق. سمي الشيطان شيطاناً لامتداده في الشر وبعده من الخير. وقال مجاهد: إلى أصحابهم من المنافقين والمشركين ﴿قَالُوا إنا معكم﴾ أي: على دينكم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزُونَ﴾ بحمد ﷺ وأصحابه بما نظهر من الإسلام

قرأ أبو جعفر مستهزون ويستهزون وقل استهزوا وليطفوا وليواطوا ويستنبونك وخاطين وخاطون ومتكن ومتكون فمالون والمنشون بترك الهمزة فيهن ﴿الله يستهزى بهم﴾ أي يجازيهم جزاء استهزائهم سمي الجزاء باسمه لأنه في مقابلته كما قال الله تعالى «وجزاء سيئة سيئة مثلها» (٤٠ — الشورى) قال ابن عباس: هو أن يفتح لهم باب من الجنة فإذا انتهوا إليه سد عنهم، وردوا إلى النار وقيل هو أن يضرب للمؤمنين نور يمشون به على الصراط فإذا وصل المنافقون إليه حيل بينهم وبين المؤمنين كما قال الله تعالى: «وحيل بينهم وبين ما يشتهون» (٥٤ — سبأ) قال الله تعالى: «فضرب بينهم بسور له باب» الآية (١٣ — الحديد) وقال الحسن معناه الله يُظهر المؤمنين على نفاقهم ﴿ويعدهم﴾ يتركهم ويمهلهم والمد والإمداد واحد، وأصله الزيادة إلا أن المد أكثر ما يأتي في الشر والإمداد في الخير قال الله تعالى في المد «وعند له من العذاب مداً» (٧٩ — مريم) وقال في الإمداد «وأمددناكم بأموال وبنين» (٦ — الاسراء) «وأمددناهم بفأكهة» (٢٢ — الطور) ﴿في طغيانهم﴾ أي في ضلالتهم وأصله مجاوزة الحد. ومنه طغى الماء ﴿يعمهمون﴾ أي يترددون في الضلالة متحيرين ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ أي استبدلوا الكفر بالإيمان ﴿فما ربح تجارتهم﴾ أي ما ربحوا في تجارتهم أضاف الربح إلى التجارة لأن الربح يكون فيها كما تقول العرب: ربح بيعك وخسرت صفقتك ﴿وما كانوا مهتدين﴾ من الضلالة، وقيل مصيبين في تجارتهم ﴿مثلهم﴾ شبههم، وقيل: صفتهم. والمثل: قول سائر في عرف الناس يعرف به معنى الشيء وهو أحد أقسام القرآن السبعة ﴿كمثل الذي﴾ يعني الذين بدليل سياق الآية. ونظيره «والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون» (٣٣ — الزمر) ﴿استوقد﴾ أوقد ﴿ناراً فلما أضاءت﴾ النار ﴿ما حوله﴾ أي حول المستوقد. وأضاء: لازم ومتعد يقال أضاء الشيء بنفسه وأضاءه غيره وهو هاهنا متعد ﴿ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾ قال ابن عباس وقتاده ومقاتل والضحاك والسدي نزلت في المنافقين.

يقول: مثلهم في نفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفاً ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف فبينما هو كذلك إذا طفيت ناره فبقي في ظلمة طائفاً متحيراً فكذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان أمنوا على أموالهم وأولادهم وناكحوا المؤمنين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم فذلك نورهم فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف. وقيل: ذهب نورهم في القبر. وقيل: في القيامة حيث يقولون للذين آمنوا انظرونا نقبس من نوركم. وقيل: ذهب نورهم بإظهار عقيدتهم على لسان النبي ﷺ فضرب النار مثلاً ثم لم يقل



أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيءِذَا أَنَّهُمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ  
حَذَرًا لِّلْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١١﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ  
مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى  
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢﴾

أطفأ الله نارهم لكن عبر بإذهاب النور عنه لأن النار نور وحرارة فيذهب نورهم وتبقى الحرارة عليهم. وقال مجاهد: إضاءة النار إقبالهم إلى المسلمين والهدى وذهاب نورهم إقبالهم إلى المشركين والضلالة وقال عطاء ومحمد بن كعب: نزلت في اليهود. وانتظارهم خروج النبي ﷺ واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به ثم وصفهم الله فقال: ﴿صَمٌّ﴾ أي هم صم عن الحق لا يقبلونه وإذا لم يقبلوا فكأنهم لم يسمعوا ﴿بِكُمْ﴾ خرس عن الحق لا يقولونه أو أنهم لما أبطنوا خلاف ما أظهروا فكأنهم لم ينطقوا بالحق ﴿عَمِيَ﴾ أي لا بصائر لهم ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن الضلالة إلى الحق.

﴿أَوْ كَصَيْبٍ﴾ أي كأصحاب صيب وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى للمنافقين بمعنى آخر إن شئت مثلهم بالمستوقد وإن شئت بأهل الصيب وقيل / أو بمعنى الواو يريد وكصيب كقوله تعالى: (أو يزيدون) بمعنى ويزيدون والصيب المطر وكل ما نزل من الأعلى إلى الأسفل فهو صيب فيعمل من صاب يصوب أي نزل من السماء أي من السحاب قيل هي السماء بعينها والسماء كل ما علاك فأظلك وهي من أسماء الأجناس يكون واحداً وجمعاً ﴿فِيهِ﴾ أي في الصيب وقيل في السماء أي من السحاب ولذلك ذكره وقيل السماء يذكر ويؤنث قال الله تعالى: «السماء منفطر به» (١٨ - المزمل) وقال «إذا السماء انفطرت» (١ - الانفطار) ﴿ظِلْمَاتٍ﴾ جمع ظلمة ﴿وَرَعْدٍ﴾ هو الصوت الذي يسمع من السحاب ﴿وَبَرْقٍ﴾ وهو النار التي تخرج منه.

قال علي وابن عباس وأكثر المفسرين رضي الله عنهم: الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان سوط من نور يزجر به الملك السحاب. وقيل الصوت زجر السحاب وقيل تسبيح الملك. وقيل الرعد نطق الملك والبرق ضحكته. وقال مجاهد الرعد اسم الملك ويقال لصوته أيضاً رعد<sup>(١)</sup> والبرق

(١) الأخبار التي ذكرت لم يذكرها ابن كثير ولا السيوطي في الدر المنثور وإنما ذكر بعضها القرطبي وأكثرها لا يخلو من مقال كما في تعليق الأستاذ محمود شاكر على الطبري عند تفسير قوله تعالى ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظِلْمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ الآية تفسير الطبري:

مصع<sup>(١)</sup> ملك يسوق السحاب وقال شهر بن حوشب: الرعد ملك يزجي السحاب فإذا تبددت ضمنها فإذا اشتد غضبه طارت من فيه النار فهي الصواعق، وقيل الرعد صوت انحراف الريح بين السحاب والأول أصح.

﴿يَجْعَلُونَ أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾ جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت من يسمعها أو يغشى عليه. ويقال لكل عذاب مهلك: صاعقة، وقيل الصاعقة قطعة عذاب ينزلها الله تعالى على من يشاء.

روي عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال: «اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك»<sup>(٢)</sup>.

قوله ﴿حَذِرَ الْمَوْتِ﴾ أي مخافة الهلاك ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ أي عالم بهم وقيل جامعهم. وقال مجاهد: يجمعهم فيعذبهم. وقيل: مهلكهم، دليله قوله تعالى: «إِلَّا أَنْ يَحَاطَ بِكُمْ» (٦٦-يوسف) أي تهلكوا جميعاً. ويُميل أبو عمرو والكسائي الكافرين في محل النصب والخفض ولا يميلان: (أول كافر به) (٤١-البقرة).

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ﴾ أي يقرب، يقال: كاد يفعل إذا قرب ولم يفعل ﴿يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ يختلسها والخطف استلاب بسرعة ﴿كَلِمًا﴾ كل حرف جملة ضم إلى ما الجزاء فصار أداة للتكرار ومعناها متى ما ﴿أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ أي وقفوا متحيرين، فالله تعالى شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة أصابهم مطر فيه ظلمات من صفتها أن الساري (لا يمكنه)<sup>(٣)</sup> المشي فيها، ورعد من صفتته أن يضم السامعون أصابعهم إلى آذانهم من هوله، وبرق من صفتته أن يقرب من أن يخطف أبصارهم ويعميها من شدة توقده، فهذا مثل ضربه الله للقرآن وصنيع الكافرين والمنافقين معه، فالمرط القرآن لأنه حياة الجنان كما أن المطر حياة الأبدان، والظلمات ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك، والرعد ما خوفوا به من الوعيد، وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة.

= وما دام لم يرد دليل على ما ذكر فيتوقف في ذلك لأن هذه الظواهر الكونية وما بعدها مرتبطة بنواميس وسنن صار بعضها مفسراً عند علماء هذا المجال. وانظر: الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للشيخ محمد بن محمد أبو شهبه ص ٤١٤ — ٤١٧.

(١) في النهاية لابن الأثير — وقد نقل كلام مجاهد، أي يضرب السحاب ضربة فيرى البرق يلمع. النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٣٧/٤.

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات باب ما يقول إذا سمع الرعد، برقم (٣٥١٤): ٤١٢/٩ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وأحمد: ١٠٠/٢، والبخاري في الأدب المفرد ص ٢١٢، وابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٢٩٨) والدولابي في الكنى: ١١٧/٢. كله من حديث الحجاج بن أرطاة عن أبي مطر عن سالم... وأبو مطر: لم يوثقه غير ابن حبان، ومع ذلك فقد صححه الحاكم: ٢٨٦/٢ ووافقه الذهبي. وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة. (ص ٥١٨) وانظر: شرح السنة: ٣٩٣/٤ تعليق الأستاذ الأناؤوط، والكلم الطيب بتخريج الألباني ص (٨٨).

(٣) في الأصل: لا يمكنها.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١﴾  
 الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ  
 الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي  
 رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ  
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ  
 وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٤﴾

والكافرون يسدون آذانهم عند قراءة القرآن مخافة ميل القلب إليه لأن الإيمان عندهم كفر والكفر موت ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾ أي القرآن يبهز قلوبهم. وقيل هذا مثل ضربه الله للإسلام فالمطر الإسلام والظلمات ما فيه من البلاء والحن، والرعد: ما فيه من الوعيد والمخاوف في الآخرة، والبرق ما فيه من الوعد والوعيد ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم﴾ يعني أن المنافقين إذا رأوا في الإسلام بلاء وشدة هربوا حذراً من الهلاك ﴿والله محيط بالكافرين﴾ جامعهم يعني لا ينفعهم هربهم لأن الله تعالى من ورائهم يجمعهم فيعذبهم. يكاد البرق يعني دلائل الإسلام ترعجهم إلى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة.

﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه﴾ يعني أن المنافقين إذا أظهروا كلمة الإيمان آمنوا فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة. وقيل معناه كلما نالوا غنيمة وراحة في الإسلام ثبتوا وقالوا إنا معكم ﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ يعني: رأوا شدة وبلاء تأخروا وقاموا أي وقفوا كما قال الله تعالى «ومن الناس من يعبد الله على حرف» (١١ - الحج) ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم﴾ أي بأسماعهم ﴿وأبصارهم﴾ الظاهرة كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة، وقيل لذهب بما استفادوا من العز والأمان الذي لهم بمنزلة السمع والبصر. ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾: قادر. قرأ عامر وحزمة شاء وجاء حيث كان بالإمالة.

قوله تعالى ﴿يا أيها الناس﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يا أيها الناس خطاب أهل مكة، ويا أيها الذين آمنوا خطاب أهل المدينة<sup>(١)</sup> وهو هاهنا عام إلا من حيث أنه لا يدخله الصغار والمجانين .

﴿اعبدوا﴾ وحّدوا. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد ﴿ربكم الذي خلقكم﴾ الخلق: اختراع الشيء على غير مثال سبق ﴿والذين من قبلكم﴾ أي وخلق الذين من قبلكم ﴿لعلكم تتقون﴾ لكي تنجوا من العذاب وقيل معناه كونوا على رجاء التقوى بأن

(١) انظر: الكافي الشاف: لابن حجر (ص ٥).

تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله، وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء كما قال: «فقلوا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى» (٤٤ - طه) أي ادعوا إلى الحق وكونوا على رجاء التذكر، وحكم الله من ورائه يفعل ما يشاء، قال سيبويه: لعل وعسى حرفا ترج وهما من الله واجب. ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً﴾ أي بساطاً وقيل مناماً وقيل وطاء أي ذللها ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها قال البخاري: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي ذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قلت: إن ذلك عظيم. ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»<sup>(١)</sup> والجعل هاهنا بمعنى الخلق ﴿والسمااء بناء﴾ وسقفاً مرفوعاً. ﴿وأنزل من السمااء﴾ أي من السحاب ﴿ماء﴾ وهو المطر ﴿فأخرج به من الثمرات﴾ من ألوان الثمرات وأنواع النبات ﴿رزقاً لكم﴾ طعاماً لكم وعلفاً لدوابكم ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ أي أمثالاً تعبدونهم كعبادة الله. قال أبو عبيدة: الندُّ الضد وهو من الأنداد والله تعالى بريء من المثل وال ضد. ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنه واحد خالق هذه الأشياء.

﴿وإن كنتم في ريب﴾ أي (وإن)<sup>(٢)</sup> كنتم في شك، لأن الله تعالى علم أنهم شاكون ﴿مما نزلنا﴾ يعني القرآن ﴿على عبدنا﴾ محمد ﴿فأتوا﴾ أمر تعجيز ﴿بسورة﴾ والسورة قطعة من القرآن معلومة الأول والآخر من أسأرت أي أفضلت، حذفت الهمزة، وقيل: السورة اسم للمنزلة الرفيعة / ومنه سور البناء لارتفاعه سميت سورة لأن القارئ ينال بقراءتها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القرآن ﴿من مثله﴾ أي مثل القرآن ﴿ومن﴾ صلة، كقوله تعالى: «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم» (٣٠ - النور) وقيل: الهاء في مثله راجعة إلى محمد ﷺ يعني: من مثل محمد ﷺ أمي لا يحسن الخط والكتابة [قال محمود هاهنا من مثله دون سائر السور، لأن من للتبعيض وهذه السورة أول القرآن بعد الفاتحة فأدخل من ليعلم أن التحدي واقع على جميع سور القرآن، ولو أدخل من في سائر السور كان التحدي واقعاً على جميع سور القرآن، ولو أدخل في سائر السور كان التحدي واقعاً على بعض السور]<sup>(٣)</sup>.

﴿وادعوا شهداءكم﴾ أي واستعينوا بأهتكم التي تعبدونها ﴿من دون الله﴾ وقال مجاهد: ناساً يشهدون لكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ أن محمداً ﷺ يقول من تلقاء نفسه فلما تحداهم عجزوا فقال ﴿فإن لم تفعلوا﴾ فيما مضى ﴿ولن تفعلوا﴾ أبداً فيما بقي. وإنما قال ذلك لبيان الإعجاز وأن القرآن

(١) أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى «فلا تجعلوا لله أنداداً» ٤٩١/١٣.

ومسلم في الإيمان باب كون الشرك أقبح الذنوب... برقم (٨٦) ٩٠/١.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٨٢/١.

(٢) زيادة من «ب».

(٣) ساقط من المطبوع على هامش ابن كثير وغيره.

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ  
مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾

كان معجزة للنبي ﷺ حيث عجزوا عن الإتيان بمثله. ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ أي فآمنوا واتقوا بالإيمان النار. ﴿التي وقودها الناس والحجارة﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين يعني حجارة الكبريت لأنها أكثر التهاباً، وقيل: جميع الحجارة وهو دليل على عظمة تلك النار وقيل: أراد بها الأصنام لأن أكثر أصنامهم كانت منحوتة من الحجارة كما قال «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» (٩٨) — الأنبياء ﴿أعدت﴾ هيئت ﴿للكافرين﴾.

قوله تعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا﴾ أي أخبر والبشارة كل خير صدق تتغير به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشر، وفي الخير أغلب ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي الفعلات الصالحات يعني المؤمنين الذين من أهل الطاعات قال عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي أخلصوا الأعمال كما قال «فليعمل عملاً صالحاً» (١١٠ — الكهف) أي خالياً عن الرياء. قال معاذ: العمل الصالح الذي فيه أربعة أشياء. العلم، والنية، والصبر، والاخلاص. ﴿أن لهم جنات﴾ جمع الجنة، والجنة البستان الذي فيه أشجار مثمرة، سميت بها لاجتنانها وتسترها بالأشجار. وقال الفراء: الجنة ما فيه النخيل، والفردوس ما فيه الكرم.

﴿تجري من تحتها﴾ أي من تحت أشجارها ومساكنها ﴿الأنهار﴾ أي المياه في الأنهار لأن النهر لا يجري وقيل (من تحتها) أي بأمرهم لقوله تعالى حكاية عن فرعون «وهذه الأنهار تجري من تحتي» (٥١ — الزخرف) أي بأمرى والأنهار جمع نهر سمي به لسعته وضيائه. ومنه النهار. وفي الحديث «أنهار الجنة في غير محدود»<sup>(١)</sup> ﴿كلما﴾ متى ما ﴿رزقوا﴾ أطعموا ﴿منها﴾ أي من الجنة من ثمرة أي ثمرة و ﴿من﴾ صلة ﴿رزقاً﴾ طعاماً ﴿قالوا هذا الذي رزقنا من قبل﴾ وقبل رفع على الغاية. قال الله تعالى: «لله الأمر من قبل ومن بعد» (٤ — الروم) قيل: من قبل في الدنيا وقيل: الثار في الجنة متشابهة في اللون، مختلفة في الطعم، فإذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الأولى ﴿وأوتوا به﴾ بالرزق ﴿متشابهاً﴾ قال ابن عباس ومجاهد والربيع: متشابهاً في الألوان، مختلفاً في الطعوم. وقال الحسن

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ٩٦/١٣، وهناد في الزهد: ١٧١/١، والطبري في التفسير: ٣٨٤/١. والمروزي في زوائد الزهد ص

(٥٢٤) وعزاه السيوطي أيضاً لابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في البعث وصححه عن ابن مسعود انظر: الدر المنثور: ٩٤/١،

تفسير ابن كثير: ١٧٧/٤.

وقتادة: متشابهاً. أي يشبه بعضها بعضاً في الجودة، أي كلها خيار لا رذالة فيها. وقال محمد بن كعب: يشبه ثمر الدنيا غير أنها أطيب. وقيل متشابهاً في الاسم مختلفاً في الطعم. قال: ابن عباس رضي الله عنهما: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء.

أنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الصفار أنا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي أنا محمد بن كثير أنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبرزون، يلهمون الحمد والتسبيح، كما تلهمون النفس، طعامهم الجشاء، ورشحهم المسك»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى ﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ في الجنان ﴿أَزْوَاجٌ﴾ نساء وجواري يعني من الحور العين ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ من الغائط، والبول، والحيض، والنفاس، والبصاق، والخطأ والمنى، والولد، وكل قدر. قال ابراهيم النخعي: في الجنة جماع ما شئت ولا ولد. وقال الحسن: هن عجائزكم الغمص العمش طهرن من قذرات الدنيا. وقيل: مطهرة عن مساوئ الأخلاق ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ دائمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها.

أنا أبو عمرو عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو حامد أحمد بن عبد الله النعمي أنا محمد بن يوسف الفريرى، أنا محمد بن إسماعيل البخاري أنا قتيبة بن سعيد، أنا جرير عن عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يتفلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك ومجامرهم الآلوة»<sup>(٢)</sup> وأزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء»<sup>(٣)</sup>.

أنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا فضيل هو ابن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تدخل الجنة يوم القيامة صورة وجوههم مثل صورة القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على لون أحسن الكواكب في السماء لكل رجل منهم زوجتان، على كل زوجة سبعون حلة، يرى نخل سوقهن دون لحومها ودمائها وحللها»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها برقم (٢٨٣٥) ٢١٨٠/٤.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢١٢/١٥.

(٢) أي بخورهم العود غير مطراة / النهاية ٦٣/١.

(٣) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة: ٣١٨/٦، ومسلم في الجنة وصفة أهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة، برقم (٢٨٣٤): ٢١٧٨/٤ وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢١١/١٥.

(٤) أخرجه الترمذي في صفة الجنة، باب ما جاء في صفة نساء أهل الجنة: ٢٣٩/٧ — ٢٤١، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وعطية =

أنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى المروزي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني، أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميني أنا علي بن حجر أنا اسماعيل بن جعفر بن أبي كثير المدني عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت على الأرض لأضاءت ما بينهما ولألت ما بينهما ريحاً، ولتأجها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»<sup>(١)</sup> [صحيح أخرجه محمد بن عبد الله بن محمد عن معاوية بن عمر عن أبي إسحاق عن حميد]<sup>(٢)</sup>.

أنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي أنا عبد الله بن محمد بن مسلم أنا أبو بكر الجوريزي أنا أحمد بن الفرغ الحمصي أنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار أنا محمد بن المهاجر عن الضحاك المعافري عن سليمان بن موسى حدثني كريب أنه سمع أسامه بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ: «ألا هل من مشمر للجنة، وإن الجنة لا خطر لها وهي ورب الكعبة نور يتلأأ وريحانة تهتر، وقصر مشيد ونهر مطرد، وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام أبدي في دار / سليمة وفاكهة خضرة، وحبيرة، ونعمة في محلة عالية بهية» قالوا: نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها قال: «قولوا إن شاء الله» قال القوم: إن شاء الله<sup>(٣)</sup>.

وروي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة جرد مرد كحل لا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم»<sup>(٤)</sup>.

أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي أنا الحاكم أبو الفضل الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى ابن خالد أنا إسحاق الحنظلي أنا أبو معاوية أنا عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعيد عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لسوقاً ليس فيه بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء، فإذا

= العوفي ضعيف، وبقيه رجاله ثقات. انظر ميزان الاعتدال ٧٩/٣ وذكره الهيثمي عن ابن مسعود وأبي سعيد وقال: رواه الترمذي باختصار، ورواه الطبراني في الأوسط وإسناده ابن مسعود صحيح، وفي إسناده أبي سعيد: عطية، والأكثر على تضعيفه، وروى البزار حديث ابن مسعود فقط. مجمع الزوائد: ٤١١/١٠ - ٤١٢.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢١٢/١٥.

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده جيد. مجمع الزوائد: ٤١٨/١٠.

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه ابن ماجه في الزهد، باب صفة الجنة برقم (٤٣٣٢): ١٤٤٨/٢، وصححه ابن حبان في صفة الجنة (ص ٦٥١) من موارد الزمان.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٢٣/١٥ وقال محققه: الضحاك المعافري: لم يوثقه غير ابن حبان، وشيخه سليمان بن موسى الأموي الدمشقي مختلف فيه.

(٤) رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وإسناده حسن. ورواه أحمد عن أبي هريرة والطبراني في الأوسط عن أنس، وإسناده جيد. وفي الصحيح بعضه.

مجمع الزوائد: ٣٩٨/١٠ - ٣٩٩.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾

اشتبهى الرجل صورة دخل فيها، إن فيها لمجتمع الحور العين ينادين، بصوت لم يسمع الخلائق مثله: نحن الخالدات فلا نبئد أبداً، ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً، ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، فطوبى لمن كان لنا وكنا له أو نحن له»<sup>(١)</sup> ورواه أبو عيسى عن هناد وأحمد بن منيع عن أبي معاوية مرفوعاً وقال: هذا حديث غريب.

أنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو عثمان سعيد بن عبد الجبار البصري أنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً فيقول لهم أهلهم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً فيقولون وأنتم والله لقد زدتم بعدنا حسناً وجمالاً»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ سبب نزول هذه الآية أن الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت فقال: «إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له» (٧٣ - الحج) وقال: «مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً» (٤١ - العنكبوت) قالت اليهود: ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسية<sup>(٣)</sup>؟ وقيل: قال المشركون: إنا لا نعبد إلهاً يذكر مثل هذه الأشياء فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾<sup>(٤)</sup> أي لا يترك ولا يمنعه الحياء ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ يذكر شيئاً، ﴿مَّا بَعُوضَةً﴾ ما: صلة، أي مثلاً بالبعوضة، وبعوضة نصب بدل عن المثل.

(١) أخرجه أحمد مرفوعاً: ١٥٦/١ عن علي، والترمذي مختصراً في صفة الجنة باب ما جاء في سوق الجنة: ٢٦٤/٧ وقال: هذا حديث حسن غريب. وهناد في الزهد: ٩٢/١ وابن أبي شيبة: ١٠٠/١٣.

وفيه عبد الرحمن بن اسحاق الواسطي: قال أحمد: ليس بشيء، منكر الحديث، وقال يحيى: متروك، وقال ابن حجر: ضعيف من السابعة. (تقريب).

وضعفه المنذري، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (فيض القدير للمناوي: ٤٦٨/٢) وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٢٦/١٥. (٢) رواه مسلم في الجنة، باب في سوق الجنة وما ينالون فيها من النعيم، برقم (٢٨٣٣): ٢١٧٨/٤ وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٢٧/١٥ وقال هذا حديث صحيح.

(٣) انظر: الطبري: ٤٠٠/١، أسباب النزول للواحدي ص (٥٩)، الوسيط للواحدي: ٦٤/١.

(٤) المرجع السابق.



الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

والبعوض صغار البق سميت بعوضة كأنها بعض البق ﴿فما فوقها﴾ يعني الذباب والعنكبوت وقال أبو عبيدة أي فما دونها كما يقال فلان جاهل فيقال وفوق ذلك أي وأجهل ﴿فأما الذين آمنوا﴾ بمحمد والقرآن ﴿فيعلمون أنه﴾ يعني: المثل هو ﴿الحق﴾ الصدق ﴿من ربهم﴾ وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً؟ أي بهذا المثل فلما حذف الألف واللام نصبه على الحال والقطع ثم أجابهم فقال ﴿يضل به﴾ أي بهذا المثل ﴿كثيراً﴾ من الكفار وذلك أنهم يكذبونه فيزدادون ضلالاً ﴿ويهدي به﴾ أي بهذا المثل ﴿كثيراً﴾ من المؤمنين فيصدقونه، والإضلال: هو الصرف عن الحق إلى الباطل. وقيل: هو الهلاك يقال ضل الماء في اللبن إذا هلك ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾ الكافرين وأصل الفسق الخروج يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها قال الله تعالى: «ففسق عن أمر ربه» (٥٠) — (الكهف) أي خرج ثم وصفهم فقال:

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ﴾ يخالفون ويتركون وأصل النقض الكسر ﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾ أمر الله الذي عهد إليهم يوم الميثاق بقوله: «أأست بريكم؟ قالوا بلى» (١٧٣ — الأعراف) وقيل: أراد به العهد الذي أخذه على النبيين وسائر الأمم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ في قوله: «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين» (٨١ — آل عمران) الآية وقيل: أراد به العهد الذي عهد إليهم في التوراة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويبينوا نعته ﴿من بعد ميثاقه﴾ توكيده. والميثاق: العهد المؤكد ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ يعني الإيمان بمحمد ﷺ وبجميع الرسل عليهم السلام لأنهم قالوا: نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقال المؤمنون «لا نفرق بين أحد من رسله» (٢٨٥ — البقرة) وقيل: أراد به الأرحام ﴿ويفسدون في الأرض﴾ بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ المغبونون، ثم قال لمشركي العرب على وجه التعجب ﴿كيف تكفرون بالله﴾ بعد نصب الدلائل ووضوح البراهين ثم ذكر الدلائل فقال: ﴿وكنتم أمواتاً﴾ نطفاً في أصلاب آبائكم ﴿فأحياكم﴾ في الأرحام والدنيا ﴿ثم يميتكم﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ للبعث ﴿ثم إليه ترجعون﴾ أي تردون في الآخرة فيجزيكهم بأعمالكم.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن  
يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا  
تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

قرأ يعقوب «تَرْجِعُونَ» في كل القرآن بفتح الياء والتاء على تسمية الفاعل.

قوله تعالى ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ لكي تعتبروا وتستدلوا وقيل لكي تنتفعوا ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف: أي ارتفع إلى السماء. وقال ابن كيسان والفراء وجماعة من النحويين: أي أقبل على خلق السماء. وقيل: قصد لأنه خلق الأرض أولاً ثم عمد إلى خلق السماء ﴿فسواهن سبع سموات﴾ خلقهن مستويات لا فطور فيها ولا صدع ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ قرأ أبو جعفر وأبو عمرو والكسائي وقالون وهو وهي يسكون الهاء إذا كان قبل الهاء واو أو فاء أو لام، زاد الكسائي وقالون: ثم هو وقالون «أن يملَّ هو» (٢٨٢ — البقرة).

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ أَيُّ قَالَ رَبُّكَ وَإِذْ زَائِدَةٌ وَقِيلَ وَمَعْنَاهُ وَادْكُرْ إِذْ قَالَ رَبُّكَ وَكَذَلِكَ كُلٌّ مَاورد في القرآن من هذا النحو فهذا سبيله وإذ وحرفاً توقيت إلا أن إذ للماضي وإذا للمستقبل وقد يوضع أحدهما موضع الآخر قال المبرد: إذا جاء (إذ) مع المستقبل كان معناه ماضياً كقوله تعالى «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ» (٣٠ — الأنفال) يريد وإذ مكروا وإذا جاء (إذا) مع الماضي كان معناه مستقبلاً كقوله: «فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ» (٣٤ — النازعات) «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ» (١ — النصر) أي يجيء ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ جمع ملك وأصله مَأْلَك من الْمَالِكَةِ وَالْأَلْوَكَةِ وَالْأَلْوَكُ، وهي: الرسالة فقلبت فقيل مَلَأَك ثم حذفت الهمزة طلباً للخفة لكثرة استعماله ونقلت حركتها إلى اللام فقيل مَلَك. وأراد بهم الملائكة الذين كانوا في الأرض وذلك أن الله تعالى خلق السماء والأرض وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الأرض فغبروا فعبدوا دهرًا طويلاً في الأرض، ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فأفسدوا وقتلوا فبعث الله إليهم جنوداً من الملائكة يقال لهم: الجن، وهم خزان الجنان اشتق لهم من الجنة رأسهم إبليس وكان رئيسهم ومرشدهم وأكثرهم علماً فهبطوا إلى الأرض فطردوا الجن إلى شعوب الجبال (وبطون الأودية)<sup>(١)</sup> وجزائر البحور وسكنوا الأرض وخفف الله عنهم العبادة فأعطى الله إبليس ملك الأرض، وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان يعبد الله تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب فقال في نفسه: ما أعطاني الله هذا الملك إلا لأني أكرم الملائكة عليه<sup>(٢)</sup> فقال الله تعالى / له ولجنده ﴿إِنِّي

أ / ٩

(١) زيادة من ب.

(٢) ذكر ذلك أيضاً الواحدي في التفسير: ٧٤/١، وانظر تفسير ابن كثير: ١٣١/١ — ١٣٣ و ١٣٨ — ١٤١، ففيه بعض الروايات، =

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾

جاعل ﴿﴾ خالق. ﴿﴾ في الأرض خليفة ﴿﴾ أي بدلاً منكم ورافعكم إلي، فكروها ذلك لأنهم كانوا أهون الملائكة عبادة.

والمراد بالخليفة هاهنا آدم سماه خليفه لأنه خلف الجن أي جاء بعدهم وقيل لأنه يخلفه غيره والصحيح أنه خليفة الله في أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ وصاياه <sup>(١)</sup> ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بالمعاصي. ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ بغير حق أي كما فعل بنو الجان فقاموا الشاهد على الغائب وإلا فهم ما كانوا يعلمون الغيب ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ قال الحسن: نقول سبحان الله ومحمده وهو صلاة الخلق «وصلاة البهائم وغيرها» <sup>(٢)</sup> سوى الآدميين، وعليها يرزقون.

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا زهير بن حرب أنا حبان بن هلال أنا وهيب أنا سعيد الجريري عن أبي عبد الله الجسري عن عبادة بن الصامت عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ سئل أي الكلام أفضل قال: «ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحانه الله ومحمده» <sup>(٣)</sup> وقيل: ونحن نصلي بأمرك، قال ابن عباس: كل ما في القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ أي ننثني عليك بالقدس والطهارة وقيل: ونظهر أنفسنا لطاعتك وقيل: وننزهك. واللام صلة وقيل: لم يكن هذا في الملائكة على طريق الاعتراض والعجب بالعمل بل على سبيل التعجب وطلب وجه الحكمة فيه ﴿قَالَ﴾ الله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من المصلحة فيه، وقيل: إني أعلم أن في ذرته من يطيعني ويعبدني من الأنبياء والأولياء والعلماء وقيل: إني أعلم أن فيكم من يعصيني، وهو إبليس، وقيل إني أعلم أنهم يذنبون وأنا أغفر لهم. قرأ أهل الحجاز والبصرة إني أعلم بفتح الياء وكذلك كل ياء إضافة استقبلها ألف مفتوحة إلا في مواضع معدودة ويفتحون في بعض المواضع عند الألف المضمومة والمكسورة (وعند غير الألف) <sup>(٤)</sup> وبين القراء في تفصيله اختلاف.

قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض، وقيل: لأنه كان آدم اللون

= وقد ضعفها ابن كثير رحمه الله ونقل ذلك عنه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على الطبري: ٥٠٥/١.

(١) ولابن القيم في كتابه «مفتاح دار السعادة» ١٥١/١ كلام مفيد وتفصيل رشيد حول خلافة الله في أرضه فليراجع لفائدته.

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء باب فضل سبحان الله ومحمده برقم (٢٧٣١): ٢٠٩٣/٤ والترمذي في الدعوات، باب أي الكلام

أحب إلى الله. ٥٢/١٠ وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٤) في ب لأجل ألف.

قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢٢﴾ قَالَ يَتَذَكَّرُ  
 أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْني أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٢٣﴾

وكنيته أبو محمد وأبو البشر فلما خلقه الله تعالى علمه أسماء الأشياء وذلك أن الملائكة قالوا: لما قال الله تعالى: «إني جاعل في الأرض خليفة»: ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقاً أكرم عليه منا وإن كان فنحن أعلم منه لأننا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره. فأظهر الله تعالى فضله عليهم بالعلم وفيه دليل على أن الأنبياء أفضل من الملائكة وإن كانوا رسلاً كما ذهب إليه أهل السنة والجماعة قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة وقيل اسم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة. وقال الربيع بن أنس: أسماء الملائكة وقيل: أسماء ذريته، وقيل: صنعة كل شيء قال أهل التأويل: إن الله عز وجل علم آدم جميع اللغات ثم تكلم كل واحد من أولاده بلغة ففترقوا في البلاد واختص كل فرقة منهم بلغة<sup>(١)</sup>. ﴿ثم عرضهم على الملائكة﴾ إنما قال عرضهم ولم يقل عرضها لأن المسميات إذا جمعت من يعقل ومالا يعقل يكنى عنها بلفظ من يعقل كما يكنى عن الذكور والإناث بلفظ الذكور وقال مقاتل: خلق الله كل شيء الحيوان والجماد ثم عرض تلك الشخص على الملائكة فالكناية راجعة إلى الشخص فذلك قال عرضهم ﴿فقال أنبئوني﴾ أخبروني ﴿بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ في أي لا أخلق خلقاً إلا وكنتم أفضل وأعلم منه فقالت الملائكة إقراراً بالعجز: ﴿قالوا سبحانك﴾ تنزيهاً لك ﴿لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾ معناه فإنك أجل من أن نحيط بشيء من علمك إلا ما علمتنا ﴿إنك أنت العليم﴾ بخلقك ﴿الحكيم﴾ في أمرك والحكيم له معنيان: أحدهما الحاكم وهو القاضي العدل والثاني المحكم للأمر كي لا يتطرق إليه الفساد وأصل الحكمة في اللغة: المنع فهي تمنع صاحبها من الباطل ومنه حكمة الدابة لأنها تمنعها من الاعوجاج فلما ظهر عجزهم ﴿قال﴾ الله تعالى:

﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾ أخبرهم بأسمائهم فسمى آدم كل شيء باسمه وذكر الحكمة التي لأجلها خلق ﴿فلما أنبأهم بأسمائهم قال﴾ الله تعالى ﴿ألم أقل لكم﴾ يا ملائكتي ﴿إني أعلم غيب السماوات والأرض﴾ ما كان منهما وما يكون لأنه قد قال لهم «إني أعلم ما لا تعلمون» (٣٠) — البقرة ﴿وأعلم ما تبدون﴾ قال الحسن وقتادة: يعني قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ﴿وما كنتم تكتمون﴾ قولكم لن يخلق الله خلقاً أكرم عليه منا، قال ابن عباس رضي الله عنهما هو أن إبليس مر على

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٥/١، الوسيط للواحدي: ٧٧/١.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

جسد آدم وهو ملقى بين مكة والطائف لا روح فيه فقال: لأمر ما خلق هذا ثم دخل في فيه وخرج من دبره وقال: إنه خلق لا يتأسك لأنه أجوف ثم قال للملائكة الذين معه أرايتم إن فضل هذا عليكم وأمرتم بطاعته ماذا تصنعون؟ قالوا: نطيع أمر ربنا، فقال إبليس في نفسه: والله لئن سلطت عليه لأهلكته ولئن سلط علي لأعصيه فقال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمَ مَا تَبْدُونَ﴾ يعني ما تبديه الملائكة من الطاعة ﴿وما كنتم تكتمون﴾ يعني إبليس من المعصية.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ قرأ أبو جعفر «للملائكة اسجدوا» بضم التاء على جوار ألف اسجدوا وكذلك قرأ «قال ربُّ أحكم بالحق» (١١٢ — الأنبياء) بضم الباء وضعفه النحاة جداً ونسبوه إلى الغلط فيه واختلفوا في أن هذا الخطاب مع أي الملائكة فقال بعضهم: مع الذين كانوا سكان الأرض. والأصح: أنه مع جميع الملائكة لقوله تعالى: «فسجد الملائكة كلهم أجمعون» (٣٠ — الحجر) وقوله: (اسجدوا) فيه قولان: الأصح أن السجود كان لآدم على الحقيقة، وتضمن معنى الطاعة لله عز وجل بامثال أمره، وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة، كسجود إخوة يوسف له في قوله عز وجل «وَسُجِّدُوا لَهُ سُجُّدًا» (١٠٠ — يوسف) ولم يكن فيه وضع الوجه على الأرض، إنما كان الانحناء، فلما جاء الإسلام أبطل ذلك بالسلام.

وقيل: معنى قوله ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ أي إلى آدم فكان آدم قبله، والسجود لله تعالى، كما جعلت الكعبة قبلَةً للصلاة والصلاة لله عز وجل.

﴿فسجدوا﴾ يعني: الملائكة ﴿إلا إبليس﴾ وكان اسمه عزرايل بالسريانية، وبالعربية: الحارث، فلما عصى غير اسمه وصورته فقبل إبليس، لأنه أبلس من رحمة الله تعالى أي يئس.

واختلفوا فيه فقال ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر المفسرين: كان إبليس من الملائكة، وقال الحسن: كان من الجن ولم يكن من الملائكة لقوله تعالى «إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه»

(٥٠ - الكهف) فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس، ولأنه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور، ولأن له ذرية ولا ذرية للملائكة، والأول أصح<sup>(١)</sup> لأن خطاب السجود كان مع الملائكة، وقوله ﴿كان من الجن﴾ أي من الملائكة الذين هم خزنة الجنة. وقال سعيد بن جبیر: من الذين يعملون في الجنة، وقال: قوم من الملائكة الذين يصوغون حلّي أهل الجنة، وقيل: إن فرقة من الملائكة خلقوا من النار سمو جنّاً لاستئثارهم عن الأعين، وإبليس كان منهم. والدليل عليه قوله تعالى «وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً» (١٥٨- الصافات) وهو قولهم الملائكة / بنات الله، ولما أخرجه الله من الملائكة جعل له ذرية. ٩/ب

قوله: ﴿أبى﴾ أي امتنع فلم يسجد ﴿واستكبر﴾ أي تكبر عن السجود (لآدم)<sup>(٢)</sup> ﴿وكان﴾ أي: صار ﴿من الكافرين﴾ وقال أكثر المفسرين: وكان في سابق علم الله من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة.

أنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي أنا ابن الحاکم أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى بن خالد أنا اسحاق بن ابراهيم الحنظلي أنا جرير ووکیع وأبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول: ياويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار»<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ وذلك أن آدم لم يكن له في الجنة من يجانسه فنام نومة فخلق الله زوجته حواء من قصيراء من شقه الأيسر، وسميت حواء لأنها خلقت من حي، خلقها الله عز وجل من غير أن أحس به آدم ولا وجد له ألماً، ولو وجد ألماً لما عطف رجل على امرأة قط فلما هب من نومه رآها جالسة عند رأسه (كأحسن ما في)<sup>(٤)</sup> خلق الله فقال لها: من أنت؟ قالت زوجتك خلقتني الله لك تسكن إلي وأسكن إليك<sup>(٥)</sup> ﴿وكلّا منها رغداً﴾ واسعاً كثيراً ﴿حيث شئتما﴾ كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ يعني للأكل، وقال بعض العلماء: وقع

(١) انظر الطبري: ٥٠٢/١ - ٥٠٨ والوسيط في تفسير القرآن للواحدي ٨٢/١.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، برقم (١٣٣) ٨٧/١ وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٤٧/٣.

(٤) في ب: كأحسن ما خلقها الله.

(٥) تذكر معظم كتب التفسير هذه القصة عند تفسير هذه الآية، ويقول أبو حيان في البحر المحيط: ١٥٦/١ «وفي هذه القصة زادات ذكرها المفسرون، لا تطول بذكرها، لأنها ليست مما يتوقف عليها مدلول الآية ولا تفسيرها». ونلاحظ أن هذه الأمور الغيبية التي استأثر الله تعالى بعلمها وحجبها عنا، ليس بين أيدينا ما يدل عليها من النصوص الصحيحة.. فأين كان هذا الذي كان؟ وما الجنة التي عاش فيها آدم وزوجه حيناً من الزمان؟ ومن هم الملائكة؟ ومن هو إبليس؟ كيف قال الله تعالى لهم ذلك؟ وكيف أجابوه؟ وكيف تم خلق حواء؟ .. إلخ .. إلخ هذا كله يحتاج إلى نص ثابت. وغالب ما يروى من آثار حوطا لا يخلو من مقال أو هو من الاسرائيليات، فحسبنا ما جاءت به النصوص، ونكل علم ما وراعا إلى الله سبحانه. وانظر: في ظلال القرآن: ٥٩/١.

النهي على جنس من الشجر. وقال آخرون: على شجرة مخصوصة، واختلفوا في تلك الشجرة، قال ابن عباس ومحمد بن كعب ومقاتل: هي السنبلة وقال ابن مسعود: هي شجرة العنب. وقال ابن جريج: شجرة التين، وقال قتادة: شجرة العلم وفيها من كل شيء، وقال علي رضي الله عنه: شجرة الكافور<sup>(١)</sup> ﴿فَتَكُونَا﴾ فتصيرا ﴿من الظالمين﴾ أي الضارين بأنفسكما بالمعصية، وأصل الظلم، وضع الشيء في غير موضعه.

﴿فَأَرْسَلْنَا﴾ استزل ﴿الشيطان﴾ آدم وحواء أي دعاهما إلى الزلة. وقرأ حمزة: فَأَرْسَلْنَا، أي نَحَاهمَا «الشيطان» فِعَالٌ من شطن، أي: بَعْد، سُمي به لبعده عن الخير وعن الرحمة، ﴿عَنْهَا﴾ عن الجنة ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم، وذلك أن إبليس أراد أن يدخل ليوسوس (إلى)<sup>(٢)</sup> آدم وحواء فمنعته الخزنة فأقَى الحية وكانت صديقة لإبليس وكانت من أحسن الدواب، لها أربع قوائم كقوائم البعير، وكانت من خزان الجنة فسألها إبليس أن تُدخله فمَهَا فادخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فادخلته الجنة، وقال الحسن: إنما رآهما على باب الجنة لأنهما كانا يخرجان منها وقد كان آدم حين دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم قال: لو أن خلداً، فاغتنم ذلك منه الشيطان فأتاه من قِبَل الخلد فلما دخل الجنة وقف بين يدي آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه إبليس فبكى وناح نياحة أحزنتهما، وهو أول من ناح فقالا له: ما يبكيك؟ قال: أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة. فوقع ذلك في أنفسهما فاغتمًا ومضى إبليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال: يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد؟ فأبى أن يقبل منه، وقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين، فاغترأ وما ظنا أن أحداً يحلف بالله كاذباً، فبادرت حواء إلى أكل الشجرة ثم ناولت آدم حتى أكلها.

وكان سعيد بن المسيب يحلف بالله ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى إذا سكر قادتة إليها فأكل<sup>(٣)</sup>.

(١) قال ابن جرير الطبري في التفسير: «الصواب في ذلك أن يقال: إن الله جل ثناؤه نهي آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه، فأكلتا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه به، ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين، لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن، ولا في السنة الصحيحة. فأبى يأتي ذلك؟ وقد قيل: كانت شجرة البر، وقيل: كانت شجرة العنب، وقيل: كانت شجرة التين، وجائز أن تكون واحدة منها، وذلك علم، إذا علم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضّر جهله به»، وكذلك رجح الإمام الرازي في تفسيره وغيره من المفسرين وهو الصواب. انظر: تفسير الطبري بتحقيق محمود شاكراً: ٥٢٠/١ - ٥٢١، تفسير ابن كثير: ١٤٦/١.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) هذا الخلاف في كيفية وسبب أكل آدم من الشجرة المنهي عنها، والذي أكثر المفسرون من القصص حوله، لم يثبت فيه خبر صحيح، وهو من علم الغيب الذي يحتاج إلى نقل ثابت بشأنه، ولعل هذه القصص مأخوذة من الأسراليات، وكون آدم شرب الخمر فكان في غير عقله، غير صحيح، لأن خمر الجنة لا غول فيها، والصحيح أنه نسي وأكل كما أخبر الله تعالى عنه، انظر: أحكام القرآن لابن العربي: ١٩/١ والحرر الوجيز لابن عطية: ٢٥٤/١ - ٤٥٦، والبحر المحيط لأنبي حبان: ١٦١/١، وقد قُتد الشيخ محمد أبو شهبة الروايات الاسرائيلية في تفسير هذه الآية «فَأَرْسَلْنَا الشيطان» انظر كتابه: «الاسراليات والموضوعات في كتب التفسير: ٢٥١-٢٥٠/١».

قال ابراهيم بن أدهم أورثتنا تلك الأكلة حزناً طويلاً. قال ابن عباس وقتادة: قال الله عز وجل لآدم: ألم يكن فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة؟ قال: بلى يا رب وعزتك، ولكن ما ظننت أن أحداً يحلف بك كاذباً، قال: فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض، ثم لا تنال العيش إلا كدأ فأمبطا من الجنة وكانا يأكلان فيها رغداً فعلم صنعة الحديد، وأمر بالحرث فحرث فيها وزرع ثم سقى حتى إذا بلغ حصد ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء. قال سعيد بن جبير: عن ابن عباس: إن آدم لما أكل من الشجرة التي نهي عنها قال الله عز وجل: ما حملك على ما صنعت قال يارب زينتني لي حواء قال: فإني أعقبتها أن لا تحمل إلا كرهاً ولا تضع إلا كرهاً ودميتها<sup>(١)</sup> في الشهر مرتين، فرنت<sup>(٢)</sup> حواء عند ذلك فقيل: عليك الرنة وعلى بناتك<sup>(٣)</sup>، فلما أكلتا (تھاقت) <sup>(٤)</sup> عنهما ثيابهما وبدت سوائهما وأخرجنا من الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ أي انزلوا إلى الأرض يعني آدم وحواء وإبليس والحية، فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نود، وحواء بجدة وإبليس بالآيلة والحية بأصفهان<sup>(٥)</sup> ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ أراد العداوة التي بين ذرية آدم والحية وبين المؤمنين من ذرية آدم وبين إبليس؛ قال الله تعالى: «إن الشيطان لكما عدو مبين». (٢٢ — الأعراف).

أنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسن بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن محمد الصفار حدثنا منصور الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال عكرمة: لا أعلمه إلا رفع الحديث، أنه كان يأمر بقتل الحيات وقال: من تركهن خشية أو مخافة تأثر فليس منا<sup>(٦)</sup> وزاد موسى بن مسلم عن عكرمة في الحديث: ما سألناهن منذ حاربناهن [وروي أنه نهي عن ذوات البيوت، روى عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «إن بالمدينة جناً قد أسلموا فإن رأيتم منهم شيئاً فأذنوه ثلاثة أيام فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان»<sup>(٧)</sup>].<sup>(٨)</sup>

(١) في ب: آدميتها.

(٢) صوّتت .

(٣) أخرجه عن ابن عباس: الحاكم في المستدرک ٣٨١/٢ وذكره الواحدي في الوسيط بسنده عن ابن عباس: ٨٥/١ — ٨٦، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ١٣٢/١ لابن منيع وابن أبي الدنيا في كتاب البكاء وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة والبيهقي في الشعب وابن عساكر عن ابن عباس.

(٤) في ب سقطت.

(٥) في ذلك آثار عن السدي والحسن بأسانيد لا تثبت.

انظر: تفسير ابن كثير: ١٤٧/١ بتخریج الوادعي.

(٦) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب قول الله تعالى: «ويث فيهما من كل دابة»: ٣٤٧/٦ ومسلم في الحج، باب ما يتدب للمحرم وغيره قتله من الدواب... برقم (١١٩٨) عن ابن عمرو بروايات مختلفة: ٨٥٦/٢.

(٧) أخرجه مسلم في السلام — باب قتل الحيات وغيرها، برقم (٢٢٣٦): ١٧٥٦/٤ عن أبي سعيد بلفظ: «إن بالمدينة نفراً من الجن قد أسلموا، فمن رأى شيئاً من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثاً، فإن بدا له بعد فليقتله فإنه شيطان».

(٨) زيادة من ب.



قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مَسْقَرٌ﴾ موضع قرار ﴿وَمَتَاعٌ﴾ بُلْغَةٌ وَمَسْتَمَعَ ﴿إِلَى حِينٍ﴾ إلى انقضاء آجالكم ﴿فَلَقَى﴾ تلقى والتلقى: هو قبول عن فطنة وفهم، وقيل: هو التعلم ﴿آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ قراءة العامة: آدَمُ برفع الميم وكلماتٍ بخفض التاء. قرأ ابن كثير: آدَمَ بالنصب، كلمات برفع التاء يعني جاءت الكلمات آدَمَ من ربه، وكانت سبب توبته. واختلفوا في تلك الكلمات قال سعيد بن جبير ومجاهد والحسن: هي قوله «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا» الآية. وقال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي: هي قوله لا إله إلا أنت سبحانك ومحمدك رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت (التواب الرحيم) (١).

لا إله إلا أنت سبحانك ومحمدك رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني إنك أنت أرحم الراحمين (٢) وقال عبيد بن عمير: هي أن آدم قال يارب أرأيت ما أتيت شيء ابتدعته من تلقاء نفسي أم شيء قَدَّرته عليَّ قبل أن تخلقني؟ قال الله تعالى: بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك. قال يارب فكما قدرته قبل أن تخلقني فاغفر لي (٣).

وقيل: هي ثلاثة أشياء الحياء والدعاء والبيكاء، قال ابن عباس بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً، ولم يقرب آدم / حواء مائة سنة، وروى المسعودي عن ١٠/أ يونس بن خباب وعلقمة بن مرثد قالوا: لو أن دموع جميع أهل الأرض جمعت (لكانت) (٤) دموع داود أكثر حيث أصاب الخطيئة ولو أن دموع داود ودموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم أكثر حيث أخرجه الله من الجنة قال: شهر بن حوشب: بلغني أن آدم لما (هبط) (٥) إلى الأرض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى (٦).

(١) في ب الغفور.

(٢) قال ابن جرير الطبري، رحمه الله، بعد أن ساق الأقوال ونسبها لقائلها: «وهذه الأقوال التي حكيناها عن حكيائها عنه، وإن كانت مختلفة الألفاظ، فإن معانيها متفقة في أن الله جل ثناؤه لقى آدم كلمات، فلقاهن آدم من ربه فقبلهن وعمل بهن، وتاب، بقيله إياهن وعمله بهن، إلى الله من خطيئته، معترفاً بذنبه متصلاً إلى ربه من خطيئته، نادماً على ما سلف منه من خلاف أمره، فتاب الله عليه بقوله الكلمات التي تلقاهن منه، وندمه على سالف الذنب منه.

والذي يدل عليه كتاب الله: أن الكلمات التي تلقاهن آدم من ربه، هنَّ الكلمات التي أخبر الله عنه أنه قالها متصلاً بقبلها إلى ربه، معترفاً بذنبه، وهو قوله «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا» وليس ما قاله من خالف قولنا هذا — من الأقوال التي حكيناها — بمدفوع قوله، ولكنه قول لا شاهد عليه من حجة يجب التسليم لها، فيجوز لنا إضافته إلى آدم، وأنه مما تلقاه من ربه عند إنابته إليه من ذنبه». تفسير الطبري: ٥٤٦/١، وانظر: التفسير الوسيط للواحدى ٨٧/١، ابن كثير: ١٤٩/١. الاسرائيليات والموضوعات للشيخ محمد أبو شهية ص ٢٥٤.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ١٤٩/١، الطبري: ٥٤٥/١، الوسيط للواحدى: ٨٧/١.

(٤) في (أ) لكان.

(٥) في (ب) أهبط.

(٦) انظر: الدر المنثور: ١٤١/١-١٤٢.

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ  
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ  
﴿٢٩﴾ يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي  
فَارْهَبُونَ ﴿٣٠﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا  
تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونِ ﴿٣١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا لِلْحَقِّ  
وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿٣٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٣٣﴾

قوله: ﴿فتاب عليه﴾ فتجاوز عنه ﴿إنه هو التواب﴾ يقبل توبة عباده ﴿الرحيم﴾ بخلقه.

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ يعني هؤلاء الأربعة. وقيل: الهبوط الأول من الجنة إلى السماء الدنيا والهبوط (الآخر) <sup>(١)</sup> من السماء الدنيا إلى الأرض ﴿فإمّا يأتينكم﴾ أي فإن يأتكم ياذرية آدم ﴿منِّي هدى﴾ أي رشد وبيان شريعة، وقيل: كتاب ورسول ﴿فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ قرأ يعقوب: فلا خوف بالفتح في كل القرآن والآخرين بالضم والتنوين فلا خوف عليهم فيما [يستقبلون هم] <sup>(٢)</sup> ﴿ولا هم يحزنون﴾ على ما خلفوا. وقيل: لا خوف عليهم في الدنيا ولا هم يحزنون في الآخرة ﴿والذين كفروا﴾ (يعني جحدوا) <sup>(٣)</sup> ﴿وكذبوا بآياتنا﴾ بالقرآن ﴿أولئك أصحاب النار﴾ يوم القيامة ﴿هم فيها خالدون﴾ لا يخرجون منها ولا يموتون فيها.

قوله تعالى: ﴿يا بني إسرائيل﴾ يا أولاد يعقوب. ومعنى إسرائيل: عبد الله، وإيل هو الله تعالى، وقيل صفوة الله، وقرأ أبو جعفر: إسرائيل بغير همز ﴿اذكروا﴾ احفظوا، والذكر: يكون بالقلب ويكون باللسان وقيل: أراد به الشكر، وذكر بلفظ الذكر لأن في الشكر ذكراً وفي الكفران نسياناً، قال الحسن: ذكر النعمة شكرها ﴿نعمتي﴾ أي: نعمي، لفظها واحد ومعناها جمع <sup>(٤)</sup> كقوله تعالى «وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها» (٣٤ - إبراهيم) ﴿التي أنعمت عليكم﴾ أي على أجدادكم وأسلافكم. قال قتادة: هي النعم التي خصت بها بنو إسرائيل: من فلق البحر وإنجائهم من فرعون بإغراقه وتظليل الغمام عليهم في التيه، وإنزال المن والسلوى وإنزال التوراة، في نعم كثيرة لا تحصى، وقال غيره: هي جميع النعم التي لله عز وجل

(١) في ب: الثاني.

(٢) في ب فيما يستقبلهم.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) انظر: تفسير الواحدي ٩٠/١، القرطبي: ٣٣١/١.

على عباده ﴿وَأَوْفُوا بعهدي﴾ أي بامتنال أمري ﴿وَأَوْفِ بعهديكم﴾ بالقبول والثواب.

قال قتادة ومجاهد: أراد بهذا العهد ما ذكر في سورة المائدة «ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً إلى أن قال — لأَكْفُرَنَّ عَنْكُمْ سِيئاتِكُمْ» (١٢ — المائدة) فهذا قوله أَوْفِ بعهديكم. وقال الحسن هو قوله «وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة» (٦٣ — البقرة) فهو شريعة التوراة، وقال مقاتل هو قوله «وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله» (٨٣ — البقرة) وقال الكلبي عهد الله إلى بني إسرائيل على لسان موسى: إني باعث من بني اسماعيل نبياً أميناً فمن اتبعه وصدق بالنور الذي يأتي به غفرْتُ له ذنبه وأدخلته الجنة وجعلت له أجرين اثنين: وهو قوله: «وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ» (١٨٧ — آل عمران) يعني أمر محمد ﷺ.

﴿وإياي فارهبون﴾ فخافوني في نقض العهد. وأثبت يعقوب الياءات المحذوفة في الخط مثل فارهبوني، فاتقوني، واخشوني، والآخرون يحذفونها على الخط ﴿وآمَنُوا بما أنزلت﴾ يعني القرآن ﴿مصدقاً لما معكم﴾ أي موافقاً لما معكم يعني: التوراة، في التوحيد والنبوة والأخبار ونعت النبي ﷺ، نزلت في كعب بن الأشرف وأصحابه من علماء اليهود ورؤسائهم<sup>(١)</sup> ﴿ولا تكونوا أول كافر به﴾ أي بالقرآن يريد من أهل الكتاب، لأن قريشاً كفرت قبل اليهود بمكة، معناه: ولا تكونوا أول من كفر بالقرآن فيتابعكم اليهود على ذلك فتبوءوا بآثامكم وآثامهم ﴿ولا تشتروا﴾ أي: ولا تستبدلوا ﴿بآياتي﴾ ببيان صفة محمد ﷺ ﴿ثمناً قليلاً﴾ أي عَرَضاً يسيراً من الدنيا وذلك أن رؤساء اليهود وعلماءهم كانت لهم مآكل يصيبونها من سفلتهم وجهالهم يأخذون منهم كل عام شيئاً معلوماً من زروعهم وضروعهم ونقودهم فخافوا إن هم بينوا صفة محمد ﷺ وتابعوه أن تفوتهم تلك المآكل فغيروا نعتهم وكتبوا اسمه فاختاروا الدنيا على الآخرة ﴿وإياي فاتقون﴾ فاحشوني ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾ أي لا تخلطوا، يقال لبس الثوب يلبس لبساً، ولبس عليه الأمر يلبس لبساً أي خلط. يقول: لا تخلطوا الحق الذي، أنزلت عليكم من صفة محمد ﷺ بالباطل الذي تكتبونه بأيديكم من تغيير صفة محمد ﷺ.

والأكثرون على أنه أراد: لا تلبسوا الإسلام باليهودية والنصرانية<sup>(٢)</sup>.

وقال مقاتل: إن اليهود أقروا ببعض صفة محمد ﷺ وكتبوا بعضاً ليصدقوا في ذلك فقال: ولا تلبسوا الحق الذي تقررون به بالباطل يعني بما تكتبونه، فالحق: بيانهم، والباطل: كتمانهم وتكتموا الحق أي لا تكتموه، يعني: نعت محمد ﷺ.

(١) انظر: تفسير الواحدي: ٩٢/١.

(٢) عن قتادة قال: لا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام وأنتم تعلمون أن دين الله الإسلام، وأن اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله. انظر: الدر المنثور: ١/١٥٥، وأقرأ بحثاً بعنوان «إن الدين عند الله الإسلام» في العدد (١٦) من مجلة البحوث الإسلامية. الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٤٤﴾  
 ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا  
 رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ٤٦﴾ يَنْبَغِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ  
 عَلَى الْعَالَمِينَ ٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ  
 مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ٤٨﴾

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه نبي مرسل ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ يعني الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها  
 ﴿وَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ أدوا زكاة أموالكم المفروضة والزكاة مأخوذة من زكا الزرع إذا نما وكثر. وقيل: من تزكى  
 أي تطهر، وكلا المعنيين موجود في الزكاة، لأن فيها تطهيراً وتنمية للمال ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أي  
 صلوا مع المصلين: محمد ﷺ وأصحابه، وذكر بلفظ الركوع لأنه ركن من أركان الصلاة، ولأن صلاة  
 اليهود لم يكن فيها ركوع، فكانه قال: صلوا صلاة ذات ركوع، قيل: إعادته بعد قوله ﴿وَأَقِيمُوا  
 الصَّلَاةَ﴾ لهذا، أي صلوا مع الذين في صلاتهم ركوع، فالأول مطلق في حق الكل، وهذا في حق أقوام  
 مخصوصين. وقيل: هذا حث على إقامة الصلاة جماعة كأنه قال لهم: صلوا مع المصلين الذين سبقوكم  
 بالإيمان.

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ أي بالطاعة، نزلت في علماء اليهود، وذلك أن الرجل منهم كان يقول  
 لقريبه وحليفه من المسلمين إذا سأله عن أمر محمد ﷺ: اثبت علي دينه فإن أمره حق وقوله صدق.  
 وقيل: هو خطاب لأخبارهم حيث أمروا أتباعهم بالتمسك بالتوراة، ثم خالفوا وغيروا نعت محمد ﷺ  
 ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي تتركون أنفسكم فلا تتبعونه ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ تقرأون التوراة فيها نعته  
 وصفته ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنه حق فتبعونه؟.

والعقل مأخوذ من عقال الدابة، وهو ما يشدُّ به ركة البعير فيمنعه من الشرود، فكذلك العقل يمنع  
 صاحبه من الكفر والجحود.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو عمرو بكر بن محمد المزني أنا أبو بكر محمد بن عبد الله  
 حفيد العباس بن حمزة أنا الحسين بن الفضل البجلي أنا عفان أنا حماد بن سلمة أنا علي بن زيد عن أنس  
 ابن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت ليلة أسري بي رجالاً تقرض شفاهم بمقاريض من نار قلت:  
 من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون

الكتاب»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد / المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا علي بن عبد الله أنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل قال: قال أسامة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه (أي تنقطع أمعاؤه) في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه»<sup>(٢)</sup> فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمرم بالمعروف ولا آتية، وأنهم عن المنكر وآتية» وقال شعبة عن الأعمش «فيطحن فيها كما يطحن الحمار برحاه»<sup>(٣)</sup>.

﴿واستعينوا﴾ على ما يستقبلكم من أنواع البلاء وقيل: على طلب الآخرة ﴿بالصبر والصلاة﴾ أراد حبس النفس عن المعاصي. وقيل: أراد: الصبر على أداء الفرائض، وقال مجاهد: الصبر الصوم، ومنه سمي شهر رمضان شهر الصبر، وذلك لأن الصوم يزهد في الدنيا، والصلاة ترغبه في الآخرة، وقيل: الواو بمعنى على، أي: واستعينوا بالصبر على الصلاة، كما قال الله تعالى: «وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها» (١٣٢ - طه) ﴿وإنها﴾ ولم يقل وإنما رداً للكناية إلى كل واحد منهما أي وإن كل خصلة منهما. كما قال: «كلتا الجنتين آتت أكلها» (٣٣ - الكهف) أي كل واحدة منهما. وقيل: معناه ﴿واستعينوا بالصبر﴾ وإنه لكبير وبالصلاة وإنها لكبيرة، فحذف أحدهما اختصاراً، وقال المؤرج<sup>(٤)</sup>: رد الكناية إلى الصلاة لأنها أعم كقوله تعالى: «والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها» (٣٤ - التوبة) رد الكناية إلى الفضة لأنها أعم. وقيل: رد الكناية إلى الصلاة لأن الصبر داخل فيها. كما قال الله تعالى: «والله ورسوله أحق أن يرضوه» (٦٢ - التوبة) ولم يقل يرضوها لأن رضا الرسول داخل في رضا الله تعالى. وقال الحسين بن الفضل: «رد الكناية إلى الاستعانة ﴿لكبيرة﴾ أي: لثقله ﴿إلا على الخاشعين﴾

(١) أخرجه أحمد عن أنس بن مالك: ١٢٠/٣ و ٢٣١ و ٢٣٩.

وابن حبان برقم (٣٥) من موارد الظمان والمصنف في شرح السنة: ٣٥٣/١٤ وقال: هذا حديث حسن. وفي سنده علي بن زيد بن جدعان: ضعيف (التقريب: ٣٧/٢ ميزان الاعتدال: ١٢٨/٣) وباقي رجاله ثقات.

وأخرجه ابن حبان من طريق أخرى لا بأس بها فيتقوى بها الحديث.

وأخرجه الواحدي في التفسير الوسيط: ٩٦/١ باختلاف يسير عن أنس أيضاً.

(٢) الرُّحَى: الطاحون.

(٣) رواه البخاري: في بدء الخلق - باب صفة النار وأنها مخلوقة: ٣٣١/٦.

ومسلم: في الزهد - باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله برقم (٢٩٨٩) ٢٢٩٠/٤ - ٢٢٩١.

والمصنف في شرح السنة: ٣٥٢/١٤.

(٤) مؤرج السدوسي: مؤرج بن عمرو بن الحارث من بني سدوس بن شيان أبو فهد عالم بالعربية والانساب من أعيان أصحاب الخليل بن أحمد من أهل البصرة كان له اتصال بالمأمون العباسي ورحل معه إلى خراسان فسكن مدة بمرو وانتقل إلى نيسابور من كنبه: جماهير القبائل وحذف نسب قريش، وغريب القرآن، وكتاب الامثال، والمعاني (الأعلام: ٣١٨/٧).

وَاذْهَبْكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ  
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَادْفَنْبِكُمُ الْبَحْرَ  
فَأَنْجَيْنَكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾

يعني: المؤمنين، وقال الحسن: الخائفين وقيل: المطيعين وقال مقاتل بن حيان: المتواضعين، وأصل الخشوع السكون قال الله تعالى: «وخشعت الأصوات للرحمن» (١٠٨ - طه) فالخاشع ساكن إلى طاعة الله تعالى.

﴿الذين يظنون﴾ يستيقنون [أنهم مبعوثون وأنهم محاسبون وأنهم راجعون إلى الله تعالى، أي: يصدقون بالبعث، وجعل رجوعهم بعد الموت إلى المحشر رجوعاً إليه] (١).

والظن من الأضداد يكون شكاً وقيناً وأملاً، كالرجاء يكون خوفاً وأملاً وأمناً ﴿أنهم ملاقوا﴾ معابرو ﴿ربهم﴾ في الآخرة وهو رؤية الله تعالى وقيل: المراد من اللقاء الصيرورة إليه ﴿وأنهم إليه راجعون﴾ فيجزئهم بأعمالهم.

﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين﴾ أي عالمي زمانكم، وذلك التفضيل وإن كان في حق الآباء، لكن يحصل به الشرف للأبناء ﴿واتقوا يوماً﴾ واخشوا عقاب يوم ﴿لا تجزي نفس﴾ لا تقضي نفس ﴿عن نفس شيئاً﴾ أي حقاً لزمها وقيل: لا تغني، وقيل: لا تكفي شيئاً من الشدائد ﴿ولا يقبل منها شفاعة﴾ قرأ ابن كثير ويعقوب بالتاء لتأنيث الشفاعة، وقرأ الباقون بالياء لأن الشفع والشفاعة بمعنى واحد كالوعظ والموعظة، فالتذكير على المعنى، والتأنيث على اللفظ، كقوله تعالى: «قد جاءكم موعظة من ربكم» (٥٧ - يونس) وقال في موضع آخر «فمن جاءه موعظة من ربه» (٢٧٥ - البقرة) أي لا تقبل منها شفاعة إذا كانت كافرة ﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ أي فداء وسمي به لأنه مثل المفدي والعدل: المثل ﴿ولا هم ينصرون﴾ يمنعون من عذاب الله.

﴿واذ نجيناكم﴾ يعني: أسلافكم وأجدادكم فاعتدها منة عليهم لأنهم نجوا بنجاتهم ﴿من آل فرعون﴾: أتباعه وأهل دينه، وفرعون هو الوليد مصعب بن الريان وكان من القبط العماليق وعمر أكثر من اربعمائة سنة ﴿يسومونكم﴾ يكلفونكم ويذيقونكم، ﴿سوء العذاب﴾ أشد العذاب وأسوأه وقيل: يصرفونكم في العذاب مرة هكذا ومرة هكذا كالإبل السائمة في البرية، وذلك أن فرعون جعل بني

(١) ساقط من ب.

إسرائيل خدماً وخولاً<sup>(١)</sup> وصنفهم في الأعمال فصنف يينون، وصنف يحرثون ويزرعون، وصنف يخدمونه، ومن لم يكن منهم في عمل وضع عليه الجزية.

وقال وهب: كانوا أصنافاً في أعمال فرعون، فذوو القوة ينحتون السواري<sup>(٢)</sup> من الجبال حتى قرحت<sup>(٣)</sup> أعناقهم وأيديهم ودبرت<sup>(٤)</sup> ظهورهم من قطعها ونقلها، وطائفة ينقلون الحجارة، وطائفة يبنون له القصور، وطائفة منهم يضربون اللين ويطحنون الآجر، وطائفة نجارون وحدادون، والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج ضريبة يؤدونها كل يوم، فمن غربت عليه الشمس قبل أن يؤدي ضريبته غُلَّت يمينه إلى عنقه شهراً، والنساء يغزلن الكتان وينسجن، وقيل: تفسيره ذكر ما بعده، ﴿يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ فهو مذكور على وجه البديل من قوله — يسومونكم سوء العذاب ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يتركونهن أحياء، وذلك أن فرعون رأى في منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطني بها ولم تتعرض لبني إسرائيل فهاله ذلك وسأل الكهنة عن رؤياه؟ فقالوا: يولد في بني إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك، فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل وجمع القوابل فقال لمن: لا يسقطن على أيديكن غلام من بني إسرائيل إلا قتل ولا جارية إلا تركت، ووكل بالقوابل، فكن يفعلن ذلك حتى قيل: إنه قتل في بني إسرائيل اثني عشر ألف صبي في طلب موسى، وقال وهب: بلغني أنه ذبح في طلب موسى عليه السلام تسعين ألف وليد. قالوا: وأسرع الموت في مشيخه بني إسرائيل فدخل رؤوس القبط على فرعون وقالوا: إن الموت قد وقع في بني إسرائيل أفتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا؟ فأمر فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة، فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها، وموسى في السنة التي يذبحون فيها.

﴿وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قيل: البلاء المحنة، أي في سومهم إياكم سوء العذاب محنة عظيمة، وقيل: البلاء النعمة أي في إنجائي إياكم منهم نعمة عظيمة، فالبلاء يكون بمعنى النعمة وبمعنى الشدة، فالله تعالى قد يختبر على النعمة بالشكر، وعلى الشدة بالصبر وقال: الله تعالى: «ونبلوكم بالشر والخير فتنة» (٣٥ — الأنبياء).

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ قيل: معناه فرقنا لكم وقيل: فرقنا البحر بدخولكم إياه وسمي البحر ببحراً لاتساعه، ومنه قيل للفرس: بحر إذا اتسع في جريه، وذلك أنه لما دنا هلاك فرعون أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يسري ببني إسرائيل من مصر ليلاً فأمر موسى قومه أن يسرجوا في بيوتهم إلى الصبح،

(١) هم حشم الرجل وأتباعه، واحدهم خائل: وهو مأخوذ من التخويل: التخليك، وقيل من الرعاية.

(٢) الاسطوانات.

(٣) جرحت.

(٤) دبرت ظهورهم، مأخوذ من دبرت الدابة: قرحت ظهرها.

أ/١١

وأخرج الله تعالى كل ولد زنا في القبط من بني إسرائيل إليهم، وكل ولد زنا في بني إسرائيل / من القبط إلى القبط حتى رجع كل إلى أبيه، وألقى الله الموت على القبط فمات كل بكر لهم واشتغلوا بدفنه حتى أصبحوا وطلعت الشمس، وخرج موسى عليه السلام في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل، لا يعدون ابن العشرين لصغره، ولا ابن الستين لكبره، وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين إنساناً ما بين رجل وامرأة.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان أصحاب موسى ستمائة ألف وسبعين ألفاً<sup>(١)</sup>.

وعن عمرو بن ميمون قال: كانوا ستمائة ألف فلما أرادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى مشيخه بني إسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا: إن يوسف عليه السلام لما حضره الموت أخذ على إخوته عهداً أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد علينا الطريق، فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموا فقام موسى ينادي: أنشد الله كل من يعلم أين موضع قبر يوسف عليه السلام إلا أخبرني به؟ ومن لم يُعلم به فُصِّمَتْ أذناه عن قولي! وكان يمر بين الرجلين ينادي فلا يسمعان صوته حتى سمعته عجوز لهم فقالت: أرايتك إن دلتك على قبره أتعطيني كل ما سألتك؟ فأبى عليها وقال: حتى أسأل ربي (فأمره)<sup>(٢)</sup> الله تعالى بإيتائها سؤلها فقالت: إني عجوز كبيرة لا أستطيع المشي فاحملني وأخرجني من مصر، هذا في الدنيا وأما في الآخرة فأسألك أن لا تنزل غرفة من الجنة إلا نزلتها معك قال: نعم قالت: إنه في جوف الماء في النيل فادع الله حتى يحسر عنه الماء، فدعا الله تعالى فحسر عنه الماء، ودعا أن يؤخر طلوع الفجر إلى أن يفرغ من أمر يوسف عليه السلام، فحفر موسى عليه السلام ذلك الموضع واستخرجه في صندوق من مرمر، وحمله حتى دفنه بالشام، ففتح لهم الطريق فساروا وموسى عليه السلام على ساقاتهم<sup>(٣)</sup> وهارون على مقدمتهم، ونذر<sup>(٤)</sup> بهم فرعون فجمع قومه وأمرهم

(١) نقل ابن خلدون في مقدمة تاريخه أن المسعودي وكثيراً من المؤرخين ذكروا أن موسى عليه السلام أحصى بني إسرائيل في التيه، بعد أن أجاز من يطبق حمل السلاح خاصة، من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة ألف ويزيدون. ثم قُتِل ذلك لجملة أسباب: أ — إن في ذلك ذهولاً عن تقدير مصر والشام واتساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش، لكل مملكة من الممالك حصّة من الحامية تتسع لها وتقوم بوظائفها وتضيق عما فوقها، تشهد بذلك العوائد المعروفة والأحوال المألوفة. ب — ثم إن هل هذه الجيوش البالغة إلى مثل هذا العدد يبعد أن يقع بينها زحف أو قتال لضيق ساحة الأرض عنها، ويُغديها، إذا اصطُفّت، عن مدى البصر مرتين أو ثلاثاً أو أنيد، فكيف يقتتل هذان الفريقان أو تكون غلبة أحد الصفيين؟ وشيء من جوانبه لا يشعر بالجانب الآخر؟.

ح — وأيضاً: فلو بلغ بنو إسرائيل مثل هذا العدد لا تسع نطاق ملكهم وانفسح مدى دولتهم.

د — وأيضاً فالذي بين موسى وإسرائيل إنما هو أربعة آباء على ما ذكره المحققون، والمدة بينهما على ما نقله المسعودي مائتان وعشرين سنة، ويبعد أن يتشعب النسل في أربعة أجيال مثل هذا العدد. انظر: مقدمة ابن خلدون، ١٣/١ — ١٦، طبعة دار الكتاب العربي.

(٢) في الأصل: فأمر.

(٣) على مؤخرتهم: أي يقدمهم أمامه ويمشي خلفهم تواضعاً.

(٤) أي: علم.



أن لا يخرجوا في طلب بني إسرائيل حتى يصيح الديك، فوالله ما صاح ديك تلك الليلة، فخرج فرعون في طلب بني إسرائيل وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف، وكان فيهم سبعون ألفاً من دهم الخيل سوى سائر الشيات<sup>(١)</sup> [وقال محمد بن كعب رضي الله عنه: كان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم سوى سائر الشيات<sup>(٢)</sup>] وكان فرعون يكون في الدهم<sup>(٣)</sup> وقيل: كان فرعون في سبعة آلاف ألف، وكان بين يديه مائة ألف ناشب، ومائة ألف أصحاب حراب، ومائة ألف أصحاب الأعمدة، فسارت بنو إسرائيل حتى وصلوا إلى البحر والماء في غاية الزيادة فنظروا فإذا هم بفرعون حين أشرقت الشمس فبقوا متحيرين فقالوا: يا موسى كيف نصنع؟ وأين ما وعدتنا؟ هذا فرعون خلفنا إن أدركنا قتلنا! والبحر أماننا إن دخلناه غرقنا؟ قال الله تعالى: «فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون \* قال موسى كلا إن معي ربي سيهدين» (٦١ - ٦٢ الشعراء).

فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يقطع فأوحى الله إليه أن كنه فضربه وقال: انفلق يا أبا خالد بإذن الله تعالى، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، وظهر فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وأرسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صار ييساً فخاضت بنو إسرائيل البحر، كل سبط في طريق، وعن جانبيهم الماء كالجبل الضخم ولا يرى بعضهم بعضاً، فخافوا وقال كل سبط: قد قتل إخواننا فأوحى الله تعالى إلى جبال الماء: أن تشبكي، فصار الماء شبكات كالطبقات يرى بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى «وإذ فرقنا بكم البحر».

﴿فَأَنجَيْنَاكَ﴾ من آل فرعون والغرق ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ وذلك أن فرعون لما وصل إلى البحر فرآه منغلغلاً قال لقومه: انظروا إلى البحر انفلق من هيبتي حتى أدرك عبيدي الذين أبقوا ادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه وقيل: قالوا له إن كنت رياً فادخل البحر كما دخل موسى، وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن في خيل فرعون فرس أنثى فجاء جبريل على فرس أنثى وديق<sup>(٤)</sup> فتقدمهم وخاض البحر فلما شم أدهم فرعون ربحها اقتحم البحر في أثرها وهم لا يرونه ولم يملك فرعون من أمره شيئاً وهو لا يرى فرس جبريل واقتحمت الخيول جملة خلفه في البحر، وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يشحذهم ويسوقهم حتى لا يشذ رجل منهم ويقول لهم: الحقوا بأصحابكم حتى خاضوا كلهم البحر، وخرج جبريل من

(١) جمع الشية: وهي كل لون يخالف معظم لون الفرس.

(٢) هذه الأخبار من الأساطيل، لا يعتمد عليها في تفسير كتاب الله تعالى، ولا يتوقف فهمه عليها، والأولى أن نضرب عنها صفحاً.

(٣) ساقطة من (أ).

(٤) هو العدد الكثير، وهو أيضاً: الخيل السوداء.

(٥) فرس وديق: مريدة للفحل، تشبهه. وقد أورد الطبري في تفسيره هذه الرواية وفي تاريخه أيضاً.

وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾  
 ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ  
 وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ  
 بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَثَابَ  
 عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾

البحر، وهم أولهم بالخروج فأمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم وغرقهم أجمعين، وكان بين  
 طرفي البحر أربعة فراسخ وهو بحر قلزم، طرف من بحر فارس، قال قتاده: بحر من وراء مصر يقال له  
 إساف، وذلك بمراى من بني إسرائيل فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ إلى مصارعهم وقيل: إلى  
 هلاكهم.

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا﴾ هو من المفاعلة التي تكون من الواحد كقولهم: عافاك الله، وعاقبت اللص،  
 وطارت النعل. وقال الزجاج: كان من الله الأمر ومن موسى القبول، فلذلك ذكر بلفظ المواعدة، وقرأ أهل  
 البصرة (وَإِذْ وَعَدْنَا) من الوعد ﴿مُوسَى﴾ اسم عبري غُرب وهو بالعبرانية (مو) الماء (وش) الشجر، سمي  
 به لأنه أخذ من بين الماء والشجر، ثم قلبت الشين المعجمة سيناً في العربية ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ أي  
 انقضاءها: ثلاثين من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة، وقرن التاريخ بالليل دون النهار لأن شهور العرب  
 وضعت على سير القمر، والهلal إنما يهل بالليل وقيل: لأن الظلمة أقدم من الضوء، وخلق الليل قبل  
 النهار، قال الله تعالى: «وَأَيُّ لَهْمُ اللَّيْلِ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ» (٣٧ - يس) وذلك أن بني إسرائيل لما أمنوا  
 من عدوهم ودخلوا مصر<sup>(١)</sup> لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليها، فوعد الله موسى أن ينزل عليه  
 التوراة فقال موسى لقومه: إني ذاهب لميقات ربكم آتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وماتدرون، وواعدكم  
 أربعين ليلة، ثلاثين من ذي القعدة وعشراً من ذي الحجة، واستخلف عليهم أخاه هارون فلما أتى الوعد  
 جاء جبريل على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيئاً إلا حُيي ليذهب بموسى إلى ربه، فلما رآه  
 السامري وكان رجلاً صائغاً من أهل باجرمى واسمه ميخا، وقال سعيد بن جبير: كان من أهل كرمان،  
 وقال ابن عباس: اسمه موسى بن مظفر<sup>(٢)</sup>، وقال قتادة: كان من بني إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة،  
 وكان منافقاً أظهر الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقر، فلما رأى جبرائيل على ذلك الفرس ورأى

(١) والوجه أن يقال: ودخلوا الأرض المقدسة.

(٢) في ب: ظفر.

مواضع قدم الفرس تخضّر في الحال قال: إن لهذا شأنًا فأخذ قبضة من تربة حافر فرس جبرائيل عليه السلام. قال عكرمة: ألقى في روعه أنه إذا ألقى في شيء غيرَه، وكانت بنو إسرائيل قد استعاروا حلياً كثيرة من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بعلّة عرس لهم، فأهلك الله فرعون وبقيت تلك الحلي في أيدي بني إسرائيل، فلما فصل موسى قال السامري لبني إسرائيل: إن الحلي التي استعرقوها من قوم فرعون غنيمة لا تحل لكم، فاحفروا حفرة فادفنها فيها حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه.

وقال السدي: إن هارون عليه السلام أمرهم أن يلقوها في حفرة، حتى يرجع موسى ففعلوا، / فلما اجتمعت الحلي صاغها السامري عجلاً في ثلاثة أيام ثم ألقى فيها القبضة التي أخذها من تراب فرس جبرائيل عليه السلام، فخرج عجلاً من ذهب مرصعاً بالجواهر كأحسن ما يكون، وخار خورة، وقال السدي: كان يخور ويمشي فقال السامري «هذا إلهكم وإله موسى فنسي» (٨٨ - طه) أي فتركه هاهنا وخرج يطلبه.

وكانت بنو إسرائيل قد أخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضت عشرون يوماً ولم يرجع موسى وقعوا في الفتنة.

وقيل: كان موسى قد وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنهم في تلك العشرة فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا أنه قد مات ورأوا العجل وسمعوا قول السامري عكف ثمانية آلاف رجل منهم على العجل يعبدونه وقيل: كلهم عبدوه إلا هارون مع اثني عشر ألف رجل، وهذا أصح، وقال الحسن: كلهم عبدوه إلا هارون وحده فذلك قوله تعالى ﴿ثُمَّ اتَّخَذَ الْعِجْلُ أَي إلهاً﴾ (من بعده) أظهر ابن كثير وحفص الذال من أخذت واتخذت والآخرين يدغمونها ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ضارون لأنفسكم بالمعصية واضعون العبادة في غير موضعها ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ محونا ذنوبكم ﴿مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ من بعد عبادتكم العجل ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لكي تشكروا عفوي عنكم وصنيعي إليكم، قيل: الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية قال الحسن: شكر النعمة ذكرها قال الله تعالى «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» (١١ - الضحى) قال الفضيل: شكر كل نعمة أن لا يعصي الله بعد تلك النعمة وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر.

حكى أن موسى عليه السلام قال: إلهي أنعمت علي النعم السوابغ، وأمرتني بالشكر وإنما شكري إياك نعمة منك، قال الله تعالى: يا موسى تعلمت العلم الذي لا يفوقه شيء من علم، حسبي من عبدي أن يعلم أن ما به من نعمة فهو مني، وقال داود عليه السلام: سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكراً، كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ قال مجاهد: هو التوراة أيضاً

وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ  
تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا  
عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا  
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

ذكرها باسمين، وقال الكسائي: الفرقان نعت الكتاب والواو زائدة، يعني: الكتاب المرفق بين الحلال والحرام، وقال يمان بن رباب: أراد بالفرقان انفراق البحر كما قال «وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم ﴿لعلكم تهتدون﴾ بالتوراة.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ الذين عبدوا العجل ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ ضررتم بأنفسكم ﴿بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ إلهاً قالوا: فأبي شيء نصنع؟ قال: ﴿فَتَوْبُوا﴾ فارجعوا ﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ خالقكم قالوا: كيف نتوب؟ قال ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ يعني ليقتل البريء منكم المحرم ﴿ذَلِكَ﴾ أي القتل ﴿خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ فلما أمرهم موسى بالقتل قالوا: نصبر لأمر الله فجلسوا بالأفنية<sup>(١)</sup> محتبين<sup>(٢)</sup> وقيل لهم: من مدَّ حَبوته أو مد طرفه إلى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته، وأصلَّت القوم عليهم الخناجر، فكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره فلم يمكنهم المضي لأمر الله تعالى، قالوا: يا موسى كيف نفعل؟ فأرسل الله تعالى عليهم ضباباً وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضاً فكانوا يقتلونهم إلى المساء، فلما كثر القتل دعا موسى وهارون عليهما السلام وبكيا وتضرعا وقالوا: يارب هلكت بنو إسرائيل، البقية البقية، فكشف الله تعالى السحابة وأمرهم أن يكفوا عن القتل فتكشفت عن ألوف من القتلى.

روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: كان عدد القتلى سبعين ألفاً فاشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى إليه: أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول في الجنة، فكان من قتل منهم شهيداً، ومن بقي مكفراً عنه ذنبه، فذلك قوله تعالى ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم فتجاوز عنكم ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ القابل التوبة ﴿الرَّحِيمُ﴾ بخلقه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ وذلك أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختر موسى سبعين رجلاً

(١) جمع فناء: وهو سعة أمام البيت، وقيل ما امتد من جوانبه.

(٢) الاحتباء: أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بثوب أو غيره.

من قومه من خيارهم، فقال لهم: صوموا وتطهروا وطيّبوا ثيابكم، ففعلوا، فخرج بهم موسى إلى طور سيناء لميقات ربه، فقالوا لموسى: اطلب لنا نسمع كلام ربنا، فقال لهم: أفعل، فلما دنا موسى إلى طور سيناء من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله، فدخل في الغمام وقال للقوم: ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام وخروا سجداً، وكان موسى إذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه، فضرب دونهم الحجاب وسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه وأسمعهم الله: «أني أنا الله لا إله إلا أنا ذو بكة»<sup>(١)</sup> أخرجتكم من أرض مصر بيد شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري، فلما فرغ موسى وانكشف الغمام أقبل إليهم فقالوا: «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة» معانية وذلك أن العرب تجعل العلم بالقلب رؤية، فقال جهرة ليعلم أن المراد منه العيان ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ أي الموت، وقيل: نار جاءت من السماء فأحرقتهم ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ أي ينظر بعضكم إلى بعض حين أخذكم الموت. وقيل: تعلمون، والنظر يكون بمعنى العلم، فلما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع ويقول: ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكك خيارهم؟ «لو شئت أهلكهم من قبل وإياي أهلكنا بما فعل السفهاء منا» (١٥٥ — الأعراف) فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله تعالى رجلاً بعد رجل بعدما ماتوا يوماً وليلة، ينظر بعضهم إلى بعض، كيف يحيون فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ أحييناكم، والبعث: إثارة الشيء عن محله يقال بعث البعير وبعث النائم فانبعث ﴿مَنْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ﴾ قال قتادة: أحياهم ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم ولو ماتوا بآجالهم لم يبعثوا إلى يوم القيامة.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ \* وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ في التيه يقيكم حر الشمس، والغمام من الغم وأصله التغطية والستر سمي السحاب غماماً لأنه يغطي وجه الشمس وذلك أنه لم يكن لهم في التيه كنّ يستترهم فشكوا إلى موسى فأرسل الله تعالى غماماً أبيض رقيقاً أطيب من غمام المطر، وجعل لهم عموداً من نور يضيء لهم الليل إذا لم يكن لهم قمر ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾ أي في التيه، الأكثرون على أن المَنَّاء هو الترنجيب، وقال مجاهد: هو شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار طعمه كالشهد، وقال وهب: هو الخبز الرقاق، قال الزجاج: جملة المَنَّاء ما يمن الله به من غير تعب.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف / أنا محمد بن اسماعيل ١٢/أ أنا أبو نعيم أنا سفيان عن عبد الملك هو ابن عمير عن عمرو بن حريث عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الكمأة من المَنَّاء وماؤها شفاء للعين»<sup>(٢)</sup>.

(١) ذو بكة: أي ذو قوة.

(٢) رواه البخاري: في تفسير سورة البقرة باب: وظللنا عليكم الغمام: ١٦٣/٨ وفي تفسير سورة الأعراف وفي الطب.

ومسلم: في الأشربة — باب: فضل الكمأة ومداواة العين بها برقم (٢٠٤٩) ١٦١٩/٣.

والمصنف في شرح السنة: ٣٣٢/١١ — ٣٣٣.

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا  
وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا  
قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا  
يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

قالوا فكان هذا المن كل ليلة يقع على أشجارهم مثل الثلج، لكل إنسان منهم صاع، فقالوا: يا موسى قتلنا هذا المنُ بحلاوته فادع لنا ربك أن يطعمنا اللحم فأنزل الله تعالى عليهم السلوى وهو طائر يشبه السمانى، وقيل: هو السمانى بعينه، بعث الله سحابة فمطرت السمانى في عرض ميل وطول رح في السماء، بعضه على بعض والسلوى: العسل، فكان الله ينزل عليهم المن والسلوى كل صباح من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فيأخذ كل واحد منهم ما يكفيه يوماً وليلة وإذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد منهم ما يكفيه ليومين لأنه لم يكن ينزل يوم السبت.

﴿كلوا﴾ أي: وقلنا لهم: كلوا ﴿من طيبات﴾ حلالات ﴿ما رزقناكم﴾ ولا تَدَّخِرُوا لَغَدٍ، ففعلوا، فقطع الله ذلك عنهم، ودَّودُ وفسد ما ادخروا، فقال الله تعالى: ﴿وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ أي وما يخسوا بحقنا، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون باستيحابهم عذابي، وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة في الدنيا ولا حساب في العقبى.

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزياتي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر بن همام بن منبه أنا أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخبز اللحم»<sup>(١)</sup>، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر»<sup>(٢)</sup>.

﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية﴾ سميت القرية قرية لأنها تجمع أهلها، ومنه المقررة: للحوض، لأنها تجمع الماء، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي أريحا وهي قرية الجبارين كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق، وقيل: بلقاء، وقال مجاهد: بيت المقدس، وقال الضحاك: هي الرملة

(١) ينتن.

(٢) رواه البخاري: في الأنبياء — باب: قول الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر: ٤٣٠/٦.

مسلم: في الرضاع — باب لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر بقر (١٤٧٠) ١٠٩٢/٢.

والمصنف في شرح السنة: ١٦٤/٩.

وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ  
اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُتُوبًا وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا  
فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٢٠﴾

والأردن وفلسطين وتدمر، وقال مقاتل: إيليا، وقال ابن كيسان: الشام ﴿فكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾  
موسعاً عليكم ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ يعني باباً من أبواب القرية وكان لها سبعة أبواب ﴿سَجْدًا﴾ أي ركعاً  
خُضْعاً منحنيين، وقال وهب: فإذا دخلتموه فاسجدوا شكراً لله تعالى ﴿وَقُولُوا حِطَّةً﴾ قال قتادة: حط  
عنا خطايانا، أمروا بالاستغفار، قال ابن عباس: لا إله إلا الله، لأنها تحط الذنوب، ورفعها على تقدير:  
قولوا مسألتنا حطة ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ من الغفر وهو الستر، فالمغفرة تستر الذنوب، وقرأ أهل المدينة  
(ونافع) <sup>(١)</sup> بالياء وضمها وفتح الفاء، وقرأها ابن عامر بالتاء وضمها وفتح الفاء، وفي الأعراف قرأ جميعاً  
ويعقوب بالتاء وضمها، وقرأ الآخرون فيهما بنصب النون وكسر الفاء ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ثواباً من  
فضلنا ﴿فَبَدَّلَ﴾ فغير ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسهم وقالوا ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ وذلك أنهم بدلوا قول  
الحطة بالحنطة، فقالوا بلسانهم: حطانا سمقائاً أي حنطة حمراء، استخفافاً بأمر الله تعالى، وقال مجاهد:  
طُوْطِىء لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فأبوا أن يدخلوها سجداً فدخلوا على أستاذهم مخالفة في الفعل كما  
بدَّلوا القول وقالوا قولاً غير الذي قيل لهم.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل  
أنا اسحاق بن نصر أنا عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله  
ﷺ: «قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاذهم وقالوا  
حبة في شعرة» <sup>(٢)</sup>.

﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ قيل: أرسل الله عليهم طاعوناً فهلك منهم في ساعة  
واحدة سبعون ألفاً ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يعصون ويخرجون من أمر الله تعالى.

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ طلب السقيا ﴿لِقَوْمِهِ﴾ وذلك أنهم عطشوا في التيه فسألوا موسى أن  
يستسقي لهم ففعل فأوحى الله إليه كما قال: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ﴾ وكانت من آس الجنة طولها عشرة  
أذرع على طول موسى عليه السلام ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نوراً واسمها عليق حملها آدم عليه

(١) زيادة من ب.

(٢) رواه البخاري: في أحاديث الأنبياء ٤٣٦/٦ مسلم: في التفسير برقم (٣٠١٥) ٢٣١٢/٤.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسَىٰ لَنْ نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ  
الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي

السلام من الجنة فتوارثها الأنبياء حتى وصلت إلى شعيب عليه السلام فأعطاه موسى عليه السلام.  
قال مقاتل: اسم العصا بنعته قوله تعالى ﴿الحجر﴾ اختلفوا فيه قال وهب: لم يكن حجراً معيناً بل  
كان موسى يضرب أي حجر كان من عرض الحجارة فينفجر عيوناً لكل سبط عين، وكانوا اثني عشر  
سبطاً ثم تسيل كل عين في جدول إلى السبط الذي أمر أن يسقيهم، وقال الآخرون: كان حجراً معيناً  
بدليل أنه عُرِفَ بالألف واللام، قال ابن عباس: كان حجراً خفيفاً مربعاً على قدر رأس الرجل كان  
يضعه في مخلاته فإذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه، وقال عطاء: كان للحجر أربعة وجوه لكل  
وجه ثلاثة أعين لكل سبط عين وقيل: كان الحجر رخاماً، وقيل: كان من الكدّان<sup>(١)</sup> فيه اثنتا عشرة  
حفرة، ينبع من كل حفرة عين ماء عذب، فإذا فرغوا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء، وكان  
يسقي كل يوم ستمائة ألف، وقال سعيد بن جبير: هو الحجر الذي وضع موسى ثوبه عليه ليغتسل ففرّ  
بثوبه ومَرَّ به على ملاء من بني إسرائيل حين رَمَوْهُ بِالْأَذْرَةِ<sup>(٢)</sup> فلما وقف أناه جبريل فقال: إن الله تعالى  
يقول: ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة، ولك فيه معجزة، فرفعه ووضعته في مخلاته، قال عطاء: كان يضربه  
موسى اثنتي عشرة ضربة فيظهر على موضع كل ضربة مثل ثدي المرأة فيعرق ثم يتفجر الأنهار، ثم تسيل.  
وأكثر أهل التفسير يقولون: انبجست وانفجرت واحد، وقال أبو عمرو بن العلاء: انبجست عرقت  
وانفجرت، أي: سالت، فذلك قوله تعالى:

﴿فَانفَجَرَتْ﴾ أي فضرب فانفجرت أي سالت منه ﴿اثنتا عشرة عيناً﴾ على عدد الأسباط ﴿قد  
علم كل أناس مشربهم﴾ موضع شربهم لا يدخل سبط على غيره في شربه ﴿كلوا واشربوا من رزق الله﴾  
أي وقلنا لهم كلوا من المن والسلوى، واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذي يأتيكم بلا مشقة  
﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ والعيث: أشدُّ الفساد يقال عثى يعثى عيثاً، وعثا يعثو عثواً وعاث  
يعيث عيثاً.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ وذلك أنهم أجمعوا وسموا من أكل  
المن والسلوى، وإنما قال ﴿على طعام واحد﴾ وهما اثنان لأن العرب تعبر عن الاثنين بلفظ الواحد كما تعبر  
عن الواحد بلفظ الاثنين، كقوله تعالى / «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» (٢٢ - الرحمن) وإنما يخرج من

ب/١٢

(١) الحجر الرخو كأنه مدر وربما كان نجراً.

(٢) انتفاخ الخصية.



هُوَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآسَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ  
الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَبَغَضَ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ  
وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١﴾

المالح دون العذب وقيل: كانوا يأكلون أحدهما بالآخر فكانا كقطعام واحد وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم: كانوا يعجنون المن بالسلوى فيصيران واحداً ﴿فادع لنا﴾ فاسأل لأجلنا ﴿وبك يخرج لنا﴾ مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها ﴿قال ابن عباس: والقوم الخبز: وقال عطاء، الخنطة وقال القتيبي رحمه الله تعالى: الحبوب التي تؤكل كلها وقال الكلبي: ﴿وعدسها وبصلها قال﴾ لهم موسى عليه السلام ﴿أتستبدلون الذي هو أدنى﴾ أخس وأردى ﴿بالذي هو خير﴾ أشرف وأفضل وجعل الخنطة أدنى في القيمة وإن كان هو خيراً من المن والسلوى، أو أراد أنها أسهل وجوداً على العادة، ويجوز أن يكون الخير راجعاً إلى اختيار الله لهم واختيارهم لأنفسهم ﴿أهبطوا مصر﴾ يعني فإن أبيت إلا ذلك فانزلوا مصر من الأمصار، وقال الضحاك: هو مصر موسى وفرعون، والأول أصح، لأنه لو أراد لم يعرفه ﴿فإن لكم ما سألتكم﴾ من نبات الأرض ﴿وضربت عليهم﴾ جعلت عليهم وألزموا ﴿الذلة﴾ الذل والهوان قيل: بالجزية، وقال عطاء بن السائب: هو الكسبيج والزناز وزى اليهودية ﴿والمسكنة﴾ الفقر، سمي الفقير مسكيناً لأن الفقر أسكنه وأقعدته عن الحركة، فترى اليهود وإن كانوا مياسير كأنهم فقراء، وقيل: الذلة هي فقر القلب فلا ترى في أهل الملل أذل وأحرص على المال من اليهود.

﴿وباءوا بغضب من الله﴾ رجعوا ولا يقال باؤوا إلا بشر وقال أبو عبيدة: احتملوا وأقروا به، ومنه الدعاء: أبوء (لك) <sup>(١)</sup> بنعمتك علي وأبوء بذنبي، أي أقر ﴿ذلك﴾ أي الغضب ﴿بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله﴾ بصفة محمد ﷺ وآية الرجم في التوراة ويكفرون بالانجيل والقرآن ﴿ويقتلون النبيين﴾ تفرد نافع بهمز النبي وبابه، فيكون معناه الخبر من أنبأ نبيء ونبأ نبيء، والقراءة المعروفة ترك الهمة، وله وجهان: أحدهما هو أيضاً من الإنباء، تركت الهمة فيه تخفيفاً لكثرة الاستعمال، والثاني هو بمعنى الرفيع مأخوذة من النبوة وهي المكان المرتفع، فعلى هذا يكون النبيين على الأصل ﴿بغير الحق﴾ أي بلا جرم فإن قيل: فلم قال: بغير الحق وقتل النبيين لا يكون إلا بغير الحق؟ قيل ذكره وصفاً للقتل، والقتل تارة يوصف بغير الحق وهو مثل قوله تعالى: «قال رب احكم بالحق» (١١٢ - الانبياء) ذكر الحق وصفاً للحكم لا أن حكمه ينقسم إلى الجور والحق، ويروى أن اليهود قتلت سبعين نبياً في أول النهار وقامت سوق بقتلهم في آخر النهار ﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ يتجاوزون أمري ويرتكبون محارمي.

(١) ليست في الأصل.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
 الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ  
 ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا  
 فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ  
 لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ يعني اليهود سموا به لقولهم: إنا هدنا إليك أي ملنا إليك، وقيل: لأنهم هادوا أي تابوا عن عبادة العجل، وقيل: لأنهم مالوا عن دين الإسلام، وعن دين موسى عليه السلام، وقال أبو عمرو بن العلاء: لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة ويقولون: إن السموات والأرض تحركت حين أتى الله موسى التوراة ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ سموا به لقول الخواريين: نحن أنصار الله، وقال مقاتل: لأنهم نزلوا قرية يقال لها ناصرة، وقيل: لاعتزازهم إلى نصرة وهي قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام.

﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ قرأ أهل المدينة: والصابين والصابون بترك الهمزة والباقون بالهمزة، وأصله: الخروج، يقال: صبا فلان أي خرج من دين إلى دين آخر، وصبأت النجوم إذا خرجت من مطالعها، وصبا ناب البعير إذا خرج، فهؤلاء سموا به لخروجهم من دين إلى دين، قال عمر وابن عباس: هم قوم من أهل الكتاب، قال عمر رضي الله عنه: ذبائحهم ذبائح أهل الكتاب، وقال ابن عباس: لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم، وقال مجاهد: هم قبيلة نحو الشام بين اليهود والمجوس، وقال الكلبي: هم قوم بين اليهود والنصارى يخلقون أوساط رؤوسهم ويجبئون<sup>(١)</sup> مذاكيرهم، وقال قتادة: قوم يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة، ويصلون إلى الكعبة ويقرون بالله تعالى، أخذوا من كل دين شيئا، قال عبد العزيز بن يحيى: انقرضوا<sup>(٢)</sup>.

(١) يقطعونها.

(٢) وفي العراق في الوقت الحاضر أقلية من الصابية وهم يعتقدون بالخالق عز وجل ويؤمنون باليوم الآخر ويدعون أنهم يتبعون تعاليم آدم عليه السلام وأن نبيهم يحيى جاء ينقي دين آدم مما علق به وعندهم كتاب يسمونه (الكانزابرا) أي صحف آدم ومن عباداتهم الصلاة وتقتصر على الوقوف والركوع والجلوس على الأرض دون سجود ويؤدونها في اليوم ثلاث مرات قبل طلوع الشمس وعند زوالها وقبل غروبها ويتوجهون في صلاتهم إلى النجم القطبي.

أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام د/ عبد الكريم زيدان ص ١٤ - ١٥ وانظر أقوال الفقهاء في حكم الصابية في ابن كثير ١٨٩/١ - ١٩٠ أحكام القرآن للجصاص ٩١/٣.

﴿من آمن بالله واليوم الآخر﴾ فإن قيل: كيف يستقيم قوله ﴿من آمن بالله﴾ وقد ذكر في ابتداء الآية (إن الذين آمنوا)؟ قيل: اختلفوا في حكم الآية فقال بعضهم: أراد بقوله ﴿إن الذين آمنوا﴾ على التحقيق ثم اختلفوا في هؤلاء المؤمنين فقال قوم: هم الذين آمنوا قبل المبعث وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار، وقس بن ساعدة، وزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل، والبراء السني، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، ومجيرا الراهب، ووفد النجاشي، فمنهم من أدرك النبي ﷺ (وبإيعه)<sup>(١)</sup>، ومنهم من لم يدركه، وقيل: هم المؤمنون من الأمم الماضية، وقيل: هم المؤمنون من هذه الأمة ﴿والذين هادوا﴾ الذين كانوا على دين موسى عليه السلام، ولم يدلوا، والنصارى، الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام ولم يغيروا وماتوا على ذلك، قالوا: وهذان الاسمان لزمانهم زمن موسى وعيسى عليهما السلام حيث كانوا على الحق، كالإسلام لأمة محمد ﷺ، والصائبون زمن استقامة أمرهم ﴿من آمن﴾ أي من مات منهم وهو مؤمن لأن حقيقة الإيمان بالموافاة، ويجوز أن يكون الواو مضمراً أي: ومن آمن بعدك يا محمد إلى يوم القيامة، وقال بعضهم: إن المذكورين بالإيمان في أول الآية على طريق المجاز دون الحقيقة، ثم اختلفوا فيهم فقال بعضهم: الذين آمنوا بالانبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل: أراد بهم المنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم، واليهود والنصارى الذين اعتقدوا اليهودية والنصرانية بعد التبديل والصائبون بعض أصناف الكفار ﴿من آمن بالله واليوم الآخر﴾ من هذه الأصناف بالقلب واللسان ﴿وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم﴾ وإنما ذكر بلفظ الجمع لأن (من) يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ﴿ولا خوف عليهم﴾ في الدنيا ﴿ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة.

قوله تعالى ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم﴾ عهدكم يا معشر اليهود ﴿ورفعنا فوقكم الطور﴾ وهو الجبل بالسريانية في قول بعضهم، وهو قول مجاهد، وقيل: ما من لغة في الدنيا إلا وهي في القرآن، وقال الأكثرون: ليس في القرآن لغة غير لغة العرب لقوله تعالى: (قرآناً عربياً) وإنما هذا وأشباهه وقع وفقاً بين اللغتين<sup>(٢)</sup>، وقال ابن عباس: أمر الله تعالى جبلاً من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم، وذلك لأن الله تعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام فأمر موسى قومه أن يقبلوها ويعملوا بأحكامها فأبوا أن يقبلوها للأصار<sup>(٣)</sup> والأثقال التي هي فيها، وكانت شريعة ثقيلة فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام فقلع جبلاً على قدر عسكرهم، وكان فرسخاً في فرسخ، فرفعه فوق رؤوسهم مقدار قامة الرجل كالظلة، وقال لهم: إن لم تقبلوا التوراة أرسلت هذا الجبل عليكم، وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: رفع الله فوق رؤوسهم الطور، وبعث ناراً من قبل وجوههم، وأتاهم البحر المالح من خلفهم

(١) في ب: تابعه.

(٢) انظر أقوال العلماء فيما وقع في القرآن بغير لغة العرب، الاتقان للسيوطي ١٢٥/٢ .. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٣) جمع إصر: وهو هنا بمعنى العهد والميثاق، وقد يأتي بمعنى الإثم والعقوبة.

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾  
 فَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ  
 لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنَنْتَ خَدُّنَا هَذَا قَالِ أَتَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ  
 الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾

﴿خذوا﴾ أي قلنا لهم خذوا ﴿ما آتيناكم﴾ أعطيناكم ﴿بقوة﴾ بجد واجتهاد ومواظبة ﴿واذكروا﴾  
 وادرسوا ﴿ما فيه﴾ وقيل: احفظوه واعملوا به ﴿لعلكم تتقون﴾ لكي تنجوا من الهلاك في الدنيا والعذاب  
 في العقبى، فإن قبلتم وإلا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم في هذا البحر وأحرقتكم بهذه النار، فلما رأوا  
 أن لا مهرب لهم عنها قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجدوا، فصار سنة لليهود، ولا  
 يسجدون إلا على أنصاف وجوههم، ويقولون: بهذا السجود رفع العذاب عنا.

﴿ثم توليتم﴾ أعرضتم ﴿من بعد ذلك﴾ من بعد ما قبلتم التوراة ﴿فلولا فضل الله عليكم ورحمته﴾  
 يعني بالإمهال والإدراج وتأخير العذاب عنكم ﴿لكنتم﴾ لصرتم ﴿من الخاسرين﴾ من المغبونين بالعقوبة  
 وذهاب الدنيا والآخرة وقيل: من المعذنين في الحال لأنه رحمهم بالإمهال.

قوله تعالى ﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت﴾ أي جاوزوا الحد، وأصل السبت:  
 القطع، قيل: سمي يوم السبت بذلك لأن الله تعالى قطع فيه الخلق، وقيل: لأن اليهود أمروا فيه بقطع  
 الأعمال، والقصة فيه: أنهم كانوا زمن داود عليه السلام بأرض يقال لها أيلة حرم الله عليهم صيد السمك  
 يوم السبت، فكان إذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك حتى يخرج خراطيمهم من  
 الماء لأمنها، حتى لا يرى الماء من كثرتها، فإذا مضى السبت تفرق ولزمن مقل<sup>(١)</sup> البحر، فلا يرى شيء  
 منها فذلك قوله تعالى «إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يستطيعون لا تأتيهم» (١٦٣) —  
 الأعراف).

ثم ان الشيطان وسوس إليهم وقال: إنما نهيتهم عن أخذها يوم السبت، فعمد رجال فحفروا الحياض  
 حول البحر، وشرعوا منه إليها الأنهار، فإذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار، فأقبل الموج بالحيتان  
 إلى الحياض، فلا يقدرن على الخروج لبعدها وعمقها وقلة مائها، فإذا كان يوم الأحد أخذوها، وقيل: كانوا  
 يسوقون الحيتان إلى (الحياض)<sup>(٢)</sup> يوم السبت ولا يأخذونها ثم يأخذونها يوم الأحد، وقيل: كانوا ينصبون

(١) مقر البحر واسفله.

(٢) زيادة من (ب).

الحبائل والشيوخ يوم الجمعة ويخرجونها يوم الأحد ففعلوا ذلك زماناً ولم تنزل عليهم عقوبة فنجروا على الذنب وقالوا: ما نرى السبت إلا وقد أحل لنا فأخذوا وأكلوا وملحوا وباعوا واشتروا وكثر ما لهم، فلما فعلوا ذلك صار أهل القرية، وكانوا نحواً من سبعين ألفاً، ثلاثة أصناف: صنف أمسك ونهى، وصنف أمسك ولم ينه، وصنف انتهك الحرمة، وكان الناهون اثني عشر ألفاً، فلما أبى المجرمون قبول نصيحهم قالوا: والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بمجدار وعبروا بذلك سنتين، فلعنهم داود عليه السلام، وغضب الله عليهم لإصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين أحد ولم يفتحوا بابهم، فلما أبطؤوا تسوروا عليهم الحائط فإذا هم جميعاً قردة لها أذنان يتعاونون، قال قتادة: صار الشبان قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيام ولم يتوالدوا.

قال الله تعالى: ﴿فقلنا لهم كونوا قردة﴾ أمر تحويل وتكوين ﴿خاسئين﴾ مبعدين مطرودين، وقيل: فيه تقديم وتأخير أي كونوا خاسئين قردة ولذلك لم يقل خاسئات، والخسأ الطرد والإبعاد، وهو لازم ومتعد يقال: خَسَأَتْهُ خَسْأً فخسأً خُسُوءاً مثل: رجعت رجلاً فرجع رجوعاً ﴿فجعلناها﴾ أي جعلنا عقوبتهم بالمسخ ﴿نكالاً﴾ أي عقوبة وعبرة، والنكال اسم لكل عقوبة ينكل الناظر من فعل ما جعلت العقوبة جزاء عليه، ومنه النكول عن اليمين وهو الامتناع، وأصله من النكل وهو القيد ويكون جمعه: أنكالاً ﴿لما بين يديها﴾ قال قتادة: أراد بما بين يديها يعني ما سبقت من الذنوب، أي جعلنا تلك العقوبة جزاء لما تقدم من ذنوبهم قبل نهيهم عن أخذ الصيد ﴿وما خلفها﴾ ما حضر من الذنوب التي أخذوا بها، وهي العصيان بأخذ الحيتان، وقال أبو العالية والربيع: عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم أن يستنوا بسنتهم، و(ما) الثانية بمعنى من، وقيل: (جعلناها) أي جعلنا قرية أصحاب السبت عبرة لما بين يديها أي القرى التي كانت مبنية في الحال ﴿وما خلفها﴾ وما يحدث من القرى من بعد ليتعظوا، وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: فجعلناها وما خلفها، أي ما أعد لهم من العذاب في الآخرة، نكالاً وجزاء لما بين يديها أي لما تقدم من ذنوبهم باعتدائهم في السبت ﴿وموعظة للمتقين﴾: للمؤمنين من أمة محمد ﷺ فلا يفعلون مثل فعلهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ البقرة هي الأنثى من البقر يقال: هي مأخوذة من البقر وهو الشق، سميت به لأنها تشق الأرض للحرارة .

والقصة<sup>(١)</sup> فيه أنه كان في بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه، فلما طال عليه

(١) القصة من الاسرائيليات، كما يظهر، ولا يقبل في تفسير كتاب الله إلا ما جاء برواية ثابتة. وقال ابن كثير رحمه الله بعد أن قص قصة البقرة: وهذه السياقات عن عبادة وأبي العالية والسدي وغيرهم فيها اختلاف والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني اسرائيل، وهي مما يجوز نقلها، ولكن لا تصدق ولا تكذب. فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا، والله أعلم». تفسير ابن كثير ١٩٧/١ وانظر: الاسرائيليات في التفسير والحديث للدكتور محمد حسين الذهبي.

موته قتله ليرثه، وحمله إلى قرية أخرى وألقاه بفنائهم، ثم أصبح يطلب ثأره وجاء بناس إلى موسى يدعي عليهم القتل، فسألهم موسى فجحدوا، واشتبه أمر القتل على موسى، قال الكلبي: وذلك قبل نزول القسامة<sup>(١)</sup> في التوراة، فسألوا موسى أن يدعو الله لبيِّن لهم بدعائه، فأمرهم الله بذبح بقرة فقال لهم موسى: إنَّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴿قَالُوا أَتُخَذْنَا هُزُؤًا﴾ أي: تستهزء بنا، نحن نسألك عن أمر القتل وتأمرنا بذبح البقرة!! وإنما قالوا ذلك لبعد ما بين الأمرين في الظاهر، ولم يدروا ما الحكمة فيه، قرأ حمزة هُزُوا وكفوا بالتخفيف وقرأ الآخرون بالثقل، وبترك الهمزة حفص ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾ أمتنع بالله ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي من المستهزئين بالمؤمنين وقيل: من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال لأن الجواب لا على وفق السؤال جهل، فلما علم (القوم)<sup>(٢)</sup> أن ذبح البقرة عَزَمَ من الله عز وجل استوصفوها، ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم وكانت تحته حكمة، وذلك أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح له (ابن)<sup>(٣)</sup> طفل وله عَجَلَةٌ أتى بها إلى غيضة<sup>(٤)</sup> وقال: اللهم إني أستودعك هذه العجلة لابني حتى تكبر، ومات الرجل فصارت العجلة في الغيضة عوناً<sup>(٥)</sup>، وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن وكان باراً بوالدته، وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلي ثلثاً وينام ثلثاً، ويجلس عند رأس أمه ثلثاً، فإذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به إلى السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه، ويأكل ثلثه، ويعطي والدته ثلثه، فقالت له أمه يوماً: إن أباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع إله إبراهيم وإسماعيل واسحاق أن يردها عليك / وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يخيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها، وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها، فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال: أعزم بإله إبراهيم وإسماعيل واسحاق يعقوب أن تأتي إلي فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها، فتكلمت البقرة بإذن الله تعالى فقالت: أيها الفتى البار بوالدتك اركبني فإن ذلك أهون عليك، فقال الفتى: إن أمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت: خذ بعنقها، فقالت البقرة: بإله بني إسرائيل لو ركبني ما كنت تقدر علي أبداً، فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل ليرك بأملك، فسار الفتى بها إلى أمه فقالت له: إنك فقير لا مال لك فيشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة، قال: بكم أبيعها؟ قالت: بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتني وكان ثمن البقرة يومئذ ثلاثة دنانير، فانطلق بها إلى السوق، فبعث الله ملكاً ليرى خلقه قُدْرَتَهُ وليختبر الفتى كيف برَّ بوالدته، وكان الله به

١٣/ب

(١) الأيمان تقسم على أولياء القتل الذين ادعوا الدم.

(٢) في الأصل: الناس.

(٣) من ب.

(٤) الشجر الملتف.

(٥) متوسط في السن بين الصغير والكبير.

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٢٩﴾

خبيراً فقال له الملك: بكم تباع هذه البقرة؟ قال: بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضى والدتي فقال الملك: لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك فقال الفتى: لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلا برضى أمي فردها إلى أمه فأخبرها بالثمن فقالت: ارجع فبعها بستة دنانير على رضى مني، فانطلق بها إلى السوق وأتى الملك فقال: استأمرت أمك فقال الفتى: إنها أمرتني أن لا أنقصها عن ستة على أن أستأمرها فقال الملك: فإني أعطيك اثني عشر على أن لا تستأمرها، فأبى الفتى، فرجع إلى أمه فأخبرها، فقالت إن الذي يأتيك ملك في صورة آدمي ليختبرك فإذا أتاك فقل له: أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟ (ففعّل) (١) فقال له الملك: اذهب إلى أمك وقل لها أمسكي هذه البقرة فإن موسى بن عمران عليه السلام يشتريها منك لقتيل يقتل في بني إسرائيل فلا تبعوها إلا بملء مسكها دنانير، فأمسكوها، وقدّر الله تعالى على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون موسى حتى وصف لهم تلك البقرة، مكافأة له على بره بوالدته فضلاً منه ورحمة (فذلك) (٢).

قوله تعالى ﴿قَالُوا: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ أي (ماصفتها) (٣) ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿إِنَّهُ يَقُولُ﴾ يعني فسأل الله تعالى فقال: إنه، يعني أن الله تعالى يقول ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ أي لا كبيرة ولا صغيرة، والفارض المسنة التي لا تلد، يقال منه: فرضت تفرض فروضاً، والبكر الفتاة الصغيرة التي لم تلد قط، وحذفت (الهاء) (٤) منهما للاختصاص بالإناث كالحائض ﴿عَوَانٌ﴾ وسط نصف ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي بين الستين يقال عَوْنَتِ المرأة تعويناً: إذا زادت على الثلاثين، قال الأخفش (العوان: التي لم تلد قط، وقيل: (٥) العوان التي نتجت مراراً وجمعها عَوْنٌ ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال ﴿قَالُوا: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ: إِنَّهُ يَقُولُ: إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ قال ابن عباس: شديد الصفرة، وقال قتادة: صافٍ، وقال الحسن: الصفراء السوداء، والأول أصح لأنه لا يقال أسود فاقع إنما يقال: أصفر فاقع، وأسود (حالك) (٦) وأحمر قانيء، وأخضر ناضر، وأبيض بقق للمبالغة، ﴿تَسُرُّ﴾

(١) من ب.

(٢) من ب.

(٣) في ب: سنها.

(٤) من ب.

(٥) ساقط من (ب) ومن المطبوع.

(٦) في الأصل كالج.

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمُ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

الناظرين ﴿٧٣﴾ : إليها يعجبهم حُسنها وسفاه لونها.

﴿قالوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾ أسامة أم عاملة ﴿إن البقر تشابه علينا﴾ ولم يقل تشابهت لتذكير لفظ البقر كقوله تعالى: «أعجاز نخل منقعر» (٢٠ - القمر) وقال الزجاج: أي جنس البقر تشابه، أي التبس واشتبه أمره علينا فلا نهتدي إليه ﴿وإننا إن شاء الله لمهتدون﴾ إلى وصفها، قال رسول الله ﷺ: «(والله) (١) لو لم يستثنوا لما بينت لهم إلى آخر الأبد» (٢) ﴿قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول﴾ مذلة بالعمل يقال: رجل ذلول بين الذل، ودابة ذلول بينة الذل ﴿تثير الأرض﴾ تقلبها للزراعة ﴿ولا تسقي الحرث﴾ أي ليست بساقية ﴿مسلمة﴾ بريئة من العيوب ﴿لا شية فيها﴾ لا لون لها سوى لون جميع جلدها قال عطاء: لا عيب فيها، وقال مجاهد: لا بياض فيها ولا سواد ﴿قالوا: الآن جئت بالحق﴾ أي بالبيان التام الشافي الذي لا إشكال فيه، وطلبوها فلم يجدوا بكمال وصفها إلا مع الفتى فاشتروها بملء مسكها ذهباً، ﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾ من غلاء ثمنها وقال محمد بن كعب: وما كادوا يجدونها باجتماع أوصافها، وقيل ﴿وما كادوا يفعلون﴾ من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها.

قوله عز وجل: ﴿وإذ قتلتم نفساً﴾ هذا أول القصة وإن كانت مؤخرة في التلاوة، واسم القاتل (عاميل) (٣) ﴿فأدأراكم فيها﴾ أصله تدارأتم فأدغمت التاء في الدال وأدخلت الألف، مثل قوله: «أثاقلت»، قال ابن عباس ومجاهد: معناه فاختلقت، وقال الربيع بن أنس: تدافعت، أي يحيل بعضكم على بعض من الدرء وهو الدفع، فكان كل واحد يدفع عن نفسه ﴿والله مخرج﴾ أي مظهر ﴿ما كنتم تكتمون﴾ فإن القاتل كان يكتم القتل ﴿فقلنا اضربوه﴾ يعني القاتل ﴿ببعضها﴾ أي ببعض البقرة،

(١) في ب وإيم الله.

(٢) الطبري: ٢٠٥/٢، ابن كثير: ١٩٩/١، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة.

وقال ابن حجر في الكافي الشاف ص (٨): أخرجه ابن جرير من طريق ابن جريج مرفوعاً، وهو معضل.

(٣) معرفة الاسم ليس عليه دليل، والعلم به لا ينفع، والجهل به لا يضُرُّ.



واختلفوا في ذلك البعض، قال ابن عباس رضي الله عنه وأكثر المفسرين: ضربه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو المقتل، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: بَعْجَبِ الذنب لأنه أول ما يخلق وآخر ما يبلى، وَيُرْكَبُ عليه الخَلْقُ، وقال الضحاك: بلسانها، وقال الحسين بن الفضل: هذا أدلُّ بها لأنه آلة الكلام، وقال الكلبي وعكرمة: بفخذها الأيمن، وقيل: بعضو منها لا بعينه، ففعلوا ذلك فقام القتل حياً بإذن الله تعالى وأوداجه، أي عروق العنق، تشخب دماً وقال: قتلني فلان، ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث، وفي الخبر: «ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة»<sup>(١)</sup> وفيه إضمار تقديره: فضرب فحسي ﴿كَذَلِكَ يَحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ كما أحيا عاميل، ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ قيل تمنعون أنفسكم من المعاصي.

أما حكم هذه المسألة في الإسلام: إذا وجد قتيل في موضع ولا يعرف قاتله فإن كان ثمَّ (لوث)<sup>(٢)</sup> على إنسان — واللوث: أن يغلب على القلب صدق المدعي، بأن اجتمع جماعة في بيت أو صحراء فتفرقوا عن قتيل يغلب على القلب أن القاتل فيهم، أو وجد قتيل في محلة أو قرية كلهم أعداء للقتيل لا يخالطهم غيرهم، فيغلب على القلب أنهم قتلوه — فادعى الولي على بعضهم، يخلف المدعي خمسين يمينا على من يدعي عليه، وإن كان الأولياء جماعة تُوزَّع الأيمان عليهم، ثم بعدما حلفوا أخذوا الدية من عاقلة المدعي عليه إن ادعوا قَتْلَ خطيأ، وإن ادعوا قتل عمد فمن ماله، ولا قود على قول الأكثرين وذهب بعضهم إلى وجوب القود، وهو قول عمر بن العزيز وبه قال مالك وأحمد، وإن لم يكن على المدعي عليه لوث فالقول قول المدعي عليه مع يمينه ثم هل يخلف يمينا واحدة أم خمسين يمينا؟ فيه قولان: (أحدهما) يمينا واحدة كما في سائر الدعاوي (والثاني) يخلف خمسين يمينا تغليظاً لأمر الدم، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه: لا حكم للوث [ولا يزيد يمين المدعي]<sup>(٣)</sup> وقال: إذا وجد قتيل في محلة يختار الإمام خمسين رجلاً من صلحاء أهلها فيحلفهم أنهم ما قتلوه ولا عرفوا له قاتلاً، ثم يأخذ الدية من سكانها، والدليل على أن البداية يمين المدعي عند وجود اللوث:

[ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي عن يحيى بن سعيد عن بشير ابن يسار]<sup>(٤)</sup> عن سهل بن أبي حَظْمَةَ أن عبد الله بن سهل ومُخَيَّصَةَ بن مسعود خرجا إلى خير فتفرقا لحاجتهما فقتل عبد الله بن سهل فانطلق هو وعبد الرحمن / أخو المقتول وحويصة بن مسعود إلى رسول الله ١٤/أ

(١) أخرجه الطبري: ١٨٤/٢، وذكره ابن كثير: ١٩٤/١ بتحقيق الوادعي.

(٢) في الأصل: اللوث.

(٣) في ب: لا يبدأ يمين المدعي.

(٤) ساقط من الأصل، وهو في (ب).

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِن مِّنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِن مِّنْهَا لَمَاءٌ يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِن مِّنْهَا لَمَاءٌ يَهْبِطُ مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾

صلى الله عليه وسلم فذكروا له قتل عبد الله بن سهل فقال رسول الله ﷺ: «تحلفون خمسين يمينا وتستحقون دم صاحبكم أوقاتلكم» فقالوا يارسول الله لم نشهد ولم نحضر، فقال رسول الله ﷺ: «فتبرئكم يهود بخمسين يمينا» فقالوا يارسول الله كيف نقبل أيمان قوم كفار؟ فعزم النبي ﷺ عقله من عنده<sup>(١)</sup> [وفي لفظ آخر فزعم أن النبي ﷺ عقله من عنده]<sup>(٢)</sup> قال بشير بن يسار: قال سهل لقد ركضتني فريضة من تلك الفرائض في مريد لنا، وفي رواية: لقد ركضتني ناقة حمراء من تلك الفرائض في مريد لنا» أخرجه مسلم عن محمد بن المثني عن عبد الوهاب<sup>(٣)</sup>.

وجه الدليل من الخبر: أن النبي ﷺ بدأ بأيمان المدعين لتقوي جانبهم باللوث، وهو أن عبد الله بن سهل وجد قتيلاً في خير، وكانت العداوة ظاهرة بين الأنصار وأهل خير، وكان يغلب على القلب أنهم قتلوه، واليمين أبداً تكون حجة لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث يقوى جانب المدعى عليه من حيث أن الأصل براءة ذمته وكان القول قوله مع يمينه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ يست وجفت، جفاف القلب: خروج الرحمة واللين عنه، وقيل: غلظت، وقيل: اسودت، ﴿مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ من بعد ظهور الدلالات. قال الكلبي: قالوا بعد ذلك: نحن لم نقتله، فلم يكونوا قط أعمى قلباً ولا أشد تكديماً لنبيهم منهم عند ذلك ﴿فَهِيَ﴾ أي في الغلظة والشدة ﴿كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ قيل: أو بمعنى بل وقيل: بمعنى الواو كقوله تعالى: «مائة ألف أو يزيدون» (١٤٧ - الصفات) أي: بل يزيدون أو ويزيدون، وإنما لم يشبهها بالحديد مع أنه أصلب من الحجارة، لأن الحديد قابل لللين فإنه يلين بالنار، وقد لان لداود عليه السلام، والحجارة لا تلين قط، ثم فضل الحجارة على القلب القاسي فقال: ﴿وَإِن مِّنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ قيل: أراد به (جميع)<sup>(٤)</sup> الحجارة، وقيل: أراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى للأسباط ﴿وَإِن مِّنْهَا لَمَاءٌ يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ﴾

(١) رواه البخاري: في الجزية والموادعة - باب: الموادعة والمصالحة مع المشركين بالمال وغيره: ٢٧٥/٦.

ومسلم: في القسامة واخاريين والقصاص والديات - باب القسامة برقم (١٦٦٩) ١٢٩١/٣.

والمصنف في شرح السنة: ٢١١/١٠ وما بعدها دون زيادة فعزم النبي صلى الله عليه وسلم عقله من عنده.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) وأخرجه مسلم من طرق أخرى عن يحيى بن سعيد في القسامة واخاريين ١٢٩٢/٣.

(٤) زيادة من (ب).

الماء ﴿أَرَادَ بِهِ عَيْنُونَ دُونَ الْأَنْهَارِ﴾ ﴿وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ وقلوبكم لا تلتين ولا تخشع يا معشر اليهود. فإن قيل: الحجر جماد لا يفهم، فكيف (بخشى) <sup>(١)</sup>؟ قيل: الله يفهمه ويلهمه فيخشى بإلهامه.

ومذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى خلق علماً في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقل، لا يقف عليه غيره، فلها صلاة وتسبيح وخشية كما قال جل ذكره: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ» (٤٤ — الاسراء) وقال «وَالطَّيْرِ صَافَاتُ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ» (٤١ — النور) وقال: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ» (١٨ — الحج) الآية، فيجب على (المؤمن) <sup>(٢)</sup> الإيمان به ويكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى، ويروى أن النبي ﷺ كان على ثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل: انزل عني فأني أخاف أن تؤخذ علي فيعاقبني الله بذلك فقال له جبل حراء: إليّ يارسول الله.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي ثنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي أنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب النيسابوري أنا محمد بن اسماعيل الصائغ أنا يحيى بن أبي بكر أنا إبراهيم ابن طهمان عن سيماء بن حرب عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يَسْلُمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ وَإِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ» <sup>(٣)</sup> [هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن يحيى بن أبي بكر. وصح عن أنس أن رسول الله ﷺ طلع على أحد فقال: «هذا جبل يحبنا ونحبه» <sup>(٤)</sup> وروي عن أبي هريرة يقول، صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ثم أقبل على الناس بوجهه وقال: «بينما رجل يسوق بقرة إذ عمي فركبها فضرها فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا لحراثة الأرض» فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم؟! فقال رسول الله ﷺ: «فإني أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم» وقال: «بينما رجل في غنم له إذ عدا الذئب على شاة منها فأدركها صاحبها فاستنقذها، فقال الذئب: فمن لها يوم السبع؟ أي يوم القيامة، يوم لا راعي لها غيري» فقال الناس: سبحان الله ذئب

(١) في الأصل: يخشع.

(٢) في ب: المرء.

(٣) رواه مسلم: في الفضائل: باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة برقم (٢٢٧٧) ١٧٨٢/٤. والمصنف في شرح السنة: ٢٨٧/١٣، وعنه أصلنا بعض الأغلاط في السند الذي سقط من الأصل.

(٤) رواه البخاري: في الجهاد — باب فضل الخدمة في الغزو ٨٣/٦ — ٨٤. وفي الأطعمة وفي الزكاة وفي الأنبياء.

ومسلم: في الفضائل — باب: في معجزات النبي ﷺ برقم (١٣٩٢) ١٧٨٥/٤.

والمصنف في شرح السنة: ٢٥/١١.

يتكلم؟ فقال «أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم»<sup>(١)</sup>، وصح عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ على حراء وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال النبي ﷺ «اهدأ. أي: اسكن. فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»<sup>(٢)</sup> صحيح أخرجه مسلم.

أنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو سعيد يحيى بن أحمد بن علي الصانع أنا أبو الحسن علي بن اسحاق بن هشام الرازي أنا محمد بن أيوب بن ضريس البجلي الرازي أنا محمد بن الصباح عن الوليد ابن أبي ثور عن السدي عن عباد بن أبي يزيد<sup>(٣)</sup> عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجنا في نواحيها خارجاً من مكة بين الجبال والشجر، فلم يمر بشجرة ولا جبل إلا قال السلام عليك يا رسول الله»<sup>(٤)</sup>.

أنا أبو الحسن عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا عبد المجيد بن عبد العزيز عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول: «كان النبي ﷺ إذا خطب استند إلى جذع نخلة من سواري المسجد، فلما صنع له المنبر فاستوى عليه اضطربت تلك السارية وحتت كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد، حتى نزل رسول الله ﷺ فاعتنقها فسكنت»<sup>(٥)</sup>.

قال مجاهد: لا ينزل حجر من أعلى إلى الأسفل إلا من خشية الله، ويشهد لما قلنا قوله تعالى: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون» (٢١ - الحشر).

(١) رواه البخاري في الأنبياء: ٥١٢/٦، وفي الحرث والمزارة، وفي فضائل أصحاب النبي، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، برقم (٢٣٨٨) ١٨٥٧/٤.

والمصنف في شرح السنة: ٩٦/١٤ - ٩٧.

(٢) رواه البخاري: في فضائل أصحاب النبي - باب: مناقب عثمان بن عفان: ٥٣/٧.

ومسلم: في فضائل الصحابة - باب: من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما برقم (٢٤١٧) ١٤٨٠/٤.

والمصنف في شرح السنة: ١٢٧/١٤ بلفظ: فتحركت الصخرة فقال النبي ﷺ: اهدئي فما عليك إلا .....

(٣) زيادة من نسخة (ب) والمطبوع - ساقطة من (أ).

(٤) رواه الترمذي: في المناقب باب: الشجر والحجر يسلمان على النبي ١٠٠-٩٩/١٠ وقال: حسن غريب، والدارمي في المقدمة: ١٢/١.

والمصنف في شرح السنة: ٢٨٧/١٣ وقال هذا حديث غريب وفي سنده اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي وعباد بن أبي يزيد ضعيف ومجهول التقريب، ميزان الاعتدال ٣٧٨/٢.

(٥) رواه الترمذي: ١٠٠/١٠ - ١٠١ عن أنس، وقال حديث أنس هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

وابن ماجه: في اقامة الصلاة برقم (١٤١٤).

وأحمد: ٣٤٩/١ ومواضع أخرى، والدارمي في المقدمة - باب: ما أكرم الله النبي ﷺ بخين المنبر: ١٦/١ وعند البخاري والنسائي بمعناه.

أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ  
يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذْ لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا  
ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُوبِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذُوا لَهُمْ سَمِيعًا لِيُحَاجُّوكُمْ  
بِهِ ءَعِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

قوله عز وجل ﴿وما الله بغافل﴾ (بساؤه) <sup>(١)</sup> ﴿عما تعملون﴾ وعيد وتهديد، وقيل: ببارك عقوبة ما تعملون، بل يجازيكم به، قرأ ابن كثير يعملون بالياء والآخرين بالتاء.

قوله تعالى ﴿أفظمعون﴾ أترجون؟ يريد: محمداً وأصحابه ﴿أن يؤمنوا لكم﴾ تصدقكم اليهود بما تخبرونهم به ﴿وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله﴾ يعني التوراة ﴿ثم يحرفونه﴾ يغيرون ما فيها من الأحكام ﴿من بعد ما عقلوه﴾ علموه كما غيروا صفة محمد ﷺ وآية الرجم ﴿وهم يعلمون﴾ أنهم كاذبون، هذا قول مجاهد وقتادة وعكرمة والسدي وجماعة <sup>(٢)</sup>، وقال ابن عباس ومقاتل: نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه، وذلك أنهم لما رجعوا — بعد ما سمعوا كلام الله — إلى قومهم رجع الناس إلى قولهم، وأما الصادقون منهم فأدوا كما سمعوا، وقالت طائفة منهم: سمعنا الله يقول في آخر كلامه إن استطعتم أن تفعلوا فافعلوا، وإن شئتم فلا تفعلوا، فهذا تحريفهم وهم يعلمون أنه الحق <sup>(٣)</sup>.

﴿وإذا لقوا الذين آمنوا﴾ قال ابن عباس والحسن وقتادة: يعني منافقي اليهود الذين آمنوا بألستهم إذا لقوا المؤمنين المخلصين ﴿قالوا: آمنا﴾ كإيمانكم ﴿وإذا خلا﴾ رجع ﴿بعضهم إلى بعض﴾ — كعب ابن الأشرف وكعب بن أسد ووهب بن يهودا وغيرهم من رؤساء اليهود — لأمرهم على ذلك ﴿قالوا: اتخذونهم بما فتح الله عليكم﴾ بما قص الله عليكم في كتابكم: أن محمداً حق وقوله صدق. والفتح القاضي.

وقال الكسائي: بما بيّنه الله لكم [من العلم بصفة النبي ﷺ ونعته، وقال: <sup>(٤)</sup> الواقدي: بما أنزل الله عليكم، ونظيره: «لفتحنا عليهم بركات من السماء» (٤٤ — الأنعام) أي أنزلنا، وقال أبو عبيدة: بما من الله عليكم وأعطاكم ﴿ليحاجوكم به﴾ ليخاصموكم، يعني أصحاب محمد ﷺ ويحتجوا بقولكم

(١) زيادة من (ب).

(٢) أسباب النزول للواحد ص ٦٣.

(٣) أسباب النزول للواحد ص ٦٣.

(٤) ما بين القوسين جاء في نسخة ب تابعا لكلام الكسائي.

أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا  
يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ  
الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ  
مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾

(عليكم) <sup>(١)</sup> فيقولوا: قد أقررتم أنه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه!! وذلك أنهم قالوا لأهل المدينة حين  
شاوروهم في اتباع محمد ﷺ: آمنوا به فإنه حق ثم قال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما أنزل الله عليكم  
لتكون لهم الحجة عليكم ﴿عند ربكم﴾ في الدنيا والآخرة، وقيل: إنهم أخبروا المؤمنين بما عذبهم الله به  
على الجنايات فقال بعضهم لبعض: [أتحدثونهم بما أنزل الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به عند ربكم،  
ليروا الكرامة لأنفسهم عليكم عند الله وقال مجاهد: هو قول يهود قريظة قال بعضهم لبعض] <sup>(٢)</sup> حين قال  
لهم النبي ﷺ: «يا إخوان القردة والخنازير» فقالوا: من أخبر محمداً بهذا؟ ما خرج هذا إلا منكم <sup>(٣)</sup>،  
﴿أفلا تعقلون﴾

قال الله تعالى: ﴿أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون﴾ يخفون ﴿وما يعلنون﴾ يبدون يعني اليهود.  
وقوله تعالى: ﴿وممنهم أميون﴾ أي من اليهود أميون لا يحسنون القراءة والكتابة، جمع أمي منسوب إلى  
الأم كأنه باق على ما انفصل من الأم لم يتعلم كتابة ولا قراءة.

[وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> وقيل: هو منسوب  
إلى أم القرى وهي مكة ﴿لا يعلمون الكتاب إلا أمانى﴾ قرأ أبو جعفر: أمانى بتخفيف الياء كل القرآن  
حذف إحدى الياءين (تخفيفاً) <sup>(٦)</sup>، وقراءة العامة بالتشديد، وهي جمع الأمانة وهي التلاوة، قال الله تعالى:  
«إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته» (٥٢ - الحج) أي في قراءته، قال أبو عبيدة: [إلا تلاوته

(١) زيادة من (ب).

(٢) زيادة من (ب).

(٣) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢ بتحقيق الشيخ شاکر، وذكره ابن كثير: ٢٠٧/١ بتحقيق الوادعي.

(٤) رواه البخاري: في الصوم - باب: قول النبي ﷺ لا نكتب ولا نحسب: ١٣٦/٤.

ومسلم: في الصيام - باب: وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال برقم (١٠٨٠) ٧٦١/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٢٢٨/٦.

(٥) زيادة من نسخة ب، وفيها تقديم وتأخير في بعض العبارات تغير المعنى، فأصلحناها.

(٦) في المخطوطتين: استخفافاً.

وقراءته<sup>(١)</sup> عن ظهر القلب لا يقرؤونه من كتاب، وقيل: يعلمونه حفظاً وقراءة لا يعرفون معناه. وقال ابن عباس: يعني غير عارفين بمعاني الكتاب، وقال مجاهد وقتادة: إلا كذباً وباطلاً، قال الفراء: الأماني: الأحاديث المفتعلة، قال عثمان رضي الله عنه: ما تمنيت منذ أسلمت (أي ما كذبت)<sup>(٢)</sup>، وأراد بها الأشياء التي كتبها علمائهم من عند أنفسهم ثم / أضافوها إلى الله عز وجل من تغيير نعت النبي ﷺ وغيره، وقال الحسن وأبو العالية: هي من التمني، وهي أمانيتهم الباطلة التي تمنوها على الله عز وجل مثل قولهم: «لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى» (١١١ — البقرة) وقولهم: «لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة» (٨٠ — البقرة) وقولهم «نحن أبناء الله وأحباؤه» (١٨ — المائدة) فعلى هذا تكون (إلا) بمعنى (لكن) أي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أشياء لا تحصل لهم ﴿وإن هم﴾ وما هم ﴿إلا يظنون﴾ وما هم إلا يظنون ظناً وتوهمًا لا يقيناً، قاله قتادة والربيع، قال مجاهد: يكذبون.

قوله تعالى: ﴿فويل﴾ قال الزجاج: ويل كلمة يقولها كل واقع في هلكة، وقيل: هو دعاء الكفار على أنفسهم بالويل والثبور، وقال ابن عباس: شدة العذاب، وقال سعيد بن المسيب: ويل واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لانماعت من شدة حره .

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد [عن عمرو بن الحارث أنه حدث عن أبي السمح عن أبي الهيثم]<sup>(٣)</sup> عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره، والصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوي فهو كذلك»<sup>(٤)</sup>.

﴿للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً﴾ وذلك أن أحبار اليهود خافوا ذهاب ما كلتهم وزوال رياستهم حين قدم النبي ﷺ المدينة، فاحتالوا في تعويق اليهود عن الإيمان به فعمدوا إلى صفته في التوراة، وكانت صفته فيها: حسن الوجه، حسن الشعر، أكحل العينين، ربعة، فغيروها وكتبوا مكانها طوال أزرق سبط الشعر فإذا سألهم سفلتهم عن صفته قرؤوا ما كتبوا فيجدونه مخالفاً لصفته فيكذبونه وينكرونه، قال الله تعالى: ﴿فويل لهم مما كتبت بأيديهم﴾ يعني ما كتبوا

(١) في ب: إلا قراءة وتلاوة.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) ساقط من «أ» وهو في «ب» وشرح السنة.

(٤) أخرجه الترمذي: في التفسير — سورة الأنبياء: ٥/٩ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث ابن لهيعة وأحمد: ٣

٧٥/ وفي شرح السنة: ٢٤٧/١٥. (وفي سنده: رشدين بن سعد ودراج بن سمعان وكلاهما ضعيف).

انظر الضعفاء والمتروكين ص ١٠٢، ١٠٧.

ميزان الاعتدال ٢/٢٤٩. الجرح والتعديل ٣/٤٤١ — ٥١٣ تهذيب التهذيب ٣/٢٠٨ — ٢٧٧ التقريب ١/٢٣٥ — ٢٥١.

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتُخَذُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وِبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٤﴾

بأنفسهم اختراعاً من تغيير نعت محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وويل لهم مما يكسبون﴾ من المآكل ويقال: من المعاصي.

﴿وقالوا﴾ يعني اليهود ﴿لن تمسنا النار﴾ [لن تصيبنا النار] <sup>(١)</sup> ﴿إلا أياماً معدودة﴾ قدراً مقدراً ثم يزول عنا العذاب ويعقبه النعيم واختلفوا في هذه الآية، قال ابن عباس ومجاهد: كانت اليهود يقولون: هذه الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما تُعَذَّبُ بكل ألف سنة يوماً واحداً ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام. وقال قتادة وعطاء: يعنون أربعين يوماً التي عبد فيها آباؤهم العجل، وقال الحسن وأبو العالية: قالت اليهود: إن ربنا عتب علينا في أمر، فأقسم ليعذبنا أربعين يوماً فلن تمسنا النار إلا أربعين يوماً تحلة القسم، فقال الله عز وجل تكذباً لهم: ﴿قل﴾ يا محمد ﴿أتُخَذُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَلْفُ استفهام دخلت على ألف الوصل، عند الله ﴿عهداً﴾؟ مؤثراً أن لا يعذبكم إلا هذه المدة ﴿فلن يخلف الله عهده﴾ ووعدته قال ابن مسعود: عهداً بالتوحيد، يدل عليه قوله تعالى: ﴿إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ (٨٧ — مريم) يعني: قوله لا إله إلا الله ﴿أم تقولون على الله ما لا تعلمون﴾ ثم قال ﴿بلى﴾ وبل ويلي: حرفا استدراك ومعناهما نفى الخبر الماضي وإثبات الخبر المستقبل ﴿من كسب سيئة﴾ يعني الشرك ﴿وأحاطت به خطيئة﴾ قرأ أهل المدينة خطيئاته بالجمع، والإحاطة الإحداق بالشيء من جميع نواحيه، قال ابن عباس وعطاء والضحاك وأبو العالية والربيع وجماعة: هي الشرك يموت عليه، وقيل: السيئة الكبيرة. والاحاطة به أن يصر عليها فيموت غير تائب، قاله عكرمة والربيع بن خيثم وقال مجاهد: هي الذنوب تحيط بالقلب، كلما أذنب ذنباً ارتفعت

(١) ساقط من أ.



وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٥٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِلَافِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ

(حتى تغشى) <sup>(١)</sup> القلب وهي الرين. قال الكلبي: أَوْفَقَتْهُ ذَنْبُهُ، دليله قوله تعالى «إلا أن يحاط بكم» (٦٦ - يوسف) أي تهلكوا ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ \* والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ في التوراة، والميثاق العهد الشديد ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ قرأ ابن كثير وحمة والكسائي (لا يعبدون) بالياء وقرأ الآخرون بالتاء لقوله تعالى «وقولوا للناس حسناً» معناه ألا تعبدوا فلما حذف أن صار الفعل مرفوعاً، وقرأ أبي بن كعب: لا تعبدوا إلا الله على النهي ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي ووصيناهم بالوالدين إحساناً، برأ بهما وعطفاً عليهما ونزولاً عند أمرهما، فيما لا يخالف أمر الله تعالى ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ أي وبذي القرابة والقرنى مصدر كالحسنى ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ جمع يتيم وهو الطفل الذي لا أب له ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ يعني الفقراء ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسَنًا﴾ صدقاً وحقاً في شأن محمد ﷺ فمن سألكم عنه فاصدقوه وَبَيَّنَّا صِفَتَهُ وَلَا تَكْتُمُوا أَمْرَهُ، هذا قول ابن عباس وسعيد ابن جبير وابن جريج ومقاتل، وقال سفيان الثوري: مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر، وقيل: هو اللين في القول والمعاشرة بحسن الخلق. وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب: حَسَنًا بفتح الحاء والسين أي قولاً حسناً ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن العهد والميثاق ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ﴾ وذلك أن قوماً منهم آمنوا ﴿وَأَنْتُمْ مَعْرُضُونَ﴾ كإعراض آبائكم.

قوله عز وجل ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ أي لا تبرقون دماءكم أي: لا يسفك بعضكم دم بعض، وقيل: لا تسفكوا دماء غيركم فتسفك دماؤكم، فكأنكم سفكتم دماء أنفسكم، ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ أي لا يُخْرِجُ بعضكم بعضاً من داره، وقيل: لا تسيئوا جوار من جواركم فتلجئوهم إلى الخروج بسوء جواركم ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ بهذا العهد أنه حق وقِيلْتُمْ ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ اليوم على ذلك يا معشر اليهود وتقررون بالقبول.

قوله عز وجل ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ يعني: يا هؤلاء، وهؤلاء للتنبيه ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي (يقتل) <sup>(٢)</sup> بعضكم بعضاً ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ﴾ بتشديد الظاء أي تظاهرون

(١) في الأصل حتى يفسو وي ب حتى تغشى.

(٢) ساقط من الأصل.

تَفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ  
وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾  
أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ  
يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

أدغمت التاء في الظاء، وقرأ عاصم وحمة والكسائي بتخفيف الظاء فحذفوا تاء التفاعل وأبقوا تاء الخطاب كقوله تعالى: «ولا تعاونوا» معناهما جميعاً: تتعاونون، والظهير: العون ﴿بالإثم والعدوان﴾ المعصية والظلم ﴿وإن يأتوكم أسارى﴾ وقرأ حمزة: أسرى، وهما جمع أسير، ومعناها واحد ﴿تفدوهم﴾ بالمال وتنقذوهم وقرأ أهل المدينة وعاصم والكسائي ويعقوب (تفادوهم) أي تبادلوهم، أراد: مفاداة الأسير بالأسير، وقيل: معنى القراءتين واحد.

ومعنى الآية قال السدي: إن الله تعالى أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضاً، ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم، وأما عبد أو أمة وجدتموه من بني إسرائيل فاشتروه بما قام من ثمنه وأعتقوه، فكانت قريظة حلفاء الأوس، والنضير حلفاء الخزرج، وكانوا يقتتلون في حرب سنين؟ فيقاتل بنو قريظة وحلفاؤهم وبنو النضير وحلفاؤهم وإذا غلبوا أخربوا ديارهم وأخرجوهم منها، وإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وإن كان الأسير من عدوهم، فتعيروهم العرب وتقول: كيف تقاتلونهم وتفدوهم قالوا: إنا أمرنا أن نفديهم فيقولون: فلم تقاتلونهم؟ قالوا: إنا نستحي أن يستذل حلفاؤنا، فعيروهم الله تعالى بذلك فقال:

﴿ثم أنتم / هؤلاء تقتلون أنفسكم﴾ وفي الآية تقديم وتأخير ونظمها (وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان) ﴿وهو محرم عليكم إخراجهم﴾ وإن يأتوكم أسارى تفادوهم، فكان الله تعالى أخذ عليهم أربعة عهود: ترك القتال، وترك الإخراج، وترك المظاهرة عليهم مع أعدائهم، وفداء أسراهم، فأعرضوا عن الكل إلا الفداء.

قال الله تعالى ﴿أفتمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾ قال مجاهد: يقول إن وجدته في يد غيرك فديته وأنت تقتله بيدك ﴿فما جزاء من يفعل ذلك منكم﴾ يا معشر اليهود ﴿إلا خزي﴾ عذاب وهوان ﴿في الحياة الدنيا﴾ فكان خزي قريظة القتل والسبي وخزي النضير الجلاء والنفي من منازلهم إلى أذرعات وأريحاء من الشام ﴿ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب﴾ وهو عذاب النار ﴿وما الله بغافل

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ  
الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ  
فَفَرِّقَانًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ  
فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ  
قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ  
اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ  
اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ  
وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾

عما تعملون ﴿٩٠﴾ قرأ ابن كثير ونافع (وأبو بكر) <sup>(١)</sup> بالياء، والباقون بالتاء قوله عز وجل: ﴿أولئك الذين  
اشترؤا﴾ استبدلوا ﴿الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف﴾ يهون ﴿عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾ يمنعون  
من عذاب الله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا﴾ أعطينا ﴿موسى الكتاب﴾ التوراة، جملة واحدة ﴿وقفينا﴾ وأتبعنا ﴿من  
بعده بالرسول﴾ رسلاً بعد رسول ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات﴾ الدلالات الواضحات وهي ما ذكر  
الله في سورة آل عمران والمائدة وقيل: أراد الإنجيل ﴿وأيدناه﴾ قويناه ﴿بروح القدس﴾ قرأ ابن كثير  
القدس بسكون الدال والآخرين بضمها وهما لغتان مثل الرُّعْب والرُّعْب، واختلفوا في روح القدس، قال  
الربيع وغيره: أراد بالروح الروح الذي نفخ فيه، والقدس هو الله أضافه إلى نفسه تكريماً وتخصيصاً نحو  
بيت الله، وناقة الله، كما قال: «نفخنا فيه من روحنا» (١٢ — التحريم) [وروح منه] <sup>(٢)</sup> (١٧١ —  
النساء) وقيل: أراد بالقدس الطهارة، يعني الروح الطاهرة سمى روحه قدساً، لأنه لم تتضمنه أصلا  
الفحولة ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث، إنما كان أمراً من الله تعالى، قال قتادة والسدي والضحاك: روح  
القدس جبريل عليه السلام قيل: وصف جبريل بالقدس أي بالطهارة لأنه لم يقترب ذنباً، قال الحسن:  
القدس هو الله وروحه جبريل قال الله تعالى: «قل نزله روح القدس من ربك بالحق» (١٠٢ — النحل)

(١) ساقط من الأصل.

(٢) زيادة من ب.

وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام أنه أمر أن يسير معه حيث سار حتى صعد به الله (إلى السماء) <sup>(١)</sup> وقيل: سمي جبريل عليه السلام روحاً للطافته ولكانته من الوحي الذي هو سبب حياة القلوب، وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: روح القدس هو اسم الله تعالى الأعظم به كان يحمي الموتى ويرى الناس به العجائب، وقيل: هو الانجيل فجعل له روحاً كما (جعل القرآن روحاً لمحمد صلى الله عليه وسلم لأنه سبب حياة القلوب) <sup>(٢)</sup> قال تعالى: «وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا» (٥٢ — الشورى) فلما سمع اليهود ذكر عيسى عليه السلام قالوا: يا محمد لا مثل عيسى — كما تزعم — عملت، ولا كما تقص علينا من الأنبياء فعلت، فأتنا بما أتى به عيسى إن كنت صادقاً.

قال الله تعالى: ﴿أفكلما جاءكم﴾ يا معشر اليهود ﴿رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم﴾ تكبرتم وتعظمتم عن الإيمان ﴿ففريقاً﴾ طائفة ﴿كذبتم﴾ مثل عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ﴿وفريقاً تقتلون﴾ أي قتلتم مثل زكريا ويحيى وشعيا وسائر من قتلوه من الأنبياء عليهم السلام ﴿وقالوا﴾ يعني اليهود ﴿قلوبنا غلف﴾ جمع الأغلف وهو الذي عليه غشاء، معناه عليها غشاوة فلا تعي ولا تفقه ما تقول، قاله مجاهد وقتادة، نظيره قوله تعالى: ﴿وقالوا قلوبنا في أكنة﴾ (٥ — فصلت) وقرأ ابن عباس غُلف بضم اللام وهي قراءة الأعرج وهو جمع غلاف أي قلوبنا أوعية لكل علم فلا تحتاج إلى علمك قاله ابن عباس وعطاء وقال الكلبي: معناه أوعية لكل علم فلا تسمع حديثاً إلا تعيه إلا حديثك لا تعقله ولا تعيه ولو كان فيه (خير) <sup>(٣)</sup> لوعته وفهمته .

قال الله عز وجل ﴿بل لعنهم الله﴾ طردهم الله وأبعدهم عن كل خير ﴿بكفرهم قليلاً ما يؤمنون﴾ قال قتادة: معناه لن يؤمن منهم إلا قليل لأن من آمن من المشركين أكثر ممن آمن من اليهود، أي قليلاً يؤمنون، ونصب قليلاً [على الحال وقال معمر: لا يؤمنون إلا بقليل مما في أيديهم ويكفرون بأكثره، أي قليلاً ولا كثيراً كقول الرجل للآخر: ما أقل ما تفعل كذا أي لا تفعله أصلاً] ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله﴾ يعني القرآن ﴿مصدق﴾ موافق ﴿لما معهم﴾ يعني التوراة ﴿وكانوا﴾ يعني اليهود ﴿من قبل﴾ من قبل مبعث محمد ﷺ ﴿يستفتحون﴾ يستنصرون ﴿على الذين كفروا﴾ على مشركي العرب، وذلك أنهم كانوا يقولون إذا حزبتهم أمر ودمهم عدو: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان، الذي نجد صفته في التوراة، فكانوا يُنصرون، وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج

(١) في الأصل: إن موسى وفي (ب) إلى السماء.

(٢) في الأصل: كما جعل له القرآن روحاً مع نقص الآية: (وكذلك.....)

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) ساقط من الأصل أ.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ  
بِمَا وَرَاءَهُ. وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ  
مُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾

بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وثمود وإرم ﴿فلما جاءهم ما عرفوا﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم من غير بني إسرائيل وعرفوا نعتهم وصفته ﴿كفروا به﴾ بغياً وحسداً.

﴿فلعنة الله على الكافرين﴾ بثسما اشتروا به أنفسهم ﴿بئس ونعم﴾: فعلا ن ماضيان وُضعا للمدح والذم، لا يتصرفان تصرف الأفعال، معناه: بئس الذي اختاروا لأنفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق. وقيل: الاشتراء هاهنا بمعنى البيع والمعنى بئس ما باعوا به حظ أنفسهم أي حين اختاروا الكفر (وبذلوا أنفسهم للنار) <sup>(١)</sup> ﴿أن يكفروا بما أنزل الله﴾ يعني القرآن ﴿بغياً﴾ أي حسداً وأصل البغي: الفساد ويقال بغى الجرح إذا فسد والبغي: الظلم، وأصله الطلب، والباغي طالب الظلم، والحاسد يظلم المحسود جهده، طلباً لإزالة نعمة الله تعالى عنه ﴿أن ينزل الله من فضله﴾ أي النبوة والكتاب ﴿على من يشاء من عباده﴾ محمد ﷺ، قرأ أهل مكة والبصرة ينزل بالتخفيف إلا (في سبحان الذي) في موضعين «ونزل من القرآن» (٨٢ - الإسراء) و «حتى تنزل» (٩٣ - الإسراء) فإن ابن كثير يشددهما، وشدّد البصريون في الأنعام «على أن ينزل آية» (٣٧ - الأنعام) زاد يعقوب تشديد (بما ينزل) في النحل ووافق حمزة والكسائي في تخفيف (وينزل الغيث) في سورة لقمان وحم عسق، والآخرون يشددون الكل، ولم يختلفوا في تشديد «وما ننزله إلا بقدر» في الحجر (٢١) ﴿فباؤوا بغضب﴾ أي رجعوا بغضب ﴿على غضب﴾ قال ابن عباس ومجاهد: الغضب الأول بتضييعهم التوراة وتبديلهم، والثاني بكفرهم بمحمد ﷺ والقرآن، وقال قتادة: الأول بكفرهم بعبادة العجل والثاني بكفرهم بمحمد ﷺ والقرآن، وقال السدي: الأول بعبادة العجل والثاني بالكفر بمحمد ﷺ ﴿وللكافرين﴾ : الجاحدين بنبوة محمد ﷺ من الناس كلهم ﴿عذاب مهين﴾ مخز يهانون فيه.

قوله تعالى ﴿وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله﴾ يعني القرآن ﴿قالوا نؤمن بما أنزل علينا﴾ يعني التوراة، يكفيننا ذلك ﴿ويكفرون بما وراءه﴾ أي بما سواه من الكتب كقوله عز وجل «فمن ابتغى وراء ذلك» (٧ - المؤمنون) أي سواه، وقال أبو عبيدة: [بما وراءه] <sup>(٢)</sup> أي: بما سواه من الكتب ﴿وهو الحق﴾ يعني القرآن ﴿مصدقاً﴾ نصب على الحال ﴿لما معهم﴾ من التوراة ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿فلم

(١) في الأصل بذله.

(٢) وفي ب بما بعده.

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ  
ظَالِمُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا  
مَاءً آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ  
الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَايَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ  
﴿١٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا  
الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾

تقتلون ﴿١٢﴾ أي قتلتم ﴿أنبياء الله من قبل﴾ ولم: أصله لما فحذفت الألف فرقاً بين الجر والاستفهام  
كقولهم فيم ويم؟ ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بالتوراة، وقد نهيتم فيها عن قتل الأنبياء عليهم السلام.

قوله عز وجل ﴿١٢﴾ ولقد جاءكم موسى بالبينات ﴿بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة﴾ ﴿ثم  
اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون﴾ \* وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة  
واسمعوا ﴿أي استجبوا وأطيعوا سميت الطاعة والإجابة سماعاً على المجاورة لأنه سبب للطاعة والإجابة  
﴿قالوا سمعنا﴾ قولك ﴿وعصينا﴾ أمرك، وقيل: سمعنا بالأذن وعصينا بالقلوب، قال أهل المعاني: إنهم لم  
يقولوا هذا بالسنتهم ولكن لما سمعوا وتلقوه بالعصيان فنسب ذلك إلى القول اتساعاً ﴿وأشربوا في قلوبهم  
العجل بكفرهم﴾ أي حب العجل، أي معناه: أدخل في قلوبهم حب العجل وخالطها، كإشرب اللون  
لشدة الملازمة يقال: فلان مشرب اللون إذا اختلط بياضه بالحمرة، وفي القصص: أن موسى أمر أن ييرد  
العجل بالميرد ثم يذره في النهر وأمرهم (بالشرب) <sup>(١)</sup> منه فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهرت  
سحالة <sup>(٢)</sup> الذهب على شاربته.

١٥/ب

قوله عز وجل ﴿١٣﴾ قل بسميأمركم به إيمانكم ﴿أن تعبدوا العجل من دون الله أي بئس إيمانكم  
بعبادة العجل ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بزعمكم، وذلك أنهم قالوا: (نؤمن بما أنزل علينا) فكذبهم الله عز  
وجل.

[قوله تعالى ﴿١٤﴾ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله ﴿وذلك أن اليهود ادعوا دعاوى باطلة مثل  
قولهم «لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة» (٨٠ — البقرة) «ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو

(١) في (ب) بالشرب.

(٢) السحالة: بالضم: ما سقط من الذهب والفضة إذا برد.

وَلَن يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ  
أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ أَوْ مَا  
هُوَ بِمِزْجِجَةٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

نصارى» (١١١ - البقرة) وقولهم: «نحن أبناء الله وأحباؤه»<sup>(١)</sup> (١٨ - المائدة) فكذبهم الله عز وجل وألزمهم الحجة فقال: قل لهم يا محمد (إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله) يعني الجنة عند الله ﴿خالصة﴾ أي خاصة ﴿من دون الناس فتمنوا الموت﴾ أي فأريدوه وأسألوه لأن من علم أن الجنة مأواه حنَّ إليها ولا سبيل إلى دخولها إلا بعد الموت فاستعجلوه بالتمنى ﴿إن كنتم صادقين﴾ في قولكم، وقيل: فتمنوا الموت أي ادعوا بالموت على الفرقة الكاذبة. وروي عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «لو تمنوا الموت لغصَّ كل إنسان منهم بريقه وما بقي على وجه الأرض يهودي إلا مات»<sup>(٢)</sup>.

قال الله تعالى: ﴿ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم﴾ لعلمهم أنهم في دعواهم كاذبون وأراد (بما قدمت أيديهم) أي ما قدموه من الأعمال وأضافها إلى اليد [دون سائر الأعضاء]<sup>(٣)</sup> لأن أكثر جنایات الانسان تكون باليد فأضيف إلى اليد أعماله وإن لم يكن لليد فيها عمل ﴿والله عليم بالظالمين \* ولتجدنهم﴾ اللام لام القسم والنون تأكيد للقسم، تقديره: والله لتجدنهم يا محمد يعني اليهود ﴿أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا﴾ قيل: هو متصل بالأول، وأحرص من الذين أشركوا، وقيل: تم الكلام بقوله (على حياة) ثم ابتداء (من الذين أشركوا) وأراد بالذين أشركوا المجوس قاله أبو العالية والربيع سموا مشركين لأنهم يقولون بالنور والظلمة.

﴿يودُّ﴾ يريد ويتمنى ﴿أحدهم لو يعمر ألف سنة﴾ يعني تعمير ألف سنة وهي تحية المجوس فيما بينهم يقولون عش ألف سنة وكل ألف نيروز ومهرجان، يقول الله تعالى: اليهود أحرص على الحياة من المجوس الذين يقولون ذلك ﴿وما هو بمزحزحه﴾ مباعده ﴿من العذاب﴾ من النار ﴿أن يعمر﴾ أي طول عمره لا ينقذه. [زحزحه وتزحزح]<sup>(٤)</sup> من العذاب أو وزحزح: لازم ومتعد، ويقال زحزحته فتزحزح ﴿والله بصير بما يعملون﴾.

(١) ساقط من (أ).

(٢) أخرجه الطبري موقوفاً على ابن عباس: ٣٦٣/٢، وقال الشيخ شاکر: ولكنه مرفوع بالروايات الأخرى. وقال ابن حجر في الكافي الشاف ص (٩): «وأخرج البيهقي في الدلائل من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال لليهود: إن كنتم صادقين في مقاتلتكم فقولوا: اللهم أمتنا. فوالذي نفسي بيده لا يقولوا رجل منكم إلا غصَّ بريقه ومات مكانه».

(٣) ساقط من ب.

(٤) ساقط من ب.

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن حبراً من أحبار اليهود يقال له عبد الله بن صوريا قال للنبي ﷺ: أي مَلَك (نزل) <sup>(١)</sup> من السماء؟ قال (جبريل) قال: ذلك عدونا من الملائكة ولو كان ميكائيل لآمنا بك، إن جبريل ينزل بالعذاب والقتال والشدة وإنه عادانا مراراً وكان من أشد ذلك علينا، [أن الله تعالى أنزل على نبينا] <sup>(٢)</sup> أن بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له بختنصر، وأخبرنا بالحين الذي يخرب فيه، فلما كان وقته بعثنا رجلاً من أقوياء بني إسرائيل في طلبه لقتله فانطلق حتى لقيه ببابل غلاماً مسكيناً فأخذه ليقته فدفع عنه جبريل وكبر بختنصر وقوي وغرانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدواً فأنزل الله تعالى هذه الآية <sup>(٣)</sup>.

وقال مقاتل: قالت اليهود: إن جبريل عدونا لأنه أمر بجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا، وقال قتادة وعكرمة والسدي: كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أرضٌ بأعلى المدينة وممرها على مدارس اليهود فكان إذا أتى أرضه يأتيهم ويسمع منهم (كلاماً) <sup>(٤)</sup> فقالوا له: ما في أصحاب محمد أحب إلينا منك، إنهم يمرون علينا فيؤذوننا وأنت لا تؤذينا وإنا لنطمع فيك فقال عمر: والله ما آتيكم لحبكم ولا أسألكم لأني شاك في ديني وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد ﷺ وأرى آثاره في كتابكم [وأنتم تكتمونها] <sup>(٥)</sup> فقالوا: من صاحب محمد الذي يأتيه من الملائكة؟ قال: جبريل فقالوا: ذلك عدونا يطلع محمداً على أسرارنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وسنة وشدة، وإن ميكائيل إذا جاء جاء بالخصب والمغنم <sup>(٦)</sup> فقال لهم عمر: تعرفون جبريل وتنكرون محمداً؟ قالوا: نعم قال: فأخبروني عن منزلة جبريل وميكائيل من

(١) في ب يأتيك.

(٢) ساقط من (أ).

(٣) قال ابن حجر في الكافي الشاف ص (٩): هكذا ذكره الثعلبي والواحدي والبغوي، فقالوا: «روى ابن عباس: أن حبراً....» وم أقف له على سند، ولعله من تفسير الكلبي عن أبي صالح عنه.

وانظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي: ١٥٨/١، وأسباب النزول للواحدي أيضاً ص (٢٦).

(٤) ساقط من ب.

(٥) ساقطة من ب.

(٦) في ب والسلم.



الله عز وجل؟ قالوا: جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره قال عمر: فإني أشهد أن من كان عدواً لجبريل فهو عدو لميكائيل، ومن كان عدواً لميكائيل فإنه عدو لجبريل، ومن كان عدواً لهما كان الله عدواً له، ثم رجع عمر إلى رسول الله ﷺ فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية فقال «لقد وافقك ربك يا عمر» فقال عمر: لقد رأيتني بعد ذلك، في دين الله أصلب من الحجر<sup>(١)</sup>.

قال الله تعالى ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ﴾، يعني: جبريل ﴿نَزَّلَهُ﴾، يعني: القرآن، كناية عن غير مذكور ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ يا محمد ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمر الله ﴿مُصَدِّقًا﴾ موافقاً ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما قبله من الكتب، ﴿وَهَدَىٰ وَيُرشَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ خصهما بالذكر من جملة الملائكة مع دخولهما في قوله ﴿وَمَلَائِكَتِهِ﴾ تفضيلاً وتخصيصاً، كقوله تعالى: «فيهما فاكهة ونخل ورمان» (٦٨ - الرحمن) خص النخل والرمان بالذكر مع دخولهما في ذكر الفاكهة، والواو فيهما بمعنى: أو، يعني من كان عدواً لأحد هؤلاء فإنه عدو للكل، لأن الكافر بالواحد كافر بالكل ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ قال عكرمة: جبر و ميك واسراف هي العبد بالسريانية، وايل هو الله تعالى ومعناها عبد الله وعبد الرحمن. وقرأ ابن كثير جبريل بفتح الجيم غير مهموز بوزن فعليل قال حسان:

وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء

وقرأ حمزة والكسائي بالهمز والاشباع بوزن سلسبيل، وقرأ أبو بكر بالاختلاس، وقرأ الآخرون بكسر الجيم غير مهموز، وميكائيل قرأ أبو عمرو ويعقوب وحفص ميكال بغير همز قال جرير:

عَبَدُوا الصَّلِيبَ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ وَبِجِبْرِيلَ وَكَذَّبُوا مِيكَالاً<sup>(٢)</sup>

وقال آخر:

وَيَوْمَ بَدْرٍ لَقَيْنَاكُمْ لَنَا مَدَدٌ فِيهِ مَعَ النَّصْرِ جِبْرِيلُ وَمِيكَالُ<sup>(٣)</sup>

وقرأ نافع: بالهمزة والاختلاس، بوزن ميفاعل، وقرأ الآخرون: بالهمز والاشباع بوزن ميكائيل، وقال ابن صوريا: ما جئتنا بشيء نعرفه، فأنزل الله تعالى<sup>(٤)</sup> ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات

(١) أخرجه الطبري: ٣٨٤/٢ - ٣٨٥. وعزه ابن حجر للواحد في أسباب النزول من رواية داود بن أبي هند عن الشعبي، وهو عنده في ص ٢٧ - ٢٨، وذكره أيضاً، في التفسير: ١٦٠/١ وانظر: الكافي الشاف ص (٩).

(٢) البيت لجرير، وهو في ديوانه ص ٤٥٠، ونقائض جرير والأحطل ص (٨٧)، وانظر: تفسير الطبري: ٣٨٨/٢، تفسير الواحدي: ١٥٩/١.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ٣٨/٢، تفسير الواحدي: ١٥٩/١.

(٤) الأثر أخرجه الطبري: ٣٩٨/٢ من طريق ابن اسحاق: وهو في السيرة النبوية لابن هشام: ١٩٦/٢ مع شرحها الروض الأنف. وانظر: الكافي الشاف ص (٩).

أَوْ كَلِمَا عَهْدٍ وَأَعْهَدَ ابْنَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٦﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٧﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنٌ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِإِذْنِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ

مفصلات بالحلل والحرام والحدود والأحكام ﴿وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾ الخارجون عن أمر الله عز وجل.

قوله تعالى ﴿أَوْ كَلِمَا﴾ واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام ﴿عاهدوا عهداً﴾ يعني اليهود عاهدوا لمن خرج محمد ليؤمنن به، فلما خرج كفروا به.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما ذكرهم رسول الله ﷺ ما أخذ الله عليهم (من الميثاق) <sup>(١)</sup> وعهد إليهم في محمد أن يؤمنوا، به قال مالك بن الصيف: والله ما عهد إلينا في محمد عهد، فأنزل الله تعالى هذه الآية <sup>(٢)</sup>، يدل عليه قراءة أبي رجاء الطاردي «أَوْ كَلِمَا عَاهَدُوا» فجعلهم مفعولين، وقال عطاء: هي العهود التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين اليهود / أن لا يعاونوا المشركين على قتاله فنقضوها كفعل بني قريظة والنضير <sup>(٣)</sup>، دليله قوله تعالى «الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم» (٥٦) — الأنفال، ﴿نَبَذَهُ﴾ طرحه ونقضه ﴿فَرِيقٌ﴾ طوائف ﴿مِنْهُمْ﴾ من اليهود ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ولما جاءهم رسول من عند الله يعني محمداً ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كتاب الله وراء ظهورهم يعني التوراة وقيل: القرآن ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال الشعبي: كانوا يقرؤون التوراة ولا يعملون بها، وقال سفيان بن عيينة: أدرجوها في الحرير والديباغ وحلوها بالذهب والفضة ولم يعملوا بها فذلك نبذهم لها <sup>(٤)</sup>.

أ/١٦

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ يعني اليهود ﴿مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ أي: ماثلت، والعرب تضع المستقبل موضع الماضي، والماضي موضع المستقبل، وقيل: ما كنت تتلو أي تقرأ، قال ابن عباس رضي الله عنه:

(١) ساقط من ب.

(٢) الأثر أخرجه الطبري: ٤٠١/٢، وهو في سيرة ابن هشام: ١٩٦/٢.

(٣) العبارة بنصها في الواحدي: ١٦٢/١ مع زيادة. وانظر: القرطبي: ٤٠/٢، البحر المحيط: ٣٢٣/١.

(٤) تفسير الواحدي ١٦٣/١، القرطبي: ١٦/١، القرطبي: ٤١/٢، البحر المتوسط: ٣٢٥/١.

حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَآتَقَوْا لِمَثُوبَةٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

تتبع وتعمل به، وقال عطاء تحدث وتكلم به ﴿على ملك سليمان﴾ أي: ملكه وعهده.

وقصة الآية<sup>(١)</sup>: أن الشياطين كتبوا السحر والنجيمات<sup>(٢)</sup> على لسان آصف بن برخيا هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك، ثم دفنوها تحت مصلاه حتى نزع الله الملك عنه ولم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوها وقالوا للناس: إنما ملكهم سليمان بها فتعلموه فأما علماء بني اسرائيل وصلحائهم فقالوا: معاذ الله أن يكون هذا من علم الله<sup>(٣)</sup>، وأما السُّفَلَة، فقالوا: هذا علم سليمان، وأقبلوا على تعلمه، ورفضوا كتب أنبيائهم، وفشت الملامة على سليمان فلم يزل هذا حالهم وفعلهم حتى

(١) ساق ابن كثير رحمه الله جملة من الروايات في تفسير الآية ثم قال: «وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين: كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة، وأبي العالية والزهري، والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم، وقصصها خلق من المفسرين، من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني اسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم، الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا اطناب، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن، على ما أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى، والله أعلم بحقيقة الحال». تفسير ابن كثير: ٢٤٩/١ - ٢٥٠.

وقال القاضي عياض رحمه الله عن هاروت وماروت.. «وما ذكر فيها أهل الأخبار وَثَقْلَةُ المفسرين، وما روى عن علي وابن عباس في خبرهما وإتلاهما - بمحبة المرأة وعقابهما على مافعل، وما وقع من السحر: فاعلم - أكرمك الله - أن هذه الأخبار لم يَرَوْ منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله ﷺ وليس هو شيئاً يؤخذ بقياس.

والذي منه في القرآن: اختلف المفسرون في معناه، وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف، وهذه الأخبار من كتب اليهود واقترائهم، كما نصه الله أول الآيات منها واقترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم إياه.

وقد انطوت القصة على شئ عظيمة، وما نحن نحبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الاشكالات، إن شاء الله» ثم ذكر ما يزيّف القصة ويبطلها من عدة وجوه انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض: ٨٥٣/٢ - ٨٥٩.

وبعد أن ذكر ابن عطية في تفسيره الروايات عن القصة قال: «وهذا كله ضعيف وبعيد على ابن عمر رضي الله عنهما» انظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ٤٢٠/١. وانظر أيضاً ما ذكره الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه في تفسيره: وابن العربي في أحكام القرآن: ٢٧/١ - ٣٠، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٥٢/٢. ومع ورود بعض الروايات في المسند للإمام أحمد أو غيره، فإنها روايات ضعيفة، لا تعارض الأخبار الصحيحة والقواعد المقررة عن عصمة الملائكة عليهم السلام وإن سكنت عنها الإمام الطبري والثعلبي والبغوي. وانظر: لباب التفسير لمحمود بن حمزة الكرمانى ٣٦٩/١. تحقيق د. ناصر بن سليمان العمر.

(٢) وهو أخذ كالسحر، وليس به، وإنما هو تشبيه وتليبس. القاموس.

(٣) هكذا جاء في نسخة (أ) وفي ب (سليمان) وكذلك المطبوع، وهو الصحيح.

بعث الله محمداً ﷺ وأنزل عليه براءة سليمان، هذا قول الكلبي.

وقال السدي: كانت الشياطين تصعد إلى السماء، فيسمعون كلام الملائكة فيما يكون في الأرض من موت وغيره، فيأتون الكهنة ويخلطون بما يسمعون في كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بها [فكتب ذلك] <sup>(١)</sup> وفشا في بني إسرائيل أن الجن يعلمون الغيب، فبعث سليمان في الناس وجمع تلك الكتب وجعلها في صندوق ودفنه تحت كرسيه وقال: لا أسمع أحداً يقول إن الشيطان يعلم الغيب إلا ضربت عنقه، فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان ودفنه الكتب، وخلف من بعدهم خلف، تمثل الشيطان على صورة إنسان فأتى نفرأ من بني إسرائيل فقال: أدلكم على كنز لا تأكلونه أبداً قالوا: نعم فذهب معهم فأراهم المكان الذي تحت كرسيه، فحفروا فأقام ناحية فقالوا له: أدن وقال: لا أحضر، فإن لم تجدوه فاقتلوني، وذلك أنه لم يكن أحد من الشياطين يدنو من الكرسي إلا احترق، فحفروا وأخرجوا تلك الكتب، فقال الشيطان لعنه الله: إن سليمان كان يضبط الجن والإنس والشياطين والطير بهذا، ثم طار الشيطان عنهم، وفشا في الناس أن سليمان كان ساحراً، وأخذوا تلك الكتب (واستعملوها) <sup>(٢)</sup> فلذلك أكثر ما يوجد السحري اليهود، فلما جاء محمد ﷺ برأ الله تعالى سليمان من ذلك، وأنزل في عذر سليمان: ﴿وما كفر سليمان﴾ بالسحر، وقيل: لم يكن سليمان كافراً بالسحر ويعمل به ﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ قرأ ابن عباس رضي الله عنه والكسائي وحمة، «لكن» خفيفة النون، «والشياطين» رفع، وقرأ الآخرون ولكن مشددة النون «والشياطين» نصب وكذلك «ولكن الله قتلهم» (١٧ — الأنفال) «ولكن الله رمى» (١٧ — الأنفال) ومعنى لكن: نفى الخبر الماضي وإثبات المستقبل.

﴿يعلمون الناس﴾ قيل: معنى السحر العلم والخذق بالشيء قال الله تعالى «وقالوا يأئها الساحر ادع لنا ربك» (٤٩ — الزخرف) أي العالم، والصحيح: أن السحر عبارة عن التمجيد والتخييل، والسحر وجوده حقيقة عند أهل السنة، وعليه أكثر الأمم، ولكن العمل به كفر، حكى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: السحر يخيل ويمرض وقد يقتل، حتى أوجب القصاص على من قتل به فهو من عمل الشيطان، يتلقاه الساحر منه بتعليمه إياه، فإذا تلقاه منه استعمله في غيره، وقيل: إنه يؤثر في قلب الأعيان فيجعل الآدمي على صورة الحمار ويجعل الحمار على صورة الكلب، والأصح أن ذلك تخيل قال الله تعالى: «يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى» (٦٦ — طه) لكنه يؤثر في الأبدان بالأمراض والموت والجنون، ولل كلام تأثير في الطباع والنفوس وقد يسمع الإنسان ما يكره فيحتمى ويغضب وربما يحتم منه،

(١) وفي (ب) فاكتب الناس ذلك.

(٢) ساقطة من (ب).

وقد مات قوم بكلام سمعوه فهو بمنزلة العوارض والعلل التي تؤثر في الأبدان<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل ﴿وما أنزل على الملوك ببابل﴾ أي ويعلمون الذي أنزل على الملوك [أي إلهاماً وعلماً، فالإنزال بمعنى الإلهام والتعليم، وقيل: واتبعوا ما أنزل على الملوك]<sup>(٢)</sup> وقرأ ابن عباس والحسن المكي بكسر اللام، وقال ابن عباس: هما رجلان ساحران كانا ببابل، وقال الحسن: عِلجان<sup>(٣)</sup> لأن الملائكة لا يعلمون السحر.

وبابل هي بابل العراق سميت بابل لتبليبل الألسنة بها عند سقوط صرح نمrod أي تفرقها، قال ابن مسعود: بابل أرض الكوفة، وقيل جبل دماوند، والقراءة المعروفة على الملوك بالفتح. فإن قيل كيف يجوز تعليم السحر من الملائكة؟ قيل: له تأويلان: أحدهما، أنهما لا يتعمدان التعليم لكن يصفان السحر ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه، والتعليم بمعنى الإعلام، فالشقي يترك نصيحتهما ويتعلم السحر من صنعتهما.

والتأويل الثاني: وهو الأصح: أن الله تعالى امتحن الناس بالملوك في ذلك الوقت فمن شقى يتعلم السحر منهما [ويأخذه عنهما ويعمل به]<sup>(٤)</sup> فيكفر به، ومن سعد يتركه فيبقى على الإيمان، ويزداد المعلمان بالتعليم عذاباً، ففيه ابتلاء للمعلم [والتعلم]<sup>(٥)</sup> والله أن يمتحن عباده بما شاء، فله الأمر والحكم.

قوله عز وجل ﴿هاروت وماروت﴾ اسمان سريانيان وهما في محل الخفض على تفسير الملوك إلا أنهما نصبا لعجمتهما ومعرفتهما، وكانت قصتهما على ما ذكر ابن عباس والمفسرون<sup>(٦)</sup>: أن الملائكة رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة في زمن إدريس عليه السلام فعبروهم وقالوا: هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض خليفة واخترتهم فهم يعصونك فقال الله تعالى: لو أنزلتكم إلى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتهم مثل ما ركبو فقالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك قال لهم الله تعالى: فاختراروا ملكين من خياركم أهبطهما إلى الأرض، فاختراروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم، وقال الكلبي: قال الله تعالى لهم: اختراروا ثلاثة فاختراروا عزا وهو هاروت وعزايا وهو ماروت — غير إسمهما لما قارفا الذنب — وعزائيل، فركب الله فيهم الشهوة وأهبطهم إلى الأرض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق

(١) انظر تفصيل ذلك فيما بسطه ابن كثير من مسائل حول حقيقة السحر وحكم تعاطيه وتعلمه... في التفسير: ٢٥٢/١ — ٢٦١، أحكام القرآن للجصاص: ٥٠/١ — ٧٢.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) العِلج: الرجل الضخم من كفار العجم.

(٤) ساقط من (ب).

(٥) ساقطة من (ب).

(٦) راجع فيما سبق هامش (١) ص (١٢٧). وما قاله المحققون من المفسرين في رد هذا الروايات الاسرائيلية.

ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر، فأما عزائيل فإنه لما وقعت الشهوة في قلبه استقبل ربه وسأله أن يرفعه إلى السماء، فأقاله فسجد أربعين سنة لم يرفع رأسه، ولم يزل بعد ذلك مطأطأاً رأسه حياء من الله تعالى.

وأما الآخرون: فإنهما ثبتا على ذلك وكانا يقضيان بين الناس يومهما، فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم وصعدا إلى السماء، قال قتادة: فما مر عليهما شهر حتى افتتتا. قالوا جميعاً إنه اختصمت إليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: وكانت من أهل فارس وكانت ملكة في بلدها فلما رآياها أخذت بقلوبهما فراوداهما عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلتا مثل ذلك فأبت وقالت: لا إلا أن تعبدنا ما أعبد وتصلينا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا: لا سبيل إلى هذه الأشياء فإن الله تعالى قد نهانا عنها، فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعهما / قدح من خمر، وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها فراوداهما عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالأمس فقالا: الصلاة لغير الله عظيم، وقتل النفس عظيم، وأهون الثلاثة شرب الخمر، فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة، فزنيا فلما فرغا رآهما إنسان فقتلاه، قال الربيع بن أنس وسجدا للصنم فمسخ الله الزهرة كوكباً — وقال بعضهم: جاءتهما امرأة من أحسن الناس تخاصم زوجها فقال أحدهما للآخر: هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي (من حب هذه)؟<sup>(١)</sup> قال: نعم فقال: وهل لك أن تقضي لها على زوجها بما تقول؟ فقال له صاحبه: أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب؟ فقال له صاحبه: أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسألاها نفسها، فقالت: لا إلا أن تقتلاه فقال أحدهما: أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب؟ فقال صاحبه: أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسألاها نفسها، فقالت: لا، إن لي صنماً أعبد، إن انتما صليتما معي له: فَعَلْتُ، فقال: أحدهما لصاحبه مثل القول الأول فقال صاحبه مثله، فصليا معها له فمسخت شهاباً.

١٦/ب

قال ابن أبي طالب رضي الله عنه والكلبي والسدي: إنها قالت لهما حين سألاها نفسها: لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السماء فقالا: باسم الله الأكبر، قالت: فما أنتم تدركاني حتى تعلمانيه، فقال أحدهما لصاحبه: علمها فقال: إني أخاف الله رب العالمين، قال الآخر: فأين رحمة الله تعالى؟ فعلمها ذلك فتكلمت، فصعدت إلى السماء فمسخها الله كوكباً، فذهب بعضهم إلى أنها الزهرة بعينها وأنكر الآخرون هذا وقالوا: إن الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي أقسم الله بها فقال «فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس» (١٥ — التكوير) والتي فتنت هاروت وماروت امرأة كانت تسمى الزهرة لجمالها فلما بغت مسخها الله تعالى شهاباً، قالوا: فلما أمسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب

(١) ساقطة من ب.

هَمًّا بالصعود إلى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما، فعلمتا ما حل بهما (من الغضب)<sup>(١)</sup> فقصد إدريس النبي عليه السلام، فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله عز وجل وقال له: إنا رأيناك يصعد لك من العبادات مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاستشفع لنا، إلى ربك ففعل ذلك إدريس عليه السلام فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاخترتا عذاب الدنيا إذ علما أنه ينقطع فهما يبابل يعذبان.

واختلفوا في كيفية عذابهما فقال عبد الله بن مسعود: هما معلقان بشعورهما إلى قيام الساعة، وقال عطاء بن أبي رباح: رؤوسهما مصوبة تحت أجنحتهما، وقال قتادة (كَبَلًا)<sup>(٢)</sup> من أقدامهما إلى أصول أفضأهما، وقال مجاهد: جعلتا في جب مُلِيت نارا، وقال عمر بن سعد: منكوسان يُضربان بسياط من الحديد.

وروي أن رجلاً قصد هاروت وماروت لتعلم السحر فوجدتهما معلقين بأرجلهم، مزرقة أعينهما، مسودة جلودهما، ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلا أربع أصابع وهما يعذبان بالعطش، فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال: لا إله إلا الله، فلما سمعا كلامه قالوا له: من أنت؟ قال: رجل من الناس، قالوا: من أي أمة أنت؟ قال: من أمة محمد ﷺ قالوا: أو قد بعث محمد ﷺ؟ قال: نعم قالوا: الحمد لله، وأظهرها الاستبشار فقال الرجل: ومِمَّ استبشار؟ قالوا: إنه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ أي أحداً، و «من» صلة ﴿حتى﴾ ينصحاها أولاً و ﴿يقولان﴾ إنما نحن فتنة ﴿ابتلاء ومحنة﴾ ﴿فلا تكفر﴾ أي لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر، وأصل الفتنة: الاختبار والامتحان، من قولهم: فتنْتُ الذهب والفضة إذا أذبتهما بالنار، ليطهر الجيد من الرديء، وإنما وحَّد الفتنة وهما اثنان، لأن الفتنة مصدر، والمصادر لا تثني ولا تجمع، وقيل: إنهما يقولان «إنما نحن فتنة فلا تكفر» سبع مرات.

قال عطاء والسدي: فإن أبى إلا التعلم قالوا له: إئت هذا الرماد (وأقبل عليه)<sup>(٣)</sup> فيخرج منه نور ساطع في السماء فذلك نور المعرفة، وينزل شيء أسود شبه الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله تعالى، قال مجاهد: إن هاروت وماروت لا يصل إليهما أحد ويختلف فيما بينهما شيطان في كل مسألة اختلاف واحدة، ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ وهو أن (يؤخذ)<sup>(٤)</sup> كل واحد عن

(١) ساقطة من ب.

(٢) في ب كتلا.

(٣) في ب قبل عليه.

(٤) في أ يأخذ، ويقال: أخذه تأخيذاً، والتأخذ: حبس السواحر أزواج النساء عن غيرهن من النساء، ويقال لهذه الحيلة: الأخذة — بضم فسكون [انظر: لسان العرب مادة: أخذ].

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ  
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ  
يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ  
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٥﴾

صاحبه، وَيُقْعَضُ كل واحد إلى صاحبه قال الله تعالى: ﴿وما هم﴾ قيل أي: السحرة وقيل: الشياطين  
﴿بضارين به﴾ أي بالسحر ﴿من أحد﴾ أي أحداً، ﴿إلا بإذن الله﴾ أي: بعلمه وتكوينه، فالساحر  
يسحر والله يُكُونُ.

قال سفيان الثوري: معناه إلا بقضائه وقدرته ومشيئته، ﴿ويتعلمون ما يضرهم﴾ يعني: أن السحر  
يضرهم ﴿ولا ينفعهم﴾، ولقد علموا﴾ يعني اليهود ﴿لمن اشتراه﴾ أي اختار السحر ﴿ما له في الآخرة  
من خلاق﴾ أي في الجنة من نصيب ﴿ولبس ما شروا به﴾ باعوا به ﴿أنفسهم﴾ حظ أنفسهم، حيث  
اختاروا السحر والكفر على الدين والحق ﴿لو كانوا يعلمون﴾ فإن قيل: أليس قد قال «ولقد علموا لمن  
اشتراه» فما معنى قوله تعالى «لو كانوا يعلمون» بعدما أخبر أنهم علموا؟ قيل: أراد بقوله «ولقد علموا»  
يعني الشياطين وقوله «لو كانوا يعلمون» يعني اليهود، وقيل: كلاهما في اليهود يعني: لكنهم لما لم يعملوا بما  
علموا فكانهم لم يعلموا ﴿ولو أنهم آمنوا﴾ بمحمد ﷺ والقرآن ﴿واتقوا﴾ اليهودية والسحر ﴿المشوية من  
عند الله خير﴾ لكان ثواب الله إياهم خيراً لهم ﴿لو كانوا يعلمون﴾.

قوله تعالى: ﴿يأأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾ وذلك أن المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول  
الله، من المراجعة أي أرعنا سمعك، أي فرغ سمعك لكلامنا، يقال: أرعى إلى الشيء، ورعاه، ورعاه، أي  
أصغى إليه واستمعه، وكانت هذه اللفظة (شيئاً) <sup>(١)</sup> قبيحاً بلغة اليهود، وقيل: كان معناها عندهم اسمع لا  
سمعت.

وقيل: هي من الرعونة إذا أرادوا ان يحمقوا إنساناً قالوا له: راعنا بمعنى يأحمق ! فلما سمع اليهود هذه  
اللفظة من المسلمين قالوا فيما بينهم: كنا نسب محمداً سراً، فأعلنوا به الآن، فكانوا يأتونه ويقولون: راعنا  
يا محمد، ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ <sup>(٢)</sup> ففطن لها، وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود:  
لئن سمعتها من أحدكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربن عنقه، فقالوا: أو لستم تقولونها؟ فأنزل الله تعالى ﴿لا

(١) وفي ب سبأ.

(٢) في اسباب النزول: سعد بن عباد.



مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٠﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٦١﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ الْإِيمَانَ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٦٢﴾

تقولوا راعنا ﴿﴾ كيلا يجد اليهود بذلك سبيلا إلى شتم رسول الله ﷺ <sup>(١)</sup> ﴿وقولوا انظرونا﴾ أي انظر إلينا وقيل: انتظرونا وتأن بنا، يقال: نظرت فلانا وانتظرت، ومنه قوله تعالى «انظرونا نقتبس من نوركم» (١٣) — الحديد) قال مجاهد: معناها (فهمناه) <sup>(٢)</sup> ﴿واسمعوا﴾ ما تؤمرون به وأطيعوا ﴿وللكافرين﴾ يعني اليهود عذاب أليم ﴿﴾.

قوله تعالى: ﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ وذلك أن المسلمين كانوا إذا قالوا لحلفائهم من اليهود: آمنوا بمحمد ﷺ قالوا: ما هذا الذي تدعوننا إليه بخير مما نحن فيه ولوددنا لو كان خيراً، فأنزل الله تكديماً لهم ﴿ما يود الذين﴾ أي ما يحب ويتمنى الذين كفروا من أهل الكتاب يعني اليهود ﴿ولا المشركين﴾ جره بالنسق على من ﴿أن ينزل عليكم من خير من ربكم﴾ أي خير ونبوة، ومن صلة ﴿والله يختص برحمته﴾ بنبوته ﴿من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ والفضل ابتداء إحسان بلا علة. وقيل: المراد بالرحمة الإسلام والهداية وقيل: معنى الآية إن الله تعالى بعث الأنبياء من ولد إسحاق فلما بعث النبي ﷺ من ولد إسماعيل لم يقع ذلك بود اليهود ومحبتهم، (فنزلت الآية) <sup>(٣)</sup> وأما المشركون فإنما لم تقع بودهم لأنه جاء بتضليلهم وعيب آلهتهم.

قوله عز وجل ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾ وذلك أن المشركين قالوا: إن محمداً ما يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلاف ما يقوله إلا من تلقاء نفسه يقول [اليوم قولاً ويرجع عنه غداً كما أخبر الله «وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم»] <sup>(٤)</sup> بما ينزل قالوا: إنما أنت مفتري» (١٠١ — النحل) وأنزل ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾ فبين وجه الحكمة من النسخ بهذه الآية. والنسخ في اللغة شيان <sup>(٥)</sup>:

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٢/٧٥، أسباب النزول للواحدي ص (٣١).

(٢) وفي ب فهمنا.

(٣) ساقطة من ب.

(٤) ساقط من أ.

(٥) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٥/٤٢٤، مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص (٤٩٠).

أحدهما: بمعنى التحويل والنقل ومنه نسخ الكتاب وهو أن يحول من كتاب إلى كتاب فعلى هذا الوجه كل القرآن منسوخ لأنه نسخ من اللوح المحفوظ.

والثاني: يكون بمعنى الرفع يقال: نسخت الشمس الظل أي ذهبت به وأبطلته. فعلى هذا يكون بعض القرآن ناسخاً وبعضه منسوخاً وهو المراد من الآية / وهذا على وجه، أحدها: أن يثبت الخط وينسخ الحكم مثل آية الوصية للأقارب. وآية عدة الوفاة بالحوال وآية التخفيف في القتال وآية الممتحنة ونحوها<sup>(١)</sup>، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ما ننسخ من آية﴾ ما ثبت خطها وبندل حكمها، ومنها أن ترفع تلاوتها ويبقى حكمها مثل آية الرجم، ومنها أن ترفع تلاوته أصلاً عن المصحف وعن القلوب كما روي عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف: أن قوماً من الصحابة رضي الله عنهم قاموا ليلة ليقرؤوا سورة فلم يذكروا منها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا إلى النبي ﷺ فأخبروه فقال رسول الله ﷺ «تلك سورة رفعت تلاوتها وأحكامها»<sup>(٢)</sup>، وقيل: كانت سورة الأحزاب مثل سورة البقرة، فرفع أكثرها تلاوة وحكماً، ثم من نسخ الحكم ما يرفع ويقام غيره مقامه، كما أن القبلة نسخت من بيت المقدس إلى الكعبة، والوصية للأقارب نسخت بالميراث وعدة الوفاة نسخت من الحول إلى أربعة أشهر وعشر، ومصابرة الواحد العشر في القتال نسخت بمصابرة الاثنين، ومنها ما يرفع ولا يُقام غيره مقامه، كامتحان النساء. والنسخ إنما يعترض على الأوامر والنواهي دون الأخبار.

أما معنى الآية فقوله ﴿ما ننسخ من آية﴾ قراءة العامة بفتح النون وكسر السين من النسخ، أي: نرفعها، وقرأ ابن عامر بضم النون وكسر السين من الإنساخ وله وجهان:

أحدهما: أن نجعله كالمُنسوخ.

والثاني: أن نجعله نسخة له [يقال: نسخت الكتاب أي كتبت، وأنسخته غيري إذا جعلته نسخة له]<sup>(٣)</sup> ﴿أو ننسها﴾ أي ننسها على قلبك.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما، نتركها لا ننسخها، قال الله تعالى «نسوا الله فنسيهم» (٦٧) —

(١) انظر تفضيل أحكام النسخ وما يتعلق به في: الرسالة للإمام الشافعي ص ١٣٧ وما بعدها، والايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه. كتاب التفسير: ٣٨٢/١ — ٣٨٦ وعامة كتب أصول الفقه.

(٢) عزاه ابن كثير للطبراني بسنده عن سالم عن أبيه وقال: سليمان بن الأرقم ضعيف. وقال: وقد روى أبو بكر الأنباري عن أبي أمامة مثله مرفوعاً: التفسير ١٥١/١ طبع بيروت، وحديث أبي أمامة فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث، وهو ضعيف. وعن عمر قال: قرأ رجلان من الأنصار سورة أقرأهما رسول الله ﷺ وكانا يقرآن بها، فقاما يقرآن ذات ليلة يصليان فلم يقدرأ منها على حرف فأصبحا غادين على رسول الله ﷺ فذكرا ذلك له فقال رسول الله ﷺ: إنها مما نسخ أو نسي فألها عنها فكان الزهري يقرؤها (ما ننسخ من آية أو ننسها) بضم النون خفيفة. رواه الطبراني وفيه سليمان بن أرقم وهو متروك (المجمع: ٣١٥/٦). وأخرج حديث أبي أمامة بن سهل الواحد أيضاً في التفسير: ١٧٢/١، وانظر: أسباب النزول للواحدي ص ٣٢ وتفسير القرطبي: ٦٣/٢، الدر المنثور: ٢٥٦/١.

(٣) زيادة في ب.

وَدَكْثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا  
مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ  
بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

التوبة) أي تركوه فتركهم وقيل ﴿ننسخها﴾ أي: نأمر بتركها، يقال: أنسيت الشيء إذا أمرت بتركه، فيكون النسخ الأول من رفع الحكم وإقامة غيره مقامه، والإنشاء يكون ناسخاً من غير إقامة غيره مقامه.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو أو ننسأها بفتح النون الأول والسين مهموزاً أي تؤخرها فلا نبدها يقال: نسأ الله في أجله ونسأ الله أجله، وفي معناه قولان: أحدهما: نرفع تلاوتها ونؤخر حكمها كما فعل في آية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الأول بمعنى رفع التلاوة والحكم، والقول الثاني: قال سعيد بن المسيب وعطاء: أما ما نسخ من آية فهو ما قد نزل من القرآن جعله من النسخة أو ننسأها أي تؤخرها ونتركها في اللوح المحفوظ ولا تنزل.

﴿نأت بخير منها﴾ أي بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لأجركم، لا أن آية خير من آية، لأن كلام الله واحد وكله خير ﴿أو مثلها﴾ في المنفعة والثواب فكل ما نسخ إلى الأيسر فهو أسهل في العمل وما نسخ إلى الأشق فهو في الثواب أكثر ﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾؟ من النسخ والتبديل، لفظه استفهام، ومعناه تقرير، أي: إنك تعلم.

﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم﴾ يا معشر الكفار عند نزول العذاب ﴿من دون الله﴾ مما سوى الله ﴿من ولي﴾ قريب وصديق وقيل: من وال وهو القيم بالأمور ﴿ولا نصير﴾ ناصر يمنعكم من العذاب.

قوله: ﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم﴾ نزلت في اليهود حين قالوا: يا محمد اثنتا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة فقال تعالى ﴿أم تريدون﴾ يعني أتريدون فالميم صلة وقيل: بل تريدون أن تسألوا رسولكم محمداً ﷺ ﴿كما سئل موسى من قبل﴾ سأله قومه: أرنا الله جهرة وقيل: إنهم سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً<sup>(١)</sup>، كما أن موسى سأله قومه فقالوا: أرنا الله جهرة، ففيه منعهم عن السؤالات المقبوحة بعد ظهور الدلائل والبراهين ﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان﴾ يستبدل الكفر بالإيمان ﴿فقد ضلّ سواء السبيل﴾ أخطأ وسط الطريق وقيل: قصد السبيل.

قوله تعالى: ﴿ود كثير من أهل الكتاب﴾ الآية نزلت في نفر من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان

(١) قال الله تعالى: «وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً،»

## وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾

وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد: لو كنتم على الحق ما هزمت، فارجعوا إلى ديننا فنحن أهدي سبيلا منكم فقال لهم عمار: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديد، قال فإني قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد ﷺ ما عشت. فقالت اليهود: أما هذا فقد صبا وقال حذيفة: أما أنا فقد رضيت بالله رباً، وبمحمد نبياً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن إماماً، وبالكعبة قبله، وبالمؤمنين إخواناً، ثم أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بذلك فقال رسول الله ﷺ «قد أصبتما الخير وأفلحتما» فأنزل الله تعالى «ود كثير من أهل الكتاب»<sup>(١)</sup> أي تمنى وأراد كثير من أهل الكتاب من اليهود ﴿لو يردونكم﴾ يا معشر المؤمنين ﴿من بعد إيمانكم كفاراً حسداً﴾ نصب على المصدر، أي يحسدونكم حسداً ﴿من عند أنفسهم﴾ أي من تلقاء أنفسهم ولم يأمرهم الله بذلك، ﴿من بعد ما تبين لهم الحق﴾ في التوراة أن قول محمد ﷺ صدق ودينه حق ﴿فاعفوا﴾ فاتركوا ﴿واصفحوا﴾ وتجاوزوا، فالعفو: المحو، والصفح: الاعراض، وكان هذا قبل آية القتال ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ بعذابه: القتل والسبي لبني قريظة، والجلاء والنفي لبني النضير<sup>(٢)</sup>، قاله ابن عباس رضي الله عنهما. وقال قتادة<sup>(٣)</sup>: هو أمره بقتالهم في قوله «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر — إلى قوله — وهم صاغرون» (٢٩ — التوبة) وقال ابن كيسان: بعلمه وحكمه فيهم حكم بعضهم بالإسلام وبعضهم بالقتل والسبي والجزية ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾.

﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا﴾ (تسلفوا)<sup>(٤)</sup> ﴿لأنفسكم من خير﴾ طاعة وعمل صالح ﴿تجدوه عند الله﴾ وقيل: أراد بالخير المال كقوله تعالى «إن ترك خيراً» (١٨٠ — البقرة) وأراد من زكاة وصدقه ﴿تجدوه عند الله﴾ حتى الثمرة واللقمة مثل أحد ﴿إن الله بما تعملون بصير﴾.

= أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً — أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرؤيتك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه. قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً» سورة الاسراء، الآيات (٩٠ — ٩٣). وانظر لباب التفسير محمود بن حمزة: ٣٩٠/١ — ٣٩١.

(١) قال الحافظ ابن حجر، رحمه الله: لم أجده مستنداً، وهو في تفسير الثعلبي كذلك بلا سند ولا راو. «انظر الكافي الشاف ص ١٠ وذكره مختصراً الواحدي في التفسير عن ابن عباس: ١٧٤/١.

(٢) انظر: البحر المحيط: ٣٤٨/١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٣/٢ — ٥٠٤ والدر المنثور: ٢٦٢/١، وتفسير الواحدي: ١٧٥/١.

(٤) زيادة من ب.

— وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٣﴾ بَلَىٰ مَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٤﴾ — وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُم يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٥﴾

قوله: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا﴾ أي يهوديًا، قال الفراء: حذف الياء الزائدة ورجع إلى الفعل من اليهودية، وقال الأخفش: اليهود: جمع هائد، مثل عائد وعود، وحائل وحول<sup>(١)</sup> ﴿أو نصارى﴾ وذلك أن اليهود قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًا ولا دين إلا دين اليهودية. وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًا ولا دين إلا دين النصرانية.

وقيل: نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا في مجلس رسول الله ﷺ مع اليهود فكذب بعضهم بعضًا، قال الله تعالى ﴿تلك أمانيتهم﴾ أي شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير الحق ﴿قل﴾ يا محمد ﴿هاتوا﴾ أصله آتوا ﴿برهانكم﴾ حجتكم على ما زعمتم ﴿إن كنتم صادقين﴾ ثم قال ردًا عليهم ﴿بلى من أسلم وجهه﴾ أي ليس الأمر كما قالوا، بل الحكم للإسلام وإنما يدخل الجنة من أسلم وجهه ﴿لله﴾ أي أخلص دينه لله وقيل: أخلص عبادته لله وقيل: خضع وتواضع لله، وأصل الإسلام: الاستسلام والخضوع، وخص الوجه لأنه إذا جاد بوجهه في السجود لم ييخل بسائر جوارحه ﴿وهو محسن﴾ في عمله، وقيل: مؤمن وقيل: مخلص ﴿فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

قوله ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء﴾ نزلت في يهود المدينة ونصارى أهل نجران<sup>(٢)</sup> وذلك أن وفد نجران لما قدموا على النبي ﷺ أتاهم أحبار اليهود: فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت

(١) الحائل: الناقة الحائل: التي حمل عليها الفحل فلم تلقح.

(٢) أخرج الطبري عن ابن عباس قال: لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رافع بن خزيمة: ما أنتم على شيء! وكفر بعيسى بن مريم وبالإنجيل. فقال رجل من أهل نجران من النصارى: ما أنتم على شيء! وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهما: «وقالت اليهود: ليست النصارى على شيء»، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء» إلى قوله «فما كانوا فيه يختلفون». تفسير الطبري: ٥١٣/٢ — ٥١٤، وانظر: تفسير الواحدي: ١٧٦/١، أسباب النزول للواحدي ص ٣٣، تفسير ابن كثير: ٢٧٣/١، وفيه: رافع بن حرملة.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ  
مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ  
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾

لهم اليهود، ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بعبسى والإنجيل، وقالت لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بموسى والتوراة فأنزل الله تعالى ﴿وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب﴾ [وكلا الفريقين يقرؤون الكتاب، قيل: معناه ليس في كتبهم هذا الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب] <sup>(١)</sup> ومخالفتهم ما فيه على كونهم على الباطل ﴿كذلك قال الذين لا يعلمون﴾ يعني: آباءهم الذين مضوا ﴿مثل قولهم﴾ قال مجاهد: يعني: عوام النصارى، وقال مقاتل: يعني مشركي العرب، كذلك قالوا في نبيهم محمد ﷺ وأصحابه: إنهم ليسوا على شيء من الدين.

وقال عطاء: أُم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام قالوا لنبيهم: إنه ليس على شيء <sup>(٢)</sup> ﴿فأله يحكم بينهم يوم القيامة﴾ يقضي بين الحق والمبطل ﴿فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من الدين.

قوله ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر﴾ الآية نزلت في طيطوس بن اسبيسانوس الرومي وأصحابه، وذلك أنهم غزوا بني إسرائيل فقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم، وحرقوا التوراة وخرّبوا بيت المقدس، وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير، فكان خراباً إلى أن بناه المسلمون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقال قتادة والسدي: هو يختنصر وأصحابه غزوا اليهود وخرّبوا بيت المقدس وأعانهم على ذلك النصارى، طيطوس الرومي وأصحابه من أهل الروم <sup>(٣)</sup>، قال السدي: من أجل أنهم قتلوا يحيى بن زكريا، وقال قتاده: حملهم بعض اليهود على معاونة يختنصر البابلي (المجوسي) <sup>(٤)</sup> فأنزل الله تعالى (ومن أظلم) أي أكفر وأعتى ﴿ممن منع مساجد الله﴾ يعني بيت المقدس ومحاربه <sup>(٥)</sup>. ﴿أن يذكر فيها اسمه وسعى﴾

(١) زيادة من (ب).

(٢) انظر: تفسير الطبري ٥١٧/٢، ابن كثير: ٢٧٣/١، الواحدي: ١٧٦/١ واختار الطبري أن الآية عامة تصلح للجميع، وليس ثم دليل قاطع يبيّن واحداً من هذه الأقوال، والحمل على الجميع أولى.

(٣) انظر الدر المنثور: ٢٦٤/١ — ٢٦٥، وتفسير ابن كثير: ٢٧٤/١، والطبري: ٥٢٠/٢ — ٥٢١.

(٤) زيادة من ب.

(٥) وأخرج ابن أبي حاتم أن قريشاً منعوا النبي ﷺ الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام، فأنزل الله تعالى: «ومن أظلم...»، انظر: لباب النقول للسيوطي: ص ٤٣٨ بهامش الجلالين. =

عمل ﴿في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾ وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى ومحل زيارتهم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يدخلها يعني بيت المقدس بعد عمارتها رومي إلا خائفاً / لو عَلِمَ به لقتل. وقال قتادة ومقاتل: لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلا متكرراً لو قدر عليه لعوقب، قال السدي: أخيفوا بالجزية. وقيل: هذا خبر بمعنى الأمر، أي أجهضوهم بالجهاد حتى لا يدخلها أحد (منهم)<sup>(١)</sup> إلا خائفاً من القتل والسبي أي ما ينبغي ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ عذاب وهوان، قال قتادة: هو القتل للحربي والجزية للذمي، قال مقاتل (والكلبي)<sup>(٢)</sup> تفتح مدائنهم الثلاثة قسطنطينية، ورومية، وعمورية<sup>(٣)</sup> ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ وهو النار، وقال عطاء وعبد الرحمن بن زيد: نزلت في مشركي مكة، وأراد بالمساجد المسجد الحرام منعوا رسول الله ﷺ وأصحابه من حجه والصلاة فيه عام الحديبية، وإذا منعوا من أن يعمره بذكر فقد سعوا في خرابه ﴿وأولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾ يعني أهل مكة يقول أفتحها عليكم حتى تدخلوها وتكونوا أولى بها منهم، ففتحها عليهم وأمر النبي ﷺ منادياً ينادي: «ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك»<sup>(٤)</sup> فهذا خوفهم، وثبت في الشرع أن لا يمكن مشرك من دخول الحرم، ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ الذل والهوان والقتل والسبي والنفي.

= ورجحه ابن كثير، وأخرج ابن جرير عن أبي زيد قال: هؤلاء المشركون — حين حالوا بين رسول الله ﷺ وبين أن يدخل مكة، قال: وأولى التأويلات قول من قال: عنى الله عز وجل بقوله «ومن أظلم...» النصارى، انظر: تفسير الطبري ٥٢١/٢.

(١) زيادة في ب.

(٢) والكلبي زيادة في ب.

(٣) أخرج الإمام أحمد في المسند: ١٧٦/٢ عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وسئل: أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له خلق، قال: فأخرج منه كتاباً، قال: فقال عبد الله: بينا نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولاً: قسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: مدينة هرقل تفتح أولاً، يعني قسطنطينية. وصححه الحاكم في المستدرک: ٥٠٨/٤، ٥٥٥، ووافقه الذهبي.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢١٩/٦: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقة.

و (رومية): مخففة الياء المنقوطة من تحت — هي مدينة رئاسة الروم وعلمهم، من عجائب الدنيا بناء وسعة وكثرة خلق، وقد حكى فيها حكايات تأبها العقول وتستبعدها، انظر: مرصد الاطلاع للبغدادي: ٦٤٢/٢.

و (عمورية)، بفتح أوله وتشديد ثانيه: بلد ببلاد الروم، غزاه المعتصم ففتحها، كان من أعظم فتوح الإسلام، مرصد الاطلاع: ٩٦٣/٢.

و (قسطنطينية) ويقال: قسطنطينية باسقاط ياء النسبة؛ كان اسمها بزنطية، فنزلها قسطنطين الأكبر، وبنى عليها سوراً وصارت دار ملك الروم وعاصمتهم، مرصد الاطلاع: ١٠٩٢/٣، وكتب الله تعالى فتحها للمسلمين على يد السلطان العثماني محمد الفاتح، الذي لقب بذلك لفتحها القسطنطينية، في سنة (٨٥٧) هـ (١٤٥٣) م.

(٤) أخرجه البخاري: في الصلاة — باب: ما يستر من العورة: ٤٧٧/١ وفي الحج والمغازي والجهاد والتفسير.

ومسلم: في الحج — باب: لا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، برقم (١٣٤٧) ٩٨٢/٢.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٢١/٧.

وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾  
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَلْبُونٌ ﴿١١٦﴾

قوله عز وجل ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: خرج نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في سفر قبل تحويل القبلة إلى الكعبة، فأصابهم الضباب وحضرت الصلاة، فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم أنهم لم يصيبوا وأنهم مخطئون في تحريمهم فلما قدموا سألوا رسول الله عن ذلك فنزلت هذه الآية (١).

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: نزلت في المسافر يصلي التطوع حيث ما توجهت به راحلته.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد الفقيه السرخسي أنا أبو اسحاق إبراهيم ابن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي على راحلته في السفر حيث ما توجهت به» (٢).

قال عكرمة: نزلت في تحويل القبلة، قال أبو العالية: لما صرفت القبلة إلى الكعبة عبرت اليهود المؤمنين وقالوا: ليست لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة هكذا، فأنزل الله تعالى هذه الآية (٣)، وقال مجاهد والحسن: لما نزلت «وقال ربكم ادعوني أستجب لكم» (٦٠ - غافر) قالوا: أين ندعوه فأنزل الله عز وجل (٤) ﴿ولله المشرق والمغرب﴾ ملكاً وخلقاً ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ يعني أينما تحولوا وجوهكم فثم أي: هناك (رحمة) (٥) الله، قال الكلبي: فثم الله يعلم ويرى والوجه صلة كقوله تعالى: «كل شيء هالك إلا وجهه» (٨٨ - القصص) أي إلا هو، وقال الحسن ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حبان: فثم قبلة الله، والوجه والوجهة والجهة القبلة، وقيل: رضا الله تعالى.

﴿إن الله واسع﴾ أي غني يعطي في السعة، قال الفراء: الواسع الجواد الذي يسع عطاؤه كل شيء،

(١) أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس بمعناه.

انظر: لباب النقول للسيوطي بهامش الجلالين ص (٤٥)، وقال ابن كثير بعد أن ساق عدداً من الروايات في التفسير: ٢٧٩/١، وهذه الأسانيد فيها ضعف، ولعله يشد بعضها بعضاً، وانظر: نصب الراية للزيلعي: ٣٠٥/١.

(٢) أخرجه البخاري: في الصلاة - باب: التوجه نحو القبلة حيث كان: ٥٠٣/١ عن جابر.

ومسلم: في صلاة السفر - باب: جواز صلاة النافلة على الدابة: برقم (٧٠٠) ٤٨٧/١ عن ابن عمر.

والمنصف في شرح السنة: ١٨٨/٤ عن نافع عن ابن عمر، وانظر: تفسير الطبري: ٥٣٠/٢.

(٣) انظر تفسير الواحدي: ١٧٧/١.

(٤) انظر تفسير الطبري: ٥٣٤/٢.

(٥) وجه الله في ب، وهو الأصح وذلك لعدم التأويل وهذا منج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته. والبعوي رحمه الله منهجه عدم التأويل ويظهر أن هذا من الناسخ حيث أثبت الوجه في نسخه (ب) والله أعلم.



قال الكلبي: واسع المغفرة ﴿عليهم﴾ بنياتهم حيثما صلوا ودعوا.

قوله تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الله ولداً﴾ قرأ ابن عامر قالوا اتخذ الله بغير واو، وقرأ الآخرون بالواو [ وقالوا اتخذ الله ولداً<sup>(١)</sup> ] نزلت في يهود المدينة حيث قالوا: «عزير ابن الله» وفي نصارى نجران حيث قالوا: «المسيح ابن الله»، وفي مشركي العرب حيث قالوا: الملائكة بنات الله<sup>(٢)</sup> ﴿سبحانه﴾ نزه وعظم نفسه.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن عبد الرحمن بن أبي حسن عن نافع بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً»<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى ﴿بل له ما في السموات والأرض﴾ عبداً ومَلَكاً ﴿كل له قانتون﴾ قال مجاهد وعطاء والسدي: مطيعون وقال عكرمة ومقاتل: مُقِرُونَ له بالعبودية، وقال ابن كيسان: قائمون بالشهادة، وأصل القنوت القيام قال النبي ﷺ: «أفضل الصلاة طول القنوت»<sup>(٤)</sup>، واختلفوا في حكم الآية فذهب جماعة إلى أن حكم الآية خاص، وقال مقاتل: هو راجع إلى عزير والمسيح والملائكة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هو راجع إلى أهل طاعته دون سائر الناس، وذهب جماعة إلى أن حكم الآية عام في جميع الخلق لأن «كل» تقتضي الإحاطة بالشئ بحيث لا يشذ منه شيء<sup>(٥)</sup>، ثم سلكوا في الكفار طريقين: فقال مجاهد: يسجد ظلالم لله على كره منهم قال الله تعالى: «وظلالمم بالغدو والآصال» (١٥ — الرعد) وقال السدي: هذا يوم القيامة دليله [«وعنت الوجوه للحي القيوم» (١١١ — طه) وقيل (قانتون) مذللون مسخرون لما خلقوا له]<sup>(٦)</sup>.

(١) ساقط من أ.

(٢) انظر: الوسيط للواحدى ١٧٨/١، ١٧٩.

(٣) أخرجه البخاري، في التفسير — باب: وقالوا: اتخذ الله ولداً — ١٦٨/٨ وفي بدء الخلق.

والمصنف في شرح السنة: ٨١/١ من طريق همام بن منبه عن أبي هريرة، بنحوه، وانظر: ابن كثير: ٢٨٢/١.

(٤) أخرجه مسلم: في صلاة المسافرين — باب: أفضل الصلاة طول القنوت: برقم (٧٥٦، ٧٥٧) ٥٢٠/١.

(٥) قال الإمام الطبري في التفسير: «وقد زعم بعض من قصرت معرفته عن توجيه الكلام وجهته، أن قوله: «كل له قانتون»، خاصة لأهل الطاعة، وليست بعامّة، وغير جائز ادعاء خصوص في آية عام ظاهرها، إلا بحجة يجب التسليم لها، لما قد بينّا في كتابنا «كتاب البيان عن أصول الأحكام».

وهذا خبر من الله جلّ وعزّ عن أن المسيح — الذي زعمت النصارى أنه ابن الله — مكذّبهم هو والسموات والأرض وما فيها، إما باللسان، وإما بالدلالة، وذلك أن الله، جلّ ثناؤه، أخبر عن جميعهم، بطاعتهم إياه، وإقرارهم له بالعبودية، عقب قوله: «وقالوا اتخذ الله ولداً»، فدلّ ذلك على صحة ما قلنا»، تفسير الطبري: ٥٣٩/٢ — ٥٤٠.

(٦) نهادة من ب.

بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي مبدعها ومنشئها من غير مثال سبق ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أي قَدَره، وقيل: أحكمه وقدره [وَأَتَقَنَهُ، وَأَصْلُ الْقَضَاءِ: الْفَرَاغُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِمَنْ مَاتَ: قَضِيَ عَلَيْهِ لِفَرَاغِهِ مِنَ الدُّنْيَا، وَمِنْهُ قَضَاءُ اللَّهِ وَقَدَرُهُ] <sup>(١)</sup> لَأَنَّهُ فَرَّغَ مِنْهُ تَقْدِيرًا وَتَدْبِيرًا.

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ قرأ ابن عامر كُنْ فَيَكُونُ بِنَصْبِ النُّونِ فِي جَمِيعِ الْمَوَاضِعِ إِلَّا فِي آلِ عِمْرَانَ «كُنْ فَيَكُونُ، الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ» وَفِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ «كُنْ فَيَكُونُ، قَوْلُهُ الْحَقُّ» وَإِنَّمَا نَصَبُهَا لِأَنَّ جَوَابَ الْأَمْرِ بِالْفَاءِ يَكُونُ مَنْصُوبًا [وَافَقَهُ الْكَسَاؤِيُّ فِي النَّحْلِ وَيس] <sup>(٢)</sup>، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالرَّفْعِ عَلَى مَعْنَى فَهُوَ يَكُونُ، فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ قَالَ (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) وَالْمَعْدُومُ لَا يَخَاطَبُ، قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: مَعْنَاهُ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ أَيْ لِأَجْلِ تَكْوِينِهِ، فَعَلَى هَذَا ذَهَبَ مَعْنَى الْخُطَابِ، وَقِيلَ: هُوَ وَإِنْ كَانَ مَعْدُومًا وَلَكِنَّهُ لَمَّا قَدَّرَ وَجُودَهُ وَهُوَ كَائِنٌ لَا مُحَالَةَ كَانَ كَالْمَوْجُودِ فَصَحَّ الْخُطَابُ.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الْيَهُودُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: النَّصَارَى، وَقَالَ قَتَادَةُ: مُشْرِكُو الْعَرَبِ ﴿لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ عَيَانًا بِأَنَّكَ رَسُولُهُ وَكُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ ﴿لَوْلَا﴾ فَهُوَ بِمَعْنَى هَلَّا، إِلَّا وَاحِدًا، وَهُوَ قَوْلُهُ «فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ» (١٤٣ - الصَّافَاتِ) مَعْنَاهُ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ دَلَالَةٌ وَعَلَامَةٌ عَلَى صِدْقِكَ فِي ادِّعَائِكَ النَّبُوَّةَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أَيْ كَفَّارِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ، تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أَيْ أَشْبَهَ بَعْضُهَا بَعْضًا فِي الْكُفْرِ وَالْقَسْوَةِ وَطَلَبِ الْحَالِ ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ أَيْ بِالصِّدْقِ كَقَوْلِهِ «وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ؟» (٥٣ - يُونُسَ) أَيْ صِدْقٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: بِالْقُرْآنِ دَلِيلُهُ «بَلْ كَذَبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ» (٥ - ق) وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: بِالْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِهِ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ» (٨١ - الْإِسْرَاءِ) وَقَالَ مُقَاتِلٌ: مَعْنَاهُ لَمْ

(١) زيادة من ب.

(٢) زيادة من ب.

وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنْ  
اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾

نرسلك عبثاً، إنما أرسلناك بالحق كما قال: «وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق» (٨٥) — (الحجر).

قوله عز وجل ﴿بشيراً﴾ أي مبشراً لأوليائي وأهل طاعتي بالثواب الكريم ﴿ونذيراً﴾ أي منذراً مخوفاً لأعدائي وأهل معصيتي بالعذاب الأليم، قرأ نافع ويعقوب ﴿ولا تسأل﴾ على النهي قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم: «ليت شعري ما فعل أبوي» فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، وقيل: هو على معنى قولهم ولا تسأل عن شر فلان فإنه فوق ما تحسب وليس على النهي، وقرأ الآخرون ﴿ولا تسأل﴾ بالرفع على النفي بمعنى ولست بمسؤول عنهم<sup>(٢)</sup> كما قال الله تعالى: «فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب» (٢٠ — آل عمران)، ﴿عن أصحاب الجحيم﴾ والجحيم معظم النار.

قوله عز وجل ﴿ولن ترضىٰ عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل إن هدى الله هو الهدى﴾ وذلك أنهم كانوا يسألون النبي ﷺ الهدنة ويطمعون به في أنه إن أمهلهم اتبعوه فأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>(٣)</sup>، معناه وإنك إن هادنتهم فلا يرضون بها وإنما يطلبون ذلك تعللاً ولا يرضون منك إلا باتباع ملتهم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا في القبلة وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي ﷺ حين كان يصلي إلى قبلتهم فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة أيسوا في أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله تعالى ﴿ولن ترضىٰ عنك اليهود﴾ إلا باليهودية ﴿ولا النصارى﴾ إلا بالنصرانية<sup>(٤)</sup> والملة الطريقة ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ قيل الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به الأمة كقوله «لئن أشركت

(١) نقله ابن كثير عن عبد الرزاق بسنده عن محمد بن كعب القرظي، وقال: رواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن موسى بن عبيدة، وقد تكلموا فيه — ابن كثير: ٢٨٥/١ دار الأرقم.

قال ابن حجر في التقریب موسى بن عبيدة بن نشيط الرّبذی ضعيف.

وقال الشيخ أحمد شاكر تعقيماً على روايتي الطبري: «هما حديثان مرسلان، فإن محمد بن كعب بن سليم القرظي: تابعي، والمرسل لا تقوم به حجة، ثم هما إسنادان ضعيفان أيضاً لضعف راويهما: موسى بن عبيدة بن نشيط الرّبذی: ضعيف جداً، مترجم في التهذيب، والكبير للبخاري: ٢٩١/١/٤، والصغير: ١٧٢ — ١٧٣، وابن أبي حاتم: ١٥١/١/٤ — ١٥٢ فقال البخاري: «منكر الحديث، قاله أحمد بن حنبل، وقال علي بن المديني عن القطان: كنا نتقيه تلك الأيام».... انظر تفسير الطبري: ٥٥٨/٢ — ٥٥٩ بتعليق الشيخ شاكر، وعزاه السيوطي لعبد بن حميد أيضاً وابن المنذر، وقال: هذا مرسل ضعيف الإسناد «الدر المنثور: ٢٧١/١. وهذا ما رجحه الإمام الطبري، ووجهه توجيهاً دقيقاً وجاء بحجة قوية انظر: التفسير: ٥٥٩/٢ — ٥٦١، مع تعليق الشيخ شاكر، وقارن تفسير ابن كثير: ٢٨٥/١، طبعة دار الأرقم.

(٣) انظر: البحر المحيط لأبي حيان: ٣٦٨/١.

(٤) انظر: لباب النقول للسيوطي بهامش الجلالين ص ٤٨ — ٤٩، وقد عزاه في الدر المنثور للثعلبي.

الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ۖ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ ۖ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن دُرِيِّي قَالَ لَا إِنَّا لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾

ليحبطن عملك» (٦٥ - الزمر) ﴿بعد الذي جاءك من العلم﴾ البيان بأن دين الله هو الإسلام والقبلة قبله إبراهيم عليه السلام وهي الكعبة ﴿ما لك من الله من ولي ولا نصير، الذين آتيناهم الكتاب﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وكانوا أربعين رجلاً اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا<sup>(١)</sup>، وقال الضحاك: هم من آمن من اليهود عبد الله بن سلام وسعية بن عمرو وتام بن يهودا وأسد وأسيد ابنا كعب وابن يامين وعبد الله بن سوريا<sup>(٢)</sup>، وقال قتادة وعكرمة: هم أصحاب محمد ﷺ وقيل: هم المؤمنون عامة<sup>(٣)</sup> ﴿يتلونهم حق تلاوته﴾ قال الكلبي: يصفونهم في كتبهم حق صفته لمن سألهم من الناس، والهاء راجعة إلى محمد ﷺ، وقال الآخرون: هي عائدة إلى الكتاب، واختلفوا في معناه فقال ابن مسعود رضي الله عنه: يقرؤونه كما أنزل ولا يحرفونه، ويحلون حلاله ويحرمون حرامه، وقال الحسن: يعملون بحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون علم ما أشكل عليهم إلى عالمه، وقال مجاهد: يتبعونه حق اتباعه.

قوله ﴿أولئك يؤمنون به، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون \* يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين \* واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾ / ١٨ أ

قوله تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن﴾ قرأ ابن عامر إبراهيم بالآلف في أكثر المواضع وهو اسم أعجمي ولذلك لا يُجر وهو إبراهيم بن تارخ بن ناخور وكان مولده بالسوس من أرض الأهواز وقيل بابل وقيل: كوفي، وقيل: [لشكر]<sup>(٤)</sup>، وقيل حران، وكان أبوه نقله إلى أرض بابل أرض نمرود ابن

(١) انظر: البحر المحيط: ٣٦٩/١، أسباب النزول للواحيدي: ص (٣٧)، الوسيط: ١٨٤/١.

(٢) البحر المحيط: ٣٦٩/١، الطبري: ٥٦٤/٢ وهو ما رجحه، رحمه الله.

(٣) البحر المحيط: ٣٦٩/١، الطبري: ٥٦٤/٢.

(٤) في ب كسك.

كنعان، ومعنى الابتلاء الاختبار والامتحان والأمر، وابتلاء الله العباد ليس ليعلم أحوالهم بالابتلاء، لأنه عالم بهم، ولكن ليعلم العباد أحوالهم حتى يعرف بعضهم بعضاً.

واختلفوا في الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم عليه السلام، فقال عكرمة وابن عباس رضي الله عنهما: هي ثلاثون سماهن شرائع الإسلام، ولم يُتَبَلَّ بها أحد فأقامها كلها إلا إبراهيم فكتب له البراءة، فقال تعالى: «وإبراهيم الذي وفى» (٣٧ - النجم) عشر في براءة «التائبون العابدون» إلى آخرها، وعشر في الأحزاب «إنَّ المسلمين والمسلمات»، وعشر في سورة المؤمنين في قوله: «قد أفلح المؤمنون» الآيات، وقوله (إلا المصلين) في سأل سائل<sup>(١)</sup>.

وقال طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما: ابتلاه الله بعشرة أشياء وهي: الفطرة خمس في الرأس: قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس، وخمس في الجسد: تقليم الأظفار، وتنف الإبط، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء بالماء<sup>(٢)</sup>.

وفي الخبر: «أن إبراهيم عليه السلام أول من قص الشارب، وأول من اختتن، وأول من قلم الأظفار، وأول من رأى الشيب، فلما رآه قال: يارب ما هذا؟ قال [سمة]<sup>(٣)</sup>: الوقار، قال: يارب زدني وقاراً»<sup>(٤)</sup> قال مجاهد: هي الآيات التي بعدها في قوله عز وجل «إني جاعلك للناس إماماً» (١٢٤ - البقرة) إلى آخر القصة، وقال الربيع وقتادة: مناسك الحج، وقال الحسن: ابتلاه الله بسبعة أشياء: بالكواكب والقمر والشمس، فأحسن فيها النظر وعلم أن ربه دائم لا يزول، وبالنار فصبر عليها، وبالهجرة وبذبح ابنه وبالختان فصبر عليها، قال سعيد بن جبير: هو قول إبراهيم وإسماعيل إذ يرفعان البيت «ربنا تقبل منا» (١٢٧ - البقرة) الآية فرفعها بسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله [والله أكبر]<sup>(٥)</sup>، قال يمان بن رباب: هن حاجة قومه قال الله تعالى: «وحاجه قومه» إلى قوله تعالى — «وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم» (٨٣ - الأنعام) وقيل هي قوله: «الذي خلقني فهو يهدين» (٧٨ - الشعراء) إلى آخر الآيات.

﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال قتادة: أداهن، قال الضحاك: قام بهن وقال: [نعمان]<sup>(٦)</sup> عمل بهن.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يقتدى بك في الخير ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿وَمِنْ

(١) انظر: البحر المحيط: ٣٧٥/١.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٢٨٩/١، والبحر المحيط: ٣٧٥/١.

(٣) ساقطة من ب.

(٤) قال القرطبي في التفسير: ٩٨/٢ وفي الموطأ وغيره عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: إبراهيم عليه السلام أول من

اختتن... إلخ. وانظر: الدر المنثور: ٢٨١/١.

(٥) وفي ب يمان.

(٦) ساقطة في ب.

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾

فريتي ﴿أي ومن أولادي أيضاً فاجعل منهم أئمة يقتدى بهم في الخير﴾ قال ﴿الله تعالى﴾ لا ينال ﴿لا يصيب﴾ عهدي الظالمين ﴿قرأ حمزة وحفص بإسكان الياء والباقون بفتحها أي من كان منهم ظالماً لا يصيبه، قال عطاء بن أبي رباح: عهدي رحمتي، وقال السدي: نبوتي، وقيل: الإمامة، قال مجاهد: ليس لظالم أن يطاع في ظلمه. ومعنى الآية لا ينال ما عهدت إليك من النبوة والإمامة من كان ظالماً من ولدك، وقيل: أراد بالعهد الأمان من النار، وبالظالم المشرك كقوله تعالى: «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن» (٨٢ - الأنعام).

قال الله تعالى ﴿وإذ جعلنا البيت﴾ يعني الكعبة ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ مرجعاً لهم، قال مجاهد وسعيد ابن جبير: يأتون إليه من كل جانب ويحجون، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: معاذاً وملجأً وقال قتادة وعكرمة: مجمعاً ﴿وَأَمْنًا﴾ أي مأمناً يأمنون فيه من إيذاء المشركين، فإنهم ما كانوا يتعرضون لأهل مكة ويقولون: هم أهل الله ويتعرضون لمن حوله كما قال الله تعالى: «أو لم يروا أننا جعلنا حرمًا آمناً ويتخطف الناس من حولهم» (٦٧ - العنكبوت).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا علي بن عبد الله أنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة، لا يُعْضَدُ شوكه ولا يُنْفَرُ صيده، ولا يُلْتَقَطُ لِقْطته إلا من عَرْفها، ولا يُخْتَلَى خِلاله» فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم وليوتهم: فقال رسول الله ﷺ: «إلا الإذخر»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى ﴿واتخذوا﴾ ﴿مِّن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ قال ابن يمان<sup>(٢)</sup>: المسجد كله مقام إبراهيم، وقال إبراهيم النخعي: الحرم كله مقام إبراهيم، وقيل: أراد بمقام إبراهيم جميع مشاهد الحج، مثل عرفة ومزدلفة وسائر المشاهد.

والصحيح أن مقام إبراهيم هو الحجر الذي في المسجد يُصلى إليه الأئمة، وذلك الحجر الذي قام

(١) أخرجه البخاري: في الجنائز — باب: الإذخر والحشيش: ٢١٣/٣.

ومسلم: في الحج — باب: تحريم مكة وصيدها وخلوها برقم: (٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥) ٩٨٦/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٢٤٩/٧.

(٢) وفي ب (يمان).

عليه إبراهيم عليه السلام عند بناء البيت، وقيل: كان أثر أصابع رجله بيناً فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيدي، قال قتادة ومقاتل والسدي: أمروا بالصلاة عند مقام إبراهيم ولم يؤمروا بمسحه وتقيله.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسدد عن يحيى بن حميد عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «وافقت الله في ثلاث، أو وافقني ربي في ثلاث - قلت يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلًى؟ فأنزل الله تعالى ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وقلت يا رسول الله: يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؟ فأنزل الله عز وجل آية الحجاب، قال وبلغني معاتبة النبي ﷺ بعض نسائه فدخلت عليهن فقلت لهن: إن انتهين، أو ليلدنه الله خيراً منكن، فأنزل الله تعالى: «عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن»<sup>(١)</sup> الآية (٥ - التحريم).

ورواه محمد بن إسماعيل أيضاً عن عمرو بن عوف أنا هشيم عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه: وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلًى فنزلت ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾<sup>(٢)</sup>.

وأما بدء قصة المقام فقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أتى إبراهيم عليه السلام بإسماعيل وهاجر ووضعهما بمكة، وأتت على ذلك مدة، ونزها الجرهميون وتزوج إسماعيل منهم امرأة وماتت هاجر، واستأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر، فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فقدم إبراهيم مكة، وقد ماتت هاجر، فذهب إلى بيت إسماعيل فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت ذهب للصيد وكان إسماعيل عليه السلام يخرج من الحرم فيصيد، فقال لها إبراهيم: هل عندك ضيافة؟ قالت ليس عندي ضيافة، وسألها عن عيشهم؟ فقالت: نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئني السلام وقولي له فليغير عتبة بابه، فذهب إبراهيم فجاء إسماعيل فوجد ربح أبيه فقال [لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال]<sup>(٣)</sup> فما قال لك؟ قالت: قال: أقرئني زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه، قال ذلك أبي وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك، فطلقها وتزوج منهم أخرى، فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل، فجاء إبراهيم عليه السلام حتى انتهى إلى باب إسماعيل فقال

(١) أخرجه البخاري: في التفسير - باب قوله: واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى: ١٦٨/٨.

ومسلم: في فضائل الصحابة - باب: من فضائل عمر برقم: (٢٣٩٩) ١٨٦٥/٤ مختصراً.

والمصنف في شرح السنة: ٩٣/١٤، وانظر: قطف الثمر في موافقات عمر للسيوطي في الحاوي للفتاوى ٣٧٧/١.

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة، باب ما جاء في القبلة، ومن لا يرى الإعادة على من سها... ٥٠٤/١.

(٣) ساقط من أ.

لامراته: أين صاحبك؟ قالت ذهب يتصيد وهو يجيء الآن إن شاء الله فانزل يرحمك الله، قال: هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم فجاءت باللبن واللحم، وسألها عن عيشهم؟ فقالت: نحن بخير وسعة، فعدا لهما بالبركة ولو جاءت يومئذ بجذب بر أو شعير وتمر لكانت أكثر أرض الله براً أو شعيراً أو تمرأ، فقالت له: انزل حتى أغسل رأسك، فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الأيمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيمن ثم حولت إلى شقه الأيسر فغسلت شق رأسه الأيسر فبقي أثر قدميه عليه، فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك، فلما جاء لإسماعيل، وجد ريح أبيه فقال لامراته: هل جاءك أحد؟ قالت: نعم شيخ أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً، وقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا، وغسلت رأسه وهذا موضع قدميه فقال: ذاك إبراهيم النبي أبي، وأنت العتبة أمرني أن أمسك<sup>(١)</sup>.

ب/ ٨١

وروي عن سعيد بن جبیر / عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يري نبلاً تحت دومة قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد، والولد بالوالد ثم قال: يا إسماعيل إن الله تعالى أمرني بأمر تُعيني عليه؟ قال: أعينك قال: إن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً، فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام إبراهيم على حجر المقام وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ( ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) وفي الخبر: «الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ولولا مامسته أيدي المشركين لأضاء ما بين المشرق والمغرب»<sup>(٢)</sup>.

قوله عز وجل ﴿وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ أي أمرناهما وأوحينا إليهما، قيل: سمي إسماعيل لأن إبراهيم كان يدعو الله أن يرزقه ولداً ويقول: إسمع يا إيل وإيل هو الله فلما رزق سماه الله به ﴿أَن طَهَّرَا بَيْتِي﴾ يعني الكعبة أضافه إليه تخصيصاً وتفضيلاً أي ابنيه على الطهارة والتوحيد، وقال سعيد بن جبیر وعطاء: طهراه من الأوثان والريب وقول الزور، وقيل: بَحْرَاهُ وَخَلَقَاهُ، قرأ أهل المدينة وحفص (بَيْتِي) بفتح الياء هاهنا وفي سورة الحج، وزاد حفص في سورة نوح ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ الدائرين حوله ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ المقيمين المجاورين ﴿وَالرُّكَّعَ﴾ جمع راكم ﴿السُّجُودَ﴾ جمع ساجد وهم المصلون قال الكلبي ومقاتل:

(١) أخرجه البخاري: مطولاً في الأنبياء — باب: يَرْفُونَ: التَّسْلَانُ في المشي: ٣٩٦/٦ وفي مواضع أخرى.

(٢) أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بلفظ «إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا...» ٦١٨/٣ وقال هو حديث غريب.

ورواه الحاكم في المحج عن داود الزبرقان عن أيوب السخيتاني عن قتادة بن دعامة عن أنس وقال: صحيح فرداه الذهبي بأن فيه داود، قال أبو داود: متروك، (فيض القدير: ٥٩/٤).

ورواه أيضاً عن عبد الله بن عمرو، انظر: المستدرک: ٤٥٦/١.

وأخرجه الواحدي في الوسيط: ١٩٠/١، وانظر: تحفة الأحوذی: ٦١٨/١ — ٦١٩.



وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾  
وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ  
الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾

الطائفين هم الغرباء والعاكفين أهل مكة، قال عطاء ومجاهد وعكرمة: الطواف للغرباء أفضل، والصلاة  
لأهل مكة أفضل.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾ يعني مكة وقيل: الحرم ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾ أي ذا أمن  
يأمن فيه أهله ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ إنما دعا بذلك لأنه كان بوادٍ غير ذي زرع، وفي القصص  
أن الطائف كانت من مداين الشام بأردن فلما دعا إبراهيم عليه السلام هذا الدعاء أمر الله تعالى جبريل  
عليه السلام حتى قلعها من أصلها وأدارها حول البيت سبعاً ثم وضعها موضعها الذي هي الآن فيه،  
فمنها أكثر ثمرات مكة ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ دعاء للمؤمنين خاصة ﴿قَالَ﴾ الله تعالى  
﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾ قرأ ابن عامر فأمته خفيفاً بضم الهمزة والباقون مشدداً ومعناها واحد قليلاً  
أي سأرزق الكافر أيضاً قليلاً إلى منتهى أجله وذلك أن الله تعالى وعد الرزق للخلق كافة مؤمنهم  
وكافرهم، وإنما قيده بالقلّة لأن متاع الدنيا قليل ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ أي ألجئه في الآخرة ﴿إِلَى عَذَابِ النَّارِ،  
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي المرجع يصير إليه قال مجاهد: وجد عند المقام كتاب فيه: أن الله ذو بكة صنعها يوم  
خلقت الشمس والقمر، وحرمتها يوم خلقت السموات والأرض، وحففتها بسبعة أملاك خفاء، يأتيها  
رزقها من ثلاثة سُبُل، مبارك لها في اللحم والماء.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ قال الرواة<sup>(١)</sup>: إن الله تعالى خلق  
موضع البيت قبل الأرض بألفي عام، وكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض من تحتها فلما أهبط  
الله آدم عليه السلام إلى الأرض استوحش، فشكا إلى الله تعالى فأنزل الله البيت المعمور من ياقوته من  
يواقيت الجنة له بابان من زمرد أخضر، باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع البيت وقال: يا آدم  
إني أهبط لك بيتاً تطوف به كما يطاف حول عرشي، تصلي عنده كما يصلي عند عرشي وأنزل الحجر وكان

(١) ذكر الرواة هذه القصص والأخبار عن بناء البيت، ومعظمها من الأسراليات التي لا تثبت بها حجة، وحسبنا ما جاء من الروايات  
الثابتة، كالذي ذكره البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: «واتخذ الله إبراهيم خليلاً».

راجع: تفسير ابن كثير: ٣٠٢/١ وما بعدها، البداية والنهاية: ١٦٣/١ - ١٦٦، الأسراليات والموضوعات للشيخ محمد أبو شهبة  
ص ٢٣٥ - ٢٣٧.

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾

أبيض فأسود من لمس الحَيْض في الجاهلية فتوجه آدم من أرض الهند إلى مكة ماشياً وقبض الله له ملكاً يدلّه على البيت فجعل البيت وأقام المناسك، فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا: بُرَّ حَجَّكَ يَا آدَمَ لَقَدْ حَجَّجْنَا هَذَا الْبَيْتَ قَبْلَكَ بِالْفِي عام، قال ابن عباس رضي الله عنهما: حج آدم أربعين حجة من الهند إلى مكة على رجله فكان على ذلك إلى أيام الطوفان، فرفعه الله تعالى إلى السماء الرابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، وبعث جبريل عليه السلام حتى خبأ الحجر الأسود في جبل أبي قبيس صيانة له من الغرق، فكان موضع البيت خالياً إلى زمن إبراهيم، ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم بعدما ولد له إسماعيل وإسحاق ببناء بيت يذكر فيه، فسأل الله عز وجل أن يبين له موضعه، فبعث الله السكينة لتدلّه على موضع البيت، وهي ريح خجوج لها رأسان شبه الحية فأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة فتبعها إبراهيم حتى أتيا مكة فتطوت السكينة على موضع البيت كتطوي الحجة هذا قول علي والحسن.

وقال ابن عباس: بعث الله تعالى سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وإبراهيم يمشي في ظلها إلى أن وافق مكة ووقفت على موضع البيت فنودي منها إبراهيم أن ابن علي ظلها لا ترد ولا تنقص، وقيل: أرسل الله جبريل ليدلّه على موضع البيت كقوله تعالى ( وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ) فبني إبراهيم وإسماعيل البيت فكان إبراهيم بينيه وإسماعيل يناوله الحجر، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ يعني أسسه وأحدثها قاعدة.

وقال الكسائي: جدر البيت، قال ابن عباس: إنما بني البيت من خمسة أجبل، طور سيناء وطور زيتا ولبنان وهو جبل بالشام، والجودي وهو جبل بالجزيرة وبنا قواعد من حراء وهو جبل بمكة فلما انتهى إبراهيم إلى موضع الحجر الأسود قال لإسماعيل ائتني بحجر حسن يكون للناس علماً فأتاه بحجر فقال: ائتني بأحسن من هذا فمضى إسماعيل يطلبه فصاح أبو قبيس: يا إبراهيم إن لك عندي ودعة فخذها، فأخذ الحجر الأسود فوضعه مكانه وقيل: إن الله تعالى بنى في السماء بيتاً وهو البيت المعمور ويسمى الضراح وأمر الملائكة أن يبنوا الكعبة في الأرض بحياه على قدره ومثاله، وقيل: أول من بنى الكعبة آدم واندرس في زمن الطوفان ثم أظهره الله لإبراهيم حتى بناه<sup>(١)</sup>.

قوله: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ فيه إضمار أي ويقولان: ربنا تقبل منا بناءنا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنياتنا ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾ موحدتين مطيعين مخلصين خاضعين لك.

(١) قال ابن كثير رحمه الله: ولم ينجيء في خبر صحيح عن معصوم: أن البيت كان مبنياً قبل الخليل عليه السلام، ومن تمسك في هذا بقوله =

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ  
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

﴿ومن ذريتنا﴾ أي أولادنا ﴿أمة﴾ جماعة والأمة أتباع الأنبياء ﴿مسلمة لك﴾ خاضعة لك.

﴿وآزنا﴾ علمنا وعرفنا، قرأ ابن كثير ساكنة الراء وأبو عمرو بالاختلاس والباقون بكسرها ووافق ابن عامر وأبو بكر في الاسكان في حم السجدة، وأصله أرثنا فحذفت الهمزة طلباً للخفة ونقلت حركتها إلى الراء ومن سكنها قال: ذهبت الهمزة فذهبت حركتها، ﴿مناسكتنا﴾ شرائع ديننا وأعلام حجتنا.

وقيل: مواضع حجتنا، وقال مجاهد: مذابحنا والنسك الذبيحة، وقيل: متعبداتنا، وأصل النسك العبادة، والناسك العابد فأجاب الله تعالى دعاءهما فبعث جبريل فأرأهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال: عرفت يا إبراهيم؟ قال: نعم فسمى الوقت عرفة والموضع عرفات.

﴿وتب علينا﴾ تجاوز عنا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ربنا وابعث فيهم ﴿أي في الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل وقيل: من أهل مكة﴾ ﴿رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ أي مرسلأ أراد به محمداً صلى الله عليه وسلم.

حدثنا السيد أبو القاسم علي بن موسى الموسوي حدثني أبو بكر أحمد بن محمد بن عباس / ١٩ / أ  
البلخي أنا الإمام أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي أنا محمد بن المكي أنا إسحاق بن إبراهيم  
أنا ابن أخي ابن وهب أنا عمي أنا معاوية عن صالح عن سعيد بن سويد عن عبد الأعلى بن هلال  
السلمي عن العرياض بن سارية عن رسول الله ﷺ قال: «إني عند الله مكتوب خاتم النبيين، وإن آدم  
لمنجدل في طينته وسأخبركم بأول أمري، أنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت حين  
وضعتني وقد خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام»<sup>(١)</sup>.

وأراد بدعوة إبراهيم هذا فإنه دعا أن يبعث في بني إسماعيل رسولاً منهم، قال ابن عباس: كل الأنبياء

= تعالى: «مكان البيت» فليس بناهض ولا ظاهر، لأن مراده: مكانه المقدّر في علم الله تعالى، المقرر في قدرته، المعظم عند الأنبياء  
موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم عليه السلام»، انظر: البداية والنهاية: ١٦٣/١، ١٦٥.

(١) رواه أحمد: ١٢٧/٤ - ١٢٨ عن العرياض بن سارية؛ والحاكم في المستدرک: ٤١٨/٢، ٦٠٠.

وابن حبان: في موارد الظمان: ص ٥١٢.

والبيهقي: في دلائل النبوة: ٣٨٩/١ - ٣٩٠.

والبيزار والطبراني.

وقال الهيثمي: أحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد ولم يوثقه غير ابن حبان، (مجمع الزوائد: ٢٢٣/٣).

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٠٧/١٣ وانظر: الكافي الشاف لابن حجر ص (١٠).

وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ  
فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾

من بني إسرائيل إلا عشرة: نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وإسماعيل واسحاق ويعقوب ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين.

﴿يتلو﴾ يقرأ ﴿عليهم آياتك﴾ كتابك يعني القرآن والآية من القرآن كلام متصل إلى انقطاعه وقيل هي جماعة حروف يقال خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ يعني القرآن ﴿والحكمة﴾ قال مجاهد: فهم القرآن، وقال مقاتل: مواظب القرآن وما فيه من الأحكام، قال ابن قتيبة: هي العلم والعمل، ولا يكون الرجل حكيماً حتي يجمعهما، وقيل: هي السنة، وقيل: هي الأحكام والقضاء، وقيل: الحكمة الفقه.

قال أبو بكر بن دريد: كل كلمة وعظمتك أو دَعْنُكَ إلى مكرمة أو نَهْكَ عن قبيح فهي حكمة .  
﴿ويزكيم﴾ أي يطهرهم من الشرك والذنوب، وقيل: يأخذ الزكاة من أموالهم، وقال ابن كيسان: يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ من التزكية، وهي التعديل ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ قال ابن عباس: العزيز الذي لا يوجد مثله، وقال الكلبي: المنتقم بيانه قوله تعالى «والله عزيز ذو انتقام» (٤ — آل عمران) وقيل: المنيع الذي لا تناله الأيدي ولا يصل إليه شيء وقيل: القوي، والعزة القوة قال الله تعالى «فعزيزنا بثالث» (١٤ — يس) أي قويتنا وقيل: الغالب قال الله تعالى إخباراً «وعزني في الخطاب» (٢٣ — ص) أي غلبني، ويقال في المثل: «من عزَّ برَّ» أي من غلب سلب.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ وذلك أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجراً إلى الإسلام فقال لهما: قد علمتما أن الله عز وجل قال في التوراة: إني باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون، فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم فأنزله الله عز وجل ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾<sup>(١)</sup> أي يترك دينه وشريعته يقال رغب في الشيء إذا أَرَادَهُ، ورغب عنه إذا تركه.

وقوله ﴿مَنْ﴾ لفظه استفهام معناه التقرير والتوبيخ يعني: ما يرغب عن ملة إبراهيم ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ قال ابن عباس: من خسر نفسه، وقال الكلبي: ضلَّ من قبل نفسه، وقال أبو عبيدة: أهلك نفسه، وقال ابن كيسان والزجاج: معناه جهل نفسه والسفاهة: الجهل وضعف الرأي: وكلُّ سفيه

(١) انظر: لباب النقول للسيوطي ص ٥١، بهامش الجلالين.

وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا  
وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

جاهل، وذلك أن من عبد غير الله فقد جهل نفسه. لأنه لم يعرف أن الله خلقها، وقد جاء: «من عرف نفسه عرف ربه»<sup>(١)</sup>، وفي الأخبار: «إن الله تعالى أوحى إلى داود اعرف نفسك واعرفني، فقال: يارب كيف أعرف نفسي؟ وكيف أعرفك؟ فأوحى الله تعالى اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء، واعرفني بالقوة والقدرة والبقاء».

وقال الأخفش: معناه سفه في نفسه، ونفسه على هذا القول نصب بنزع حرف الصفة وقال الفراء: نصب على التفسير، وكان الأصل سفهت نفسه فلما أضاف الفعل إلى صاحبها خرجت النفس المفسرة ليعلم موضع السفه، كما يقال: ضقت به ذرعاً، أي ضاق ذرعي به.

﴿ولقد اصطفيناه في الدنيا﴾ اخترناه في الدنيا ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ يعني مع الأنبياء في الجنة، وقال الحسين بن الفضل: فيه تقديم وتأخير، تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وإنه لمن الصالحين ﴿إذ قال له ربه أسلم﴾ أي استقم على الإسلام، وثبت عليه لأنه كان مسلماً . قال ابن عباس: قال له حين خرج من السَّرب<sup>(٢)</sup> ، وقال الكلبي: أخلص دينك وعبادتك لله، وقال عطاء أسلم إلى الله عز وجل وفوض أمورك إليه.

﴿قال أسلمت لرب العالمين﴾ أي فوضت، قال ابن عباس: وقد حقق ذلك حيث لم يستعن بأحد من الملائكة حين ألقى في النار.

﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب﴾ قرأ أهل المدينة والشام: «وأوصى» بالالف، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ الباقون: «ووصى» مشدداً، وهما لغتان مثل أنزل ونزل، معناه ووصى بها إبراهيم بنيه ووصى يعقوب بنيه، قال الكلبي ومقاتل: يعني بكلمة الإخلاص لا إله إلا الله، قال أبو عبيدة: إن شئت رددت الكناية إلى الملة لأنه ذكر ملة إبراهيم، وإن شئت رددتها إلى الوصية: أي وصى إبراهيم بنيه الثانية إسماعيل وأمه هاجر القبطية، وإسحاق وأمه سارة، وستة أمهم قنطورة بنت يقطن الكنعانية تزوجها إبراهيم بعد وفاة سارة ويعقوب، سمي بذلك لأنه والعيص كانا توأمين فتقدم عيص في الخروج من بطن أمه وخرج يعقوب على أثره آخذاً بعقبه قاله ابن عباس، وقيل: سمي يعقوب لكثرة عقبه يعني: ووصى أيضاً يعقوب بنيه الاثنى عشر ﴿يا بني﴾ معناه أن يا بني ﴿إن الله اصطفى﴾ اختار ﴿لكم الدين﴾ أي دين

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: حديث موضوع. انظر: الأسرار المرفوعة للقاري ص (٣٣٧) وكشف الخفاء للعجلوني: ١ / ٢٦٢.

(٢) السَّرب: بفتح الراء، حفير تحت الأرض، وقيل: بيت تحت الأرض.

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي  
 قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ  
 مُسْلِمُونَ ﴿١٢٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا  
 يَعْمَلُونَ ﴿١٢٤﴾

الإسلام ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ مؤمنون وقيل: مخلصون وقيل: مفوضون والنهي في ظاهر الكلام  
 وقع على الموت، وإنما نهوا في الحقيقة عن ترك الإسلام، معناه: داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم  
 الموت إلا وأنتم مسلمون، وعن الفضيل بن عياض رحمه الله أنه قال: (إلا وأنتم مسلمون) أي محسنون  
 بربكم الظن.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله  
 ابن محمد بن عبد العزيز البغوي أنا علي بن الجعد أنا أبو جعفر الرازي عن الأعمش عن أبي سفيان عن  
 جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن  
 الظن بالله عز وجل»<sup>(١)</sup>.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ يعني أكنتم شهداء، يريد ما كنتم شهداء حضوراً ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾  
 أي حين قرب يعقوب من الموت، قيل: نزلت في اليهود حين قالوا للنبي ﷺ ألسنت تعلم أن يعقوب يوم  
 مات أوصى بنيه باليهودية فعلى هذا القول يكون الخطاب لليهود، وقال الكلبي: لما دخل يعقوب مصر  
 رآهم يعبدون الأوثان والنيران، فجمع ولده وخاف عليهم ذلك فقال عز وجل ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ  
 مِنْ بَعْدِي﴾ قال عطاء إن الله تعالى لم يقبض نبياً حتى يخيره بين الحياة والموت فلما خير يعقوب قال:  
 أنظرني حتى أسأل ولدي وأوصيهم، ففعل الله ذلك به فجمع ولده وولد ولده، وقال لهم قد حضر أجلي  
 فما تعبدون من بعدي ﴿قَالُوا: نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ وكان إسماعيل عمّاً  
 لهم والعرب تسمى العم أبا كما تسمى الخالة أمّاً قال النبي ﷺ: «عم الرجل صنو أبيه»<sup>(٢)</sup> وقال في  
 عمه / العباس: «ردوا علي أبي فإني أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن

ب/١٩

(١) أخرجه مسلم: في الجنة — باب: الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت برقم (٢٨٧٧) ٢٢٠٥/٤.

والمصنف في شرح السنة: ٣٧٢/٥.

(٢) أخرجه مسلم: في الزكاة — باب: في تقديم الزكاة ومنعها برقم (٩٨٣) ٦٧٦/٢ — ٦٧٧.

انظر شرح السنة ٣٣/٦.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾

مسعود» (٢). وذلك انهم قتلوه.

﴿إِلَهَا وَاحِدًا﴾ نصب على البدل في قوله إلهك وقيل نعرفه إلهاً واحداً ﴿ونحن له مسلمون تلك أمة﴾ جماعة ﴿قد خلت﴾ مضت ﴿لها ما كسبت﴾ من العمل ﴿ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ يعني: يسأل كل عن عمله لا عن عمل غيره.

قوله تعالى: ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا﴾ قال ابن عباس: نزلت في رؤساء يهود المدينة كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وأبي ياسر بن أخطب، وفي نصارى أهل نجران السيد والعاقب وأصحابهما، وذلك أنهم خاصموا المسلمين في الدين كل فرقة تزعم أنها أحق بدين الله، فقالت اليهود: نبينا موسى أفضل الأنبياء، وكتابنا التوراة أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت بعيسى عليه السلام والإنجيل وبمحمد ﷺ والقرآن، وقالت النصارى: نبينا أفضل الأنبياء وكتابنا الإنجيل أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان وكفرت بمحمد ﷺ والقرآن، وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين إلا ذلك (٢) فقال تعالى ﴿قل﴾ يا محمد ﴿بل ملة إبراهيم﴾ بل تتبع ملة إبراهيم، وقال الكسائي: هو نصب على الإغراء، كأنه يقول: اتبعوا ملة إبراهيم، وقيل معناه بل نكون على ملة إبراهيم فحذف «على» فصار منصوباً ﴿حنيفاً﴾ نصب على الحال عند نخاة البصرة، وعند نخاة الكوفة نصب على القطع أراد بل ملة إبراهيم الحنيف فلما سقطت الألف واللام لم يتبع المعرفة النكرة فانقطع منه فنصب.

قال مجاهد: الحنيفية اتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماماً للناس قال ابن عباس: الحنيف المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، وأصله من الحنف، وهو ميل وعوج يكون في القدم،

(١) قال ابن شبة في المغازي من مصنفه: حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: «لما وادع رسول الله ﷺ أهل مكة... إلى أن قال: «فانطلق العباس فركب بغلة النبي ﷺ والشهفاء وانطلق إلى قريش ليدعوهم إلى الله، فأبطأ عليه فقال رسول الله ﷺ «ردوا عليّ أبي فإن عم الرجل صنو أبيه إني أخاف أن تفعل به...».

انظر الكافي الشاف لابن حجر، ص ١١، ١٢.

(٢) انظر: الوسيط للواحد ص ٢٠٢، وقد جاء عنده مفصلاً في أسباب النزول: ٣٨/١.

فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنُتُمْ بِهِ فَقَدْ ءَاهَتَدُوا وَإِنْ نُؤَلِّوْا فَاِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ  
فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾

وقال سعيد بن جبیر: الحنيف هو الحاج المختن.

وقال الضحاك: إذا كان مع الحنيف المسلم فهو الحاج، وإذا لم يكن مع المسلم فهو المسلم، قال قتادة: الحنيفة: الختان وتحريم الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات وإقامة المناسك.

﴿وما كان من المشركين﴾ ثم علم المؤمنين طريق الإيمان فقال جل ذكره ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾ يعني القرآن ﴿وما أنزل إلى إبراهيم﴾ وهو عشر صحف ﴿وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط﴾ يعني أولاد يعقوب وهم اثنا عشر سبطاً واحدهم سبط سمو بذلك لأنه ولد لكل واحد منهم جماعة وسبط الرجل حافده، ومنه قيل للحسن والحسين رضي الله عنهما سبطا رسول الله ﷺ والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب من بني إسماعيل والشعوب من العجم، وكان في الأسباط أنبياء ولذلك قال: وما أنزل إليهم وقيل هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم أنبياء ﴿وما أوتي موسى﴾ يعني التوراة ﴿وعيسى﴾ يعني الإنجيل ﴿وما أوتي﴾ أعطي ﴿النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم﴾ أي نؤمن بالكل لا نفرق بين أحد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى ﴿ونحن له مسلمون﴾.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن بشار أنا عثمان بن عمر أنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله الآية»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنُتُمْ بِهِ﴾ أي بما آمنتم به، وكذلك كان يقرؤها ابن عباس، والمثل صلة كقوله تعالى: «ليس كمثله شيء» أي ليس هو كشيء، وقيل: معناه فإن آمنوا بجميع ما آمنتم به أي أتوا بإيمان كما إيمانكم وتوحيد كتوحيدكم، وقيل: معناه فإن آمنوا مثل ما آمنتم به والباء زائدة كقوله تعالى: «وهزي إليك مجذع النخلة» (٢٥ — مريم) وقال أبو معاذ النحوي: معناه فإن آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم، ﴿فقد اهتدوا وإن تولوا فإنا هم في شقاق﴾ أي في خلاف ومنازعة قاله ابن عباس

(١) رواه البخاري: في الاعتصام — باب: قول النبي ﷺ: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء: ٣٣٣/١٣.

والمصنف في شرح السنة: ٢٦٩/١.



صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٢٨﴾ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٢٩﴾ أَمْ نَقُولُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا

وعطاء ويقال: شاق مشاقة إذا خالف كأن كل واحد أخذ في شق غير شق صاحبه، قال الله تعالى: «لا يجرمنكم شقاقى» (٨٩ - هود) أي خلافي، وقيل: في عداوة، دليله: قوله تعالى: «ذلك بأنهم شاقوا الله» (١٣ - الأنفال) أي عادوا الله ﴿فسيكفيهم الله﴾ يا محمد أي يكفيك شر اليهود والنصارى وقد كفى بإجلاء بني النضير، وقتل بني قريظة وضرب الجزية على اليهود والنصارى ﴿وهو السميع﴾ لأقوالهم ﴿العليم﴾ بأحوالهم.

قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾: قال ابن عباس في رواية الكلبي وقتادة والحسن: دين الله، وإنما سماه صبغة لأنه يظهر أثر الدين على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب، وقيل لأن المتدين يلزمه ولا يفارقه، كالصبغ يلزم الثوب، وقال مجاهد: فطرة الله، وهو قريب من الأول، وقيل: سنة الله، وقيل: أراد به الختان لأنه يصبغ صاحبه بالدم، قال ابن عباس<sup>(١)</sup>: هي أن النصارى إذا ولد لأحدهم ولد فأتى عليه سبعة أيام غمسوه في ماء لهم أصفر يقال له المعمودي وصبغوه به ليظهروه بذلك الماء مكان الختان، فإذا فعلوا به ذلك قالوا: الآن صار نصرانياً حقاً فأخبر الله أن دينه الإسلام لا ما يفعله النصارى، وهو نصب على الإغراء يعني الزموا دين الله، قال الأخفش هي بدل من قوله ملة إبراهيم ﴿ومن أحسن من الله صبغة﴾ ديناً وقيل: تطهيراً ﴿ونحن له عابدون﴾ مطيعون ﴿قل﴾ يا محمد لليهود والنصارى ﴿أتُحَاجُّونَا فِي اللَّهِ﴾ أي في دين الله والحاجة: المجادلة في الله لإظهار الحجة، وذلك بأنهم قالوا إن الأنبياء كانوا منا وعلى ديننا، وديننا أقوم فنحن أولى بالله منكم فقال الله تعالى: قل أتُحَاجُّونَا فِي اللَّهِ ﴿وهو ربنا وربكم﴾ أي نحن وأنتم سواء في الله فإنه ربنا وربكم ﴿ولنا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ أي لكل واحد جزاء عمله، فكيف تدعون أنكم أولى بالله ﴿ونحن له مخلصون﴾ وأنتم به مشركون.

قال سعيد بن جبير: الإخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله لله فلا يشرك به في دينه ولا يراي بعمله. قال الفضيل: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ يعني: أتقولون، صيغة استفهام ومعناه التوبيخ، وقرأ ابن عامر وحمزة

(١) انظر: الوسيط للواحدى: ٢٠٦/١.

أَوْ نَصْرِي قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

والكسائي وحفص بالتاء لقوله تعالى : ( قل أتُحاجوننا في الله ) وقال بعده ( قل أنتم أعلم أم الله ) وقرأ الآخرون بالياء يعني يقول اليهود والنصارى.

﴿إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسياط كانوا هوداً أو نصارى قل﴾ يا محمد ﴿أنتم أعلم﴾ بدنيهم ﴿أم الله﴾ وقد أخبر الله تعالى أن إبراهيم لم يكن / يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً ﴿ومن أظلم ممن كتم﴾ أخفى ﴿شهادة عنده من الله﴾ وهي علمهم بأن إبراهيم وبنيه كانوا مسلمين وأن محمداً ﷺ حق ورسول أشهدهم الله عليه في كتبهم ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴿كرراً﴾ تأكيداً. قوله تعالى : ﴿سيقول السفهاء﴾ الجهال ﴿من الناس ما ولاهم﴾ صرفهم وحوّلهم ﴿عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ يعني بيت المقدس والقبلة فعلة من المقابلة نزلت في اليهود ومشركي مكة طعنوا في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة، فقالوا لمشركي مكة: قد تردد على محمد أمره فاشتاق إلى مولده وقد توجه نحو بلدكم وهو راجع إلى دينكم فقال الله تعالى : ﴿قل لله المشرق والمغرب﴾ ملك له والخلق عبيده. ﴿يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴿نزلت في رؤساء اليهود، قالوا لمعاذ ابن جبل: ما ترك محمد قبلتنا إلا حسداً، وإن قبلتنا قبلة الأنبياء، ولقد علم محمد أننا عدل بين الناس، فقال معاذ: إنا على حق وعدل فأنزل الله تعالى : ﴿وكذلك﴾ أي وهكذا، وقيل: الكاف للتشبيه أي كما اخترنا إبراهيم وذريته واصطفيناهم ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ مردودة على قوله: «ولقد اصطفينا في الدنيا» (١٣٠ - البقرة) أي عدلاً خياراً قال الله تعالى: «قال أوسطهم» (٢٨ - القلم) أي خيرهم وأعد لهم وخير الأشياء أوسطها، وقال الكلبي يعني أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لأنهما مذمومان في الدين.

(١) في ب كره.

شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى  
عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ  
اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو معشر إبراهيم بن محمد بن الحسين الوراق أنا أبو عبد الله  
محمد بن زكريا بن يحيى أنا أبو الصلت أنا حماد بن زيد أنا علي بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد  
الخدري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ يوماً بعد العصر فما ترك شيئاً إلى يوم القيامة إلا  
ذكره في مقامه ذلك حتى إذا كانت الشمس على رؤوس النخل وأطراف الحيطان، قال: «أما أنه لم يبق  
من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا، ألا وإن هذه الأمة توفي سبعين أمة هي آخرها  
وأخيرها وأكرمها على الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم، قال ابن جريج: قلت  
لعطاء، ما معنى قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس؟ قال: أمة محمد ﷺ شهداء على من يترك الحق  
من الناس أجمعين ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ معدلاً مذكياً لكم، وذلك أن الله  
تعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم يقول لكفار الأمم الماضية: «ألم يأتكم نذير» (٨ —  
الملك) فينكرون ويقولون ما جاءنا من بشير ولا نذير، فيسأل الله تعالى الأنبياء عليهم السلام عن ذلك  
فيقولون: كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة — وهو أعلم بهم — إقامة للحجة، فيؤتى بأمة محمد ﷺ  
فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا، فتقول الأمم الماضية: من أين علموا وإنما أتوا بعدنا؟ فيسأل هذه الأمة  
فيقولون أرسلت إلينا رسولاً، وأنزلت عليه كتاباً، أخبرتنا فيه تبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت، ثم  
يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف  
أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا إسحاق بن منصور أخبرنا أبو أسامة قال الأعمش أخبرنا أبو صالح عن  
أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم  
يارب، فيسأل أمته هل بلغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير، فيقال: من شهودك فيقول محمد وأمته فقال  
رسول الله ﷺ «فيجاء بكم فتشهدون» ثم قرأ رسول الله ﷺ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا

(١) رواه أحمد: ١٩/٣ وهو جزء من حديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ابن ماجه: في الزهد — باب: صفة أمة محمد ﷺ ١٤٣٣/٢ ولفظه عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله  
ﷺ يقول: (إنكم وفيتم سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله).

شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ أي تحويلها يعني بيت المقدس، فيكون من باب حذف المضاف، ويحتمل أن يكون المفعول الثاني للجعل محذوفاً، على تقدير وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة، وقيل معناه التي أنت عليها، وهي الكعبة كقوله تعالى: «كنتم خير أمة» أي أنتم.

﴿إِلَّا لَنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ فإن قيل ما معنى قوله: «إلا لنعلم» وهو عالم بالأشياء كلها قبل كونها قيل: أراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب، فإنه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب، إنما يتعلق بما يوجد معناه ليعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب، وقيل: إلا لنعلم أي: لنرى ونميز من يتبع الرسول في القبلة ﴿مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ﴾ فيرتد وفي الحديث إن القبلة لما حولت ارتد قوم من المسلمين إلى اليهودية، وقالوا: رجع محمد إلى دين آبائه، وقال أهل المعاني: معناه إلا لعلمنا من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه كأنه سبق في علمه أن تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة قوم، وقد يأتي لفظ الاستقبال بمعنى الماضي كما قال الله تعالى «فَلَمَّ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ» (٩١ - البقرة) أي فلم تقتلتموهم ﴿وإِنْ كَانَتْ﴾ أي قد كانت أي تولية الكعبة وقيل: الكناية راجعة إلى القبلة، وقيل: إلى الكعبة قال الزجاج: وإن كانت التحويلة ﴿لَكَبِيرَةٍ﴾ ثقيلة شديدة ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ أي هداهم الله، قال سيبويه: «وإن» تأكيد يشبه اليمين ولذلك دخلت اللام في جوابها ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ﴾ وذلك أن حبي بن أخطب وأصحابه من اليهود قالوا للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس، إن كانت هدى فقد تحولتم عنها وإن كانت ضلالة فقد دتم الله بها، ومن مات منكم عليها فقد مات على الضلالة، فقال المسلمون إنما الهدى ما أمر الله به، والضلالة ما نهى الله عنه.

قالوا: فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا؟ وكان قد مات قبل أن تحول القبلة من المسلمين أسعد بن زرار من بني النجار، والبراء بن معرور من بني سلمة، وكانوا من النقباء ورجال آخرون فانطلق عشائهم إلى النبي ﷺ وقالوا: يا رسول الله قد صرفك الله إلى قبلة إبراهيم فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى<sup>(٢)</sup> ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ﴾ يعني صلاتكم إلى بيت المقدس ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرْؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ قرأ أهل الحجاز وابن عامر وحفص لرؤوف مشبع على وزن فعول، لأن أكثر أسماء الله تعالى على فعول وفعيل، كالغفور والشكور والرحيم والكريم وغيرها، وأبو جعفر

(١) أخرجه البخاري: في الاعتصام - باب: وكذلك جعلناكم أمة وسطاً: ٣١٦/١٣ وفي التفسير والأنبياء.

والمصنف في شرح السنة: ١٤١/١٥.

(٢) انظر فتح الباري كتاب التفسير باب «سيقول السفهاء من الناس...» ١٧١/٨.

تفسير الطبري: ١٦٧/٣ - ١٦٩.

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ  
شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا  
الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾

يلين الهمزة وقرأ الآخرون بالاختلاس على وزن فعل قال جرير:

ترى للمسلمين عليك حقاً كفعل الواحد الرؤف الرحيم

والرأفة أشد الرحمة.

قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ هذه الآية وإن كانت متأخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى فإنها رأس القصة، وأمر القبلة أول ما نسخ من أمور الشرع، وذلك أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يصلون بمكة إلى الكعبة، فلما هاجر إلى المدينة أمره الله أن يصلي نحو صخرة بيت المقدس ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى قبلتهم مع ما يجدون / من نعتة في التوراة ٢٠/ب فصلى بعد الهجرة ستة عشر أو سبعة عشر شهراً إلى بيت المقدس وكان يجب أن يوجه إلى الكعبة لأنها كانت قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام، وقال مجاهد: كان يجب ذلك لأجل اليهود لأنهم كانوا يقولون يخالفنا محمد ﷺ في ديننا ويتبع قبلتنا، فقال جبريل عليه السلام: وددت لو حولني الله إلى الكعبة فإنها قبلة أبي إبراهيم عليه السلام، فقال جبريل: إنما أنا عبد مثلك وأنت كريم على ربك، فسل أنت ربك فإنك عند الله عز وجل بمكان [فرجع] (١) جبريل عليه السلام وجعل رسول الله ﷺ يديم النظر إلى السماء رجاء أن ينزل جبريل بما يجب من أمر القبلة (٢) فأنزل الله تعالى ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً﴾ فلنحولنك إلى قبلة ﴿تَرْضَاهَا﴾ أي تحبها وتوهاها ﴿فَوَلِّ﴾ أي حول ﴿وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي نحوه وأراد به الكعبة والحرام المحرم ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾ من بر أو بحر أو شرق أو غرب ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ عند الصلاة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا إسحاق بن نصر أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج عن عطاء قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما دخل النبي ﷺ البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى

(١) فرج من ب.

(٢) قال السيوطي في الدر المنثور: أخرجه أبو داود في ناسخه عن أبي العالية ٣٤٣/١.

خرج منه، فلما خرج ركع ركعتين في قُبُل الكعبة (وقال هذه القبلة)<sup>(١)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا عمرو بن خالد أخبرنا زهير أخبرنا أبو إسحاق عن البراء أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الأنصار وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد قباء وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قِبَل مكة فداروا كما هم قِبَل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل المقدس لأنه قبله أهل الكتاب، فلما ولي وجهه قبل البيت أنكروا ذلك، وقال: البراء في حديثه هذا: أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم)<sup>(٢)</sup>.

وكان تحويل القبلة في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين، قال مجاهد وغيره: نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر، فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء، والنساء مكان الرجال، فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين، وقيل كان التحويل خارج الصلاة بين الصلاتين، وأهل قباء وصل إليهم الخبر في صلاة الصبح.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد الفقيه السرخسي أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي السامري أخبرنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري عن مالك بن أنس عن عبد الله بن دينار أن عبد الله بن عمر قال: بينا الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت وقال لهم: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: في القبلة — باب: قول الله تعالى ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ : ٥٠١/١.

ومسلم: في الحج — باب: استحباب دخول الكعبة للحاج وغيره برقم (١٣٣٠) ٩٦٨/٢ عن أسامة بن زيد. والمصنف في شرح السنة: ٣٣٤/٢.

(٢) رواه البخاري: في التفسير — باب: سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم: ١٧١/٨.

ومسلم: في المساجد ومواضع الصلاة — باب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة: برقم (٥٢٥) ٣٧٤/١. والمصنف في شرح السنة: ٣٢٢/٢ — ٣٢٣.

(٣) رواه البخاري: في التفسير — باب: ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية: ١٧٤/٨.

ومسلم: في المساجد ومواضع الصلاة — باب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة: برقم (٥٢٦) ٣٧٥/١. والمصنف في شرح السنة: ٣٢٣/٢ — ٣٢٤.

وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ  
وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنَ آتَبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ  
مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

فلما تحولت القبلة قالت اليهود: يا محمد ما هو إلا شيء تبتدعه من تلقاء نفسك فتارة تصلي إلى بيت المقدس وتارة إلى الكعبة ولو ثبتت على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذي ننتظره؟ فأنزل الله ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لِيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ يعني أمر الكعبة ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ ثم هددهم فقال ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر وحزمة والكسائي بالتاء قال ابن عباس يريد أنكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما أنا بغافل عن ثوابكم جزائكم وقرأ الباقون بالياء يعني ما أنا بغافل عما يفعل اليهود فأجازهم في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني اليهود والنصارى قالوا: اثنتا بآية على ما تقول، فقال الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ ﴿بِكُلِّ آيَةٍ﴾ معجزة ﴿مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ يعني الكعبة ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ لأن اليهود تستقبل بيت المقدس وهو المغرب والنصارى تستقبل المشرق وقبله المسلمين الكعبة.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي أخبرنا الحسن بن بكر المروزي أخبرنا المولى بن منصور أخبرنا عبد الله بن جعفر الخزومي عن عثمان الأحنسي عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «القبلة ما بين المشرق والمغرب»<sup>(١)</sup>.

وأراد به في حق<sup>(٢)</sup> أهل المشرق، وأراد بالمشرق: مشرق الشتاء في أقصر يوم في السنة، وبالمغرب: مغرب الصيف في أطول يوم من السنة، فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت على يمينه ومشرق الشتاء على يساره كان وجهه إلى القبلة ﴿وَلَيْنَ آتَبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ﴾: مرادهم الخطاب مع النبي ﷺ، والمراد به

(١) أخرجه الترمذي في الصلاة: باب ما جاء أن ما بين المشرق والمغرب قبلة: ٣١٧/٢ - ٣١٩ وقال حديث حسن صحيح.

وابن ماجه: في إقامة الصلاة باب: القبلة برقم (١٠١١) بلفظ (ما بين المشرق والمغرب قبلة).

والحاكم في المستدرک: ٢٠٥/١، ٢٠٦ عن ابن عمر.

والبيهقي: ٩/٢.

وانظر: تفسير ابن كثير: ٢٧٧/١ - ٢٨١.

(٢) ساقطة من أ.

الَّذِينَ اتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ  
 الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ  
 هُومَوْلِيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا ۖ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
 قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ  
 رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾

الأمة، ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ من الحق في القبلة، ﴿إنك إذا لمن الظالمين﴾.

قوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ يعني مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه  
 ﴿يعرفونه﴾ يعني يعرفون محمداً ﷺ ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾ من بين الصبيان، قال عمر بن الخطاب  
 لعبد الله بن سلام إن الله قد أنزل على نبيه ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾  
 فكيف هذه المعرفة؟ قال عبد الله: يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما عرفت ابني ومعرفتي بمحمد ﷺ  
 أشد من معرفتي بابني، فقال عمر: كيف ذلك؟ فقال أشهد إنه رسول الله حق من الله تعالى وقد نعتة  
 الله في كتابنا ولا أدري ما تصنع النساء، فقال عمر وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت<sup>(١)</sup> ﴿وإن فريقاً  
 منهم ليكتمون الحق﴾ يعني صفة محمد ﷺ وأمر الكعبة ﴿وهم يعلمون﴾ ثم قال ﴿الحق من ربك﴾  
 أي هذا الحق خير مبتدأ مضمر وقيل رفع بإضمار فعل أي جاءك الحق من ربك ﴿فلا تكونن من  
 الممترين﴾ الشاكين.

قوله تعالى: ﴿ولكل وجهة﴾ أي لأهل كل ملة قبلة والوجهة اسم للمتوجه إليه ﴿هو موليا﴾ أي  
 مستقبلها ومقبل إليها يقال: وليته ووليت إليه: إذا أقبلت إليه<sup>(٢)</sup>، ووليت عنه إذا أدبرت عنه. قال مجاهد:  
 هو موليا وجهه، وقال الأنخفش، هو كناية عن الله عز وجل يعني الله مولي الأمم إلى قبلتهم وقرأ ابن  
 عامر: مَوْلَاهَا، أي: المستقبل مصروف إليها ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ أي إلى الخيرات، يريد: بادروا  
 بالطاعات، والمراد المبادرة إلى القبول ﴿أيما تكونوا﴾ أنتم وأهل الكتاب ﴿يأت بكم الله جميعاً﴾ يوم  
 القيامة فيجزيكم بأعمالكم ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾.

قوله تعالى ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله

(١) انظر: الوسيط للواحد: ١/ ٢١٥، أسباب النزول له أيضاً ص ٤٠.

(٢) وفي «أ» عليه.



وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا  
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا  
تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَتَمَنَّيَ عَلَيْهِمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

٢١/أ

بغافل عما تعملون ﴿﴾ قرأ أبو عمرو بالياء والباقون بالتاء/

﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ وإنما  
كرر لتأكيد النسخ ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا﴾ اختلفوا في تأويل هذه الآية  
ووجه قوله ﴿إلا﴾ فقال بعضهم: معناه حولت القبلة إلى الكعبة ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ إذا  
توجهتم إلى غيرها فيقولون ليست لكم قبلة ﴿إلا الذين ظلموا﴾ وهم قريش واليهود فأما قريش فتقول  
رجع محمد إلى الكعبة، لأنه علم أنها الحق وأنها قبلة آباءه، فكذلك يرجع إلى ديننا، وأما اليهود فتقول لم  
ينصرف عن بيت المقدس مع علمه بأنه حق إلا أنه يعمل برأيه وقال قوم ﴿لئلا يكون للناس عليكم  
حجة﴾ يعني اليهود وكانت حجتهم على طريق المخاصمة على المؤمنين في صلاتهم إلى بيت المقدس أنهم  
كانوا يقولون ما درى محمد ﷺ وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن.

وقوله ﴿إلا الذين ظلموا﴾ وهم مشركو مكة، وحجتهم: أنهم قالوا — لما صرفت قبلتهم إلى الكعبة إن  
محمدًا قد تخير في دينه وسيعود إلى ملتنا كما عاد إلى قبلتنا، وهذا معنى قول مجاهد وعطاء وقتادة، وعلى  
هذين التأويلين يكون الاستثناء صحيحاً، وقوله ﴿إلا الذين ظلموا﴾ يعني لا حجة لأحد عليكم إلا  
لمشركي قريش فإنهم يحاجونكم فيجادلونكم ويخاصمونكم بالباطل والظلم والاحتجاج بالباطل يسمى  
حجة كما قال الله تعالى «حجتهم داحضة عند ربهم» (١٦ — الشورى) وموضع ﴿الذين﴾ خفض كأنه  
قال سوى الذين ظلموا قاله الكسائي وقال الفراء نصب بالاستثناء.

قوله تعالى: ﴿منهم﴾ يعني من الناس وقيل هذا استثناء منقطع عن الكلام الأول، معناه ولكن الذين  
ظلموا يجادلونكم بالباطل، كما قال الله تعالى «ما لهم به من علم إلا اتباع الظن» (١٥٧ — النساء) يعني  
لكن يتبعون الظن فهو كقول الرجل مالك عندي حق إلا أن تظلم.

قال أبو روق ﴿لئلا يكون للناس﴾ يعني لليهود ﴿عليكم حجة﴾ وذلك أنهم عرفوا أن الكعبة قبلة  
إبراهيم ووجدوا في التوراة أن محمدًا سيحول إليها فحول الله تعالى إليها لئلا يكون لهم حجة فيقولون: إن  
النبي الذي نجده في كتابنا سيحول إليها ولم تحول أنت، فلما حول إليها ذهبت حجتهم ﴿إلا الذين  
ظلموا﴾ يعني إلا أن يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق.

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾

وقال أبو عبيدة<sup>(١)</sup> قوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ليس باستثناء ولكن «إلا» في موضع واو العطف يعني: والذين ظلموا أيضاً لا يكون لهم حجة كما قال الشاعر:

وَكُلُّ أَخٍ مُّفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ

معناه والفرقدان أيضاً يتفرقان، فمعنى الآية فتوجهوا إلى الكعبة ﴿لثلاثا يكون للناس﴾ يعني اليهود ﴿عليكم حجة﴾ فيقولوا لم تركتم الكعبة وهي قبلة إبراهيم وأنتم على دينه ولا الذين ظلموا وهم مشركو مكة فيقولون لم ترك محمد قبلة جده وتحول عنها إلى قبلة اليهود ﴿فلا تخشوهم﴾ في انصرفكم إلى الكعبة وفي تظاهروهم عليكم بالمجادلة فإني وليكم أظهركم عليهم بالحجة والنصرة ﴿واخشوني ولأنتم نعمتي عليكم﴾ عطف على قوله ﴿لثلاثا يكون للناس عليكم حجة﴾ ولكي أتم نعمتي عليكم بهدايتي إياكم إلى قبلة إبراهيم فتم لكم الملة الحنيفية، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الإسلام.

قال: سعيد بن جبير لا يتم نعمة على المسلم إلا أن يدخله الله الجنة ﴿ولعلكم تهتدون﴾ لكي تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب.

قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾ هذه الكاف للتشبيه وتحتاج إلى شيء يرجع إليه فقال بعضهم: ترجع إلى ما قبلها معناه ولأنتم نعمتي عليكم كما أرسلنا فيكم رسولاً قال محمد بن جرير: دعا إبراهيم عليه السلام بدعوتين — إحداهما — قال: «ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك» (١٢٨ — البقرة) والثانية قوله: «ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم» (١٢٩ — البقرة) فبعث الله الرسول وهو محمد ﷺ، ووعد إجابة الدعوة الثانية بأن يجعل من ذريته أمة مسلمة، يعني كما أجبت دعوته بأن أهديكم لدينه وأجعلكم مسلمين وأنتم نعمتي عليكم ببيان شرائع الملة الحنيفية<sup>(٢)</sup> وقال مجاهد وعطاء والكلبي: هي

(١) انظر: البحر المحيط: ٤٤٢/١.

(٢) قال الطبري في التفسير: ٢٠٨/٣ — ٢٠٩: «يعني بقوله جل ثناؤه: «كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا»، ولأنتم نعمتي عليكم ببيان شرائع ملتكم الحنيفية، وأهديكم لدين خليلي إبراهيم عليه السلام، فأجعل لكم دعوته التي دعاني بها ومسألته التي سألتها فقال: «ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم» (سورة البقرة: ١٢٨)، كما جعلت لكم دعوته التي دعاني بها، ومسألته التي سألتها فقال: «ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم» (سورة البقرة: ١٢٩)، فابتعثت منكم رسولي الذي سألتني إبراهيم خليلي وابنه إسماعيل، أن أبعثه من ذريتهما».

## فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

متعلقة بما بعدها وهو قوله «فاذكروني أذكركم» معناه كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني<sup>(١)</sup> وهذه الآية خطاب لأهل مكة والعرب يعني كما أرسلنا فيكم يا معشر العرب.

﴿رسولا منكم﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿يتلو عليكم آياتنا﴾ يعني القرآن ﴿ويذكركم ويعلمكم الكتاب والحكمة﴾ قيل: الحكمة السنة، وقيل: مواظب القرآن ﴿ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ من الأحكام وشرائع الإسلام ﴿فاذكروني أذكركم﴾ قال ابن عباس: اذكروني بطاعتي، أذكركم بمغفرتي، وقال سعيد بن جبير اذكروني في النعمة والرخاء، أذكركم في الشدة والبلاء، بيانه «فلولا أنه كان من المسبحين للبت في بطنه إلى يوم يبعثون» (١٤٤ — الصفات).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا عمر بن حفص أخبرنا أبي أخبرنا الأعمش قال سمعت أبا صالح عن أبي هريرة قال قال: النبي ﷺ: يقول الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي وثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميني قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان أخبرنا أبو عبد الملك الدمشقي أخبرنا سليمان بن عبد الرحمن أخبرنا منذر بن زياد عن صخر ابن جويرية عن الحسن عن أنس قال: إني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ عدد أنا ملي هذه العشر، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك ذكرتني في نفسي، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتني في ملأ خير منهم، وإن دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعا، وإن دنوت مني ذراعا دنوت منك باعا، وإن مشيت إلي هرولت إليك، وإن هرولت إلي سعت إليك، وإن سألتني أعطيتك، وإن لم تسألني غضبت عليك»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢١٠/٣.

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد — باب: قول الله تعالى: ويحذركم الله نفسه: ٣٨٤/١٣. ومسلم: في الذكر والدعاء والتوبة — باب الحث على ذكر الله تعالى برقم (٢٦٧٥) ٤/٦١. والمصنف في شرح السنة: ٢٧٣/٥.

(٣) أخرجه البخاري في التوحيد — باب: قول الله تعالى: ويحذركم الله نفسه: ٣٨٤/١٣. ومسلم: في الذكر والدعاء والتوبة — باب: فضل الذكر والدعاء برقم (٢٦٧٥) ٤/٢٠٦٧ من طريق أنس وجاء كذلك من طريق أبي ذر وهذه الرواية يختلف لفظها عند البخاري.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا  
لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا يحيى بن عبد الله أخبرنا الأوزاعي أخبرنا إسماعيل بن عبيد الله عن أبي الدرداء عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: يقول الله عز وجل: «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أخبرنا علي بن الجعد أخبرنا إسماعيل بن عياش أخبرنا عمرو بن قيس السكوني عن عبد الله بن بسر قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله تعالى»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَفْكُرُونَ﴾ يعني واشكروا لي بالطاعة ولا تكفروني بالمعصية فإن من أطاع الله فقد شكره ومن عصاه / فقد كفره. ٢١/ب

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالعون والنصرة ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ﴾ نزلت في قتلى بدر من المسلمين وكانوا أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار كان الناس يقولون لمن يقتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ﴾ ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ كما قال في شهداء أحد «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون» (١٦٩ — آل عمران) قال الحسن إن الشهداء أحياء عند الله تعالى تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشية فيصل إليهم الوجع.

(١) رواه البخاري: تعليقا في التوحيد — باب: قول الله تعالى: لا تحرك به لسانك: ٤٩٩/١٣.

وابن حبان في الأذكار ص (٥٧٦) من موارد الظمان قال ابن حجر هذا طرف من حديث: أخرجه أحمد والبخاري في خلق افعال العباد. والطبراني من رواية عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن إسماعيل بن عبد الله. بن أبي المهاجر عن كريمة بنت الحسحاس عن أبي هريرة، وأخرجه عنه أيضاً البيهقي في الدلائل وابن ماجه والحاكم وابن حبان من طرق انظر: فتح الباري ٥٠٠/١٣ والمصنف في شرح السنة: ١٣/٥ وانظر التعليق عليه للشيخ الأرنؤوط.

(٢) أخرجه الترمذي: في الدعوات — باب: فضل الذكر ٣١٤/٩ — ٣١٥ وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وأحمد: ١٨٨/٤، ١٩٠ عن عبد الله بن بسر بلفظ آخر.

ابن حبان: في الأذكار — باب: فضل الذكر والذاكرين (موارد الظمان) برقم (٢٣١٨) ص ٥٧٦.

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ  
 الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ  
 عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي ولنختبرنكم يا أمة محمد، واللام لجواب القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلاء من الله لإظهار المطيع من العاصي لا ليعلم شيئاً لم يكن عالماً به ﴿بشيء من الخوف﴾ قال ابن عباس يعني خوف العدو ﴿والجوع﴾ يعني القحط ﴿ونقص من الأموال﴾ بالخسران والهلاك ﴿والأنفس﴾ يعني بالقتل والموت وقيل بالمرض والشيب ﴿والثمرات﴾ يعني الجوائح في الثمار وحكي عن الشافعي أنه قال الخوف خوف الله تعالى، والجوع صيام رمضان، ونقص من الأموال أداء الزكاة والصدقات، والأنفس الأمراض، والثمرات موت الأولاد لأن ولد الرجل ثمرة قلبه.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرضائي أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا الحسن بن موسى أخبرنا حماد بن سلمة عن أبي سنان قال دفنت ابني سناناً وأبو طلحة الخولاني على شفير القبر فلما أردت الخروج أخذ بيدي فأخرجني فقال: ألا أبشرك؟ حدثني الضحاک بن عرزب عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله ﷺ «إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدي؟ قالوا نعم، قال أقبضتم ثمرة فؤاده؟ قالوا نعم، قال فماذا قال عبدي؟ قالوا استرجع وحمدك قال: ابنوا له بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد» (١).

﴿وبشر الصابرين﴾ على البلى والرزايا، ثم وصفهم فقال: ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله عبيداً وملكاً﴾ ﴿وإنا إليه راجعون﴾ في الآخرة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا محاضر بن المورع أخبرنا سعد بن سعيد عن عمر بن كثير بن أفلح

(١) أخرجه الترمذي: في الجنائز — باب: فضل المصيبة إذا احتسب: ١٠١/٤ وقال: هذا حديث حسن غريب. والمصنف في شرح السنة: ٤٥٦/٥ قال المحقق: فيه أبو سنان واسمه عيسى بن سنان القسمي ليئه الحافظ في التقريب. قال ابن معين: لين الحديث وقال أبو زرعة مخطئ (تهذيب التهذيب) وذكره ابن حبان في الثقات. وصححه ابن حبان في موارد الظمان برقم (٧٢٦) ص ١٨٥، قال ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٢ — ١٣: «أخرجه أحمد وغيره من حديث، وصححه ابن حبان ورواه البيهقي في الشعب مرفوعاً وموقوفاً. وقد ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٤٠٨ وقال: الحديث بمجموع طرقه حسن على أقل الأحوال.

أخبرنا مولى أم سلمة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مصيبة تصيب عبداً فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها، إلا آجره الله في مصيبتيه وأخلف له خيراً منها»، قالت أم سلمة لما توفي أبو سلمة عزم الله لي فقلت: اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها. فأخلف الله لي رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

وقال سعيد بن جبير: ما أعطي أحد في المصيبة ما أعطي هذه الأمة يعني الاسترجاع ولو أعطيها أحد لأعطيها يعقوب عليه السلام ألا تسمع لقوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام «ياأسفى على يوسف» (٨٤ - يوسف) ﴿أولئك﴾ أهل هذه الصفة ﴿عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾ صلوات أي رحمة فإن الصلاة من الله الرحمة ورحمة ذكرها الله تأكيداً وجميع الصلوات، أي: رحمة بعد رحمة ﴿وأولئك هم المهتدون﴾ إلى الاسترجاع وقيل إلى الحق والصواب وقيل إلى الجنة والثواب، قال عمر رضي الله عنه: نعم العِدْلان ونعمت العِلاوة<sup>(٢)</sup>، فالعدلان الصلاة والرحمة، والعلاوة الهداية.

وقد وردت أخبار في ثواب أهل البلاء وأجر الصابرين منها ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه قال: سمعت أبا الحباب سعيد بن يسار يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ «من يرد الله به خيراً يصب منه»<sup>(٣)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن محمد أخبرنا عبد الملك بن عمرو أخبرنا زهير بن محمد عن محمد بن عمرو بن حنّلة عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم: في الجنائز - باب: ما يقال عند المصيبة: برقم (٩١٨) ٦٣٢/٢ - ٦٣٣.

والمصنف في شرح السنة: ٢٩٣/٥ - ٢٩٤.

(٢) أخرجه الواحدى في الوسيط بسنده عن عمر رضي الله عنه: ٢٢٦/١. وقال القرطبي في التفسير: ١٧٧/٢: «أراد بالعدلين: الصلاة والرحمة؛ وبالعلاوة: الاهتداء».

(٣) رواه البخاري: في المرض - باب: ما جاء في كفارة المرض: ١٠٣/١٠.

والمصنف في شرح السنة: ٢٣٢/٥.

(٤) رواه البخاري: في المرض - باب: ما جاء في كفارة المرض: ١٠٣/١٠.

مسلم: في البر والصلة - باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه برقم (٢٥٧٣) ١٩٩٣/٤.

والمصنف في شرح السنة: ٢٣٣/٥.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أنا محمد بن عبيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: جاءت امرأة بها لم إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله: ادع الله لي أن يشفيني قال «إن شئت دعوت الله أن يشفيك وإن شئت فاصبري ولا حساب عليك» قالت: بل أصبر ولا حساب علي<sup>(١)</sup>.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو سعيد خلف بن عبد الرحمن بن أبي نزار أخبرنا أبو منصور العباس بن الفضل النضروي أخبرنا أحمد بن نجدة أخبرنا يحيى بن عبد الحميد الحماني أخبرنا حماد بن زيد عن عاصم هو ابن أبي النجود عن مصعب بن سعد عن سعد قال: سئل رسول الله ﷺ عن أشد الناس بلاءً قال: «الأنبياء والأمثل فالأمثل يتلى الله الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلأً ابتلي على قدر ذلك وإن كان في دينه رقة هُوَ عليه فما يزال كذلك حتى يمشي على الأرض وماله من ذنب»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبد الله بن صالح قال: حدثني الليث حدثني يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن سنان عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «إن عظم الجزاء عند الله مع عظم البلاء فإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط»<sup>(٣)</sup>.

أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالح أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أخبرنا حاجب ابن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقي الله وما عليه من خطيئة»<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن حبان: في الجنائز — باب: الصبر على اللمم ص ١٨٢.

والمصنف في شرح السنة: ٢٣٦/٥. واسناده قوي: وأخرجه البزار.

(٢) أخرجه الترمذي: في الزهد — باب: في الصبر على البلاء: ٧٨/٧ — ٧٩ وقال هذا حديث حسن صحيح.

وابن ماجه: في الفتن — باب: الصبر على البلاء برقم (٤٠٢٣) ١٣٣٤/٢.

والداودي: في الرقاق — باب: في أشد الناس بلاء: ٣٢٠/٢.

وأحمد: ١٧٢/١، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥ عن مصعب بن سعد عن أبيه.

والمصنف في شرح السنة: ٢٤٤/٥. واسناده حسن وصححه الحاكم وابن حبان.

(٣) رواه الترمذي: في الزهد — باب: الصبر على البلاء: ٧٧/٧ — ٧٨ وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

ابن ماجه: في الفتن — باب: الصبر على البلاء برقم (٤٠٣١) ١٣٣٨/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٢٤٥/٥. انظر حاشية شرح السنة.

(٤) رواه الترمذي: في الزهد — باب: الصبر على البلاء: ٨٠/٧ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

والحاكم: ٣٤٦/١ وصححه ووافقه الذهبي.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾<sup>١٥٨</sup>

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أبو الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشران أخبرنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء، ومثل المنافق / كمثل شجرة الأرز»<sup>(١)</sup> لا تهتز حتى تستحصد»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبي إسحق عن العيزار بن حريث عن عمر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبٌ للمؤمن إن أصابه خير حمد الله وشكر، وإن أصابته مصيبة حمد الله وصبر. فالمؤمن يؤجر في كل أمره حتى يؤجر في اللقمة يرفعها إلى في امرأته»<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ الصفا جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة للمساء، يقال: صفاة وصفاء، مثل: حصاة وحصى ونواة ونوى، والمروة: الحجر الرخو، وجمعها مروات، وجمع الكثير مرو، مثل تمر وتمرات وتمر. وإنما عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي المسعى، ولذلك أدخل فيهما الألف واللام، وشعائر الله أعلام دينه، أصلها من الإشعار وهو الإعلام وأحدثها شعيرة وكل ما كان معلماً لقربان يتقرب به إلى الله تعالى من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة فالمطاف والموقف والنحر كلها شعائر الله ومثلها المشاعر، والمراد بالشعائر هاهنا: الناسك التي جعلها الله أعلاماً لطاعته، فالصفا والمروة

= وأحمد: ٢٨٧/٢، ٤٥٠ عن أبي هريرة.

والمصنف في شرح السنة: ٢٤٦/٥.

(١) الأرز: بسكون الراء وفتحها شجرة الأرز وهو خشب معروف وقيل: هو الصنوبر وقال بعضهم: هي الأرزة بوزن فاعلة وأنكرها أبو عبيدة. النهاية ٣٨/١.

(٢) رواه البخاري: في التوحيد — باب: في المشيئة والارادة: ٤٤٦/١٣.

ومسلم: في المنافقين — باب: مثل المؤمن كالزرع برقم (٢٨٠٩) ٢١٦٣/٤ واللفظ له.

والمصنف في شرح السنة: ٢٤٧/٥.

(٣) رواه مسلم: في الزهد — باب: المؤمن أمره كله خير عن صهيب برقم (٢٩٩٩) ٢٢٩٥/٤، بلفظ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له»

والمصنف في شرح السنة: ٤٤٨/٥.



منها حتى يطاف بهما جميعاً ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾ فالحج في اللغة: القصد، والعمرة: الزيارة، وفي الحج والعمرة المشروعين قصد وزيارة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ أي لا إثم عليه، وأصله من جنح أي مال عن القصد ﴿أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ أي يدور بهما، وأصله يتطوف أدغمت التاء في الطاء.

وسبب نزول هذه الآية أنه كان على الصفا والمروة صنمان أساف ونائلة، وكان أساف على الصفا ونائلة على المروة، وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيماً للصنمين ويتمسحون بهما، فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كان المسلمون يتخرجون عن السعي بين الصفا والمروة لأجل الصنمين فأذن الله فيه وأخبر أنه من شعائر الله<sup>(١)</sup>.

واختلف أهل العلم في حكم هذه الآية ووجوب السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة إلى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن وإليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم إلى أنه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين ومجاهد وإليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي. وقال الثوري وأصحاب الرأي على من تركه دم<sup>(٢)</sup>.

واحتج من أوجبه بما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الله بن مؤمل العائذي عن عمرو بن عبد الرحمن بن محيصن عن عطاء بن أبي رباح عن صفية بنت شيبة قالت: أخبرتني بنت أبي ثجراة — اسمها حبيبة إحدى نساء بني عبد الدار — قالت: دخلت مع نسوة

(١) أخرج البخاري عن عروة قال: سألت عائشة رضي الله عنها، فقلت لها: أرايت قول الله تعالى: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ، فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا» فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة؟ قالت: بئس ما قلت يابن أخي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يُسلموا يُهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند الْمُثَلَّل، فكان من أهل يتخرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك قالوا: يا رسول الله إنا كنا نتخرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ» الآية.

قالت عائشة رضي الله عنها: وقد سنَّ رسول الله ﷺ الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١٨٣/٢، أحكام القرآن لابن العربي: ٤٨/١، أحكام القرآن للجصاص: ١١٨/١ — ١٢٢. ابن كثير: ٣٤٧/١.

من قريش دار آل أبي حسين ننظر إلى رسول الله ﷺ وهو يسعى بين الصفا والمروة فرأيته يسعى وإن مئزره ليدور من شدة السعي حتى لأقول إني لأرى ركبتيه، وسمعته يقول «اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: قلت لعائشة زوج النبي ﷺ أرأيت قول الله تعالى ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ فما أرى على أحد شيئاً ألا يطوف بهما، قالت عائشة: كلا لو كانت كما تقول كانت «فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما» إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قُديد وكانوا يتخرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة. فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ الآية.<sup>(٢)</sup>

قال عاصم: قلت لأنس بن مالك أكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة؟ قال نعم لأنها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ حين خرج من المسجد وهو يريد الصفا يقول «نبدأ بما بدأ الله تعالى به» فبدأ بالصفا. وقال كان إذا وقف على الصفا يكبر ثلاثاً ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. يصنع ذلك ثلاث مرات ويدعو ويصنع على المروة مثل ذلك. وقال كان إذا نزل من الصفا مشى حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي يسعى حتى يخرج منه.<sup>(٣)</sup>

(١) رواه الدارقطني: عن ابن المبارك بقوله: أخبرني معروف بن مشكان أخبرني منصور بن عبد الرحمن عن أم صفية قالت: أخبرتني نسوة من بني عبد الدار اللاتي أدركن رسول الله ﷺ.... قال صاحب التنقيح: إسناده صحيح ومعروف بن مشكان صدوق لا نعلم من تكلم فيه ومنصور هذا ثقة مخرج له في الصحيحين — عن التعليق المغني ٢٥٥/٢.

الطبراني: في الكبير وفيه عبد الله بن المؤمل وثقة ابن حبان وقال يخطيء وضعفه غيره (المجمع: ٢٤٧/٣) أحمد: ٤٢٢/٦ عن حبيبة بنت أبي تهرئة والصحيح بنت أبي تهرئة انظر أسد الغابة ٥٩/٧.

والمصنف في شرح السنة: ١٤١/٧.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير: ١٧٥/٨، ومسلم في الحج: ٩٢٨/٢، والمصنف في شرح السنة: ١٣٩/٧.

(٣) رواه مسلم: في الحج — باب: حجة النبي ﷺ برقم (١٢١٨) ٨٨٦/٢ مطولاً من حديث جابر المشهور. والمصنف في شرح السنة: ١٣٦/٧.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي  
الْكِتَابِ ۚ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ  
فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾

قال مجاهد: — رحمه الله — حج موسى عليه السلام على جبل أحرر وعليه عباءتان قَطَوَانِيَّتَانِ<sup>(١)</sup>، فطاف البيت ثم صعد الصفا ودعا ثم هبط إلى السعي وهو يلبي فيقول لبيك اللهم لبيك. فقال الله تعالى لبيك عبدي وأنا معك فخر موسى عليه السلام ساجداً.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ قرأ حمزة والكسائي بالياء وتشديد الطاء وجزم العين وكذلك الثانية «فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا» (١٨٤ — البقرة) بمعنى يتطوع ووافق يعقوب في الأولى وقرأ الباقر بالتاء وفتح العين على الماضي وقال مجاهد: معناه فمن تطوع بالطواف بالصفا والمروة. وقال مقاتل والكلبي: فمن تطوع: أي زاد في الطواف بعد الواجب. وقيل من تطوع بالحج والعمرة بعد أداء الحجة الواجبة عليه وقال الحسن وغيره: أراد سائر الأعمال يعني فعل غير المفترض عليه من زكاة وصلاة وطواف وغيرها من أنواع الطاعات ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ مجاز لعبد. بعمله ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيته. والشكر من الله تعالى أن يعطي لعبده فوق ما يستحق. يشكر اليسير ويعطي الكثير.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ نزلت في علماء اليهود كتموا صفة محمد ﷺ وآية الرجم وغيرها من الأحكام التي كانت في التوراة<sup>(٢)</sup> ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ وأصل اللعن الطرد والبعد ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ أي يسألون الله أن يلعنهم ويقولون: اللهم لعنهم. واختلفوا في هؤلاء اللاعنين، قال ابن عباس: جميع الخلائق إلا الجن والإنس. وقال قتادة: هم الملائكة وقال عطاء: الجن والإنس وقال الحسن: جميع عباد الله. قال ابن مسعود: ما تلاعن اثنان من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين كتموا أمر محمد ﷺ وصفته وقال مجاهد: اللاعنون البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر وقالت هذا من شؤم ذنوب بني آدم ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من الكفر ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ أسلموا وأصلحوا الأعمال فيما بينهم وبين ربهم ﴿وَيَبَيَّنَّا﴾ ما كتموا ﴿فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أتجاوز عنهم وأقبل توبتهم ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

(١) القَطَوَانِيَّة: عباءة بيضاء قصيرة الخمل، والنون زائدة، النهاية: ٨٥/٤.

(٢) أخرج ابن اسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: سأل معاذ بن جبل أخو بني سلمة، وسعد بن معاذ أخو بني الأشهل، وخارجة بن زيد أخو الحرث بن الخزرج نفراً من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة فكتموهم إياه وأبوا أن يخبروهم فأنزل الله فيهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾.... انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٣٩٠/١.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴿١٦٣﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٤﴾

الرجاع بقلوب عباده المنصرفة عني إلي ﴿الرحيم﴾ بهم بعد إقبالهم علي.

٢٢/ب

﴿إن الذين كفروا / وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة﴾ أي لعنة الملائكة ﴿والناس أجمعين﴾ قال أبو العالية: هذا يوم القيامة يوقف الكافر فيلعنه الله ثم تلعه الملائكة ثم يلعه الناس فإن قيل فقد قال ﴿والناس أجمعين﴾ والملعون هو من جملة الناس فكيف يلعن نفسه؟ قيل يلعن نفسه في القيامة قال الله تعالى: «ويلعن بعضكم بعضاً» (٢٥ — العنكبوت) وقيل إنهم يلعنون الظالمين والكافرين ومن يلعن الظالمين والكافرين وهو منهم فقد لعن نفسه ﴿خالدين فيها﴾ مقيمين في اللعنة وقيل في النار ﴿لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ لا يمهلون ولا يؤجلون وقال أبو العالية: لا ينظرون فيعتذروا كقوله تعالى «ولا يؤذن لهم فيعتذرون» (٣٦ — المراتل).

قوله تعالى: ﴿والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ سبب نزول هذه الآية أن كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فأنزل الله تعالى هذه الآية وسورة الإخلاص<sup>(١)</sup> والواحد الذي لا نظير له ولا شريك له.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا بكر بن إبراهيم وأبو عاصم عن عبيد الله بن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن في هاتين الآيتين اسم الله الأعظم» ﴿والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ و﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: أسباب النزول للواحد ص (٥٤٨—٥٤٩) ومراجع التحقيق فيه.

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة باب الدعاء ١٤٥/٢.

والترمذي: في الدعوات — باب: ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله ﷺ ٤٤٧/٩ وقال: هذا حديث حسن صحيح وابن

ماجه: في الدعاء — باب: اسم الله الأعظم (٣٨٥٥) ١٢٦٧/٢.

والدارمي: في فضائل القرآن — باب: فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي: ٤٥٠/٢.

وأحمد: ٤٦١/٦ عن أسماء بنت يزيد.

والمصنف في شرح السنة ٣٩/٥ وقال حديث غريب كلهم من حديث عبيد الله بن أبي زياد عن شهر بن حوشب وعبيد الله بن أبي

زناد ليس بالقوي قال أبو داود أحاديثه مناكير.

ميزان الاعتدال ٨/٣ تقريب التهذيب، الضعفاء والمتروكين للنسائي ص ١٥٦.

وشهر بن حوشب ليس بالقوي وكثير الأوهام والارسل، ميزان الاعتدال ٢٨٣/٢ تقريب التهذيب والضغفاء والمتروكين للنسائي ص ١٣٤.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي  
الْبَحْرِ يَمَافِنَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ  
فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ  
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

قال أبو الضحى<sup>(١)</sup>: لما نزلت هذه الآية قال المشركون: إن محمداً يقول إن إلهكم إله واحد فليأتنا  
بآية إن كان من الصادقين فأنزل الله عز وجل ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ذكر السماوات بلفظ  
الجمع والأرض بلفظ الواحد لأن كل سماء ليست من جنس واحد بل من جنس آخر، والأرضون كلها  
من جنس واحد وهو التراب، فالآية في السماوات سمكها وارتفاعها من غير عمد ولا علاقة وماترى فيها  
من الشمس والقمر والنجوم، والآية في الأرض مدها وبسطها وسعتها وما ترى فيها من الأشجار والأنهار  
والجبال والبحار والجواهر والنبات.

قوله تعالى: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي تعاقبهما في الذهاب والحجى يخلف أحدهما صاحبه إذا  
ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه أي بعده نظيره قوله تعالى: «وهو الذي جعل الليل والنهار خلفاً»  
(٦٢ - الفرقان) قال عطاء: أراد اختلافهما في النور والظلمة والزيادة والنقصان. والليل جمع ليلة،  
والليالي جمع الجمع. والنهار جُمُعته نُهْرٌ وقدم الليل على النهار في الذكر لأنه أقدم منه قال الله تعالى (وآية لهم  
الليل نسلخ منه النهار) (٣٧ - يس).

﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ يعنى السفن واحده وجمعه سواء فإذا أريد به الجمع يؤنث وفي  
الواحد يذكر قال الله تعالى: في الواحد والتذكير «إذ أبق إلى الفلك المشحون» (١٤٠ - الصافات)  
وقال في الجمع والتأنيث «حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة» (٢٢ - يونس).

﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ الآية في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي موقرة لا  
ترسب تحت الماء ﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ يعنى ركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب وأنواع المطالب  
﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ﴾ يعنى المطر قيل: أراد بالسماء السحاب، يخلق الله الماء في  
السحاب ثم من السحاب ينزل وقيل أراد به السماء المعروفة يخلق الله تعالى الماء في السماء ثم ينزل من  
السماء إلى السحاب ثم من السحاب ينزل إلى الأرض ﴿فَأَحْيَا بِهِ﴾ أي بالماء ﴿الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي

(١) انظر في الدر المنثور في التفسير بالماثور للسيوطي ٣٩٥/١ وقد عزاه لوكيع والفرياني وسعيد بن منصور وابن جرير وأبي الشيخ في العظة  
والبيهقي في شعب الإيمان.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾

بعد بيوستها وجدوتها ﴿ويث فيها﴾ أي فرق فيها ﴿من كل دابة وتصريف الرياح﴾ .

قرأ حمزة والكسائي الريح بغير ألف وقرأ الباقون بالألف وكل ربح في القرآن ليس فيها ألف ولا لام اختلفوا في جمعها وتوحيدها إلا في الذاريات «الريح العقيم» (٤١ - الذاريات) اتفقوا على توحيدها وفي الحرف الأول من سورة الروم «الرياح مبشرات» (٤٦ - الروم) اتفقوا على جمعها، وقرأ أبو جعفر سائرهما على الجمع، والقراء مختلفون فيها، والريح يذكر ويؤنث، وتصريفها أنها تتصرف إلى الجنوب والشمال والقبول والدبور والنكباء<sup>(١)</sup>.

وقيل: تصريفها أنها تارة تكون ليناً وتارة تكون عاصفاً وتارة تكون حارة وتارة تكون باردة قال ابن عباس: أعظم جنود الله الريح والماء وسميت الريح ريحاً لأنها تريح النفوس قال شرح القاضي: ما هبت ربح إلا لشفاء سقيم أو لسقم صحيح والبشارة في ثلاث من الرياح في الصبا والشمال والجنوب أما الدبور فهي الريح العقيم لا بشارة فيها وقيل الرياح ثمانية: أربعة للرحمة وأربعة للعذاب. فأما التي للرحمة المبشرات والناشرات والذاريات والمرسلات وأما التي للعذاب فالعقيم والصرصر في البر والعاصف والقاصف في البحر ﴿والسحاب المسخر﴾ أي الغيم المذلل سمي سحاباً لأنه ينسحب أي يسير في سرعة كأنه يسحب أي يجر ﴿بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقاً وصانعاً قال وهب بن منبه: ثلاثة لا يدري من أين تجيء الرعد والبرق والسحاب.

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً﴾ أي أصناماً يعبدونها ﴿يحبونهم كحب الله﴾ أي يحبون آلهتهم كحب المؤمنين الله، وقال الزجاج: يحبون الأصنام كما يحبون الله لأنهم أشركوها مع الله فسووا بين الله وبين أوثانهم في المحبة ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ أي أثبت وأدوم على حبه لأنهم لا يختارون على الله ما سواه والمشركون إذا اتخذوا صنماً ثم رأوا أحسن منه طرحوا الأول واختاروا الثاني قال قتادة: إن الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء ويقبل على الله تعالى كما أخبر الله عز وجل عنهم فقال: (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) (٦٥ - العنكبوت) والمؤمن لا يعرض عن الله في السراء

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٥/٣ - ٢٧٦، الدر المنثور: ٣٩٦/١ - ٣٩٧.

إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَتَيْنَا لَنَاكَرَةً فَنَتَّبِرَ أَمْنَهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾

والضراء والشدة والرخاء<sup>(١)</sup>.

قال سعيد بن جبیر: إن الله عز وجل يأمر يوم القيامة من أحرقت نفسه في الدنيا على رؤية الأصنام<sup>(٢)</sup> أن يدخلوا جهنم مع أصنامهم فلا يدخلون لعلمهم أن عذاب جهنم على الدوام، ثم يقول للمؤمنين وهم بين أيدي الكفار: «إن كنتم أحبائي فادخلوا جهنم» فيقتحمون فيها فينادي مناد من تحت العرش ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ وقيل إنما قال ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ لأن الله تعالى أحبهم أولاً ثم أحبوه ومن شهد له المعبود بالحب كانت محبته أتم قال الله تعالى: «يحبهم ويحبونه» (٥٤ — المائدة).

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قرأ نافع وابن عامر ويعقوب ولو ترى بالتاء وقرأ الآخرون بالياء وجواب لو هاهنا محذوف ومثله كثير في القرآن كقوله تعالى «ولو أن قرآننا سيرت به الجبال أو قطعت به» (الرعد — ٣١) يعني لكان هذا القرآن فمن قرأ بالتاء معناه ولو ترى يا محمد الذين ظلموا أنفسهم من شدة العذاب لرأيت أمراً عظيماً، قيل: معناه قل يا محمد: أيها الظالم لو ترى الذين ظلموا أو أشركوا في شدة العقاب لرأيت أمراً فظيماً، ومن قرأ بالياء معناه ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم عند رؤية العذاب أو لو رأوا شدة عذاب الله وعقوبته حين يرون العذاب لعرفوا مضرة الكفر وأن ما اتخذوا من الأصنام لا ينفعهم.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَرُونَ﴾ قرأ ابن عامر بضم الياء والباقون بفتحها ﴿العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب﴾ أي بأن القوة لله جميعاً معناه لرأوا وأيقنوا أن القوة لله جميعاً.

وقرأ أبو جعفر ويعقوب إن القوة وإن الله بكسر الألف على الاستئناف والكلام تام عند قوله ﴿إِذْ يَرُونَ العذاب﴾ مع إضمار الجواب ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾ هذا في يوم القيامة / حين يجمع الله القادة والأتباع فيتبرأ بعضهم من بعض، هذا قول أكثر المفسرين، وقال السدي: هم الشياطين يتبرأون من الإنس ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾ أي عنهم ﴿الأسباب﴾ أي الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا من القرابات والصدقات وصارت مُحَالَّتُهُمْ عداوة، وقال ابن جريج: الأرحام كما قال الله تعالى: «فلا أنساب بينهم يومئذ» (١٠١ — المؤمنون) وقال السدي: يعني الأعمال التي كانوا

(١) انظر: الوسيط للواحيدي: ٢٣٦/١.

(٢) في هامش (أ): لأن من الكفار من يعبد النار إلى آخر العمر، ثم يحرق نفسه فداءً للصنم.

يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

يعملونها في الدنيا كما قال الله تعالى «وقدما إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً» (٢٣) — الفرقان).

وأصل السبب ما يوصل به إلى الشيء من ذريعة أو قرابة أو مودة ومنه يقال للحبل سبب والطريق سبب ﴿وقال الذين اتبعوا﴾ يعني الأتباع ﴿لو أن لنا كرة﴾ أي رجعة إلى الدنيا ﴿فتتبرأ منهم﴾ أي من المتبوعين ﴿كما تبرأ منا﴾ اليوم ﴿كذلك﴾ أي كما أراهم العذاب كذلك ﴿يربهم الله﴾ وقيل كبرى بعضهم من بعض يربهم الله ﴿أعمالهم حسرات﴾ ندامات ﴿عليهم﴾ جمع حسرة قيل يربهم الله ما ارتكبوا من السيئات فيتحسرون لِمَ عملوا، وقيل يربهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على تضييعها وقال ابن كيسان: إنهم أشركوا بالله الأوثان رجاء أن تقرهم إلى الله عز وجل، فلما عذبوا على ما كانوا يرجون ثوابه تحسروا وندموا. قال السدي: ترفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فيها لو أطاعوا الله فيقال لهم تلك مساكنكم لو أطعتم الله، ثم تقسم بين المؤمنين فذلك حين يندمون<sup>(١)</sup> ويتحسرون ﴿وما هم بخارجين من النار﴾.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبني مدلج فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، فالحلال ما أحله الشرع طيباً، قيل: ما يستطاب ويستلذ، والمسلم يستطيب الحلال ويعاف الحرام، وقيل الطيب الطاهر ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر والكسائي وحفص ويعقوب بضم الطاء والباءون بسكونها وخطوات الشيطان آثاره وزلاته، وقيل هي النذر في المعاصي. وقال أبو عبيدة: هي المحقرات من الذنوب. وقال الزجاج: طرقة ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ بين العداوة وقيل مظهر العداوة، وقد أظهر عداوته بإيائه السجود لآدم وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة.

وأبان يكون لازماً ومتعدياً ثم ذكر عداوته فقال: ﴿إنما يأمركم بالسوء﴾ أي بالإثم وأصل السوء ما يسوء صاحبه وهو مصدر ساء يسوء سوءاً ومساءة أي أحزنه، وسوأتَه فساء أي حزنه فحزن ﴿والفحشاء﴾ المعاصي وما قبح من القول والفعل وهو مصدر كالسراء والضراء. روى باذان عن ابن

(١) انظر الطبري ٢٩٦/٣.



وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَٰئِكَ  
ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ  
الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٨﴾

عباس قال: الفحشاء من المعاصي ما يجب فيه الحد والسوء من الذنوب ما لاحد فيه. وقال السدي: هي الزنا وقيل هي البخل ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم الحرث والأنعام.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ قيل هذه قصة مستأنفة والهاء والميم في لهم كناية عن غير مذكور. روي عن ابن عباس قال: دعا رسول الله ﷺ اليهود إلى الإسلام، فقال رافع بن خارجه ومالك بن عوف قالوا: بل نتبع ما ألفتنا عليه آباءنا، أي ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا خيراً وأعلم منا، فأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>(١)</sup>، وقيل الآية متصلة بما قبلها وهي نازلة في مشركي العرب وكفار قريش والهاء والميم عائدة إلى قوله «ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً» (١٦٥ — البقرة) ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾ أي ما وجدنا ﴿عَلَيْهِ ءَابَاءُنَا﴾ من عبادة الأصنام، وقيل معناه: وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله في تحليل ما حرموه على أنفسهم من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة. والهاء والميم عائدة إلى الناس في قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كَلَوًا﴾ ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ﴾ قرأ الكسائي: بل نتبع بإدغام اللام في النون. وكذلك يدغم لام هل وبل في التاء والتاء والزاي والسين والصاد والطاء والظاء ووافق حمزة في التاء والتاء والسين ﴿مَا أَلْفَيْنَا﴾ ما وجدنا ﴿عَلَيْهِ ءَابَاءُنَا﴾ من التحريم والتحليل.

قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ﴾ أي كيف يتبعون آباءهم وآباؤهم ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ والواو في «أُولَٰئِكَ» واو العطف، ويقال لها واو التعجب دخلت عليها ألف الاستفهام للتوبيخ والمعنى أيتبعون آباءهم وإن كانوا جهالاً لا يعقلون شيئاً، لفظه عام ومعناه الخصوص. أي لا يعقلون شيئاً من أمور الدين لأنهم كانوا يعقلون أمر الدنيا ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ ثم ضرب الله مثلاً فقال جل ذكره:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ والنعيق والنق صوت الراعي بالغنم معناه مثلك يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم إلى الله عز وجل كمثل الراعي الذي ينق بالغنم، وقيل مثل واعظ الكفار وداعيتهم معهم كمثل الراعي ينق بالغنم وهي لا تسمع ﴿إِلَّا دُعَاءً﴾ صوتاً ﴿وَنِدَاءً﴾ فأضاف المثل إلى الذين كفروا لدلالة الكلام عليه كما في قوله تعالى «واسأل القرية» (٨٢ — يوسف) معناه كما أن البهائم تسمع صوت الراعي ولا تفهم ولا تعقل ما يقال لها، كذلك الكافر لا ينتفع

(١) انظر تفسير الطبري ٣/٣٠٥.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِتْيَاهُ  
تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِزْيِرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ  
لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَن أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾

بوعظك إنما يسمع صوتك. وقيل: معناه: ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله وعن رسوله  
كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفقه من الأمر والنهي إلا الصوت فيكون المعنى للمنعوق به والكلام  
خارج عن الناقع وهو فاش في كلام العرب يفعلون ذلك ويقبلون الكلام لا يوضح المعنى عندهم، يقولون  
فلان يخافك كخوف الأسد، أي كخوفه الأسد. وقال تعالى «ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة» (٧٦) —  
القصص) وإنما العصبة تنوء بالمفاتيح وقيل معناه مثل الذين كفروا في دعاء الأصنام التي لا تفقه ولا تعقل  
كمثل الناقع بالغنم فلا ينتفع من نعيقه بشيء غير أنه في عناء من الدعاء والنداء، كذلك الكافر ليس له  
من دعاء الآلهة وعبادتها إلا العناء والبلاء كما قال تعالى «إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما  
استجابوا لكم» (١٤) — فاطر).

وقيل معنى الآية ومثل الذين كفروا في دعاء الأوثان كمثل الذي يصيح في جوف الجبال فيسمع  
صوتاً يقال له: الصدى لا يفهم منه شيئاً، فمعنى الآية كمثل الذي ينفق بما لا يسمع منه الناقع إلا  
دعاء ونداء ﴿صم﴾ يقول العرب لمن يسمع ولا يعقل: كأنه أصم ﴿بكم﴾ عن الخير لا يقولونه  
﴿عمي﴾ عن الهدى لا يصرونه ﴿فهم لا يعقلون﴾.

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ﴾ من حلالات ﴿ما رزقناكم﴾.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن  
محمد بن عبد العزيز البغوي أخبرنا علي بن الجعد أخبرنا فضيل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن أبي  
حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ وَإِنَّ اللَّهَ  
أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: «يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِن الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً» (٥١) —  
المؤمنون) وقال ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر  
يمد يده إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب  
لذلك»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم: في الزكاة — باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب برقم (١٠١٥) ٧٠٣/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٧/٨ — ٨.

﴿واشكروا لله﴾ على نعمه ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ ثم بين المحرمات فقال: ﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾ قرأ أبو جعفر الميتة في كل القرآن بالتشديد والباقون يشددون البعض. والميتة كل ما لم تدرك ذكاته مما يذبح ﴿والدم﴾ أراد بالدم الجاري يدل عليه قوله تعالى «أو دماً مسفوحاً» (١٤٥) — الأنعام واستثنى الشرع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال فأحلها.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «أُحِلَّتْ لَنَا مِيتَتَانِ وَدَمَانِ، الْمِيتَتَانِ الْحَوْتَ وَالْجَرَادَ، وَالدَّمَانِ، أَحْسَبُهُ قَالَ: الْكَبِدَ وَالطَّحَالَ»<sup>(١)</sup> ﴿ولحم الخنزير﴾ أراد به جميع أجزائه فحرم عن ذلك باللحم لأنه معظمه ﴿وما أهل به لغير الله﴾ أي ما ذبح للأصنام والطواغيت، وأصل الإهلال رفع الصوت. وكانوا إذا ذبحوا لأهلهم يرفعون أصواتهم يذكرها فجرى ذلك من أمرهم حتى قيل لكل ذابح وإن لم يجهر بالتسمية مهل. وقال الربيع بن أنس وغيره ﴿وما أهل به لغير الله﴾ قال ما ذكر عليه اسم غير الله.

﴿فمن اضطر﴾ بكسر النون وأخواته قرأ عاصم وحزمة، ووافق أبو عمرو إلا في اللام والواو مثل «قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن» (١١٠ — الإسراء) ويعقوب إلا في الواو، ووافق ابن عامر في التنوين، والباقون كلهم بالضم، فمن كسر قال: لأن الجزم يحرك إلى الكسر، ومن ضم فلضمة أول الفعل نقل حركتها إلى ما قبلها، وأبو جعفر بكسر الطاء ومعناه فمن اضطر إلى أكل ميتة أي أحوج وألجئ إليه ﴿غير﴾ نصب على الحال، وقيل على الاستثناء وإذا رأيت (غير) يصلح في موضعها (لا) فهي حال، وإذا صلح في موضعها (إلا) فهي استثناء ﴿باغ ولا عاد﴾ أصل البغي قصد الفساد، يقال بغى الجرح يبغي بغياً إذا ترامى إلى الفساد، وأصل العدوان الظلم ومجاوزة الحد يقال عدا عليه عدواً وعدواناً إذا ظلم واختلفوا في معنى قوله ﴿غير باغ ولا عاد﴾ فقال بعضهم ﴿غير باغ﴾ أي: خارج على السلطان، ولا عاد: متعدٍ عاصٍ بسفوره، بأن خرج لقطع الطريق أو لفساد في الأرض. وهو قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير. وقالوا لا يجوز للعاصي بسفوره أن يأكل الميتة إذا اضطر إليها ولا أن يترخص المسافر حتى يتوب، وبه قال الشافعي رحمه الله: لأن إباحته له إعانة له على فساده، وذهب جماعة إلى أن البغي والعدوان راجعان

(١) رواه ابن ماجه: في الأطعمة — باب الكبد والطحال برقم (٣٣١٤) ١١٠٢/٢ من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف (التقريب — ميزان الاعتدال)، والإمام أحمد في المسند ٩٧/٢ عن ابن عمر، والشافعي في المسند: ١٧٣/٢ واللفظ له. والبيهقي: ٢٥٤/١ موقوفاً ثم قال: وهذا إسناد صحيح. والدارقطني: ٢٧٢/٤، وعزاه الزيلعي في نصب الراية: ٢٠٢/٤ للشافعي وعبد بن حميد وابن حبان في الضعفاء وابن عدي، وقال: له طريق آخر.

والحديث أخرجه البغوي أيضاً في شرح السنة: ٢٤٤/١١. والحديث والله أعلم موقوف على ابن عمر، وهو في حكم المرفوع انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم الحديث (١١١٨).

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا  
أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا  
يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾

إلى الأكل واختلفوا في تفصيله. فقال الحسن وقتادة ﴿غير باغ﴾ لا تأكله من غير اضطرار ﴿ولا عاد﴾ أي لا يعدو لشبعه. وقيل ﴿غير باغ﴾ أي غير طالبا وهو يجد غيرها ﴿ولا عاد﴾ أي غير متعد ما حد له فما يأكل حتى يشبع ولكن يأكل منها قوتا مقدار ما يمسك رمقه. وقال مقاتل بن حيان ﴿غير باغ﴾ أي مستحل لها ﴿ولا عاد﴾ أي متزود منها. وقيل ﴿غير باغ﴾ أي غير مجاوز للقدر الذي أحل له ﴿ولا عاد﴾ أي لا يقصر فيما أبيح له فيدعه قال مسروق: من اضطر إلى الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل ولم يشرب حتى مات دخل النار.

واختلف العلماء في مقدار ما يحل للمضطر أكله من الميتة، فقال بعضهم مقدار ما يسد رمقه. وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه وأحد قولي الشافعي رضي الله عنه<sup>(١)</sup>. والقول الآخر يجوز أن يأكل حتى يشبع وبه قال مالك رحمه الله تعالى. وقال سهل بن عبد الله ﴿غير باغ﴾ مفارق للجماعة ﴿ولا عاد﴾ مبتدع مخالف للسنة ولم يرخص للمبتدع في تناول المحرم عند الضرورة ﴿فلا إثم عليه﴾ أي فلا حرج عليه في أكلها ﴿إن الله غفور﴾ لمن أكل في حال الاضطرار ﴿رحيم﴾ حيث رخص للعباد في ذلك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ «نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم كانوا يصيرون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم، فلما بعث محمد ﷺ من غيرهم خافوا ذهاب مأكلهم وزوال رياستهم، فعمدوا إلى صفة رسول الله ﷺ فغيروها ثم أخرجوها إليهم، فلما نظرت السفلة إلى النعت المغير وجدوه مخالفاً لصفة محمد ﷺ فلم يتبعوه» فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾<sup>(٢)</sup> يعني صفة محمد ﷺ ونبوته ﴿ويشترون به﴾ أي بالكتوم ﴿ثمناً قليلاً﴾ أي عوضاً يسيراً يعني المآكل التي يصيبنها من سفلتهم ﴿أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار﴾ يعني إلا ما يؤديهم إلى النار وهو الرشوة والحرام وثمن الدين، فلما كان يفضي ذلك بهم إلى النار فكأنهم أكلوا النار وقيل معناه أنه يصير ناراً في بطونهم ﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة﴾ أي لا يكلمهم بالرحمة وبما يسرهم إنما يكلمهم بالتوبيخ. وقيل: أراد به أنه يكون عليهم غضبان، كما يقال: فلان

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص: ١٥٦/١ - ١٦١، أحكام القرآن لابن العربي: ٥٥/١ - ٥٧.

(٢) أخرجه الثعلبي بسند ضعيف عن ابن عباس انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٤٠٩/١.

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ  
 عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ  
 لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ  
 ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي  
 الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ  
 وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ  
 الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

لا يكلم فلاناً إذا كان عليه غضبان ﴿ولا يذكهم﴾ أي لا يطهرهم من دنس الذنوب ﴿ولهم عذاب أليم﴾ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ﴿قال عطاء والسدي: هو ما: استفهام معناه ما الذي صبرهم على النار وأي شيء يصبرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل وقال الحسن وقتادة: والله ما لهم عليها من صبر ولكن ما أجرأهم على العمل الذي يقرهم إلى النار قال الكسائي: فما أصبرهم على عمل أهل النار أي ما أدومهم عليه﴾ ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق ﴿يعني ذلك العذاب بأن الله نزل الكتاب بالحق فأنكروه وكفروا به وحينئذ يكون ذلك في محل الرفع وقال بعضهم محله نصب معناه فعلنا ذلك بهم بأن الله أي لأن الله نزل الكتاب بالحق فاختلّفوا فيه وقيل معناه ذلك أي فعلهم الذي يفعلون من الكفر والاختلاف والاجترار على الله من أجل أن الله نزل الكتاب بالحق وهو قوله تعالى ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون. ختم الله على قلوبهم﴾ (٧ - البقرة) ﴿وإن الذين اختلفوا في الكتاب﴾ فآمنوا ببعض وكفروا ببعض ﴿لفي شقاق بعيد﴾ أي في خلاف وضلال بعيد.

قوله تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ قرأ حمزة وحفص: ليس البر بنصب الراء، والباقون برفعها، فمن رفعها جعل ﴿البر﴾ اسم ليس، وخبره قوله: أن تولوا، تقديره: ليس البر توليتكم وجوهكم. ومن نصب جعل ﴿أن تولوا﴾ في موضع الرفع على اسم ليس تقديره: ليس توليتكم وجوهكم البر كله، كقوله تعالى «ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا» (٢٥ - الجاثية).

والبر كل عمل خير يفضي بصاحبه إلى الجنة واختلفوا في مخاطبين بهذه الآية، فقال قوم: عنى بها اليهود والنصارى، وذلك أن اليهود كانت تصلي قبل المغرب إلى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق، وزعم كل

فريق منهم: أن البر في ذلك، فأخبر الله تعالى أن البر غير دينهم وعملهم ولكنه ما بينه في هذه الآية وعلى هذا القول قتادة ومقاتل بن حيان. وقال الآخرون: المراد بها المؤمنون وذلك أن الرجل كان في ابتداء الإسلام قبل نزول الفرائض إذا أتى بالشهادتين وصلى الصلاة إلى أي جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة. ٢٤/أ

ولما هاجر رسول الله ﷺ ونزلت الفرائض وحددت الحدود وصرفت القبلة إلى الكعبة أنزل الله هذه الآية فقال: ﴿ليس البر﴾<sup>(١)</sup> أي كله أن تصلوا قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا على غير ذلك ﴿ولكن البر﴾ ما ذكر في هذه الآية وعلى هذا القول ابن عباس ومجاهد وعطاء والضحاك. ﴿ولكن البر﴾ قرأ نافع وابن عامر ولكن خفيفة النون البر رفع وقرأ الباقر بتشديد النون ونصب البر.

قوله تعالى: ﴿من آمن بالله﴾ جعل من وهي اسم خبر للبر وهو فعل ولا يقال البر زيد واختلفوا في وجهه قيل لما وقع من في موضع المصدر جعله خبراً للبر كأنه قال ولكن البر الإيمان بالله والعرب تجعل الاسم خبراً للفعل وأنشد الفراء:

لعمرك ما الفتیان أن تثبت اللحي ولكنما الفتیان كل فتى ندي

فجعل نبات اللحي خبراً للفتى وقيل فيه إضمار معناه ولكن البر بر من آمن بالله فاستغنى بذكر الأول عن الثاني كقولهم الجود حاتم أي الجود جود حاتم وقيل معناه ولكن ذا البر من آمن بالله كقوله تعالى: «هم درجات عند الله» (١٦٣ — آل عمران) أي ذو درجات وقيل معناه ولكن البار من آمن بالله كقوله تعالى «والعاقبة للمتقوى» (١٣٢ — طه) أي للمتقي والمراد من البر هاهنا الإيمان والتقوى.

﴿واليوم الآخر والملائكة﴾ كلهم ﴿والكتاب﴾ يعني الكتب المنزلة ﴿والنبيين﴾ أجمع ﴿وآتى المال﴾ أعطى المال ﴿على حبه﴾ اختلفوا في هذه الكناية فقال أكثر أهل التفسير: إنها راجعة إلى المال أي أعطى المال في حال صحته ومحبه المال قال ابن مسعود: أن تؤتيه وأنت صحيح صحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا موسى بن إسماعيل أخبرنا عبد الواحد ثنا عمارة بن القعقاع أنا أبو زرعة أخبرنا أبو هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان

(١) انظر: الطبري: ٣/٢٣٧ — ٣٣٨، الواحدي: ٢٥٠/١.

كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان»<sup>(١)</sup>.

وقيل هي عائدة على الله عز وجل أي على حب الله تعالى.

﴿ذوي القرى﴾ أهل القرابة.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أخبرنا أبو العباس المحبوبي أخبرنا أبو عيسى الترمذي أخبرنا قتيبة أخبرنا سفيان بن عيينة عن عاصم الأحول عن حفصة بنت سيرين عن الرباب عن عمها سلمان بن عامر يبلغ به النبي ﷺ قال: «الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ قال مجاهد: يعني المسافر المنتقطع عن أهله يمر عليك ويقال للمسافر ابن السبيل لملازمته الطريق، وقيل: هو الضيف ينزل بالرجل قال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»<sup>(٣)</sup> ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ يعني الطالبين.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبي بجيد الأنصاري وهو عبد الرحمن بن بجيد عن جدته وهي أم بجيد أن رسول الله ﷺ قال: «رُدُّوا السَّائِلَ وَلَوْ بِظُلْفٍ مُحَرَّقٍ» وفي رواية قالها رسول الله ﷺ: «إن لم تجدي شيئاً إلا ظلماً محرقاً فادفعيه إليه»<sup>(٤)</sup> قوله تعالى ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ يعني المكاتبين قاله أكثر المفسرين،

(١) رواه البخاري: في الزكاة — باب: فضل صدقة الصحيح الشحيح: ٢٨٤/٣ — ٥٨٥ وفي الوصايا.

ومسلم: في الزكاة — باب: بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح برقم (١٠٣٢) ٧١٦/٢.

والمصنف في شرح السنة: ١٧٢/٦ — ١٧٣.

(٢) رواه الترمذي: في الزكاة: باب ما جاء في الصدقة على القرابة: ٣٢٤/٣ وقال: حديث حسن.

والنسائي: في الزكاة: باب: الصدقة على الأثارب: ٩٢/٥.

وابن ماجه: في الزكاة: باب: فضل الصدقة: (١٨٤٤) ٥٩١/١.

والدارمي: في الزكاة: باب: الصدقة على القرابة: ٣٩٧/١.

وأحمد: ٤/ ٢١٤، ١٨ عن سلمان بن عامر.

وابن حبان: في موارد الظمان ص ١١٢.

والحاكم: ٤٠٧/١ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي (انظر مجمع الزوائد: ١١٧/٣).

والمصنف في شرح السنة: ١٩٢/٦.

(ووجهه ثقات إلا الرباب أم الرائح قال الحافظ في التقريب مقبولة وفي الميزان (الرباب بنت صليح عن عمها سلمان بن عامر لا

تعرف إلا برواية حفصة بنت سيرين عنها).

(٣) رواه البخاري: في الرقاق — باب: حفظ اللسان: ٣٠٨/١١ وفي النكاح والأدب.

مسلم: في الإيمان: باب الحث على إكرام الجار برقم (٤٧) ٦٨/١.

والمصنف في شرح السنة: ٢١٢/١٤.

(٤) رواه أبو داود: في الزكاة — باب: حق السائل: ٢٥١/٢.

والترمذي: في الزكاة — باب: ما جاء في حق السائل: ٣٣٢/٣ وقال حسن صحيح.

وقيل: عتق النسمة وفك الرقبة وقيل: فداء الأسارى ﴿وَأَقَامِ الصَّلَاةَ وَآتِ الزَّكَاةَ﴾ وأعطى الزكاة ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ فيما بينهم وبين الله عز وجل وفيما بينهم وبين الناس ﴿إِذَا عَاهَدُوا﴾ يعني إذا وعدوا أنجزوا، وإذا حلفوا ونذروا أوفوا، وإذا عاهدوا أوفوا، وإذا قالوا صدقوا، وإذا ائتمنوا أدوا، واختلفوا في رفع قوله والموفون قيل هو عطف على خبر معناه ولكن ذا البر المؤمنون والموفون بعهدهم وقيل تقديره: وهم الموفون كأنه عد أصنافاً ثم قال: هم والموفون كذا، وقيل رفع على الابتداء والخبر يعني وهم الموفون ثم قال ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ وفي نصيبها أربعة أوجه:

قال أبو عبيدة: نصيبها على تطاول الكلام ومن شأن العرب أن تغير الإعراب إذا طال الكلام والنسق ومثله في سورة النساء «والمقيمون الصلاة» (سورة المائدة — ١٦٢) (والصابئون والنصارى)، وقيل معناه أعني الصابرين، وقيل نصبه نسقاً على قوله ذوي القرى أي وآتي الصابرين.

وقال الخليل: نصب على المدح والعرب تنصب الكلام على المدح والذم [كأنهم يريدون إفراذ الممدوح والمذموم فلا يتبعونه أول الكلام وينصبونه فالمدح كقوله تعالى «والمقيمون الصلاة»] <sup>(١)</sup> (١٦٢ — النساء).

والذم كقوله تعالى «ملعونين أينما ثقفوا» (٦١ — الأحزاب).

قوله تعالى ﴿فِي الْبَأْسَاءِ﴾ أي الشدة والفقر ﴿وَالضَّرَاءِ﴾ المرض والزمانة ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ أي القتال والحرب.

أخبرنا المطهر بن علي بن عبد الله الفارسي أخبرنا أبو ذر محمد بن إبراهيم الصالحاني أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان أخبرنا عبد الله بن محمد البغوي أخبرنا علي بن الجعد أخبرنا زهير عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا إذا احمر البأس ولقي

= والنسائي في الزكاة باب تفسير المسكين ٨٦/٥.

وصححه الحاكم ٤١٧/١ ووافقه الذهبي.

وابن حبان ٣٨٣/٦ بلفظ ردوا السائل ولو بظلف.

وأحمد: ٣٨٢/٦ بسند قوي.

والمصنف في شرح السنة ١٧٥/٦.

(١) ساقط من «أ».



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبْيَعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ مِّنْ أَعْدَتِكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابُ الْيَمِّ ۝١٧٨

القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه<sup>(١)</sup>. يعني إذا اشتد الحرب ﴿أولئك الذين صدقوا﴾ في إيمانهم ﴿وأولئك هم المثقون﴾.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ قال الشعبي والكلبي وقتادة: نزلت هذه الآية في حين من أحياء العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل وكانت بينهما قتلى وجراحات لم يأخذها بعضهم من بعض حتى جاء الإسلام، قال مقاتل بن حيان: كانت بين بني قريظة والنضير، وقال سعيد بن جبير: كانت بين الأوس والخزرج، وقالوا جميعاً كان لأحد الحيين على الآخر طول في الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهر فأقسموا: لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمراة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم، وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات أولئك فرفعوا أمرهم إلى النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمر بالمساواة فرضوا وأسلموا<sup>(٢)</sup>.

قوله ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ أي فرض عليكم القصاص ﴿في القتل﴾ والقصاص المساواة والمماثلة في الجراحات والديات، وأصله من قص الأثر إذا اتبعه فالمفعول به يتبع ما فعل به فيفعل مثله. ثم بين المماثلة فقال: ﴿الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى﴾ وجملة الحكم فيه أنه إذا تكافأ الدمان في الأحرار المسلمين أو العبيد من المسلمين أو الأحرار من المعاهدين أو العبيد منهم قتل من كل صنف منهم الذكر إذا قتل بالذكر والأنثى، وتقتل الأنثى إذا قتلت بالأنثى والذكر، ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد، ولا والد بولد، ولا مسلم بذمي، ويقتل الذمي بالمسلم، والعبد بالحر، والولد بالوالد. هذا قول أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان أنا الشافعي أخبرنا سفيان بن عيينة عن مطرف عن الشعبي عن أبي جحيفة قال: «سألت علياً رضي الله عنه هل عندك عن النبي ﷺ شيء سوى القرآن؟ / فقال لا: ٢٤/ب

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير باب: في غزوة حنين عن البراء ١٧٧٦/٣.

والحاكم في المستدرک: ١٤٣/٢ بلفظ: كنا إذا حمي.

(٢) انظر: الطبري: ٣٥٩/٣، الوسيط للواحد: ٢٥٤/١.

والذي خلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن وما في هذه الصحيفة، قلت وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مؤمن بكافر»<sup>(١)</sup>.

وروي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقام الحدود في المساجد، ولا يقاد بالولد الوالد»<sup>(٢)</sup>. وذهب الشعبي والنخعي وأصحاب الرأي إلى أن المسلم يقتل بالذمي، وإلى أن الحر يقتل بالعبد، والحديث حجة لمن لم يوجب القصاص على المسلم بقتل الذمي، وتقتل الجماعة بالواحد. «روي عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قتل سبعة أو خمسة برجل قتلوه غيلة، وقال لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم به جميعاً»<sup>(٣)</sup> ويجري القصاص في الأطراف كما يجري في النفوس إلا في شيء واحد وهو أن الصحيح السوي يقتل بالمريض الزمن، وفي الأطراف لو قطع يداً شلاء أو ناقصة بأصبع لا تقطع بها الصحيحة الكاملة، وذهب أصحاب الرأي إلى أن القصاص في الأطراف لا يجري إلا بين حرين أو حرتين ولا يجري بين الذكر والأنثى ولا بين العبيد ولا بين الحر والعبد، وعند الآخرين الطرف في القصاص مقيس على النفس<sup>(٤)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن منير أنه سمع عبد الله بن بكر السهمي أخبرنا حميد عن أنس ابن النضر أن الرُّبْعَ عَمَتَهُ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ، فَطَلَبُوا إِلَيْهَا الْعَفْوَ، فَأَبَوْا فَعَرَضُوا الْأَرْضَ<sup>(٥)</sup> فَأَبَوْا فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَبَوْا إِلَّا الْقَصَاصَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْقَصَاصِ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَكْسِرُ ثَنِيَّةَ الرُّبْعِ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا تَكْسِرُ ثَنِيَّتَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَنَسُ كَتَابَ اللَّهِ الْقَصَاصُ» فَرَضِيَ الْقَوْمُ فَعَفَوْا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ»<sup>(٦)</sup>.

(١) البخاري: في الديات — باب: لا يقتل مسلم بالكافر: ٢٦٠/١٢.

والمصنف في شرح السنة: ١٧١/١٠.

(٢) أخرجه أبو داود: في الحدود — باب: في إقامة الحد في المسجد: ٢٩٢/٦ عن حكيم بن حزام بلفظ: (نهى رسول الله ﷺ أن يستقاد في المسجد، وأن تنشده فيه الأشعار وأن تقام فيه الحدود) قال المنذري: في إسناده محمد بن عبد الله بن المهاجر الشعبي النصري الدمشقي: وثقه غير واحد وقال أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه ولا يحتج به.

الترمذي: في الديات — باب: ما جاء في الرجل يقتل ابنه يقاد منه أم لا ٦٥٦/٤ وقال: هذا حديث لا نعرفه بهذا الإسناد مرفوعاً إلا من حديث إسماعيل بن مسلم المكي وإسماعيل تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه.

وابن ماجه في الديات: ٨٨٨/٢، والدارمي في الديات: ١٩٠/٢، وصححه الحاكم: ٣٦٩/٤، والبيهقي في السنن: ٣٩/٨.

(٣) رواه البخاري: في الديات — باب: إذا أصاب قوم من رجل ٢٢٦/١٢ — ٢٢٧.

والمصنف في شرح السنة: ١٨٢/١٠ — ١٨٣.

(٤) انظر: احكام القرآن للجصاص ١٧١/١ وما بعدها.

(٥) الأرض: دية الجراحة.

(٦) رواه البخاري في الصلح — باب الصلح في الدية ٣٠٦/٥.

والمصنف في شرح السنة ١٦٦/١٠.

## وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾

قوله تعالى ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ أي ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضي بالدية هذا قول أكثر المفسرين، قالوا: العفو أن تقبل الدية في قتل العمد وقوله (من أخيه) أي من دم أخيه وأراد بالأخ المقتول والكنيتان في قوله ﴿لَهُ﴾ و ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ ترجعان إلى من وهو القاتل، وقوله شيء دليل على أن بعض الأولياء إذا عفا يسقط القود لأن شيئاً من الدم قد بطل.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَاعَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي على الطالب للدية أن يتبع بالمعروف فلا يطالب بأكثر من حقه.

﴿وَأَدَاءَ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ أي على المطلوب منه أداء الدية بالإحسان من غير ممانعة، أمر كل واحد منهما بالإحسان فيما له وعليه ومذهب أكثر العلماء من الصحابة والتابعين أن ولي الدم إذا عفا عن القصاص على الدية فله أخذ الدية وإن لم يرض به القاتل، وقال قوم: لا دية له إلا برضاء القاتل، وهو قول الحسن والنخعي وأصحاب الرأي، وحجة المذهب الأول ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا محمد ابن إسماعيل بن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي شريح الكعبي أن رسول الله ﷺ قال: «ثم أنتم يا خزاعة قد قتلتم هذا القتل من هذيل وأنا والله عاقله فمن قتل بعده قتيلاً فأهله بين خيرتين إن أحبوا قتلوا وإن أحبوا أخذوا العقل»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ أي ذلك الذي ذكرت من العفو عن القصاص وأخذ الدية تخفيف من ربكم ورحمة، وذلك أن القصاص في النفس والجراح كان حتماً في التوراة على اليهود ولم يكن لهم أخذ الدية، وكان في شرع النصارى الدية ولم يكن لهم القصاص، فخير الله تعالى هذه الأمة بين القصاص وبين العفو على الدية تخفيفاً منه ورحمة.

﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ فقتل الجاني بعد العفو وقبول الدية ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهو أن يقتل قصاصاً، قال ابن جريج: يتحتم قتله حتى لا يقبل العفو، وفي الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافراً بالقتل، لأن الله تعالى خاطبه بعد القتل بخطاب الإيمان فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ وقال في آخر الآية ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ وأراد به أخوة الإيمان، فلم يقطع الأخوة بينهما بالقتل.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أي بقاء، وذلك أن القاصد للقتل إذا علم أنه إذا قتل

(١) رواه البخاري: مطولاً عن أبي هريرة في الديات - باب من قتل له قتيلاً فهو بخير النظرين ١٢/٢٠٥، والشافعي في المسند: ٩٩/٢.

## كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨﴾

يقتل يتمتع عن القتل، فيكون فيه بقاءه وبقاء من هم بقتله، وقيل في المثل: «القتل قتل القتل» وقيل في المثل: «القتل أنفى للقتل»، وقيل معنى الحياة سلامته من قصاص الآخرة، فإنه إذا اقتص منه حيي في الآخرة وإذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الآخرة ﴿يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾ أي تنهون عن القتل مخافة القود.

قوله تعالى: ﴿كتب عليكم﴾ أي فرض عليكم ﴿إذا حضر أحدكم الموت﴾ أي جاءه أسباب الموت وآثاره من العلل والأمراض ﴿إن ترك خيراً﴾ أي مالا نظيره قوله تعالى «وما تنفقوا من خير» (٢٧٢) — البقرة ﴿الوصية للوالدين والأقربين﴾ كانت الوصية فريضة في ابتداء الإسلام للوالدين والأقربين على من مات وله مال ثم نسخت بآية الميراث<sup>(١)</sup>.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزياتي أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر أخبرنا محمد بن أحمد بن الوليد أخبرنا الهيثم بن جميل أخبرنا حماد بن سلمة عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن عمرو بن خارجة قال: كنت آخذاً بزمام ناقة النبي ﷺ فقال: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه ولا وصية لوارث»<sup>(٢)</sup> فذهب جماعة إلى أن وجوبها صار منسوخاً في حق الأقارب الذين يرثون وبقي وجوبها في حق الذين لا يرثون من الوالدين والأقارب، وهو قول ابن عباس وطاووس وقتادة والحسن قال طاووس: من أوصى لقوم سماهم وترك ذوي قرابته محتاجين انتزعت منهم وردت إلى ذوي قرابته، وذهب الأكثرون إلى أن الوجوب صار منسوخاً في حق الكافة وهي حتمية في حق الذين لا يرثون.

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم بن سلامة ص (١٦)، أحكام القرآن للخصاص: ٢٠٣/١ — ٢٠٧.

(٢) حديث صحيح رواه أبو داود: في الوصايا: باب — في الوصية للوارث: ١٥٠/٤.

والترمذي: في الوصايا — باب: ما جاء لا وصية لوارث: ٣٠٩/٦. وقال حديث حسن صحيح.

والنسائي: في الوصايا: ٢٤٧/٦.

وابن ماجه: في الوصايا: ٢٧١٢ و ٢٧١٤ — ٩٠٥/٢ — ٩٠٦.

وأحمد: ١٨٦/٤ — ٢٦٧/٥ عن عمرو بن خارجة. وجزء من حديث عن أبي أمامة الباهلي.

والمصنف في شرح السنة: ٢٨٨/٥ — ٢٨٩.

وفي الباب عن ابن عباس، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص وعن جابر، وعن زيد بن أرقم وعن علي، وعن خارجة بن عمرو الجمحي وعن البراء.

انظر نصب الراية ٤/ ٤٠٣، ٤٠٥.

فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا طاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ يريد يوصي بالمعروف ولا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويدع الفقير، قال ابن مسعود: الوصية للأخْلَ فالأخْلَ أي الأخوج فالأخوج.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أخبرنا أبو جعفر محمد ابن علي بن رحيم الشيباني أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة<sup>(٢)</sup> أخبرنا عبيد الله بن موسى وأبو نعيم عن سفيان الثوري عن سعيد بن إبراهيم عن عامر بن سعيد عن سعد بن مالك قال جاءني النبي ﷺ يعودني فقلت يا رسول الله ﷺ أوصي بمالي كله؟ قال لا قلت: فالشطر؟ قال لا، قلت: فالثلث؟ قال: «الثلث والثلث كثير إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس بأيديهم»<sup>(٣)</sup> ٢٥/أ

وعن ابن أبي مليكة أن رجلاً قال لعائشة رضي الله عنها: إني أريد أن أوصي، قالت كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف. قالت كم عيالك؟ قال: أربعة، قالت: إنما قال الله ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ وإن هذا شيء يسير فاترك لعيالك<sup>(٤)</sup>.

وقال علي رضي الله عنه: لأن أوصي بالخمس أحب إلي من أن أوصي بالربع ولأن أوصي بالربع أحب إلي من أن أوصي بالثلث فمن أوصى بالثلث فلم يترك. وقال الحسن البصري رضي الله عنه يوصي بالسدس أو الخمس أو الربع، وقال الشعبي إنما كانوا يوصون بالخمس أو الربع.

قوله تعالى: ﴿حَقًّا﴾ نصب على المصدر وقيل على المفعول أي جعل الوصية حقاً ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾

(١) رواه البخاري: في الوصايا — باب: الوصايا وقول النبي ﷺ وصية الرجل مكتوبة عنده ٣٥٥/٥.

ومسلم: في الوصية: برقم (١٦٢٧) ١٢٤٩/٣.

والمصنف في شرح السنة: ٢٧٧/٥.

(٢) في أ: ابن أبي عوزة والتصحيح من شرح السنة.

(٣) رواه البخاري: في الوصايا — باب أن يترك ورثته أغنياء خير... ٣٦٣/٥.

ومسلم: في الوصية — باب الوصية بالثلث برقم (١٦٢٨) ١٢٥٠/٣.

والمصنف في شرح السنة: ٢٨٢/٥ — ٢٨٣.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي (الدر المنثور للسيوطي ٤٢٣/١).

فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾

المؤمنين قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ أي غير الوصية في الأوصياء أو الأولياء أو الشهود ﴿بعد ما سمعته﴾ أي بعد ما سمع قول الموصي، ولذلك ذكر الكناية مع كون الوصية مؤنثة، وقيل الكناية راجعة إلى الإيصاء كقوله تعالى: «فمن جاءه موعظة من ربه» (٢٧٥ - البقرة) رد الكناية إلى الوعظ ﴿فإنما إثمهم على الذين يبدلون﴾ والميت بريء منه ﴿إن الله سميع﴾ لما أوصى به الموصي ﴿عليم﴾ بتبديل المبدل، أو سمع لوصيته علم بنيته.

قوله تعالى ﴿فمن خاف﴾ أي علم، كقوله تعالى: «فإن خفتم ألا يقيما حدود الله» (٢٢٩ - البقرة) أي علمتم ﴿من موصٍ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب بفتح الواو وتشديد الصاد، كقوله تعالى: «ما وصى به نوحاً» (١٣ - الشورى) «ووصينا الإنسان» (٨ - العنكبوت) وقرأ الآخرون بسكون الواو وتخفيف الصاد، كقوله تعالى: «يوصيكم الله في أولادكم» (١١ - النساء) «من بعد وصية يوصي بها أو دين» (١٢ - النساء) ﴿جنفاً﴾ أي جوراً وعدولاً عن الحق، والجنف: الميل ﴿أو إثماً﴾ أي ظلماً، قال السدي وعكرمة والربيع: الجنف الخطأ والإثم العمد ﴿فأصلح بينهم فلا إثم عليه﴾ واختلفوا في معنى الآية، قال مجاهد: معناها أن الرجل إذا حضر مريضاً وهو يوصي فراه يميل إما بتقصير أو إسراف، أو وضع الوصية في غير موضعها فلا حرج على من حضره أن يأمره بالعدل وينهاه عن الجنف فينظر للموصي وللورثة، وقال آخرون: إنه أراد به أنه إذا أخطأ الميت في وصيته أو جار متعمداً فلا حرج على وليه أو وصيه أو والي أمور المسلمين أن يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصي لهم، ويرد الوصية إلى العدل والحق، فلا إثم عليه أي: فلا حرج عليه ﴿إن الله غفور رحيم﴾ وقال طاووس: جنفة توليعة، وهو أن يوصي لبيني بنيه يريد ابنه ولولد ابنته ولزوج ابنته يريد بذلك ابنته.

قال الكلبي: كان الأولياء والأوصياء يمضون وصية الميت بعد نزول قوله تعالى: «فمن بدله بعد ما سمعه» الآية وإن استغرق المال كله ولم يبق للورثة شيء، ثم نسخها قوله تعالى: «فمن خاف من موصٍ جنفاً» الآية، قال ابن زيد: فعجز الموصي أن يوصي للوالدين والاقربين كما أمر الله تعالى، وعجز الموصي أن يصلح فانتزع الله تعالى ذلك منهم ففرض الفرائض.

روي عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة، ثم

أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ  
وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ. وَأَن  
تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

يحضرها الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار» ثم قرأ أبو هريرة: (من بعد وصية يوصي بها أو دين) إلى قوله (غير مضار) (١).

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ أي فرض وأوجب، والصوم والصيام في اللغة الإمساك يقال: صام النهار إذا اعتدل وقام قائم الظهيرة، لأن الشمس إذا بلغت كبد السماء وقفت وأمسكت عن السير سوية ومنه قوله تعالى: «فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا» (٢٦ — مريم) أي صمتاً لأنه إمساك عن الكلام، وفي الشريعة الصوم هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع مع النية في وقت مخصوص ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من الأنبياء والأئم، واختلفوا في هذا التشبيه (٢) فقال سعيد ابن جبير: كان صوم من قبلنا من العتمة إلى الليلة القابلة كما كان في ابتداء الإسلام.

وقال جماعة من أهل العلم: أراد أن صيام رمضان كان واجباً على النصارى كما فرض علينا، فرمى كان يقع في الحر الشديد والبرد الشديد، وكان يشق عليهم في أسفارهم ويضرهم في معاشهم، فاجتمع رأي علمائهم ورؤسائهم على أن يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف، فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصار أربعين، ثم إن ملكهم اشتكى فمه فجعل الله عليه إن هو برىء من وجعه أن يزيد في صومهم. أسبوعاً فبرىء فزاد فيه أسبوعاً ثم مات ذلك الملك ووليهم ملك آخر فقال: أتموه خمسين يوماً، وقال مجاهد: أصابهم موتان، فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا عشراً قبل وعشراً بعد، قال الشعبي: لو صمت السنة كلها لأفطرت اليوم الذي يشك فيه، فيقال من شعبان ويقال من رمضان، وذلك أن النصارى فرض عليهم شهر رمضان فصاموا قبل الثلاثين يوماً وبعدها يوماً، ثم لم يزل القرن الآخر يستن بسنة القرن الذي قبله حتى صاروا إلى خمسين يوماً، فذلك قوله تعالى:

(١) أخرجه أبو داود في الوصايا، باب: الحيف في الوصية: ٩٠٢/٢.

والترمذي: في الوصايا — باب ما جاء في الوصية بالثلث: ٣٠٤/٦ وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه قال المنذري بعد نقل تحسين الترمذي: وشهر بن حوشب قد تكلم فيه غير واحد من الأئمة ووثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين. والمصنف في شرح السنة: ٢٨٦/٥.

وأخرجه ابن ماجه في الوصايا، باب: الحيف في الوصية: ٩٠٢/٢.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٦٣/١٤ بتحقيق الشيخ أحمد شاكر وقال: إسناده صحيح، ورواية ابن ماجه كرواية المسند.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤١٠/٣ وما بعدها.

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ  
مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا  
أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرٍ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ  
الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ  
تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

﴿ كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ يعني بالصوم لأن الصوم وصلة إلى التقوى لما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات، وقيل: لعلكم تحذرون عن الشهوات من الأكل والشرب والجماع ﴿أياماً معدودات﴾ قيل: كان في ابتداء الإسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر واجباً، وصوم يوم عاشوراء فصاموا كذلك من الربيع إلى شهر رمضان سبعة عشر شهراً، ثم نسخ بصوم رمضان قال ابن عباس: أول ما نسخ بعد الهجرة أمر القبلة والصوم، ويقال: نزل صوم شهر رمضان قبل بدر بشهر وأيام، قال محمد ابن إسحاق كانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشر ليلة خلت من شهر رمضان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة.

حدثنا أبو الحسن الشيرازي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: «كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة صامه وأمر الناس بصيامه، فلما فرض رمضان كان هو الفريضة وترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه»<sup>(١)</sup>.

وقيل المراد من قوله ﴿أياماً معدودات﴾ شهر رمضان وهي غير منسوخة ونصب أياماً على الظرف، أي في أيام معدودات، وقيل: على التفسير، وقيل: على هو خير ما لم يسم فاعله ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة﴾ أي فأفطر فعدة ﴿من أيام آخر﴾ أي فعليه عدة، والعدد والعدة واحد ﴿من أيام آخر﴾ أي غير أيام مرضه وسفره، وآخر في موضع خفض لكنها لا تنصرف فلذلك نصبت.

قوله تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ اختلف العلماء في تأويل هذه الآية وحكمها فذهب أكثرهم إلى أن الآية منسوخة، وهو قول ابن عمر وسلمة بن الأكوع وغيرهما، وذلك أنهم كانوا في ابتداء الإسلام

(١) أخرجه البخاري في الصيام — باب: صوم يوم عاشوراء ١٠٢/٤. وفي الحج. وفي فضائل الصحابة، وفي التفسير.

ومسلم: في الصيام — باب صوم يوم عاشوراء برقم (١١٢٥) ٧٩٢/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٢١٢/٦.



مخيرين بين أن يصوموا وبين أن يفطروا ويفدوا، خيرهم الله تعالى لثلاث يشق عليهم لأنهم كانوا لم يتعودوا الصوم، ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ وقال قتادة: هي خاصة في حق الشيخ / الكبير الذي يطيق الصوم، ولكن يشق عليه رخص له في أن يفطر ٢٥/ب ويفدي ثم نُسخ. وقال الحسن: هذا في المريض الذي به ما يقع عليه اسم المرض وهو مستطيع للصوم خير بين أن يصوم وبين أن يفطر ويفدي، ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾. وثبتت الرخصة للذين لا يطيقون، وذهب جماعة إلى أن الآية محكمة غير منسوخة، ومعناه: وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب فعجزوا عنه بعد الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم، وقرأ ابن عباس: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوِّقُونَهُ﴾ بضم الياء وفتح الطاء وتخفيفها وفتح الواو وتشديدها، أي يكلفون الصوم وتأويله على الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان الصوم، والمريض الذي لا يرجى زوال مرضه فهم يكلفون الصوم ولا يطيقونه، فلهم أن يفطروا ويطعموا مكان كل يوم مسكيناً وهو قول سعيد بن جبير، وجعل الآية محكمة.

قوله تعالى: ﴿فَدِيَّةُ طَعَامِ مَسْكِينٍ﴾ قرأ أهل المدينة والشام مضافاً، وكذلك في المائدة: «كفارة طعام» أضاف الفدية إلى الطعام، وإن كان واحداً لاختلاف اللفظين، كقوله تعالى «وحب الحصيد» (٩) — (ق) وقولهم مسجد الجامع وبيع الأول، وقرأ الآخرون: فدية وكفارة منونة، طعام رفع وقرأ مساكين بالجمع هنا أهل المدينة والشام، والآخرون على التوحيد، فمن جمع نصب النون ومن وحّد خفض النون ونونها، والفدية: الجزاء، ويجب أن يطعم مكان كل يوم مسكيناً مَدّاً من الطعام بمدّ النبي ﷺ، وهو رطل وثلاث من غالب قوت البلد، هذا قول فقهاء الحجاز، وقال بعض فقهاء أهل العراق: عليه لكل مسكين نصف صاع لكل يوم يفطر، وقال بعضهم: نصف صاع من القمح أو صاع من غيره، وقال بعض الفقهاء ما كان المفطر يتقوته يومه الذي أفطره، وقال ابن عباس: يعطي كل مسكين عشاءه وسحوره.

﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ أي زاد على مسكين واحد فأطعم مكان كل يوم مسكينين فأكثر، قاله مجاهد وعطاء وطاووس، وقيل: من زاد على القدر الواجب عليه فأعطى صاعاً وعليه مدّ فهو خير له.

﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ فمن ذهب إلى النسخ قال معناه الصوم خير له من الفدية، وقيل: هذا في الشيخ الكبير لو تكلف الصوم وإن شق عليه خير له من أن يفطر ويفدي ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ واعلم أنه لا رخصة لمؤمن مكلف في إفطار رمضان إلا لثلاثة: أحدهم يجب عليه القضاء والكفارة، والثاني عليه القضاء دون الكفارة، والثالث عليه الكفارة دون القضاء<sup>(١)</sup> أما الذي عليه القضاء والكفارة فالحامل

(١) استعمل الكفارة هنا بمعنى الفدية كما جاء في السياق، وإلا فإن الكفارة تجب على من أفسد صومه في رمضان بجماع أثم به بسبب الصوم.

والمرضع إذا خافتا على ولديهما فإنهما تفتطران وتقضيان وعليهما مع القضاء الفدية، وهذا قول ابن عمر وابن عباس، وبه قال مجاهد وإليه ذهب الشافعي رحمه الله، وقال قوم لا فدية عليهما، وبه قال الحسن وعطاء وإبراهيم النخعي والزهري وإليه ذهب الأوزاعي والثوري وأصحاب الرأي، وأما الذي عليه القضاء دون الكفارة للمريض والمسافر والحائض والنفساء.

وأما الذي عليه الكفارة دون القضاء فالشيخ الكبير والمريض الذي لا يرجى زوال مرضه<sup>(١)</sup> ثم بين الله تعالى أيام الصيام فقال: ﴿شهر رمضان﴾ رفعه على معنى هو شهر رمضان، وقال الكسائي: كتب عليكم شهر رمضان وسمي الشهر شهراً لشهرته، وأما رمضان فقد قال مجاهد: هو اسم من أسماء الله تعالى، يقال شهر رمضان كما يقال شهر الله، والصحيح أنه اسم للشهر سمي به من الرمضاء وهي الحجارة المحماة وهم كانوا يصومونه في الحر الشديد فكانت ترمض فيه الحجارة في الحرارة.

قوله تعالى: ﴿الذي أنزل فيه القرآن﴾ سمي القرآن قرآناً لأنه يجمع السور والآي والحروف وجمع فيه القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد.

وأصل القرء الجمع وقد يحذف الهمز منه فيقال، قرئت الماء في الحوض إذا جمعته، وقرأ ابن كثير: القرآن بفتح الراء غير مهموز، وكذلك كان يقرأ الشافعي ويقول ليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والإنجيل، وروي عن مقسم عن ابن عباس: أنه سئل عن قوله عز وجل ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ وقوله: «إنا أنزلناه في ليلة القدر» (١ — القدر)، وقوله: «إنا أنزلناه في ليلة مباركة» (٣ — الدخان) وقد نزل في سائر الشهور، وقال عز وجل: «وقرآناً فرقناه» (١٠٦ — الإسراء) فقال أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ نجوماً في ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله تعالى «فلا أقسم بمواقع النجوم» (٧٥ — الواقعة) قال داود بن أبي هند: قلت للشعبي: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ أما كان ينزل في سائر الشهور؟ قال: بلى، ولكن جبرائيل كان يعارض محمداً ﷺ في رمضان ما نزل إليه فيحكم الله ما يشاء ويثبت ما يشاء، وينسيه ما يشاء.

وروي عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في ثلاث ليال مضين من رمضان، ويروى في أول ليلة من رمضان، وأنزلت توراة موسى عليه السلام في ست ليال مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل على عيسى عليه السلام في ثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان، وأنزل زبور داود في ثمان عشرة مضت من رمضان وأنزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة والعشرين من

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٢/٢٨٨ — ٢٨٩، أحكام القرآن للجصاص: ١/٢١٨ — ٢٢٨.

شهر رمضان لست بقين بعدها<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿هَدَى لِلنَّاسِ﴾ من الضلالة، وهدى في محل نصب على القطع لأن القرآن معرفة وهدى نكرة ﴿وَيُنَاتٍ مِنَ الْهَدَى﴾ أي دلالات ووضحات من الحلال والحرام والحدود والأحكام ﴿وَالْفَرْقَانِ﴾ أي الفارق بين الحق والباطل.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ أي فمن كان مقيماً في الحضر فأدركه الشهر واختلف أهل العلم فيمن أدركه الشهر وهو مقيم ثم سافر، روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: لا يجوز له الفطر، وبه قال عبيدة السلماني لقوله تعالى ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ أي الشهر كله وذهب أكثر الصحابة والفقهاء إلى أنه إذا أنشأ السفر في شهر رمضان جاز له أن يفطر، ومعنى الآية: فمن شهد منكم الشهر كله فليصمه أي الشهر كله، ومن لم يشهد منكم الشهر كله فليصم ما شهد منه والدليل عليه ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر وأفطر الناس معه، فكانوا يأخذون بالأحدث فلاحدث من أمر رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أباح الفطر لعذر المرض والسفر وأعاد هذا الكلام ليعلم أن هذا الحكم ثابت في الناسخ بثبوته في المنسوخ، واختلفوا في المرض الذي يبيح الفطر، فذهب أهل الظاهر إلى أن ما يطلق عليه اسم المرض يبيح الفطر وهو قول ابن سيرين. قال طريف بن تمام العطاردي دخلت على محمد بن سيرين. في رمضان، وهو يأكل فقال: إنه وجعت أصبعي هذه، وقال الحسن وإبراهيم النخعي هو المرض الذي تجوز معه الصلاة قاعداً. / وذهب الأكثرون إلى أنه مرض يخاف معه من الصوم زيادة علة غير محتملة، وفي الجملة أنه إذا أجهد الصوم أفطر وإن لم يجهد فهو كالصحيح. وأما السفر، فالفطر فيه مباح والصوم جائز عند عامة أهل العلم إلا ما روي عن ابن عباس وأبي هريرة وعروة بن الزبير وعلي بن الحسين أنهم قالوا لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه القضاء، واحتجوا بقول النبي ﷺ: «ليس من البر الصوم في السفر»<sup>(٣)</sup> وذلك عند الآخرين في حق من

(١) رواه أحمد: ١٠٧/٤ عن وثالة بن الأسقع. انظر مسند الشاميين من مسند الإمام أحمد تحقيق على محمد جاز ٢٠١/١ وفيه عمران بن داود — بفتح، الواو وبعتها راء — أبو العوام، القطان البصري صدوق بهم، وروى برأي الخوارج من السابعة (التقريب). ورواه الطبراني والبيهقي في الشعب (انظر فيض القدير: ٥٧/٣)، وذكره ابن حجر في المطالب العالية: ٢٨٦/٣ من رواية أبي يعلى عن جابر، وقال: هذا مقلوب، وإنما هو عن وثالة، فيحزر.

(٢) رواه البخاري: في الصوم — باب إذا صام أياماً من رمضان ثم سافر ١٨٠/٤ وفي الجهاد والمغازي. ومسلم: في الصيام — باب: جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر برقم (١١١٣) ٧٨٤/٢. والمصنف في شرح السنة: ٣١٠/٦.

(٣) سيأتي ص ٢٠٠

يجهده الصوم فالأولى له أن يفطر، والدليل عليه ما أخبرنا به عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا آدم أخبرنا شعبة أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الأنصاري قال سمعت محمد بن عمرو بن الحسن بن علي عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ في سفر فرأى زحاماً ورجلاً قد ظلل عليه فقال ما هذا؟ قالوا هذا صائم، فقال «ليس من البر الصوم في السفر»<sup>(١)</sup>.

والدليل على جواز الصوم ما حدثنا الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أخبرنا أبو نعيم الاسفرائيني أخبرنا أبو عوانه أخبرنا أبو أمية أخبرنا عبد الله القواريري أخبرنا حماد بن زيد أخبرنا الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: «كنا نسافر مع رسول الله ﷺ في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يعيب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم»<sup>(٢)</sup>.

واختلفوا في أفضل الأمرين، فقالت طائفة: الفطر في السفر أفضل من الصوم، روي ذلك عن ابن عمر وإليه ذهب سعيد بن المسيب والشعبي، وذهب قوم إلى أن الصوم أفضل وروي ذلك عن معاذ بن جبل وأنس وبه قال إبراهيم النخعي وسعيد بن جبيرة، وقالت طائفة: أفضل الأمرين أيسرها عليه لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ وهو قول مجاهد وقتادة وعمر بن عبد العزيز، ومن أصبح مقيماً صائماً ثم سافر في أثناء النهار لا يجوز له أن يفطر ذلك اليوم عند أكثر أهل العلم، وقالت طائفة: له أن يفطر، وهو قول الشعبي وبه قال أحمد، أما المسافر إذا أصبح صائماً فيجوز له أن يفطر بالاتفاق، والدليل عليه ما أخبر عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد العزيز بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة عام الفتح في رمضان، فصام حتى بلغ كراع القيم، فصام الناس معه، فقليل له يا رسول الله إن الناس قد شق عليهم الصيام فدعا بقدر من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون فأفطر بعض الناس وصام بعضهم فبلغه أن ناساً صاموا، فقال «أولئك العصاة»<sup>(٣)</sup>.

واختلفوا في السفر الذي يبيح الفطر، فقال قوم: مسيرة يوم، وذهب جماعة إلى مسيرة يومين، وهو قول الشافعي رحمه الله، وذهب جماعة إلى مسيرة ثلاثة أيام، وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي.

(١) رواه البخاري: في الصوم — باب قول النبي ﷺ لمن ظلل عليه واشتد الحر ١٨٣/٤.

ومسلم: في الصيام — باب جواز الصوم والفطر في رمضان للمسافر برقم (١١١٥) ٧٨٦/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٣٠٨/٦.

(٢) رواه البخاري: في الصوم — باب لم يعب أصحاب النبي ﷺ بعضهم بعضاً ١٨٦/٤.

ومسلم: في الصيام — باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر برقم (١١١٦، ١١١٨) ٧٨٦/٢ — ٧٨٧.

والمصنف في شرح السنة: ٣٠٦/٦ — ٣٠٧.

(٣) رواه مسلم: في الصيام — باب جواز الصيام والفطر في شهر رمضان للمسافر برقم (١١١٤) ٧٨٥/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٣١١/٦، والشافعي في المسند: ٢٦٨/١ — ٢٦٩.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ بإباحة الفطر في المرض والسفر ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ قرأ أبو جعفر: العسر واليسر ونحوهما بضم السين، وقرأ الآخرون بالسكون. وقال الشعبي: ما خيّر رجل بين أمرين فاختر أيسرهما إلا كان ذلك أحبهما إلى الله عز وجل ﴿وَلِتَكْمَلُوا الْعِدَّةَ﴾ قرأ أبو بكر بتشديد الميم وقرأ الآخرون بالتخفيف، وهو الاختيار لقوله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم» (٣ - المائدة) والواو في قوله تعالى: ولتكمّلوا العدة واو النسق، واللام لام كي، تقديره: ويريد لكي تكملوا العدة، أي لتكمّلوا عدة أيام الشهر بقضاء ما أفطرت في مرضكم وسفركم، وقال عطاء: ﴿وَلِتَكْمَلُوا الْعِدَّةَ﴾ أي عدد أيام الشهر.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقدّموا الشهر بصوم يوم ولا يومين إلا أن يوافق ذلك صوماً كان يصومه أحدكم، صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين ثم أفطروا»<sup>(٢)</sup>.  
﴿وَلِتَكْبِرُوا لِلَّهِ﴾ ولتعظموا الله ﴿عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ أرشدكم إلى ما رضي به من صوم شهر رمضان وخصكم به دون سائر أهل الملل.

قال ابن عباس: هو تكبيرات ليلة الفطر. وروي عن الشافعي وعن ابن المسيب وعروة وأبي سلمة أنهم كانوا يكبرون ليلة الفطر يجهرون بالتكبير، وشبه ليلة النحر بها إلا من كان حاجاً فذكره التلبية.  
﴿وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على نعمه، وقد وردت أخبار في فضل شهر رمضان وثواب الصائمين.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان أخبرنا أبو أحمد بن قريش بن سليمان أخبرنا علي بن عبد العزيز المكي أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام حدثني إسماعيل بن جعفر عن أبي سهل نافع بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا

(١) رواه البخاري: في الصوم — باب قول النبي ﷺ إذا رأيتم الهلال فصوموا... ١١٩/٤. وفي الطلاق.

ومسلم: في الصيام — باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال برقم (١٠٨٠) ٧٥٩/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٢٢٨/٦، والشافعي في المسند: ٢٧٢/١.

(٢) المصنف في شرح السنة: ٢٣٧/٦ وهو ملفق من حديثين عند البخاري ومسلم (انظر: البخاري في الصوم) ١١٩/٤، ١٢٧، ١٢٨.

ومسلم: في الصيام: برقم (١٠٨٢، ١٠٨٨) — ٧٦٥، ٧٦٢/٢.

دخل رمضان صفدت الشياطين، وفتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن الجراح أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي أخبرنا أبو كريب محمد بن العلاء أخبرنا أبو بكر محمد بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة في شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن أبي نصر بن أحمد الكوفاني الهروي بها أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر ابن محمد التجيبي المصري بها المعروف بابن النحاس<sup>(٣)</sup> قيل له أخبركم أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد العنزي البصري بمكة المعروف بابن الأعرابي؟ أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني أخبرنا سفيان ابن عيينة عن الزهري أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»<sup>(٤)</sup>.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو سعيد خلف بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي نزار حدثنا الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الصفار أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي إسحاق العنزي أخبرنا علي بن حجر بن إياس السعدي أخبرنا يوسف بن زياد عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب / عن سلمان قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم

٢٦/ب

(١) رواه البخاري: في الصوم: باب هل يقال رمضان... ١١٢/٤ وفي بدء الخلق.

ومسلم: في الصيام: باب فضل شهر رمضان برقم (١٠٧٩) ٧٥٨/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٢١٥/٦.

(٢) رواه الترمذي: في الصوم — باب ما جاء في فضل شهر رمضان ٣٥٩/٣ — ٣٦٠.

وابن ماجه: في الصيام — باب ما جاء في فضل شهر رمضان برقم (١٦٤٢) ١٠٢٦/١.

والحاكم: ٤٢١/١ ورجاله ثقات إلا أن أبا بكر بن عياش لما كبر ساء حفظه وله شاهد يتقوى به من حديث عطاء بن السائب عن عرفجه.

وأحمد: ٣١١/٤ — ٣١٢ و ٤١١/٥ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

والنسائي: ١٣٠/٤ وابن خزيمة: ١٨٨/٣.

والمصنف في شرح السنة: ٢١٥/٦.

(٣) يوجد بعض الأخطاء في السند تم تصحيحها من شرح السنة.

(٤) رواه البخاري: في التراويح — باب: من صام رمضان إيماناً واحتساباً ١١٥/٤ وفي التعبير.

مسلم: في صلاة المسافرين — باب: الترغيب في قيام رمضان برقم (٧٦٠) ٥٢٤/١.

والمصنف في شرح السنة: ٢١٧/٦.

من شعبان فقال: «يأأيها الناس إنه قد أظلكم شهر عظيم — وفي رواية قد أظلكم بالطاء — أطل: أشرف، شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة — أي المساهمة — وشهر يزداد فيه الرزق ومن فطر فيه صائماً كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبة من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء» قالوا يارسول الله ليس كلنا نجد ما نفطر به الصائم قال رسول الله ﷺ: «يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على مذقة لبن أو تمر أو شربة من ماء، ومن أشبع صائماً سقاه الله عز وجل من حوضي شربة لا يظماً بعدها حتى يدخل الجنة، ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار حتى يدخل الجنة، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، فاستكثروا فيه من أربع خصال، خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما، أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمش الزياتي أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر أخبرنا إبراهيم بن عبد الله بن عمر بن بكير الكوفي أخبرنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع الصائم طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، للصائم فرحتان، فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فيه أطيّب عند الله من ريح المسك، الصوم جنة، الصوم جنة»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا محمد بن مطرف حدثني أبو حازم عن سهل ابن سعد عن النبي ﷺ قال: «في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه ابن خزيمة: ١٩١/٣ — باب فضل شهر رمضان وقال فيه: إن صح الخبر، وفيه علي بن زيد بن جدعان ضعيف (التقريب — ميزان الاعتدال) وذكره المنذري في الترغيب: ٩٤/٢ — وقال: رواه ابن خزيمة في صحيحه.. ورواه من طريقه البيهقي، ورواه أبو الشيخ وابن حبان في الثواب باختصار عنهما.

(٢) رواه البخاري: في الصوم — باب: فضل الصوم: ١٠٣/٤ وفي اللباس وفي التوحيد.

ومسلم: في الصيام — باب: فضل الصوم برقم (١١٥١) ٨٠٦/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٢٢١/٦.

(٣) رواه البخاري: في الصوم — باب: الريان للصائمين ١١١/٤.

ومسلم: في الصيام — باب فضل الصوم برقم (١١٥٢) ٨٠٨/٢. والمصنف في شرح السنة: ٢١٩/٦ — ٢٢٠.

## وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبد الله بن محمود أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أخبرنا عبد الله بن المبارك عن راشد بن سعد عن يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحلي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يقول الصيام: أي رب إني منعتك الطعام والشراب والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن رب إني منعتك النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال يهود أهل المدينة: يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام وإن غلظ كل سماء مثل ذلك، فنزلت هذه الآية، وقال الضحاك: سأل بعض الصحابة النبي ﷺ، فقالوا أقرب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾<sup>(٢)</sup> وفيه إضمار كأنه قال: فقل لهم إني قريب منهم بالعلم لا يخفى على شيء كما قال «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» (١٦ - ق).

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا عبد الواحد عن عاصم عن أبي عثمان عن أبي موسى الأشعري قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر أو قال: لما توجه رسول الله ﷺ إلى خيبر، أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک: ٥٥٤/١.

قال المنذري رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجاله محتج بهم في الصحيح، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الجوع وغيره بإسناد حسن والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

انظر الترغيب والترهيب للمنذري ٨٤/٢.

(٢) لم نقف على الرواية الأولى ولكن في سندها الكلبي وهو كذاب (التقريب).

وأما الرواية الثانية فقد أخرجها ابن جرير والبيهقي في معجمه وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه من طريق الصلت بن حكيم عن رجل من الأنصار عن أبيه عن جده قال: جاء رجل.... فأنزل الله ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ الدر المنثور: ٤٦٩/١.

(٣) رواه البخاري: في التوحيد — باب: وكان الله سميعاً بصيراً ٣٧٢/١٣.

ومسلم: في الذكر والدعاء والتوبة — باب استحباب خفض الصوت بالذكر برقم (٤٧٠٤) ٢٠٧٦/٤.

والصنف في شرح السنة: ٦٦/٥.



يراعى ترتيب

لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ  
عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُمْ (أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةٌ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ  
هُنَّ لِبَاسٌ) وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ  
الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْآتِلِ وَلَا تَبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي  
الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ  
يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا﴾ قرأ أهل المدينة غير قالون وأبو عمرو بإثبات الياء  
فيهما في الوصل، والباقون بحذفها وصللاً ووقفاً، وكذلك اختلف القراء في إثبات الياءات المحذوفة من  
الخط وحذفها في التلاوة، وبشئت يعقوب جميعها وصللاً ووقفاً، واتفقوا على إثبات ما هو مثبت في الخط  
وصللاً ووقفاً ﴿فليستجيبوا لي﴾ قيل: الاستجابة بمعنى الإجابة، أي: فليجيبوا لي بالطاعة، والإجابة في  
اللغة: الطاعة وإعطاء ما سئل فالإجابة من الله تعالى العطاء، ومن العبد الطاعة، وقيل: فليستجيبوا لي أي  
ليستدعوا مني الإجابة، وحقيقته فليطيعوني ﴿وليؤمنوا بي لعلمهم يرشدون﴾ لكي يهتدوا، فإن قيل فما  
وجه قوله تعالى: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ وقوله (أدعوني أستجب لكم) وقد يدعى كثيراً فلا يجيب؟  
قلنا: اختلفوا في معنى الآيتين قيل معنى الدعاء ههنا الطاعة، ومعنى الإجابة الثواب، وقيل معنى الآيتين  
خاص وإن كان لفظهما عاماً، تقديرهما: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ إن شئت، كما قال: «فيكشف ما  
تدعون إليه إن شاء» (٤١ - الأنعام) أو أجيب دعوة الداعي إن وافق القضاء أو: أجيبه إن كانت  
الإجابة خيراً له أو أجيبه إن لم يسأل محالاً.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر  
محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرِّيَّاني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن  
صالح أن ربيعة بن زيد حدثه عن أبي إدريس عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يستجيب الله لأحدكم ما  
لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل» قالوا وما الاستعجال يا رسول الله؟ قال: «يقول قد دعوتك  
يارب، قد دعوتك يارب، قد دعوتك يارب، فلا أراك تستجيب لي، فيستحسر عند ذلك فيدع

الدعاء» (١).

وقيل هو عام، ومعنى قوله ﴿أَجِيبْ﴾ أي اسمع، ويقال ليس في الآية أكثر من إجابة الدعوة، فأما إعطاء المنية فليس بذكر فيها، وقد يجيب السيد عبده، والوالد ولده ثم لا يعطيه سؤله فالإجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة، وقيل معنى الآية أنه لا يجيب دعاءه، فإن قدر له ما سأل أعطاه، وإن لم يقدره له ادخر له الثواب في الآخرة، أو كف عنه به سوءاً والدليل عليه ما أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا بن ثوبان وهو عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه حدثهم أن النبي ﷺ قال: «ما على الأرض رجل مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه، الله إياها أو كف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم» (٢) وقيل: إن الله تعالى يجيب دعاء المؤمن في الوقت ويؤخر / إعطاء مراده ليدعوه فيسمع صوته ويعجل إعطاءه من لا يحبه لأنه يبغض صوته، وقيل: إن للدعاء آداباً وشرائط وهي أسباب الإجابة فمن استكملها كان من أهل الإجابة، ومن أخل بها فهو من أهل الاعتداء في الدعاء فلا يستحق الإجابة.

٢٧ / أ

قوله تعالى: ﴿أَحِلُّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ فالرفث كناية عن الجماع، قال ابن عباس: إن الله تعالى حيي كريم يكتفي كل ما ذكر في القرآن من المباشرة والملازمة والإفضاء والدخول والرفث فإنما عنى به الجماع وقال الزجاج: الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من النساء، قال أهل التفسير: كان في ابتداء الأمر إذا أفطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع إلى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقد قبلها، فإذا صلى العشاء أو رقد قبلها حرم عليه الطعام والنساء إلى الليلة القابلة، ثم إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقع أهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل أخذ يكي ويلوم نفسه، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أعتمد إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة، إني رجعت إلى أهلي بعدما صليت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسوّلت لي نفسي فجاءت أهلي فهل تجد لي من رخصة؟ فقال النبي ﷺ: «ما كنت جديراً بذلك يا عمر» فقام رجال فاعترفوا بمثله فنزل في عمر وأصحابه: (٣)

(١) رواه البخاري مختصراً في الدعوات — باب: يستجاب للعبد ما لم يستعجل: ١٤٠/١١.

ومسلم: في الذكر والدعاء والتوبة — باب: بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل بقرن (٢٧٣٥) ٢٠٩٥/٤ واللفظ له.

والمصنف في شرح السنة: ١٩٠/٥.

(٢) رواه الترمذي: في الدعوات — باب: في انتظار الفرج عن جابر: ٢٤/١٠ وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه.

والحاكم: ٤٩٣/١ وصححه ووافقه الذهبي.

وأحمد: ١٨/٣ عن أبي سعيد الخدري.

والمصنف في شرح السنة: ١٨٦/٥.

(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير: ٤٩٨/٣، وقال الشيخ شاکر: هذا الحديث بالإسناد مسلسل بالضعفاء، وعزه السيوطي في الدر المنثور

لابن جرير وابن أبي حاتم: ٤٧٦/١.

﴿أحل لكم﴾ أي أبيع لكم ﴿ليلة الصيام﴾ أي في ليلة الصيام ﴿الرفث إلى نسائكم﴾ من لباس لكم أي سكن لكم ﴿وأنتم لباس لهن﴾ أي سكن لهن دليله. قوله تعالى: «وجعل منها زوجها ليسكن إليها» (١٨٩ - الأعراف) وقيل لا يسكن شيء كسكون أحد الزوجين إلى الآخر، وقيل: سمي كل واحد من الزوجين لباساً لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذي يلبسه، وقال الربيع بن أنس: هن فراش لكم وأنتم لحاف لهن، قال أبو عبيدة وغيره: يقال للمرأة هي لباسك وفراشك وإزارك، وقيل: اللباس اسم لما يوارى الشيء فيجوز أن يكون كل واحد منهما سترًا لصاحبه عما لا يحل كما جاء في الحديث: «من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه»<sup>(١)</sup>.

﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم﴾ أي تخونونها وتظلمونها بالجماعة بعد العشاء، قال البراء: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله تعالى «علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم» ﴿فتاب عليكم﴾ تجاوز عنكم ﴿وعفا عنكم﴾ محاذيركم ﴿فالاّن باسروهن﴾ جامعوهن حلالاً، سميت الجماعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد منهم لصاحبه، ﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ أي فاطلبوا ما قضى الله لكم، وقيل ما كتب الله لكم في اللوح المحفوظ يعني الولد، قاله أكثر المفسرين، قال مجاهد: ابتغوا الولد إن لم تلد هذه فهذه وقال قتادة: وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم بإباحة الأكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ، وقال معاذ بن جبل: وابتغوا ما كتب الله لكم يعني ليلة القدر.

قوله: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخطيط الأبيض﴾ نزلت في رجل من الأنصار اسمه أبو صيرمة ابن قيس بن صيرمة، وقال عكرمة: أبو قيس بن صيرمة، وقال الكلبي: أبو قيس صيرمة بن أنس بن أبي صيرمة، وذلك أنه ظل نهاره يعمل في أرض له وهو صائم، فلما أمسى رجع إلى أهله بتمر، وقال لأهله قدمي الطعام فأرادت المرأة أن تطعمه شيئاً سخياً فأخذت تعمل له سخينة، وكان في الابتداء من صلي العشاء ونام حرم عليه الطعام والشراب، فلما فرغت من طعامه إذ هي به قد نام وكان قد أعيا وكل فأيقظته فكره أن يعصي الله ورسوله، فأبى أن يأكل فأصبح صائماً مجهوداً، فلم ينتصف النهار حتى

(١) ورد بلفظ (من تزوج فقد أحرز نصف دينه، فليقت الله في النصف الباقي).

رواه ابن الجوزي في العلل عن أنس رفعه وقال: لا يصح عن رسول الله ﷺ، وفيه آفات منها يزيد الرقاشي قال أحمد: لا يكتب عنه شيء كان منكر الحديث. وقال النسائي: منكر الحديث وفيه هياج، قال أحمد: متروك الحديث. وقال يحيى ليس بشيء وفيه مالك بن سليمان وقد قدحوا فيه. العلل المنتهية ١٢٢/٢.

انظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس ٣١٣/٢.

ورواه الحاكم بلفظ (من رزقه الله امرأة سالحة فقد أعانه شطر دينه فليقت الله في الشطر الثاني). قال الحاكم صحيح الإسناد ووافقه الذهبي

غشي عليه، فلما أفاق أتى رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال له: يا أبا قيس مالك أمسيت طليحاً<sup>(١)</sup> فذكر له ماله فاغتم لذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾<sup>(٢)</sup> يعني في ليالي الصوم ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ يعني بياض النهار من سواد الليل، سمياً خيطين لأن كل واحد منهما يبدو في الابتداء ممتداً كالخيط.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا أبو غسان محمد بن مطرف ثنا أبو حازم عن سهل بن سعد قال: أنزلت ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ ولم ينزل قوله: ﴿من الفجر﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ولا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله تعالى بعده ﴿من الفجر﴾ فعملوا أنما يعني بهما الليل والنهار<sup>(٣)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا الحجاج بن منهال أخبرنا هشيم أخبرنا حصين بن عبد الرحمن عن الشعبي عن عدي ابن حاتم قال: لما نزلت ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت أنظر إليهما وإلى الليل فلا يستبين لي فغدوت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار»<sup>(٤)</sup>.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «إن بلائاً ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم» قال «كان ابن أم مكتوم رجلاً أعمى لا ينادي حتى يقال له أصبحت أصبحت»<sup>(٥)</sup> واعلم أن الفجر فجران كاذب وصادق، فالكاذب يطلع أولاً مستطيلاً كذب السرحان يصعد إلى السماء فبطلوعه لا يخرج الليل ولا يحرم الطعام والشراب على الصائم، ثم يغيب فيطلع بعده الفجر الصادق مستطيلاً ينتشر سريعاً في الأفق، فبطلوعه يدخل النهار ويحرم الطعام والشراب على الصائم.

(١) الطليح: الساقط من الإعياء والجهد والهزال.

(٢) رواه البخاري: في الصوم باب قول الله جل ذكره: (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائك) ٤/ ١٢٩.

(٣) رواه البخاري: في الصوم — باب: قول الله تعالى: وكلوا واشربوا حتى... ١٣٢/٤.

(٤) رواه البخاري: في الصوم — باب: قول الله تعالى: وكلوا واشربوا حتى... ١٣٢/٤.

(٥) رواه البخاري: في الأذان — باب: أذان الأعمى إذا كان له من يخبره ٩٩/٢.

ومسلم: في الصيام — باب: بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر برقم (١٠٩٢) ٧٦٨/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٢٩٨/٢.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أخبرنا أبو العباس المحبوبي أخبرنا أبو عيسى الترمذي أخبرنا هناد ويوسف بن عيسى قالوا: أخبرنا وكيع عن أبي هلال عن سودة بن حنظلة عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الأفق»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَقْمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ فالصائم يحرم عليه الطعام والشراب بطلوع الفجر الصادق ويمتد إلى غروب الشمس فإذا غربت حصل الفطر.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا الحميدي أخبرنا سفيان أخبرنا هشام بن عروة قال: سمعت أبي يقول: سمعت عاصم بن عمر بن الخطاب عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [وقد نويتم الاعتكاف في المساجد وليس المراد عن مباشرتهم في المساجد لأن ذلك ممنوع منه في غير الاعتكاف]<sup>(٣)</sup> والعكوف هو الإقامة على الشيء والاعتكاف في الشرع هو الإقامة في المسجد على عبادة الله، وهو سنة ولا يجوز في غير المسجد ويجوز في جميع المساجد.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي/ أخبرنا محمد بن يوسف ٢٧/ب أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن يوسف أخبرنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة ابن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ «أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده»<sup>(٤)</sup> والآية نزلت في نفر من أصحاب النبي ﷺ كانوا يعتكفون في المسجد، فإذا عرضت للرجل منهم الحاجة إلى أهله خرج إليها فجامعها ثم اغتسل، فرجع إلى المسجد فنهوا عن ذلك ليلاً ونهاراً حتى يفرغوا من اعتكافهم، فالجماع حرام في حال الاعتكاف ويفسد

(١) رواه مسلم: في الصيام — باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر برقم (١٠٩٤) ٧٧٠/٢. والمصنف في شرح السنة: ٣٠٠/٢.

(٢) رواه البخاري: في الصوم عن عبد الله بن أبي أوفى — باب: الصوم في السفر والإفطار ١٧٩/٤. رواه مسلم: في الصيام عن عبد الله بن أبي أوفى — باب بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار برقم (١١٠١) ٧٧٢/٢. والمصنف في شرح السنة: ٢٥٩/٦.

(٣) ساقط من (ب) ومن المطبوع.

(٤) رواه البخاري: في الاعتكاف — باب الاعتكاف في العشر الأواخر ٢٧١/٤. ورواه مسلم: في الاعتكاف — باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان برقم (١١٧٢) ٨٣١/٢. والمصنف في شرح السنة: ٣٩١/٦.

## وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٨﴾

به الاعتكاف، أما ما دون الجماع من المباشرات كالقبلة واللمس بالشهوة، فمكروه ولا يفسد به الاعتكاف عند أكثر أهل العلم وهو أظهر قول الشافعي، كما لا يبطل به الحج، وقالت طائفة يبطل بها اعتكافه وهو قول مالك، وقيل إن أنزل بطل اعتكافه وإن لم ينزل فلا كالصوم، وأما اللمس الذي لا يقصد به التلذذ فلا يفسد به الاعتكاف لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا اعتكف أدنى إلى رأسه فأرجله وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿تلك حدود الله﴾ يعني تلك الأحكام التي ذكرها في الصيام والاعتكاف، حدود الله أي: ما منع الله عنها، قال السدي: شروط الله، وقال شهر بن حوشب: فرائض الله، وأصل الحد في اللغة المنع، ومنه يقال للبواب حداد، لأنه يمنع الناس من الدخول، وحدود الله ما منع الله من مخالفتها ﴿فلا تقربوها﴾ فلا تأتوها ﴿كذلك﴾ هكذا ﴿يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾ لكي يتقوها فينجوا من العذاب.

قوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ قيل نزلت هذه الآية في امرئ القيس بن عايش لكندي ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي عند رسول الله ﷺ أرضاً أنه غلبني عليها، فقال النبي ﷺ للحضرمي (ألك بينة؟) قال لا قال: (فلك يمينه) فانطلق ليحلف فقال رسول الله ﷺ: «أما إن حلف على ماله ليأكله ظلماً ليلقين الله وهو عنه معرض»<sup>(٢)</sup> فأنزل الله هذه الآية ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل أي من غير الوجه الذي أباحه الله، وأصل الباطل الشيء الذاهب، والأكل بالباطل أنواع، قد يكون بطريق الغصب والنهب وقد يكون بطريق اللهو كالقمار وأجرة المغني ونحوهما، وقد يكون بطريق الرشوة والخيانة ﴿وتدلوها بها إلى الحكام﴾ أي تلقوا أمور تلك الأموال بينكم وبين أربابها إلى الحكام، وأصل الإدلاء: إرسال الدلو وإلقاؤه في البئر يقال: أدلى دلوه إذا أرسله، ودلّاه يدلوه إذا أخرجه قال ابن عباس: هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد المال ويخاصم فيه إلى الحاكم، وهو يعرف أن الحق عليه وأنه آثم بمنعه، قال مجاهد في هذه الآية: لا

(١) رواه البخاري: في الاعتكاف — باب المعتكف يدخل رأسه البيت للغسل ٢٨٦/٤.

والمصنف في شرح السنة: ٤٠٠/٦.

(٢) رواه مسلم: في الإيمان — باب: وعيد من اقتطع حق مسلم يمين فاجرة بالنار برقم (١٣٩) ١٢٣/١.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا  
الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَىٰ وَآتَىٰ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا  
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾

تخاصم وأنت ظالم، قال الكلبي: هو أن يقيم شهادة الزور وقوله: ﴿وتدلوا﴾ في محل الجزم بتكرير حرف  
النهي، معناه ولا تدلوا بها إلى الحكام، وقيل معناه: ولا تأكلوا بالباطل وتنسبونه إلى الحكام، قال قتادة:  
لا تذل بمال أخيك إلى الحاكم وأنت تعلم أنك ظالم فإن قضاءه لا يحل حراماً، وكان شريح القاضي يقول:  
إني لأقضي لك وإني لأظنك ظالماً ولكن لا يسعني إلا أن أقضي بما يحضرن من البينة وإن قضائي لا يحل  
لك حراماً.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم  
أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة  
عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل  
بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق  
أخيه فلا يأخذه فإنه أقطع له قطعة من النار» (١).

قوله تعالى: ﴿لتأكلوا فريقاً﴾ طائفة ﴿من أموال الناس بالإثم﴾ بالظلم وقال ابن عباس: باليمين  
الكاذبة يقطع بها مال أخيه ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنكم مبطلون.

قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة﴾ نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاريين قالا: يا  
رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم يزيد حتى يمتلئ نوراً ثم يعود دقيقاً كما بدأ ولا يكون على حالة  
واحدة (٢)؟ فأنزل الله تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة﴾ وهي جمع هلال مثل رداء وأردية سمي هلالاً لأن  
الناس يرفعون أصواتهم بالذكر عند رؤيته من قولهم استهل الصبي إذا صرخ حين يولد وأهل القوم بالحج إذا  
رفعوا أصواتهم بالتلبية ﴿قل هي مواقيت للناس والحج﴾ جمع ميقات أي فعلنا ذلك ليعلم الناس أوقات  
الحج والعمرة والصوم والإفطار وآجال الديون وعدد النساء وغيرها، فلذلك خالف بينه وبين الشمس التي  
هي دائمة على حالة واحدة ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾.

(١) رواه البخاري: في الأحكام — باب: موعظة الإمام للخصم ١٥٧/١٣ وفي الشهادات.

ورواه مسلم: في الأفضية — باب الحكم بالظاهر واللعن بالحجة برقم (١٧١٣) ١٣٣٧/٣.

والمصنف في شرح السنة: ١١٠/١٠.

(٢) أخرجه ابن عساکر بسند ضعيف عن ابن عباس انظر الدر المنثور للسيوطي ٤٩٠/١.

## وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِيَّاهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩﴾

قال أهل التفسير: كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة لم يدخل حائطاً ولا بيتاً ولا داراً من بابه فإن كان من أهل المدر نقب نقباً في ظهر بيته ليدخل منه ويخرج أو يتخذ سلماً فيصعد منه وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج من الباب حتى يحل من إحرامه ويرون ذلك براً إلا أن يكون من الخمس وهم قريش وكنانة [وخزاعة وثقيف وخثعم وبنو عامر بن صعصعة وبنو مضر بن معاوية سموا خمساً لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة والصلابة] <sup>(١)</sup> فدخل رسول الله ﷺ ذات يوم بيتاً لبعض الأنصار، فدخل رجل من الأنصار يقال له رفاعه بن الثابوت على أثره من الباب وهو محرم فأنكروا عليه، فقال له رسول الله ﷺ: «لم دخلت من الباب وأنت محرم؟ قال رأيتك دخلت فدخلت على أثرك فقال رسول الله ﷺ: «إني أحس» فقال الرجل إن كنت أحسبياً فإني أحسبى رضىت بهديك وسمتك ودينك فأنزل الله تعالى هذه الآية <sup>(٢)</sup> وقال الزهري: كان ناس من الأنصار إذا أهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السماء شيء، وكان الرجل يخرج مهلاً بالعمرة فتبدو له الحاجة بعد ما يخرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجر من أجل سقف البيت أن يحول بينه وبين السماء فيفتح الجدار من ورائه، ثم يقوم في حجرته فيأمر بحاجته حتى بلغنا أن رسول الله ﷺ أهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة فدخل رجل على أثره من الأنصار من بني سلمة فقال النبي ﷺ: «لم فعلت ذلك؟ قال لأني رأيتك دخلت فقال رسول الله ﷺ: «إني أحس» فقال الأنصاري وأنا أحسبى يقول وأنا على دينك فأنزل الله تعالى (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) <sup>(٣)</sup>.

قرأ ابن كثير وابن عامر/ وحمة والكسائي وأبو بكر: والغيوب والجيوب والعيون وشيوخاً بكسر أوائلهن لمكان الياء وقرأ الباقر بالضم على الأصل وقرأ ابن عامر وحمة والكسائي «جيوهين» بكسر الجيم، وقرأ أبو بكر وحمة «الغيوب» بكسر الغين ﴿ولكن البر من اتقى﴾ أي: البر: بر من اتقى.

﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ في حال الإحرام ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾.

﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ أي في طاعة الله ﴿الذين يقاتلونكم﴾ كان في ابتداء الإسلام أمر الله تعالى

(١) ساقط من نسخة (ب).

(٢) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قيس بن جبير النهشلي

انظر الدر المنثور للسيوطي ٤٩٢/١.

وانظر تفسير الطبري ٥٥٦/٣.

(٣) أخرجه ابن جرير عن الزهري انظر تفسير الطبري ٥٥٨/٣.



وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمُ وَالْفَنَّةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ  
عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١١١﴾ فَإِنْ  
أَنَّهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنَّهُمْ فَلَا  
عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١١٣﴾

رسوله ﷺ بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر إلى المدينة أمره بقتال من قاتله منهم بهذه الآية، وقال  
الربيع بن أنس: هذه أول آية نزلت في القتال ثم أمره بقتال المشركين كافة قاتلوا أو لم يقاتلوا بقوله  
(فاقتلوا المشركين) فصارت هذه الآية منسوخة بها، وقيل: نسخ بقوله (فاقتلوا المشركين) قريب من  
سبعين آية وقوله ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي لا تبدؤهم بالقتال وقيل: هذه الآية محكمة غير منسوخة أمر النبي  
ﷺ بقتال المقاتلين ومعنى قوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير والرهبان  
ولا من ألقى إليكم السلام هذا قول ابن عباس ومجاهد:

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو بكر بن سهل القهستاني المعروف بأبي  
تراب أخبرنا محمد بن عيسى الطرسوسي أنا يحيى بن بكير أنا الليث بن سعد عن جرير بن حازم عن  
شعبة عن علقمة بن يزيد عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال كان النبي ﷺ إذا بعث جيشاً قال:  
«اغزوا بسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، لا تغلوا ولا تقتلوا امرأة ولا وليداً ولا شيخاً  
كبيراً»<sup>(١)</sup> وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس نزلت هذه الآية في صلح الحديبية، وذلك أن  
رسول الله ﷺ خرج مع أصحابه للعمرة وكانوا ألفاً وأربعمائة فساروا حتى نزلوا الحديبية فصدهم  
المشركون عن البيت الحرام فصالحهم على أن يرجع عامه ذلك على أن يخلوا له مكة عام قابل ثلاثة أيام  
فيطوف بالبيت فلما كان العام القابل تجهز رسول الله ﷺ وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا أن لا تفي  
قريش بما قالوا وأن يصدوهم عن البيت الحرام وكره أصحاب رسول الله ﷺ قتالهم في الشهر الحرام وفي  
الحرم فأنزل الله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني محرمين ﴿الَّذِينَ يقاتلونكم﴾ يعني قريشاً ﴿وَلَا  
تَعْتَدُوا﴾ فتبدؤوا بالقتال في الحرم محرمين ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ .

قوله تعالى ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ قيل نسخت الآية الأولى بهذه الآية، وأصل الثقافة الحذق  
والبصر بالأمر، ومعناه واقتلوه حيث بصرتهم مقاتلتهم وتمكنتم من قتلهم ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ  
أَخْرَجُوكُمْ﴾ وذلك أنهم أخرجوا المسلمين من مكة، فقال: أخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم من دياركم

(١) رواه مسلم: في الجهاد — باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث ... برقم (١٧٣١) ١٣٥٧/٣.

والمصنف في شرح السنة: ١١/١١.

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا  
 اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾

﴿والفتنة أشد من القتل﴾ يعني شركهم بالله عز وجل أشد وأعظم من قتلهم إياهم في الحرم والإحرام  
 ﴿ولا تقتلوه عند المسجد الحرام حتى يقتلوه فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم﴾ قرأ حمزة والكسائي: (ولا  
 تقتلوه حتى يقتلوه فإن قاتلوكم) بغير ألف فهين من القتل على معنى ولا تقتلوا بعضهم، تقول العرب:  
 قتلنا بني فلان وإنما قتلوا بعضهم، وقرأ الباقون بالألف من القتال وكان هذا في ابتداء الإسلام كان لا يحل  
 بدايتهم بالقتال في البلد الحرام، ثم صار منسوخاً بقوله تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ هذا قول  
 قتادة، وقال مقاتل بن حيان قوله ﴿واقتلوه حيث ثقفتموهم﴾ أي حيث أدركتموهم في الحل والحرم،  
 ضارت هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿ولا تقتلوه عند المسجد الحرام﴾ ثم نسختها آية السيف في  
 براءة فهي ناسخة منسوخة.

وقال مجاهد وجماعة: هذه الآية محكمة ولا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم ﴿كذلك جزاء الكافرين  
 فإن انتهوا﴾ عن القتال والكفر ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ أي غفور لما سلف رحيم بالعباد ﴿واقتلوه﴾  
 يعني المشركين ﴿حتى لا تكون فتنة﴾ أي شرك يعني قاتلوهم حتى يسلموا فلا يقبل من الوثني إلا  
 الإسلام فإن أبى قُتل ﴿ويكون الدين﴾ أي الطاعة والعبادة (لله) وحده فلا يعبد شيء دونه .

قال نافع: جاء رجل إلى ابن عمر في فتنة ابن الزبير فقال ما يمنعك أن تخرج؟ قال: يمنعني أن الله  
 تعالى قد حرم دم أخي، قال: ألا تسمع ما ذكره الله عز وجل «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا» (٩ —  
 الحجرات) قال يا بن أخي: لأن أعير بهذه الآية ولا أقاتل أحب إلي من أن أعير بالآية التي يقول الله عز  
 وجل فيها «ومن يقتل مؤمناً متعمداً» (٩٣ — النساء) قال ألم يقل الله ﴿واقتلوه حتى لا تكون فتنة﴾  
 قال قد فعلنا على عهد رسول الله ﷺ إذ كان الإسلام قليلاً وكان الرجل يفتن في دينه إما يقتلونه أو  
 يعذبونه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة وكان الدين كله لله، وأنتم تريدون أن تقتلوا حتى تكون فتنة  
 ويكون الدين لغير الله، وعن سعيد بن جبيرة قال: قال رجل لابن عمر: كيف ترى في قتال الفتنة؟ فقال:  
 هل تدري ما الفتنة؟ كان محمد ﷺ يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة وليس بقتالكم على الملك  
 ﴿فإن انتهوا﴾ عن الكفر وأسلموا ﴿فلا عدوان﴾ فلا سبيل ﴿إلا على الظالمين﴾ قاله ابن عباس. يدل  
 عليه قوله تعالى «أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي» (٢٨ — القصص) وقال أهل المعاني: العدوان  
 الظلم، أي فإن أسلموا فلا نهب ولا أسر ولا قتل ﴿إلا على الظالمين﴾ الذين بقوا على الشرك وما يفعل  
 بأهل الشرك من هذه الأشياء لا يكون ظلماً، وسماه عدواناً على طريق المجازة والمقابلة، كما قال ﴿فمن  
 اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾ وكقوله تعالى «وجزاء سيئة سيئة مثلها» (٤٠ — الشورى) وسمي الكافر

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمُ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

ظالماً لأنه يضع العبادة في غير موضعها.

قوله تعالى: ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾ نزلت في عمرة القضاء وذلك أن النبي ﷺ خرج معتمراً في ذي القعدة فصده المشركون عن البيت بالحديبية فصالح أهل مكة على أن ينصرف عامه ذلك ويرجع العام القابل فيقضي عمرته، فانصرف رسول الله ﷺ عامه ذلك ورجع في العام القابل في ذي القعدة وقضى عمرته سنة سبع من الهجرة فذلك معنى قوله تعالى ﴿الشهر الحرام﴾ يعني: ذا القعدة الذي دخلتم فيه مكة وقضيت فيه عمرتكم سنة سبع ﴿بالشهر الحرام﴾ يعني ذا القعدة الذي صددتم فيه عن البيت سنة ست ﴿والحرمات قصاص﴾ جمع حرمة، وإنما جمعها لأنه أراد حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الإحرام، والقصاص المساواة والمماثلة وهو أن يفعل بالفاعل مثل ما فعل، وقيل هذا في أمر القتال معناه: إن بدؤكم بالقتال في الشهر الحرام فقاتلوهم فيه فإنه قصاص بما فعلوا فيه ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾ وقاتلوهم ﴿بمثل ما اعتدى عليكم﴾ سمي الجزاء باسم الابتداء على ازدواج الكلام كقوله تعالى «وجزاء سيئة سيئة مثلها» (٤٠ — الشورى) ﴿واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾.

٢٨ ب

قوله تعالى: ﴿وانفقوا في سبيل الله﴾ أراد به الجهاد وكل خير هو في سبيل الله، ولكن إطلاقه ينصرف إلى الجهاد ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ قيل: الباء في قوله تعالى ﴿بأيديكم﴾ زائدة، يريد: ولا تلقوا بأيديكم، أي أنفسكم ﴿إلى التهلكة﴾ عبر عن النفس بالأيدي كقوله تعالى «بما كسبت أيديكم» (٣٠ — الشورى) أي بما كسبتم، وقيل الباء في موضعها، وفيه حذف، أي لا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة أي الهلاك، وقيل: التهلكة كل شيء يصير عاقبته إلى الهلاك، أي ولا تأخذوا في ذلك، وقيل: التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه، والهلاك مالا يمكن الاحتراز عنه، والعرب لا تقول للانسان أنقى بيده إلا في الشرك، واختلفوا في تأويل هذه الآية فقال بعضهم: هذا في البخل وترك الإنفاق. يقول ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ بترك الإنفاق في سبيل الله وهو قول حذيفة والحسن وقتادة وعكرمة وعطاء. وقال ابن عباس: في هذه الآية: أنفق في سبيل الله وإن لم يكن لك إلا سهم أو مشقص، ولا يقولن أحدكم إني لا أجد شيئاً، وقال: السدي بها: أنفق في سبيل الله ولو عقلاً ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ ولا تقل: ليس عندي شيء، وقال: سعيد بن المسيب ومقاتل بن حيان: لما أمر الله تعالى بالإنفاق قال رجل: أمرنا بالنفقة في سبيل الله، ولو أنفقنا أموالنا بقينا فقراء، فأنزل الله هذه الآية، وقال مجاهد فيها: لا يمنعكم من نفقة في حق خيفة العيلة.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أحمد بن الحسن الحيرى أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي

وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمِن تَمَنُّعٍ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

ابن دحيم الشيباني أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة أخبرنا أبو غسان أخبرنا خالد بن عبد الله الواسطي أخبرنا واصل مولى أبي عيينة عن بشار بن أبي سيف عن الوليد بن عبد الرحمن عن عياض بن غضيف قال: أتينا أبا عبيدة نعوذه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبعمائة، ومن أنفق نفقة على أهله فالحسنة بعشر أمثالها»<sup>(١)</sup>.

وقال زيد بن أسلم: كان رجال يخرجون في البعوث بغير نفقة فإما أن يقطع بهم، وإما أن كانوا عيالاً فأمرهم الله تعالى بالإنفاق على أنفسهم في سبيل الله، ومن لم يكن عنده شيء ينفقه فلا يخرج بغير نفقة ولا قوت فيلقي بيده إلى التهلكة، فالتهلكة: أن يهلك من الجوع والعطش أو بالمشي، وقيل: أنزلت الآية في ترك الجهاد، قال أبو أيوب الأنصاري: نزلت فينا معشر الأنصار وذلك أن الله تعالى لما أعز دينه ونصر رسوله قلنا فيما بيننا: إنا قد تركنا أهلنا وأموالنا حتى فشا الإسلام ونصر الله نبيه فلو رجعنا إلى أهلينا وأموالنا فأقمنا فيها فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَقْبَلُوا بُيُوتَكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ فالتهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد، فما زال أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى كان آخر غزوة غزاها بقسطنطينية في زمن معاوية فتوفي هناك ودفن في أصل سور القسطنطينية وهم يستسقون به.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه الترمذي: في فضائل الجهاد — باب: ما جاء في فضل النفقة في سبيل الله ٢٥٤/٥ وقال: هذا حديث حسن إنما نعرفه من

حديث الزكبي من ربيع. في الترمذي والنسائي عن حريم بن فاتك بدون زيادة (ومن أنفق نفقة على أهله...).

أخرجه النسائي: في الجهاد — باب: فضل النفقة في سبيل الله: ٤٩/٦.

والمصنف في شرح السنة: ٣٥٩/١٠ عن حريم وإسناده صحيح.

(٢) رواه مسلم: في الإمارة — باب: دم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو بقره (١٩١٠) ١٥١٧/٣.

والمصنف في شرح السنة: ٣٧٥/١٠.

وقال محمد بن سيرين وعبيدة السلماني: الإلقاء إلى التهلكة هو القنوط من رحمة الله تعالى، قال أبو قلابة: هو الرجل يصيب الذنب فيقول: قد هلكت ليس لي توبة فيئأس من رحمة الله، وينهمك في المعاصي، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، قال الله تعالى: «إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون» (٨٧ - يوسف).

قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ [أي أحسنوا أعمالكم وأخلاقكم وتفضلوا على الفقراء] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١)</sup> قوله عز وجل ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ قرأ علقمة وإبراهيم النخعي (وأقيموا الحج والعمرة لله) واختلفوا في إتمامهما فقال بعضهم: هو أن يتمهما بمناسكهما وحدودهما وسننهما، وهو قول ابن عباس وعلقمة وإبراهيم النخعي ومجاهد، وأركان الحج خمسة .. الإحرام والوقوف بعرفة، وطواف الزيارة، والسعي بين الصفا والمروة، وحلق الرأس أو التقصير. وللحج تحللان، وأسباب التحلل ثلاثة: رمي جمرة العقبة يوم النحر وطواف الزيارة والحلق، فإذا وجد شيئاً من هذه الأشياء الثلاثة حصل التحلل الأول، وبالثلاث حصل التحلل الثاني، وبعد التحلل الأول يستبيح جميع محظورات الإحرام إلا النساء، وبعد الثاني يستبيح الكل، وأركان العمرة أربعة: الإحرام، والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والحلق، وقال سعيد بن جبيرة وطاووس: تمام الحج والعمرة أن تحرم بهما مفردين مستأنفين من ديرة أهلك، وسئل علي بن أبي طالب عن قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ قال أن تحرم بهما من ديرة أهلك ومثله عن ابن مسعود، وقال قتادة: تمام العمرة أن تُعْمَلَ في غير أشهر الحج، [فإن كانت في أشهر الحج]<sup>(٢)</sup> ثم أقام حتى حج فهي متعة، وعليه فيها الهدى إن وجدته، أو الصيام إن لم يجد الهدى، وتام الحج أن يؤتى بمناسكه كلها حتى لا يلزم عامله دم بسبب قران ولا متعة وقال الضحاك: إتمامها أن تكون النفقة حلالاً وينتهي عما نهى الله عنه، وقال سفيان الثوري: إتمامها أن تخرج من أهلك لهما، ولا تخرج لتجارة ولا حاجة.

قال عمر بن الخطاب: الوفد كثير والحاج قليل، واتفقت الأمة على وجوب الحج على من استطاع إليه سبيلاً، واختلفوا في وجوب العمرة فذهب أكثر أهل العلم إلى وجوبها وهو قول عمر وعلي وابن عمر وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: والله إن العمرة لقرينة الحج في كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ وبه قال عطاء ومجاهد وطاووس وقاتدة وسعيد بن جبيرة، وإليه ذهب الثوري والشافعي في أصح قوليه، وذهب قوم إلى أنها سنة وهو قول جابر وبه قال (الشافعي)<sup>(٣)</sup> وإليه ذهب مالك وأهل العراق وتأولوا قوله تعالى ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ على معنى أتموها إذا دخلتم فيهما، أما ابتداء الشروع فيها

(١) ساقط من (ب).

(٢) ساقط من «أ».

(٣) في ب: الشافعي.

فقطوع، واحتج من لم يوجبهما بما روي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه سئل عن العمرة أواجبة هي؟ فقال: ( لا وأن تعتمروا خير لكم) <sup>(١)</sup> والقول الأول أصح ومعنى قوله «وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ» أي ابتدؤوهما، فإذا دخلتم فيهما فأتموهما فهو أمر بالإبتداء والإتمام أي أقيموا كقوله تعالى: «ثم أتموا الصيام إلى الليل» (١٨٧ - البقرة) أي ابتدؤوه وأتموه.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن زنجويه أخبرنا ابن أبي شيبة أخبرنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس عن عاصم عن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحج المبرور جزاء إلا الجنة» <sup>(٢)</sup> وقال ابن عمر: ليس من خلق الله أحد إلا وعليه حجة وعمرة واجبتان إن استطاع إلى ذلك سبيلاً كما قال الله تعالى «وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ» فمن زاد بعد ذلك فهو خير وتطوع، واتفقت الأمة على أنه يجوز أداء الحج والعمرة على ثلاثة أوجه:

٢٩ / أ الأفراد والتمتع والقران ، فصورة الأفراد أن يفرد الحج ، ثم بعد الفراغ منه يعتمر / وصورة التمتع أن يعتمر في أشهر الحج، ثم بعد الفراغ من أعمال العمرة، يحرم بالحج من مكة فيحج في هذا العام، وصورة القران: أن يحرم بالحج والعمرة معاً أو يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل أن يفتتح الطواف فيصير قارناً، واختلفوا في الأفضل من هذه الوجوه: فذهب جماعة إلى أن الأفراد أفضل ثم التمتع ثم القران وهو قول مالك والشافعي لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حجة الوداع فمنا من أهل بغمرة، ومنا من أهل بحج وعمرة، ومنا من أهل بحج، وأهل رسول الله ﷺ بالحج، فأما من أهل بالعمرة

(١) رواه الترمذي: في الحج — باب: ما جاء في العمرة أواجبة هي أم لا؟ ٦٧٩/٣ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وفي تصحيحه له نظر: فإن في سنده الحجاج بن أرطاة وهو ضعيف ولعل تصحيح الترمذي لهذه الرواية نجيتها من طرق أخرى.

رواه أحمد: ٣١٦/٣ عن جابر بن عبد الله.

ورواه البيهقي: في السنن وقال: اخفوض عن جابر موقوف كذا رواه ابن جريح وروى عن جابر بخلاف ذلك مرفوعاً من حديث ابن

هبة وكلاهما ضعيف (انظر التلخيص الحبير: ٢٢٦/٢).

(٢) رواه الترمذي: في الحج — باب: ما جاء في ثواب الحج والعمرة ٥٣٨/٣، ٥٣٩ وقال: حسن صحيح غريب.

ورواه النسائي: في الحج — باب: فضل المتابعة بين الحج والعمرة ١١٥/٥ — ١١٦.

ورواه ابن ماجه: في المناسك — باب: فضل الحج والعمرة: ٩٦٤/٢ برقم (٢٨٨٧).

ورواه ابن خزيمة: في المناسك — باب: الأمر بالمتابعة بين الحج والعمرة ١٣٠/٤.

وأخرجه أحمد: ٣٨٧/١، ٤٤٦/٣ — ٤٤٧ عن عبد الله بن مسعود، وعن عامر بن ربيعة.

والمصنف في شرح السنة: ٧/٧ عن عبد الله بن مسعود.

وهو صحيح بشواهده.

فحلّ، وأما من أهلّ بالحج أو جمع بين الحج والعمرة فلم يحلوا حتى كان يوم النحر<sup>(١)</sup>.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا مسلم عن ابن جريج عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر رضي الله عنه وهو يحدث عن حجة النبي ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ لا ننوي إلا الحج، ولا نعرف غيره ولا نعرف العمرة<sup>(٢)</sup>، وروي عن ابن عمر أن النبي ﷺ أفرد الحج<sup>(٣)</sup> وذهب قوم إلى أن القرآن أفضل وهو قول الثوري وأصحاب الرأي واحتجوا بما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم أخبرنا محمد بن هشام بن ملاس الثميري أخبرنا مروان بن معاوية الفزاري أخبرنا حميد قال: قال أنس بن مالك رضي الله عنه: أهلّ رسول الله ﷺ فقال «لبيك بحج وعمرة»<sup>(٤)</sup>.

وذهب قوم إلى أن التمتع أفضل، وهو قول أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية واحتجوا بما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا يحيى بن بكير أخبرنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: تمتع رسول الله ﷺ في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج وأهدى فساق معه الهدي من ذي الحليفة وبدأ رسول الله ﷺ فأهلّ بالعمرة ثم أهلّ بالحج فتمتع الناس مع النبي ﷺ بالعمرة إلى الحج فكان من الناس من أهدى فساق الهدي ومنهم من لم يهد، فلما قدم النبي ﷺ مكة قال للناس «من كان منكم أهدى فإنه لا يحل من شيء حرم منه حتى يقضي حجه، ومن لم يكن منكم أهدى فليطف بالبيت، ويسعى بين الصفا والمروة، وليقصّر وليتحلل، ثم ليهلّ بالحج فمن لم يجد هدياً فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله، فطاف حين قدم مكة، واستلم الركن أول شيء ثم خبّ ثلاثة أطواف ومشى أربعاً، فركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين، ثم سلم فانصرف، فأتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة أطواف، ثم لم يتحلل من شيء حرم منه حتى قضى حجه ونحر هديه

(١) رواه البخاري: في الحج — باب التمتع والقرآن والإفراد بالحج ٤٢١/٣ واللفظ له.

ورواه مسلم: في الحج — باب: بيان وجوه الإحرام برقم (١٢١١) ٨٧٠/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٦٣/٧.

(٢) جزء من حديث حجة النبي ﷺ رواه مسلم في الحج — باب: حجة النبي ﷺ برقم (١٢١٨) ٨٨٦/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٦٥/٧.

(٣) رواه الترمذي: في الحج باب ما جاء في إفراد الحج ٥٥٢/٢ — ٥٥٣.

والدارقطني ٢٣٩/٢، وفي سنده عبد الله بن نافع الصائغ ضعيف جداً، انظر سنن الدارقطني مع التعليق ٣٨/٢.

وأخرج مسلم في صحيحه في الحج باب في الإفراد في الحج عن نافع عن ابن عمر قال: أهللنا مع رسول الله ﷺ بالجمع مفرداً، وفي

رواية ابن عون أن رسول الله ﷺ أهلّ بالحج مفرداً ٩٠٥/٢.

(٤) رواه مسلم: في الحج — باب في الإفراد والقرآن بالحج والعمرة برقم (١٢٣٢) ٩٠٥/٢.

يوم النحر وأفاض فطاف بالبيت، ثم حل من كل شيء حرم منه، وفعل مثل ما فعل رسول الله ﷺ من أهدى وساق الهدى من الناس .

وعن عروة أن عائشة رضي الله عنها أخبرته عن النبي ﷺ في تمتعه بالعمرة إلى الحج فتمتع الناس معه بمثل الذي أخبرني سالم عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ. <sup>(١)</sup>

قال شيخنا الإمام رضي الله عنه، قد اختلفت الرواية في إحرام النبي ﷺ كما ذكرنا وذكر الشافعي في كتاب اختلاف الأحاديث كلاماً موجزاً أن أصحاب رسول الله ﷺ كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان يأخذ منه أمر نسكه ويصدر عن تعليمه، فأضيف الكل إليه على معنى أنه أمر بها وأذن فيها ويجوز في لغة العرب إضافة (الشيء) <sup>(٢)</sup> إلى الأمر به، كما يجوز إضافته إلى الفاعل له كما يقال بنى فلان داراً، وأريد أنه أمر ببنائها، وكما روي أن النبي ﷺ رجم ماعزاً، وإنما أمر برجمه واختار الشافعي الأفراد لرواية جابر وعائشة وابن عمر، وقدمها على رواية غيرهم لتقدم صحبة جابر النبي ﷺ وحسن سياقه لابتداء قصة حجة الوداع وآخرها، ولفضل حفظ عائشة رضي الله عنها، وقرب ابن عمر من النبي ﷺ.

ومال الشافعي في «اختلاف الأحاديث» إلى التمتع، وقال ليس شيء من الاختلاف أيسر من هذا وإن كان الغلط فيه قبيحاً من جهة أنه مباح لأن الكتاب ثم السنة ثم مالا أعلم فيه خلافاً على أن التمتع بالعمرة إلى الحج وإفراد الحج والقران، واسع كله وقال: من قال إنه أفرد الحج يشبه أن يكون قاله على ما لا يعرف من أهل العلم الذين أدرك دون رسول الله ﷺ أن أحداً لا يكون مقيماً على الحج إلا وقد ابتداء إحرامه بالحج <sup>(٣)</sup> قال الشيخ الإمام رحمه الله: وما يدل على أنه كان متمتعاً أن الرواية عن ابن عمر وعائشة متعارضة، وقد روينا عن ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «تمتع رسول الله ﷺ في [حجة الوداع بالعمرة إلى الحج] <sup>(٤)</sup> وقال ابن شهاب عن عروة أن عائشة أخبرته عن النبي ﷺ <sup>(٥)</sup> في تمتعه بالعمرة إلى الحج، فتمتع الناس معه بمثل الذي أخبرني سالم عن ابن عمر وقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ «هذه عمرة استمتعنا بها».

وقال سعد بن أبي وقاص في المتعة: صنعها رسول الله ﷺ وصنعناها معه.  
قال الشيخ الإمام: وما روي عن جابر أنه قال: خرجنا لا ننوي إلا الحج — لاينافي التمتع لأن

(١) جزء من حديث رواه البخاري في الحج — باب: من ساق البدن معه ٥٣٩/٣.

ومسلم: في الحج — باب: وجوب الدم على المتمتع برقم (١٢٢٧) ٩٠١/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٦٦/٧ — ٦٨.

(٢) وفي «ب» الفعل.

(٣) انظر: اختلاف الحديث للشافعي، بهامش الأم: ٤٠٤/٧ — ٤٠٩.

(٤) جزء من حديث ابن عمر السابق عند الشيخين.

(٥) ساقط من (أ).



خروجهم كان لقصد الحج، ثم منهم من قدم العمرة، ومنهم من أهل بالحج إلى أن أمره النبي ﷺ أن يجعله متعة قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾ اختلف العلماء في الإحصار الذي يبيح للمحرم التحلل من إحرامه فذهب جماعة إلى أن كل مانع يمنعه عن الوصول إلى البيت الحرام والمعنى في إحرامه من عدو أو مرض أو جرح أو ذهاب نفقة أو ضلال راحلة، يبيح له التحلل، وبه قال ابن مسعود وهو قول إبراهيم النخعي والحسن ومجاهد وعطاء وقتادة وعروة بن الزبير، وإليه ذهب سفيان الثوري وأهل العراق وقالوا: لأن الإحصار في كلام العرب هو حبس العلة أو المرض، وقال الكسائي وأبو عبيدة ما كان من مرض أو ذهاب نفقة يقال: منه أحصر فهو مُحَصَّرٌ وما كان من حبس عدو أو سجن يقال: منه حصر فهو محصور، وإنما جعل هاهنا حبس العدو إحصاراً قياساً على المرض إذ كان في معناه، واحتجوا بما روي عن عكرمة عن الحجاج بن عمرو الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل»<sup>(١)</sup>.

قال عكرمة: فسألت ابن عباس وأبا هريرة فقالا صدق. وذهب جماعة إلى أنه لا يباح له التحلل إلا بحبس العدو وهو قول ابن عباس وقال لا حصر إلا حصر العدو، وروي معناه / عن ابن عمر وعبد الله بن الزبير وهو قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وإليه ذهب الشافعي وأحمد وإسحاق، وقالوا الحصر والإحصار بمعنى واحد.

وقال ثعلب: تقول العرب حصرت الرجل عن حاجته فهو محصور، وأحصره العدو إذا منعه عن السير فهو محصر، واحتجوا بأن نزول هذه الآية في قصة الحديدية وكان ذلك حبساً من جهة العدو ويدل عليه قوله تعالى في سياق الآية ﴿فَإِذَا أَمْنْتُمْ﴾ والأمن يكون من الخوف، وضعفوا حديث الحجاج بن عمرو بما ثبت عن ابن عباس أنه قال: لا حصر إلا حصر العدو، وتأوله بعضهم على أنه إنما يحل بالكسر والعرج إذا كان قد شرط ذلك في عقد الإحرام كما روي أن ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبي ﷺ: «حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني»<sup>(٢)</sup>.

ثم المحصر يتحلل بذبح الهدي وحلق الرأس، والهدي شاة وهو المراد من قوله تعالى ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنْ

(١) رواه أبو داود: في المناسك باب الإحصار ٣٦٨/٢ ونقل المنذري تحسينه عن الترمذي وأقره وعزاه للنسائي.

والترمذي: في الحج - باب: ما جاء في الذي يهل بالحج فيكسر أو يعرج ٨/٤ وقال: هذا حديث حسن.

وابن ماجه: في المناسك - باب المحصر برقم (٣٠٧٧) ١٠٢٨/٢

وأحمد: ٤٥٠/٣ عن الحجاج بن عمرو الأنصاري، وعزاه ابن حجر في الفتح ٧/٤ لابن السكن في كتاب الصحابة وقال: ليس بعيداً من الصحة.

والدارمي: في المناسك - باب: في المحصر بعدو ٦١/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٢٨٨/٧.

(٢) رواه مسلم: في الحج - باب: جواز اشتراط المحرم التحلل بعذر المرض ونحوه برقم (١٢٠٨) ٨٦٩/٢.

الهدى»، ومحل ذبحه حيث أحصر عند أكثر أهل العلم، لأن النبي ﷺ ذبح الهدى عام الحديبية بها، وذهب قوم إلى أن المحصر يقيم على إحرامه ويبعث بهديه إلى الحرم، ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل، وهو قول أهل العراق.

واختلف القول في المحصر إذا لم يجد هدياً ففي قول لا بُدَّ له<sup>(٥)</sup> فيتحلل والهدى في ذمته إلى أن يجد، والقول الثاني: له بدل، فعلى هذا اختلف القول فيه، ففي قول عليه صوم التمتع، وفي قول يُقَوَّمُ الشاة بدراهم ويجعل الدراهم طعاماً فيتصدق، به فإن عجز عن الإطعام صام عن كل مد من الطعام يوماً كما في فدية الطيب واللبس فإن الحرم إذا احتاج إلى ستر رأسه لحر أو برد أو إلى لبس قميص، أو مرض فاحتاج إلى مداواته بدواء فيه طيب فعل، وعليه الفدية، وفديته على الترتيب والتعديل فعليه ذبح شاة فإن لم يجد يُقَوَّمُ الشاة بدراهم والدراهم يشتري بها طعاماً فيتصدق به، فإن عجز صام عن كل مد يوماً. ثم المحصر إن كان إحرامه بغرض قد استقر عليه فذلك الغرض في ذمته وإن كان يحج تطوع فهل عليه القضاء؟ اختلفوا فيه فذهب جماعة إلى أنه لا قضاء عليه وهو قول مالك والشافعي، وذهب قوم إلى أن عليه القضاء، وهو قول مجاهد والشعبي والنخعي وأصحاب الرأي.

قوله تعالى ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [أي فعلية ما تيسر من الهدى]<sup>(١)</sup> ومحل رفع وقيل: ما في محل النصب أي فاهدي ما استيسر والهدى جمع هدية وهي اسم لكل ما يهدى إلى بيت الله تقريباً إليه، وما استيسر من الهدى شاة، قاله علي بن أبي طالب وابن عباس، لأنه أقرب إلى اليسر، وقال الحسن وقتادة: أعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ اختلفوا في المحل الذي يحل المحصر ببلوغ هديه إليه فقال بعضهم: هو ذبحه بالموضع الذي أحصر فيه سواء كان في الحل أو في الحرم، ومعنى محله: حيث يحل ذبحه فيه وأكله.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن محمد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرني الزهري أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة في قصة الحديبية قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا، فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يبق منهم أحد، دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك فانخرج، ثم لا تكلم أحداً منهم بكلمة حتى تنحر بُذْنُكَ وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج ولم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم

(٥) في «ب»: لا بدل له.

(١) ساقط من «أ».

يخلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً»<sup>(١)</sup> وقال بعضهم: محل هدي المحصر الحرم، فإن كان حاجباً فمحلّه يوم النحر، وإن كان معتمراً فمحلّه يوم يبلغ هديه الحرم تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ﴾ معناه لا تحلقوا رؤوسكم في حال الإحرام إلا أن تضطروا إلى حلقه لمرض أو لأذى في الرأس من هوام أو صداع ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ فيه إضمار، أي: فخلق فعله فدية نزلت في كعب بن عُجرة.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا الحسن بن خلف أخبرنا إسحاق بن يوسف عن أبي بشر ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: حدثني عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة أن رسول الله ﷺ رآه وقمله يسقط على وجهه فقال: أيؤذيك هوامك؟ قال نعم فأمره رسول الله ﷺ أن يخلق وهو بالحديبية ولم يبين لهم أنهم يحلون بها وهم على طمع أن يدخلوا مكة، فأنزل الله الفدية فأمره رسول الله ﷺ أن يطعم فرقاً بين ستة مساكين أو يهدي شاة أو يصوم ثلاثة أيام<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ﴾ أي ثلاثة أيام ﴿أَوْ صَدَقَةٌ﴾ أي ثلاثة أصع على ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع ﴿أَوْ نَسْكَ﴾ واحداً نسيكة أي ذبيحة، أعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة، أيها شاء ذبح، فهذه الفدية على التخيير والتقدير، ويتخير بين أن يذبح أو يصوم أو يتصدق، وكل هدي أو طعام يلزم المحرم يكون بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم إلا هدياً يلزم المحصر فإنه يذبحه حيث أحصر، وأما الصوم فله أن يصوم حيث شاء، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ أي من خوفكم وبرأتم من مرضكم ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ اختلفوا في هذه المتعة فذهب عبد الله ابن الزبير إلى أن معناه: فمن أحصر حتى فاتته الحج ولم يتحلل فقدم مكة يخرج من إحرامه بعمل عمرة واستمتع بإحلاله ذلك بتلك العمرة إلى السنة المستقبلية ثم حج فيكون متمتعاً بذلك الإحلال إلى إحرامه الثاني في العام القابل، وقال بعضهم معناه ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ وقد حللت من إحرامكم بعد الإحصار ولم تقضوا عمرة، وأخرتم العمرة إلى السنة القابلة، فاعتمرت في أشهر الحج ثم حللت فاستمتعتم بإحلالكم إلى الحج ثم أحرمت بالحج، فعليكم ما استيسر من الهدي، وهو قول علقمة وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير، وقال ابن عباس وعطاء وجماعة: هو الرجل يقدم معتمراً من أقب من الآفاق في أشهر الحج فقضى عمرته وأقام حلالاً بمكة حتى أنشأ منها الحج فحج من عامه ذلك فيكون مستمتعاً بالإحلال من العمرة إلى إحرامه بالحج، فمعنى التمتع هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة بما كان محظوراً عليه في الإحرام إلى إحرامه بالحج.

(١) رواه البخاري: في الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ٣٢٩/٥ - ٣٣٣

(٢) رواه البخاري في المحصر باب قوله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً﴾ ١٢/٤.

ومسلم في الحج باب جواز حلق الرأس للمحرم بقرن (١٢٠١) ١٦٠/٢.

ولوجوب دم التمتع أربع شرائط: أحدهما أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج، والثاني أن يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة، والثالث أن يحرم بالحج في مكة ولا يعود إلى الميقات لإحرامه، الرابع أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام، فمتى وجدت هذه الشرائط فعليه ما استيسر من الهدى، وهو دم شاة يذبحه يوم النحر فلو ذبحها قبله بعد ما أحرم بالحج يجوز عند بعض أهل العلم كدماء الجنائيات، وذهب بعضهم إلى أنه لا يجوز قبل يوم النحر / كدم الأضحية. ١/٣٠

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ أي صوموا ثلاثة أيام، يصوم يوماً قبل التروية ويوم عرفة، ولو صام قبله بعدما أحرم بالحج يجوز، ولا يجوز يوم النحر ولا أيام التشريق عند أكثر أهل العلم، وذهب بعضهم إلى جواز صوم الثلاث أيام التشريق.

يروى ذلك عن عائشة وابن عمر وابن الزبير وهو قول مالك والأوزاعي وأحمد وإسحاق.

قوله تعالى: ﴿وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ أي صوموا سبعة أيام إذا رجعتكم إلى أهليكم وبلدكم، فلو صام السبعة قبل الرجوع إلى أهله لا يجوز، وهو قول أكثر أهل العلم، روي ذلك عن ابن عمر وابن عباس وقيل يجوز أن يصومها بعد الفراغ من أعمال الحج، وهو المراد من الرجوع المذكور في الآية.

قوله تعالى ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ ذكرها على وجه التأكيد وهذا لأن العرب ما كانوا يهتمون إلى الحساب فكانوا يحتاجون إلى فضل شرح وزيادة بيان، وقيل: فيه تقديم وتأخير يعني فصيام عشرة أيام ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجعتكم فهي عشرة كاملة وقيل: كاملة في الثواب والأجر، وقيل: كاملة فيما أريد به من إقامة الصوم بدل الهدى وقيل: كاملة بشروطها وحدودها، وقيل لفظه خبر ومعناه أمر أي فأكملوها ولا تنقصوها ﴿ذَلِكَ﴾ أي هذا الحكم ﴿لَمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ واختلفوا في حاضري المسجد الحرام، فذهب قوم إلى أنهم أهل مكة وهو قول مالك، وقيل: هم أهل الحرم وبه قال طاووس من التابعين وقال ابن جريج: أهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلتان، وقال الشافعي رحمه الله: كل من كان وطنه من مكة على أقل من مسافة القصر فهو من حاضري المسجد الحرام، وقال عكرمة: هم من دون الميقات، وقيل هم أهل الميقات فما دونه، وهو قول أصحاب الرأي، ودم القران كدم التمتع والمكي إذا قرن أو تمتع فلا هدي عليه، قال عكرمة: سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال: أهل المهاجرون والأنصار وأزواج النبي ﷺ في حجة الوداع وأهلنا فلما قدمنا مكة، قال رسول الله: «اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا من قلد الهدى». فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة، وأتينا النساء ولبسنا الثياب ثم أمرنا عشية التروية أن نهل بالحج، فإذا فرغنا فقد تم حجنا وعلينا الهدى، فجمعوا نسكين في عام بين الحج والعمرة فإن الله أنزله في كتابه وسنة نبيه وأباحه للناس من غير أهل مكة قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (١).

(١) رواه البخاري: في الحج باب قوله تعالى ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ٤٣٣/٣.

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ  
فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرُؤُا فَايَاتِ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى وَاتَّقُونَ  
يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ  
فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ  
وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١١٨﴾

ومن فاته الحج، وفواته يكون بفوات الوقوف بعرفة حتى يطلع الفجر يوم النحر، فإنه يتحلل بعمل  
العمرة، وعليه القضاء من قابل والغدية وهي على الترتيب والتقدير كفدية التمتع والقران.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك  
عن نافع عن سليمان بن يسار أن هناد بن الأسود جاء يوم النحر وعمر بن الخطاب ينحر هديه فقال: يا أمير  
المؤمنين أخطأنا العدد، كنا نظن أن هذا اليوم يوم عرفة، فقال له عمر: اذهب إلى مكة فطف أنت ومن معك  
بالبيت واسعوا بين الصفا والمروة وانحروا هدياً إن كان معكم، ثم احلقوا أو قصروا ثم ارجعوا، فإذا كان عام قابل  
فحجوا واهدوا فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم<sup>(١)</sup>.

﴿واتقوا الله﴾ في أداء الأوامر ﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ على ارتكاب المناهي.

قوله تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات﴾ أي وقت الحج أشهر معلومات وهي: شوال وذو القعدة وتسع من  
ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر، ويروى عن ابن عمر شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة وكل  
واحد من اللفظين صحيح غير مختلف، فمن قال عشر عبر به عن الليالي ومن قال تسع عبر به عن الأيام، فإن  
آخر أيامها يوم عرفة، وهو يوم التاسع وإنما قال أشهر بلفظ الجمع وهي شهران وبعض الثالث لأنها وقت  
والعرب تسمي الوقت تاماً بقليله وكثيره فتقول العرب أتيتك يوم الخميس وإنما أتاه في ساعة منه، ويقول زرتك  
العام، وإنما زاره في بعضه، وقيل الاثنان فما فوقهما جماعة لأن معنى الجمع ضم الشيء إلى الشيء، فإذا جاز  
أن يسمى الاثنان جماعة جاز أن يسمى الاثنان وبعض الثالث بجماعة وقد ذكر الله تعالى الاثنان بلفظ الجمع  
فقال «فقد صغت قلوبكما» (٤ - التحريم) أي قلباً كما، وقال عروة بن الزبير وغيره: أراد بالأشهر شوالاً وذو  
القعدة وذو الحجة كماً لأنه يبقى على الحاج أمور بعد عرفة يجب عليه فعلها، مثل الرمي والذبح والحلق  
وطواف الزيارة والبيتوتة بمنى فكانت في حكم الحج ﴿فمن فرض فيهن الحج﴾ أي فمن أوجب على نفسه

(١) انظر: الموطأ: ٣٨٣/١ ووصله البيهقي: ١٧٥/٥ وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٩٢/٧.

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ  
 رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ  
 أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّكَاةِ، مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي  
 الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٣٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي  
 الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٣٥﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ  
 الْحِسَابِ ﴿٣٦﴾

الحج بالإحرام والتلبية وفيه دليل على أن من أحرم بالحج في غير أشهر الحج لا ينعقد إحرامه بالحج، وهو قول ابن عباس وجابر وبه قال عطاء وطاووس ومجاهد وإليه ذهب الأوزاعي والشافعي وقال ينعقد إحرامه بالعمرة لأن الله تعالى خص هذه الأشهر بغرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص فائدة، كما أنه علق الصلوات بالمواقيت ثم من أحرم بفرض الصلاة قبل دخول وقته لا ينعقد إحرامه عن الفرض وذهب جماعة إلى أنه ينعقد إحرامه بالحج وهو قول مالك والثوري وأبي حنيفة رضي الله عنهم، وأما العمرة: فجميع أيام السنة لها إلا أن يكون متلبساً بالحج، وروي عن أنس أنه كان بمكة فكان إذا حم رأسه خرج فاعتمر.

قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ بالرفع والتنوين فيهما، وقرأ الآخرون بالنصب من غير تنوين كقوله تعالى ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ وقرأ أبو جعفر كلها بالرفع والتنوين، واختلفوا في الرفث: قال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر هو الجماع وهو قول الحسن ومجاهد وعمر بن دينار وقتادة وعكرمة والربيع وإبراهيم النخعي، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: الرفث غشيان النساء والتقبيل والغمز، وأن يعرض لها بالفحش من الكلام قال حصين بن قيس أخذ ابن عباس رضي الله عنه بذنب بغيره فجعل يلويه وهو يحدو ويقول:

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيَسًا      إِنْ تَصَدَّقِ الطَّيْرُ نَبْكَ لَمِيَسًا

فقلت له أترث وأنت محرم، فقال إنما الرفث ما قيل عند النساء، قال طاووس: <sup>(١)</sup> الرفث التعريض للنساء بالجماع وذكره بين أيديهن، وقال عطاء: الرفث قول الرجل للمرأة في حال الإحرام إذا حلت أصبتك، وقيل: الرفث الفحش والقول القبيح، أما الفسوق: قال ابن عباس: هو المعاصي كلها وهو قول طاووس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع والقرظي، وقال ابن عمر: هو ما نهى عنه المحرم في حال

(١) رواه ابن جرير بسند صحيح: ١٢٧/٤.

وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٣﴾

الإحرام من قتل الصيد وتقليم الأظافر، وأخذ الأشعار، وما أشبههما وقال إبراهيم وعطاء ومجاهد؛ هو السبب بدليل قول النبي ﷺ «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»<sup>(١)</sup> وقال الضحاك هو التنازع بالألقاب بدليل قوله تعالى: «ولا تنازعوا بالألقاب بسبب الاسم الفسوق بعد الإيمان» (١١ - الحجرات).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا آدم أخبرنا سيار أبو الحكم / قال سمعت أبا حازم يقول: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى ﴿ولا جدال في الحج﴾ قال ابن مسعود وابن عباس: الجدال أي يماري صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه، وهو قول عمرو بن دينار وسعيد بن جبير وعكرمة والزهري وعطاء وقتادة، وقال القاسم بن محمد: هو أن يقول بعضهم الحج اليوم ويقول بعضهم الحج غداً، وقال القرظي: كانت قريش إذا اجتمعت بمنى قال هؤلاء: حجنا أتم من حجكم، وقالوا هؤلاء: حجنا أتم من حجكم وقال مقاتل: هو أن النبي ﷺ قال لهم في حجة الوداع وقد أحرموا بالحج: «اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا من قلد الهدى»<sup>(٣)</sup> قالوا كيف نجعله عمرة وقد سمينا الحج؟ فهذا جدالهم، وقال ابن زيد: كانوا يقفون مواقف مختلفة كلهم يزعم أن موقفه موقف إبراهيم يتجادلون فيه، وقيل: هو ما كان عليه أهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بالمزدلفة، وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وكان بعضهم يحج في ذي الحجة فكل يقول ما فعلته فهو الصواب، فقال جل ذكره ﴿ولا جدال في الحج﴾ أي استقر أمر الحج على ما فعله رسول الله ﷺ فلا اختلاف فيه من بعد، وذلك معنى قول النبي ﷺ: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض»<sup>(٤)</sup> قال مجاهد: معناه ولا شك في الحج أنه في ذي الحجة فأبطل النسيء قال أهل المعاني: ظاهر الآية نفي، ومعناها نهى، أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا، كقوله

(١) رواه البخاري في الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله ١١٠/١.

ومسلم في الإيمان باب قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» برقم (١١٦) ٨١/١، والمصنف في شرح السنة: ٧٦/١.

(٢) رواه البخاري في الحج باب فضل الحج المبرور ٣٨٢/٣.

ومسلم: في الحج باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة برقم (١٣٥٠) ٩٨٣/٢، والمصنف في شرح السنة: ٤/٧.

(٣) سبق تخريجه انظر فيما سبق ص (٢٢٥).

(٤) قطعة من حديث رواه البخاري في الأضاحي باب من قال الأضحية يوم النحر ٧/١٠.

ومسلم: في القسامة باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال برقم (١٦٧٩) ١٣٠٥/٣.

والمصنف في شرح السنة ٢١٦/٧.

تعالى «لا ريب فيه» أي لا ترتابوا ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ أي لا يخفى عليه فيجازيكم به.  
قوله تعالى: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ نزلت في ناس من أهل اليمن كانوا يخرجون إلى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون، ويقولون: نحن نحج بيت الله فلا يطعمنا؟ فإذا قدموا مكة سألوا الناس، وربما يفضي بهم الحال إلى النهب والغصب، فقال الله عز وجل ﴿وتزودوا﴾ أي ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم، قال أهل التفسير: الكعك والزبيب والسويق والتمر ونحوها ﴿فإن خير الزاد التقوى﴾ من السؤال والنهب ﴿وأتقون يا أولى الأبواب﴾ يا ذوي العقول.

قوله تعالى: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا علي بن عبد الله أخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية فلما كان الإسلام تأثمتا من التجارة فيها فأنزل الله تعالى ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ في مواسم الحج، قرأ ابن عباس كذا،<sup>(١)</sup> وروى عن أبي أمامة التيمي قال: قلت لابن عمر: إنا قوم نكري في هذا الوجه، يعني إلى مكة، فيزعمون أن لا حج لنا، فقال: ألسنتم تحرمون كما يحرمون وتطوفون كما يطوفون وترمون كما يرمون؟ قلت بلى، قال: أنت حاج: جاء رجل إلى النبي ﷺ يسأله عن الذي سألتني عنه فلم يجبه بشيء حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿ليس عليكم جناح﴾ أي حرج ﴿أن تبتغوا فضلاً﴾ أي رزقاً ﴿من ربكم﴾ يعني بالتجارة في مواسم الحج ﴿فإذا أفضتم﴾ دفعتم، والإفاضة: دفع بكثرة وأصله من قول العرب: أفاض الرجل ماء أي صبّه ﴿من عرفات﴾ هي جمع عرفة، جُمع بما حولها وإن كانت بقعة واحدة كقولهم ثوب أخلاق.

واختلفوا في المعنى الذي لأجله سمي الموقف عرفات واليوم عرفة فقال عطاء: كان جبريل عليه السلام يري إبراهيم عليه السلام المناسك ويقول عرفت؟ فيقول عرفت فسمي ذلك المكان عرفات واليوم عرفة، وقال الضحاك: إن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض وقع بالهند وحواء بمجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعارفا فسمي اليوم عرفة والموضع عرفات، وقال السدي لما أذن إبراهيم في الناس بالحج وأجابوه بالتلبية وأتاه من أتاه أمره الله أن يخرج إلى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الجمرة<sup>(٢)</sup> عند العقبة استقبله الشيطان ليرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية، فرماه وكبر فطار، فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فلما رأى الشيطان أنه لا يطيعه ذهب فانطلق إبراهيم حتى أتى ذا الحجاز، فلما نظر إليه لم يعرفه فجاز فسمي ذا الحجاز، ثم انطلق حتى وقف بعرفات فعرفها بالنعت فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات حتى إذا أمسى ازدلف إلى جمع،

(١) أخرجه البخاري في البيوع: ٣٢١/٤ وفي الحج ٣٩٥/٣ والمصنف في شرح السنة: ٣/٨.

(٢) في المخطوطتين الشجرة والصحيح الجمرة كما جاء في أكثر التفاسير كابن كثير.



أي قرب إلى جمع، فسمي المزدلفة.

وروي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه أن إبراهيم عليه السلام رأى ليلة التروية في منامه أنه يؤمر بذبح ابنه فلما أصبح روى يومه أجمع أي فكّر، أمن الله تعالى هذه الرؤيا أم من الشيطان؟ فسمي اليوم يوم التروية، ثم رأى ذلك ليلة عرفة ثانياً فلما أصبح عرف أن ذلك من الله تعالى فسمي اليوم يوم عرفة، وقيل سمي بذلك لأن الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم، وقيل سمي بذلك من العرف وهو الطيب، وسمي منى لأنه بمنى فيه الدم أي يصب فيكون فيه الفروث والدماء ولا يكون الموضع طيباً وعرفات طاهرة عنها فتكون طيبة.

قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالدعاء والتلبية ﴿عند المشعر الحرام﴾ وهو ما بين جبلي المزدلفة من مأزمتي عرفة إلى المحسر، وليس المأزمان ولا المحسر من المشعر، وسمي مشعراً من الشعار وهي العلامة لأنه من معالم الحج، وأصل الحرام: من المنع فهو، ممنوع أن يفعل فيه ما لم يؤذن فيه، وسمي المزدلفة جمعاً: لأنه يُجمع فيه بين صلاتي العشاء، والإفاضة من عرفات تكون بعد غروب الشمس، ومن جمع قبل طلوعها من يوم النحر.

قال طاووس كان أهل الجاهلية يدفعون من عرفة قبل أن تغيب الشمس ومن مزدلفة بعد أن تطلع الشمس ويقولون: أشرق ثبير<sup>(١)</sup> كيما نغير فأخّر الله هذه وقدم هذه.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن موسى بن عقبة عن كريب مولى عبد الله بن عباس عن أسامة بن زيد أنه سمعه يقول: «دفع رسول الله ﷺ من عرفة حتى إذا كان بالشعب نزل فبال، ثم توضأ فلم يسبغ الوضوء، فقلت له: الصلاة يا رسول الله قال: فقال الصلاة أمامك، فركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم أناخ كل إنسان بعيره في منزله، ثم أقيمت العشاء فصلاها ولم يصل بينهما شيئاً»<sup>(٢)</sup>.

وقال جابر: «دفع رسول الله ﷺ حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبغ بينهما شيئاً، ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلّى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة، فدعاه وكبّره وهلله ووحدته، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً فدفع قبل أن تطلع الشمس»<sup>(٣)</sup>.

(١) جبل بين مكة ومنى وهو على يمين الداخل منها إلى مكة.

(٢) رواه البخاري: في الحج باب النزول بين عرفة وجمع ٥١٩/٣ ومسلم في الحج — باب الإفاضة في عرفات إلى مزدلفة برقم (١٢٨٠). ٩٣٤/٢.

(٣) رواه مسلم في الحج باب حجة النبي ﷺ برقم (١٢١٨) ٨٨٦/٢. والمصنف في شرح السنة: ٦٥/٧.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا زهير / بن حرب أخبرنا وهب بن جرير أخبرنا أبي عن يونس الأيلي عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أسامة بن زيد كان ردف النبي ﷺ من عرفة إلى المزدلفة ثم أردف الفضل من مزدلفة إلى منى، قال: فكلاهما قال لم يزل النبي ﷺ يلبي حتى رمى جمرة العقبة»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ أي واذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ أي وقد كنتم، وقيل: وما كنتم من قبله إلا من الضالين. كقوله تعالى: «وإن نظنك لمن الكاذبين» (١٨٦ — الشعراء) أي: وما نظنك إلا من الكاذبين، والهاء في قوله «من قبله» راجعة إلى الهدى، وقيل: إلى الرسول ﷺ، كناية عن غير مذكور.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ قال أهل التفسير، كانت قريش وحلفاؤها ومن دان بدينها، وهم الحُمْس، يقفون بالمزدلفة ويقولون: نحن أهل الله، وقطان حرمه، فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه، ويتعظمون أن يقفوا مع سائر العرب بعرفات، وسائر الناس كانوا يقفون بعرفات، فإذا أفاض الناس من عرفات أفاض الحُمْس من المزدلفة، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منها إلى جَمْع مع سائر الناس، وأخبرهم أنه سنة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وقال بعضهم خاطب به جميع المسلمين. وقوله تعالى ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ من جَمْع أي ثم أفيضوا من جَمْع إلى منى، وقالوا لأن الإفاضة من عرفات قبل الإفاضة من جمع، فيكف يسوغ أن يقول فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ثم أفيضوا من عرفات؟ والأول قول أكثر أهل التفسير.

وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره: فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام.

وقيل: ثم بمعنى الواو أي وأفيضوا، كقوله تعالى: «ثم كان من الذين آمنوا» (١٧ — البلد) وأما الناس فهم العرب كلهم غير الحمس.

وقال الكلبي: هم أهل اليمن وربيعة، وقال الضحاك: الناس هاهنا إبراهيم عليه السلام وحده كقوله تعالى «أم يحسدون الناس» (٥٤ — النساء) وأراد محمداً ﷺ وحده ويقال هذا الذي يقتدى به ويكون

(١) رواه البخاري: في الحج باب النزول بين عرفة وجمع ٣/٥١٩.

ومسّم في الحج باب استحباب إذا دفع الحاج التلبية حتى يشرع في رمي جمرة العقبة برقم (١٢٨١) ٣٩١/٢ واللفظ له. وانصنف في شرح السنة ١٨٥٧.

لسان قومه وقال الزهري: الناس هاهنا آدم عليه السلام وحده دليله قراءة سعيد بن جبير ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس بالبلاء ويقال: هو آدم نسي عهد الله حين أكل من الشجرة.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: سئل أسامة وأنا جالس كيف كان يسير رسول الله ﷺ في حجة الوداع حين دفع؟ قال: كان يسير العنق فإذا وجد فجوة نص<sup>(١)</sup>، قال هشام: والنص فوق العنق.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد ابن إسماعيل أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا إبراهيم بن سويد حدثني عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب قال أخبرني سعيد بن جبير مولى والبة الكوفي حدثني ابن عباس أنه دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة فسمع النبي ﷺ وراءه زجراً شديداً وضرباً للابل فأشار بسوطة إليهم وقال: «أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع»<sup>(٢)</sup>، ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَاسِكُكُمْ﴾ أي فرغتم من حجكم وذبحتم نسائكم، أي ذبائحكم، يقال: نسك الرجل ينسك نسكا إذا ذبح نسكته، وذلك بعد رمي جمرة العقبة والاستقرار بمنى. ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتكبير والتحميد والثناء عليه ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ وذلك أن العرب كانت إذا فرغت من الحج وقفت عند البيت فذكرت مفاخر آبائها، فأمرهم الله تعالى بذكره وقال: فاذكروني فأنا الذي فعلت ذلك بكم وبآبائكم وأحسن إليكم وإليهم.

قال ابن عباس وعطاء: معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء، وذلك أن الصبي أول ما يتكلم يلهج<sup>(٤)</sup> بذكر أبيه لا يذكر غيره فيقول الله فاذكروا الله لا غير كذكر الصبي أباه أو أشد، وسئل ابن عباس عن قوله ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ فقيل قد يأتي على الرجل اليوم ولا يذكر فيه أباه، قال ابن عباس: ليس كذلك ولكن أن تغضب لله إذا عصي أشد من غضبك لوالديك إذا شتما، وقوله تعالى ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ يعني: وأشدَّ ذكراً، وبل أشد، أي وأكثر ذكراً ﴿فَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾ أراد به المشركين كانوا لا يسألون الله تعالى في الحج إلا الدنيا يقولون اللهم أعطنا غنماً وإبلًا وبقراً وعبيداً، وكان الرجل يقوم فيقول يارب: إن أبي كان عظيم القبة كبير الجفنة كثير المال فأعطني مثل ما

(١) رواه البخاري: في الحج — باب: السير إذا دفع من عرفة ١١٨/٣.

(٢) السير السريع فين صلى الله عليه وسلم في هذا أن تكلف الاسراع في السير ليس مما يتقرب به.

(٣) رواه البخاري: في الحج. باب: أمر النبي ﷺ بالسكينة عند الإفاضة ٥٢٢/٣.

ومسلم في الحج. باب: استحباب إقامة الحاج التلبية حتى يشرع في رمي جمرة العقبة برقم (١٢٨٢) ٩٣٢/٢.

(٤) في: أ: يُلْهَم.

أعطيته، قال قتادة هذا عبد نيتّه الدنيا لها أنفق ولها عمل ونَصَب ﴿وماله في الآخرة من خلاق﴾ من حظ ونصيب ﴿ومنها من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ يعني المؤمنين، واختلفوا في معنى الحسنتين قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الدنيا حسنة: امرأة صالحة، وفي الآخرة حسنة: الجنة.

أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنفي أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الطوسي أخبرنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلاد أنا الحارث بن أبي أسامة أنا أبو عبد الرحمن المقرئ أخبرنا حيوة وابن لهيعة قالوا أخبرنا شرحبيل بن شريك أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»<sup>(١)</sup> وقال الحسن: في الدنيا حسنة: العلم والعبادة، وفي الآخرة حسنة، الجنة، وقال السدي وابن حيان: ﴿في الدنيا حسنة﴾ رزقاً حلالاً وعملاً صالحاً، ﴿وفي الآخرة حسنة﴾ المغفرة والثواب.

أخبرنا أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن أبي توبة أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبد الله بن محمود أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيوب حدثني عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ»<sup>(٢)</sup> ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه، فأطاعه في السر، وكان غامضاً في الناس لا يشار إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافاً، فصبر على ذلك، ثم (نفض يده)<sup>(٣)</sup> فقال: عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه»<sup>(٤)</sup>.

وقال قتادة: في الدنيا عافية وفي الآخرة عافية. وقال عوف في هذه الآية: من آتاه الله الإسلام والقرآن وأهلاً ومالاً فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة.

أخبرنا الشيخ أبو القاسم عبد الله بن علي الكركاني الطوسي أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمش

(١) رواه مسلم: في الرضاع باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة برقم (١٤٦٧) ١٠٩٠/٢.

والمصنف في شرح السنة ١١/٩.

(٢) «خفيف الحاذ»، أي: خفيف الحال، قليل المال، وأصله: قلة اللحم، والحال والحاذ واحد، وهو ما وقع عليه اللبد من متن الفرس، انظر: شرح السنة: ٢٤٦/١٤.

(٣) وفي (ب) نقد يده.

(٤) رواه الترمذي: في الزهد باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه ١٢/٧ وقال هذا حديث حسن.

وابن ماجه: في الزهد باب من لا يؤبه له ١٣٧٩/٢ وقال في الزوائد: إسناده ضعيف لضعف أيوب بن سليمان، قال فيه أبو حاتم: مجهول وبعه على ذلك الذهبي في الطبقات وغيرها، وصدقه بن عبد الله متفق على تضعيفه.

ورواه أحمد: ٢٥٢/٥ - ٢٥٥ عن أبي أمامة.

ورواه المصنف في شرح السنة ٢٤٦/١٤.

وفي إسناده على بن يزيد بن أبي زياد الألهاني أبو عبد الملك الدمشقي ضعيف من السادسة (التقريب).

الريادي أخبرنا أبو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور السمسار أخبرنا أبو حاتم محمد بن ادريس الحنظلي الرازي أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري أخبرنا حميد الطويل عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: رأى رسول الله ﷺ رجلاً قد صار مثل الفرخ فقال: «هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه؟ فقال يارسول الله كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال: سبحان الله إذن لا تستطيعه ولا تطيقه فهلا قلت «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا [أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أخبرنا]<sup>(٢)</sup> أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبي اسحاق الحجاجي أخبرنا أبو العباس محمد بن عبد الرحمن الدعولي أخبرنا محمد بن مشكان أخبرنا أبو داود أخبرنا شعبة عن ثابت عن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»<sup>(٣)</sup>.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أخبرنا سعيد بن سالم القداح عن ابن جريج عن يحيى بن عبيد مولى السائب عن أبيه عن عبد الله بن السائب أنه سمع النبي ﷺ يقول: فيما بين ركن بني جمح والركن الأسود «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى ﴿أولئك لهم نصيب﴾ حظ ﴿مما كسبوا﴾ من الخير والدعاء بالثواب والجزاء ﴿والله سريع الحساب﴾ يعني إذا حاسب فحسابه سريع لا يحتاج إلى عقد يد ولا وعي صدر ولا إلى روية ولا فكر.

قال الحسن: أسرع من لمح البصر وقيل: معناه إتيان القيامة قريب لأن ما هو كائن لا محالة فهو قريب، قال الله تعالى: «وما يدريك لعل الساعة قريب» (١٧ — الشورى).

قوله تعالى ﴿واذكروا الله﴾ يعني التذكيرات أذبار الصلاة وعند الجمرات يكبر مع كل حصاة وغيرها من الأوقات ﴿في أيام معدودات﴾ الأيام المعدودات: هي أيام التشريق، وهي أيام منى ورمي

(١) رواه مسلم: في الذكر باب كراهية الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا برقم (٢٦٨٨) ٤/٢٠٦٨.

(٢) ساقط من «أ».

(٣) رواه البخاري: في الدعوات باب قول النبي ﷺ (ربنا آتنا...) ١١/١٩١.

ومسلم: في الذكر باب فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة... برقم (٢٦٩٠) ٤/٢٠٧٠.

(٤) رواه أبو داود في المناسك باب الدعاء في الطواف ٢/٣٨١.

وأحمد: ٤١١/٣ عن عبد الله بن السائب.

وصححه ابن حبان برقم (١٠٠١) في الحج، والحاكم: ٤٥٥/١ ووافقه الذهبي وعزاه المنذري في مختصر أبي داود للنسائي.

والمصنف في شرح السنة ١٢٨/٧.

الجمار، سميت معدودات لقلتهن كقوله: «دراهم معدودة» (٢٠ — يوسف) والأيام المعلومات: عشر ذي الحجة آخرهن يوم النحر. هذا قول أكثر أهل العلم وروى عن ابن عباس المعلومات: يوم النحر ويومان بعده والمعدودات أيام التشريق، وعن علي قال: المعلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده، وقال عطاء عن ابن عباس المعلومات يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق. وقال محمد بن كعب: هما شيء واحد وهي أيام التشريق، وروى عن نبيشة الهذلي قال: قال رسول الله ﷺ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله»<sup>(١)</sup>.

ومن الذكر في أيام التشريق: التكبير، واختلفوا فيه فروى عن عمر وعبد الله بن عمر أنهما كانا يكبران بمنى تلك الأيام خلف الصلاة وفي المجلس وعلى الفراش والفسطاط وفي الطريق ويكبر الناس بتكبيرهما ويتأولان هذه الآية. والتكبير أدبار الصلاة مشروع في هذه الأيام في حق الحاج وغير الحاج عند عامة العلماء واختلفوا في قدره فذهب قوم إلى أنه يُبتدأ التكبير عقيب صلاة الصبح من يوم عرفة ويختتم بعد العصر من آخر أيام التشريق، يروى ذلك عن علي رضي الله عنه، وبه قال مكحول، وإليه ذهب أبو يوسف رضي الله عنه، وذهب قوم إلى أنه يُبتدأ التكبير عقيب صلاة الصبح من يوم عرفة ويختتم بعد العصر من يوم النحر، يروى ذلك عن بن مسعود رضي الله عنه وبه قال أبو حنيفة، وقال قوم يبتدأ عقيب صلاة الظهر من يوم النحر ويختتم بعد الصبح من آخر أيام التشريق، يروى ذلك عن ابن عباس وبه قال مالك والشافعي، قال الشافعي: لأن الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت التلبية يأخذون في التكبير يوم النحر من صلاة الظهر، ولفظ التكبير: كان سعيد بن جبير والحسن يقولان: الله أكبر الله أكبر الله أكبر ثلاثاً نسقاً — وهو قول أهل المدينة، وإليه ذهب الشافعي، وقال: وما زاد من ذكر الله فهو حسن، وعند أهل العراق يكبر اثنتين يروى ذلك عن ابن مسعود.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ أراد أن من نفر من الحاج في اليوم الثاني من أيام التشريق ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ وذلك أن على الحاج أن يبيت بمنى الليلة الأولى والثانية من أيام التشريق ويرمي كل يوم بعد الزوال إحدى وعشرين حصاة، عند كل جمرة سبع حصيات، ورخص في ترك البيوتة لرعاء الإبل وأهل سقاية الحاج<sup>(٢)</sup>، ثم كل من رمى اليوم الثاني من أيام التشريق وأراد أن ينفر فيدع البيوتة الليلة الثالثة ورمى يومها فذلك له واسع لقوله تعالى ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ ومن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه أن يبيت حتى يرمي اليوم الثالث ثم ينفر، قوله تعالى ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾

(١) رواه مسلم: في الصيام باب تحريم صوم أيام التشريق برقم (١١٤١) ٨٠٠/٢.

والمصنف في شرح السنة ٣٥١/٦.

(٢) عن ابن عباس قال: استأذن العباس رسول الله ﷺ أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل سقايتهم فأذن له (متفق عليه). وعن عاصم بن عدي أن رسول الله ﷺ (رخص لرعاء الإبل في البيوتة عن منى يرمون يوم النحر ثم يرمون الغداة ومن بعد الغد ليومين ثم يرمون يوم النفر) رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن ومالك والشافعي وابن حبان والحاكم وانظر: نيل الأوطار للشوكاني ١٨٧/٦ و ١٩٠.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ  
 أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ  
 وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ  
 وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ  
 رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾

يعني لا إثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني في تعجيله ومن تأخر حتى ينفر في اليوم الثالث ﴿فلا إثم عليه﴾ في تأخره. وقيل: معناه ﴿فمن تعجل﴾ فقد ترخص ﴿فلا إثم عليه﴾ بالترخص ﴿ومن تأخر فلا إثم عليه﴾ بترك الترخص وقيل معناه رجع مغفوراً له، لا ذنب عليه تعجل أو تأخر، كما روينا من «حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»<sup>(١)</sup> وهو قول علي وابن مسعود.

قوله تعالى: ﴿لمن اتقى﴾ أي لمن اتقى أن يصيب في حجه شيئاً نهاه الله عنه كما قال: «من حج فلم يرفث ولم يفسق» قال ابن مسعود: إنما جعلت مغفرة الذنوب لمن اتقى الله تعالى في حجه، وفي رواية الكلبي عن ابن عباس معناه ﴿لمن اتقى﴾ الصيد لا يحل له أن يقتل صيداً حتى تخلو<sup>(٢)</sup> أيام التشريق، وقال أبو العالية ذهب إثم إن اتقى فيما بقي من عمره [﴿واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون﴾ تجمعون في الآخرة فيجزىكم بأعمالكم]<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾ قال الكلبي ومقاتل وعطاء: نزلت في الأحنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه أبي وسمي الأحنس لأنه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله ﷺ: وكان رجلاً حلو الكلام، حلو المنظر، وكان يأتي رسول الله ﷺ فيجالسه ويظهر الإسلام، ويقول إني لأحبك، ويخلف بالله على ذلك، وكان منافقاً، فكان رسول الله ﷺ يديني مجلسه فنزل قوله تعالى ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾<sup>(٤)</sup> أي تستحسنه ويعظم في قلبك، ويقال في الاستحسان أعجبنى كذا وفي الكراهية والإنكار عجبت من كذا ﴿ويشهد الله على ما في قلبه﴾ يعني قول المنافق: والله إني بك مؤمن ولك محب ﴿وهو ألد الخصام﴾ أي شديد الخصومة، يقال لددت يا هذا وأنت تلد لدأ ولدادة، فإذا أردت أنه غلب على خصمه قلت: لديه يلده لدأ، يقال: رجل ألد وامرأة لداء وقوم لدأ، قال الله تعالى: «وتنذر به قوماً لدأ» (٩٧ — مريم). قال الزجاج: اشتقاقه من لذيدي العنق وهما صفحتاه، وتأويله: أنه في أي وجه أخذ من يمين أو شمال في أبواب الخصومة غلب،

(١) سبق تحريجه — انظر: ص ٢٢٧

(٣) ساقط من: ب.

(٤) انظر: الطبري: ٢٢٩/٤، أسباب النزول للواحدي ص (٩٦).

(٢) يعني: تنقضي.

والخصام مصدر خاصمه خصاماً وخصامة قاله أبو عبيدة. وقال الزجاج: هو جمع خصم يقال: خصم وخصام وخصوم مثل بحر ومحار ومحور قال الحسن: ألد الخصام أي كاذب القول، قال قتادة: شديد القسوة في المعصية، جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا أبو عاصم عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «إن أبغض الرجال إلى الله تعالى الألدُّ الخُصِم»<sup>(١)</sup> ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ أي أدبر وأعرض عنك ﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ﴾ أي عمل فيها، وقيل: سار فيها ومشى ﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ قال ابن جريج قطع الرحم وسفك دماء المسلمين ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ وذلك أن الأخنس<sup>(٢)</sup> كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلاً فأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم<sup>(٣)</sup>.

قال مقاتل: خرج إلى الطائف مقتضياً مالاً له على غريم فأحرق له كُدساً وعقر له أتاناً، والنسل نسل كل دابة والناس منهم، وقال الضحاك: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ أي ملك الأمر وصار والياً ﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ﴾ قال مجاهد: في قوله عز وجل ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ﴾ قال إذا ولي فعمل بالعدوان والظلم أمسك الله المطر وأهلك الحرث والنسل ﴿وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الْفُسَادَ﴾ أي لا يرضى بالفساد، قال سعيد بن المسيب: قطع الدرهم من الفساد في الأرض.

قوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ أي خف الله ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ أي حملته العزة وحمية الجاهلية على الفعل بالإثم أي بالظلم، والعزة: التكبر والمنعة، وقيل معناه ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾ للإثم الذي في قلبه، فأقام الباء مقام اللام.

قوله ﴿فَحَسِبْهُ جَهَنَّمَ﴾ أي كافيه ﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ أي الفراش، قال عبد الله بن مسعود: إن من أكبر الذنب عند الله أن يقال: للعبد اتق الله فيقول: عليك بنفسك.

وروي أنه قيل لعمر بن الخطاب: اتق الله، فوضع خده على الأرض تواضعاً لله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ أي لطلب رضا الله تعالى ﴿وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ روي عن ابن عباس والضحاك: إن هذه الآية نزلت في سرية الرجيع وذلك أن كفار قريش بعثوا إلى رسول الله ﷺ وهو بالمدينة: إنا قد أسلمنا فابعث إلينا نفرًا من علماء أصحابك يعلموننا دينك، وكان ذلك مكرًا منهم، فبعث رسول الله ﷺ خبيب بن عدي الأنصاري ومُرثد بن أبي مرثد الغنوي وخالد بن بُكَيْر وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوي وزيد بن الدِّثْنَة وأمر عليهم عاصم ابن

(١) رواه البخاري: في التفسير باب الألد الخصم ١٣ / ١٨٠.

ومسلم: في العلم باب الألد الخصم برقم (٢٦٦٨) ٤ / ٢٠٥٤.

والمصنف في شرح السنة ٩٧ / ١٠.

(٢) الأخنس بن شريق — بشين مفتوحة وراء مكسورة وقاف في آخره — رجل من ثقيف.

(٣) انظر: تفسير الواحدي: ٣٠٢ / ١، أسباب النزول له أيضاً ص (٥٨).



ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري، قال أبو هريرة: بعث رسول الله ﷺ عشرة عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري فساروا فنزلوا ببطن الرجيع بين مكة والمدينة ومعهم تمر عجوة فأكلوا فمرت عجوز فأبصرت النوى فرجعت إلى قومها بمكة وقالت: قد سلك هذا الطريق أهل يثرب من أصحاب محمد ﷺ، فركب سبعون رجلاً، منهم معهم الرماح حتى أحاطوا بهم، قال أبو هريرة رضي الله عنه: ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام فاقتفوا آثارهم حتى وجدوا مأكلكهم التمر في منزل نزلوه فقالوا: تمر يثرب، فاتبعوا آثارهم، فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدفة<sup>(١)</sup> فأحاط بهم القوم فقتلوا مرثداً وخالداً وعبد الله بن طارق، ونثر عاصم بن ثابت كنانته وفيها سبعة أسهم فقتل بكل سهم رجلاً من عظماء المشركين ثم قال: اللهم إني حميت دينك صدر النهار فاحم لحيي آخر النهار، ثم أحاط به المشركون فقتلوه، فلما قتلوه أرادوا حز رأسه لبيعه من سُلالة بنت سعد بن شُهَيْد وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشرين في قحفه الخمر فأرسل الله رجلاً من الدُّبُر<sup>(٢)</sup> — وهي الزناير — فحمت عاصماً فلم يقدروا عليه فسمي حمي الدُّبُر فقالوا دعوه حتى تمسي فتذهب عنه فنأخذه فجاءت سحابة سوداء وأمطرت مطراً كالغزالي<sup>(٣)</sup> فبعث الله الوادي غديراً فاحتمل عاصماً به فذهب به إلى الجنة وحمل خمسين من المشركين إلى النار وكان عاصم قد أعطى الله تعالى عهداً أن لا يمس مشرك ولا يمس مشركاً أبداً.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أن الدُّبُر منعه يقول: عجبا لحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذر أن لا يمس مشرك ولا يمس مشركاً أبداً فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع عاصم في حياته.

وأمر المشركون خبيب بن عدي الأنصاري، وزيد بن الدثنة فذهبا بهما إلى مكة، فأما خبيب فابتاعه بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ليقتلوه بأيهم، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيراً حتى أجمعوا على قتله فاستعار من بنات الحارث موسى ليستحذ بها فأعارته فدرج بُني لها وهي غافلة فما راع المرأة إلا خبيب قد أجلس الصبي على فخذه والموسى بيده، فصاحت المرأة فقال خبيب: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن الغدر ليس من شأننا، فقالت المرأة بعد: والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل قطعاً من عنب في يده وإنه لموثق بالحديد، وما بمكة من ثمرة، إن كان إلا رزقاً رزقه الله خبيباً، ثم إنهم خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل وأرادوا أن يصلبوه فقال لهم خبيب دعوني أصلي ركعتين، فتركوه فكان خبيب هو أول من سن لكل مسلم قتل صبراً<sup>(٤)</sup> الصلاة، فركع ركعتين، ثم قال لولا أن يحسبوا أن ما بي جزع لزدت، اللهم أحصهم

(١) الفدفة: المكان الصلب الغليظ المرتفع وفي أ: قُدِير.

(٢) الكثير من الدُّبُر.

(٣) الغزالي: جمع الغزاة وهو فم المزةة الأسفل، شبه اتساع المطر واندفاعه بالذي يخرج من فم المزةة.

(٤) كل ذي روح يوثق حتى يقتل فقد قتل صبراً.

عدداً واقتلهم بدداً ولا تبق منهم أحداً ثم أنشأ يقول:

فَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا      على أَيِّ شَيْءٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَصْرَعِي  
وذلك في ذاتِ الإلهِ وإنْ يَشَأْ      يُبَارِكْ على أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ

فصلبوه حياً فقال اللهم: إنك تعلم أنه ليس أحد حولي يبلغ سلامي رسولك فأبلغه سلامي، ثم قام أبو سروعة عقبة بن الحرث فقتله.

ويقال: كان رجل من المشركين يقال له سلامان، أبو ميسرة، معه ربح فوضعه بين ثديي خبيب فقال له خبيب: اتق الله فما زاده ذلك إلا عَتُوًّا فطعنه فأنفذه وذلك قوله عز جل ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ يعني سلامان. وأما زيد بن الدثنة فابنته صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف فبعثه مع مولى له يسمى نسطاس إلى التنعيم ليقتله بأبيه واجتمع رهط من قريش فبهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قُدِّمَ لِيُقْتَلَ: أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمداً عندنا الآن بمكانك تضرب عنقه وأنت في أهلك؟ فقال: والله ما أحب أن محمداً ﷺ الآن في مكانه الذي هو فيه يصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي. فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً، ثم قتله النسطاس. فلما بلغ النبي ﷺ هذا الخبر قال لأصحابه أيكم (ينزل) <sup>(١)</sup> خبيباً عن خشبته وله الجنة؟ فقال الزبير: أنا يا رسول الله وصاحبي المقداد بن الأسود، فخرجنا يمشيان بالليل ويكمنان بالنهار حتى أتيا التنعيم ليلاً / وإذا حول الخشب أربعون رجلاً من المشركين نائمون نشاوى فأنزلاه فإذا هو رطب ينثي لم يتغير منه شيء بعد أربعين يوماً، ويده على جراحته وهي تبض دماً اللون لون الدم والريح ريح المسك، فحملة الزبير على فرسه وسارا فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيباً فأخبروا قريشاً فركب منهم سبعون، فلما لحقهما قذف الزبير خبيباً فابتلعه الأرض فسمي بليع الأرض.

ب/٣١

فقال الزبير: ما جرأكم علينا يا معشر قريش، ثم رفع العمامة عن رأسه وقال: أنا الزبير بن العوام وأمي صفية بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الأسود أسدان رابضان يدفعان عن شبلهما فإن شئتم ناضلتكم وإن شئتم نازلتكم وإن شئتم انصرفتم، فانصرفوا إلى مكة، وقدا على رسول الله ﷺ وجبريل عنده فقال يا محمد إن الملائكة لتباهي بهذين من أصحابك فنزل في الزبير والمقداد بن الأسود ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ حين شريا أنفسهما لإنزال خبيب عن خشبته <sup>(٢)</sup>.

وقال أكثر المفسرين: نزلت في صهيب بن سنان الرومي حين أخذه المشركون في رهط من المؤمنين

(١) في أغزل.

(٢) انظر فتح الباري: ٣٧٨/٧ - ٣٧٩ وعبون الأثر لابن سيد الناس: ٥٦/٢ - ٦٦.

فعدبهم، فقال لهم صهيب إني شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنتم أم من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالي وتذروني وديني؟ ففعلوا، وكان شرط عليهم راحلة ونفقة، فأقام بمكة ما شاء الله ثم خرج إلى المدينة فلتقاه أبو بكر وعمر في رجال، فقال له أبو بكر ربح بيعك يا أبا يحيى، فقال له صهيب: وبيعك فلا تتحسر، قال صهيب: ماذا؟ فقال قد أنزل الله فيك، وقرأ عليه هذه الآية.

وقال سعيد بن المسيب وعطاء: أقبل صهيب مهاجراً نحو النبي ﷺ فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونزل ما كان في كنانته، ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أني لمن أركم رجلاً والله لا أضع سهماً مما في كنانتي إلا في قلب رجل منكم وإيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي ثم افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي قالوا: نعم. ففعل ذلك، فأنزل الله هذه الآية<sup>(١)</sup>.

وقال الحسن: أتدرون فيمن نزلت هذه الآية؟ نزلت في المسلم يلقي الكافر فيقول له قل لا إله إلا الله فيأبى أن يقولها، فقال المسلم والله لأشرين نفسي لله. فتقدم فقاتل وحده حتى قتل.

وقيل نزلت الآية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال ابن عباس: أرى من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله يقوم فيأمر هذا بتقوى الله، فإذا لم يقبل وأخذته العزة بالإثم، قال وأنا أشري نفسي لله فقاتله فاقتل الرجلان لذلك، وكان علي إذا قرأ هذه الآية يقول: اقتلا ورب الكعبة، وسمع عمر بن الخطاب إنساناً يقرأ هذه ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ فقال عمر (إنا لله وإنا إليه راجعون) قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا عبد الرحمن بن شريح أخبرنا أبو القاسم البغوي أخبرنا علي بن الجعد أخبرني حماد بن سلمة عن أبي غالب عن أبي أمامة أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الجهاد أفضل؟ قال «أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان جائر»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: تفسير الواحدي ٣٠٤/١، ابن كثير: ٤٣٧/١، اسباب النزول للواحدي ص (٥٨) طبقات ابن سعد: ٢٢٧/٣ — ٢٢٨.  
(٢) رواه أبو داود: في الملاحم باب الأمر والنهي عن أبي سعيد الخدري ١٩١/٦.  
والترمذي: في الفتن باب أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر ٣٩٥/٦ عن أبي سعيد الخدري وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، (ويشهد له حديث أبي أمامة).  
والنسائي: في البيعة باب فضل من تكلم بالحق عند سلطان جائر ١٦١/٧.  
وابن ماجه: في الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٣٢٩/٢.  
وأحمد: ١٩/٣ جزء من حديث عن أبي سعيد الخدري — ٣٢٤/٤ عن طارق بن شهاب ٢٥١/٥ — ٢٥٦ عن أبي أمامة.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ  
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ  
الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ  
مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادخلوا في السلم كافة﴾ قرأ أهل الحجاز والكسائي السلم هاهنا  
بفتح السين وقرأ الباقون بكسرها، وفي سورة الأنفال «وإن جنحوا للسلم» بالكسر، وقرأ أبو بكر والباقون  
بالفتح، وفي سورة محمد ﷺ بالكسر حمزة وأبو بكر.

نزلت هذه الآية في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام النضيري وأصحابه، وذلك أنهم كانوا  
يعظمون السبت ويكرهون لحمان الإبل وألبانها بعدما أسلموا وقالوا: يا رسول الله إن التوراة كتاب الله  
فدعنا فلنقم بها في صلاتنا بالليل فأنزل الله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادخلوا في السلم كافة﴾<sup>(١)</sup> أي في  
الإسلام، قال مجاهد في أحكام أهل الإسلام وأعمالهم ﴿كافة﴾ أي جميعاً، وقيل: ادخلوا في الإسلام إلى  
منتهى شرائعه كافين عن المجاوزة إلى غيره، وأصل السلم من الاستسلام والانقياد، ولذلك قيل للصالح  
سلم، قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية: الإسلام ثمانية أسهم فعُدَّ الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج،  
والعمرة، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال: قد خاب من لا سهم له.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الإبل وغيره ﴿إِنَّهُ  
لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

أخبرنا محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو العباس الطحان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش أخبرنا  
علي بن عبد العزيز المكي أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام أخبرنا هشيم أخبرنا مجالد عن الشعبي عن  
جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ حين أتاه عمر فقال إنا نسمع أحاديث من يهود فتعجبنا، أفترى أن  
نكتب بعضها؟ فقال: «أمتهوكون»<sup>(٢)</sup> أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان  
موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٩٧).

(٢) التهوك كالتهور، وهو الوقوع بالأمر بغير روية، والتهوك: الذي يقع في كل أمر، وقيل: هو التحير.

(٣) رواه أحمد ٣/٣٨٧ — عن جابر.

ورواه أبو يعلى والبخاري.

قال المهيتمي في الجمع ١/١٧٤ وفيه مجالد بن سعيد ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما.

والمصنف في شرح السنة ١/٢٧٠.

سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ

اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾

﴿فَإِنْ زَلْتُمْ﴾ أي ضللتُمْ، وقيل: ملّتم، يقال زلت قدمه تزل زلا وزللاً إذا دحضت، قال ابن عباس: يعني الشرك، قال قتادة: قد علم الله أنه سيزل زالون من الناس فتقدم في ذلك وأوعد فيه ليكون له به الحجة عليهم ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتِ﴾ أي الدلالات الواضحات ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في نعمته ﴿حَكِيمٌ﴾ في أمره، فالعزیز: هو الغالب الذي لا يفوته شيء، والحكيم: ذو الإصابة في الأمر.

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي هل ينظر التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان يقال: نظرته وانتظرته بمعنى واحد، فإذا كان النظر مقروناً بذكر الله أو بذكر الوجه أو إلى، لم يكن إلا بمعنى الرؤية ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ﴾ جمع ظلة ﴿مِنَ الْغَمَامِ﴾ وهو السحاب الأبيض الرقيق سمي غماماً لأنه يغم أي يستر، وقال مجاهد: هو غير السحاب، ولم يكن إلا لبني اسرائيل في تيههم: قال مقاتل: كهيئة الضباب أبيض، قال الحسن: في سترة من الغمام فلا ينظر [إليه] <sup>(١)</sup> أهل الأرض ﴿وَالْمَلَأْتُهُمُ﴾ قرأ أبو جعفر بالخفض عطفاً على الغمام، تقديره: مع الملائكة، تقول العرب: أقبل الأمير في العسكر، أي مع العسكر، وقرأ الباقون بالرفع على معنى: إلا أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام، والأولى في هذه الآية وما شاكلها ان يؤمن الانسان بظاهاها ويكل علمها إلى الله تعالى، ويعتقد أن الله عز اسمه منزّه عن سمات الحدث، على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة.

قال الكلبي: هذا هو المكتوم الذي لا يفسر، وكان مكحول والزهري والاوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد وأحمد وإسحاق يقولون فيها وفي أمثالها: أمرؤها كما جاءت بلا كيف، قال سفيان بن عيينه: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته، والسكوت عنه، ليس لأحد أن يفسره إلا الله تعالى ورسوله.

قوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي وجب العذاب، وفرغ من الحساب، وذلك فصل (الله) <sup>(٢)</sup> القضاء بالحق بين الخلق يوم القيامة ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ قرأ ابن عامر وحمة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الجيم.

قوله تعالى: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي سل يا محمد يهود المدينة ﴿كَمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أعطينا آبائهم وأسلافهم ﴿مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام، مثل العصا واليد البيضاء، وفلق

(١) في ب: إليهم.

(٢) زيادة من (ب).

زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ  
يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٣﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ  
مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ  
وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ  
الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ  
مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾

البحر وغيرها. وقيل: معناها الدلالات التي آتاهم في التوراة والإنجيل على نبوة محمد ﷺ.

﴿ومن يدل﴾ يغير ﴿نعمة الله﴾ كتاب الله، وقيل: عهد الله وقيل: من ينكر الدلالة على نبوة محمد ﷺ ﴿من بعد ما جاءته﴾ فإن الله شديد العقاب \* زين للذين كفروا الحياة الدنيا ﴿الأكثرون على أن المزين هو الله تعالى، والتزيين من الله تعالى هو أنه خلق الأشياء الحسنة والمناظر العجيبة، فنظر الخلق إليها بأكثر من قدرها فأعجبتهم ففتنوا بها، وقال الزجاج: زين لهم الشيطان، قيل نزلت هذه الآية في مشركي العرب أبي جهل وأصحابه كانوا يتنعمون بما بسط الله لهم في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد﴾ ويسخرون من الذين آمنوا ﴿أي يستهزؤون بالفقراء من المؤمنين.

قال ابن عباس: أراد بالذين آمنوا عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيباً وبلالاً وخباباً وأمثالهم، وقال مقاتل: نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه، كانوا يتنعمون في الدنيا ويسخرون من ضعفاء المؤمنين وفقراء المهاجرين ويقولون انظروا إلى هؤلاء الذين يزعم محمد أنه يغلب بهم، وقال عطاء: نزلت في رؤساء اليهود من بني قريظة والنضير وبني قينقاع سخروا من فقراء المهاجرين فوعدهم الله أن يعطيهم أموال بني قريظة والنضير بغير قتال<sup>(١)</sup> ﴿ويسخرون من الذين آمنوا﴾ لفرهم ﴿والذين اتقوا﴾ يعني هؤلاء الفقراء ﴿فوقهم يوم القيامة﴾ لأنهم في أعلى عليين وهم في أسفل السافلين.

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أخبرنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أخبرنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري أخبرنا اسحاق الدبري أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «وقفت على باب الجنة فرأيت أكثر أهلها المساكين ووقفت على باب النار فرأيت أكثر أهلها النساء وإذا أهل الجحْد<sup>(٢)</sup> محبوسون إلا من كان منهم من أهل النار فقد أمر به إلى النار»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: الوسيط: ٣٠٨/١، الدر المنثور: ٥٨١/١.

(٢) الفنى.

(٣) قطعة من حديث أخرجه البخاري عن أنس: في النكاح باب رقم (٨٧) ٢٩٨/٩، والمصنف في شرح السنة: ٢٦٦/١٤.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل ثنا إسحاق بن إبراهيم حدثني عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: مر رجل على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس ما رأيك في هذا؟ فقال: رجل من أشرف الناس: هذا والله حريّ إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع، قال: فسكت رسول الله ﷺ، ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله ﷺ: ما رأيك في هذا؟ فقال: يا رسول الله إن هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حريّ إن خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ هذا خير من ملء الأرض مثل هذا<sup>(١)</sup>.

﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ قال ابن عباس: يعني كثيراً بغير مقدار، لأن كل ما دخل عليه الحساب فهو قليل، يريد: يوسع على من يشاء ويبسط لمن يشاء من عباده، وقال الضحاك: يعني من غير تبعة يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة، وقيل: هذا يرجع إلى الله تعالى، معناه: يقتدر على من يشاء ويبسط لمن يشاء ولا يعطي كل أحد بقدر حاجته بل يعطي الكثير من لا يحتاج إليه ولا يعطي القليل من يحتاج إليه فلا يعترض عليه، ولا يحاسب فيما يرزق ولا يقال لِمَ أعطيت هذا وحرمت هذا؟ ولم أعطيت هذا أكثر مما أعطيت ذلك؟ وقيل معناه لا يخاف نفاذ خزائنه فيحتاج إلى حساب ما يخرج منها لأن الحساب من المعطي إنما يكون لمن يخاف من نفاذ خزائنه.

قوله تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ على دين واحد، قال مجاهد: أراد آدم وحده، كان أمة واحدة، قال: سمي الواحد بلفظ الجمع لأنه أصل النسل وأبو البشر، ثم خلق الله تعالى حواء ونشر منهما الناس فانتشروا وكانوا مسلمين إلى أن قتل قابيل هايل فاختلفوا ﴿فبعث الله النبيين﴾ قال الحسن وعطاء: كان الناس من وقت وفاة آدم إلى مبعث نوح أمة واحدة على ملة الكفر أمثال البهائم، فبعث الله نوحاً وغيره من النبيين<sup>(٢)</sup>. وقال قتادة وعكرمة: كان الناس من وقت آدم إلى مبعث نوح وكان بينهما عشرة قرون كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى، ثم اختلفوا في زمن نوح فبعث الله إليهم نوحاً، فكان أول نبي بعث، ثم بعث بعده النبيين.

وقال الكلبي هم أهل سفينة نوح كانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاة نوح.

وروي عن ابن عباس قال: كان الناس على عهد إبراهيم عليه السلام أمة واحدة كفاراً كلهم فبعث الله إبراهيم وغيره من النبيين، وقيل: كان العرب على دين إبراهيم إلى أن غيره عمرو بن لحي. وروي عن

(١) رواه البخاري: في النكاح باب الأكفاء في الدين ١٣٢/٩.

(٢) يرد هذا قول قتادة وعكرمة وهو مروي عن ابن عباس موقوفاً وإسناده صحيح على شرط البخاري (انظر ابن كثير: ٤٤٣/١) تخرج (الوادعي).

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِ  
الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَرُزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ  
نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾

أبي العالية عن أبي بن كعب قال: كان الناس حين عرضوا على آدم، وأخرجوا من ظهره وأقروا بالعبودية  
أمة واحدة مسلمين كلهم، ولم يكونوا أمة واحدة قط غير ذلك اليوم، ثم اختلفوا بعد آدم نظيره في سورة  
يونس «وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلَفوا فبعث الله النبيين» (١٩ — يونس) وجملتهم مائة ألف  
وأربعة وعشرون ألفاً والرسول منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، والمذكورون في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون نبياً  
﴿مبشرين﴾ بالثواب من آمن وأطاع ﴿ومنذرين﴾ محذرين بالعقاب من كفر وعصى ﴿وأنزل معهم  
الكتاب﴾ أي الكتب، تقديره وأنزل مع كل واحد منهم الكتاب ﴿بالحق﴾ بالعدل والصدق ﴿ليحكم  
بين الناس﴾ قرأ أبو جعفر ﴿ليحكم﴾ بضم الياء وفتح الكاف هاهنا وفي أول آل عمران وفي النور  
موضعين لأن الكتاب لا يحكم في الحقيقة إنما (الحكم) <sup>(٢)</sup> به، وقراءة العامة بفتح الياء وضم الكاف،  
أي ليحكم الكتاب ذكره على سعة الكلام كقوله تعالى «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق» (٢٩ —  
الجاثية). وقيل معناه ليحكم كل نبي بكتابه ﴿فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه﴾ أي في الكتاب ﴿إلا  
الذين أوتوه﴾ أي أعطوا الكتاب ﴿من بعد ما جاءتهم البينات﴾ يعني أحكام التوراة والإنجيل، قال  
الفراء: ولاختلافهم معنيان:

أحدهما كفر بعضهم بكتاب بعض قال الله تعالى: «ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض»  
(١٥٠ — النساء) والآخر تحريفهم كتاب الله قال الله تعالى: «يحرفون الكلم عن مواضعه» (٤٦ —  
النساء) وقيل الآية راجعة إلى محمد ﷺ وكتابه اختلف فيه أهل الكتاب ﴿من بعد ما جاءتهم  
البيانات﴾ صفة محمد ﷺ في كتبهم ﴿بغياً﴾ ظلماً وحسداً ﴿بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا  
فيه﴾ أي لما اختلفوا فيه ﴿من الحق بإذنه﴾ بعلمه وإرادته فيهم. قال ابن زيد في هذه الآية: اختلفوا في  
القبلة فمنهم من يصلي إلى المشرق ومنهم من يصلي إلى المغرب ومنهم من يصلي إلى بيت المقدس، فهدانا  
الله إلى الكعبة، واختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان، واختلفوا في الأيام، فأخذت اليهود السبت  
والنصارى الأحد فهدانا الله للجمعة واختلفوا في إبراهيم عليه السلام، فقالت اليهود كان يهودياً، وقالت  
النصارى كان نصرانياً فهدانا الله للحق من ذلك، واختلفوا في عيسى فجعلته اليهود لِفِرْيَةٍ وجعلته النصارى  
إلهاً وهدانا الله للحق فيه ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾.

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ قال قتادة والسدي: نزلت هذه الآية في غزوة الخندق

(١) في ب: يحكم.



يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ الدِّينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَلِيتِمَى  
وَالْمَسْكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ  
الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا  
وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وأنواع الأذى كما قال الله تعالى: «وبلغت القلوب الحناجر» (١٠ - الاحزاب) وقيل نزلت في حرب أحد.

وقال عطاء: لما دخل رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة اشتد عليهم الضر، لأنهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين وآثروا رضا الله ورسوله، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله ﷺ، وأسرَّ قوم النفاق فأنزل الله تعالى تطييباً لقلوبهم ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أي: أحسبتم، والميم صلة، قاله الفراء، وقال الزجاج: بل حسبتهم، ومعنى الآية: أظننتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ﴾ وما صلة ﴿مثل الذين خلوا﴾ شبه الذين مضوا ﴿من قبلكم﴾ من النبيين والمؤمنين ﴿مستهم البأساء﴾ الفقر والشدة والبلاء ﴿والضراء﴾ المرض والزمانة ﴿وزلزلوا﴾ أي حركوا بأنواع البلايا والرزايا وخوفوا ﴿حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله﴾ مازال البلاء بهم حتى استبطؤوا النصر.

قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ قرأ نافع حتى يقول الرسول بالرفع معناه حتى قال الرسول، وإذا كان الفعل الذي يلي حتى في معنى الماضي ولفظه (لفظ) (١) المستقبل فلك فيه الوجهان الرفع والنصب، فالنصب على ظاهر الكلام، لأن حتى تنصب الفعل المستقبل، والرفع لأن معناه الماضي، وحتى لا تعمل في الماضي.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ نزلت في عمرو بن الجموح، وكان شيخاً كبيراً ذا مال فقال: يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى من نفق؟ فأنزل الله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ وفي قوله ﴿ماذا﴾ وجهان من الإعراب أحدهما أن يكون محله نصباً بقوله ﴿ينفقون﴾ تقديره أي شيء ينفقون والآخر أن يكون رفعاً بما، ومعناه ما الذي ينفقون ﴿قل ما أنفقتم من خير﴾ أي من مال ﴿فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم﴾ يجازيكم به قال أهل التفسير: كان هذا قبل فرض الزكاة فنسخت بالزكاة.

قوله تعالى: ﴿كتب عليكم القتال﴾ أي فرض عليكم الجهاد، واختلف العلماء في حكم هذه الآية

(١) زيادة من «ب».

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ  
وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ  
الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ  
مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ  
وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾

فقال عطاء: الجهاد تطوع، والمراد من الآية أصحاب رسول الله ﷺ دون غيرهم، وإليه ذهب الثوري واحتج من ذهب إلى هذا بقوله تعالى: «فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى» (٩٥ - النساء) ولو كان القاعد تاركاً فرضاً لم يكن يعده الحسنى، وجرى بعضهم على ظاهر الآية، وقال: الجهاد فرض على كافة المسلمين إلى قيام الساعة.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي الخوارزمي أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبي الفراتي أخبرنا أبو الهيثم بن كليب أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة أخبرنا سعيد بن عثمان السعيد عن عمر بن محمد بن المنكدر عن سُمَيٍّ عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق»<sup>(١)</sup>.

وقال قوم، وعليه الجمهور: إن الجهاد فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقيين مثل صلاة الجنازة ورد السلام، قال الزهري والأوزاعي: كتب الله الجهاد على الناس غزواً أو قعدوا، فمن غزا فيها ونعمت ومن قعد فهو عدة إن استعين به أعان وإن استنفر نفر وإن استغني عنه قعد.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ كَرِهٌ لَكُمْ﴾ أي شاق عليكم قال بعض أهل المعاني: هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه لما فيه، من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح، لا أنهم كرهوا أمر الله تعالى، وقال عكرمة، نسخها قوله تعالى: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ يعني أنهم كرهوه ثم أحبوه فقالوا (سمعنا وأطعنا). قال الله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ لأن في الغزو إحدى الحسنين إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والجنة ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً﴾ يعني القعود عن الغزو ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ لما فيه من فوات الغنيمة والأجر ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ

(١) رواه مسلم: في الإشارة باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو برقم (١٩١٠) ١٥١٧/٣.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾

بعث عبد الله بن جحش، وهو ابن عمه النبي ﷺ أخت أبيه في جمادى الآخرة، قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهراً من مقدمه إلى المدينة، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين: سعد ابن أبي وقاص الزهري وعكاشة بن محصن الأسدي وعتبة بن غزوان السلمي وأبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وكتب لأمرهم عبد الله بن جحش كتاباً وقال له: «سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فإذا نزلت فافتح الكتاب واقراه على أصحابك ثم امض لما أمرتك ولا تستكرهنَّ أحداً من أصحابك على السير معك» فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فسر على بركة الله بمن معك من أصحابك حتى تنزل بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك تأتينها منها بخبر، فلما نظر في الكتاب قال: سمعاً وطاعة، ثم قال لأصحابه ذلك، وقال إنه نهاني أن أستكره أحداً منكم، فمن كان يريد الشهادة فليطلق ومن كره فليرجع، ثم مضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد حتى كان بمعدن فوق الفُرع بموضع من الحجاز يقال له بُحْران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيداً لهما يعتقبانه فتخلفا في طلبه ومضى ببقية أصحابه حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف.

فبينما هم كذلك إذ مرت عير لقريش تحمل زيباً وأدماً وتجارة / من تجارة الطائف، فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان فلما رأوا أصحاب رسول الله ﷺ هابوهم، فقال عبد الله بن جحش: إن القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم وليتعرض لهم فحلقوا رأس عكاشة ثم أشرف عليهم فقالوا: قوم عُمَار لا بأس عليكم، فأمنوهم، وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة، وكانوا يرون أنه من جمادى وهو من رجب فتشاور القوم وقالوا لئن تركتموهم الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن منكم، فأجمعوا أمرهم في مواجهة القوم، فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله فكان أول قتيل من المشركين [وهو أول قتيل في الهجرة وأدى النبي ﷺ دية ابن الحضرمي إلى ورثته من قريش. قال مجاهد وغيره لأنه كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش عهد، وادع أهل مكة سنين أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه] (١).

واستأسر الحكم وعثمان فكانا أول أسيرين في الإسلام وأفلت نوفل فأعجزهم، واستاق المؤمنون العير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة، فقالت قريش: قد استحل محمد الشهر الحرام فسفك فيه الدماء وأخذ الحرائب وغير ذلك أهل مكة من كان فيها من المسلمين وقالوا: يا معشر الصباة

(١) ساقط من (ب).

استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه!

وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: لابن جحش وأصحابه ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام، ووقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ شيئاً من ذلك، فعظم ذلك على أصحاب السرية، وظنوا أنهم قد هلكوا وسقط في أيديهم، وقالوا: يا رسول الله إنا قد قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا إلى هلال رجب فلا ندري أي رجب أصبناه أم في جمادى؟ وأكثر الناس في ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأخذ رسول الله ﷺ العير فعزل منها الخمس، فكان أول خمس في الإسلام، وقسم الباقي بين أصحاب السرية، وكان أول غنيمة في الإسلام وبعث أهل مكة في فداء أسيرهم فقال «بل نقفهم حتى يقدم سعد وعقبة وإن لم يقدما قتلناهما بهما» فلما قدما فاداهما، فأما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله ﷺ بالمدينة، فقتل يوم بئر معونة شهيداً، وأما عثمان بن عبد الله فرجع إلى مكة فمات بها كافراً وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الأحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعاً فقتله الله، فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله ﷺ خذوه فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية، فهذا سبب نزول هذه الآية (١).

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ يعني رجباً سمي بذلك لتحريم القتال فيه.

﴿قَاتِلْ فِيهِ﴾ أي عن قتال فيه ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿قَاتِلْ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ عظيم، ثم الكلام هاهنا ثم ابتداء فقال ﴿وَصِدْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي فصّدكم المسلمين عن الإسلام ﴿وَكُفِّرْ بِهِ﴾ أي كفركم بالله ﴿وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ أي المسجد الحرام وقيل وصّدكم عن المسجد الحرام ﴿وَإِخْرَاجَ أَهْلِهِ﴾ أي إخراج أهل المسجد ﴿مِنْهُ أَكْبَرُ﴾ وأعظم وزراً ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ﴾ أي الشرك الذي أنتم عليه ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أي من قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام، فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن أنيس إلى مؤمني مكة إذا غيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم أنتم بالكفر وإخراج رسول الله ﷺ من مكة ومنعهم المسلمين عن البيت الحرام، ثم قال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ يعني مشركي مكة، وهو فعل لا مصدر له مثل عسى ﴿يَقَاتِلُونَكُمْ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿حَتَّى يَرُدُّوكُمْ﴾ يصرفوك ﴿عَنْ دِينِكُمْ﴾ إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت ﴿جُزِمَ﴾ بالنسق ﴿وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ حسناتهم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ فقال أصحاب السرية يا رسول الله هل نؤجر على وجهنا هذا، وهل نطمع أن يكون سفرنا هذا غزواً؟ فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ فارقوا عشائرهم ومنازلهم وأموالهم ﴿وَجَاهَدُوا﴾ المشركين ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طاعة

(١) أوردته ابن هشام في السيرة عن ابن اسحاق ٢٥١/٢ وما بعدها ورواه البيهقي في سننه الكبرى: ١٢/٩ بسند صحيح عن الزهري عن عروة مرسلاً وقد وصله هو وابن أبي حاتم من طريق سليمان التميمي عن الحضرمي عن أبي السوار عن جندب أبي عبد الله.. وسنده صحيح إن كان الحضرمي هذا هو ابن لاحق، (انظر: تخریج الألباني لأحاديث فقه السيرة للقرطبي ص ٢٣٠، ٢٣١) أسباب النزول ص (٩٩-١٠٢).

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٣٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تُمْنَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا فِي خَوَانِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ أَنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾

لله، فجعلها جهاداً، ﴿أولئك يرجون رحمة الله﴾ أخبر أنهم على رجاء الرحمة ﴿والله غفور رحيم﴾.

قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ الآية، نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما ونفر من الأنصار أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله أفنتا في الخمر والميسر فإنهما مذهبة للعقل مسلبة للمال؟ فأنزل الله هذه الآية (٥).

وجملة القول في تحريم الخمر على ما قال المفسرون أن الله تعالى أنزل في الخمر أربع آيات نزلت بمكة وهي: «ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا» (٦٧ - النحل) فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال يومئذ، ثم نزلت في مسألة عمر ومعاذ بن جبل ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير﴾ فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «إن الله قد تقدم في تحريم الخمر فتركها قوم لقوله ﴿إثم كبير﴾ وشربها قوم لقوله ﴿ومنافع للناس﴾ إلى أن صنع عبد الرحمن بن عوف طعاماً فدعا ناساً من أصحاب النبي ﷺ وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا، وحضرت صلاة المغرب فقدموا بعضهم ليصلي بهم فقراً «قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون» هكذا إلى آخر السورة بحذف «لا» فأنزل الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون» (٤٣ - النساء) فحرم السكر في أوقات الصلاة، فلما نزلت هذه الآية تركها قوم، وقالوا لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة، وتركها قوم في أوقات الصلاة وشربوها في غير حين الصلاة، حتى كان الرجل يشرب بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال عنه السكر، ويشرب بعد صلاة الصبح فيصحو إذا جاء وقت الظهر، واتخذ عتيان بن مالك صنيعاً ودعا رجالاً من المسلمين فيهم سعد بن أبي وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير، فأكلوا منه وشربوا الخمر حتى أخذت منهم، ثم إنهم افتخروا عند ذلك (واتنسبوا) (١) وتناشدوا الأشعار، فأنشد سعد قصيدة فيها هجاء للأنصار وفخر لقومه فأخذ رجل من الأنصار لحي البعير فضرب به رأس سعد فشججه شجرة موضحة (٢) فانطلق سعد إلى رسول الله ﷺ وشكا إليه الأنصاري فقال عمر: اللهم بين لنا

(٥) انظر: الوسيط للواحدى: ٣١٦/١، أسباب النزول ص (١٠٢-١٠٣) المستدرک للحاکم: ٢٧٨/٢.

(١) الشجّة بالرأس تكشف العظم.

(٢) من (ب).

رأيتك في الخمر بياناً شافياً، فأنزل الله تعالى تحريم الخمر في سورة المائدة: إلى قوله (فهل أنتم منتهون). وذلك بعد غزوة الأحزاب بأيام فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يارب، قال أنس حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش أعجب منها وما حرم عليهم شيئاً أشد من الخمر<sup>(٥)</sup>.

١/٣٤ [عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما نزلت الآية في / سورة المائدة حرمت الخمر فخرجنا بالحجاب<sup>(١)</sup> إلى الطريق فصببنا ما فيها فمنا كسر صبه ومنا من غسله بالماء والطين، ولقد غودرت<sup>(٢)</sup> أزقة المدينة بعد ذلك حيناً فلما مطرت استبان فيها لون الخمر وفاحت منها ريحها<sup>(٣)</sup>].

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل أخبرنا يعقوب بن إبراهيم أخبرنا ابن علية أخبرنا عبد العزيز بن صهيب قال: قال لي أنس بن مالك ما كان لنا خمر غير فضيخكم<sup>(٤)</sup> وإني ل قائم أسقي أبا طلحة وفلاناً وفلاناً إذ جاء رجل فقال: حرمت الخمر. فقالوا أهرق هذه القلال يا أنس قال فما سألوها عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل<sup>(٥)</sup>.

عن أنس: سميت خمرًا لأنهم كانوا يدعونها في الدنان حتى تختمر وتتغير، وعن ابن المسيب: لأنها تركت حتى صفا صفوها، ورسب كدرها، واختلف الفقهاء في ماهية الخمر، فقال قوم: هي عصير العنب أو الرطب الذي اشتد وغلا من غير عمل النار فيه، واتفقت الأئمة على أن هذا الخمر نجس يحد شاربهُ ويفسق ويكفر مستحلها، وذهب سفيان الثوري وأبو حنيفة وجماعة إلى أن التحريم لا يتعدى هذا ولا يحرم ما يتخذ من غيرهما كالمُتخذ من الحنطة والشعير والذرة والعسل والفانيد<sup>(٦)</sup> إلا أن يسكر منه فيحرم، وقالوا إذا طبخ عصير العنب والرطب حتى ذهب نصفه فهو حلال ولكنه يكره، وإن طبخ حتى ذهب ثلثاه قالوا هو حلال مباح شربه إلا أن السكر منه حرام، ويحتجون بما روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى بعض عماله أن أرزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه. ورأى أبو عبيدة ومعاذ شرب الطلاء على الثلث.

وقال قوم: إذا طبخ العصير أدنى طبخ صار حلالاً، وهو قول إسماعيل بن عُلَية.

وذهب أكثر أهل العلم إلى أن كل شراب أسكر كثيره فهو خمر فقليله حرام يحد شاربهُ.

(٥) انظر: الدر المنثور: ٦٠٦، ٦٠٥/١.

(١) الحايية فارسية معربة.

(٢) تركت.

(٣) ساقط من (ب).

(٤) شراب يتخذ من البُسْر.

(٥) رواه مسلم: في الأشربة — باب: تحريم الخمر.... برقم (١٩٨٠) ١٥٧١/٣.

(٦) نوع من الحلوى.

واحتجوا بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت سئل رسول الله ﷺ عن البتّع<sup>(١)</sup> فقال: «كل شراب أسكر فهو حرام»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا أبو عبد الله بن محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشميني أنا علي ابن حجر أنا اسماعيل بن جعفر عن داود ابن بكر بن أبي الفرات عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما أسكر كثيره فقليله حرام»<sup>(٣)</sup>.

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغفار بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو الربيع العتكي أخبرنا حماد بن زيد حدثنا أيوب بن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو مدمنها ولم يتب لم يشربها في الآخرة»<sup>(٤)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد ابن اسماعيل أنا أحمد بن أبي رجاء أنا يحيى، عن أبي حيان التيمي عن الشعبي عن ابن عمر قال: خطب عمر على منبر رسول الله ﷺ فقال انه قد نزل تحريم الخمر، وهي من خمسة أشياء: من العنب والتمر، والحنطة والشعير والعسل، والخمر ما خامر العقل»<sup>(٥)</sup>.

وروى الشعبي عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من العنب خمرًا، وإن من التمر

(١) نبيذ العسل.

(٢) رواه البخاري: في الأثرية باب الخمر من العسل ٤١/١٠.

ومسلم: في الأثرية باب بيان أن كل مسكر خمر (٢٠٠١) ١٥٨٥/٣.

والمصنف في شرح السنة ٣٥٠/١١.

(٣) رواه أبو داود: في الأثرية باب النهي عن المسكر ٢٦٦/٥.

والترمذي: في الأثرية — باب: ما أسكر كثيره فقليله حرام ٦٠٦/٥ وقال: حديث حسن غريب.

وابن حبان: في الأثرية — باب: في قليل ما أسكر كثيره رقم (١٣٨٥) ص ٣٣٦ موارد الظمان.

وابن ماجه: في الأثرية — باب: ما أسكر كثيره فقليله حرام رقم (٣٣٩٣ — ٣٣٩٤) ١١٢٥/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٣٥١/١١.

وانظر التلخيص الحبير: ٧٣/٤.

(٤) رواه البخاري: في الأثرية — باب: قوله تعالى: إنما الخمر والميسر.... ٣٠/١٠.

ومسلم: في الأثرية — باب: بيان أن كل مسكر خمر برقم (٢٠٠٣) ١٥٨٧/٣.

والمصنف في شرح السنة: ٣٥٠/١١ وشيخ شيخه فيه: (عبد الغافر بن محمد).

(٥) رواه البخاري: في الأثرية — باب: ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل... ٤٥/١٠.

والمصنف في شرح السنة: ٣٥١/١١.

خمرًا، وإن من العسل خمرًا، وإن من البر خمرًا وإن من الشعير خمرًا»<sup>(١)</sup> فثبت أن الخمر لا يختص بما يتخذ من العنب أو الرطب.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد أنه أخبره أن عمر بن الخطاب خرج عليهم فقال اني وجدت من فلان ريح شراب، وزعم أنه شرب الطلاء، وأنا سائل عما شرب فإن كان يسكر جلدته، فجلده عمر الحد تأمًا<sup>(٢)</sup>، وما روى عن عُمَرَ وأبي عبيده ومعاذ في الطلاء فهو فيما طبخ حتى خرج عن أن يكون مسكرًا. وسئل ابن عباس عن الباذق<sup>(٣)</sup> فقال: سبق محمد الباذق فما أسكر فهو حرام.

قوله تعالى: ﴿والميسر﴾ يعني القمار، قال ابن عباس: كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على أهله وماله فأيهما قمر صاحبه ذهب بأهله وماله فأنزل الله تعالى هذه الآية، والميسر: مفعول من قولهم يُسِرُّ لي الشيء إذا وجب يُسِرُّ يسراً ومُسِرّاً، ثم قيل للقمار ميسر وللمقامر ياسر ويسر، وكان أصل الميسر في الجزور وذلك أن أهل الثروة من العرب كانوا يشترون جزوراً فينحرونها ويجزؤونها عشرة أجزاء ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الأزام والأقلام، لسبعة منها أنصباء وهي: الفذ وله نصيب واحد، والتوأم وله نصيبان، والرقيب وله ثلاثة أسهم، والجلس وله أربعة، والنافس وله خمسة، والمسبل وله ستة، والمعلّى وله سبعة، وثلاثة منها: لا أنصباء لها وهي المنيح والسفيح والوغد، ثم يجعلون القداح في خريطة تسمى الرّباية ويضعونها على يدي رجل عدل عندهم يسمى المجيل والمفيض، ثم يجيئها ويخرج قدحاً منها باسم رجل منهم، فأيهم خرج سهمه أخذ نصيبه على قدر ما يخرج، فإن خرج له واحد من الثلاثة التي لا أنصباء لها كان لا يأخذ شيئاً ويغرم ثمن الجزور كله.

وقال بعضهم كان لا يأخذ شيئاً ولا يغرم ويكون ذلك القدح لغواً ثم يدفعون ذلك الجزور إلى الفقراء ولا يأكلون منه شيئاً، وكانوا يفتخرون بذلك ويدمون من لم يفعل ذلك ويسمونهم البُرم وهو أصل القمار الذي كانت تفعله العرب. والمراد من الآية أنواع القمار كلها، قال طاووس وعطاء ومجاهد: كل شيء فيه

(١) رواه أبو داود: في الأشربة — باب: الخمر ممّ هي؟ ٢٦٢/٥.

والترمذي: في الأشربة — باب: ما جاء في الحبوب التي تتخذ منها الخمر وفي سنده إبراهيم بن المهاجر البجلي الكوفي وهو صدوق فيه لين. وقال الترمذي: هذا حديث غريب وللحديث شواهد وذلك ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن عمر كما تقدم. وأخرجه أحمد: ٢٦٧/٤ عن النعمان بن بشير.

(٢) رواه البخاري معلقاً في الأشربة باب الباذق ومن نهى عن كل مسكر في الأشربة، ٦٢/١٠. ومالك في الموطأ باب الحد في من الخمر موصولاً عن الزهري عن السائب بن يزيد وأخرجه سعيد بن منصور عن ابن عيينه عن الزهري سمع السائب بن يزيد يقول: قام عمر على المنبر فقال: ذكر لي أن عبيد الله بن عمر وأصحابه شربوا شراباً — فساقه. والمصنف في شرح السنة ٣٥٣/١١، وسنده صحيح.

(٣) ما طبخ من عصير العنب أدى طبخ فصار شديداً وهو مسكر.



قمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب، وروي عن علي رضي الله عنه في الرد والشطرنج أنهما من الميسر.

قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ وزر عظيم من المخاصمة والمشامة وقول الفحش، قرأ حمزة والكسائي إثم كثير بالثاء المثناة وقرأ الباقون بالباء فالإثم في الخمر والميسر ما ذكره الله في سورة المائدة. «إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متبهون» (٩١ - المائدة) ﴿ومنافع للناس﴾ فمنفعة الخمر اللذة عند شربها والفرح واستمراء الطعام وما يصيبون من الربح بالتجارة فيها، ومنفعة الميسر إصابة المال من غير كد ولا تعب وارتفاع الفقراء به. والإثم فيه أنه إذا ذهب ماله من غير عوض ساء ذلك فعادى صاحبه فقصدته بالسوء.

﴿وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ / قال الضحاك وغيره: إثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم، وقيل: إثمهما أكبر من نفعهما قبل التحريم وهو ما يحصل من العداوة والبغضاء.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ حثهم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق؟ فقال ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ قرأ أبو عمرو العفو بالرفع، معناه: الذي ينفقون هو العفو. وقرأ الآخرون بالنصب، على معنى قل: أنفقوا العفو.

واختلفوا في معنى العفو، فقال قتادة وعطاء والسدي: هو ما فضل عن الحاجة، وكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل بحكم هذه الآية، ثم نسخ بآية الزكاة. وقال مجاهد: معناه: التصديق عن ظهر غنى حتى لا يبقى كلاً على الناس.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزياتي أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر أنا إبراهيم بن عبد الله بن عمر الكوفي أنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى، وأبدأ بمن تعمل»<sup>(١)</sup> وقال عمرو بن دينار: الوسط من غير إسراف ولا إقتار قال الله تعالى «والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا» (٦٧ - الفرقان) وقال طاووس: ما يسر، والعفو: اليسر من كل شيء (ومنه قوله تعالى) «خذ العفو» (١٩٩ - الأعراف) أي الميسور من أخلاق الناس.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا

(١) رواه البخاري: في الزكاة - باب: لا صدقة إلى عن ظهر غنى ٢٩٤/٣ وفي النفقات.

ومسلم: في الزكاة - باب: أن اليد العليا خير من اليد السفلى برقم (١٠٣٤) ٧١٧/٢. والمصنف في شرح السنة: ١٨٧/٦.

الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي أنا سفيان عن محمد بن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله عندي دينار قال ﷺ: «أنفقه على نفسك» قال: عندي آخر قال: «أنفقه على ولدك» قال: عندي آخر قال: «أنفقه على أهلِكَ» قال: عندي آخر قال: «أنفقه على خادمك» قال: عندي آخر قال: «أنت أعلم»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يبين الله لكم الآيات﴾ قال الزجاج: إنما قال كذلك على الواحد وهو يخاطب جماعة، لأن الجماعة معناها القبيل كأنه قال: كذلك أيها القبيل، وقيل: هو خطاب للنبي ﷺ لأن خطابه يشتمل على خطاب الأمة كقوله تعالى: «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء» (١ - الطلاق).

قوله تعالى: ﴿لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة﴾ قيل: معناه يبين الله لكم الآيات في أمر النفقة لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة فتحبسون من أموالكم ما يصلحكم في معاش الدنيا وتنفقون الباقي فيما ينفعكم في العقبين، وقال أكثر المفسرين: معناها هكذا: يبين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة، ﴿لعلكم تتفكرون﴾ في زوال الدنيا وفنائها فتزهدوا فيها وفي إقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها.

قوله تعالى: ﴿ويذكر ألوئك عن اليتامى﴾ قال ابن عباس وقتادة: لما نزل قوله تعالى: «ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن» (١٥٢ - الأنعام) وقوله تعالى «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً» الآية (١٠ - النساء) تخرج المسلمون من أموال اليتامى تخرجاً شديداً حتى عزلوا أموال اليتامى عن أموالهم حتى كان يُصنع لليتيم طعام فيفضل منه شيء فيتركونه ولا يأكلونه حتى يفسد، فاشتد ذلك عليهم فسألوا رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿قل إصلاح لهم خير﴾ أي (الإصلاح لأموالهم)<sup>(٢)</sup> من غير أجر ولا أخذ عوض خمر لكم وأعظم أجراً، لما لكم في ذلك من الثواب، وخير لهم، لما في ذلك من توفر أموالهم عليهم، قال مجاهد: يوسع عليهم من طعام نفسه ولا يوسع من طعام اليتيم ﴿وإن تخالطوهم﴾ هذه إباحة المخالطة أي وإن تشاركوهم في أموالهم وتخلطوها بأموالكم في نفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من أموالهم عوضاً من قيامكم بأموالهم وتكافؤوهم على ما تصيبون من أموالهم ﴿فإخوانكم﴾ أي فهم إخوانكم، وإخوان يعين بعضهم بعضاً ويصيب بعضهم من أموال بعض على وجه الإصلاح والرضا ﴿والله يعلم المنسند﴾ لأموالهم ﴿من المصلح﴾ لها يعني الذي يقصد بالمخالطة

(١) أخرجه أبو داود في الزكاة، باب صلة الرحم: ٢٦٠/٢، وقال المنذري: في إسناده محمد بن عجلان والنسائي في الزكاة، باب اليد العليا: ٦٢/٥.

والإمام أحمد في المسند: ٢٥١/٢، ٤٧١ عن أبي هريرة وصححه الحاكم على شرط مسلم: ٤١٥/١.

وابن حبان في موارد الظمان برقم (٨٢٨)، والشافعي ٤١٨/٢، ٤١٩.

والغوي في شرح السنة: ١٩٣/٦، وانظر تعليق المحقق.

ومحمد بن عجلان، صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة، من الخامسة (التقريب) ١٩٠/٢ وميزان الاعتدال ٦٤٤/٣.

(٢) زيادة من (ب).

وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَا أُمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ  
وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ  
يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ  
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣١﴾

الخيانة وإفساد أموال اليتيم وأكله بغير حق من الذي يقصد الإصلاح ﴿ولو شاء الله لأعتكم﴾ أي لضيق عليكم وما أباح لكم مخالطتهم، وقال ابن عباس: ولو شاء الله لجعل ما أصبتم من أموال اليتامي موبقاً لكم، وأصل العنت الشدة والمشقة. ومعناه: كلفكم في كل شيء ما يشق عليكم ﴿إن الله عزيز﴾ والعزيز الذي يأمر بعزة — سهل على العباد أو شق عليهم ﴿حكيم﴾ فيما صنع من تدبيره وترك الإعانت.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ سبب نزول هذه الآية أن أبا مرثد الغنوي بعثه رسول الله ﷺ إلى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين سرّاً، فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق، وكانت خليلته في الجاهلية، فأنته وقالت: يا أبا مرثد ألا تخلو؟ فقال لها ويحك يا عناق إن الإسلام قد حال بيننا وبين ذلك، قالت: فهل لك أن تتزوج بي؟ قال نعم، ولكن أرجع إلى رسول الله ﷺ فاستأمره، فقالت أبي تبرم؟ ثم استغاثت عليه فضربوه ضرباً شديداً، ثم خلوا سبيله، فلما قضى حاجته بمكة وانصرف إلى رسول الله ﷺ أعلمه بالذي كان من أمره وأمر عناق وما لقي بسببها وقال: يا رسول الله أيجل لي أن أتزوجها؟ فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾<sup>(٥)</sup>.

وقيل: الآية منسوخة في حق الكتابيات بقوله تعالى «والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم» (٥ — المائدة) فإن قيل: كيف أطلقتم اسم الشرك على من لا ينكر إلا نبوة محمد ﷺ؟ قال أبو الحسن ابن فارس لأن من يقول القرآن كلام غير الله فقد أشرك مع الله غيره، وقال قتادة وسعيد بن جبير: أراد بالمشركات الوثنيات، فإن عثمان رضي الله عنه تزوج نائلة بنت فرافصة، وكانت نصرانية فأسلمت تحته، وتزوج طلحة بن عبيد الله نصرانية، وتزوج حذيفة يهودية [فكتب إليه عمر رضي الله عنه خلّ سبيلها. فكتب إليه أترعّم أنها حرام؟ فقال: لا أترعّم أنها حرام، ولكني أخاف أن تعاطوا المومسات منهن]<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ بجماها وماها، نزلت في خنساء وليدة سوداء، كانت لحذيفة بن اليمان، قال حذيفة: يا خنساء قد ذكرت في الملأ الأعلى، على سوادك ودما متك

(٥) انظر: الطبري: ٣٦٨/٤، الوسيط: ٣٢٠/١-٣٢١.

(١) ساقط من (ب).

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾

فأعتقها وتزوجها، وقال السدي نزلت في عبدالله بن رواحة كانت له أمة سوداء فغضب عليها ولطمها ثم فرغ فأتى النبي ﷺ وأخبره بذلك فقال له ﷺ وما هي يا عبدالله؟ قال: هي تشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلي فقال: «هذه مؤمنة» قال عبدالله: فوالذي بعثك بالحق نبياً لأعتقنها ولأتزوجنها ففعل ذلك فظعن عليه ناس من المسلمين وقالوا: أتنكح أمة؟ وعرضوا عليه حرة مشركة، فانزل الله تعالى هذه الآية (١)

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾ هذا اجماع: لا يجوز للمسلمة أن تنكح المشرك ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ أولئك يعني / المشركين ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ أي إلى الأعمال الموجبة للنار ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ أي بقضائه وإرادته ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ﴾ أي أوامره ونواهيه ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني أنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي أنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي أنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني أنا موسى بن اسماعيل أنا حماد بن سلمة أنا ثابت البناني عن انس بن مالك أن اليهود كانت إذا حاضت منهم المرأة أخرجوها من البيت ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيت فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فانزل الله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ الآية فقال رسول الله ﷺ: «جامعوهن في البيوت واصنعوا كل شيء إلا النكاح» فقالت اليهود ما يريد هذا الرجل أن يدع شيئاً من أمرنا إلا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر إلى النبي ﷺ فقالوا: يارسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا أفلا ننكحهن في المحيض؟ فتمعّر وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن إلى رسول الله ﷺ فبعث في آثارهما فسقاها فظننا أنه لم يجد عليهما (٢).

(١) رواه ابن جرير الطبري عن السدي مرسل ٣٦٨/٤ بتحقيق أحمد شاكر.

(٢) رواه مسلم: في الحيض — باب: جواز غسل الحائض رأس زوجها... برقم (٣٠٢) ٢٤٦/١. والمصنف في شرح السنة ١٢٥/٢.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْحَيْضِ﴾ أي عن الحيض وهو مصدر حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحيضاً كالسير والمسير، وأصل الحيض الانفجار والسيلان وقوله ﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾ أي قذر، والأذى كل ما يكره من كل شيء ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْحَيْضِ﴾ أراد بالاعتزال ترك الوطء ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ أي لا تجامعوهُنَّ، أما الملامسة والمضاجعة معها فجائزة.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا قبيصة أنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت اغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد كلانا جنب وكان يأمرني أن أتزر فيباشرني وأنا حائض وكان يخرج رأسه إليّ وهو معتكف فأغسله وأنا حائض»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا سعد بن حفص أنا شيبان عن يحيى عن أبي سلمة عن زينب بنت أبي سلمة حدثته عن أم سلمة قالت: «حضت وأنا مع رسول الله ﷺ في الحميلة فَأَنْسَلْتُ فخرجت منها فأخذت ثياب حيضي فلبستها فقال لي رسول الله ﷺ: أنفست؟ قلت: نعم، فدعاني فأدخلني معه في الحميلة»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا أبو القاسم بن عبد الله بن محمد الحنفي أنا أبو الحارث طاهر بن محمد الطاهري أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن حكيم<sup>(٣)</sup> أنا أبو الموجّه محمد بن عمرو أنا صدقة أنا وكيع أنا مسعر وسفيان عن المقdam<sup>(٤)</sup> بن شريح عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أشرب وأنا حائض فأناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيّ وأتعرّق العرق فيتناوله فيضع فاه على موضع فيّ»<sup>(٥)</sup>.

فوطء الحائض حرام، ومن فعله يعصي الله عز وجل ويعزّره الإمام، إن علم منه ذلك، واختلف أهل العلم في وجوب الكفارة عليه، فذهب أكثرهم<sup>(٦)</sup> إلى أنه لا كفارة عليه فيستغفر الله ويتوب إليه.

وذهب قوم إلى وجوب الكفارة عليه منهم: قتادة والأوزاعي وأحمد وإسحاق، لما أخبرنا عبد الواحد بن

(١) رواه البخاري في الحيض باب مباشرة الحائض ٤٠٣/١.

والمصنف في شرح السنة: ١٣١/٢.

(٢) رواه البخاري في الحيض — باب النوم مع الحائض وهي في ثيابها ٤٢٢/١.

ومسلم: في الحيض — باب: الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد برقم (٢٩٦) ٢٤٣/١.

والمصنف في شرح السنة: ١٢٩/٢.

(٣) في شرح السنة: محمد بن حليم — باللام.

(٤) في شرح السنة: المقداد بن شريح وهو خطأ.

(٥) رواه مسلم: في الحيض — باب: جواز غسل الحائض رأس زوجها برقم (٣٠٠) ٢٤٥/١ — ٢٤٦.

والمصنف في شرح السنة: ١٣٤/٢.

(٦) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٨٧/٣.

أحمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا أبو جعفر الرازي عن عبد الكريم بن أبي المخارق عن مقسم عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال في رجل جامع امرأته وهي حائض قال: «إن كان الدم عبيطاً فليتصدق بدينار، وإن كان صفرة فبنصف دينار»<sup>(١)</sup>.

ويروي هذا موقوفاً عن ابن عباس، ويمنع الحيض جواز الصلاة ووجوبها، ويمنع جواز الصوم، ولا يمنع وجوبه، حتى إذا ظهرت يجب عليها قضاء الصوم ولا يجب قضاء الصلاة، وكذلك النفساء.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا علي بن حجر أنا علي بن مسهر عن عبيده بن مُعْتَب الضبي عن إبراهيم النخعي عن الأسود عن عائشة قالت: «كنا نخيض عند رسول الله ﷺ ثم نطهر فيأمرنا بقضاء الصيام ولا يأمرنا بقضاء الصلاة»<sup>(٢)</sup>.

ولا يجوز للحائض الطواف بالبيت ولا الاعتكاف في المسجد، ولا مس المصحف، ولا قراءة القرآن، ولا يجوز للزوج غشيانها.

أخبرنا عمر بن عبد العزيز أنا القاسم بن جعفر أنا أبو علي اللؤلؤي أنا أبو داود أنا مسدد أنا عبد الواحد بن زياد أنا أفلت بن خليفة قال: حدثني جصرة بنت دجاجة قالت: سمعت عائشة تقول جاء رسول الله ﷺ ووجوه بيوت أصحابه شارعة في المسجد فقال: «وجَّهوا هذه البيوت عن المسجد فإني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب»<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ قرأ عاصم برواية أبي بكر وحمزة والكسائي بتشديد الطاء والهاء يعني: حتى يغتسلن، وقرأ الآخرون بسكون الطاء وضم الهاء، فخفف، ومعناه حتى يطهرن من الحيض وينقطع

(١) رواه الدارمي: في الموضوع — باب: من قال عليه الكفارة: ٢٥٥/١ وانظر تحفة الأحوذى: ٤٢١/١ — ٤٢٢. والمصنف في شرح السنة: ١٢٧/٢ مع التعليق.

وإسناده ضعيف لضعف عبد الكريم بن أبي المخارق (التقريب — ميزان الاعتدال). ذكره النسائي في الضعفاء والمتروكين.

(٢) رواه البخاري: في الحيض — باب: لا تقضي الحائض الصلاة ٤٢١/١ وليس فيها تعرض لقضاء الصوم. ومسلم: في الحيض — باب: وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة برقم (٣٣٥) ٢٦٥/١.

(٣) رواه أبو داود: كتاب الطهارة — باب: في الجنب يدخل المسجد: ١٥٧/١ قال المنذري: وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير وفيه زيادة، وذكر بعده حديث عائشة.... سدلوا هذه الأبواب إلا باب أبي بكر ثم قال: هذا أصح، وقال الخطابي: وضعفوا هذا الحديث وقالوا: أفلت: راويه مجهول، لا يصح الاحتجاج بحديثه (انظر مختصر المنذري: ١٥٨/١). والبيهقي: ٤٤٢/٢ — ٤٤٣.

وقد ضعفه الألباني وقال: وفيه جصرة بنت دجاجة، قال البخاري: وعند جصرة عجائب قال البيهقي وهذا إن صح فمحمول في الجنب على المكث فيه دون العبور بدليل الكتاب، (إرواء الغليل: ٢١٠/١ — ٢١٢).

دمهن ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ يعني اغتسلن ﴿فَأَتَوْهْنَ﴾ أي فجامعوهُنَّ ﴿مَنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أي من حيث أَمَرَكُمُ أَنْ تَعْتَزِلُوهُنَّ مِنْهُ، وهو الفرج، قاله مجاهد وقتادة وعكرمة، وقال ابن عباس: طَوَّوهُنَّ فِي الْفَرْجِ وَلَا تَعْدُوهُ إِلَى غَيْرِهِ أَيِ اتَّقُوا الْأَدْبَارَ، وَقِيلَ (مَنْ) بِمَعْنَى (فِي) أَيِ فِي حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ الْفَرْجُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «إِذَا نُوذِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ» (٩ - الجمعة) أَيِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَقِيلَ ﴿فَأَتَوْهْنَ﴾ مَنْ الْوَجْهَ الَّذِي أَمَرَكُمُ اللَّهُ أَنْ تَأْتَوْهُنَّ وَهُوَ الطَّهْرُ، وَقَالَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ: مَنْ قَبْلَ الْحَلَالِ دُونَ الْفَجْرِ، وَقِيلَ: لَا تَأْتَوْهُنَّ صَائِمَاتٍ وَلَا مَعْتَكِفَاتٍ وَلَا مُحَرَّمَاتٍ: وَأَتَوْهُنَّ وَغَشِيَانَهُنَّ لَكُمْ حَلَالٌ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَرْتَفِعُ تَحْرِيمُ شَيْءٍ مِمَّا مَنَعَهُ الْحَيْضُ بِانْقِطَاعِ الدَّمِ مَا لَمْ تَغْتَسِلْ أَوْ تَتِمِّمَ عِنْدَ عَدَمِ الْمَاءِ إِلَّا تَحْرِيمُ الصَّوْمِ، فَإِنْ الْحَائِضُ إِذَا انْقَطَعَ دَمُهَا بِاللَّيْلِ وَنَوَتِ الصَّوْمَ فَوَقَعَ غَسْلُهَا بِالنَّهَارِ صَحَّ صَوْمُهَا، وَالطَّلَاقُ فِي حَالِ الْحَيْضِ يَكُونُ بَدْعِيًّا، وَإِذَا طَلَقَهَا بَعْدَ انْقِطَاعِ الدَّمِ قَبْلَ الْغَسْلِ لَا يَكُونُ بَدْعِيًّا، وَذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَنَّهُ إِذَا انْقَطَعَ دَمُهَا لِأَكْثَرِ الْحَيْضِ وَهُوَ عِدَّةُ عَشْرَةِ أَيَّامٍ يَجُوزُ لِلزَّوْجِ غَشِيَانَهَا قَبْلَ الْغَسْلِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَطَاوُوسٌ: إِذَا غَسَلَتْ فَرْجَهَا جَازَ لِلزَّوْجِ غَشِيَانَهَا قَبْلَ الْغَسْلِ.

وأكثر أهل العلم على التحريم ما لم تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء، لأن الله تعالى علق جواز وطئها بشرطين: / بانقطاع الدم والغسل، فقال ﴿حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ يعني من الحيض ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ يعني اغتسلن ٣٦/أ ﴿فَأَتَوْهْنَ﴾ ومن قرأ يطهرن بالتشديد فالمراد من ذلك: الغسل كقوله تعالى «وَأَنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا» (٦ - المائدة) أي فاغتسلوا فدل على أن قبل الغسل لا يحل الوطء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ قال عطاء ومقاتل بن سليمان والكلبي: يجب التوايين من الذنوب، ويجب المتطهرين بالماء من الأحداث والنجاسات، وقال مقاتل بن حيان: يجب التوايين من الذنوب والمتطهرين من الشرك، وقال سعيد بن جبيرة: التوايين من الشرك والمتطهرين من الذنوب، وقال مجاهد التوايين من الذنوب لا يعودون فيها والمتطهرين منها لم يصيبوها، والتواب: الذي كلما أذنب تاب، نظيره قوله تعالى: «فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفْرًا» (٢٥ - الاسراء).

قوله تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثُ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ شَتْمٌ﴾ أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرنا عبد الله بن حامد الأصبهاني أخبرنا محمد بن يعقوب أنا ابن المنادي أنا يونس أنا يعقوب القمي عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله هلكت، قال وما الذي أهلكك؟ قال: حولت رحلي البارحة، فلم يرد عليه شيئاً، فأوحى الله إليه ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثُ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ شَتْمٌ﴾ يقول أدبر وأقبل وائق الدبر والحيضة<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي: في التفسير، وقال: هذا حديث حسن غريب ٣٢٤/٨ والإمام أحمد عن ابن عباس ٢٩٧/١ وعزاه المباركفوري لأبي داود وابن ماجه، انظر تحفة الأحوذى ٣٢٤/٨ وابن كثير ٤٦٣/١. وعزاه السيوطي أيضاً لعبد بن حميد والنسائي وأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والطبراني والبيهقي والضياء. انظر: الدر المنثور: ٦٢٩/١.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أحمد بن الحسين الحيرى أنا حاجب بن أحمد الطوسى أنا عبد الرحيم بن منيب أنا ابن عيينة عن ابن المنكدر أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: كانت اليهود تقول في الذي يأتي امرأته من دبرها في قبلها: إن الولد يكون أحول، فنزلت ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثُ لَكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

وروى مجاهد عن ابن عباس قال كان من شأن أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا على حرف وذلك أستر ما تكون المرأة، وكان هذا الحى من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم، وكان هذا الحى من قريش يتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك فأنكرت عليه وقالت إنا كنا نؤتى على حرف فإن شئت فاصنع ذلك وإلا فاجتنبني، حتى سرى أمرهما، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثُ لَكُمْ﴾ الآية يعني موضع الولد ﴿فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ مقبلات ومدبرات ومستلقيات وأنى حرف استفهام يكون سؤالاً عن الحال والحل، معناه: كيف شئتم وحيث شئتم، بعد أن يكون في صمام واحد، وقال عكرمة ﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾ إنما هو الفرج، ومثله عن الحسن، وقيل ﴿حَرْثُ لَكُمْ﴾ أي مزرع لكم ومنبت للولد، بمنزلة الأرض التي تزرع، وفيه دليل على تحريم الأدبار، لأن محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر.

وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل، يعني إن شئتم فاعزلوا، وإن شئتم فلا تعزلوا وسئل ابن عباس عن العزل فقال: حرثك إن شئت فأعطش، وإن شئت فأرو، وروى عنه أنه قال: تستأمر الحرة في العزل ولا تستأمر الجارية، وبه قال أحمد، وكره جماعة العزل وقالوا: هو الوأد الخفي، وروى عن مالك عن نافع قال كنت أمسك على ابن عمر المصحف فقرأ هذه الآية ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثُ لَكُمْ﴾ فقال أتدري فيم نزلت هذه الآية؟ قلت لا قال: نزلت في رجل أتى امرأته من دبرها، فشق ذلك عليه فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

ويحكى عن مالك إباحة ذلك، وانكر ذلك أصحابه، وروى عن عبد الله بن الحسن أنه لقي سالم بن عبد الله فقال له يا أبا عمر ما حديث يُحدِّث نافع عن عبد الله أنه لم يكن يرى بأساً بإتيان النساء في أدبارهن فقال: كذب العبد وأخطأ، إنما قال عبد الله: يؤتون في فروجهن من أدبارهن، والدليل على تحريم الأدبار ما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد بن الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أخبرنا الشافعي أنا عمر محمد بن علي بن شافع أخبرني عبد الله بن علي بن السائب عن عمرو بن أحيحة بن الجلاح عن خزيمه بن ثابت أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن إتيان النساء في

(١) رواه البخاري: في التفسير: سورة البقرة — باب: نساؤكم حرث لكم ١٨٩/٨.

ومسلم: في النكاح — باب: جواز مجامعة امرأته في قبلها من قدامها..... برقم (١٤٣٥) ١٠٥٨/٢.

والمصنف في شرح السنة: ١٠٥/٦.

(٢) عزاه السيوطي للدارقطني في غرائب مالك. انظر: الدر المنثور: ٦٣٦/١.



أدبارهن فقال النبي ﷺ «في أي الحرمتين أو في أي الخرزتين أو في أي الخصفتين أمن دبرها في قبلها فنعيم أو من دبرها في دبرها فلا، فإن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا عبد الله الحسين بن محمد الحافظ أنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي أنا عبد الله بن أبان أنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن مسلم بن خالد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ملعون من أتى امرأته في دبرها»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ قال عطاء: التسمية عند الجماع قال مجاهد ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ يعني إذا أتى أهله فليدع.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن اسماعيل أنا عثمان بن أبي شيبة أنا جرير عن منصور عن سالم عن كريب عن ابن عباس قال قال النبي ﷺ «لو أن أحداكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبداً»<sup>(٣)</sup>. وقيل قدموا لأنفسكم يعني: طلب الولد.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقى أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»<sup>(٤)</sup>، وقيل: هو التزوج بالعفاف ليكون الولد صالحاً.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا مسدد أنا يحيى عن عبيد الله حدثني سعيد ابن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع

(١) مسند الشافعي: ٣٦٠/٢.

وابن حبان: (١٢٩٩) وصححه.

وأحمد: ٢١٣/٥ عن خزيمة بلفظ «فإن الله لا يستحي من الحق...».

الطحاوي: ٢٥/٢ وسنده صحيح (انظر الفتح: ١٤٣/٨).

(٢) رواه أبو داود: في النكاح — باب جامع في النكاح: ٧٧/٣.

وابن ماجه: في النكاح — باب: النبي عن آتيان النساء في أدبارهن برقم (١٩٢٣) ٦١٩/٢.

بلفظ: لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته في دبرها، وقال في الروائد: إسناده صحيح.

والمصنف في شرح السنة: ١٠٦/٩.

(٣) رواه البخاري: في النكاح — باب: ما يقول الرجل إذا أتى أهله: ٢٢٨/٩.

ومسلم: في النكاح — باب: ما يستحب أن يقوله عند الجماع برقم (١٤٣٤) ١٠٥٨/٢.

(٤) رواه مسلم: في الوصية — باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته برقم (١٦٣١) ١٢٥٥/٣.

والمصنف في شرح السنة: ٣٠٠/١.

وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ  
النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ  
قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾

لما لها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»<sup>(١)</sup> وقيل معنى الآية تقديم الأقرط.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب / عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم»<sup>(٢)</sup> وقال الكلبي والسدي: وقدموا لأنفسكم يعني الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَاقُوهُ﴾ صائرون إليه فيجزىكم بأعمالكم ﴿وبشر المؤمنين﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ نزلت في عبدالله بن رواحة، كان بينه وبين ختنته على أخته بشير بن النعمان الأنصاري شيء، فحلف عبدالله أن لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصمه، وإذا قيل له فيه قال: قد حلفت بالله أن لا أفعل، فلا يحل لي إلا أن تبر يميني، فأنزل الله هذه الآية<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن جريج: نزلت في أبي بكر الصديق حين حلف أن لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الإفك<sup>(٤)</sup>، والعرضة: أصلها الشدة والقوة ومنه قيل للدابة التي تتخذ للسفر عرضة، لقوتها عليه، ثم قيل لكل ما يصلح لشيء هو عرضة له حتى قالوا للمرأة هي عرضة النكاح إذا صلحت له والعرضة كل ما يعترض فيمنع عن الشيء ومعنى الآية ﴿لَا تَجْعَلُوا﴾ الحلف بالله سبباً مانعاً لكم من البر والتقوى يدعى أحدكم إلى صلة رحم أو بر فيقول حلفت بالله أن لا أفعله، فيعتل يمينه في ترك البر ﴿أن تبروا﴾ معناه أن لا تبروا كقوله تعالى «يبين الله لكم أن تضلوا» (١٧٦ - النساء) أي لئلا تضلوا ﴿وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم﴾.

(١) رواه البخاري: في النكاح - باب الأكفاء في الدين: ١٣١/٩.

ومسلم: في النكاح - باب: استحباب نكاح ذات الدين برقم (١٤٦٦) ١٠٨٦/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٨/٩.

(٢) رواه البخاري: في الأيمان والنذور - باب: قول الله: وأقسموا بالله جهد أيمانهم: ٥٤١/١١.

ومسلم: في البر والصلة والآداب - باب: فضل من يموت له ولد فيحتسبه برقم (٢٦٣٢) ٢٠٢٨/٤.

والمصنف في شرح السنة: ٤٥٠/٥.

(٣) انظر: أسباب النزول ص (١١٠)، الوسيط: ٣٢٤/١.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٤.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «من حلف يمين فرأى غيرها خيراً منها فليُكفّر عن يمينه، وليفعل الذي هو خير»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ اللغو كل مطرّح من الكلام لا يعتدّ به، واختلف أهل العلم في اللغو في اليمين المذكورة في الآية فقال قوم هو ما يسبق إلى اللسان على عجلة لصلة الكلام، من غير عقد وقصد، كقول القائل: لا والله وبلى والله وكلا والله.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الكسائي أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: لغو اليمين قول الانسان لا والله وبلى والله، ورفع بعضهم<sup>(٢)</sup> وإلى هذا ذهب الشعبي وعكرمة وبه قال الشافعي.

ويروى عن عائشة: أيمان اللغو ما كانت في الهزل والمرء والخصومة والحديث الذي لا يعقد عليه القلب، وقال قوم: هو أن يخلف على شيء يرى أنه صادق فيه ثم يتبين له خلاف ذلك وهو قول الحسن والزهري وأبراهيم النخعي وقتادة ومكحول، وبه قال أبو حنيفة رضي الله عنه، وقالوا لا كفارة فيه ولا إثم عليه، وقال علي: هو اليمين على الغضب، وبه قال طاووس وقال سعيد بن جبير هو اليمين في المعصية لا يؤاخذ به الله بالحنث فيها، بل يحنث ويكفر، وقال مسروق ليس عليه كفارة أيكفر خطوات الشيطان؟ وقال الشعبي في الرجل يخلف على المعصية كفارته أن يتوب منها وكل يمين لا يحل لك أن تفني بها فليس فيها كفارة ولو أمرته بالكفارة لأمرته أن يتم على قوله وقال زيد بن أسلم: هو دعاء الرجل على نفسه تقول لإنسان أعمى الله بصري إن لم أفعل كذا وكذا [أخرجني الله من مالي إن لم آتكن غداً، ويقول: هو كافر إن فعل كذا]<sup>(٣)</sup> فهذا كله لغو لا يؤاخذ به الله به ولو آخذهم به لعجل لهم العقوبة «ولو يعجل الله للناس الشر استعجلهم بالخير لقضي إليهم أجلهم» (١١ - يونس)، وقال «ويُدْعُ الإنسان بالشر دعاءه بالخير» (١١ - الإسراء).

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي عزمتم وقصدتم إلى اليمين، وكسب القلب العقد والنية «والله غفور رحيم» واعلم أن اليمين لا تتعقد إلا بالله أو بانسم من أسمائه، أو بصفة من صفاته: فاليمين بالله أن يقول: والذي أعبد، والذي أصلي له، والذي نفسي بيده، ونحو ذلك، واليمين بأسمائه كقوله والله والرحمن ونحوه، واليمين بصفاته كقوله: وعزة الله وعظمة الله وجلال الله وقدره الله

(١) رواه مسلم: في الايمان — باب: ندب من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها برقم (١٦٤٩) ٢٢٧٢/٣.

(٢) رواه أبو داود: في الايمان — باب: لغو اليمين ٣٥٩/٤ وقال المنذري (وذكر أن غير واحد رواه عن عطاء عن عائشة موقوفاً).

انظر: الزيلعي في نصب الراية: ٢٩٣/٣.

(٣) ساقط من (أ).

لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٣٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٣٧﴾ وَالْمُطَلَّقَتُ يَتَرَبَّصُ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٣٨﴾

ونحوها، فإذا حلف بشيء منها على أمر في المستقبل فحنت يجب عليه الكفارة وإذا حلف على أمر ماض أنه كان ولم يكن أو على أنه لم يكن وقد كان، إن كان عالماً به حالة ما حلف فهو اليمين الغموس، وهو من الكبائر، وتجب فيه الكفارة عند بعض أهل العلم، عالماً كان أو جاهلاً، وبه قال الشافعي، ولا تجب عند بعضهم وهو قول أصحاب الرأي وقالوا إن كان عالماً فهو كبيرة ولا كفارة لها كما في سائر الكبائر وإن كان جاهلاً فهو يمين اللغو عندهم ومن حلف بغير الله مثل أن قال: والكعبة وبيت الله ونبى الله، أو حلف بأبيه ونحو ذلك، فلا يكون يميناً، فلا تجب عليه الكفارة إذا حلف، وهي يمين مكروهة، قال الشافعي: وأخشى أن يكون معصية.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ يؤلون أي يحلفون، والإلية: اليمين والمراد من الآية: اليمين على ترك وطء المرأة، قال قتادة: كان الإيلاء طلاقاً لأهل الجاهلية، وقال سعيد بن المسيب: كان ذلك من ضرار أهل الجاهلية، كان الرجل لا يحب امرأته ولا يريد أن يتزوجها غيره، فيحلف أن لا يقربها أبداً، فيتركها لا أيماً ولا ذات بعل، وكانوا عليه في ابتداء الإسلام، فضرب الله له أجلاً في الإسلام، واختلف أهل العلم فيه: فذهب أكثرهم إلى أنه إن حلف أن لا يقرب زوجته أبداً أو سمي مدة أكثر من أربعة أشهر، يكون مولياً، فلا يتعرض له قبل مضي أربعة أشهر، وبعد مضيتها يوقف ويؤمر

(١) رواه البخاري: في الأيمان — باب: لا تحلفوا بأبائكم ٥٣٠/١١.

ومسلم: في الأيمان والنذور — باب: النهي عن الحلف بغير الله بقم (١٦٤٦) ١٢٦٦/٣.  
وزاد عمر قال: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عنها ذاكراً ولا أنثراً، انظر شرح السنة للمصنف حول الحلف واليمين ٣/١٠ — ٨.

بالفء أو بالطلاق بعد مطالبة المرأة، والفء هو الرجوع عما قاله بالوطء، إن قدر عليه، وإن لم يقدر فبالقول، فإن لم يفء ولم يطلق طلق عليه السلطان واحدة، وذهب إلى الوقوف بعد مضي المدة عمر وعثمان وعلي وأبو الدرداء وابن عمر، قال سليمان بن يسار: أدركت بضعة عشر من أصحاب النبي ﷺ كلهم يقول بوقف المولي. وإليه ذهب سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد، وبه قال مالك والشافعي وأحمد واسحق وقال بعض أهل العلم: إذا مضت أربعة أشهر تقع عليه طلقة بائة، وهو قول ابن عباس وابن مسعود وبه قال سفيان الثوري وأصحاب الرأي.

وقال سعيد بن المسيب والزهرى: تقع طلقة رجعية، ولو حلف أن لا يطأها أقل من أربعة أشهر لا يكون مولياً، بل هو حالف، فإذا وطئها قبل مضي تلك المدة تجب عليه كفارة اليمين، ولو حلف أن لا يطأها أربعة أشهر لا يكون مولياً عند من يقول بالوقوف بعد مضي المدة، لأن بقاء المدة شرط للوقوف وثبوت المطالبة بالفء أو الطلاق، وقد مضت المدة. وعند من لا يقول بالوقوف يكون مولياً، ويقع الطلاق بمضي المدة.

ومدة الإيلاء أربعة أشهر في حق الحر والعبد جميعاً عند الشافعي رحمه الله، لأنها ضربت لمعنى يرجع إلى الطبع، وهو قلة صبر المرأة عن الزوج، فيستوي فيه الحر والعبد كمدة العنة. وعند مالك رحمه الله وأبي حنيفة رحمه الله تنصف مدة العنة بالزق، غير أن عند أبي حنيفة تنصف برق المرأة، وعند مالك برق الزوج، كما قالوا في الطلاق.

قوله تعالى: ﴿تَرِيصَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ أي انتظار أربعة أشهر، والتريص: التثبت والتوقف. ﴿فَإِنْ فَأَوْا﴾ رجعوا عن اليمين بالوطء ﴿فَإِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وإذا وطئ خرج عن الإيلاء وتجب عليه كفارة اليمين عند أكثر أهل العلم، وقال الحسن وإبراهيم النخعي وقتادة: لا كفارة عليه لأن الله تعالى وعد بالمغفرة فقال ﴿فَإِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وذلك عند الأكثريين في إسقاط العقوبة لا في الكفارة، ولو قال لزوجته: إن قربتك فعبدي حر أو صرت طالقاً، أو لله علي عتق رقبة أو صوم أو صلاة فهو مول لأن المولي من يلزمه أمر بالوطء، ويوقف بعد مضي المدة فإن فاء يقع الطلاق أو العتق المعلق به، وإن التزم في الذمة تلزمه كفارة اليمين في قول، وفي قول يلزمه ما التزم في ذمته من الاعتاق والصلاة والصوم ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ أي حققوه بالإيقاع ﴿فَإِنْ اللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقولهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتهم، وفيه دليل على أنها لا تطلق بعد مضي المدة ما لم يطلقها زوجها، لأنه شرط فيه العزم، وقال: ﴿فَإِنْ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فدل على أنه يقتضي مسموعاً والقول هو الذي يسمع.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ﴾ أي المخليات من حبال أزواجهن ﴿يَتَرِيصْنَ﴾ ينتظرن ﴿بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ فلا يتزوجن، والقروء: جمع قرء، مثل فرع، وجمعه القليل أقرؤ والجمع الكثير أقرء، واختلف أهل

العلم في القروء فذهب جماعة إلى أنها الحيض وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد وإليه ذهب الأوزاعي والثوري وأصحاب الرأي / واحتجوا بأن النبي ﷺ قال للمستحاضة «دعي الصلاة أيام أقرائك»<sup>(١)</sup> وإنما تدع الصلاة أيام حيضها. وذهب جماعة إلى أنها الأطهار وهو قول زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وعائشة، وهو قول الفقهاء السبعة والزهري وبه قال ربيعة ومالك والشافعي، واحتجوا بأن ابن عمر رضي الله عنه لما طلق امرأته وهي حائض قال النبي ﷺ لعمر: «مره فليراجعها حتى تطهر ثم إن شاء أمسك وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء»<sup>(٢)</sup>.

فأخبر أن زمان العدة هو الطهر، ومن جهة اللغة قول الشاعر:

ففي كُلِّ عامٍ أنت جَاشِمٌ غَزْوَةٍ      تَشُدُّ لِأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا  
مُورِّثَةٍ مَالاً، وفي الحَيِّ رِفْعَةً      لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

وأراد به أنه كان يخرج إلى الغزو ولم يغش نساءه فتضيع أقرأههن وإنما تضيع بالسفر زمان الطهر لازمان الحيضة، وفائدة الخلاف تظهر في أن المعتدة إذا شرعت في الحيضة الثالثة تنقضي عدتها على قول من يجعلها أطهاراً وتحسب بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرءاً، قالت عائشة رضي الله عنها: إذا طعنت المطلقة في الدم من الحيضة الثالثة فقد برئت منه وبرئ منها. ومن ذهب إلى أن الأقراء هي الحيض يقول لا تنقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة، وهذا الاختلاف من حيث أن اسم القرء يقع على الطهر والحيض جميعاً، يقال أقرأت المرأة: إذا حاضت وأقرأت: إذا طهرت، فهي مقرء، واختلفوا في أصله فقال أبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة: هو الوقت لمجيء الشيء وذهابه، يقال: رجع فلان لقرئه ولقارئه أي لوقته الذي يرجع فيه وهذا قارئ الرياح أي وقت هبوبها، قال مالك بن الحارث الهذلي:

كَرِهْتُ الْعَقْرَ عَقَرَ يَنِي شَلِيلٍ      إِذَا هَبَّتْ لِقَارِئِهَا الرِّيحُ

أي لوقتها، والقرء يصلح للوجهين، لأن الحيض يأتي لوقت، والطهر مثله، وقيل: هو من القرأ وهو الحبس والجمع، تقول العرب: ما قرأت الناقة سلاً قط أي لم تضم رحمها على ولد ومنه قرئت الماء في المقرأة وهي الحوض أي جمعته، بترك همزها، فالقرء هاهنا احتباس الدم واجتماعه، فعلى هذا يكون الترجيح

(١) رواه أبو داود: في الطهارة — باب: من قال تغتسل من طهر إلى طهر ١/١٩١.

والترمذي: في الطهارة — باب: ما جاء أن المستحاضة تتوضأ لكل صلاة ١/٣٩٣.

وابن ماجه: في الطهارة — باب: ما جاء في المستحاضة ١/٢٠٤.

والدارقطني: في الحيض — ٢١٢/١ وانظر نصب الراية: ٢٠٢/١ — ٢٠٤.

(٢) رواه البخاري في الطلاق — باب: قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ٩/٣٤٥.

ومسلم: في الطلاق — باب: تحريم طلاق الحائض بغير رضاها برقم: (١٤٧١) ٢/١٠٩٣.

والمصنف في شرح السنة: ٢٠٢/٩ — ٢٠٣.

فيه للطهر لأنه يحبس الدم ويجمعه، والحيض يرخيه ويرسله، وجملة الحكم في العدد: أن المرأة إذا كانت حاملاً فعدتها بوضع الحمل، سواء وقعت الفرقة بينها وبين الزوج بالطلاق أو بالموت لقوله تعالى «وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن» (٤ - الطلاق) فإن لم تكن حاملاً نظرت: إن وقعت الفرقة بينهما بموت الزوج فعليها أن تعتد بأربعة أشهر وعشر، سواء مات الزوج قبل الدخول أو بعده، وسواء كانت المرأة من تحيض، أو لا تحيض لقول الله تعالى: «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً» (٢٣٤ - البقرة) وإن وقعت الفرقة بينهما في الحياة نظر بأن كان الطلاق قبل الدخول بها، فلا عدة عليها، لقول الله تعالى: «يأيتها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها» (٤٩ - الأحزاب).

وإن كان بعد الدخول نظر: إن كانت المرأة ممن لم تحض قط أو بلغت في الكبر سن الآيسات فعدتها ثلاثة أشهر لقول الله تعالى: «واللأئي يتسن من الحيض من نسائك ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللأئي لم يحضن» (٤ - الطلاق).

وإن كانت ممن تحيض فعدتها ثلاثة أقراء لقوله تعالى: «والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء» وقوله «يتربصن بأنفسهن» لفظه خبر ومعناه أمر، وعدة الأمة إن كانت حاملاً بوضع الحمل كالحرّة، وإن كانت حائلاً ففي الوفاة عدتها شهران وخمس ليال، وفي الطلاق، إن كانت ممن تحيض فعدتها قراءان، وإن كانت ممن لا تحيض فشهر ونصف: وقيل شهران كالقُرأتين في حق من تحيض: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ينكح العبد امرأتين ويطلق طلقتين وتعتد الأمة بحيضتين، فإن لم تكن تحيض فشهرين أو شهراً ونصفاً.

وقوله عز وجل: «ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن» قال عكرمة: يعني الحيض وهو أن يريد الرجل مراجعتها فتقول: قد حضت الثالثة وقال ابن عباس وقتادة: يعني الحمل، ومعنى الآية لا يحل للمرأة كتمان ما خلق الله في رحمها من الحيض والحمل لتبطل حق الزوج من الرجعة والولد «إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر» معناه أن هذا من فعل المؤمنات وإن كانت المؤمنة والكافرة في هذا الحكم سواء كما تقول، أدّ حقّي إن كنت مؤمناً، يعني أداء الحقوق من فعل المؤمنين.

«ويعولتن» يعني أزواجهن جمع بعل، كالفحولة جمع فحل، سمي الزوج بعلاً لقيامه بأمور زوجته وأصل البعل السيد والمالك «أحق بردهن» أولى برجعتهن إليهم «في ذلك» أي في حال العدة «إن أرادوا إصلاحاً» أي إن أرادوا بالرجعة الصلاح وحسن العشرة لا الإضرار كما كانوا يفعلونه في الجاهلية كان الرجل يطلق امرأته فإذا قرب انقضاء عدتها، راجعها ثم تركها مدة، ثم طلقها ثم إذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم بعد مدة طلقها يقصد بذلك تطويل العدة عليها «ولهن» أي للنساء على الأزواج مثل

الذي عليهن للأزواج بالمعروف قال ابن عباس في معناه: اني أحب أن أتزين لامرأتي كما تحب امرأتي أن تتزين لي لأن الله تعالى قال: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسن المروزي أخبرنا أبو سهل محمد بن عمر بن طرفة السجزي أنا أبو سليمان الخطابي أخبرنا أبو بكر بن داسة أنا أبو داود السجستاني أنا موسى بن اسماعيل أنا حماد أنا أبو قرعة سويد بن حجير الباهلي عن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه قال: قلت يارسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وأن تكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا محمد بن الحجاج أنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا حاتم ابن اسماعيل المدني عن جعفر بن محمد عن أبيه أنه قال: دخلنا على جابر بن عبد الله فقلت: أخبرني عن حجة رسول الله ﷺ فسرد قصة حجة الوداع إلى أن ذكر خطبته يوم عرفة قال: «فاتقوا الله في النساء، فانهن عوان عندكم، فإنكنم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، وهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما إن تمسكن به لن تضلوا بعده: كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد»<sup>(٢)</sup> ثلاث مرات.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أحمد بن الحسن الخيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي، أنا محمد ابن يحيى أنا يعلى بن عبيد أنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائكم»<sup>(٣)</sup>.

ب/ ٣٧

(١) رواه أبو داود في النكاح — باب: حق المرأة على زوجها ٦٧/٣ — ٦٨.

وابن ماجه: في النكاح — باب: في حق المرأة على الزوج بقم (١٨٥٠) ٥٩٣/١.

رواه أحمد: ٤٤٦/٤ — ٤٤٧ و ٣/٥ — ٥ جزء من حدث عن معاوية بن حيدة.

والمصنف في شرح السنة: ١٦٠/٩.

(٢) سبق تخريجه ص (٢١٩) هامش رقم (٢).

(٣) أبو داود: في السنة: بلفظ (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً): ٤٤/٧ وبهذا اللفظ أخرجه الدارمي في الرقاق باب: في حسن الخلق:

٣٢٣/٢.

والترمذي: في الرضاع — باب: ما جاء في حق المرأة على زوجها ٣٢٥/٤ وقال: حسن صحيح.

وابن حبان: (١٩٢٦) وصححه.

وأحمد: ٢٥٠/٢ و ٤٧٢ عن أبي هريرة.

والمصنف في شرح السنة: ١٨٠/٩.



الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا  
بِمَاءٍ آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا  
جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ  
الظَّالِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لِمَنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ  
عَلَيْهَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللرَّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ قال ابن عباس: بما ساق إليها من المهر وأنفق عليها من المال،  
وقال قتادة: بالجهد، وقيل بالعقل، وقيل بالشهادة، وقيل بالميراث، وقيل بالدية وقيل بالطلاق، لأن  
الطلاق بيد الرجال، وقيل بالرجعة، وقال سفيان وزيد بن أسلم: بالإمارة وقال القتيبي وللرجال عليهن  
درجة معناه فضيلة في الحق ﴿والله عزيز حكيم﴾.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو عبد الله محمد  
ابن عبد الله الصفار أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي أنا أبو حذيفة أنا سفيان عن الأعمش عن  
أبي ظبيان أن معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه النبي ﷺ فيها ثم رجع فرأى رجلاً يسجد بعضهم  
لبعض فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد  
لزوجها»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ روي عن عروة بن الزبير قال: كان الناس في الابتداء يطلقون من غير  
حصر ولا عدد، وكان الرجل يطلق امرأته، فإذا قاربت انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها كذلك ثم راجعها  
يقصد مضارتها فنزلت هذه الآية ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ يعني الطلاق الذي يملك الرجعة عقيبه مرتان، فإذا  
طلق ثلاثاً فلا تحل له إلا بعد نكاح زوج آخر.

قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ﴾ قيل: أراد بالإمساك الرجعة بعد الثانية، والصحيح أن المراد منه:  
الإمساك بعد الرجعة، يعني إذا راجعها بعد الرجعة الثانية فعليه أن يمسكها بالمعروف، والمعروف كل ما

(١) رواه ابن ماجه: في النكاح: باب حق الزوج على المرأة برقم (١٨٥٣) ٥٩٥/١.

وأبو داود: في النكاح: باب في حق الزوج على المرأة ٦٧/٣.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (١٢٩٠) ص ٣١٤

وأحمد: ٣٨١/٤، عن عبد الله بن أبي أوفى ٢٢٨/٥ عن معاذ بن جبل ٧٦/٦ عن عائشة بلفظ آخر.

والمصنف في شرح السنة: ١٥٨/٩.

وذكره الهيثمي في المجمع ٣٠٩/٤ وقال: رواه بتمامه البزار وأحمد باختصار ورجاله رجال الصحيح.

يعرف في الشرع، من أداء حقوق النكاح وحسن الصحبة ﴿أو تسريح بإحسان﴾ هو أن يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها وقيل الطلقة الثالثة.

قوله تعالى: ﴿أو تسريح بإحسان﴾ وصرح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلاثة: الطلاق والفراق والسراح، وعند أبي حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فحسب، وجملة الحكم فيه أن الحر إذا طلق زوجته طلقة أو طلقتين بعد الدخول بها يجوز له مراجعتها بغير رضاها مادامت في العدة، وإن لم يراجعها حتى انقضت عدتها، أو طلقها قبل الدخول بها أو خالعا فلا تحل له إلا بنكاح جديد بإذنها، وإذن وليها فإن طلقها ثلاثاً فلا تحل له، ما لم تنكح زوجاً غيره، وأما العبد إذا كانت تحتها امرأة، فطلقها طلقتين، فإنها لا تحل له إلا بعد نكاح زوج آخر.

واختلف أهل العلم فيما إذا كان أحد الزوجين رقيقاً، فذهب أكثرهم إلى أنه يعتبر عدد الطلاق بالزوج، فالحر يملك على زوجته الأمة ثلاث طلقات، والعبد لا يملك على زوجته الحرة إلا طلقتين، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: الطلاق بالرجال والعدة بالنساء، يعني يعتبر في عدد الطلاق حال الرجل وفي قدر العدة حال المرأة، وهو قول عثمان وزيد بن ثابت وابن عباس رضي الله عنهم، وبه قال عطاء وسعيد بن المسيب وأليه ذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحاق، وذهب قوم إلى أن الاعتبار بالمرأة في عدد الطلاق فيملك العبد على زوجته الحرة ثلاث طلقات ولا يملك الحر على زوجته الأمة إلا طلقتين وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي.

قوله تعالى ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن﴾ أعطيتموهن ﴿شيئاً﴾ من المهور وغيرها ثم استثنى الخلع فقال ﴿إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله﴾ نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي أوفى ويقال: حبيبة بنت سهل كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فكان بينهما كلام فأتت أباه فشكت إليه زوجها وقالت له: إنه يسبني إلى ويضربني فقال: أرجعي إلى زوجك فإني أكره للمرأة أن لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها قال: فرجعت إليه الثانية وبها أثر الضرب فقال لها: أرجعي إلى زوجك، فلما رأت أن أباه لا يشكيها أتت رسول الله ﷺ فشكت إليه زوجها وأرته آثاراً بها من ضربه وقالت يا رسول الله: لا أنا ولا هو، فأرسل رسول الله ﷺ إلى ثابت فقال: «مالك ولأهلك؟» فقال: والذي بعثك بالحق نبياً ما على وجه الأرض أحب إلى منها غيرك، فقال لها: ماتقولين؟ فكرهت أن تكذب رسول الله ﷺ حين سأها فقالت: صدق يا رسول الله ولكن قد خشيت أن يهلكني فأخرجني منه، وقالت: يا رسول الله ما كنت لأحدثك حديثاً ينزل الله عليك خلافه، هو من أكرم الناس محبة لزوجته، ولكني أبغضه فلا أنا ولا هو، قال ثابت: قد أعطيتها حديقة فلتردها علي وأخلي سبيلها فقال لها: «تردين عليه حديقته وتملكين أمرك؟» قالت: نعم فقال رسول الله ﷺ «يا ثابت خذ

منها ما أعطيتها وخل سبيلها»<sup>(١)</sup> ففعل.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا زاهر بن جميل أخبرنا عبد الوهاب الثقفي أنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ثابت ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكنني أكره الكفر بعد الإسلام، قال رسول الله ﷺ «أتردين عليه حديقته؟» قالت: نعم، قال رسول الله ﷺ «أقبل الحديقة وطلقها تطليقة»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ أي يعلما ﴿أَنْ لَا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ قرأ أبو جعفر وحمة ويعقوب ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ بضم الياء أي يعلم ذلك منهما، يعني: يعلم القاضي والولي ذلك من الزوجين، بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ فجعل الخوف لغير الزوجين، ولم يقل فإن خافا، وقرأ الآخرون ﴿يَخَافَا﴾ بفتح الياء أي يعلم الزوجان من أنفسهما ﴿أَنْ لَا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ تخاف المرأة أن تعصي الله في أمر زوجها، ويخاف الزوج إذا لم تطعه امرأته أن يعتدي عليها، فنبى الله الرجل أن يأخذ من امرأته شيئاً مما آتاها، إلا أن يكون النشوز من قبلها، فقالت: لا أطيع لك أمراً ولا أطألك مضجعاً ونحو ذلك.

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ أي فيما افتمدت به المرأة نفسها منه، قال الفراء: أراد بقوله ﴿عليهما﴾ الزوج دون المرأة، فذكرهما جميعاً لاقترانهما كقوله تعالى «نسيأحوتهما» (٦١ - الكهف)، وإنما الناسي فتى موسى دون موسى وقيل: أراد أنه لا جناح / عليهما جميعاً، لا جناح على المرأة في النشوز إذا خشيت الهلاك والمعصية، ولا فيما افتمدت به وأعطت من المال، لأنها ممنوعة من إتلاف المال بغير الحق، ولا على الزوج فيما أخذ منها من المال إذا أعطته طائعة، وذهب أكثر أهل العلم إلى أن الخلع جائز على أكثر مما أعطها وقال الزهري: لا يجوز بأكثر مما أعطها من المهر.

وقال سعيد بن المسيب: لا يأخذ منها جميع ما أعطها بل يترك منه شيئاً، ويجوز الخلع على غير حال النشوز غير أنه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينوري أنا عبد الله بن

(١) رواه مختصراً أبو داود عن حبيبة بنت سهل الأنصارية في الطلاق - باب في الخلع ١٤٣/٣.

والنسائي من حديث الرُّبَيْع بنت معوذ في الطلاق - باب عدة المختلعة ١٨٦/٦.

وابن جرير في التفسير ٥٥٤/٤.

وانظر الكافي الشاف ص ١٩ - ٢٠.

(٢) رواه البخاري: في الطلاق - باب: الخلع وكيف الطلاق فيه ٣٩٥/٩.

والمصنف في شرح السنة - ١٩٤/٩.

محمد بن شيبه أنا أحمد بن جعفر المستملي أنا أبو محمد يحيى بن اسحق بن شاكر بن أحمد بن خباب أنا عيسى بن يونس أنا عبد الله بن الوليد الوصافي عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أبغض الحلال إلى الله الطلاق»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه أنا ابن أبي أنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة أنا أبي أنا اسامة عن حماد بن زيد عن أبي أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «أما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة»<sup>(٢)</sup>.

وقال طاووس: الخلع يختص بحالة خوف النشوز لظاهر الآية، والآية خرجت على وفق العادة أن الخلع لا يكون إلا في حال خوف النشوز غالباً، وإذا طلق الرجل امرأته بلفظ الطلاق على مال فقبلت وقعت البينونة وانتقص به العدد.

واختلف أهل العلم في الخلع فذهب أكثرهم إلى أنه تطليقة بائنة ينتقص به عدد الطلاق، وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود، وبه قال سعيد بن المسيب وعطاء والحسن والشعبي والنخعي، وإليه ذهب مالك والثوري والأوزاعي وأصحاب الرأي وهو أظهر قول الشافعي، وذهب قوم إلى أنه فسخ لا ينتقص به عدد الطلاق وهو قول عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، وبه قال عكرمة وطاووس وإليه ذهب أحمد واسحق، واحتجوا بأن الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع، ثم ذكر بعده الطلقة الثالثة فقال: «فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره» ولو كان الخلع طلاقاً لكان الطلاق أربعاً، ومن قال بالأول جعل الطلقة الثالثة: (أو تسريح بإحسان).

(١) حديث ضعيف رواه أبو داود في الطلاق — باب: في كراهية الطلاق: ٩٢/٣.

وابن ماجه: في الطلاق — باب رقم (١) برقم (٢٠١٨)، والدارقطني في الطلاق عن معاذ: ٣٥/٤. والحاكم: ١٩٦/٢ وقال: صحيح الإسناد وأقره الذهبي.

قال المنذري: والمشهور فيه هو المرسل وهو غريب، وقال البيهقي وفي رواية ابن أبي شيبة (يعني محمد بن عثمان) عن عبد الله بن عمر موصولاً ولا أراه يحفظه، والمصنف في شرح السنة ١٩٥/٩.

وإن ما قاله أبو حاتم والدارقطني والبيهقي هو الراجح أن الحديث مرسل وضعفه الألباني في إرواء الغليل ١٠٦/٧ فليُنظر (انظر مختصر المنذري ٩٣/٣ وانظر: التلخيص الحبير لابن حجر: ٢٠٥/٣).

(٢) رواه أبو داود: في الطلاق — باب: الخلع: ١٤٢/٣.

والترمذي: في الطلاق — باب: ما جاء في المختلعات ٣٦٧/٤ وقال: هذا حديث حسن.

وابن ماجه: في الطلاق — باب: كراهية الخلع للمرأة برقم (٢٠٥٥) ٦٦٢/١.

والدارمي: في الطلاق — باب: النهي عن أن تسأل المرأة زوجها طلاقها ١٦٢/٢.

وأحمد: ٢٧٧/٥، ٢٨٣ عن ثوبان.

والمصنف في شرح السنة ١٩٥/٩ وإسناده قوي.

قوله تعالى: ﴿تلك حدود الله﴾ أي هذه أوامر الله ونواهيه، وحدود الله: ما منع الشرع من المجاوزة عنه ﴿فلا تعتدوها﴾ فلا تجاوزوها ﴿ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾.

قوله تعالى: ﴿فإن طلقها﴾ يعني الطلقة الثالثة ﴿فلا تحل له من بعد﴾ أي من بعد الطلقة الثالثة ﴿حتى تنكح زوجاً غيره﴾ أي: غير المطلق فيجامعها، والنكاح يتناول الوطء والعقد جميعاً، نزلت في تيممة وقيل في عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي كانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك القرظي فطلقها ثلاثاً.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أخبرنا سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنه سمعها تقول: جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني كنت عند رفاعة فطلقني فبئت طلاقاً، وتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وإنما معه مثل هدية الثوب، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة» قالت نعم قال: «لا، حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته»<sup>(١)</sup>.

وروي أنها لبثت ما شاء الله ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن زوجي قد مسني فقال لها النبي ﷺ كذبت بقولك الأول فلن نصدقك في الآخر. فلبثت حتى قبض النبي ﷺ فأتت أبا بكر رضي الله عنه فقالت: يا خليفة رسول الله ﷺ أرجع إلى زوجي الأول فإن زوجي الآخر مسني وطلقني فقال لها أبو بكر: قد شهدت رسول الله ﷺ حين أتيته وقال لك ما قال فلا ترجعي إليه، فلما قبض أبو بكر رضي الله عنه، أتت عمر رضي الله عنه وقالت له: مثل ذلك فقال لها عمر رضي الله عنه: لعن رجعت إليه لأرجنك<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا﴾ يعني فإن طلقها الزوج الثاني بعد ما جامعها ﴿فلا جناح عليهما﴾ يعني على المرأة وعلى الزوج الأول ﴿أن يتراجعا﴾ يعني بنكاح جديد ﴿إن ظنا﴾ أي علماً وقيل رجواً، لأن أحداً لا يعلم ما هو كائن إلا الله عز وجل ﴿أن يقيما حدود الله﴾ أي يكون بينهما الصلاح وحسن الصحبة، وقال مجاهد: معناه إن علما أن نكاحهما على غير الدُّلْسَةِ، وأراد بالدُّلْسَةِ التحليل، وهو مذهب سفيان الثوري والأوزاعي ومالك وأحمد وإسحاق، قالوا: إذا تزوجت المطلقة ثلاثاً زوجاً آخر ليحللها للزوج الأول: فإن النكاح فاسد، وذهب جماعة إلى أنه إن لم يشرط في النكاح

(١) رواه البخاري: في الطلاق — باب: من قال لامرأته أنت علي حرام ٣٧١/٩.

ومسلم: في النكاح — باب: لا تحل المطلقة ثلاثة لطلقها حتى تنكح زوجاً غيره بقرم (١٤٣٣) ١٠٥٥/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٢٣٢/٩.

(٢) انظر الكافي الشاف لابن حجر ص ٢٠ وقد عزاه لعبد الرزاق وهي عنده مختصرة، المصنف ٣٤٧/٦.

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ  
وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْنَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ  
هُزُوءًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ  
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾

مع الثاني أنه يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل ولها صداق مثلها، غير أنه يكره إذا كان في عزمها ذلك.

أخبرنا أبو الفرج المظفر بن اسماعيل التميمي أخبرنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ أنا الحسن بن الفرج أخبرنا عمرو بن خالد الحراني عن عبيد الله بن عبد الكريم هو الجزري عن أبي واصل عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه «لعن المحلل والمحلل له»<sup>(١)</sup> وقال نافع أتى رجل ابن عمر فقال له: إن رجلاً طلق امرأته ثلاثاً، فانطلق أخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للأول فقال: لا، إلا نكاح رغبة، كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله ﷺ وقال رسول الله ﷺ، «لعن الله المحلل والمحلل له»<sup>(٢)</sup> ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يَبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يعني يعلمون ما أمرهم الله تعالى به.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجْلَهُنَّ﴾ الآية، نزلت في رجل من الأنصار يدعى ثابت ابن يسار طلق امرأته حتى إذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها، يقصد بذلك مضارتها<sup>(٣)</sup>.

(١) حديث ابن مسعود وله طريقان الأول عن أبي قيس عن هزيل بن عبد الرحمن عنه بلفظ: (لعن رسول الله المحلل والمحلل له).

أخرجه الترمذي في النكاح — باب ما جاء في المحلل والمحلل له ٢٦٤/٤ وقال هذا حديث حسن صحيح.

والنسائي في الطلاق مطوياً — باب إحلال المطلقة ثلاثاً وما فيه من التغليظ ١٤٩/٦.

والدارمي في النكاح — باب في النهي عن التحليل ١٥٨/٥.

والبيهقي ٢٠٨/٧.

وأحمد ٤٤٨/١، ٤٦٢.

وقال الحافظ في التلخيص ١٧٠/٣ (وصححه ابن القطان وابن دقيق العيد على شرط البخاري).

والطريق الآخر عن أبي الواصل.

أخرجها أحمد ٤٥٠/١، ٤٥١ وأبو الواصل مجهول كما قال الحسيني وذكر الحافظ طريقاً ثالثة أخرجه عبد الرزاق من طريق عبد الله

بن مرة عن الحارس عن ابن مسعود، والحارث هذا هو الأعور الكوفي وهو ضعيف وقالوا كذاب.

وله طرق أخرى عن أبي هريرة، وعلي بن أبي طالب، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، وعقبة بن عامر.

رواها أبو داود وابن ماجه والترمذي وأحمد وغيرهم.

فالحديث صحيح.

انظر لإرواء الغليل ٣٠٧/٦ — ٣١١.

(٢) صححه الحاكم على شرط الشيخين: ١٩٩/٢.

(٣) أخرجه الطبري: ١٠/٥.

قوله تعالى: ﴿فَبَلِّغْ أَجْلَهُنَّ﴾ أي: أشرفن على أن يبين بانقضاء العدة، ولم يرد حقيقة انقضاء العدة، لأن العدة إذا انقضت لم يكن للزوج امساكها، فالبلوغ هاهنا بلوغ مقاربة، وفي قوله تعالى بعد هذا ﴿فَبَلِّغْ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضِلُوهُنَّ﴾ حقيقة انقضاء العدة، والبلوغ يتناول المعنيين، يقال: بلغ المدينة إذا قرب منها وإذا دخلها ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ أي راجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ قيل المراجعة بالمعروف أن يشهد على رجعتها وأن يراجعها بالقول لا بالوطء.

﴿أَوْ سَرَحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي تركوهن حتى تنقضي عدتهن فيمكن أملك بأنفسهن ﴿وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾ أي لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ أي أضر / بنفسه بمخالفة أمر الله تعالى ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ قال الكلبي يعني قوله تعالى: ٣٨/ب

«فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان» وكل من خالف أمر الشرع فهو متخذ آيات الله هزواً، قال أبو الدرداء هو أن الرجل كان يطلق امرأته ثم يقول: كنت لاعباً، ويعتق ويقول: مثل ذلك [وينكح ويقول مثل ذلك] (١).

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن الطيسفوني أخبرنا عبد الله بن عمرو الجوهري أخبرنا أحمد بن علي الكشميني أخبرنا علي بن حجر أخبرنا اسماعيل بن جعفر عن أبي حبيب ابن أركن عن عطاء بن أبي رباح عن ابن مائه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «ثلاث جدهن جد، وهزلهن جد: الطلاق والنكاح والرجعة» (٢).

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإيمان ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يعني: القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني: السنة، وقيل: مواعظ القرآن ﴿يَعْظُمُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ

(١) ساقط من (أ).

(٢) رواه أبو داود: في الطلاق — باب: في الطلاق على الهزل ١١٨/٣ — ١١٩.

والترمذي: في الطلاق — باب: ما جاء في الجد والهزل في الطلاق ٣٦٢/٤ وقال: هذا حديث حسن غريب.

وابن ماجه: في الطلاق — باب: من طلق أو نكح أو راجع لاعباً برقم (٢٠٣٩) ٦٥٨/١.

والحاكم: ١٩٧/٢ وصححه والدارقطني في السنن ٢٥٦/٣ — ٢٥٧.

وفي إسناده عبد الرحمن بن حبيب بن أركن وهو مختلف فيه: قال النسائي: منكر الحديث وثقه غيره، قال الحافظ فهو على هذا حسن (تحفة الأحوذى: ٣٦٢/٤).

والمصنف في شرح السنة ٢١٩/٩ وانظر التلخيص الحبير ٢٠٧/٣ وإرواء الغليل ٢٢٤/٦ — ٢٢٨.

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعْنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ  
بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٧﴾

عليم\* وإذا طلقتم النساء فلعنن أجلهن ﴿﴾ نزلت في جميلة بنت يسار أخت معقل بن يسار المزني، كانت تحت أبي البداح عاصم بن عدي بن عجلان فطلقها.

أخبرنا عبدالواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أخبرنا أحمد بن أبي عمرو حدثني أبي حدثني إبراهيم عن يونس عن الحسن قال حدثني معقل ابن يسار قال زوجت أختاً لي من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها فقلت له: زوجتك وفرشتك وأكرمتك فطلقها ثم جئت تخطبها؟ لا والله لا تعود إليك أبداً، وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه فأنزل الله تعالى ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ فقلت: الآن أفعل يارسول الله، قال: فزوجتها إياه<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَلَعْنَ أَجْلَهُنَّ﴾ أي انقضت عدتهن ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ أي لا تمنعهن عن النكاح، والعضل: المنع، وأصله الضيق والشدة، يقال: عضلت المرأة إذا نشب ولدها في بطنها فضاقت عليه الخروج، والداء العضال الذي لا يطاق، وفي الآية دليل على أن المرأة لا تلي عقد النكاح إذ لو كانت تملك ذلك لم يكن هناك عضل ولا لنهي الولي عن العضل معنى، وقيل الآية خطاب مع الأزواج لمنعهم من الإضرار لأن ابتداء الآية خطاب معهم، والأول أصح.

﴿إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ يعقد حلال ومهر جائز ﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك الذي ذكر من النهي ﴿يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وإنما قال ذلك موحداً، والخطاب للأولياء لأن الأصل في مخاطبة الجمع: ذلكم، ثم كثر حتى توهموا أن الكاف من نفس الحرف وليست بكاف خطاب فقالوا ذلك، فإذا قالوا هذا كانت الكاف موحدة منصوبة في الاثنين والجمع والمؤنث والمذكر قيل هو خطاب للنبي ﷺ فلذلك وحد ثم رجع إلى خطاب المؤمنين فقال ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ أي خير لكم ﴿وَأَطْهَرُ﴾ لقلوبكم من الرية وذلك أنه إذا كان في نفس كل واحد منهما علاقة حب لم يؤمن أن يتجاوز ذلك إلى غير ما أحل الله لهما، ولم يؤمن من الأولياء أن يسبق إلى قلوبهم منهما ما لعلهما أن يكونا بريئين من ذلك فيأثمون ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي يعلم من حب كل واحد منهما لصاحبه ما لا تعلمون أنتم.

(١) أخرجه البخاري في النكاح، باب من قال: لا نكاح إلا بولي: ١٨٣/٩، وفي التفسير: ١٩٢/٨.



وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَزِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَانْقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ يعني: المطلقات اللاتي هن أولاد من أزواجهن يرضعن، خبر بمعنى الأمر، وهو أمر استحباب لا أمر إيجاب، لأنه لا يجب عليهن الإرضاع إذا كان يوجد من ترضع الولد لقوله تعالى في سورة الطلاق: «فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن» (٦) — الطلاق) فإن رغبت الأم في الإرضاع فهي أولى من غيرها ﴿حولين كاملين﴾ أي سنتين، وذكر الكمال للتأكيد كقوله تعالى: «تلك عشرة كاملة» (١٩٦ — البقرة) وقيل إنما قال كاملين لأن العرب قد تسمي بعض الحول حولاً وبعض الشهر شهراً كما قال الله تعالى: «الحج أشهر معلومات» (١٩٧ — البقرة)، وإنما هو شهران وبعض الثالث وقال: «فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه» (٢٠٣ — البقرة)، وإنما يتعجل في يوم وبعض يوم، ويقال أقام فلان بموضع كذا حولين وإنما أقام به حولاً وبعض آخر، فبين الله تعالى أنهما حولان كاملان، أربعة وعشرون شهراً، واختلف أهل العلم في هذا الحد، فمنهم من قال هو حد لبعض المولودين، فروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها إذا وضعت لستة أشهر فإنها ترضعه حولين كاملين، وإن وضعته لسبعة أشهر فإنها ترضعه ثلاثة وعشرين شهراً، وإن وضعت لتسعة أشهر فإنها ترضعه أحدا وعشرين شهراً، وإن وضعت لعشرة أشهر فإنها ترضعه عشرين شهراً، كل ذلك تمام ثلاثين شهراً لقوله تعالى: «وحمله وفصاله ثلاثون شهراً» (١٥ — الأحقاف).

وقال قوم: هو حد لكل مولود بأي وقت ولد لا ينقص رضاعه عن حولين إلا باتفاق الأبوين فأيهما أراد الفطام قبل تمام الحولين ليس له ذلك إلا أن يجتمعا عليه لقوله تعالى: «فإن أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ وهذا قول ابن جريج والثوري ورواية الوالبي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل: المراد من الآية: بيان أن الرضاع الذي تثبت به الحرمة ما يكون في الحولين، فلا يحرم ما يكون بعد الحولين، قال قتادة: فرض الله على الوالدات إرضاع حولين كاملين ثم أنزل التخفيف فقال: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ أي هذا منتهى الرضاعة وليس فيما دون ذلك حد محدود وإنما هو على مقدار صلاح الصبي وما يعيش به ﴿وعلى المولود له﴾ يعني الأب ﴿رزقهن﴾ طعامهن ﴿وكسوتهن﴾ لباسهن ﴿بالمعروف﴾ أي على قدر الميسرة ﴿لا تكلف نفس إلا وسعها﴾ أي طاقتها ﴿لا تضار والدتها بولدها﴾ قرأ ابن كثير

وأهل البصرة برفع الرء نسقاً على قوله ﴿لا تكلف﴾ وأصله تضارر فأدغمت الرء في الرء، وقرأ الآخرون تضاراً بنصب الرء، قالوا: لما أدغمت الرء في الرء حركت إلى أخف الحركات وهو النصب ومعنى الآية ﴿لا تضار والدته بولدها﴾ فينزع الولد منها إلى غيرها بعد أن رضيت بإرضاعه ﴿ولا مولود له بولده﴾ أي لا تلقيه المرأة إلى أبيه بعدما ألفها، تضاره بذلك، وقيل معناه ﴿لا تضار والدته﴾ فتكره على إرضاعه إذا كرهت إرضاعه، وقبل الصبي من غيرها، لأن ذلك ليس بواجب عليها ﴿ولا مولود له بولده﴾ فيحتمل أن تعطى الأم أكثر مما يجب لها إذا لم يرتضع من غيرها.

فعلى هذين القولين أصل الكلمة لا تضارر بفتح الرء الأولى على الفعل المجهول، والوالدة والمولود له مفعولان، ويحتمل أن يكون الفعل لهما وتكون تضار بمعنى تضارر بكسر الرء الأولى على تسمية الفاعل والمعنى ﴿لا تضار والدته﴾ فتأى أن ترضع ولدها ليشق على أبيه ﴿ولا مولود له﴾ أي لا يضار الأب أم الصبي، فينزعها منها ويمنعها من إرضاعه، وعلى هذه الأقوال يرجع الإضرار إلى / والوالدين يضار كل واحد منهما صاحبهما بسبب الولد، ويجوز أن يكون الضرر راجعاً إلى الصبي، أي لا يضار كل واحد منهما الصبي، فلا ترضعه الأم حتى يموت أو لا ينفق الأب أو ينتزعه من الأم حتى يضر بالصبي، فعلى هذا تكون الباء زائدة ومعناه (لا تضار والدته بولدها) ولا أب بولده وكل هذه الأقاويل مروية عن المفسرين.

أ/٣٩

قوله تعالى: ﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾ اختلفوا في هذا الوارث، فقال قوم: هو وارث الصبي، معناه: وعلى وارث الصبي الذي لو مات الصبي وله مال ورثه مثل الذي كان على أبيه في حال حياته، ثم اختلفوا في أي وارث هو من ورثته فقال بعضهم: هو عصبه الصبي من الرجال مثل: الجد والأخ وابن الأخ والعم وابن العم، وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وبه قال إبراهيم والحسن ومجاهد وعطاء وهو مذهب سفيان قالوا: إذا لم يكن للصبي ما ينفق عليه أجبرت عصبته الذين يرثونه على أن يسترضعوه، وقيل: هو وارث الصبي من كان من الرجال والنساء: وهو قول قتادة وابن أبي ليلى ومذهب أحمد وإسحاق وقالوا: يجبر على نفقته كل وارث على قدر ميراثه عصبه كانوا أو غيرهم.

وقال بعضهم هو من كان ذا رحم محرم من ورثة المولود، فمن ليس بمحرم مثل ابن العم والمولى فغير مراد بالآية، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله، وذهب جماعة إلى أن المراد بالوارث هو الصبي نفسه، الذي هو وارث أبيه المتوفى تكون أجره رضاعه ونفقته في ماله، فإن لم يكن له مال فعلى الأم، ولا يجبر على نفقة الصبي إلا الوالدان، وهو قول مالك والشافعي رحمهما الله، وقيل هو الباقي من والدي المولود بعد وفاة الآخر عليه مثل ما كان على الأب من أجره الرضاع والنفقة والكسوة.

وقيل: ليس المراد منه النفقة، بل معناه وعلى الوارث ترك المضارة، وبه قال الشعبي والزهري ﴿فإن أراد﴾ يعني الوالدين ﴿فصلاً﴾ فطاماً قبل الحولين ﴿عن تراض منهما﴾ أي اتفاق من الوالدين

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٤٠﴾

﴿وتشاور﴾ أي يشاورون أهل العلم به حتى يخبروا أن الفطام في ذلك الوقت لا يضر بالولد، والمشاورة استخراج الرأي ﴿فلا جناح عليهما﴾ أي لا حرج عليهما في الفطام قبل الحولين ﴿وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم﴾ أي لأولادكم مرضع غير أمهاتهم إذا أبت أمهاتهم أن يرضعنهم أو تعذر لعلة بهن، أي: انقطاع لبن أو أردن النكاح ﴿فلا جناح عليكم إذا سلمتم﴾ إلى أمهاتهم ﴿ما آتيت﴾ ما سئمت لهن من أجره الرضاع بقدر ما أرضعن، وقيل إذا سلمتم أجور المرضع إليهن بالمعروف، قرأ ابن كثير ﴿ما آتيت﴾ وفي الروم «وما آتيت من ربا» (٣٩ - الروم) بقصر الألف ومعناه ما فعلتم يقال: آتيت جميلاً إذا فعلته، فعلى هذه القراءة يكون التسليم بمعنى الطاعة والانقياد لا بمعنى تسليم الأجرة يعني إذا سلمتم لأمره وانقدتم لحكمه، وقيل إذا سلمتم للاسترضاع عن تراض واتفاق دون الضرار ﴿واقفوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير﴾.

قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم﴾ أي يموتون وتتوفى آجالهم، وتوفى واستوفى بمعنى واحد، ومعنى التوفى أخذ الشيء وافيًا ﴿ويذرون أزواجاً﴾ يتركون أزواجاً ﴿يتربصن﴾ ينتظرن ﴿بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ أي يعتددن بترك الزينة والطيب والنقطة على فراق أزواجهن هذه المدة إلا أن يكنَّ حوامل فعدتهن بوضع الحمل، وكانت عدة الوفاة في الابتداء حولاً كاملاً لقوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهن متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾ (٢٤٠ - البقرة) ثم نسخت بأربعة أشهر وعشر.

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد: كانت هذه العدة يعني أربعة أشهر وعشراً واجبة عند أهل زوجها فأنزل الله تعالى: ﴿متاعاً إلى الحول﴾ فجعل لها تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة وصية إن شاءت سكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت وهو قول الله عز وجل: «غير إخراج، فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن» (٢٤٠ - البقرة) فالعدة كما هي واجبة عليها.

وقال: عطاء قال: ابن عباس رضي الله عنهما: نسخت هذه الآية عدتها عند أهله وسكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت، قال عطاء: ثم جاء الميراث ففسخ السكنى فتعدت حيث شاءت ولا سكنى لها ويجب عليها الإحداد في عدة الوفاة، وهي أن تمتنع من الزينة والطيب فلا يجوز لها تدهين رأسها بأي دهن سواء كان فيه طيب أو لم يكن، ولها تدهين جسدها بدهن لا طيب فيه، فإن كان فيه طيب فلا يجوز، ولا يجوز لها أن تكتحل بكحل فيه طيب أو فيه زينة كالكحل الأسود ولا بأس بالكحل الفارسي

الذي لا زينة فيه فإن اضطرت إلى كحل فيه زينة فرخص فيه كثير من أهل العلم منهم سالم بن عبد الله وسليمان بن يسار وعطاء والنخعي وبه قال مالك وأصحاب الرأي، وقال الشافعي رحمه الله: تكتحل به ليلاً وتمسحه بالنهار.

قالت أم سلمة: دخل علي رسول الله ﷺ حين توفي أبو سلمة وقد جعلت علي صبراً فقال «إنه يشبُّ»<sup>(١)</sup> الوجه فلا تجعله إلا بالليل وتنزعه بالنهار»<sup>(٢)</sup>.

ولا يجوز لها الخضاب ولا لبس الوشي والدياج والحلي ويجوز لها لبس البيض من الثياب ولبس الصوف والوبر، ولا تلبس الثوب المصبوغ للزينة كالأحمر والأخضر الناضر والأصفر، ويجوز ما صبغ لغير زينة كالسواد والكحلي وقال سفيان: لا تلبس المصبوغ بحال.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن محمد بن عمر بن حزم عن حميد بن نافع عن زينب بنت أبي سلمة أنها أخبرته بهذه الأحاديث الثلاثة قالت زينب: دخلت على أم حبيبة زوج النبي ﷺ حين توفي أبوها أبو سفيان ابن حرب فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة، خلوق أو غيره، فدهنت به جارية ثم مست به بطنها ثم قالت: والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً»<sup>(٣)</sup>.

وقالت زينب: ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفي أخوها عبد الله فدعت بطيب فمست به ثم قالت: والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر «لا يحل لامرأة أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً» قالت زينب: وسمعت أُمي أم سلمة تقول:

جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله ان ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفتكحلها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا»، ثم قال: «إنما هي أربعة أشهر وعشر وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول»<sup>(٤)</sup> قال حميد: فقلت لزينب: وما ترمي بالبعرة على رأس الحول؟

(١) يشبُّ: يلونه ويحسنه، النهاية لابن الأثير.

(٢) رواه أبو داود في الطلاق: باب: فيما تجنبه المعتدة في عدتها ٢٠١/٣ — ٢٠٢.

والنسائي: في الطلاق — باب: الرخصة للحادة أن تمتشط بالسدر ٢٠٤/٦.

(٣) رواه البخاري: في الطلاق — باب: تحد المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشر ٤٨٤/٩ وفي الجنايز.

ومسلم: في الطلاق — باب: وجوب الإحداد برقم (١٤٨٦) ١١٢٤/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٣٠٦/٩ — ٣٠٧.

(٤) قطعة من الحديث السابق.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَقْرَبُوا عُقَدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ. وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

فقال زينب: كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت جحفشاً<sup>(١)</sup> أي بيتاً صغيراً وليست شر ثيابها ولم تمس طيباً ولا شيئاً حتى تمر بها سنة، ثم تؤتي بدابة، حمار أو شاة أو طير فتفتض به، أي تمسح فقلما تفتض بشيء إلا مات، ثم تخرج فتعطي بعة فترمي بها، / ثم تراجع بعد ذلك ما شاءت من طيب أو غيره، وقال مالك: تفتض أي تمسح جلدها.

وقال سعيد بن المسيب: الحكمة في هذه المدة أن فيها ينفخ الروح في الولد، ويقال إن الولد يرتكض أي يتحرك في البطن لنصف مدة الحمل أربعة أشهر وعشراً قريباً من نصف مدة الحمل، وإنما قال عشراً بلفظ المؤنث لأنه أراد الليالي لأن العرب إذا أهتمت العدد بين الليالي والأيام غلبت عليها الليالي فيقولون صمنا عشراً والصوم لا يكون إلا بالنهار.

وقال المبرد: إنما أتت العشر لأنه أراد المدد أي عشر مدد كل مدة يوم وليلة، وإذا كانت المتوفى عنها زوجها حاملاً فعدتها بوضع الحمل عند أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم وروى عن علي وابن عباس رضي الله عنهما أنها تنتظر آخر الأجلين من وضع الحمل أو أربعة أشهر وعشراً، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أنزلت سورة النساء القصوى بعد الطول أراد بالقصرى سورة الطلاق «وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن» (٤ - الطلاق) نزلت بعد قوله تعالى: «يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً» في سورة البقرة فحمله على النسخ، وعامة الفقهاء خصوا الآية بحديث سبيعة وهو ما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن المسور بن مخرمة أن سبيعة نفست بعد وفاة زوجها بليال فجاءت إلى رسول الله ﷺ فاستأذنته أن تنكح فأذن لها فنكحت<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي انقضت عدتهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ خطاب للأولياء ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ أي من اختيار الأزواج دون العقد فإن العقد إلى الولي، وقيل فيما فعلن من التزين

(١) الجحفش بالكسر الدُرَج، وقيل: الجحفش البيت الصغير الذليل القريب السمك سمي به لضيقه. النهاية لابن الأثير.

(٢) رواه البخاري: في الطلاق باب: وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ٤٦٩/٩.

ومسلم: في الطلاق - باب: انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل برقم (١٤٨٥) ١١٢٣/٢.

للرجال زينة لا ينكرها الشرع ﴿بالمعروف والله بما تعملون خير﴾ والإحداد واجب على المرأة في عدة الوفاة، أما المعتدة عن الطلاق تُظَرَّ فإن كانت رجعية فلا إحداد عليها في العدة لأن لها أن تصنع ما يشوق قلب الزوج إليها ليراجعها، وفي البائنة بالخلع والطلقات الثلاثة قولان: أحدهما: عليها الإحداد كالمتوفى عنها زوجها، وهو قول سعيد بن المسيب، وبه قال أبو حنيفة، والثاني: لا إحداد عليها وهو قول عطاء، وبه قال مالك.

قوله تعالى: ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء﴾ أي النساء المعتدات وأصل التعريض هو التلويح بالشيء، والتعريض في الكلام ما يفهم به السامع مراده من غير تصريح والتعريض بالخطبة مباح في العدة وهو أن يقول: رُبَّ راعب فيك، من يجد مثلك، إنك لجميلة، وإنك لصالحة، وإنك علي لكريمة، وإني فيك لراعب، وإنَّ من غرضي أن أتزوج وإن جمع الله بيني وبينك بالحلال أعجبني ولئن تزوجتك لأحسننَّ إليك، ونحو ذلك من الكلام من غير أن يقول أنكحيني والمرأة تحببه بمثله إن رغبت فيه، وقال إبراهيم: لا بأس أن يهدي لها ويقوم بشغلها في العدة إذا كانت من شأنه.

روي أن سكينه بنت حنظلة بانت من زوجها فدخل عليها أبو جعفر محمد بن علي الباقر في عدتها وقال: يا بنت حنظلة أنا من قد علمت قرابتي من رسول الله ﷺ وحق جدي علي وقدمي في الإسلام فقالت سكينه أخطبني وأنا في العدة وأنت يؤخذ العلم عنك؟ فقال: إنما أخبرتك بقرابتي من رسول الله ﷺ، قد دخل رسول الله ﷺ على أم سلمة وهي في عدة زوجها أبي سلمة فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى أثر الحصر في يده من شدة تحامله على يده<sup>(١)</sup>..

والتعريض بالخطبة جائز في عدة الوفاة، أما المعتدة عن فرقة الحياة نظر: إن كانت ممن لا يحل لمن بانت منه نكاحها كالمطلقة ثلاثاً والمبانة باللعان والرضاع: يجوز خطبتها تعريضاً وإن كانت ممن يحل للزوج نكاحها كالمختلعة والمفسوخ نكاحها يجوز لزوجها خطبتها تعريضاً وتصريحاً.

وهل يجوز للغير تعريضاً؟ فيه قولان: أحدهما يجوز كالمطلقة ثلاثاً، والثاني لا يجوز لأن المعاودة ثابتة لصاحب العدة كالرجعية لا يجوز للغير تعريضها بالخطبة.

وقوله تعالى: ﴿من خطبة النساء﴾ الخطبة التماس النكاح وهي مصدر خطب الرجل المرأة يخطب خطبة، وقال الأخفش: الخطبة الذكر، والخطبة التشهد فيكون معناه: فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن، ﴿أو أكنتم﴾ أضمرتم ﴿في أنفسكم﴾ من نكاحهن يقال: أكننت الشيء وكننته لغتان، وقال ثعلب: أكننت الشيء أي أخفيت في نفسي وكننته سترته، وقال السدي: هو أن يدخل فيسلم ويهدي إن

(١) أخرجه ابن المبارك في كتاب النكاح، ورواه الدارقطني من رواية محمد بن الصلت عن عبد الرحمن بن سليمان، وهو ابن الغسيل..

انظر: الكافي الشافي لابن حجر ص ٢١.

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى  
الْمُوسَعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدْرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾

شاء ولا يتكلم بشيء ﴿علم الله أنكم ستذكروهن﴾ بقلوبكم ﴿ولكن لا تواعدوهن سرًا﴾ اختلفوا في السر المنهي عنه فقال قوم: هو الزنا كان الرجل يدخل على المرأة من أجل الزنية وهو يتعرض بالنكاح ويقول لها: دعيني فإذا أوفيت عدتك أظهرت نكاحك، هذا قول الحسن وقتادة وإبراهيم وعطاء ورواية عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال زيد بن أسلم: أي لا ينكحها سرًا فيمسكها فإذا حلت أظهر ذلك.

وقال مجاهد: هو قول الرجل لا تفوتيني بنفسك فإني ناكحك، وقال الشعبي والسدي لا يأخذ ميثاقها أن لا تنكح غيره، وقال عكرمة: لا ينكحها ولا يخطبها في العدة.

قال الشافعي: السر هو الجماع، وقال الكلبي: أي لا تصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع فيقول آتيك الأربعة والخمسة وأشبه ذلك، ويذكر السر ويراد به الجماع قال امرئ القيس:

أَلَا زَعَمْتُ بَسْبَاسَةَ الْقَوْمِ أَنَّنِي كَبُرْتُ وَأَلَّا يُحْسِنُ السِّرَّ أُمَثَالِي

وإنما قيل للزنا والجماع سر لأنه يكون في خفاء بين الرجل والمرأة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ هو ما ذكرنا من التعريض بالخطبة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزَمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ﴾ أي لا تحققوا العزم على عقدة النكاح في العدة حتى يبلغ الكتاب أجله أي: حتى تنتضي العدة وسماها الله كتاباً لأنها فرض من الله كقوله تعالى: «كتب عليكم» أي فرض عليكم ﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾ أي فحذروا الله ﴿واعلموا أن الله غفور حلیم﴾ لا يعجل بالعقوبة.

قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أي ولم تمسوهن ولم تفرضوا، نزلت في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يسم لها مهرًا ثم طلقها قبل أن يمسها فنزلت هذه الآية فقال له رسول الله ﷺ: «متعها ولو بقلنسوتك»<sup>(١)</sup>.

أ/٤٠

قرأ حمزة والكسائي ﴿ما لم تمسوهن﴾ بالالف ههنا وفي الأحزاب على المفاعلة لأن بدن كل واحد منهما يلاقي بدن صاحبه كما قال الله تعالى: «من قبل أن يتامسا» (٣ - المجادلة) وقرأ الباقر ﴿تمسوهن﴾

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الكافي الشاف ص ٢١: «لم أجده».

وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ  
إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى  
وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

بلا ألف لأن الغشيان يكون من فعل الرجل دليله قوله تعالى: «ولم يمسنني بشر» (٤٧ — آل عمران).

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَفَرِّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أي توجبوا لهن صداقاً فإن قيل فما الوجه في نفي الجناح عن المطلق قيل: الطلاق قطع سبب الوصلة وجاء في الحديث «أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق» (١).

فنفي الجناح عنه إذا كان الفراق أروح من الإمساك، وقيل معناه لا سبيل للنساء عليكم إن طلقتموهن من قبل المسيس والفرض بصدق ولا نفقة، وقيل: لا جناح عليكم في تطليقهن قبل المسيس في أي وقت شتمت حائضاً كانت المرأة أو طاهراً لأنه لا سنة ولا بدعة في طلاقهن قبل الدخول بها بخلاف المدخول بها فإنه لا يجوز تطليقها في حال الحيض ﴿ومتعوهن﴾ أي أعطوهن من مالكم ما يتمتع به والمتعة والمتاع ما يتبلغ به من الزاد ﴿على الموسع﴾ أي على الغني ﴿قدره وعلى المقتر﴾ أي الفقير ﴿قدره﴾ أي إمكانه وطاقته قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص قدره بفتح الدال فيهما وقرأ الآخرون بسكونهما وهما لغتان وقيل: القدر بسكون الدال المصدر وبالفتح الاسم، متاعاً: نصب على المصدر أي متعوهن ﴿متاعاً بالمعروف﴾ أي بما أمركم الله به من غير ظلم ﴿حقاً على المحسنين﴾، وبيان حكم الآية أن من تزوج امرأة ولم يفرض لها مهراً ثم طلقها قبل المسيس تجب لها المتعة بالاتفاق وإن طلقها بعد الفرض قبل المسيس فلا متعة لها على قول الأكثرين ولها نصف المهر المفروض.

واختلفوا في المطلقة بعد الدخول بها فذهب جماعة إلى أنه لا متعة لها لأنها تستحق المهر وهو قول أصحاب الرأي وذهب جماعة إلى أنها تستحق المتعة لقوله تعالى «وللمطلقات متاع بالمعروف» (٢٤١ — البقرة) وهو قول عبد الله بن عمر وبه قال عطاء ومجاهد والقاسم بن محمد وإليه ذهب الشافعي لأن استحقاقها المهر بمقابلة ما أتلّف عليها من منفعة البضع فلها المتعة على وحشة الفراق، فعلى القول الأول لا متعة إلا لواحدة وهي المطلقة قبل الفرض والمسيس، وعلى القول الثاني لكل مطلقة متعة إلا لواحدة وهي المطلقة بعد الفرض قبل المسيس، وقال عبد الله بن عمر: لكل مطلقة متعة إلا التي فرض لها ولم يمسه زوجها فحسبها نصف المهر.

قال الزهري: متعتان يقضي بإحدهما السلطان ولا يقضي بالأخرى بل تلزمه فيما بينه وبين الله تعالى.

(١) سبق تخريجه، عند قوله تعالى «فإن خفتم ألا يقيما حدود الله».



فأما التي يقضي بها السلطان فهي المطلقة قبل الفرض والميسر وهو قوله تعالى ﴿حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾، والتي تلزمه فيما بينه وبين الله تعالى ولا يقضي بها السلطان فهي المطلقة بعد الميسر وهو قوله تعالى: ﴿حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾.

وذهب الحسن وسعيد بن جبير إلى أن لكل مطلقة متعة سواء كان قبل الفرض والميسر أو بعد الفرض قبل الميسر لقوله تعالى: «وللمطلقات متاع بالمعروف» (٢٤١ - البقرة) ولقوله تعالى في سورة الأحزاب: «فمتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلاً» (٤٩ - الأحزاب)، وقال: معنى قوله تعالى ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أي أو لم تفرضوا لهن فريضة، وقال بعضهم: المتعة غير واجبة والأمر بها أمر ندب واستحباب.

وروي أن رجلاً طلق امرأته وقد دخل بها فخاصمته إلى شرح في المتعة فقال شرح: لا تأب أن تكون من المحسنين ولا تأب أن تكون من المتقين ولم يجبره على ذلك.

واختلفوا في قدر المتعة فروي عن ابن عباس: أعلاها خادم وأوسطها ثلاثة أثواب، درع وخمار وإزار، ودون ذلك وقاية أو شيء من الورق وبه قال الشعبي والزهرى وهذا مذهب الشافعي، وقال: أعلاها على الموسع خادم وأوسطها ثوب وأقلها أقل ما له ثمن، وحسن ثلاثون درهماً، وطلق عبد الرحمن بن عوف امرأته وحمّمها جارية سوداء أي متعها ومتع الحسن بن علي رضي الله عنه امرأة له بعشرة آلاف درهم فقالت: «متاع قليل من حبيب مفارق».

وقال أبو حنيفة رحمه الله: مبلغها إذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز والآية تدل على أنه يعتبر حال الزوج في العسر واليسر، ومن حكم الآية: أن من تزوج امرأة بالغة برضاها على غير مهر يصح النكاح، وللمرأة مطالبتها بأن يفرض لها صداقاً، فإن دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وإن طلقها قبل الفرض والدخول فلها المتعة، وإن مات أحدهما قبل الفرض والدخول اختلف أهل العلم في أنها هل تستحق المهر أم لا؟ فذهب جماعة إلى أنه لا مهر لها وهو قول علي وزيد بن ثابت وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن عباس كما لو طلقها قبل الفرض والدخول وذهب قوم إلى أن لها المهر لأن الموت كالدخول في تقرير المسمى كذلك في إيجاب مهر المثل إذا لم يكن في العقد مسمى وهو قول الثوري وأصحاب الرأي واحتجوا بما روي عن علقمة عن ابن مسعود أنه سئل عن رجل تزوج امرأة ولم يفرض لها صداقاً ولم يدخل بها حتى مات فقال ابن مسعود: لها صداق نسائها لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث فقام معقل بن سنان الأشجعي فقال: قضى رسول الله ﷺ في برؤع بنت واشق امرأة منا مثل

ما قضيت ففرح بها ابن مسعود رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

وقال الشافعي رحمه الله: فإن ثبت حديث برّوع بنت واشق فلا حجة في قول أحد دون قول النبي ﷺ وإن لم يثبت فلا مهر لها ولها الميراث، وكان علي يقول: في حديث برّوع لا يقبل قول أعراي من أشجع على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم﴾ هذا في المطلقة بعد الفرض قبل المسيس فلها نصف المفروض، وإن مات أحدهما قبل المسيس فلها كمال المهر المفروض، والمراد بالمس المذكور في الآية: الجماع، واختلف أهل العلم فيما لو خلا الرجل بامرأته ثم طلقها قيل أن يدخل بها فذهب قوم إلى أنه لا يجب لها إلا نصف الصداق، ولا عدة عليها لأن الله تعالى أوجب بالطلاق قبل المسيس نصف المهر، ولم يوجب العدة، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وابن مسعود وبه قال الشافعي رحمه الله.

وقال قوم: يجب لها كمال المهر، وعليها العدة، لما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: إذا أرخيت الستور فقد وجب الصداق، ومثله عن زيد بن ثابت، وحمل بعضهم قول عمر على وجوب تسليم الصداق إليها إذا سلمت نفسها لا على تقدير الصداق، وقيل هذه الآية ناسخة للآية التي في سورة الأحزاب «فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعهن» (٤٩ - الأحزاب) فقد كان للمطلقة قبل المسيس متاع فنسخت بهذه الآية، وأوجب للمطلقة المفروض لها قبل المسيس نصف المفروض ولا متاع لها.

ب/٤

/ وقوله تعالى ﴿وقد فرضتم لهن فريضة﴾ أي سميتم لهن مهراً ﴿فنصف ما فرضتم﴾ أي لها نصف المهر المسمى ﴿إلا أن يعفون﴾ يعني النساء أي إلا أن تترك المرأة نصيبها فيعود جميع الصداق إلى الزوج.

قوله تعالى: ﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾ اختلفوا فيه: فذهب بعضهم إلى أن الذي بيده عقدة النكاح هو الولي، وبه قال ابن عباس رضي الله عنه، معناه: إلا أن تعفو المرأة بترك نصيبها إلى

(١) رواه أبو داود في النكاح - باب: فيمن تزوج ولم يسم صداقاً حتى مات ٥١/٣ - ٥٣.

والترمذي: في النكاح - باب: ما جاء في الرجل يتزوج المرأة فيموت عنها قبل أن يفرض لها، وقال حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح وقد روي عنه من غير وجه ٢٩٩/٤ - ٣٠١.

والنسائي: في النكاح - باب: إباحة التزوج بغير صداق: ١٢١/٦ - ١٢٢.

وابن ماجه: في النكاح - باب: الرجل يتزوج ولا يفرض لها فيموت على ذلك برقم (١٨٩١) ٦٠٩/١.

وابن حبان: برقم (١٢٦٣ - ١٢٦٤ - ١٢٦٥) ص ٣٠٨ من موارد الظمان.

والإمام أحمد في المسند: ٢٧٩/٤ - ٢٨٠ عن ابن مسعود.

وانظر: نصب الرأية: ٢٠١/٣ - ٢٠٢ التلخيص الحبير ١٩١/٣ - ١٩٢.

إرواء الغليل ٣٥٧/٦ - ٣٦٠.

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجًا لَا أَوْكَبَانَا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾

الزوج إن كانت ثيباً من أهل العفو، أو يعفو وليها فيترك نصيبها إن كانت المرأة بكرّاً أو غير جائزة الأمر فيجوز عفو وليها وهو قول علقمة وعطاء والحسن والزهري وربيعة، وذهب بعضهم إلى أنه إنما يجوز عفو الولي إذا كانت المرأة بكرّاً فإن كانت ثيباً فلا يجوز عفو وليها، وقال بعضهم: الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج، وهو قول علي، وبه قال سعيد بن المسيّب وسعيد بن جبير والشعبي وشرح ومجاهد وقتادة، وقالوا: لا يجوز لوليها ترك الشيء من الصداق، بكرّاً كانت أو ثيباً كما لا يجوز له ذلك قبل الطلاق بالاتفاق وكما لا يجوز له أن يهب شيئاً من مالها، وقالوا: معنى الآية إلا أن تعفو المرأة بترك نصيبها فيعود جميع الصداق إلى الزوج أو يعفو الزوج بترك نصيبه فيكون لها جميع الصداق، فعلى هذا التأويل وجه الآية: الذي بيده عقدة النكاح نكاح نفسه في كل حال قبل الطلاق أو بعده ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى﴾ موضعه رفع بالابتداء أي فالعفو أقرب للتقوى، أي إلى التقوى، والخطاب للرجال والنساء جميعاً لأن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا كانت الغلبة للمذكر معناه: وعفو بعضكم عن بعض أقرب للتقوى ﴿وَلَا تَسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي افضال بعضكم على بعض باعطاء الرجل تمام الصداق أو ترك المرأة نصيبها، حثهما جميعاً على الإحسان ﴿إِنْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ أي واطلبوا وداوموا على الصلوات المكتوبات بمواقيتها وحدودها وإتمام أركانها، ثم خص من بينها الصلاة الوسطى بالمحافظة عليها دلالة على فضلها، والوسطى تأنيث الأوسط، ووسط الشيء: خيره وأعدله واختلف العلماء من الصحابة ومن بعدهم في الصلاة الوسطى فقال قوم: هي صلاة الفجر، وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر، وبه قال عطاء وعكرمة ومجاهد، وإليه مال مالك والشافعي، لأن الله تعالى قال: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ والقنوت طول القيام، وصلاة الصبح مخصوصة بطول القيام والقنوت لأن الله تعالى خصها في آية أخرى من بين الصلوات فقال الله: ﴿وَقَرَّانَ الْفَجْرِ إِنْ قَرَّانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾ (٧٨ - الإسراء)، يعني تشهدا ملائكة الليل وملائكة النهار، فهي مكتوبة في ديوان الليل وديوان النهار، ولأنها بين صلاتي جمع وهي لا تقصر ولا تجمع إلى غيرها.

وذهب قوم إلى أنها صلاة الظهر، وهو قول زيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري وأسامة بن زيد، لأنها في وسط النهار وهي أوسط صلاة النهار في الطول.

أخبرنا عمر بن عبد العزيز أخبرنا أبو القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي اللؤلؤي أنا أبو داود أنا محمد بن المثنى أنا محمد بن جعفر أنا شعبة حدثني عمرو بن أبي حكيم قال: سمعت الزبرقان يحدث عن عروة بن الزبير عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالهجرة ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب النبي ﷺ منها، فنزلت: ﴿حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى﴾<sup>(١)</sup>.

وذهب الأكثرون إلى أنها صلاة العصر رواه جماعة عن رسول الله ﷺ وهو قول علي وعبد الله بن مسعود وأبي أيوب وأبي هريرة وعائشة رضوان الله عليهم وبه قال إبراهيم النخعي وقتادة والحسن.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن أسلم عن القعقاع بن حكيم عن أبي يونس مولى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهما أنه قال: أمرتني عائشة أن اكتب لها مصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية فاذني ﴿حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى﴾ فلما بلغت أذنتها فأملت علي ﴿حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى﴾ «صلاة العصر» ﴿وقوموا لله قانتين﴾<sup>(٢)</sup> قالت عائشة رضي الله عنها: سمعتها من رسول الله ﷺ وعن حفصة مثل ذلك.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سميان أنا أبو جعفر الرّياني أنا حميد بن زنجويه أخبرنا أبو نعيم أنا سفيان عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش قال: قلنا لعبيدة سل علياً عن الصلاة الوسطى فسأله فقال: كنا نرى أنها صلاة الفجر حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الخندق: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً»<sup>(٣)</sup> ولأنها صلاتي نهار وصلاتي ليل، وقد خصها النبي ﷺ بالتغليظ.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا مسلم بن إبراهيم أنا هشام أنا يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة عن أبي المليح قال: كنا مع

(١) أخرجه الإمام أحمد: عن زيد بن ثابت ١٨٣/٥.

وأبو داود في الصلاة باب وقت العصر: ٢٤٠/١.

والطحاوي في شرح معاني الآثار: ١٦٧/١.

والطبري في التفسير: ٢٠٦/٥، والبيهقي: ٤٥٨/١، وعزه السيوطي أيضاً للبخاري في تاريخه الكبير وأبي يعلى والطبراني، انظر: الدر المنثور: ٧٢٠/١، تفسير الطبري بتعليق محمود شاكر ٢٠٧/٥.

(٢) رواه مسلم: في المساجد — باب: الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى هي صلاة العصر برقم (٦٢٩) ٤٣٧/١.

والمصنف في شرح السنة ٢٣٢/٢.

(٣) رواه البخاري: في تفسير سورة البقرة — باب: حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى: ١٩٥/٨.

ومسلم: في المساجد — باب: الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى هي صلاة العصر برقم (٦٢٧) ٤٣٦/١.

والمصنف في شرح السنة: ٢٣٣/٢ — ٢٣٤.

بريدة في غزوة في يوم ذي غيم فقال: بگروا بصلاة العصر فإن النبي ﷺ قال: «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله»<sup>(١)</sup>.

وقال قبيصة بن ذؤيب: هي صلاة المغرب لأنها وسط ليس بأقلها ولا بأكثرها، ولم ينقل عن أحد من السلف أنها صلاة العشاء وإنما ذكرها بعض المتأخرين لأنها بين صلاتين لا تقصران، وقال بعضهم هي إحدى الصلوات الخمس لا بعينها، أهما الله تعالى تحريضاً للعباد على المحافظة على أداء جميعها كما أخفى ليلة القدر في شهر رمضان وساعة إجابة الدعوة في يوم الجمعة وأخفى الاسم الأعظم في الأسماء ليحافظوا على جميعها.

قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ أي مطيعين، قال الشعبي وعطاء وسعيد بن جبير والحسن وقادة وطاووس والقنوت: الطاعة، قال الله تعالى «أمة قانتاً» (١٢٠ - النحل) أي مطيعاً.

وقال الكلبي ومقاتل: لكل أهل دين صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا أنتم لله في صلاتكم مطيعين، وقيل القنوت السكوت عما لا يجوز التكلم به في الصلاة.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا أحمد بن منيع أنا هشيم أنا اسماعيل بن أبي خالد عن الحارث بن شميل عن أبي عمرو الشيباني عن زيد بن أرقم قال: كنا نتكلم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة يكلم الرجل منا صاحبه إلى جنبه حتى نزلت ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام<sup>(٢)</sup>.

وقال مجاهد: خاشعين، وقال: من القنوت طول الركوع وغض البصر والركود وخفض الجناح، كان العلماء إذ قام أحدهم يصلي يهاب الرحمن أن يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشيء أو يحدث نفسه بشيء من أمر الدنيا إلا ناسياً، وقيل: المراد من القنوت طول القيام.

أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي أنا أبو العباس المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا ابن أبي عمر أنا سفيان بن عيينة عن أبي الزبير عن جابر قال: قيل للنبي ﷺ / أي الصلاة أفضل؟ قال: ٤١/أ «طول القنوت»<sup>(٣)</sup> وقيل ﴿قَانِتِينَ﴾ أي داعين.

(١) رواه البخاري: في المواقيت: باب: من ترك العصر ٣١/٢ وباب التكبير في الصلاة في يوم غيم. والمصنف في شرح السنة: ٢١٣/٢ - ٢٣٧.

(٢) رواه البخاري: في العمل في الصلاة - باب: ما ينهى من الكلام في الصلاة ٧٣/٣ وفي التفسير. ومسلم: في المساجد - باب: تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة برقم (٥٣٩) ٣٨٣/١.

(٣) رواه مسلم: في صلاة المسافرين - باب: أفضل الصلاة طول القنوت برقم (٧٥٦) ٥٢٠/١. والمصنف في شرح السنة: ١٥٢/٣ - ١٥٣.

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾

دليله ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قنت رسول الله ﷺ شهراً متتابعاً يدعو على أحياء من سليم على رعل وذكوان وعصية،<sup>(١)</sup> وقيل معناه مصلين لقوله تعالى «أمن هو قانت آناء الليل» (٩ - الزمر) أي مصل.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خَفَمَ فَرَجَالًا أَوْ رَكْبَانًا﴾ (فرجلاً أي رجالة، يقال: راجل ورجال مثل صاحب وصحاب وقائم وقيام ونائم ونيام) ﴿أَوْ رَكْبَانًا﴾ على دوابهم وهو جمع راكب، معناه إن لم يمكنكم أن تصلوا قانتين موفين للصلاة حقها لخوف فصلوا مشاة على أرجلكم أو ركبانا على ظهور دوابكم، وهذا في حال المقاتلة والمسابقة يصلي حيث كان وجهه راجلاً أو راكباً مستقبل القبلة وغير مستقبلها ويومئ بالركوع والسجود ويجعل السجود أخفض من الركوع، وكذلك إذا قصده سبع أو غشيه سيل يخاف منه على نفسه فعدا أمامه مصلياً بالأيام يجوز.

والصلاة في حال الخوف على أقسام فهذه صلاة شدة الخوف وسائر الأقسام سيأتي بيانها في سورة النساء إن شاء الله تعالى، ولا ينتقص عدد الركعات بالخوف عند أكثر أهل العلم، وروى عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فرض الله الصلاة على لسان نبيكم ﷺ في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة<sup>(٢)</sup> وهو قول عطاء وطاووس والحسن ومجاهد وقتادة: أنه يصلي في حال شدة الخوف ركعة، وقال سعيد بن جبير: إذا كنت في القتال وضرب الناس بعضهم بعضاً فقل «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر واذكر الله فتلک صلاتك» ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي فصلوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها ﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ يا معشر الرجال ﴿وَيَذَرُونَ﴾ أي يتركون ﴿أَزْوَاجًا﴾ أي زوجات ﴿وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ قرأ أهل البصرة وابن عامر وحمزة وحفص وصية بالنصب على معنى

(١) رواه البخاري في الوتر - باب: القنوت قبل الركوع وبعدة ٤٩٠/٢ ورواية البخاري عن أنس قال «قنت رسول الله ﷺ شهراً يدعو على رعل وذكوان وقد روى الحديث أحمد وأبو داود في الصلاة باب القنوت في الصلوات.

والمصنف في شرح السنة: ١٢٢/٣.

(٢) رواه مسلم: في المسافرين - باب: صلاة المسافرين وقصرها برقم (٦٨٧) ٤٧٩/١.

وَالْمُطْلَقَاتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾

فليوصوا وصية، وقرأ الباقون بالرفع أي كتب عليكم الوصية ﴿متاعاً إلى الحول﴾ متاعاً نصب على المصدر أي متعوهن متاعاً، وقيل: جعل الله ذلك لمن متاعاً، والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وسكنها وما تحتاج إليه ﴿غير إخراج﴾ نصب على الحال، وقيل بنزع حرف على الصفة أي من غير إخراج، نزلت هذه الآية في رجل من أهل الطائف يقال له حكيم بن الحارث هاجر إلى المدينة وله أولاد ومعه أبواه وامرأته فمات، فأنزل الله هذه الآية فأعطى النبي ﷺ والديه وأولاده من ميراثه ولم يعط امرأته شيئاً، وأمرهم أن ينفقوا عليها من تركته زوجها حولاً كاملاً، وكانت عدة الوفاة في ابتداء الإسلام حولاً وكان يحرم على الوارث إخراجها من البيت قبل تمام الحول، وكانت نفقتها وسكنها واجبة في مال زوجها تلك السنة ما لم تخرج، ولم يكن لها الميراث، فإن خرجت من بيت زوجها سقطت نفقتها، وكان على الرجل أن يوصي بها فكان كذلك حتى نزلت آية الميراث، فنسخ الله تعالى نفقة الحول بالربع والثلث، ونسخ عدة الحول بأربعة أشهر وعشر.

قوله تعالى: ﴿فإن خرجن﴾ يعني من قبل أنفسهن قبل الحول من غير إخراج الورثة ﴿فلا جناح عليكم﴾ يا أولياء الميت ﴿فيما فعلن في أنفسهن من معروف﴾ يعني التزين للنكاح، ولرفع الجناح عن الرجال وجهان:

أحدهما: لا جناح عليكم في قطع النفقة إذا خرجن قبل انقضاء الحول.

والآخر: لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لأن مقامها في بيت زوجها حولاً غير واجب عليها خيرها الله تعالى بين أن تقيم حولاً ولها النفقة والسكنى، وبين أن تخرج فلا نفقة ولا سكنى إلى أن ينسخه بأربعة أشهر وعشر.

﴿والله عزيز حكيم﴾ وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين ﴿إنما أعاد ذكر المتعة هاهنا لزيادة معنى، وذلك أن في غيرها بيان حكم غير المسوسة، وفي هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة، وقيل: إنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره﴾ إلى قوله ﴿حقاً على المحسنين﴾ (٢٣٦ - البقرة) قال رجل من المسلمين: أن أحسنت فعلت، وإن لم أرد ذلك لم أفعل، فقال الله تعالى: ﴿وللمطلقات متاع﴾ جعل المتعة لمن بلام التملك فقال: ﴿حقاً على المتقين﴾ يعني المؤمنين المتقين الشرك، ﴿كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تعقلون﴾.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ  
 اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ  
 لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾  
 مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ  
 وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم﴾ قال أكثر أهل التفسير: كانت قرية يقال لها: داوردان قبل واسط بها وقع الطاعون، فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة، فهلك أكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين، فقال الذين بقوا: أصحابنا كانوا أحزم منا، لو صنعنا كما صنعوا لبقينا، ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن إلى أرض لا وباء بها، فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها، وخرجوا حتى نزلوا وادياً أفيح<sup>(١)</sup> فلما نزلوا المكان الذي يتبعون فيه النجاة ناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه: أن موتوا فماتوا جميعاً.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام فلما جاء سرغ<sup>(٢)</sup> بلغه أن الوباء قد وقع بالشام فأخبره عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»<sup>(٣)</sup> فرجع عمر من سرغ، قال الكلبي ومقاتل والضحاك: إنما فروا من الجهاد وذلك أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى قتال عدوهم، فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا للملكهم: إن الأرض التي تأتيها بها الوباء فلا تأتيها حتى ينقطع منها الوباء، فأرسل الله عليهم الموت فخرجوا من ديارهم فراراً من الموت فلما رأى الملك ذلك قال: اللهم رب يعقوب وإله موسى قد ترى معصية عبادك فأرهم آية في أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار منك، فلما خرجوا قال لهم الله تعالى: موتوا، عقوبة لهم، فماتوا جميعاً وماتت دوابهم كموت رجل واحد فأتى عليهم ثمانية أيام حتى انتفخوا وأروحت أجسادهم فخرج إليهم الناس فعجزوا

(١) واسعاً.

(٢) بفتح أوله وسكون ثانيه ثم غين معجمة والمهمله لغة فيه: أول الحجاز وآخر الشام، وقيل: قرية بوادي تبوك انظر مرصود الإطلاع ٧٠٧/٢ - ٧٠٨.

(٣) رواه البخاري: في الطب باب: ما يذكر في الطاعون ١٧٩/١٠.

ومسلم: في السلام - باب: الطاعون والطير والكهانة ونحوها برقم (٢٢١٩) ١٧٤٢/٤.



عن دفنهم، فحفظوا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها<sup>(١)</sup>.

واختلفوا في مبلغ عددهم، قال عطاء الخراساني: كانوا ثلاثة آلاف، وقال وهب: أربعة آلاف وقال مقاتل والكلبي: ثمانية آلاف، وقال أبو روق: عشرة آلاف، وقال السدي: بضعة وثلاثون ألفاً، وقال ابن جريج: أربعون ألفاً، وقال عطاء ابن أبي رباح: سبعون ألفاً، وأولى الأقاويل: قول من قال كانوا زيادة على عشرة آلاف، لأن الله تعالى قال «وهم ألوف» والألوف جمع الكثير وجمعه القليل آلاف، ولا يقال لما دون عشرة آلاف ألوف، قالوا: فأتت على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم نبي يقال له حزقيل بن بودى ثالث خلفاء بني اسرائيل من بعد موسى عليه السلام، وذلك أن القيم بأمر بني اسرائيل كان بعد موسى يوشع بن نون<sup>(٢)</sup> ثم كالب بن يوقنا ثم حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لأن أمه كانت عجوزاً فسألت الله الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهبه الله تعالى لها، قال / الحسن ٤١/ب ومقاتل: هو ذو الكفل وسمي حزقيل ذا الكفل لأنه تكفل بسبعين نبياً وأنجاهم من القتل، فلما مر حزقيل على أولئك الموتى وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم متعجباً فأوحى الله تعالى إليه تريد أن أريك آية؟ قال نعم: فأحياهم الله وقيل: دعا حزقيل ربه أن يحييهم فأحياهم.

وقال مقاتل والكلبي: هم كانوا قوم حزقيل أحياهم الله بعد ثمانية أيام، وذلك أنه لما أصابهم ذلك خرج حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال: يارب كنت في قوم يمدونك ويسبحونك ويقدمونك ويكبرونك ويهللونك فبقيت وحيداً لا قوم لي، فأوحى الله تعالى إليه: أني جعلت حياتهم إليك، قال حزقيل: إحيوا بإذن الله فعاثوا.

قال مجاهد: إنهم قالوا حين أحيوا، سبحانك اللهم ربنا وحمدك لا إله إلا أنت فرجعوا إلى قومهم وعاشوا دهرًا طويلاً وسحنة الموت على وجوههم، لا يلبسون ثوباً إلا عاد دسماً مثل الكفن حتى ماتوا لأجلهم التي كتبت لهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: وإنها لتوجد اليوم في ذلك السبط من اليهود تلك الرياح، قال قتادة:

(١) ذكر ابن عطية رحمه الله بعض الروايات في ذلك ثم قال: وهذا القصص كله لئن الأسانيد، وإنما اللازم من الآية أن الله تعالى أخبر نبيه محمداً ﷺ أخباراً في عبارة التنبيه والتوقيف عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فراراً من الموت فأماهم الله تعالى ثم أحياهم ليروا هم وكل من خلف بعدهم: أن الإمامة إنما هي بيد الله لا بيد غيره، فلا معنى لحوف خائف، ولا اغترار مغتر. وجعل الله تعالى هذه الآية مقدمة بين يدي أمره المؤمنين، من أمة محمد ﷺ، بالجهاد، هذا قول الطبري، وهو ظاهر وصف الآية، ولورد القصص في هذه القصة زوائد اختصرتها لضعفها، المحرر الوجيز لابن عطية: ٣٤٥/٢.

(٢) ذكر ابن كثير — رحمه الله هذا القول عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة وقال: قال: ابن جرير يعني أفرام بن يوسف بن يعقوب وهذا القول بعيد لأن هذا كان بعد موسى بدهر طويل، وكان ذلك في زمان داود عليه السلام كما هو مصرح به في القصة، وقد كان بين داود وموسى ما ينيف على ألف سنة والله أعلم.

ابن كثير: ٥٣٣/١ بتخرجه الوادعي.

مقتهم الله على فراهم من الموت فأماهم عقوبة لهم ثم بعثوا ليعتدوا مدة آجالهم [ولو جاءت آجالهم] (١) ما بعثوا فذلك قوله تعالى: ﴿ألم تر﴾ أي ألم تعلم بإعلامي إياك، وهو من رؤية القلب.

قال أهل المعاني: هو تعجيب يقول هل رأيت مثلهم كما تقول ألم تر إلى ما يصنع فلان؟ وكل ما في القرآن أم تر ولم يعاينه النبي ﷺ، فهذا وجهه ﴿ألم تر إلى الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألف﴾ جمع ألف وقيل مؤتلفة قلوبهم جمع ألف مثل قاعد وقعود، والصحيح أن المراد منه العدد ﴿حذر الموت﴾ أي خوف الموت ﴿فقال لهم الله موتوا﴾ أمر تحويل كقوله «كونوا قردة خاسئين» (٦٥ — البقرة) ﴿ثم أحياهم﴾ بعد موتهم ﴿إن الله لذو فضل على الناس﴾ قيل هو على العموم في حق الكافة في الدنيا، وقيل على الخصوص في حق المؤمنين ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ أما الكفار فلم يشكروا وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية الشكر.

﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ أي في طاعة الله أعداء الله ﴿واعلموا أن الله سميع عليم﴾ قال أكثر أهل التفسير: هذا خطاب للذين أحيوا أمروا بالقتال في سبيل الله فخرجوا من ديارهم فراراً من الجهاد فأماهم الله ثم أحياهم وأمرهم أن يجاهدوا، وقيل: الخطاب لهذه الأمة، أمرهم بالجهاد.

قوله تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ القرض اسم لكل ما يعطيه الإنسان ليجازى عليه، فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له على رجاء ما وعدهم من الثواب قرضاً، لأنهم يعملونه لطلب ثوابه، قال الكسائي: القرض ما أسلفت من عمل صالح أو سيئ، وأصل القرض في اللغة القطع، سمي به القرض لأنه يقطع من ماله شيئاً يعطيه ليرجع إليه مثله، وقيل في الآية اختصار مجازة: من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه، كقوله تعالى: «إن الذين يؤذون الله ورسوله» (٥٧ — الأحزاب) أي يؤذون عباد الله، كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة يابن آدم استطعمتك فلم استطعمني قال: يارب كيف أطعمتك وأنت رب العالمين؟ قال: استطعمتك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي» (٢).

وقوله عز وجل: ﴿يقرض الله﴾ أي ينفق في طاعة الله ﴿قرضاً حسناً﴾ قال الحسين بن علي الواقدي: يعني محتسباً، طيبة بها نفسه، وقال ابن المبارك: من مال حلال وقيل لا يمين به ولا يؤدي ﴿فيضاعفه له﴾ قرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر ويعقوب ﴿فيضاعفه﴾ وبابه بالتشديد، ووافق أبو عمرو في سورة الأحزاب وقرأ الآخرون ﴿فيضاعفه﴾ بالألف مخففاً وهما لغتان، ودليل التشديد قوله

(١) ساقط من «أ».

(٢) رواه مسلم: في البر — باب: فضل عيادة المريض برقم (٢٥٦٩) ٤/١٩٩٠.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ آتِنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٢٦﴾

﴿أضعافاً كثيرة﴾ لأن التشديد للتكثير، وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بنصب الفاء، وكذلك في سورة الحديد على جواب الاستفهام، وقيل بإضمار أن، وقرأ الآخرون برفع الفاء نسقاً على قوله: يقرض ﴿أضعافاً كثيرة﴾ قال السدي هذا التضعيف لا يعلمه إلا الله عز وجل، وقيل سبعمائة ضعف ﴿والله يقبض ويبسط﴾ قرأ أهل البصرة وحمزة ييسط، هاهنا وفي الأعراف، بسطة، بالسين كنظائرهما، وقرأهما الآخرون بالصاد قيل يقبض بإمساك الرزق والنفس والتقير ويبسط بالتوسيع وقيل يقبض بقبول التوبة والصدقة ويبسط بالخلف والثواب، وقيل هو الإحياء والإماتة فمن أماته فقد قبضه ومن مد له في عمره فقد بسط له، وقيل هذا في القلوب، لما أمرهم الله تعالى بالصدقة أخبر أنهم لا يمكنهم ذلك إلا بتوقيفه، قال: يقبض بعض القلوب فلا ينشط بخير ويبسط بعضها فيقدم لنفسه خيراً كما جاء في الحديث «القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء»<sup>(١)</sup> الحديث.

﴿وإليه ترجعون﴾ أي إلى الله تعودون فيجزىكم بأعمالكم، قال قتادة: الهاء راجعة إلى التراب كناية عن غير مذكور، أي من التراب خلقهم وإليه يعودون.

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الملاء من بني إسرائيل﴾ والملاء من القوم: وجوهم وأشرافهم، وأصل الملاء الجماعة من الناس ولا واحد له من لفظه، كالقوم والرهط والإبل والخيول والجن وجمعه أملاء ﴿من بعد موسى﴾ أي من بعد موت موسى ﴿إذ قالوا لنبي لهم﴾ واختلفوا في ذلك النبي فقال قتادة هو يوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسف عليه السلام وقال السدي: اسمه شمعون، وإنما سمي شمعون، لأن أمه دعت الله أن يرزقها غلاماً فاستجاب الله دعائها فولدت غلاماً فسمته شمعون تقول سمع الله تعالى دعائي والسين تصير شيناً بالعبرانية، وهو شمعون بن صفيه بن علقمة من ولد لاوي بن يعقوب، وقال سائر المفسرين: هو اشمويل وهو بالعبرانية اسماعيل بن يال بن علقمة، وقال مقاتل: هو من نسل هارون، وقال مجاهد: هو اشمويل وهو بالعبرانية اسماعيل بن يال بن علقمة.

(١) رواه مسلم: في القدر — باب: تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء برقم (٢٦٥٤) ٢٠٤٥/٤. والمصنف في شرح السنة ١٦٥/١.

وقال وهب وابن إسحاق والكلبي وغيرهم: كان سبب مسألتهم إياه ذلك لما مات موسى عليه السلام خلف بعده في بني إسرائيل يوشع بن نون، يقيم فيهم التوراة وأمر الله تعالى حتى قبضه الله تعالى، ثم خلف فيهم كالب كذلك حتى قبضه الله تعالى، ثم خلف حزقيل حتى قبضه الله، ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الأوثان، فبعث الله إليهم إلياس نبياً فدعاهم إلى الله تعالى، وكانت الأنبياء من بني إسرائيل من بعد موسى يبعثون إليهم بتجديد ما نسوا من التوراة، ثم خلف من بعد إلياس اليسع فكان فيهم ما شاء الله ثم قبضه الله، وخلف فيهم الخلوف وعظمت الخطايا فظهر لهم عدو يقال له البلشاثا، وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على / بني إسرائيل وغلبوا على كثير من أرضهم وسبوا كثيراً من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعين وأربعمائة غلاماً، فضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم، ولقي بنو إسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدير أمرهم، وكان سبط النبوة قد هلكوا، فلم يبق منهم إلا امرأة حبلى فحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبذلها بغلام لما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها وجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاماً فولدت غلاماً، فسمته اشمويل تقول: سمع الله تعالى دعائي، فكبر الغلام فأسلمته ليتعلم التوراة في بيت المقدس فكفله شيخ من علمائهم وتبناه، فلما بلغ الغلام أتاها جبريل وهو نائم إلى جنب الشيخ وكان لا يأتمن عليه أحداً فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل، فقام الغلام فرعاً إلى الشيخ فقال: له بأبنته دعوتني؟ فكره الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فتم، فرجع الغلام فنام ثم دعاه الثانية فقال الغلام يا أبت دعوتني؟ فقال ارجع فتم فإن دعوتك الثالثة فلا تجبني (فرجع الغلام فنام) (١) فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل فقال له: اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك، فإن الله عز وجل قد بعثك فيهم نبياً، فلما أتاهم كذبوه وقالوا: استعجلت بالنبوة ولم تتلَّك، وقالوا له: إن كنت صادقاً فابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، آية من نبوتك، وإنما كان قوام أمر بني إسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك لأنبيائهم، فكان الملك هو الذي يسير بالجموع، والنبي يقيم له أمره ويشير عليه برشده ويأتيه بالخبر من ربه، قال وهب بن منبه: بعث الله تعالى اشمويل نبياً فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال، ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فقالوا لاشمويل: ﴿ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله﴾ جزم على جواب الأمر فلما قالوا ذلك ﴿قال هل عسيتم﴾ استفهام شك.

قرأ نافع: عسيتم بكسر السين كل القرآن، وقرأ الباقون بالفتح وهي اللغة الفصيحة بدليل قوله تعالى: (عسى ربكم) ﴿إن كتب﴾ فرض ﴿عليكم القتال﴾ مع ذلك الملك ﴿أن لا تقاتلوا﴾ أن لا تنفوا بما تقولوا معه ﴿قالوا وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله﴾ فإن قيل فما وجه دخول أن في هذا الموضع والعرب لا تقول مالك أن لا تفعل وإنما يقال مالك لا تفعل؟ قيل: دخول أن وحذفها لغتان صحيحتان

(١) ساقط من ب، ومن المطبوع.

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾

فالإثبات كقوله تعالى: «مالك أن لا تكون مع الساجدين» (٣٢ - الحجر) والحذف كقوله تعالى: «ما لكم لا تؤمنون بالله» (٨ - الحديد) وقال الكسائي: معناه وما لنا في أن لا نقاتل فحذف «في» وقال الفراء: أي وما يمنعنا أن لا نقاتل في سبيل الله كقوله تعالى: «ما منعك أن لا تسجد» (١٢ - الأعراف) وقال الأخفش: «أن» هاهنا زائدة معناه: وما لنا لا نقاتل في سبيل الله ﴿وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾ أي أخرج من غلب عليهم من ديارهم، ظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص، لأن الذين قالوا لنبيهم: ابعت لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله كانوا في ديارهم وأوطانهم وإنما أخرج من أسر منهم، ومعنى الآية أنهم قالوا مجيبين لنبيهم: إنما كنّا نزهد في الجهاد إذ كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا، فأما إذا بلغ ذلك منا فنطيع ربنا في الجهاد ونمنع نساءنا وأولادنا.

قال الله تعالى: ﴿فلما كتب عليهم القتال تولوا﴾ أعرضوا عن الجهاد وضيعوا أمر الله ﴿إلا قليلاً منهم﴾ وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على العرقة على ما سيأتي إن شاء الله تعالى، ﴿والله عليم بالظالمين﴾.

﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً﴾ وذلك أن إسموئيل سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكاً فأتى بعضاً وقرن<sup>(١)</sup> فيه دهن القدس وقيل: له إن صاحبكم الذي يكون ملكاً طوله طول هذه العصا وانظر هذا القرن الذي فيه الدهن فإذا دخل عليك رجل فنش<sup>(٢)</sup> الدهن الذي في القرن فهو ملك بني إسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم، وكان طالوت اسمه بالعبرانية شاول بن قيس من أولاد بنيامين ابن يعقوب سمي طالوت لطوله وكان أطول من كل أحد برأسه ومنكبیه، وكان رجلاً دباغاً يعمل الأديم<sup>(٣)</sup> قاله وهب، وقال السدي: كان رجلاً سقاء يسقي على حمار له من النيل فضبل حماره فخرج في طلبه، وقيل كان خربندجا، وقال وهب: بل ضلت حُمُرُ لأبي طالوت فأرسله وغلاماً له في طلبها فمر ببيت إسموئيل فقال الغلام لطالوت: لو دخلنا على هذا النبي فسألناه عن أمر الحمر ليرشدنا ويدعو لنا، فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له شأن الحمر إذ نش الدهن الذي في القرن فقام إسموئيل عليه السلام فقاس

(١) أراد القنينة التي يكون فيها الدهن والطيب، وكأنهم كانوا يتخذونها من قرون البقر وغيرها.

(٢) نش الماء ينش نشاً ونشيشاً: إذا صوت عند الغليان.

(٣) الجلد أول ما يدبغ فإذا رد في الدباغ مرة أخرى فهو اللديم.

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهَا الْمَلَائِكَةُ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةٍ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

طالوت بالعصا فكانت طوله، فقال لطالوت قرب رأسك فقربه فدهنه بدهن القدس، ثم قال له: انت ملك بني إسرائيل الذي أمرني الله تعالى أن أملكك عليهم فقال طالوت: أما علمت أن سبطي أدنى أسباط بني إسرائيل وبيتي أدنى بيوت بني إسرائيل؟ (قال بلى) <sup>(١)</sup> قال فبأي آية قال: بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حمرة فكان كذلك.

ثم قال لبني إسرائيل: إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً ﴿قَالُوا أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ أي من أين يكون له الملك علينا ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ﴾ أول ﴿بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ وإنما قالوا ذلك لأنه كان في بني إسرائيل سبطان: سبط نوبة وسبط مملكة، فكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه كان موسى وهارون وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان ولم يكن طالوت من أحدهما وإنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا عملوا ذنباً عظيماً، كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهراً فغضب الله تعالى عليهم ونزع الملك والنبوة عنهم وكانوا يسمونه سبط الإثم، فلما قال لهم نبيهم ذلك أنكروا عليه لأنه لم يكن من سبط المملكة ومع ذلك قالوا هو فقير ﴿وَلَمْ يَأْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ قال إن الله اصطفاه ﴿اخْتَارَهُ﴾ عليكم وزاده بسطة ﴿فَضِيلَةً وَسَعَةً﴾ في العلم والجسم ﴿وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَعْلَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي وَقْتِهِ وَقِيلَ: إِنَّهُ أَتَاهُ الْوَحْيُ حِينَ أُوتِيَ الْمُلْكُ﴾ وقال الكلبي (وزاده بسطة في العلم) بالحرب وفي (الجسم) بالطول وقيل الجسم بالجمال وكان طالوت أجمل رجل في بني إسرائيل وأعلمهم ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَةً مِّن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ قيل الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى، والعليم العالم، وقيل العالم بما كان والعليم بما يكون فقالوا له: فما آية ملكه؟ فقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾. وكانت قصة التابوت أن الله تعالى أنزل تابوتاً على آدم فيه صورة الأنبياء عليهم السلام، وكان من عود الشمساذ نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين، فكان عند آدم إلى أن مات ثم بعد ذلك عند شيث ثم توارثها أولاد آدم إلى أن بلغ إبراهيم، ثم كان عند إسماعيل لأنه كان أكبر ولده ثم عند يعقوب ثم كان في بني إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى فكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعاً من متاعه، فكان عنده إلى أن مات موسى عليه السلام، ثم تداولته

(١) ساقط من (أ).

أنبياء بني إسرائيل إلى وقت إشمويل وكان فيه ما ذكر الله تعالى<sup>(١)</sup>: ﴿ففيه سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ اختلفوا في السكينة / ما هي قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : رِيحٌ حَجُوجٌ هَفَافَةٌ لها رَأْسَانٌ وَوَجْهٌ ٤٢/ب كوجه الإنسان، وعن مجاهد: شيء يشبه الهرة له رأس كراس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان، وقيل له عيان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد فكانوا إذا سمعوا صوته تيقنوا بالنصر وكانوا إذا خرجوا وضعوا التابوت قدامهم فإذا سار ساروا وإذا وقف وقفوا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هي طست من ذهب من الجنة كان يُغسل فيه قلوب الأنبياء، وعن وهب بن منبه قال: هي روح من الله يتكلم إذا اختلفوا في شيء تخبرهم ببيان ما يريدون<sup>(٢)</sup>، وقال عطاء بن أبي رباح: هي ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليها، وقال قتادة والكلبي: السكينة فعيلة من السكون أي طمأنينة من ربكم ففي أي مكان كان التابوت اطمأنوا إليه وسكنوا<sup>(٣)</sup> ﴿وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون﴾ يعني موسى وهرون أنفسهما كان فيه لوحان من التوراة ورضاض الألواح التي تكسرت وكان فيه عصا موسى ونعلاه وعمامة هرون وعصاه وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل، فكان التابوت عند بني إسرائيل وكانوا إذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم وإذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم فيستفتحون به على عدوهم فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالة فغلبوهم على التابوت.

وكان السبب في ذلك أنه كان لعلي العالم الذي رى إشمويل عليه السلام ابنان شابان وكان علي حبرهم وصاحب قربانهم فأحدث ابناه في القربان شيئاً لم يكن فيه وذلك أنه كان لعلي منوط القربان الذي كانوا ينوطونه به كلايين، فما أخرجا كان للكهان الذي ينوطه، فجعل ابناه كلايب وكان النساء يصلين في بيت المقدس فيتشبهن بهن فأوحى الله تعالى إلى إشمويل عليه السلام انطلق إلى علي فقل له منعك حب الولد من أن تزجر ابنيك عن أن يحدثا في قرباني وقديسي وأن يعصيانني فلا تنزعن الكهانة منك ومن ولدك ولأهلكنك وإياهم، فأخبر إشمويل علي بذلك ففرع فرعاً شديداً فصار إليهم عدو ممن حولهم

(١) هذا الكلام عن التابوت وهيئته وتواتره... إلخ ليس فيه شيء ثابت عن النبي ﷺ، ولو ثبت ما جاء في التفسير له عن بعض الصحابة أو التابعين، فإنه يبقى محتملاً للصدق والكذب، لأن ثبوت القول ونسبته للصحابي في هذه الأمور لا يعني صحته في واقع الأمر، وعلى كل حال لا يتوقف فهم الآيات الكريمة على شيء مما ذكر، والله أعلم.

(٢) ليس في السنة الثابتة عن النبي ﷺ ما يدل على شيء من هذا التفسير للسكينة، وهي منقولة عن أهل الكتاب، ولسنا بحاجة إلى شيء من ذلك لتفسير الآية الكريمة، وانظر: الاسرائيليات والموضوعات للشيخ أبي شعبة ص (٢٤٠).

(٣) قال ابن عطية، رحمه الله، مرجحاً هذا المعنى: «والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك، وتأنس به وتقوى، فالمعهود أن الله ينصر الحق والأمور الفاضلة عنده، والسكينة على هذا: فيئلة مأخوذة من السكون، كما يقال: عزم عزيمة، وقطع قطيعة».

المحرر الوجيز لابن عطية: ٣٦١/٢.

وانظر: تفسير الطبري: ٣٢٩/٥ - ٢٣٠.

فأمر ابنه أن يخرج بالناس فيقاتلوا ذلك العدو فخرجوا وأخرجوا معهم التابوت فلما تهيؤوا للقتال جعل عيلي يتوقع الخير ماذا صنعوا فجاءه رجل وهو قاعد على كرسيه وأخبره أن الناس قد انهزموا وأن ابنك قد قتل، قال فما فعل التابوت؟ قال ذهب به العدو، فشقق ووقع على قفاه من كرسيه ومات فمرج أمر بني اسرائيل وتفرقوا إلى أن بعث الله طالوت ملكاً فسأله البينة فقال لهم نبينهم: إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت.

وكانت قصة التابوت، أن الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود وجعلوه في بيت صنم لهم، ووضعوه تحت الصنم الأعظم، فأصبحوا من الغد والصنم تحته فأخذوه ووضعوه فوقه وسمروا قدمي الصنم على التابوت فأصبحوا وقد قطعت يد الصنم ورجلاه وأصبح ملقى تحت التابوت وأصبحت أصنامهم منكسة فأخرجوه من بيت الصنم ووضعوه في ناحية من مدينتهم فأخذ أهل تلك الناحية وجع في أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض: أليس قد علمتم أن إله بني اسرائيل لا يقوم له شيء، فأخرجوه إلى قرية كذا فبعث الله على أهل تلك القرية فأراً فكانت الفأرة تبيت مع الرجل فيصبح ميتاً قد أكلت ما في جوفه فأخرجوه إلى الصحراء فدفنوه في مخرة لهم فكان كل من تبرز هناك أخذ الباسور والقولنج فتحيروا، فقالت لهم امرأة كانت عندهم من سبي بني اسرائيل من أولاد الأنبياء لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فأخرجوه عنكم، فأتوا بعجلة بإشارة تلك المرأة وحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فأقبل الثوران يسيران ووكل الله تعالى بهما أربعة من الملائكة يسوقنهما فأقبلا حتى وقفا على أرض بني اسرائيل فكسرا نبيهما وقطعا جباهما ووضعوا التابوت في أرض فيها حصاد بني اسرائيل ورجعا إلى أرضهما فلم يرع بني اسرائيل إلا بالتابوت فكبروا وحمدوا الله<sup>(١)</sup> فذلك قوله تعالى ﴿تَحْمِلْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي تسوقه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت، وقال الحسن: كان التابوت مع الملائكة في السماء فلما ولي طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم، وقال قتادة بل كان التابوت في التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقي هناك فحملته الملائكة حتى وضعت في دار طالوت فأقروا بملكه ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّعِبَادٍ لِّكُمُ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن

(١) كل هذا من أخبار بني اسرائيل الذين غيروا وبدلوا، والله أعلم بصحتها.



فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَّاكُوا اللَّهَ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٦﴾

التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية وأنها يخرجان قبل يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

﴿فلما فصل طالوت بالجنود﴾ أي خرج بهم، وأصل الفصل: القطع، يعني قطع مستقره شاخصاً إلى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود، وهم يومئذ سبعون ألف مقاتل، وقيل: ثمانون ألفاً لم يتخلف عنه إلا كبير لهم أو مريض لمرضه أو معذور لعذره، وذلك أنهم لما رأوا التابوت لم يشكوا في النصر، فتسارعوا إلى الجهاد، فقال طالوت: لا حاجة لي في كل ما أرى، لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة يشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج امرأة ولم يبن بها ولا أبتغي إلا الشباب النشيط الفارغ فاجتمع له ثمانون ألفاً ممن شرطه وكان في حر شديد فشكوا قلة الماء بينهم وبين عدوهم فقالوا: إن المياه قليلة لا تحملنا فادع الله أن يجري لنا نهراً.

﴿قال﴾ طالوت ﴿إن الله مبتليكم﴾ مختبركم ليرى طاعتكم — وهو أعلم — ﴿بنهر﴾ قال ابن عباس والسدي: هو نهر فلسطين، وقال قتادة نهر بين الأردن وفلسطين عذب ﴿فمن شرب منه فليس مني﴾ أي ليس من أهل ديني وطاعتي ﴿ومن لم يطعمه﴾ لم يشربه ﴿فإنه مني﴾ إلا من اغترف غرفة بيده ﴿قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو﴾ «غرفة» بفتح الغين وقرأ الآخرون بضم الغين وهما لغتان، قال الكسائي: الغرفة بالضم الذي يحصل في الكف من الماء إذا غرف، والغرفة: بالفتح الاعتراف فالضم اسم والفتح مصدر ﴿فشربوا منه إلا قليلاً منهم﴾ نصب على الاستثناء واختلفوا في القليل الذين لم يشربوا، فقال

(١) يقول الشيخ أبو شهبه رحمه الله: «والذي نقطع به، ويجب الإيمان به: أنه كان في بني إسرائيل تابوت — أي صندوق — من غير بحث في حقيقته، وهيئته، ومن أين جاء، إذ ليس في ذلك خبر صحيح عن المعصوم، وأن هذا التابوت كان فيه مخلفات من مخلفات موسى وهارون — عليهما السلام — مع احتمال أن يكون تعيين ذلك في بعض ما ذكرنا آنفاً — مما سبق في البغوي وغيره من روايات — وأن هذا التابوت كان مصدر سكينه وطمانينة لبني إسرائيل، ولا سيما عند قتالهم عدوهم، وأنه عاد إلى بني إسرائيل، تحمله الملائكة، من غير بحث في الطريق التي حملته بها الملائكة، وبذلك: كان التابوت آية دالة على صدق طالوت في كونه ملكاً عليهم، وما وراء ذلك من الأخبار التي سمعتها: لم يبق عليها دليل»، انظر: الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٢٤٣.

وأما الأستاذ سيد قطب، رحمه الله، فقد أعرض عن كل هذه الروايات الاسرائيلية، ليعرض لنا ما توحى إليه الآيات الكريمة من دروس مستخلصة من تجارب تلك الأمم السابقة، مما جاء القرآن الكريم لتشيته في النفوس المؤمنة وتربيتها عليه، انظر: في ظلال القرآن: ٢٦٠/٢ وما بعدها، طبع دار الشروق.

## وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾

السدي: كانوا أربعة آلاف وقال غيره: ثلاثمائة وبضعة عشر وهو الصحيح.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن رجاء أنا إسرائيل عن أبي إسحق عن البراء قال: كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة<sup>(١)</sup>.

٤٣/أ

ويروى ثلاثمائة وثلاثة عشر / فلما وصلوا إلى النهر وقد ألقى عليهم العطش فشرب منه الكل إلا هذا العدد القليل فمن اغترف غرفة كما أمر الله قوي قلبه وصح إيمانه وعبر النهر سالماً وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه، والذين شربوا وخالفوا أمر الله أسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يروا ويقوا على شط النهر وجنبوا عن لقاء العدو فلم يجاوزوا ولم يشهدوا الفتح.

وقيل كلهم جاوزوا ولكن لم يحضر القتال إلا الذين لم يشربوا ﴿فلما جاوزوه﴾ يعني النهر ﴿هو﴾ يعني طالوت ﴿والذين آمنوا معه﴾ يعني القليل ﴿قالوا﴾ يعني الذين شربوا وخالفوا أمر الله، وكانوا أهل شك ونفاق ﴿لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي: فانحرفوا ولم يجاوزوا ﴿قال الذين يظنون﴾ يستيقنون ﴿أنهم ملاقوا الله﴾ وهم الذين ثبتوا مع طالوت ﴿كم من فئة﴾ جماعة وهي جمع لا واحد له من لفظه وجمعه فئات وفئون في الرفع وفئين في الخفض والنصب ﴿قليلة﴾ غلبت فئة كثيرة بإذن الله ﴿بقضائه وإرادته﴾ والله مع الصابرين ﴿بالنصر والمعونة﴾.

﴿ولما برزوا﴾ يعني طالوت وجنوده يعني المؤمنين ﴿لجالوت وجنوده﴾ المشركين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الأرض وهو ما ظهر واستوى ﴿قالوا ربنا أفرغ علينا﴾ أنزل وأصب ﴿صبراً وثبت أقدامنا﴾ قوّ قلوبنا ﴿وانصرنا على القوم الكافرين﴾ فهزمهم بإذن الله ﴿أي بعلم الله تعالى﴾ وقتل داود جالوت ﴿وصفة قتله﴾ قال أهل التفسير<sup>(٢)</sup>:

(١) رواه البخاري في المغازي: باب: عدة أصحاب بدر. ٢٩٠/٧.

(٢) هذه الأقوال عن أهل التفسير مجملها من الاسرائيليات، ونحن في غنية عنه مما في أيدينا من الكتاب والسنة، وليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ما يدل على ما ذكره، ولنا في حاجة إلى شيء من هذا في فهم القرآن وتدبره، فلا تلقى إليه بالآ... وقد ذكر ابن كثير رحمه الله أن ذلك مما ذكر في الاسرائيليات انظر تفسير ابن كثير ١/ ٥٣٧ طبع دار الأرقم. الاسرائيليات والموضوعات لشيخ أبي شهبة ص ٢٤٨ — ٢٤٩.

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ  
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ  
لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ  
آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

عبر النهر مع طالوت فيمن عبر إيشا أبو داود في ثلاثة عشر ابناً له وكان داود أصغرهم وكان يرمي بالقذافة فقال لأبيه يوماً يا أبتاه ما أرمي بقذافتي شيئاً إلا صرعته فقال: أبشر يا بني فإن الله جعل رزقك في قذافتك، ثم أتاه مرة أخرى فقال: يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسداً رابضاً فركبته فأخذت بأذنيه فلم يهجني، فقال: أبشر يا بني فإن هذا خير يريدك الله بك ثم أتاه يوماً آخر فقال: يا أبتاه إني لأمشي بين الجبال فأسبح فما يبقى جبل إلا سبح معي، فقال: أبشر يا بني فإن هذا خير أعطاك الله تعالى فأرسل جالوت إلى طالوت أن ابرز إلي أو أبرز إلي من يقاتلني فإن قاتلني فلکم ملكي وإن قتله فلي ملککم فشق ذلك على طالوت فنأدى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت نبيهم أن يدعو الله تعالى فدعا الله في ذلك، فأتى بقرن فيه دهن القدس وتنور من حديد فقيل إن صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه فيغلي الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه ويكون على رأسه كهية الإكليل ويدخل في هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه، فدعا طالوت بني إسرائيل فجرهم فلم يوافقهم منهم أحد فأوحى الله إلى نبيهم أن في ولد إيشا من يقتل الله به جالوت فدعا طالوت إيشا فقال: اعرض عليّ بنيك فأخرج له اثني عشر رجلاً أمثال السواري<sup>(١)</sup> فجعل يعرضهم على القرن فلا يرى شيئاً فقال: لإيشا هل بقي لك ولد غيرهم فقال لا، فقال النبي: يارب إنه زعم أن لا ولد له غيرهم، فقال كذب، فقال النبي: إن ربي كذبك فقال: صدق الله يا نبي الله إن لي ابناً صغيراً يقال له داود استحيت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته (فخلفته)<sup>(٢)</sup> في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكذا، وكان داود رجلاً قصيراً مسقاماً<sup>(٣)</sup>

(١) جمع سارية: وهي الأسطوانة، من حجارة أو آجر، وفي الحديث أنه نهي أن يصلي بين السواري، وذلك في صلاة الجماعة، من أجل انقطاع الصف.

(٢) في أ فجعلته.

(٣) رجل مسقام، وامرأة مسقام أيضاً: أي كثير السقم لا يكاد يبرأ.

مصفاً<sup>(١)</sup> أزرق<sup>(٢)</sup> أمعر<sup>(٣)</sup>، فدعاه طالوت، ويقال: بل خرج طالوت إليه فوجد الوادي قد سال بينه وبين الزبية التي كان يريخ إليها، فوجده يحمل شاتين يميز بهما السيل ولا يخوض بهما الماء فلما رآه قال: هذا هو لاشك فيه، هذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم فدعاه ووضع القرن على رأسه ففاض فقال طالوت: هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأجري خاتمتك في ملكي قال: نعم قال: وهل أنست من نفسك شيئاً تتقوى به على قتله؟ قال: نعم، أنا أرعى فيجىء الأسد أو الثمر أو الذئب فيأخذ شاة فأقوم إليه فأفتح لحييه عنها وأضرقها إلى قفاه، فرده إلى عسكره، فمر داود عليه السلام في طريقه بحجر فناداه الحجر يادواد احملني فأني حجر هارون الذي قتل بي ملك كذا، فحملة في مخلاته، ثم مر بحجر آخر فقال: احملني فأني حجر موسى الذي قتل بي ملك كذا وكذا فحملة في مخلاته، ثم مر بحجر آخر فقال: احملني فأني حجر الذي تقتل بي جالوت فوضعه في مخلاته، فلما تصافوا للقتال وبرز جالوت وسأل المبارزة انتدب له داود فأعطاه طالوت فرساً ودرعاً وسلاحاً فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريباً ثم انصرف إلى الملك فقال: من حوله جبن الغلام فجاء فوقف على الملك فقال: ما شأنك؟ فقال: إن الله إن لم ينصرني لم يغن عني هذا السلاح شيئاً، فدعني أقاتل كما أريد، قال: فافعل ما شئت قال: نعم، فأخذ داود مخلاته فتقلدها وأخذ المقلاع ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الرجال وأقواهم، وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة<sup>(٤)</sup> فيها ثلاثمائة رطل حديد فلما نظر إلى داود ألقى في قلبه الرعب فقال له: أنت تبرز إلي؟ قال: نعم.

وكان جالوت على فرس أبلق<sup>(٥)</sup> عليه السلاح التام، قال: فأتيتني بالمقلاع والحجر كما يؤتى الكلب؟ قال: نعم أنت شر من الكلب، قال لاجرم لأقسم لحكمك بين سباع الأرض وطيير السماء قال داود: أو يقسم الله لحكمك، فقال داود: باسم إله إبراهيم وأخرج حجراً ثم أخرج الآخر وقال: باسم إله إسحاق ووضعه في مقلاعه ثم أخرج الثالث وقال: باسم إله يعقوب ووضعه في مقلاعه فصارت كلها حجراً واحداً ودور داود المقلاع ورمى به فسخر الله له الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة فخالط دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلاً، وهزم الله تعالى الجيش وخر جالوت قتيلاً فأخذه يحمله حتى ألقاه بين يدي طالوت، وفرح المسلمون فرحاً شديداً، وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين والناس يذكرون داود فجاء داود طالوت وقال أنجز لي ما وعدتني، فقال: أتريد ابنة الملك بغير صداق؟ فقال داود: ما

(١) من قولهم اصفار لونه: غلبته الصفرة، وذلك من المرض والضعف.

(٢) يريد أزرق العينين، وكانت العرب تتشائم من الزرق.

(٣) قليل الشعر.

(٤) لباس الرأس في الحرب.

(٥) سواد وبياض وارتفاع التحجيل إلى الفخذين.

شرطت على صداقاً وليس لي شيء فقال لا أكلفك إلا ما تطيق أنت رجل جريء وفي حيالنا أعداء لنا غُلِّفَ<sup>(١)</sup> فإذا قتلت منهم مائتي رجل وجئتني بغلفهم زوجتك ابنتي فأتاهم فجعل كلما قتل واحداً منهم نظم غلفته في خيط حتى نظم غلفهم فجاء بها إلى طالوت فألقى إليه وقال ادفع إلي امرأتي فزوجه ابنته وأجرى خاتمه في ملكه، فمال الناس إلى داود وأحبوه وأكثروا ذكره، فحسده طالوت وأراد قتله فأخبر بذلك ابنة طالوت رجلٌ يقال له ذو العينين فقالت لداود إنك مقتول في هذه الليلة قال: ومن يقتلني؟ قالت أبي / قال وهل أجمرت جرماً قالت: حدثني من لا يكذب ولا عليك أن تغيب الليلة حتى ننظر مصداق ذلك، فقال: لئن كان أراد الله ذلك لا أستطيع خروجاً ولكن اثنييني بزق<sup>(٢)</sup> خمر فأتت به فوضعه في مضجعه على السرير وسجاه<sup>(٣)</sup> ودخل تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لها: أين بعلك؟ فقالت: هو نائم على السرير فضربه بالسيف ضربة فسال الخمر فلما وجد ريح الشراب قال: يرحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر، وخرج.

فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيئاً فقال: إن رجلاً طلبت منه ما طلبت لخليق أن لا يدعني حتى يدرك مني ثأره فاشتد حجابيه وحراسه وأغلق دونه أبوابه، ثم إن داود أتاه ليلة وقد هدأت العيون فأعمى الله سبحانه الحجة وفتح له الأبواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه، فوضع سهماً عند رأسه وسهماً عند رجله وسهماً عن يمينه وسهماً عن شماله ثم خرج، فلما استيقظ طالوت بصُر بالسهم فعرفها فقال: يرحم الله تعالى داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما أنا بالذي آمنه، فلما كانت القابلة أتاه ثانياً وأعمى الله الحجاب فدخل عليه وهو نائم فأخذ إبريق طالوت الذي كان يتوضأ منه وكوزه الذي كان يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيئاً من هذب ثيابه، ثم خرج وهرب وتوارى، فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وطلبه أشد الطلب فلم يقدر عليه، ثم إن طالوت ركب يوماً فوجد داود يمشي في البرية فقال: اليوم أقتله فركض على أثره، فاشتد داود وكان إذا فرغ لم يدرك، فدخل غاراً فأوحى الله تعالى إلى العنكبوت فنسج عليه بيتاً فلما انتهى طالوت إلى الغار ونظر إلى بناء العنكبوت قال: لو كان دخل هاهنا لخرق بناء العنكبوت فتركه ومضى، فانطلق داود وأتى الجبل مع المتعبدين فتعبد فيه فطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا ينهأ أحد عن قتل داود إلا قتله، وأغرى بقتل العلماء فلم يكن يقدر على عالم في بني إسرائيل يطيق قتله إلا قتله، حتى أتى بامرأة تعلم اسم الله الأعظم فأمر خبازه بقتلها فرحمها

(١) جمع أغلف، وهو الذي لم يختن.

(٢) الزق: (بكسر الزاي) جلد شاة يسلم من رجل واحدة، ومن قبل رأسه وعنقه، ثم يعالج حتى يكون سقاء، وكانوا أكثر ما يتخذونه للخمر.

(٣) غطاه ومد عليه ثوباً.

الخباز وقال: لعلنا نحتاج إلى عالم فتركها فوقع في قلب طالوت التوبة وندم على ما فعل، وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس.

وكان كل ليلة يخرج إلى القبور فيسكي وينادي: أنشد الله عبداً يعلم أن لي توبة إلا أخبرني بها، فلما أكثر عليهم ناداه مناد من القبور ياطالوت أما ترضى أن تقتلنا حتى تؤذينا أمواتاً فازداد بكاء وحزناً فرحمه الخباز فقال: مالك أيها الملك؟ قال: هل تعلم لي في الأرض عالماً أسأله هل لي من توبة فقال الخباز: إنما مثلك مثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه فقال: لا تتركوا في القرية ديكاً إلا ذبحتموه، فلما أراد أن ينام قال لأصحابه: إذا صاح الديك فأيقظونا حتى ندلج فقالوا له: وهل تركت ديكاً نسمع صوته؟ ولكن هل تركت عالماً في الأرض؟ فازداد حزناً وبكاء فلما رأى الخباز ذلك قال له: أرأيتك إن دلتك على عالم لعلك أن تقتله قال: لا فتوثق عليه الخباز فأخبره أن المرأة العاملة عنده قال: انطلق بي إليها أسألها هل لي من توبة؟ وكانت من أهل بيت يعلم الاسم الأعظم فإذا فنيتم رجالهم علمت نساؤهم فلما بلغ طالوت الباب قال الخباز إنها إذا رأتك فرغت فخلفه خلفه ثم دخله عليها فقال لها: ألسنت أعظم الناس منةً عليك أم أحييتك من القتل وآويتك، قالت: بلى، قال: فإن لي إليك حاجة هذا طالوت يسأل هل لي من توبة؟ فغشي عليها من الفرق فقال لها: إنه لا يريد قتلك ولكن يسألك هل له من توبة؟ قالت: لا والله لا أعلم لطلالوت توبة، ولكن هل تعلمون مكان قبر نبي؟ فانطلق بهما إلى قبر إسموئيل فصلت ودعت ثم نادى يا صاحب القبر فخرج إسموئيل من القبر ينفض رأسه من التراب فلما نظر إليهم ثلاثتهم قال: ما لكم أقامت القيامة؟ قالت: لا ولكن طالوت يسألك هل له من توبة؟ قال إسموئيل: يا طالوت ما فعلت بعدي؟ قال: لم أدع من الشر شيئاً إلا فعلته وجئت أطلب التوبة قال: كم لك من الولد؟ قال عشرة رجال، قال: ما أعلم لك من توبة إلا أن تتخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك في سبيل الله، ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل أنت حتى تقتل آخرهم، ثم رجع إسموئيل إلى القبر وسقط ميتاً، ورجع طالوت أحزن ما كان رهبة أن لا يتابعه ولده وقد بكى حتى سقطت أشفار عينيه ونخل جسمه فدخل عليه أولاده فقال لهم: أرأيتم لو دفعتم إلى النار هل كنتم تفدونني؟ قالوا: نعم نفديك بما قدرنا عليه قال: فإنها النار إن لم تفعلوا ما أقول لكم قالوا: فاعرض علينا فذكر لهم القصة، قالوا: وإنك لمقتول قال: نعم، قالوا: فلا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذي سألت، فتجهز بماله وولده فتقدم ولده وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد هو بعدهم حتى قتل فجاء قاتله إلى داود ليبشره وقال: قتلت عدوك فقال داود: ما أنت بالذي تحيا بعده، ف ضرب عنقه، وكان ملك طالوت إلى أن قُتل أربعين سنة وأتى بنو إسرائيل إلى داود وأعطوه خزائن طالوت وملكوه على أنفسهم.

قال الكلبي والضحاك: ملك داود بعد قتل طالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد إلا على داود فذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني: النبوة؛ جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن من قبل، بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط، وقيل: الملك والحكمة هو العلم مع العمل.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ﴾ قال الكلبي وغيره يعني: صنعة الدروع وكان يصنعها ويبيعها وكان لا يأكل إلا من عمل يده، وقيل منطق الطير (وكلام الحكل)<sup>(١)</sup> والتمل والكلام الحسن وقيل هو الزبور وقيل هو الصوت الطيب والألحان فلم يعط الله أحداً من خلقه مثل صوته، وكان إذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يأخذ بأعناقها وتظله الطير مصيخة له ويركد الماء (الجاري)<sup>(٢)</sup> ويسكن الريح.

وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما هو أن الله تعالى أعطاه سلسلة موصولة بالجرة ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة مفصلة بالجواهر مدسة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في الهواء حدث إلا صلصلت السلسلة، فعلم داود ذلك الحدث، ولا يمسها ذو عاهة إلا برىء، وكانوا يتحاكمون إليها بعد داود عليه السلام إلى أن رفعت، فمن تعدى على صاحبه وأنكر له حقاً أتى السلسلة فمن كان صادقاً مد يده إلى السلسلة فتناولها، ومن كان كاذباً لم ينلها فكانت كذلك إلى أن ظهر بهم المكر والخديعة فبلغنا أن بعض ملوكها أودع رجلاً / جوهرة ثمينة ٤٤/أ فلما استردها أنكر فتحاكماً إلى السلسلة، فعمد الذي عنده الجوهرة إلى عكازة فنقرها وضمها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر السلسلة فقال صاحب الجوهرة: رد علي الوديعة فقال صاحبه: ما أعرف لك عندي من وديعة فإن كنت صادقاً فتناول السلسلة، فتناولها بيده فقيل للمنكر قم أنت فتناولها فقال لصاحب الجوهرة: خذ عكازي هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فأخذها عنده ثم قام المنكر نحو السلسلة فأخذها فقال الرجل: اللهم إن كنت تعلم أن هذه الوديعة التي يدعيها عليّ قد وصلت إليه فقرب مني السلسلة فمد يده فتناولها فتعجب القوم وشكوا فيها فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ قرأ أهل المدينة ويعقوب ﴿دَفْعَ اللَّهِ﴾ بالألف هاهنا وفي سورة الحج، وقرأ الآخرون بغير الألف لأن الله تعالى لا يغالبه أحد وهو الدافع وحده، ومن قرأ بالألف قال: قد يكون الدافع من واحد مثل قول العرب: أحسن الله عنك الدافع، قال ابن عباس ومجاهد: ولولا دفع الله بجنود المسلمين لغلب المشركون على الأرض، فقتلوا المؤمنين، وخربوا المساجد والبلاد، وقال سائر المفسرين: لولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفار والفجار لهلكت الأرض بمن فيها، ولكن الله

(١) من ب، والحكل: مالا يسمع له صوت.

(٢) ساقط من (أ).

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ  
وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا  
الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ  
وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ  
آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ  
وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٣﴾

يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أخبرنا أبو اسحق الثعلبي أنا أبو عبد الله بن فنجويه أنا أبو بكر بن  
خرجة أنا عبد الله بن أحمد بن حنبل أنا أبو حميد الحمصي أنا يحيى بن سعيد العطار أنا حفص بن  
سليمان عن محمد بن سوقة عن وبرة بن عبد الرحمن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله  
ﷺ: «إن الله عز وجل ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء» ثم قرأ «ولولا دفع  
الله الناس بعضهم ببعض» (١) «لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك آيات الله  
نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين».

﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله﴾ أي كلمه الله تعالى يعني موسى عليه  
السلام ﴿ورفع بعضهم درجات﴾ يعني محمداً ﷺ، قال الشيخ الإمام رحمه الله عليه: وما أوتي نبي آية  
إلا وقد أوتي نبينا مثل تلك الآية وفضل على غيره بآيات مثل: انشقاق القمر بإشارته، وحنين الجذع على  
مفارقتها، وتسليم الحجر والشجر عليه، وكلام البهائم والشهادة برسالته، ونبع الماء من بين أصابعه، وغير  
ذلك من المعجزات والآيات التي لا تحصى، وأظهرها القرآن الذي عجز أهل السماء وأهل الأرض عن  
الإتيان بمثله.

أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد بن علي الصيرفي، أنا أبو الحسن محمد بن أحمد المخلدي،  
أخبرنا أبو العباس بن محمد بن إسحاق الثقفي، أنا قتيبة بن سعيد، أنا الليث بن سعد عن سعيد بن أبي

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير: ٣٧٤/٥، وفيه يحيى بن سعيد العطار، ضعفه ابن معين وغيره، وقال أبو داود: «جائز الحديث»  
وقال محمد بن مصفى الحمصي الحافظ: ثقة. وترجمه البخاري في الكبير، فلم يذكر فيه جرحاً.  
وقال ابن كثير بعد عزو الحديث للطبري: هذا إسناد ضعيف فإن يحيى بن سعيد ضعيف جداً، التفسير ٥٣٧/١، دار الأرقم وعزاه  
الميثمي للطبراني في الكبير والأوسط، وقال: فيه يحيى بن سعيد وهو ضعيف انظر: مجمع الزوائد: ١٦٣/٨ — ١٦٤، فيض القدير:  
٢٦١/٢.



سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله تعالى إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف، أنا محمد ابن إسماعيل، أنا محمد بن سنان، أخبرنا<sup>(٢)</sup> هشيم، أنا سيار، أنا يزيد الفقير، أنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»<sup>(٣)</sup>.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقمي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني، أنا عبد الله ابن عمر الجوهري، أنا أحمد بن علي الكشميهني، أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر، أنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست: أوتيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَاتَيْنَا عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي من بعد الرسل ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيْنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ﴾ ثبت على إيمانه بفضل الله ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ بخذلانه ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلُوا﴾ أعاده تأكيداً ﴿وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ﴾ يوفق من يشاء فضلاً، ويخذل من يشاء عدلاً.

سأل رجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن القدر؟ فقال: طريق مظلم لا تسلكه، فأعاد السؤال فقال: بحر عميق لا تلجه، فأعاد السؤال، فقال: سر الله في الأرض قد خفي عليك فلا تفتشه<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: في الإعتصام بالكتاب والسنة — باب: قول النبي ﷺ بعثت بمجموع الكلم ٢٤٧/١٣ وفي فضائل القرآن.

ومسلم: في الإيمان — باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ برقم (٢٣٩) ١٣٤/١.

والمصنف في شرح السنة ١٩٥/١٣ — ١٩٦.

(٢) ساقط من «أ» والتصحيح من شرح السنة للمصنف، وفي المخطوط يسار بدلاً من سيار.

(٣) أخرجه البخاري: في أول كتاب التيمم — الباب الأول ٤٣٦/١ وفي كتاب الصلاة وفي الجهاد وفي بدء الخلق والأنبياء ومسلم: في

المساجد برقم (٥٢١) ٣٧٠/١ — ٣٧١.

والمصنف في شرح السنة ١٩٦/١٣.

(٤) أخرجه مسلم: في المساجد ومواضع الصلاة برقم (٥٢٣) ٣٧١/١ وفي رواية أخرى بعثت بمجموع الكلم.

والمصنف في شرح السنة ١٩٧/١٣.

(٥) رواه الآجري في الشريعة ص (٢٠٢) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد: ٦٢٩/٤.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ قال السدي: أراد به الزكاة المفروضة وقال غيره: أراد به صدقة التطوع والنفقة في الخير ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا يَبِيعُ فِيهِ﴾ أي لا فداء فيه، سماه بيعاً لأن الفداء شراء نفسه ﴿وَلَا خَلَّةَ﴾ لا صداقة ﴿وَلَا شَفَاعَةَ﴾ إلا بإذن الله، قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة كلها بالنصب، وكذلك في سورة إبراهيم (الآية ٣١) «لا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خَلَالٌ» وفي سورة الطور (الآية ٢٣) «لَا لَعْوَ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ» وقرأ الآخرون كلها بالرفع والتنوين ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها.

قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا ابن أبي شيبة أنا عبد الأعلى عن الجريري عن أبي السليل (١) عن عبد الله بن رباح الأنصاري عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أَبَا الْمُنْذِرِ أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ» قلت ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ قال فضرب في صدري ثم قال: «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ» ثم قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ لِهَذِهِ الْآيَةِ لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ تَقْدُسُ الْمَلِكُ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ» (٢).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنا محمد بن يوسف عن محمد بن اسماعيل قال عثمان بن الهيثم أبو عمرو: أخبرنا عوف عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكنتي رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة قال: فخليت سبيله

(١) أبي السليل: هو ضريب بن ثقيف ويقال ثقيف أبو السليل القيسي الجريري البصري، قال إسحاق بن منصور: عن يحيى بن معين: ثقة

وذكره ابن حبان في الثقات: تهذيب التهذيب ج ٤ - ص ٤٠١.

(٢) أخرجه مسلم: في صلاة المسافرين وقصرها برقم (٨١٠) ١٥٦/١ برواية مختلفة.

والمصنف في شرح السنة ٤/٥٩٩. وقوله: (لهنك العلم) أي: ليكن العلم هنيئاً لك.

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا  
أُولَئِكَ ءَاهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ  
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

فأصبحت / فقال رسول الله ﷺ «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يا رسول الله ٤٤/ب  
شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال: «أما إنه قد كذبك وسيعود» فعرفت أنه سيعود  
لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود، فرصدته فجاء يحنو من الطعام فأخذه فقالت: لأرفعنك إلى رسول الله  
ﷺ قال: دعني فإنني محتاج وعلي عيال ولا أعود، فرحمته فخليت سبيله فأصبحت فقال: لي رسول الله  
ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك» قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته وخليت سبيله  
قال: «أما إنه قد كذبك وسيعود» فرصدته الثالثة فجاء يحنو من الطعام فأخذه فقالت: لأرفعنك إلى  
رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات إنك تزعم لا تعود ثم تعود قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك  
الله بها قلت: ما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾  
حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله،  
فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة» قلت يا رسول الله زعم أنه يعلمني  
كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال ما هي؟ قلت: قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي  
من أولها حتى تختم الآية ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وقال: لن يزال عليك من الله حافظ ولا  
يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص الناس على الخير، فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو  
كذوب، تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة» قلت: لا قال «ذاك شيطان»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني أخبرنا حميد بن  
زنجوية أخبرنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو معاوية عن عبد الرحمن بن أبي بكر هو المليكي عن زرارة بن  
مصعب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ  
حين يصبح آية الكرسي وآيتين من أول «حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم» (٢ - غافر) حفظ  
في يومه ذلك حتى يمسي ومن قرأهما حين يمسي حفظ في ليلة تلك حتى يصبح»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في الوكالة، باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً.. ٤٨٦/٤ - ٤٨٧، وفي بدء الخلق - باب صفة إبليس وجنوده  
٣٣٥/٦ - ٣٣٦ وفي فضائل القرآن.  
والمصنف في شرح السنة ٤٦٠/٤.

(٢) أخرجه الترمذي: في فضائل القرآن - باب ما جاء في سورة البقرة وآية الكرسي ١٨٢/٨ وقال هذا حديث غريب.  
وفي سننه عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبيد الله بن أبي مليكة (بالتصغير) كما في المغني وهو ضعيف من السابعة - التقريب. ميزان  
الاعتدال ٥٥٠/٢.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ﴾ رفع بالإبتداء وخبره في ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ﴾ الباقي الدائم على الأبد وهو من له الحياة، والحياة صفة الله تعالى ﴿الْقَيُّومُ﴾ قرأ عمر وابن مسعود «القيام» وقرأ علقمة «القيم» وكلها لغات بمعنى واحد، قال مجاهد ﴿الْقَيُّومُ﴾ القائم على كل (شيء) <sup>(١)</sup> وقال الكلبي: القائم على كل نفس بما كسبت وقيل هو القائم بالأمور. وقال أبو عبيدة: الذي لا يزول ﴿لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ السَّنة: النعاس وهو النوم الخفيف، والوسنان بين النائم واليقظان يقال منه وسن يسن وسناً وسنة والنوم هو الثقل المزيل للقوة والعقل، قال المفضل الضبي: السَّنة في الرأس والنوم في القلب، فالسَّنة أول النوم وهو النعاس، وقيل السَّنة في الرأس والنعاس في العين والنوم في القلب فهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالأشياء، نفى الله تعالى عن نفسه النوم لأنه آفة وهو منزّه عن الآفات ولأنه تغير ولا يجوز عليه التغير.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرنا عبد الله ابن حامد أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنا علي بن حرب أخبرنا أبو معاوية أخبرنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، ولكنه يخفض القسط، ويرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» <sup>(٢)</sup>. ورواه المسعودي عن عمرو بن مرة وقال: حجاب النار.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مَلَكًا وَخَلْقًا ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ بأمره ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ قال مجاهد وعطاء والسدي: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة، وقال الكلبي: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني الآخرة لأنهم يقدمون عليها ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الدنيا لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم، وقال ابن جريج: ما بين أيديهم ما مضى أمامهم وما خلفهم ما يكون بعدهم، وقال مقاتل: ما بين أيديهم، ما كان قبل خلق الملائكة وما خلفهم أي ما كان بعد خلقهم، وقيل: ما بين أيديهم أي ما قدموه من خير أو شر وما خلفهم ما هم فاعلوه ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ أي من علم الله ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ أن يطلعهم عليه يعني لا يحيطون بشيء من علم الغيب إلا بما شاء مما أخبر به الرسل كما قال الله تعالى: (فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول) (٣٦ - الجن) قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي ملاً وأحاط به، واختلفوا في الكرسي فقال الحسن: هو العرش نفسه

(١) ساقط من (ب).

(٢) أخرجه مسلم: في الإيمان — باب في قوله عليه السلام إن الله لا ينام وفي قوله حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه برقم (١٧٩) ١/١٦١ — ١٦٢.

والصنف في شرح السنة: ١/١٧٣.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: الكرسي موضوع أمام العرش ومعنى قوله: «وسع كرسیه السموات والأرض» أي سعته مثل سعة السموات والأرض، وفي الأخبار أن السموات والأرض في جنب الكرسي كحلقة في فلاة، والكرسي في جنب العرش كحلقة في فلاة. ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن السماوات السبع والأرضين السبع في الكرسي كدراهم سبعة ألقيت في ترس<sup>(١)</sup>.

وقال علي ومقاتل: كل قائمة من الكرسي طولها مثل السموات السبع والأرضين السبع، وهو بين يدي العرش، ويحمل الكرسي أربعة أملاك، لكل ملك أربعة وجوه، وأقدامهم في الصخرة التي تحت الأرض السابعة السفلى مسيرة خمسمائة عام، ملك على صورة سيد البشر آدم عليه السلام، وهو يسأل للآدميين الرزق والمطر من السنة إلى السنة، وملك على صورة سيد الأنعام وهو الثور وهو يسأل للإنعام الرزق من السنة إلى السنة وعلى وجهه غضاضة منذ عبد العجل، وملك على صورة سيد السباع وهو الأسد يسأل للسباع الرزق من السنة إلى السنة، [وملك على صورة سيد الطير وهو النسر يسأل الرزق للطير من السنة إلى السنة]<sup>(٢)</sup> وفي بعض الأخبار أن ما بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجاباً من ظلمة وسبعين حجاباً من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا ذلك لاحترق حملة الكرسي من نور حملة العرش.

وروى سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أراد بالكرسي علمه<sup>(٣)</sup> وهو قول مجاهد، ومنه قيل لصحيفة العلم كراسه، وقيل: كرسيه ملكه وسلطانه، والعرب تسمى الملك القديم كرسيّاً، ﴿ولا يؤده﴾ أي لا يثقله ولا يشق عليه يقال: آدني الشي أي أثقلني ﴿حفظهما﴾ أي حفظ السموات والأرض ﴿وهو العلي﴾ الرفيع فوق خلقه والمتعالى عن الأشياء والأنداد، وقيل العلي بالملك والسلطنة ﴿العظيم﴾ الكبير الذي لا شيء أعظم منه.

قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾ قال سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاة، (المقلاة من النساء)<sup>(٤)</sup> لا يعيش لها ولد وكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنّه

(١) أورد الطبري في التفسير برواية أخرى قال: حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس» ٣٩٩/٥.

ورواه محمد بن أبي شيبة في كتاب العرش، وعزاه ابن كثير لابن مردويه، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات: ١٤٩/٢ وفيه إبراهيم ابن هشام بن يحيى الغساني: متروك كذبه أبو حاتم وأبو زرعة، وطرق الحديث كلها واهية، فلا تعتضد لضعفها، انظر: النهج السديد في تخریج أحاديث تيسر العزيز الحميد ص ٢٨٣.

(٢) ساقط من (ب).

(٣) نقل ذلك عنه الطبري في التفسير: ٣٩٧/٥ — ٣٩٨، والبيهقي في الأسماء والصفات، فقال: «وروي عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «علمه».

ثم قال: وسائر الروايات عن ابن عباس وغيره تدل على أن المراد به الكرسي المشهور المذكور مع العرش، انظر: الأسماء والصفات للبيهقي: ١٣٤/٢ — ١٣٥.

٤٥/أ

فإذا عاش ولدها جعلته في اليهود، فجاء الإسلام وفيهم منهم / فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الانصار فأرادت الانصار استردادهم وقالوا: هم أبناءنا وإخواننا فنزلت هذه الآية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ فقال رسول الله ﷺ «خيروا أصحابكم فإن اختاروكم فهم منكم وإن اختاروهم فأجلوهم معهم»<sup>(١)</sup>.

وقال مجاهد: كان ناس مسترضعين في اليهود من الأوس فلما أمر النبي ﷺ بإجلاء بني النضير قال الذين كانوا مسترضعين فيهم: لنذهب معهم ولندين بدينهم، فمنعهم أهلهم، فنزلت ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال مسروق: كان لرجل من الأنصار من بن سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل مبعث النبي ﷺ ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الطعام فلزمهما أبوهما وقال: لا أدعكما حتى تسلما، فتخاصما إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا انظر فأنزل الله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ فخلى سبيلهما<sup>(٣)</sup>.

وقال قتادة وعطاء: نزلت في أهل الكتاب إذا قبلوا الجزية، وذلك أن العرب كانت أمة أمية لم يكن لهم كتاب فلم يقبل منهم إلا الإسلام، فلما أسلموا طوعاً أو كرها أنزل الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ فأمر بقتال أهل الكتاب إلى أن يسلموا أو يقرروا بالجزية فمن أعطى منهم الجزية لم يكره على الإسلام، وقيل كان هذا في الابتداء قبل أن يؤمر بالقتال فصارت منسوخة بآية السيف، وهو قول ابن مسعود رضي الله عنهما، ﴿قد تبين الرشد من الغي﴾ أي الإيمان من الكفر والحق من الباطل ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾ يعني الشيطان، وقيل: كل ما عبد من دون الله تعالى فهو طاغوت، وقيل كل ما يطغي الإنسان، فاعول من الطغيان، زيدت التاء فيه بدلاً من لام الفعل، كقوله حانوت وتابوت، فالتاء فيها مبدلة من هاء التأنيث ﴿ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ أي تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين، والوثقى تأنيث الأوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل إلى رضا الله تعالى: ﴿لَا انفصام لها﴾ لا انقطاع لها ﴿والله سميع﴾ قيل: لدعائك إياهم إلى الإسلام ﴿عليم﴾ بحرصك على إيمانهم.

(١) أخرجه الطبري في التفسير: ٤٠٩/٥ - ٤١٠ عن سعيد بن جبير مرسلاً، والبيهقي في السنن: ١٨٦/٩، ونسبه السيوطي في الدر المنثور إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

وأخرج الواحدي بسنده قطعة منه دون قول النبي ﷺ «قد خير أصحابكم... أسباب النزول ص ٧٧.

(٢) أسباب النزول للواحدي ص ٧٨، تفسير الطبري ٤١١/٥، وفي أسباب النزول للواحدي ص ٧٧ قال مجاهد: نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار كان له غلام أسود يقال له: صبيح، وكان يكرهه على الإسلام.

(٣) عزاه ابن حجر في الكافي الشاف ص (٢٣) للواحدي في أسباب النزول وكذلك البغوي، وهو عند الواحدي في ص ٧٨ دون سند.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي  
الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ  
الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ناصرهم ومعينهم، وقيل: محبهم، وقيل: متولي أمورهم لا يكلهم إلى غيره، وقال الحسن: ولِّي هدايتهم ﴿يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي من الكفر إلى الإيمان، قال الواقدي: كل ما في القرآن من الظلمات والنور فالمراد منه الكفر والإيمان غير التي في سورة الأنعام، «وجعل الظلمات والنور» فالمراد منه الليل والنهار، سمي الكفر ظلمة لالتباس طريقه وسمي الإسلام نوراً لوضوح طريقه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ قال مقاتل: يعني كعب بن الأشرف وحبي بن أخطب وسائر رؤوس الضلالة ﴿يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ يدعونهم من النور إلى الظلمات، والطاغوت يكون مذكراً ومؤنثاً وواحداً وجمعاً، قال تعالى في المذكر والواحد: «يريدون أن يتحاكموا إلى الطَّاغُوتِ وقد أمروا أن يكفروا به» (٦٠ - النساء) وقال في المؤنث: «والذين اجتنبوا الطَّاغُوتِ أن يعبدوها» (١٧ - الزمر) وقال في الجمع: ﴿يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ فإن قيل: قال: يخرجونهم من النور وهم كفار لم يكونوا في نور قط؟ قيل: هم اليهود كانوا مؤمنين بمحمد ﷺ قبل أن يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته، فلما بعث كفروا به، وقيل: هو على العموم في حق جميع الكفار، قالوا: منعهم إياهم من الدخول فيه إخراج كما يقول الرجل لأبيه أخرجتني من مالك ولم يكن فيه، كما قال الله تعالى إخباراً عن يوسف عليه السلام: «إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله» (٣٧ - يوسف) ولم يكن قط في ملتهم ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ معناه هل انتهى إليك يا محمد خير الذي حاج إبراهيم أي خاصم وجادل، وهو نمrod وهو أول من وضع التاج على رأسه، وتجبر في الأرض وادعى الربوبية؟ ﴿أَن آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ أي لأن آتاه الله الملك فطغى أي كانت تلك الحاجة من بطر الملك وطغيانه، قال مجاهد: ملك الأرض أربعة، مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فإسليمان وذو القرنين، وأما الكافران فنمrod ويختصر.

واختلفوا في وقت هذه المناظرة، قال مقاتل: لما كسر إبراهيم الأصنام سجنه نمrod ثم أخرجته ليحرقه بالنار فقال له: من ربك الذي تدعوننا إليه؟ فقال: ربي الذي يحيى ويميت، وقال آخرون: كان هذا بعد إلقائه في النار، وذلك أن الناس قحطوا على عهد نمrod وكان الناس يمتارون<sup>(١)</sup> من عنده الطعام، فكان إذا

(١) يجلبون الطعام.

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا  
فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ  
لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ  
وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ  
نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٥٩﴾

أتاه الرجل في طلب الطعام سأله من ربك؟ فإن قال أنت، باع منه الطعام، فأتاه إبراهيم فيمن أتاه فقال له نمرد: من ربك؟ قال: ربي الذي يحيى ويميت، فاشتغل بالحاجة ولم يعطه شيئاً فرجع إبراهيم فمر على كتيب من رمل أعفر فأخذ منه تطيباً لقلوب أهله إذا دخل عليهم، فلما أتى أهله ووضع متاعه نام، فقامت امرأته إلى متاعه ففتحته فإذا هو أجود طعام ما رآه أحد، فأخذته فصنعت له منه فقرنته إليه فقال: من أين هذا؟ قالت من الطعام الذي جئت به فعرف أن الله رزقه، فحمد الله.

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يَحْيِى وَيُمِيتُ﴾ [وهذا جواب سؤال غير مذكور تقديره قال له: من ربك؟ فقال إبراهيم ﴿رَبِّىَ الَّذِى يَحْيِى وَيُمِيتُ﴾] ﴿قَرَأْ حِمْرَةَ﴾ ﴿رَبِّىَ الَّذِى يَحْيِى وَيُمِيتُ﴾ بإسكان الياء وكذلك «حرم ربي الفواش» (٣٣ - الأعراف) و «عن آياتي الذين يتكبرون» (١٤٦ - الأعراف) و «قل لعبادي الذين» (٣١ - إبراهيم) و «آتاني الكتاب» (٣٠ - مريم) و «مسنى الضر» (٨٣ - الأنبياء) و «عبادي الصالحون» (١٠٥ - الأنبياء) و «عبادي الشكور» (١٣ - سبأ) و «مسنى الشيطان» (٤١ - ص) و «إن أرادي الله» (٣٨ - الزمر) و «إن أهلكني الله» (٢٨ - الملك) أسكن الياء فيهن حمزة، ووافق ابن عامر والكسائي في «لعبادي الذين آمنوا» وابن عامر «آياتي الذين» وفتحها الآخرون، ﴿قَالَ﴾ نمرد ﴿أَنَا أَحْيِى وَأُمِيتُ﴾.

قرأ أهل المدينة (أنا) بإثبات الألف والمد في الوصل إذا تلتها ألف مفتوحة أو مضمومة والباقون بحذف الألف، ووقفوا جميعاً بالألف، قال أكثر المفسرين: دعا نمرد برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فجعل ترك القتل إحياء له، فانتقل إبراهيم إلى حجة أخرى، لا عجزاً، فإن حجته كانت لازمة لأنه أراد بالاحياء إحياء الميت فكان له أن يقول: فأحي من أمتٍ إن كنت صادقاً فانتقل إلى حجة أخرى أوضح من الأولى.

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ﴾ أي تحير

(١) ساقط من (ب).



وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمَ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦١﴾

ودهش وانقطعت حجته. فإن قيل: كيف بهت وكان يمكنه أن يعارض إبراهيم فيقول له: سل أنت ربك حتى يأتي بها من المغرب قيل: إنما لم يقله لأنه خاف أن لو سأل ذلك دعا إبراهيم ربه فكان زيادة في فضيحته وانقطاعه، والصحيح أن الله صرفه عن تلك المعارضة إظهاراً للحجة عليه أو معجزة لإبراهيم عليه السلام ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

قوله تعالى: ﴿أو كالذي مر على قرية﴾ وهذه الآية منسوقة على الآية الأولى، تقديره ﴿ألم تر إلى الذي / حاج إبراهيم﴾ وإلى الذي مر على قرية، وقيل: تقديره هل رأيت الذي حاج إبراهيم في ٤٥/ب ربه، وهل رأيت الذي مر على قرية؟ واختلفوا في ذلك المار، فقال قتادة وعكرمة والضحاك: هو عزيز بن شرخيا، وقال وهب بن منبه: هو أرميا بن حلقيا، وكان من سبط هارون، وهو الخضر وقال مجاهد: هو كافر شك في البعث، واختلفوا في تلك القرية فقال وهب وعكرمة وقاتادة: هي بيت المقدس، وقال الضحاك: هي الأرض المقدسة، وقال الكلبي: هي دير سابور أباد، وقال السدي: سلما باد، وقيل: دير هرقل، وقيل: هي الأرض التي أهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف، وقيل: هي قرية العنب، وهي على فرسخين من بيت المقدس ﴿وهي خاوية﴾ ساقطة يقال: خوي البيت بكسر الواو يخوي خوى، مقصوراً، إذا سقط وخوى البيت بالفتح خواءً ممدوداً إذا خلا ﴿على عروشها﴾ سقوفها، واحداً عرش وقيل: كل بناء عرش، ومعناه: أن السقوف سقطت ثم وقعت الحيطان عليها.

﴿قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها﴾ وكان السبب في ذلك على ما روى محمد بن إسحاق بن منبه<sup>(١)</sup> أن الله تعالى بعث إرمياء إلى ناشية بن أموص ملك بني إسرائيل يسدده في ذلك ويأتيه بالخبر من الله عز وجل، فعظمت الأحداث في بني إسرائيل وركبوا المعاصي فأوحى الله تعالى إلى إرمياء: أن ذكر قومك نعمي وعرفهم أحداثهم وادعهم إليّ، فقال إرمياء إني ضعيف إن لم تقوّني، عاجز إن لم تبلغني، مخذول إن لم تنصرني، فقال الله عز وجل: أنا ألهمك، فقام إرمياء فيهم ولم يدر ما يقول فألهمه الله في الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية، وقال في آخرها عن الله تعالى: وإني

(١) القصة في الطبري: ٤٤٧/٥ — ٤٥٤، وهب بن منبه رحمه الله ولد سنة أربع وثلاثين مشهور في الرواية عن الاسرائيليات، فعنده من علم أهل الكتاب شيء كثير، فإنه صرف عنايته إلى ذلك وبالغ، وحديثه في الصحيحين عن أخيه همام ولهما عن أبي هريرة نسخة مشهورة أكثرها في الصحاح، رواها عنه معمر توفي سنة أربع عشرة ومائة، انظر تذكرة الحفاظ ١٠٠/١ سير أعلام النبلاء ٥٤٤/٤.

أحلف بعزتي لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحكيم، ولأسلطن عليهم جباراً فارسياً ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم، ثم أوحى الله تعالى إلى إرمياء إني مهلك بني إسرائيل بياث، وبياث من أهل بابل، وهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام، فلما سمع إرمياء ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فلما سمع الله تضرعه وبكائه ناداه: يا إرمياء أشق عليك ما أوحيت إليك قال: نعم يارب أهلكني قبل أن أرى في بني إسرائيل مالا أسر به فقال الله تعالى: وعزتي لا أهلك بني إسرائيل حتى يكون الأمر في ذلك من قبلك، ففرح إرمياء بذلك وطابت نفسه، فقال: لا والذي بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بني إسرائيل، ثم أتى الملك فأخبره بذلك وكان ملكاً صالحاً فاستبشر وفرح فقال: إن يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة وإن عفا عنا فبرحمته.

ثم إنهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية وقمادياً في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم فقلّ الوحي، ودعاهم الملك إلى التوبة، فلم يفعلوا، فسلط الله عليهم بختنصر، فخرج في ست مائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس، فلما فصل سائراً أتى الملك الخبر، فقال لإرمياء: أين مازعمت أن الله أوحى إليك؟ فقال إرمياء: إن الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الأجل بعث الله إلى إرمياء ملكاً قد تمثل له رجلاً من بني إسرائيل فقال له إرمياء: من أنت؟ قال: أنا رجل من بني إسرائيل أتيتك أستفتيك في أهل رحمي وصلت أرحامهم ولم آت إليهم إلا حسناً ولا يزيدهم إكرامي إياهم إلا إسقاطاً لي فأفتني فيهم، قال: أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وأبشر بخير. فانصرف الملك فمكث أياماً ثم أقبل إليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال: أنا الذي أتيتك في شأن أهلي، فقال له إرمياء: ما طهرت أخلاقهم لك بعد؟ قال: يانبي الله والذي بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس إلى رحمة إلا قدمتها إليهم وأفضل، فقال له النبي إرمياء عليه السلام: ارجع فأحسن إليهم أسأل الله الذي يصلح عباده الصالحين أن يصلحهم، فقام الملك، فمكث أياماً وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس بأكثر من الجراد ففزع منهم بنو إسرائيل فقال ملكهم لإرمياء: يا نبي الله أين ما وعدك الله. قال: إني برئي واثق، ثم أقبل الملك إلى إرمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه عز وجل الذي وعده، فقعد بين يديه فقال: أنا الذي أتيتك في شأن أهلي مرتين، فقال النبي: ألم يأن لهم أن يفيقوا من الذي هم فيه؟ فقال الملك: يا نبي الله كل شي كان يصيبيهم منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه، فاليوم رأيتهم في عمل لا يرضي الله: فقال النبي: على أي عمل رأيتهم؟ قال: على عمل عظيم من سخط الله فغضب الله وأتيتك لأخبرك، وإني أسألك بالله الذي بعثك بالحق نبياً إلا ما دعوت الله عليهم ليهلكهم، فقال إرمياء: يا مالك السموات والأرض إن كانوا على حق وصواب فأبقهم وإن كانوا على عمل لا ترضاه فأهلكهم، فلما خرجت الكلمة من فم إرمياء، أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها، فلما رأى ذلك إرمياء صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على

رأسه وقال: يا مالك السموات أين ميعادك الذي وعدتني؟ فنودي أنه لم يصبهم ما أصابهم إلا بفتياك ودعائك، فاستيقن النبي عليه السلام أنها فتياه وأن ذلك السائل كان رسول الله ﷺ فطار إرمياء حتى خالط الوحوش.

ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ووطىء الشام وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس، ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترساً فيقتذفه في بيت المقدس، ففعلوا حتى ملؤوه، ثم أمرهم أن يجمعوا من كان في بلدان بيت المقدس فاجتمع عندهم صغيروهم وكبيرهم من بني إسرائيل، فاختر منهم سبعين ألف صبي فقسّمهم بين الملوك الذين كانوا معه، فأصاب كل رجل منهم أربعة غلّة، وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا، وفرق من بقي من بني إسرائيل ثلاث فرق، فثلاثاً قتلهم، وثلاثاً سباهم، وثلاثاً أقرهم بالشام، وكانت هذه الواقعة الأولى التي أنزلها الله في بني إسرائيل بظلمهم فلما وليّ عنهم بختنصر راجعاً إلى بابل ومعه سبايا بني إسرائيل أقبل إرمياء على حمار له معه عصير عنب في ركوة وسلّة تين حتى غشى إيلياء، فلما وقف عليها ورأى خرابها قال: ﴿ألى يحيى هذه الله بعد موتها؟﴾.

وقال الذي قال إن المارّ كان عزيزاً: إن بختنصر لما خرب بيت المقدس وقدم بسبي بني إسرائيل ببابل كان فيهم عزيز ودانيال وسبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزيز من بابل ارتحل على حمار له حتى نزل دير هرقل على شط دجلة فطاف في القرية فلم ير فيها أحداً، وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة، واعتصر من العنب فشرب منه، وجعل فضل الفاكهة في سلّة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال: ﴿ألى يحيى هذه الله بعد موتها؟﴾ قالها تعجباً لا شكاً / في البعث. ٤٦

رجعنا إلى حديث وهب قال: ثم ربط إرمياء حماره بحبل جديد فألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح مائة عام وأمات حماره، وعصيره وتبينه عنده فأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد، وذلك ضحى، ومنع الله السباع والطير لحمه، فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله ملكاً إلى ملك من ملوك فارس يقال له نوشك فقال: إن الله يأمرك أن تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وإيلياء حتى يعود أعمر ما كان، فانتدب الملك بألف قهرمان<sup>(١)</sup> مع كل قهرمان ثلاثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونه، فأهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت دماغه، ونجى الله من بقي من بني إسرائيل، ولم يمت ببابل وردهم جميعاً إلى بيت المقدس ونواحيه وعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى عادوا على أحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة أحيا الله منه عينيه، وسائر جسده ميت، ثم أحيا جسده وهو ينظر إليه، ثم نظر إلى حماره فإذا عظامه متفرقة بيض، تلوح فسمع صوتاً من السماء: أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعي، فاجتمع بعضها إلى بعض، واتصل بعضها ببعض ثم نودي: إن الله يأمرك أن تكتسي لحماً وجلداً،

(١) فارسي معرب، وهو من أمناء الملك.

فكانت كذلك ثم نودي: إن الله يأمرك أن تحيا، فقام بإذن الله ونهق، وعمر الله إرمياء فهو الذي يرى في الفلوات فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ أي أحياه ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾ أي: كم مكثت؟ يقال: لما أحياه الله بعث إليه ملكاً فسأله كم لبثت؟ ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا﴾ وذلك أن الله تعالى أماته ضحى في أول النهار وأحياه بعد مائة عام في آخر النهار قبل غيبوبة الشمس، فقال: لبثت يوماً وهو يرى أن الشمس قد غربت، ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ بل بعض يوم ﴿قَالَ﴾ له الملك ﴿بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ﴾ يعني التين ﴿وَوِشْرَابِكَ﴾ يعني العصير ﴿لَمْ يَتَسَنَّهُ﴾ أي لم يتغير، فكان التين كأنه قطف من ساعته، والعصير كأنه عصر من ساعته.

قال الكسائي: كأنه لم تأت عليه السنون. وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب لم يتسنّ بحذف الهاء في الوصل وكذلك «فبهدهم اقتده» (٩٠ — الأنعام) وقرأ الآخرون بالهاء فيهما وصلًا ووقفًا، فمن أسقط الهاء في الوصل جعل الهاء صلة زائدة وقال: أصله يتسنّى فحذف الياء بالجزم وأبدل منه هاء في الوقف وقال أبو عمرو: هو من التسنن بنونين: وهو التغير كقوله تعالى: «من حمأ مسنون» (٢٦ — الحج) أي متغير فعوضت من إحدى النونين ياء كقوله تعالى: «ثم ذهب إلى أهله يتمطى» (٣٣ — القيامة) أي يتمطط، وكقوله «وقد خاب من دساها» (١٠ — الشمس) وأصله دسيتها، ومن أثبت الهاء في الحالين جعل الهاء أصلية لام الفعل، وهذا على قول من جعل أصل السنة السنة وتصغيرها سنيهة والفعل من السانهة وإنما قال: لم يتسنه ولم يشنه مع أنه أخبر عن شيئين رد التغير إلى أقرب اللفظين وهو الشراب واكتفى بذكر أحد المذكورين لأنه في معنى الآخر ﴿وانظر إلى حمارك﴾ فنظر فإذا هو عظام بيض فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض فكساه اللحم والجلد وأحياه وهو ينظر ﴿ولنجعلك آية للناس﴾ قيل الواو زائدة مقحمة. وقال الفراء أدخلت الواو فيه دلالة على أنها شرط لفعل بعدها معناه ولنجعلك آية أي: عبرة ودلالة على البعث بعد الموت قاله أكثر المفسرين، وقال الضحاك وغيره: إنه عاد إلى قريته شاباً وأولاده وأولاد أولاده شيوخ وعجائز وهو أسود الرأس واللحية.

قوله تعالى: ﴿وانظر إلى العظام كيف ننشرها﴾ قرأ أهل الحجاز والبصرة ننشرها بالراء معناه نحييها يقال: أنشر الله الميت إنشأراً ونشرة نشوراً قال الله تعالى: «ثم إذا شاء أنشره» (٢٢ — عبس) وقال في اللام «وإليه النشور» (١٥ — الملك) وقرأ الآخرون بالزاي أي نرفعها من الأرض ونردها إلى مكانها من الجسد ونركب بعضها على بعض، وإنشاز الشيء رفعه وإزعاجه، يقال: أنشرته فنشر أي رفعته فارتفع.

واختلفوا في معنى الآية، فقال الأكثرون: أراد به عظام حماره، وقال السدي: إن الله تعالى أحيأ عزيراً ثم قال له: انظر إلى حمارك قد هلك وبليت عظامه فبعث الله تعالى ريحاً فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل وقد ذهبت بها الطير والسباع فاجتمعت فركب بعضها في بعض وهو ينظر، فصار حماراً من

عظام ليس فيه لحم ولا دم ﴿ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً﴾ ثم كسا العظام لحماً ودماً فصار حماراً لا روح فيه، ثم أقبل ملك يمشي حتى أخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه فقام الحمار ونهق بإذن الله.

وقال قوم أراد به عظام هذا الرجل، وذلك أن الله تعالى لم يمت حماره بل أماته هو فأحيا الله عينيه ورأسه، وسائر جسده ميت، ثم قال: انظر إلى حمارك فنظر فرأى حماره قائماً واقفاً كهيئته يوم ربطه حياً لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر إلى الرمة<sup>(١)</sup> في عنقه جديدة لم تتغير، وتقدير الآية: ﴿وانظر إلى حمارك﴾ وانظر إلى عظامك كيف ننشزها وفي الآية تقديم وتأخير، وتقديرهما: وانظر إلى حمارك، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ولنجعلك آية للناس.

وقال قتادة عن كعب والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما أحيا الله تعالى عزيزاً بعد ما أماته مائة سنة ركب حماره حتى أتى محلته فأنكره الناس وأنكر الناس ومنازله فانطلق على وهم حتى أتى منزله فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة كانت عرفته وعقلته فقال لها عزيز: يا هذه هذا منزل عزيز؟ قالت: نعم هذا منزل عزيز وبكت وقالت: ما رأيت أحداً من كذا وكذا سنة يذكر عزيزاً قال: فإني أنا عزيز، قالت: سبحان الله فإن عزيزاً قد فقدناه من مائة سنة لم نسمع له بذكر قال: فإني أنا عزيز كان الله أماتي مائة سنة ثم بعثني، قالت: فإن عزيزاً كان رجلاً مستجاب الدعوة ويدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية، فادع الله أن يرد لي بصري حتى أراك فإن كنت عزيزاً عرفتك، فدعا ربه ومسح بيده على عينها فصحت وأخذ بيدها وقال: قومي بإذن الله تعالى، فأطلق الله رجلها فقامت صحيحة، فنظرت إليه فقالت: أشهد أنك عزيز، فانطلقت إلى بني إسرائيل وهم في أنديتهم ومجالسهم وابن عزيز شيخ كبير ابن مائة سنة وثمانين سنة وبنو بنيهم شيوخ في المجلس، فنادت هذا عزيز قد جاءكم، فكذبوها، فقالت: أنا فلانة مولاتكم دعا لي ربه فرد علي بصري وأطلق رجلي وزعم أن الله كان أماته مائة سنة ثم بعثه، فنهض الناس فأقبلوا إليه فقال ولده: كان لأبي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه، فكشف عن كتفيه فإذا هو عزيز.

وقال السدي والكلبي: لما رجع عزيز إلى قومه وقد أحرق بختنصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين الخلق، فبكى عزيز على التوراة فأتاه ملك بإناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فمثلت التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل وقد علمه الله التوراة وبعثه نبياً، فقال: أنا عزيز فلم يصدقوه فقال: إني عزيز قد بعثني الله إليكم لأجدد / لكم توراتكم قالوا: أمليها علينا، فأملأها عليهم من ظهر قلبه، فقالوا: ما جعل / ب/٤٦ الله التوراة في صدر رجل بعد ما ذهبت إلا أنه ابنه، فقالوا: عزيز ابن الله، وستأتي القصة في سورة براءة إن شاء الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

(١) بالضم، القطعة من الحبل.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٢/٢٧-٢٨.

قوله تعالى: ﴿فلما تبين له﴾ ذلك عياناً ﴿قال: أعلم﴾ قرأ حمزة والكسائي مجزوماً موصولاً على الأمر على معنى قال الله تعالى له اعلم، وقرأ الآخرون أعلم بقطع الألف ورفع الميم على الخبر عن عزيز أنه قال لما رأى ذلك أعلم ﴿أن الله على كل شيء قدير﴾ .

قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموت﴾ قال الحسن وقتادة وعطاء الخراساني وابن جريج: كان سبب هذا السؤال من إبراهيم عليه السلام أنه مر على دابة ميتة، قال ابن جريج: كانت جيفة حمار بساحل البحر، قال عطاء: في بحيرة طبرية، قالوا: فراها وقد توزعتها دواب البحر والبر، فكان إذا مد البحر جاءت الحيتان ودواب البحر فأكلت منها فما وقع منها يصير في البحر، فإذا جزر البحر ورجع جاءت السباع فأكلن منها فما سقط منها يصير تراباً فإذا ذهبت السباع، جاءت الطير فأكلت منها فما سقط منها قطعتها الريح في الهواء، فلما رأى ذلك إبراهيم عليه السلام تعجب منها وقال: يارب قد علمت لتجمعنها من بطون السباع وحواصل الطير وأجواف دواب البحر فأرني كيف تحييها لأعائن فأزدد يقيناً، فعاتبه الله تعالى<sup>(١)</sup>: ﴿قال أو لم تؤمن؟ قال بلى﴾ يارب علمت وآمنت ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾ أي ليسكن قلبي إلى المعاينة والمشاهدة، أراد أن يصير له علم اليقين عين اليقين، لأن الخبر ليس كالمعينة.

وقيل: كان سبب هذا السؤال من إبراهيم أنه لما احتج على نمrod فقال «ربي الذي يحيى ويميت» (٢٥٨ — البقرة) قال نمrod<sup>(٢)</sup>: أنا أحيي وأميت فقتل أحد الرجلين، وأطلق الآخر، فقال إبراهيم: إن الله تبارك وتعالى يقصد إلى جسد ميت فيحييه، فقال له نمrod: أنت عاينته، فلم يقدر أن يقول نعم فانتقل إلى حجة أخرى، ثم سأل ربه أن يريه إحياء الموتى. ﴿قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ بقوة حجتي فإذا قيل أنت عاينته فأقول نعم قد عاينته.

وقال سعيد بن جبیر لما اتخذ الله تعالى إبراهيم خليلاً سأل ملك الموت ربه أن يأذن له فيبشر إبراهيم بذلك فأذن له فأتى إبراهيم ولم يكن في الدار، فدخل داره وكان إبراهيم عليه السلام أغبر الناس إذا خرج أغلق باب، فلما جاء وجد في داره رجلاً فثار عليه ليأخذه وقال له: من أذن لك أن تدخل داري؟ فقال: أذن لي رب هذه الدار، فقال إبراهيم: صدقت وعرف أنه ملك، فقال: من أنت؟ قالت: أنا ملك الموت جئت أبشرك بأن الله تعالى قد اتخذك خليلاً، فحمد الله عز وجل، وقال: فما علامة ذلك؟ قال: أن يحيب الله دعائك ويحيي الموتى بسؤالك، فحينئذ قال إبراهيم: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى؟ قال أو لم تؤمن؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ أنك اتخذتني خليلاً وتحييني إذا دعوتك<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص ٧٩.

(٢) نسب الواحدي هذا القول لمحمد بن إسحاق بن يسار، أسباب النزول ص (٨٠).

(٣) أسباب النزول للواحدي ص ٨١.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أحمد بن صالح، أنا ابن وهب، أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي، ورحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي»<sup>(١)</sup>.

وأخرج مسلم بن الحجاج هذا الحديث عن حرملة بن يحيى عن وهب بهذا الاسناد مثله وقال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى»<sup>(٢)</sup>.

حكى عن محمد بن إسحاق بن خزيمة عن أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني أنه قال على هذا الحديث، لم يشك النبي ﷺ ولا إبراهيم في أن الله قادر على أن يحيي الموتى وإنما شكاً في أنه هل يحييهم إلى ما سألا، وقال أبو سليمان الخطابي: ليس في قوله نحن أحق بالشك من إبراهيم، اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم، لكن فيه نفي الشك عنهما، يقول: إذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، فإبراهيم أولى بأن لا يشك، وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس، وكذلك قوله: «لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي» وفيه الإعلام أن المسألة من إبراهيم عليه السلام لم تعرض من جهة الشك، ولكن من قبل زيادة العلم بالعيان، فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيد الاستدلال، وقيل: لما نزلت هذه الآية قال قوم: شك إبراهيم ولم يشك نبينا، فقال رسول الله ﷺ هذا القول تواضعاً منه وتقديماً لإبراهيم على نفسه.

قوله ﴿أَو لَمْ تَوْتُمْ﴾ معناه قد آمنت فلم تسأل؟، شهد له بالإيمان كقول جرير:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا وَأَتَدَى الْعَالَمِينَ بُطُونٌ رَاحَ

يعني أنتم كذلك، ولكن ليطمئن قلبي بزيادة اليقين.

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾ قال مجاهد وعطاء وابن جريج: أخذ طاووساً وديكاً وحمامة وغراباً، وحكي عن ابن عباس رضي الله عنه: ونسراً بدل الحمامة.

وقال عطاء الخراساني: أوحى إليه أن خذ بطة خضراء وغراباً أسود وحمامة بيضاء وديكاً أحمر ﴿فَصَرِّهِنَّ إِلَيْكَ﴾ قرأ أبو جعفر وحمة ﴿فَصَرِّهِنَّ إِلَيْكَ﴾ بكسر الصاد أي قطعهن ومزقهن، يقال صار

(١) أخرجه البخاري: في أحاديث الأنبياء — باب: قول الله عز وجل (ونبئهم عن ضيف إبراهيم) ٤١٠/٦ — ٤١١.

(٢) أخرجه مسلم: في الإيمان — باب: زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة برقم (١٥١) ١٣٣/١.

والمصنف في شرح السنة: ١١١/١.

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ  
سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦١﴾

يصير صيراً إذا قطع، وانصار الشيء انصيأً إذا انقطع.

قال الفراء: هو مقلوب من صريت أصري صرياً إذا قطعت، وقرأ الآخرون ﴿فَصْرَهُنَّ﴾ بضم الصاد ومعناه أَمِلَهُنَّ إليك ووجههن، يقال: صرت الشيء أصوره إذا أملت، ورجل أصور إذا كان مائل العنق، وقال عطاء: معناه اجمعهن واضمهن إليك يقال: صار يصور صوراً إذا اجتمع ومنه قيل لجماعة النحل صور، ومن فسره بالإماله والضم قال فيه إضمار معناه فصرنهن إليك ثم قطعهن فحذفه اكتفاءً بقوله: ﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً﴾ لأنه يدل عليه، وقال أبو عبيدة: فصرن معناه قطعهن أيضاً، والصور القطع.

قوله تعالى: ﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً﴾ قرأ عاصم برواية أبي بكر ﴿جزءاً﴾ مثقلاً مهموزاً، والآخرون بالتخفيف والهمز، وقرأ أبو جعفر مشددة الزاي بلا همز وأراد به بعض الجبال.

قال بعض المفسرين: أمر الله إبراهيم أن يذبح تلك الطيور وينتف ريشها ويقطعها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض ففعل، ثم أمره أن يجعل أجزائها على الجبال.

واختلفوا في عدد الأجزاء والجبال فقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: أمر أن يجعل كل طائر أربعة أجزاء ويجعلها على أربعة أجبل على كل جبل ربعاً من كل طائر وقيل: جبل على جانب الشرق، وجبل على جانب الغرب، وجبل على جانب الشمال، وجبل على جانب الجنوب.

وقال ابن جريج والسدي: جزأها سبعة أجزاء ووضعها على سبعة أجبل وأمسك رؤوسهن ثم دعاهن: / ٤٧أ / تعالين يا ذن الله تعالى، فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير إلى القطرة الأخرى، وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى، وكل عظم يصير إلى العظم الآخر، وكل بضعة تصير إلى الأخرى، وإبراهيم ينظر، حتى لقيت كل جثة بعضها بعضاً في السماء بغير رأس ثم أقبلن إلى رؤوسهن سعياً فكلما جاء طائر مال برأسه فإن كان رأسه دنا منه، وإن لم يكن تأخر، حتى التقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى ﴿ثم ادعهم يأتينك سعياً﴾ قيل المراد بالسعي الإسراع والعُدُو، وقيل المراد به المشي دون الطيران كما قال الله تعالى «فاسعوا إلى ذكر الله» (٩ - الجمعة) أي فامضوا، والحكمة في المشي دون الطيران كونه أبعد من الشبهة لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطير وأن أرجلها غير سليمة والله أعلم. وقيل السعي بمعنى الطيران ﴿واعلم أن الله عزيز حكيم﴾.

قوله تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ فيه إضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم ﴿كمثل﴾ زارع ﴿حبة﴾ وأراد بسبيل الله الجهاد، وقيل جميع أبواب الخير ﴿أنبتت﴾



الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ  
 أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢٦﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ  
 خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿١٢٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا  
 صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
 فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ  
 عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٢٨﴾

أخرجت ﴿سبع سنابل﴾ جمع سنبله ﴿في كل سنبله مائة حبة﴾ فإن قيل فما رأينا سنبله فيها مائة حبة فكيف ضرب المثل به؟ قيل: ذلك متصور، غير مستحيل، ومالا يكون مستحيلاً جاز ضرب المثل به وإن لم يوجد، معناه: ﴿في كل سنبله مائة حبة﴾ أن جعل الله فيها، وقيل هو موجود في الدخن، وقيل معناه أنها إن بذرت أنبت مائة حبة، فما حدث من البذر الذي كان فيها كان مضافاً إليها وكذلك تأوله الضحاك فقال: كل سنبله أنبت مائة حبة ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾ قيل معناه يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء، وقيل: معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء ما بين سبع إلى سبعين إلى سبعمائة إلى ما شاء الله من الأضعاف مما لا يعلمه إلا الله تعالى ﴿والله واسع﴾ غني يعطي عن سعة ﴿عليم﴾ بنية من ينفق ماله.

قوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ قال الكلبي: نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان رضي الله عنه وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما، جاء عبد الرحمن بأربعة آلاف درهم صدقة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كانت عندي ثمانية آلاف فأمسكت منها لنفسي وعيالي أربعة آلاف درهم، وأربعة آلاف أقرضتها ربي، فقال له رسول الله ﷺ: بارك الله فيما أمسكت لك وفيما أعطيت، وأما عثمان فجهز جيش المسلمين في غزوة تبوك بألف بغير بأقتابها<sup>(١)</sup> وأحلاسها<sup>(٢)</sup> فنزلت فيهما هذه الآية.

وقال عبد الرحمن بن سمرة: جاء عثمان رضي الله عنه بألف دينار في جيش العسرة فصحبها في حجر رسول الله ﷺ فرأيت النبي ﷺ يدخل فيها يده ويقلبها ويقول «ماضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم»<sup>(٣)</sup> فأنزل الله تعالى ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ في طاعة الله ﴿ثم لا يتبعون ما أنفقوا

(١) جمع قتب وهو الإكاف على قدر سنام البعير ليركب أو يحمل عليه.

(٢) جمع جلس وهو كساء يجعل على ظهر البعير تحت رحله.

(٣) رواه الترمذي: في المناقب — باب: ٧٦ — ١٩٣/١٠ وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وأحمد: في مسنده: ٦٣/٥ عن عبد الرحمن بن سمرة، وإسناده حسن.

﴿مناً﴾ وهو أن يمن عليه بعبثائه فيقول أعطيتك كذا، ويعدُّ نعمه عليه فيكدها ﴿ولا أذى﴾ هو أن يعيره فيقول إلى كم تسأل وكم تؤذيني؟ وقيل من الأذى هو أن يذكر إنفاقه عليه عند من لا يحب وقوفه عليه.

وقال سفيان: ﴿منأ ولا أذى﴾ هو أن يقول قد أعطيتك وأعطيت فما شكرت، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كان أبي يقول: إذا أعطيت رجلاً شيئاً ورأيت أن سلامك يشغل عليه فكف سلامك عنه، فحظر الله على عباده المن بالصنعة، واختص به صفة لنفسه، لأنه من العباد تعبير وتكدير ومن الله إفضال وتذكير ﴿لهم أجرهم﴾ أي ثوابهم ﴿عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ قول معروف ﴿أي كلام حسن ورد على السائل جميل، وقيل عِدَّةٌ حسنة. وقال الكلبي: دعاء ضالح يدعو لأخيه بظهر الغيب، وقال الضحاك: نزلت في إصلاح ذات البين ﴿ومغفرة﴾ أي تستر عليه خلته ولا تهتك عليه ستره، وقال الكلبي والضحاك: يتجاوز عن ظالمه، وقيل يتجاوز عن الفقير إذا استطال عليه عند رده ﴿خير من صدقة﴾ يدفعها إليه ﴿يتبعها أذى﴾ أي من وتعبير للسائل أو قول يؤذيه ﴿والله غني﴾ أي مستغن عن صدقة العباد ﴿حليم﴾ لا يعجل بالعقوبة على من يمن ويؤذي بالصدقة.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم﴾ أي أجور صدقاتكم ﴿بالمُن﴾ على السائل، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بالمن على الله تعالى ﴿والأذى﴾ لصاحبها ثم ضرب لذلك مثلاً فقال ﴿كالذي ينفق ماله﴾ أي كإبطال الذي ينفق ماله ﴿وراء الناس﴾ أي مراعاة وسمعة ليروا نفقته ويقولوا إنه كريم سخي ﴿ولا يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ يريد أن الرياء يبطل الصدقة ولا تكون النفقة مع الرياء من فعل المؤمنين وهذا للمنافقين لأن الكافر معلن بكفره غير مراء ﴿فمثلته﴾ أي مثل هذا المرائي ﴿كمثل صفوان﴾ وهو الحجر الأملس، وهو واحد وجمع، فمن جعله جمعاً فواحد صفوان ومن جعله واحداً فجمعه صفي ﴿عليه﴾ أي على الصفوان ﴿تراب فأصابه وابل﴾ وهو المطر الشديد العظيم القطر ﴿فتركه صلداً﴾ أي أملس، والصلد الحجر الصلب الأملس الذي لا شيء عليه فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن الذي يمن بصدقته ويؤذي ويرى الناس في الظاهر أن لهؤلاء أعمالاً كما يرى التراب على هذا الصفوان فإذا كان يوم القيامة بطل كله واضمحل لأنه لم يكن لله عز وجل كما أذهب الوابل ما على الصفوان من التراب فتركه صلداً ﴿لا يقدرّون على شيء مما كسبوا﴾ أي على ثواب شيء مما كسبوا عملوا في الدنيا ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقى، أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني، أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري، أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني، أخبرنا علي بن حجر، أخبرنا اسماعيل بن جعفر، أخبرنا عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب، عن عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد أن النبي ﷺ قال «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال «الرياء يقول الله لهم يوم يجازي العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ  
كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَثَانَتْ أَكْطُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ  
فَطُلٌّ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٦٥﴾

جزاء»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد الحارثي أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أخبرنا عبد الله بن محمد بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، أخبرنا عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح، أخبرني الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان المدائني أن عقبه بن مسلم حدثه أن شُفِيًّا الأصبحي حدثه أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس فقال من هذا؟ قال: أبو هريرة، فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس فلما سكوت وخلا قلت له: أنشدك الله بحق، لما حدثتني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قُتِلَ في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقاريء: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ فقال: بلى يارب / قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آتاء الليل وأنا النهار، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان قاريء فقد قيل ذلك، ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يارب، قال: فما عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق. فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة كذبت ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك، ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول له: فماذا قتلت؟ فيقول: يارب أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله: كذبت وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك، ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ أي طلب رضا الله تعالى ﴿وَتَثْبِيتًا

(١) أخرجه أحمد: ٤٢٨/٥ — ٤٢٩ عن محمود بن لبيد.

ورواه ابن حبان في موارد الظمان ٢٤٩٩ عن فضالة الأنصاري بمعناه. ص ٦١٨.

وأنظر: النهج السديد صفحة ٤٦.

وقال المنذري في الترغيب والترهيب إسناده جيد

والمصنف في شرح السنة: ٣٢٤/١٤.

(٢) رواه الترمذي: في الزهد باب ما جاء في الرياء والسمعة ٥٤/٧ وقال: هذا حديث حسن غريب وعزاه في تحفة الأحوذى لابن خزيمة في صحيحه، وفي سننه الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان المدائني لين الحديث (التقريب).

أَيُّدُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ  
نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٦﴾ يَتَأْتِيهَا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ  
وَلَا تَيْمَمُوا الْخَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِتَاخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ  
غَفِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٣٧﴾

من أنفسهم ﴿٣٦﴾ قال قتادة: احتساباً، وقال الشعبي والكلبي: تصديقاً من أنفسهم، أي يخرجون الزكاة طيبة  
بها أنفسهم على يقين بالثواب وتصديق بوعد الله، يعلمون أن ما أخرجوا خير لهم مما تركوا، وقيل على يقين  
بإخلاف الله عليهم.

وقال عطاء ومجاهد: يثبتون أي يضعون أموالهم، قال الحسن: كان الرجل إذا هم بصدقة تثبت فإن  
كان لله أمضى وإن كان يخالطه شك أمسك، وعلى هذا القول يكون التثبيت بمعنى التثبت، كقوله تعالى:  
«وتبتل إليه تبتلاً» (٨ - المزمل) أي تبتلاً، ﴿كمثل جنة﴾ أي بستان قال (المبرد) <sup>(١)</sup> والقراء: إذا كان  
في البستان نخل فهو جنة وإن كان فيه كرم فهو فردوس ﴿بربوة﴾ قرأ ابن عامر وعاصم بربوة وإلى ربوة في  
سورة المؤمنون بفتح الراء وقرأ الآخرون بضمها وهي المكان المرتفع المستوي الذي تجري فيه الأنهار فلا  
يعلوه الماء ولا يعلو عن الماء، وإنما جعلها بربوة لأن النبات عليها أحسن وأزكى ﴿أصايبها وابل﴾ مطر  
شديد كثير ﴿فآتت أكلها﴾ ثمرها، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف، وقرأ الباقر بالشقل، وزاد  
نافع وابن كثير تخفيف أكله والأكل، وخفف أبو عمرو ورسلا ورسلكم ورسلمهم وسبلنا.

﴿ضعفين﴾ أي أضعفت في الحمل قال عطاء: حملت في السنة من الرِّيع <sup>(٢)</sup> ما يحمل غيرها في  
سنتين، وقال عكرمة: حملت في السنة مرتين ﴿فإن لم يصبها وابل فطل﴾ أي فطش، وهو المطر  
الضعيف الخفيف ويكون دائماً.

قال السدي: هو الندى، وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المؤمن المخلص فيقول: كما أن هذه الجنة  
تريع في كل حال ولا تخلف سواء قل المطر أو كثير، كذلك يضعف الله صدقة المؤمن المخلص الذي لا  
يمن ولا يؤذي سواء قلت نفقته أو كثرت، وذلك أن الطل إذا كان يدوم يعمل عمل الوابل الشديد.

(١) ساقط من ب.

(٢) الغلة.

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٦٩﴾

﴿والله بما تعملون بصير﴾ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار﴾ هذه الآية متصلة بقوله تعالى: «يأياها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى» [قوله أيود يعني: أوجب أحدكم أن تكون له جنة أي بستان من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار] (١).

﴿له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء﴾ أولاد صغار ضعاف عجزة ﴿فأصابها إعصار﴾ وهو الريح العاصف التي ترتفع إلى السماء كأنها عمود وجمعه أعاصير ﴿فيه نار فاحترقت﴾ هذا مثل ضربه الله لعمل المنافق والمرائي يقول: عمله في حسنه كحسنة الجنة ينتفع به كما ينتفع صاحب الجنة بالجنة، فإذا كبر أو ضعف وصار له أولاد ضعاف وأصاب جنته إعصار فيه نار فاحترقت فصار أحوج ما يكون إليها وضعف عن إصلاحها لكبره وضعف أولاده عن إصلاحها لصغرهم ولم يجد هو ما يعود به على أولاده ولا أولاده ما يعودون به عليه فبقوا جميعاً متحيزين عجزة لا حيلة بأيديهم، كذلك يضل الله عمل هذا المنافق والمرائي حين لا مغيث (٢) لهما ولا توبة ولا إقالة.

قال عبيد بن عمير: قال عمر رضي الله عنه يوماً لأصحاب النبي ﷺ: فيمن ترون هذه الآية نزلت ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب﴾؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر رضي الله عنه فقال: قولوا نعلم أولاً نعلم، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، فقال عمر رضي الله عنه: ابن أخي قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ضربت مثلاً لعمل، فقال عمر رضي الله عنه: أي عمل؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لعمل المرائي قال عمر رضي الله عنه لرجل غني يعمل بطاعة الله بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله (٣).

﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾ ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات من خيار، قال ابن مسعود رضي الله عنه ومجاهد: من حلالات ﴿ما كسبتم﴾ بالتجارة والصناعة وفيه دلالة على إباحة الكسب وأنه ينقسم إلى طيب وخبيث.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو

(١) ساقط من ب.

(٢) في ب مستعجب بدل مغيث.

(٣) رواه البخاري في التفسير، تفسير سورة البقرة باب قوله (أيود أحدكم) — ٢٠١/٨ — ٢٠٢

جعفر الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا يعلى بن عبيد، أخبرنا الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا عبد الله بن صالح، أخبرنا أبو معاوية بن صالح عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معد يكرب أنه حدثه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وكان داود لا يأكل إلا من عمل يديه»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا أبو القاسم يحيى بن علي بن محمد الكشميهني، أخبرنا نجاح بن يزيد المحاربي بالكوفة، أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني، أخبرنا أحمد بن حازم، أخبرنا يحيى بن عبيد، أخبرنا أبان بن اسحق عن الصباح بن محمد عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يكتسب عبد مالا حراماً فيتصدق منه فيقبل الله منه، ولا ينفق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيء بالسيء، ولكن يمحو السيء بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث»<sup>(٣)</sup>.

والزكاة واجبة في مال التجارة عند أكثر أهل العلم، فبعد الحول يقوم العرض فيخرج من قيمتها ربع العشر إذا كان قيمتها عشرين ديناراً أو مائتي درهم، قال سمره بن جندب: كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي نعدده للبيع»<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي عمرو بن حمّاس أن أباه قال: مررت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى عنقني أذمة<sup>(٥)</sup>

(١) رواه النسائي: في البيوع — باب الحث على الكسب: ٢٤٠/٧.

وابن ماجه: في التجارات — باب الحث على الكسب: ٧٢٣/٢.

والدارمي: بيوع — باب الكسب وعمل الرجل بيده: ٢٤٧/٢.

وأحمد: ٤٢، ٣١/٦ عن عائشة رضي الله عنها.

وابن حبان: في صحيحه، موارد الظمان (١٠٩١) ص ٢٦٨.

والمصنف في شرح السنة: ٣٢٩/٩ وإسناده صحيح.

(٢) رواه البخاري: في البيوع — باب كسب الرجل وعمله بيده: ٣٠٣/٤.

والمصنف في شرح السنة: ٦/٨.

(٣) رواه أحمد: ٣٨٧/١ جزء من حديث عبد الله بن مسعود.

وفي إسناده الصباح بن محمد بن أبي حازم البجلي الأحمسي الكوفي: ضعيف أفرط فيه ابن حبان — التقريب.

(٤) رواه أبو داود: في الزكاة — باب العروض إذا كانت للتجارة ١٧٥/٢ وسكت عنه المنذري والبيهقي: في السنن ١٤٦/٤ قال ابن حجر

في التلخيص الحبير: أخرجه الدارقطني والبراز من حديث سليمان بن سمره عن أبيه وفي إسناده جهالة.

(٥) جلد.

أحملها فقال عمر: ألا تؤدي زكاتك يا حماس؟ فقلت: ما لي غير هذا وأهب<sup>(١)</sup> في القرط<sup>(٢)</sup>، فقال ذاك مال، فضَّع، فوضعتها فحسبها فأخذ منها الزكاة<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ قيل هذا بإخراج العشور من الثمار والحبوب واتفق ٤٨/أ أهل العلم على إيجاب العشر في النخيل والكروم وفيما يقتات من الحبوب إن كان مسقياً بماء السماء أو من نهر يجري الماء إليه من غير مؤنة، وإن كان مسقياً بساقية أو بنضح ففيه نصف العشر.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا سعيد بن أبي مريم، أخبرنا عبد الله بن وهب، أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبي ﷺ «فيما سقت السماء والعيون أو كان عثراً<sup>(٤)</sup> العشر، وفيما سقي بالنضح نصف العشر»<sup>(٥)</sup>.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبد الله بن نافع عن محمد بن صالح التمار عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن عتاب بن أسيد أن رسول الله ﷺ قال في زكاة الكرم «يُخْرَصُ كما يُخْرَصُ النخل ثم تؤدي زكاته زبيياً كما يؤدي زكاة النخل تمرأً»<sup>(٦)</sup>.

(١) جمع إهاب وهو الجلد قبل أن يدبغ.

(٢) القرط: حب معروف يخرج من شجر العضاة تدبغ به الجلود.

(٣) أخرجه الشافعي في مسنده: ٢٢٩/١ - ٢٣٠، والبيهقي في السنن: ١٤٧/٤.

وعزه الحافظ ابن حجر للإمام أحمد وابن أبي شيبة وعبد الرزاق وسعيد بن منصور عن سفيان عن يحيى بن سعيد، وبه رواه الدارقطني

من حديث حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن أبي عمرو بن حماس: ١٢٥/٢، انظر التلخيص الحبير: ١٨٠/٢.

وضعه الألباني في إرواء الغليل: ٣١١/٣ لأن أبا عمرو بن حماس «مجهول» كما قال الذهبي في الميزان.

(٤) الزرع لا يسقيه إلا ماء المطر.

(٥) رواه البخاري: في الزكاة - باب: العشر فيما يسقى من ماء السماء وبالماء الجاري ٣٤٧/٣.

ومسلم: في الزكاة - باب: ما فيه العشر أو نصف العشر برقم (٩٨١) ٦٧٥/٢ عن جابر بلفظ آخر.

والمصنف في شرح السنة: ٤٢/٦.

(٦) رواه النسائي: زكاة - باب شراء الصدقة ١٠٩/٥.

وابن ماجه: زكاة - باب خرص النخل والعنب ٢١٠/٢ - ٢١١.

وأبو داود: في الزكاة - باب في خرص العنب ٢١٠/٢ - ٢١١.

والترمذي: زكاة - باب ما جاء في الخرص ٣٠٦/٣ وقال حديث حسن غريب.

والبيهقي: ١٢٢/٤، والشافعي: ٢٤٣/١.

والدارقطني: ١٣٢/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٣٧/٦.

وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير ١٧١/٢ (ومداه على سعيد بن المسيب عن عتاب وقال أبو داود لم يسمع منه، وقال ابن

القانع: لم يدركه، وقال المنذري: انقطاعه ظاهر لأن مولد سعيد في خلافة عمر ومات عتاب يوم مات أبو بكر وسبقه إلى ذلك ابن عبد

البر وقال أبو حاتم الصحيح عن سعيد بن المسيب: أن النبي ﷺ أمر عتاباً: مرسل وهذه رواية عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري

قال النووي: هذا الحديث وإن كان مرسلًا لكنه اعتضد بقول الأئمة).

واختلف أهل العلم فيما سوى النخل والكروم، وفيما سوى ما يقتات به من الحبوب، فذهب قوم إلى أنه لا عشر في شيء منها، وهو قول ابن أبي ليلى والشافعي رضي الله عنه.

وقال الزهري والأوزاعي ومالك رضي الله عنهم: يجب في الزيتون، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: يجب العشر في جميع البقول والخضروات كالثمار إلا الحشيش والخطب، وكل ثمرة أوجبنا فيها الزكاة فإنما يجب يبدو الصلاح، ووقت الإخراج بعد الاجتناء والجفاف، وكل حب أوجبنا فيه العشر فوق وقت وجوبه اشتداد الحب ووقت الإخراج بعد الدياسة والتنقية، ولا يجب العشر في شيء منها حتى تبلغ خمسة أوسق<sup>(١)</sup> عند أكثر أهل العلم، وعند أبي حنيفة رحمه الله يجب في كل قليل وكثير منها، واحتج من شرط النصاب بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني عن أبيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة، وليس فيما دون خمسة أواق من الورق صدقة وليس فيما دون خمس ذود من الإبل صدقة»<sup>(٢)</sup>.

وروى يحيى بن عباد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس في حب ولا تمر صدقة حتى تبلغ خمسة أوسق»<sup>(٣)</sup>، وقال قوم: الآية في صدقات التطوع.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ «ما من مؤمن يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له به صدقة»<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيْمَمُوا﴾ قرأ ابن كثير برواية البيهقي بتشديد التاء في الوصل فيها وفي أخواتها وهي واحد وثلاثون موضعاً في القرآن، لأنه في الأصل تاءان اسقطت احدهما فرداً هو الساقطة وأدغم وقرأ الآخرون بالتخفيف ومعناه لا تقصدوا ﴿الحديث منه تنفقون﴾.

روي عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: كانت الأنصار تخرج إذا كان جذاذ النخل

(١) جمع وُسْق: وهو ستون صاعاً بصاع النبي ﷺ.

(٢) رواه مسلم: في الزكاة — برقم (٩٧٩) ٦٧٣/٢.

والمصنف: في شرح السنة: ٤٩٩/٥.

(٣) رواه مسلم: في الزكاة — برقم (٩٧٩) ٦٧٤/٢.

والمصنف: في شرح السنة: ٥٠٠/٥.

(٤) رواه البخاري: في الحث والمزراعة — باب فضل الزرع والغرس ٣/٥ بلفظ ما من مسلم — وفي الأدب أيضاً.

ومسلم: في المساقاة — باب فضل الغرس والزرع برقم (٣٥٥٣) ١١٨٩/٣.

والمصنف: في شرح السنة: ١٤٩/٦.



أقناء<sup>(١)</sup> من التمر والبسر فيعلقونه على حبل بين الاسطوانتين في مسجد رسول الله ﷺ فيأكل منه فقراء المهاجرين، فكان الرجل منهم يعمد فيدخل قنوه الحشَف<sup>(٢)</sup> وهو يظن أنه جائز عنه في كثرة ما يوضع من الأقناء، فنزل فيمن فعل ذلك ﴿وَلَا تَيْمَمُوا الْخَيْثَ﴾ أي الحشف والرديء، وقال الحسن ومجاهد والضحاك: كانوا يتصدقون بشار ثمارهم ورذالة أموالهم ويعزلون الجيد ناحية لأنفسهم، فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تَيْمَمُوا الْخَيْثَ﴾ الرديء ﴿مِنْهُ تَنْفِقُونَ﴾ ﴿وَلَسَمَ بِأَخْذِهِ﴾ يعني الخيـث ﴿إِلَّا أَنْ تَغْمُضُوا فِيهِ﴾ الإغماض غرض البصر، وأراد هاهنا التجوز والمساهلة، معناه لو كان لأحدكم على رجل حق فجاءه بهذا لم يأخذه إلا وهو يرى أنه قد أغمض له عن حقه وتركه. وقال الحسن وقتادة: لو وجدتموه يباع في السوق ما أخذتموه بسعر الجيد.

وروي عن البراء قال: لو أهدي ذلك لكم ما أخذتموه إلا على استحياء من صاحبه وغيظ، فكيف ترضون مالا ترضون لأنفسكم؟ هذا إذا كان المال كله جيداً فليس له إعطاء الرديء، لأن أهل السهمان شركاؤه فيما عنده، فإن كان كل ماله رديئاً فلا بأس بإعطاء الرديء، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن صدقاتكم ﴿عَمِيدٌ﴾ محمود في أفعاله.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ أي يخوفكم بالفقر، يقال وعدته خيراً ووعدته شراً، قال الله تعالى في الخير «وَعِدْكُمْ اللَّهُ مَغَافِمَ كَثِيرَةً» (٢٠ - الفتح) وقال في الشر «النَّارُ وَعِدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا» (٧٢ - الحج) فإذا لم يذكر الخير والشر قلت في الخير: وعدته وفي الشر، أوعدته، والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد، وأصله من كسر الفقار، ومعنى الآية: أن الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل أمسك عليك مالك فإنك إذا تصدقت به افتقرت ﴿وَيَأْمُرُكُمُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ أي بالبخل ومنع الزكاة، وقال الكلبي: كل الفحشاء في القرآن فهو الزنا إلا هذا ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ﴾ أي لذنوبكم ﴿فَضْلاً﴾ أي رزقاً وخلفاً<sup>(٣)</sup> ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ غني ﴿عَلِيمٌ﴾.

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي، أخبرنا أبو طاهر الزيادي أخبرنا محمد بن الحسين القطان أخبرنا أحمد بن يوسف السلمي، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال: حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ابْنُ آدَمَ أَنْفَقَ أَنْفَقَ عَلَيْكَ» وقال: قال رسول الله ﷺ «يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَى لَا تَغْيِضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَاءٌ<sup>(٤)</sup> اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

(١) جمع قنو: وهو عذق النخل.

(٢) أردأ التمر.

(٣) ساقط من نسخة ب.

(٤) بمهملتين مثقلاً ممدوداً، أي دائمة.

والأرض فإنه لم ينقص ما في يمينه (قال) وعرشه على الماء ويده الأخرى القسْط يرفع ويخفض»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن اسماعيل، أخبرنا عبيد الله بن سعيد أخبرنا عبد الله بن نمير أخبرنا هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء أن رسول الله ﷺ قال لها «أنفقي ولا تحصي فيحصى الله عليك ولا توعي»<sup>(٢)</sup> فيوعي الله عليك»<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ قال السدي: هي النبوة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله، وقال الضحاك: القرآن والفهم فيه، وقال: في القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة وألف آية حلال وحرام، لا يسع المؤمنين تركهن حتى يتعلموهن، ولا تكونوا كأهل نهروان تأولوا آيات من القرآن في أهل القبلة وإنما أنزلت في أهل الكتاب جهلوا / علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا الأموال وشهدوا علينا بالضلالة، فعليكم بعلم القرآن فإنه من علم فيم أنزل الله لم يختلف في شيء منه. ٤٨ ب/

وقال مجاهد: هي القرآن والعلم والفقه، وروى ابن أبي نجيح عنه: الإصابة في القول والفعل، وقال إبراهيم النخعي: معرفة معاني الأشياء وفهمها.

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ مَنْ فِي محل الرفع على ما لم يسم فاعله، والحكمة خبره<sup>(٤)</sup>، وقرأ يعقوب — يؤت الحكمة — بكسر التاء أي من يؤته الله الحكمة، دليله قراءة الأعمش، ومن يؤته الله، حكى عن الحسن ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ قال: الورع في دين الله ﴿فَقَدْ أَوْتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ﴾ يتعظ ﴿إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ذوو العقول.

(١) رواه البخاري: في تفسير سورة هود — باب: وكان عرشه على الماء — ٣٥٢/٨ وفي التوحيد.

ومسلم: في الزكاة — باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف برقم (٩٩٣) ٦٩٠/٢.

والمصنف: في شرح السنة: ١٥٤/٦ — ١٥٥.

(٢) الإيعاء جعل الشيء في الوعاء، وأصله الحفظ.

(٣) رواه البخاري: في الهبة — باب: هبة المرأة لغير زوجها وعقبتها إذا كان لها زوج ٢١٧/٥.

ومسلم: في الزكاة: باب: الحث في الإنفاق وكراهية الإحصاء برقم (١٠٢٩) ٧١٣/٢.

والمصنف: في شرح السنة: ١٥٤/٦.

(٤) انظر: التبيان في إعراب القرآن للمكبري: ٢٢٠/١.

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ  
 مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٧﴾ إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ  
 فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ  
 ﴿٧٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ  
 فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا لِأَبْتِغَاءِ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ  
 إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿وما أنفقتم من نفقة﴾ فيما فرض الله عليكم ﴿أو نذرتم من نذر﴾ أي: ما أوجبتموه  
 [أنتم] <sup>(١)</sup> على أنفسكم في طاعة الله فوفيتم به ﴿فإن الله يعلمه﴾ يحفظه حتى يجازيكم به، وإنما قال:  
 يعلمه، ولم يقل: يعلمها لأنه رده إلى الآخر منهما كقوله تعالى: «ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به  
 بريئاً» (١١٢ - النساء)، وإن شئت حملته على «ما» كقوله: «وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة  
 يعظكم به» (٢٣١ - البقرة) ولم يقل بهما ﴿وما للظالمين﴾ الواضعين الصدقة في غير موضعها بالرياء  
 أو يتصدقون من الحرام ﴿من أنصار﴾ من أعوان يدفعون عذاب الله عنهم، وهي جمع نصير، مثل:  
 شريف وأشراف.

قوله تعالى: ﴿إن تبدوا الصدقات﴾ أي تظهروها ﴿فنعما هي﴾ أي: نعمت الخصلة هي و «ما»  
 في محل الرفع «وهي» في محل النصب كما تقول نعم الرجل رجلاً، فإذا عرفت رفعت، فقلت: نعم الرجل  
 زيد، وأصله نعم ما فوصلت، قرأ أهل المدينة غير ورش وأبو عمرو وأبو بكر: فنعماً بكسر النون وسكون  
 العين، وقرأ ابن عامر وحزمة والكسائي: بفتح النون وكسر العين، وقرأ ابن كثير ونافع برواية ورش ويعقوب  
 وحفص بكسرهما، وكلها لغات صحيحة وكذلك في سورة النساء.

﴿وإن تخفوها﴾ تسروها ﴿وتؤتوها الفقراء﴾ أي تؤتوها الفقراء في السر ﴿فهو خير لكم﴾  
 وأفضل، وكل مقبول إذا كانت النية صادقة، ولكن صدقة السر أفضل، وفي الحديث «صدقة السر  
 تطفئ غضب الرب» <sup>(٢)</sup>.

(١) ساقطة من ب.

(٢) أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك في الزكاة - باب: فضل الصدقة (إن الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء) وقال هذا  
 حديث غريب من هذا الوجه وفيه عبد الله بن عيسى الخزاز ٣/٣٢٩ - ٣٣٠ وعبد الله بن عيسى الخزاز أبو خلف منكر الحديث.  
 قال النسائي: ليس بثقة: انظر ميزان الاعتدال: ٢/٤٧٠.

وأخرجه الطبراني في الكبير والأوسط بأطول من هذا عن معاوية بن حيدة وفيه صدقة بن عبد الله وثقه دحيم وضعفه جماعة (تهذيب:  
 التهذيب: ٣٦٥/٤) وأيضاً في الصغير والأوسط عن جعفر وفيه أصرم بن حوشب وهو ضعيف (مجمع الزوائد ٣/١١٥).  
 والمصنف في شرح السنة: ١٣٣/٦.

لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا  
فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ  
لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾  
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْئِيلِ وَالْتَهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ  
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٤﴾

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو اسحق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب  
عن مالك عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد الخدري أو عن أبي هريرة  
رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل،  
وشاب نشأ في عبادة الله تعالى، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا  
في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعت امرأته ذات  
منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق  
يمينه» (١).

وقيل: الآية في صدقة التطوع، أما الزكاة المفروضة فالإظهار فيها أفضل حتى يقتدي به الناس،  
كالصلاة المكتوبة في الجماعة أفضل، والنافلة في البيت [أفضل] (٢) وقيل: الآية في الزكاة المفروضة كان  
الإخفاء فيها خيراً على عهد رسول الله ﷺ، أما في زماننا فالإظهار أفضل حتى لا يساء به الظن.  
قوله تعالى: ﴿وَنَكْفُرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر بالنون ورفع الراء أي  
ونحن نكفر، وقرأ ابن عامر وحفص بالياء ورفع الراء، أي ويكفر الله، وقرأ أهل المدينة وحمة والكسائي  
بالنون والجزم نسقاً على الفاء التي في قوله «فهو خير لكم» لأن موضعها جزم بالجزاء، وقوله من سيئاتكم  
قيل «من» صلة، تقديره نكفر عنكم سيئاتكم، وقيل: هو للتحقيق والتبعيض، يعني: نكفر الصغائر من  
الذنوب، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ قال الكلبي سبب نزول هذه الآية أن ناساً من المسلمين كانت لهم قرابة

(١) رواه البخاري، في الأذان — باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد ١٤٣/٢.

ومسلم: في الزكاة — باب: فضل إخفاء الصدقة برقم (١٠٣١) ٧١٥/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٣٥٤/٢.

(٢) ساقطة من نسخة ب.

وأصهار في اليهود وكانوا ينفقون عليهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوا عليهم وأرادوهم على أن يسلموا، وقال سعيد بن جبير<sup>(١)</sup>: كانوا يتصدقون على فقراء أهل الذمة، فلما كثر فقراء المسلمين، نهي رسول الله ﷺ عن التصديق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الإسلام فنزل قوله ﴿ليس عليك هداهم﴾ فتمنعهم الصدقة ليدخلوا في الإسلام حاجةً منهم إليها، ﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ وأراد به هداية التوفيق، أما هدى البيان والدعوة فكان على رسول الله ﷺ، فأعطوهم بعد نزول الآية.

﴿وما تنفقوا من خير﴾ أي مال ﴿فلا أنفسكم﴾ أي تعملونه لأنفسكم ﴿وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله﴾ وما جحد، لفظه نفى ومعناه نهي، أي لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله ﴿وما تنفقوا من خير﴾ شرط كالأول ولذلك حذف التون منهما ﴿يؤف إليكم﴾ أي يوفر لكم جزاؤه، ومعناه: يؤدي إليكم، ولذلك أدخل فيه إلا ﴿وأنتم لا تظلمون﴾ لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئاً، وهذا في صدقة التطوع، أباح الله تعالى أن توضع في أهل الإسلام وأهل الذمة، فأما الصدقة المفروضة فلا يجوز وضعها إلا في المسلمين وهم أهل السهمان المذكورون في سورة التوبة.

قوله تعالى: ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله﴾ اختلفوا في موضع هذه اللام: قيل هي مردودة على موضع اللام من قوله «فلا أنفسكم» كأنه قال: وما تنفقوا من خير للفقراء، وإنما تنفقون لأنفسكم، وقيل: معناها الصدقات التي سبق ذكرها، وقيل: خبره محذوف تقديره: للفقراء الذين صفتهم كذا حق واجب، وهم فقراء المهاجرين، كانوا نحواً من أربعمئة رجل، لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر، وكانوا في المسجد يتعلمون القرآن ويرضخون<sup>(٢)</sup> النوى بالنهار، وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله ﷺ وهم أصحاب الصفة، فحث الله تعالى عليهم الناس فكان من عنده فضل أتاهاهم به إذا أمسى.

﴿الذين أحصروا في سبيل الله﴾ فيه أقاويل؛ قال قتادة — وهو أولها — حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله ﴿لا يستطيعون ضرباً في الأرض﴾ لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش وهم أهل الصفة الذين ذكرناهم، وقيل: حبسوا أنفسهم على طاعة الله، وقيل: معناه حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله، وقال سعيد بن جبير: قوم أصابهم جراحات مع رسول الله ﷺ في الجهاد في سبيل الله فصاروا زمنى، أحصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله للجهاد، وقال ابن زيد: معناه: من كثرة ما جاهدوا صارت الأرض كلها حرباً عليهم فلا يستطيعون ضرباً في الأرض من كثرة أعدائهم، ﴿يحسبهم﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة: يحسبهم وبابه بفتح السين وقرأ الآخرون بالكسر

(١) أسباب النزول للواحي ص ٨٣ بسنده عن سعيد بن جبير.

(٢) يكسرون.

٤٩/أ

﴿الجاهل﴾ بحالهم ﴿أغنياء من التعفف﴾ أي من تعففهم عن السؤال / وقناعتهم يظن من لا يعرف حالهم أنهم أغنياء، والتعفف التَّفَعُّل من العفة وهي الترك يقال: عف عن الشيء إذا كف عنه وتعفف إذا تكلف في الإمساك.

﴿تعرفهم بسيماهم﴾ السيماء والسيماء والسمة: العلامة التي يعرف بها الشيء، واختلفوا في معناها هاهنا، فقال مجاهد: هو التخشع والتواضع، وقال السدي: أثر الجهد من الحاجة والفقر، وقال الضحاك: صفرة ألوانهم من الجوع والضر وقيل رثاء ثيابهم، ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾ قال عطاء: إذا كان عندهم غداء لا يسألون عشاء، وإذا كان عندهم عشاء لا يسألون غداء، وقيل: معناه لا يسألون الناس إلحافاً أصلاً لأنه قال: من التعفف، والتعفف ترك السؤال، ولأنه قال: تعرفهم بسيماهم، ولو كانت المسألة من شأنهم لما كانت إلى معرفتهم بالعلامة من حاجة، فمعنى الآية، ليس لهم سؤال فيقع فيه إلحاف، وإلحاف: الإلحاح واللجاج.

أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، أخبرنا أبو سعيد محمد بن إبراهيم بن الإسماعيلي، أخبرنا محمد بن يعقوب، أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أخبرنا أنس بن عياض عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ «لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب فيأتي بحزمة حطب على ظهره فكيّف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أشياءهم أعطوه أو منعوه»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس، ترده اللقمة واللقمتان والتمر والتمرتان» قالوا: فمن المسكين يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يجد غنى فيغنيه، ولا يفتن له فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس»<sup>(٢)</sup>.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافاً»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري في الزكاة. باب: الإستعفاف عن المسألة ٣/٣٣٥.

والمصنف في شرح السنة ١١٢/٦ — ١١٣.

(٢) رواه البخاري: في الزكاة — باب: قول الله تعالى (لا يسألون الناس إلحافاً) ٣/٣٤٠ وفي التفسير.

• ومسلم: في الزكاة — باب: المسكين الذي لا يجد غنى ولا يفتن له فيتصدق عليه برقم (١٠٣٩) ٢/٧١٩.

والمصنف في شرح السنة: ٨٦/٦.

(٣) رواه أبو داود: في الزكاة — باب: من يعطى من الصدقة وحد الغنى ٢/٢٢٩ عن أبي سعيد الخدري بلفظ (من سأل وله أوقية فقد ألحف) وسكت عنه المنذري.

والنسائي: في الزكاة — باب: إذا لم يكن له دراهم وكان له عدلها ٥/٩٨ — ٩٩.

وأحمد: ٤/٣٦ و ٥/٤٣٠ واللفظ له عن عطاء بن يسار عن رجل من بني أسد.

والمصنف في شرح السنة: ٨٤/٦ وإسناده صحيح.

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أخبرنا جدي أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز، أخبرنا محمد بن زكريا بن عداfer، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدبري، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر بن هارون بن رباب عن كنانة العدوي عن قبيصة بن مخارق قال: إني تحملت بحمالة في قومي فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إني تحملت بحمالة في قومي وأتيتك لتعينني فيها قال: «بل نتحملها عنك يا قبيصة ونؤديها إليهم من الصدقة» ثم قال «يا قبيصة إن المسألة حرمت إلا في إحدى ثلاث: في رجل أصابته جائحة<sup>(١)</sup> فاجتاحت ماله فيسأل حتى يصيب قواماً من عيشه ثم يمسك، وفي رجل أصابته حاجة حتى يشهد له ثلاثة نفر من ذوي الحجا من قومه وأن المسألة قد حلت له فيسأل حتى يصيب القوام من العيش ثم يمسك، وفي رجل تحمل بحمالة فيسأل حتى إذا بلغ أمسك، وما كان غير ذلك فإنه سحت يأكله صاحبه سحتاً»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، أخبرنا قتيبة، أخبرنا شريك عن حكيم بن جبير عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسأله في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح»<sup>(٣)</sup> قيل يا رسول الله وما يغنيه؟ قال «خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب»<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْفَقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ من مال ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ وعليه مُجازٍ ﴿الَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ روي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب رضي الله عنه كانت عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية<sup>(٥)</sup>.

(١) آفة تهلك المال.

(٢) رواه مسلم: في الزكاة — باب: من تحمل له المسألة برقم (١٠٤٤) ٧٢٢/٢ بألفاظ مقاربة.

والمصنف في شرح السنة: ١٢٢/٦ بلفظ: (إن المسألة لا تحمل إلا لثلاثة: رجل تحمل بحمالة بين قوم، ورجل أصابته جائحة، فاجتاحت ماله، فيسأل حتى يصيب سداداً من عيش، أو قواماً من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يشهد له ثلاثة من ذوي الحجا من قومه أن قد أصابته حاجة، وأن قد حلت له المسألة وما سوى ذلك من المسائل سحت).

(٣) الخموش مثل الخدوش في المعنى، والكدوح: آثار الخدوش، وكل أثر من خدش أو عض أو نحوه، فهو كدوح.

(٤) رواه أبو داود: في الزكاة — باب: من يعطي من الصدقة وحد الغنى ٢٢٦/٢ وانظر ما قاله المنذري في مختصره والترمذي: في الزكاة — باب: من تحمل له الزكاة ٣١٣/٣، ٣١٤ عن ابن مسعود وقال: حديث ابن مسعود حديث حسن وقد تكلم شعبه في حكيم بن جبير من أجل هذا الحديث وقال ابن حجر: ضعيف روي بالتشيع من الخامسة (تقريب).

وابن ماجه: في الزكاة — باب من سأل عن ظهر غنى ٥٨٩/١ وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٤٩٩) وصححه ابن ماجه برقم (١٤٩٠).

والدارمي: في الزكاة — باب / ١٥ / من تحمل له الصدقة ٣٨٦/١.

والمصنف في شرح السنة: ٨٣/٦.

(٥) انظر: أسباب النزول للواحدي ص ٨٦ فقد أخرجه بسنده عن ابن عباس.

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾

وعن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهم قال لما نزلت ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله﴾ بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة إلى أصحاب الصُّفَّة، وبعث على بن أبي طالب رضي الله عنه في جوف الليل بوسق من تمر فأنزل الله تعالى فيهما ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار﴾ الآية عنى بالنهار علانية: صدقة عبد الرحمن بن عوف، وبالليل سراً: صدقة على رضي الله عنه، وقال أبو أمامة وأبو الدرداء ومكحول والأوزاعي: نزلت في الذين يرتبطون الخيل للجهاد فإنها تُعَلَّفُ ليلاً ونهاراً سراً وعلانية<sup>(١)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا علي بن حفص، أخبرنا ابن المبارك، أخبرنا طلحة بن أبي سعيد قال: سمعت سعيداً المقبري يحدث أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال النبي ﷺ: «من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال الأخفش: جعل الخير بالفاء، لأن «الذين» بمعنى «من» وجواب من بالفاء بالجزاء، أو معنى الآية: من أنفق كذا فله أجره عند ربه ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ أي يعاملون به، وإنما خص الأكل لأنه معظم المقصود من المال ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ يعني يوم القيامة من قبورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾ أي يصصره ﴿الشَّيْطَانُ﴾ أصل الخبط الضرب والوطء، وهو ضرب على غير استواء يقال: ناقة خبطت للتي تطأ الناس وتضرب الأرض

(١) أخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن يزيد بن عبد الله بن عريب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: نزلت هذه الآية في أصحاب الخيل، يزيد وأبوه مجهولان.

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب: كانت معه أربعة دراهم....، وأخرج ابن المنذر عن ابن المسيب قال: الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان في نفقتهما في جيش العسرة، (انظر: لباب النقول للسيوطي ص ١١٨ بهامش الجلالين، أسباب النزول للواحدي ص ٨٤ - ٨٥).

(٢) رواه البخاري في الجهاد باب من احتبس فرساً في سبيل الله ٥٧/٦ والمصنف في شرح السنة ٣٨٨/١٠.



إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَتْ ذُوْعُسْرَةً فَنِظْرَةٌ إِلَى مِيسْرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

بقوائمهها ﴿من المس﴾ أي الجنون يقال: مس الرجل فهو ممسوس إذا كان مجنوناً، ومعناه: أن آكل الربا يبعث يوم القيامة وهو كمثل المصروع.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم السرخسي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف، أخبرنا عبد الله بن يحيى، أخبرنا يعقوب بن سفيان أخبرنا إسماعيل بن سالم، أخبرنا عباد بن عباد عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ في قصة الإسرائ قال: «فانطلق بي جبريل عليه السلام إلى رجال كثير كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم منضدين على سابلة آل فرعون — وآل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشيا — قال: فيقبلون مثل الإبل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون، فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا، فتميل بهم بطونهم فيصرعون، ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع، فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردوهم مقبلين ومدبرين، فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة (قال) / وآل فرعون يقولون: اللهم لا تقم الساعة أبداً (قال) ويوم القيامة يقال: «أَدْخِلُوا آلَ فرعون أشد العذاب» (٤٦ — غافر) قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ أي ذلك الذي نزل بهم لقولهم هذا واستحللهم إياه، وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا حلَّ ماله على غريمه فطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق: زدني في الأجل حتى أزيدك في المال، فيفعلان ذلك، ويقولون سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند الحل لأجل التأخير فكذبهم الله تعالى وقال: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ واعلم

(١) رواه الأصبهاني من طريق أبي هارون العبدى، وهو وإه. انظر: الترغيب والترهيب للمنزدي: ٩/٣.

أن الربا في اللغة الزيادة قال الله تعالى: «وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس» أي ليكثر «فلا يربو عند الله» (٣٩ - الروم) وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام في الجملة، إنما المحرم زيادة على صفة مخصوصة في مال مخصوص بيّنه رسول الله ﷺ فيما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبد الوهاب عن أيوب بن أبي تيممة عن محمد بن سيرين عن مسلم بن يسار ورجل آخر عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تبيعوا الذهب بالذهب، ولا الورق بالورق، ولا البر بالبر، ولا الشعير بالشعير ولا التمر بالتمر ولا الملح بالملح إلا سواء بسواء، عيناً بعين، يداً بيد، ولكن يبيعوا الذهب بالورق، والورق بالذهب، والبر بالشعير، والشعير بالبر، والتمر بالملح، والملح بالتمر يداً بيد كيف شئتم - ونقص أحدهما الملح أو التمر وزاد أحدهما: من زاد وازداد فقد أربى»<sup>(١)</sup>.

روي هذا الحديث من طرق عن محمد بن سيرين عن مسلم بن يسار وعبد الله بن عتيك عن عبادة فالنبي ﷺ نص على ستة أشياء.

وذهب عامة أهل العلم إلى أن حكم الربا يثبت في هذه الأشياء الست بالأوصاف فيها فيتعدى إلى كل مال توجد فيه تلك الأوصاف، ثم اختلفوا في تلك الأوصاف، فذهب قوم: إلى أن المعنى في جميعها واحد وهو النفع وأثبتوا الربا في جميع الأموال، وذهب الأكثرون إلى أن الربا يثبت في الدراهم والدنانير بوصف وفي الأشياء المطعومة بوصف آخر، واختلفوا في ذلك الوصف فقال قوم: ثبت في الدراهم والدنانير بوصف، النقدية، وهو قول مالك والشافعي، وقال قوم: ثبت بعلقة الوزن وهو قول أصحاب الرأي وأثبتوا الربا في جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحوها.

وأما الأشياء الأربعة فذهب قوم إلى أن الربا يثبت فيها بعلقة الكيل وهو قول أصحاب الرأي، وأثبتوا الربا في جميع المكيلات مطعوماً كان أو غير مطعوم كالجص والنورة ونحوها، وذهب جماعة إلى أن العلة فيها الطعام مع الكيل والوزن، فكل مطعوم وهو مكيل أو موزون يثبت فيه الربا، ولا يثبت فيما ليس بمكيل ولا موزون، وهو قول سعيد بن المسيب، وقاله الشافعي رحمه الله في القديم، وقال في الجديد: يثبت فيه الربا بوصف الطعام، وأثبت الربا في جميع الأشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والأدوية مكيلة كانت أو موزونة لما روي عن معمر بن عبد الله قال: كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «الطعام بالطعام مثلاً بمثل»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم: في المساقاة - باب: الصرف وبيع الذهب بالورق نقداً برقم (١٥٨٧) ٣/١٢١٠.

والمصنف في شرح السنة: ٥٦/٨.

(٢) رواه مسلم: في المساقاة - باب: بيع الطعام مثلاً بمثل برقم (١٥٩٢) ٣/١٢١٤.

والمصنف في شرح السنة ٥٨/٨.

فجملة مال الربا عند الشافعي ما كان ثمناً أو مطعوماً، والربا نوعان: ربا الفضل وربا النسيء، فإذا باع مال الربا بجنسه مثلاً بمثل بأن باع أحد النقدين بجنسه أو باع مطعوماً بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحوها يثبت فيه كلا نوعي الربا حتى لا يجوز إلا متساويين في معيار الشرع، فإن كان موزوناً كالدرهم والدنانير فيشترط المساواة في الوزن، وإن كان مكيلاً كالحنطة والشعير يبيع بجنسه، فيشترط المساواة في الكيل ويشترط التقابض في مجلس العقد، وإذا باع مال الربا بغير جنسه نظر: إن باع بما لا يوافقه في وصف الربا مثل أن باع مطعوماً بأحد النقدين فلا ربا فيه، كما لو باعه بغير مال الربا، أو إن باعه بما يوافقه مع الوصف مثل أن باع الدراهم بالدنانير أو باع الحنطة بالشعير أو باع مطعوماً بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا الفضل حتى يجوز متفاضلاً أو جُزَافاً<sup>(١)</sup> ويثبت فيه ربا النسيء حتى يشترط التقابض في المجلس، وقول النبي ﷺ «لا تبيعوا الذهب بالذهب — إلى أن قال — إلا سواء بسواء» فيه إيجاب المماثلة وتحريم الفضل عند اتفاق الجنس، وقوله «عيناً بعين» فيه تحريم النسيء، وقوله «يداً بيد كيف شئتم» فيه إطلاق التفاضل عند اختلاف الجنس مع إيجاب التقابض في المجلس، هذا في ربا المبيعة.

ومن أقرض شيئاً بشرط أن يرد عليه أفضل فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا. قوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ تذكير وتخويف، وإنما ذكر الفعل رداً إلى الوعد ﴿فَاتَّبَعْنِي﴾ عن أكل الربا ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ أي ما مضى من ذنبه قبل النهي مغفور له ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ بعد النهي إن شاء عصمته حتى يثبت على الانتهاء، وإن شاء خذله حتى يعود، وقيل: ﴿أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس إليه من أمر نفسه شيء ﴿وَمِنْ عَادَ﴾ بعد التحريم إل أكل الربا مستحلاً له ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا محمد بن المثني حدثني غندر، أخبرنا شعبة عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه أنه قال: إن النبي ﷺ نهي عن ثمن الدم وثن الكلب وكسب البغي، ولعن آكل الربا وموكله والواشمة والمستوشمة والمصور<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني، أخبرنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أخبرنا مسلم بن الحجاج، أخبرنا زهير بن حرب، أخبرنا هشيم أخبرنا أبو الزبير عن جابر رضي الله قال: لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكتابه

(١) بيع الشيء لا يعلم كيله ولا وزنه، فارسي معرب.

(٢) رواه البخاري: في البيوع — باب: موكل الربا ٣١٤/٤ وفي اللباس والطلاق.

والمصنف في شرح السنة: ٢٥/٨.

وشاهديه، وقال: «هم سواء»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أنا أبو محمد المخلدي، أنا أبو حامد بن الشرقي أخبرنا أحمد بن يوسف للسلمي، أخبرنا النضر بن محمد، أخبرنا عكرمة بن عمار، أخبرنا يحيى هو ابن أبي كثير قال: حدثني أبو سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ / «الربا سبعون باباً أهونها عند الله عز وجل كالذي ينكح أمه»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ أي ينقصه ويهلكه ويذهب ببركته، وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ يعني لا يقبل منه صدقة ولا جهاداً ولا حجاً ولا صلة ﴿وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ أي يثمرها ويبارك فيها في الدنيا، ويضاعف بها الأجر والثواب في العقبى ﴿وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ بتحريم الربا ﴿أَثِيمٍ﴾ فاجر بأكمله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ قال عطاء وعكرمة: نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما وكانا قد أسلفا في التمر فلما حضر الجذاذ قال لهما صاحب التمر: إن أنتم أخذتما حقكما لا يبقى لي ما يكفي عيالي فهل لكما أن تأخذما النصف وتؤخرنا النصف وأضعف لكما؟ ففعلا، فلما حل الأجل طلبا الزيادة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنهاهما فأنزله الله تعالى هذه الآية فسمعا وأطاعا وأخذوا رؤوس أموالهما<sup>(٣)</sup>.

وقال السدي: نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا إلى بني عمرو بن عمير، ناس من ثقيف، فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فأنزله الله تعالى هذه الآية فقال النبي ﷺ في حجة الوداع في خطبته يوم عرفة «ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوعة كلها، وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فإنها

(١) رواه مسلم: في المساقاة — باب: لعن آكل الربا وموكله برقم (١٥٩٨) ١٢١٨/٣.

والمصنف في شرح السنة: ٥٤/٨.

(٢) رواه ابن ماجة في التجارات — باب التغليظ في الربا ٧٦٤/١ قال في الزوائد: وفي إسناده نجيح بن عبد الرحمن أبو معشر متفق على تضعيفه وقال ابن حجر: نجيح بن عبد الرحمن السندي بكسر المهملة وسكون النون المدني، أبو معشر، وهو مول بني هاشم مشهور بكنته ضعيف من السادسة، أسن واختلط، مات سنة ١٧٠ ويقال: كان اسمه عبد الرحمن بن الوليد بن هلال (تقريب). وانظر فيض القدير ٥١/٤ وكشف الخفاء ٥٠٨/١ فقد عزاه للحاكم والطبراني.

(٣) أسباب النزول للواحد ص ٨٧.

موضوعة كلها»<sup>(١)</sup>.

وقال مقاتل: نزلت في أربعة إخوة من ثقيف، مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة وهم بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي، كانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم وكانوا يربون فلما ظهر النبي ﷺ على الطائف أسلم هؤلاء الإخوة فطلبوا رباهم من بني المغيرة، فقال بنو المغيرة: والله ما نعطي الربا في الإسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين، فاختصموا إلى عتاب بن أسيد وكان عامل رسول الله ﷺ على مكة فكتب عتاب بن أسيد إلى النبي ﷺ بقصة الفريقين وكان ذلك مالا عظيماً فأنزل الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ أي إذا لم تذر ما بقي من الربا ﴿فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قرأ حمزة وعاصم برواية أبي بكر فأذنوا بالمد على وزن آمنوا، أي فأعلموا غيركم أنكم حرب لله ورسوله، وأصله من الأذن أي أوقعوا في الآذان، وقرأ الآخرون فأذنوا مقصوراً بفتح الذال أي فاعلموا أنتم وأيقنوا بحرب من الله ورسوله، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: يقال لآكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب، قال أهل المعاني: حرب الله: النار وحرب رسول الله: السيف.

﴿وَأَنْ تَبْتَغُوا﴾ إن تركتم استحلال الربا ورجعتم عنه ﴿فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ يطلب الزيادة ﴿وَلَا تَظْلِمُونَ﴾ بالنقصان عن رأس المال فلما نزلت الآية قال بنو عمرو الثقفي ومن كان يعامل بالربا من غيرهم: بل نتوب إلى الله، فإنه لا يدان لنا بحرب الله ورسوله، فرضوا برأس المال، فشكا بنو المغيرة العسرة وقالوا: أخرونا إلى أن تدرك الغلات فأبوا أن يؤخروا فأنزل الله تعالى ﴿وَأِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ يعني وإن كان الذي عليه الدين معسراً، رفع الكلام باسم كان ولم يأت لها بخبر وذلك جائز في النكرة، تقول، إن كان رجل صالح فأكرمه، وقيل «كان» بمعنى وقع، وحينئذ لا يحتاج إلى خبر، قرأ أبو جعفر عسرة بضم السين ﴿فَظَنُّوا﴾ أمر في صيغة الخبر تقديره فعليه نظرة ﴿إِلَى مِيسِرَةٍ﴾ قرأ نافع ميسرة بضم السين وقرأ الآخرون بفتحها وقرأ مجاهد ميسرة بضم السين مضافاً ومعناها اليسار والسعة ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ أي تتركوا رؤوس أموالكم إلى المعسر ﴿خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قرأ عاصم تصدقوا بتخفيف الصاد والآخرون بتشديدها.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان، أخبرنا أبو العباس إسماعيل بن عبد الله الميكالي، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن موسى بن عبدان الحافظ، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن عمرو بن السرح، أخبرنا ابن وهب عن جرير عن حازم عن أيوب عن يحيى

(١) انظر: أسباب النزول للواحد ص ٨٧، وسبق تخرج خطبة يوم عرفة في ص (٢١٩) هامش (٢) وص (٢٢٩).

(٢) انظر: لباب النقول للسيوطي ص ١١٩، ١٢١.

ابن أبي كثير عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه أنه كان يطلب رجلاً بحق فاختبأ منه فقال: ما حملك على ذلك قال: العسرة، فاستحلفه على ذلك فحلف فدعا بصكّه فأعطاه إياه وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنظر معسراً أو وضع عنه أنجاه الله من كرب يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرّياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا إسرائيل عن منصور عن ربعي عن أبي مسعود رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ «إن الملائكة لتَلَقُّ روحَ رجل كان قبلكم فقالوا هل عملت خيراً قط؟ قال: لا، قالوا: تذكر، قال: لا، إلا أني رجل كنت أداين الناس فكنت آمر فتياي أن ينظروا الموسر ويتجاوزوا عن المعسر، قال الله تبارك وتعالى «تجاوزوا عنه»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرّياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا أحمد بن عبد الله، أخبرنا زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي عن أبي اليسر قال سمعت النبي ﷺ يقول «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»<sup>(٣)</sup>.

### \* فصل في الدين وحسن قضاؤه وتشديد أمره \*

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن اسماعيل أخبرنا أبو الوليد، أخبرنا شعبة، أخبرنا سلمة بن كهيل قال: سمعت أبا سلمة بمنى يحدث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً تقاضى رسول الله ﷺ فأغظ له فهم به أصحابه فقال: دعوه فإن لصاحب الحق مقلاً، واشتروا له بغيراً فأعطوه إياه، قالوا: لا نجد إلا أفضل من سيئه قال: «اشتروه فأعطوه إياه فإن خياركم أحسنكم قضاء»<sup>(٤)</sup>.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو

(١) رواه مسلم: في المساقاة — باب: فضل إنظار المعسر برقم (١٥٦٣) ١١٩٦/٣.

والمصنف في شرح السنة: ١٩٦/٨ باللفظ نفسه.

(٢) رواه البخاري: في البيوع، باب: من أنظر معسراً ٣٠٧/٤.

ومسلم: في المساقاة — باب: فضل إنظار المعسر عن حذيفة برقم (١٥٦٠) ١١٩٤/٣.

والمصنف في شرح السنة: ١٩٧/٨.

(٣) أخرجه مسلم: مطولاً في الزهد — باب: حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر برقم (٣٠٠٦) ٢٣٠١/٤ — ٢٣٠٢.

والمصنف في شرح السنة: ١٩٨/٨.

(٤) أخرجه البخاري في الوكالة — باب: الوكالة في قضاء الديون ٤٨٣/٤ وفي الاستقراض والهبة.

ومسلم: في المساقاة — باب: من استسلف شيئاً ف قضى خيراً منه (وخيركم أحسنكم قضاء) برقم (١٦٠١) ١٢٢٥/٣.

والمصنف في شرح السنة: ١٩٤/٨.

مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مَظْلُ الغني ظلم وإذا أَتَبَعَ أحدكم على ملىء فليتبِع»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا / عبد الوهاب بن محمد الخطيب ، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ، أخبرنا أبو ٥/ب .  
العباس الأصم ، أخبرنا الربيع ، أخبرنا الشافعي ، أخبرنا إبراهيم بن سعيد بن إبراهيم عن أبيه عن عمر بن  
أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مَعْلُوقَةٌ بِدِينِهِ حَتَّى  
يُقَضَى عَنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي ، أخبرنا زاهر بن أحمد السرخسي ، أخبرنا أبو إسحق الهاشمي ، أخبرنا أبو  
مصعب عن مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن عبد الله بن أبي قتادة  
الأنصاري عن أبيه أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن قتل في سبيل  
الله صابراً محتسباً ، مقبلاً غير مدبر ، يكفر الله عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ «نعم» فلما أدبر  
ناداه رسول الله ﷺ ، أو أمر به فتودي ، فقال رسول الله ﷺ: «كيف قلت؟» فأعاد عليه قوله ، فقال  
رسول الله ﷺ «نعم إلا الدين» كذلك قال جبريل<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ قرأ أهل البصرة بفتح التاء أي تصيرون إلى الله ، وقرأ  
الآخرون بضم التاء وفتح الجيم ، أي: تردون إلى الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا  
يُظْلَمُونَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذه آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ ، فقال له جبريل  
عليه السلام ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله ﷺ واحداً  
وعشرين يوماً ، وقال ابن جريج: تسع ليال ، وقال سعيد بن جبير: سبع ليال ، ومات يوم الاثنين لليلتين  
خلتا من شهر ربيع الأول حين زاغت الشمس سنة إحدى عشرة من الهجرة ، قال الشعبي عن ابن عباس

(١) أخرجه البخاري في الحوالات. باب الحوالة وهل يرجع في الحوالة ٤/ ٤٦٤ ومسلم في المساقاة. باب تحريم مظل الغني وصحة الحوالة  
برقم (١٥٦٤) ٣/ ١١٩٧.

والمصنف في شرح السنة ٨/ ٢١٠.

(٢) أخرجه الترمذي: في الجنائز — باب: ما جاء أن نفس المؤمن معلقة بدِينِهِ حَتَّى يَقْضَى عَنْهُ ٤/ ١٩٣ وقال هذا حديث حسن.

وابن ماجه: في الصدقات — باب: التشديد في الدين ٢/ ٨٠٦.

وأحمد: ٢/ ٤٤٠، ٤٧٥، ٥٠٨ عن أبي هريرة.

والدارمي: بيوع ٥٢ باب: ما جاء في التشديد في الدين ٢/ ٢٦٢.

والشافعي: ٢/ ٢٢٦ وقال الشوكاني: رجال إسناده ثقات إلا عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن، وهو صدوق يخطئ: نيل الأوطار

١٤/٥.

والمصنف في شرح السنة: ٨/ ٢٠٢ وقال هذا حديث حسن.

(٣) أخرجه مسلم: في الإمامة — باب: من قتل في سبيل الله كفرت خطاياهُ إلا الدين برقم (١٨٨٥) ٣/ ١٥٠١.

والمصنف في شرح السنة: ٨/ ٢٠٠.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلٍ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُقُوكُمْ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

رضي الله عنهما آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ آية الربا<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما لما حرم الله الربا أباح السلم وقال: أشهد أن السلف المضمون إلى أجل مسمى قد أحله الله تعالى في كتابه وأذن فيه ثم قال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ».

قوله: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ أي تعاملتم بالدين، يقال: دايته إذا عاملته بالدين وإنما قال ﴿بدين﴾ بعد قوله تدايتم لأن المداينة قد تكون مجازاة وتكون معاطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ، وقيل: ذكره

(١) في معرفة آخر ما نزل اختلاف، فقد روى الشيخان عن البراء بن عازب قال: آخر آية نزلت «يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة» (النساء - ١٧٦).

وآخر سورة نزلت سورة براءة.

وأخرج البخاري عن ابن عباس، قال: آخر آية نزلت آية الربا.

وروى البيهقي عن عمر مثله، وعند أحمد وابن ماجه عن عمر: من آخر ما نزل آية الربا.

وأخرج النسائي عن ابن عباس قال: آخر شيء نزل من القرآن: «واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله» (سورة البقرة - ٢٨١) وأخرج مثله ابن جرير والفربراني، وهو مروي عن سعيد بن جبير... إلخ وهناك أقوال أخرى، ويمكن التوفيق والجمع بين الأقوال بأن بعضها ينصب على آخر ما نزل من السور، وبعضها بالنسبة للآيات وبعضها بالنسبة لموضوع الآيات، فهي أواخر نسية. انظر بالتفصيل: الإتيان في علوم القرآن للسيوطي: ١٠١/١ - ١٠٦، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم.



وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنَّ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمْنَتَهُ. وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ. وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ دَاءُ أَثِمَّ قَلْبُهُ. وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾

تأكيداً كقوله تعالى: «ولا طائر يطير بجناحيه» (٣٨ - الأنعام) ﴿إلى أجل مسمى﴾ الأجل مدة معلومة الأول والآخر، والأجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محله، وفي القرض لا يلزم الأجل عن أكثر أهل العلم ﴿فاكتبوه﴾ أي اكتبوا الذي تداينتم به، يبعأ كان أو سلماً أو قرضاً.

واختلفوا في هذه الكتابة: فقال بعضهم: هي واجبة، والأكثر على أنه أمر استحباب فإن ترك فلا بأس كقوله تعالى «فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض» (١٠ - الجمعة) وقال بعضهم كانت كتابة الدين والإشهاد والرهن فرضاً ثم نسخ الكل بقوله «فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤدِّ الذي ائتمن أمانته» وهو قول الشعبي ثم بين كيفية الكتابة فقال جل ذكره ﴿وليكتب بينكم﴾ أي ليكتب كتاب الدين بين الطالب والمطلوب ﴿كاتب بالعدل﴾ أي بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم أجل ولا تأخير ﴿ولا يأب﴾ أي لا يمتنع ﴿كاتب أن يكتب﴾ واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد، فذهب قوم إلى وجوبها إذا طوّل وهو قول مجاهد، وقال الحسن تجب إذا لم يكن كاتب غيره، وقال قوم هو على الندب والاستحباب، وقال الضحاك كانت عزيمة واجبة على الكاتب والشاهد فنسخها قوله تعالى «ولا يضار كاتب ولا شهيد» ﴿كما علمه الله﴾ أي كما شرعه الله وأمره ﴿فليكتب ولمل الذي عليه الحق﴾ يعني: المطلوب يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه، والإملاء والإملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد، جاء بهما القرآن، فالإملاء ها هنا، والإملاء قوله تعالى: «فهي تمل عليه بكرة وأصيلاً» (٥ - الفرقان) ﴿وليتق الله ربه﴾ يعني المملّ ﴿ولا يخس منه شيئاً﴾ أي ولا ينقص منه، أي من الحق الذي عليه شيئاً.

﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً﴾ أي جاهلاً بالإملاء، قاله مجاهد، وقال الضحاك والسدي: طفلاً صغيراً، وقال الشافعي رحمه الله، السفية: المبذر المفسد لماله أو في دينه.

قوله ﴿أو ضعيفاً﴾ أي شيخاً كبيراً وقيل هو ضعيف العقل لِعَتِّه أو جنون ﴿أو لا يستطيع أن يمل هو﴾ لخرس أو عي أو عجمة أو حبس أو غيبة لا يمكنه حضور الكاتب أو جهل بما له وعليه ﴿فليمل وليه﴾ أي قيمه ﴿بالعدل﴾ أي بالصدق والحق، وقال ابن عباس رضي الله عنه ومقاتل: أراد بالولي صاحب الحق، يعني إن عجز من عليه الحق من الإملاء فليمل ولي الحق وصاحب الدين بالعدل لأنه

أعلم بحقه، ﴿واستشهدوا﴾ أي وأشهدوا ﴿شاهدين﴾ أي شاهدين ﴿من رجالكم﴾ يعني الأحرار المسلمين، دون العبيد والصبيان والكفار، وهو قول أكثر أهل العلم، وأجاز شرح وابن سيرين شهادة العبيد ﴿فإن لم يكونا رجلين﴾ أي لم يكن الشاهدان رجلين ﴿فرجل وامرأتان﴾ أي فليشهد رجل وامرأتان.

وأجمع الفقهاء على أن شهادة النساء جائزة مع الرجال في الأموال حتى تثبت برجل وامرأتين واختلفوا في غير الأموال فذهب جماعة إلى أنه تجوز شهادتهن مع الرجال في غير العقوبات، وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي، وذهب جماعة إلى أن غير المال لا يثبت إلا برجلين عدلين وذهب الشافعي رحمه الله إلى أن ما يطلع عليه النساء غالباً كالولادة والرضاع والثبوة والبكارة ونحوها يثبت بشهادة رجل وامرأتين، وبشهادة أربع نسوة، واتفقوا على أن شهادة النساء غير جائزة في العقوبات.

قوله تعالى: ﴿ممن ترضون من الشهداء﴾ يعني من كان مرضياً في ديانه وأمانته، وشرائطه [قبول] <sup>(١)</sup> الشهادة سبعة: الإسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة وانتفاء التهمة، فشهادة الكافر مردودة لأن المعروفين بالكذب عند الناس لا تجوز شهادتهم، فالذي يكذب على الله تعالى أولى أن يكون مردود الشهادة، وجوز أصحاب الرأي شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض، ولا تقبل شهادة العبيد، وأجازها شرح وابن سيرين وهو قول أنس بن مالك رضي الله عنه، ولا قول للمجنون حتى يكون له شهادة، ولا تجوز شهادة الصبيان سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن ذلك؟ فقال: لا تجوز، لأن الله تعالى يقول: ﴿ممن ترضون من الشهداء﴾ والعدالة شرط، وهي أن يكون الشاهد محتجباً للكبائر غير مصرّاً على الصغائر، والمروءة شرط، وهي ما يتصل بآداب النفس مما يعلم أن تاركه قليل الحياء، وهي حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة، فإن كان الرجل يظهر من نفسه في شيء منها ما يستحي أمثاله من إظهاره في الأغلب يعلم به قلة مروءته وترد شهادته، وانتفاء / التهمة شرط حتى لا تقبل شهادة العدو على العدو وإن كان مقبول الشهادة على غيره، لأنه متهم في حق عدوه، ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وإن كان مقبول الشهادة عليهما، ولا تقبل شهادة من يجر بشهادته إلى نفسه نفعاً، كالوارث يشهد على رجل بقتل مورثه، أو يدفع عن نفسه بشهادته ضرراً كالمشهود عليه يشهد بجرح من يشهد عليه لتحكن التهمة في شهادته.

١/٥١

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسن المروزي، أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان، أخبرنا علي بن عبد العزيز المكي، أخبرنا أبو عبيد القاسم ابن سلام أخبرنا مروان الفزاري عن شيخ من أهل الحيرة يقال له يزيد بن زياد عن الزهري عن عروة عن

(١) في نسخة ب (وجوب).

عائشة رضي الله عنها ترفعه «لا تجوز شهادة حائن ولا خائنة ولا ذي غمر على أخيه ولا ظنين في ولاء ولا قرابة ولا القانع»<sup>(١)</sup> مع أهل البيت»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ قرأ حمزة إن تضل بكسر الألف ﴿فتذكر﴾ برفع الراء، ومعناه الجزاء والابتداء، وموضع تضل جزم بالجزاء إلا أنه لا يتبين في التضعيف «فتذكر» رفع لأن ما بعد فاء الجزاء مبتدأ، وقراءة العامة بفتح الألف ونصب الراء على الاتصال بالكلام الأول، وتضل محله نصب بأن فتذكر منسوق عليه، ومعنى الآية: فرجل وامرأتان كي تذكر ﴿إحدهما الأخرى﴾ ومعنى تضل أي تنسى، يريد إذا نسيت إحدهما شهادتها، تذكرها الأخرى فتقول ألسنا حضرننا مجلس كذا وسمعنا كذا؟ قرأ ابن كثير وأهل البصرة: فتذكر مخففاً، وقرأ الباقون مشدداً، وذكر وأذكر بمعنى واحد، وهما متعديان من الذَّكر الذي هو ضد النسيان، وحكي عن سفيان بن عيينة أنه قال: هو من الذَّكر أي تجعل إحدهما الأخرى ذكراً أي تصير شهادتهما كشهادة ذكر، والأول أصح لأنه معطوف على النسيان.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبُ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ قيل أراد به إذا ما دعوا لتحمل الشهادة، سماهم شهداء على معنى أنهم يكونون شهداء وهو أمر إيجاب عند بعضهم، وقال قوم: تجب الإجابة إذا لم يكن غيره فإن وجد غيره (فهو مخير)<sup>(٣)</sup> وهو قول الحسن، وقال قوم: هو أمر ندب وهو مخير في جميع الأحوال، وقال بعضهم، هذا في إقامة الشهادة وأدائها فمعنى الآية «ولا يَأْبُ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا» لأداء الشهادة التي تحملوها، وهو قول مجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير، وقال الشعبي: الشاهد بالخيار ما لم يشهد، وقال الحسن: الآية في الأمرين جميعاً في التحمل والإقامة إذا كان فارغاً.

﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾ أي ولا تملوا ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ والهاء راجعة إلى الحق ﴿صغيراً﴾ كان الحق ﴿أو كبيراً﴾ قليلاً كان أو كثيراً ﴿إِلَى أَجَلِهِ﴾ إلى محل الحق ﴿ذَلِكَم﴾ أي الكتاب ﴿أَقْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ لأنه أمر به، واتباع أمره أعدل من تركه ﴿وَأَقُومَ لِلشَّهَادَةِ﴾ لأن الكتابة تذكر الشهود ﴿وَأَدْنَى﴾ وأحرى وأقرب إلى ﴿أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ تشكُّوا في الشهادة ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ قرأهما

(١) السائل.

(٢) رواه الترمذي: في الشهادات — باب: فيمن لا تجوز شهادته ٥٨٠/٦ — ٥٨٢ وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يزيد بن زياد الدمشقي ويزيد يضعف في الحديث ولا يعرف هذا الحديث من حديث الزهري إلا من حديثه، وأخرجه الدارقطني والبيهقي وفيه (ولا ذي غمر لأخيه) وفي سنده يزيد بن زياد الدمشقي، وهو متروك كما عرفت، وقال أبو زرعة في العلل: (هو حديث منكر) وضعفه عبد الحق وابن حزم وابن الجوزي.

وابن ماجه: في الأحكام — باب من لا تجوز شهادته: ٢٣٦٦/٢ وفي الزوائد: في إسناد حجاج بن أرطاة وكان يدلس وقد رواه بالنعنة، وهذه رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، (ذي غمر: الغمر: الحقد والعداوة).

وأحمد: ٢٠٤/٢، ٢٠٨، ٢٢٥، ٢٢٦ عن عبد الله بن عمرو.

والصنف في شرح السنة: ١٢٣/١٠ وقال: هذا حديث غريب ويزيد بن زياد الدمشقي منكر الحديث.

(٣) ساقط من (ب) والكلام بصيغة الجمع.

عاصم بالنصب على خبر كان وأضمر الاسم، مجازه: إلا أن تكون التجارة تجارة (حاضرة)<sup>(١)</sup> أو المبايعة تجارة، وقرأ الباقون بالرفع وله وجهان:

أحدهما: أن تجعل الكون بمعنى الوقوع معناه إلا أن تقع تجارة.

والثاني: أن تجعل الاسم في التجارة والخبر في الفعل وهو قوله ﴿تديرونها بينكم﴾ تقديره إلا أن تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم، ومعنى الآية إلا أن تكون تجارة حاضرة يدا بيد تديرونها بينكم ليس فيها أجل ﴿فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها﴾ يعني التجارة ﴿وأشهدوا إذا تباعتم﴾ قال الضحاك: هو عزم من الله تعالى، والإشهاد واجب في صغير الحق وكبيره نقداً أو نسيئاً، وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: الأمر فيه إلى الأمانة لقوله تعالى «فإن أمن بعضهم بعضاً» الآية، وقال الآخرون هو أمر ندب.

قوله تعالى: ﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾ هذا نهي للغائب، وأصله يضارر، فأدغمت إحدى الراءين في الأخرى ونصبت لحق التضعيف لاجتماع الساكنين، واختلفوا فيه فمنهم من قال: أصله يضارر بكسر الراء الأولى، وجعل الفعل للكاتب والشهيد، معناه لا يضار الكاتب فيأبى أن يكتب ولا الشهيد فيأبى أن يشهد، ولا يضار الكاتب فيزيد أو ينقص أو يحرف ما أملي عليه ولا الشهيد فيشهد بما لم يستشهد عليه، وهذا قول طاووس والحسن وقتادة، وقال قوم: أصله يضارر بفتح الراء على الفعل المجهول وجعلوا الكاتب والشهيد مفعولين ومعناه أن يدعو الرجل الكاتب أو الشاهد وهما على شغل مهم، فيقولان: نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعي إن الله أمركم أن تحببا ويلح عليهما فيشغلها عن حاجتهما فنهي عن ذلك وأمر بطلب غيرهما ﴿وإن تفعلوا﴾ ما نهيتكم عنه من الضرر ﴿فإنه فسوق بكم﴾: أي معصية وخروج عن الأمر ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم﴾ وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة ﴿قرأ ابن كثير وأبو عمرو فرهن بضم الهاء والراء، وقرأ الباقون فرهان، وهو جمع رهن مثل بغل وبغال وجبل وجبال، والرهن جمع الرهان جمع الجمع، قاله الفراء والكسائي، وقال أبو عبيد<sup>(٢)</sup> وغيره: هو جمع الرهن أيضاً مثل سقف وسقف وقال أبو عمرو وإنما قرأنا فرهن ليكون فرقاً بينهما وبين رهان الخيل، وقرأ عكرمة فرهن بضم الراء وسكون الهاء، والتخفيف والتثقل في الرهن لغتان مثل كُتِبَ وكتب ورُسِّلَ ورسل ومعنى الآية: وإن كنتم على سفر ولم تجدوا آلات الكتابة فارتنوا ممن تداينونه رهوناً لتكون وثيقة لكم بأموالكم، واتفقوا على أن الرهن لا يتم إلا بالقبض، وقوله «فرهان مقبوضة» أي ارتنوا واقبضوا حتى لو رهن ولم يسلم فلا يجبر الراهن على التسليم فإذا سلم لزم من جهة الراهن حتى لا يجوز له أن يسترجعه ما دام شيء من الحق باقياً، ويجوز في الحضرة الرهن مع وجود الكاتب، وقال مجاهد: لا يجوز الرهن إلا في السفر عند عدم الكاتب لظاهر الآية، وعند الآخرين

(١) ساقط من نسخة (ب).

(٢) في نسخة ب أبو عبيدة.

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ  
يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾

خرج الكلام في الآية على الأعم الأغلب لا على سبيل الشرط.

والدليل عليه ما روي أن النبي ﷺ رهن درعه عند أبي الشحم اليهودي ولم يكن ذلك في السفر ولا عند عدم كاتب<sup>(١)</sup> ﴿فَإِنْ أَمِنْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ وفي حرف أبي «فَإِنْ ائْتَمَنْ» يعني فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ أَمِينًا عِنْدَ صَاحِبِ الْحَقِّ فَلَمْ يَرْتَهِنْ مِنْهُ شَيْئًا لِحَسَنِ ظَنِّهِ بِهِ.

﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي ائْتَمَنَّ أَمَانَتَهُ﴾ أي فليقضه على الأمانة ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في أداء الحق، ثم رجع إلى خطاب الشهود وقال: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ / إذا دعيتم إلى إقامتها نهى عن كتمان الشهادة وأوعده عليه فقال ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثَمُ قَلْبِهِ﴾ أي فاجتر قلبه، قيل: ما أوعده الله على شيء كإيعاده على كتمان الشهادة، قال: «فإنه آثم قلبه» وأراد به مسخ القلب، نعوذ بالله من ذلك ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من بيان الشهادة وكتابتها ﴿عَلِيمٌ﴾.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً [وأهلها له عبيد وهو مالكمهم]<sup>(٢)</sup> ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ بِحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾  
اختلف العلماء في هذه الآية، فقال قوم: هي خاصة ثم اختلفوا في وجه [خصوصها]<sup>(٣)</sup> فقال بعضهم: هي متصلة بالآية الأولى نزلت في كتمان الشهادة<sup>(٤)</sup> أو تخفوا الكتمان بحاسبكم به الله وهو قول الشعبي وعكرمة، وقال بعضهم: نزلت فيمن يتولى الكافرين دون المؤمنين، يعني وإن تعلنوا ما في أنفسكم من ولاية الكفار أو تسهروا بحاسبكم به الله، وهو قول مقاتل كما ذكر في سورة آل عمران «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين» إلى أن قال «قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله» (٢٩) — آل عمران).

(١) رواه البخاري: في الجهاد — باب ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب ٩٩/٦ ونصه: (توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير) عن عائشة.

ومسلم: في المساقاة — باب: الرهن وجوازه في الحضر والسفر برقم (١٦٠٣) ١٢٢٦/٣ عن عائشة بلفظ: (اشترى رسول الله ﷺ من يهودي طعاماً بنسيئة، فأعطاه درعاً له رهناً)، والمصنف في شرح السنة: ١٨٢/٨.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) في ب تخصيصها.

(٤) في ب معناه وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه أيها الشهود.

ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكِتَابِهِ ۚ  
 وَرُسُلِهِ ۚ لَا تَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانُكَ رَبَّنَا  
 وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا  
 اكْتَسَبَتْ ۚ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا  
 حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۚ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ  
 لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

وذهب الأكثرون إلى أن الآية عامة ثم اختلفوا فيها فقال قوم: هي منسوخة بالآية التي بعدها<sup>(١)</sup>.

والدليل عليه ما أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى  
 الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أنا مسلم بن الحجاج، حدثني محمد بن المنهال الضرير  
 وأمية بن بسطام العيشي واللفظ له قالوا: أخبرنا يزيد بن زريع أنا روح وهو ابن القاسم عن العلاء عن أبيه  
 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما أنزل الله على رسوله ﷺ «لله ما في السموات وما في الأرض وإن  
 تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» الآية قال: اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ  
 فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله ﷺ كُلفنا من الأعمال ما نطيع:  
 الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيعها قال رسول الله ﷺ: «أتريدون  
 أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا، بل قولوا ﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك  
 المصير﴾ فلما قرأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ  
 وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَأَطَعْنَا  
 غُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا  
 إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا  
 تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قال نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال نعم  
 ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال نعم<sup>(٢)</sup>.

وروى سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما بمعناه<sup>(٣)</sup>، وقال في كل ذلك: قد فعلت، بدل

(١) انظر: النسخ والنسخ لأبي القاسم بن سلامة ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) رواه مسلم في الإيمان، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق، برقم (١٩٩) ١١٥/١.

(٣) انظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق برقم (٢٠٠) ١١٦/١.

قوله نعم، وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وإليه ذهب محمد بن سيرين ومحمد ابن كعب وقتادة والكلبي.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصفهاني، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه، أخبرنا يعقوب بن يوسف القزويني، أخبرنا القاسم بن الحكم العربي، أخبرنا مسعر بن كدام عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل تجاوز عن أمتي ما وسوست به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به»<sup>(١)</sup>.

وقال بعضهم الآية غير منسوخة لأن النسخ لا يرد على الأخبار إنما يرد على الأمر والنهي وقوله ﴿يَحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ خير لا يرد عليه النسخ، ثم اختلفوا في تأويلها فقال قوم: قد أثبت الله تعالى للقلب كسباً فقال «بما كسبت قلوبكم» (٢٢٥ — البقرة) فليس لله عبدٌ أسرَّ عملاً أو أعلنه من حركة من جوارحه أو همسة في قلبه إلا يخبره الله به ويحاسبه عليه ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء، وهذا معنى قول الحسن يدل عليه قوله تعالى «إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا» (٣٦ — الإسراء) وقال الآخرون: معنى الآية أن الله عز وجل يحاسب خلقه بجميع ما أبدوا من أعمالهم أو أخفوه ويعاقبهم عليه، غير أن معاقبته على ما أخفوه مما لم يعلموه بما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب والأمور التي يحزنون عليها وهذا قول عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال: «يا عائشة هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى الشوكة والبضاعة يضعها في كفه فيفقدوها فيروغ لها حتى إن المؤمن يخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر من الكير»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني أخبرنا أبو جعفر الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أخبرنا عبد الله بن صالح، حدثني الليث، حدثني يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن سنان عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا» وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عليه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري: في الإيمان — باب: إذا حث ناسياً ٥٤٩/١١ وفي العتق والطلاق.

ومسلم: في الإيمان — باب: تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر برقم (٢٠٢) ١١٦/١ — ١١٧. والمصنف في شرح السنة: ١٠٨/١.

(٢) رواه الترمذي في تفسير سورة البقرة ٣٣٨/٨ وقال: هذا حديث حسن غريب من حديث عائشة لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة، وأبو داود الطيالسي في مسنده ص (٢٢١).

وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم.

وأحمد ٢١٨/٦ عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه الترمذي: في الزهد — باب في الصبر على البلاء ٧٧/٧ وقال: هذا حديث حسن غريب.

والمصنف في شرح السنة: ٢٤٥/٥.

ورواه الطبراني وفيه عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبيد الله العرزمي وهو ضعيف — مجمع الزوائد ١٠/١٩١ — ١٩٢. ميزان الاعتدال ٥٨٥/٢.

وقال بعضهم ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم﴾ يعني ما في قلوبكم مما عزمتم عليه ﴿أو تخفوه بحاسبكم به الله﴾ ولا تبدوه وأنتم عازمون عليه يحاسبكم به الله فأما ما حدثت به أنفسكم مما لم تعزموا عليه فإن ذلك مما لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ولا يؤاخذكم به، دليله قوله تعالى «لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم» (٢٢٥ - البقرة).

وقال عبد الله بن المبارك: قلت لسفيان: أيؤاخذ العبد بالهمة قال: إذا كان عزمًا أخذ بها، وقيل معنى المحاسبة الإخبار والتعريف، ومعنى الآية: وإن تبدوا ما في أنفسكم فعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله ويجزيكم به ويعرفكم إياه، ثم يغفر للمؤمنين إظهاراً لفضله، ويعذب الكافرين إظهاراً لعدله، وهذا معنى قول الضحاك، ويروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، يدل عليه أنه قال: يحاسبكم به الله ولم يقل يؤاخذكم به، والمحاسبة غير المؤاخذه والدليل عليه ما أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي الزرادي، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب، أنا عيسى بن أحمد العسقلاني، أنا يزيد بن هارون، أنا همام بن يحيى/ عن قتادة عن صفوان بن محرز قال: كنت آخذاً بيد عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فأتاه رجل فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في التجوى؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى يدين المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه يستره من الناس فيقول: أي عبدي أتعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: نعم أي رب ثم يقول أي عبدي تعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك، قال فإني سترتها عليك في الدنيا وقد غفرتها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين»<sup>(١)</sup> (١٨ - هود).

قوله تعالى: ﴿فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ رفع الرء والياء أبو جعفر وابن عامر وعاصم ويعقوب وجزمهما الآخرون، فالرفع على الابتداء والجزم على النسق، روى طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما، فيغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير، «لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون والله على كل شيء قدير» (٢٣٠ - الانبياء).

قوله تعالى: ﴿آمن الرسول﴾ أي صدق ﴿بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله﴾ يعني كل واحد منهم، ولذلك وحّد الفعل ﴿وملائكته وكتبه ورسله﴾ قرأ حمزة والكسائي: كتابه، على الواحد يعني القرآن، وقيل معناه الجمع وإن ذكر بلفظ التوحيد كقوله تعالى: «فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب» (٢١٣ - البقرة) وقرأ الآخرون وكتبه بالجمع كقوله تعالى: «وملائكته وكتبه ورسله» (١٣٦ - النساء)، ﴿لانفرق بين أحد من رسله﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت

(١) رواه البخاري: في المظالم - باب: قوله تعالى (الا لعنة الله على الظالمين) ٩٦/٥.



اليهود والنصارى، وفيه إضمار تقديره يقولون لا نفرق، وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء فيكون خبراً عن الرسول، أو معناه لا يفرق الكل وإنما قال «بين أحد» ولم يقل بين آحاد لأن الأحد يكون للواحد والجمع قال الله تعالى: «فما منكم من أحد عنه حاجزين» (٤٧ — الحاقة) ﴿وقالوا سمعنا﴾ قولك ﴿وأطعنا﴾ أمرك.

روى عن حكيم عن جابر رضي الله عنهما أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ حين نزلت هذه الآية: إن الله قد أثنى عليك وعلى أمتك فسل تعطه، فسأل بتلقين الله تعالى فقال ﴿غفرانك﴾<sup>(١)</sup> وهو نصب على المصدر أي اغفر غفرانك، أو نسألك غفرانك ﴿ربنا وإليك المصير﴾ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴿ظاهر الآية قضاء الحاجة، وفيها إضمار السؤال كأنه قال: وقالوا لا تكلفنا إلا وسعنا، وأجاب أي لا يكلف الله نفساً إلا وسعها أي طاقتها، والوسع: اسم لما يسع الإنسان ولا يضيق عليه، واختلفوا في تأويله فذهب ابن عباس رضي الله عنه وعطاء وأكثر المفسرين إلى أنه أراد به حديث النفس الذي ذكر في قوله تعالى ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾ كما ذكرنا، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هم المؤمنون خاصة، وسع عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم فيه إلا ما يستطيعون كما قال الله تعالى: «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» (١٨٥ — البقرة) وقال الله تعالى: «وما جعل عليكم في الدين من حرج» (٧٨ — الحج) وسئل سفيان بن عيينة عن قوله عز وجل ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ قال: إلا يسرها ولم يكلفها فوق طاقتها، وهذا قول حسن لأن الوسع ما دون الطاقة.

قوله تعالى: ﴿لها ما كسبت﴾ أي للنفس ما عملت من الخير، لها أجره وثوابه ﴿وعليها ما اكتسبت﴾ من الشر وعليها وزره ﴿ربنا لا تؤاخذنا﴾ أي لا تعاقبنا ﴿إن نسينا﴾ جعله بعضهم من النسيان الذي هو السهو، قال الكلبي كانت بنو إسرائيل إذا نسوا شيئاً مما أمروا به أو أخطؤوا عجلت لهم العقوبة، فحرم عليهم من شيء من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب، فأمر الله المؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك، وقيل هو من النسيان الذي هو الترك كقوله تعالى: «نسوا الله فنسيهم» (٦٧ — التوبة).

قوله تعالى: ﴿أو أخطأنا﴾ قيل معناه القصد والعمد يقال: أخطأ فلان إذا تعمد، قال الله تعالى: «إن قتلهم كان خطأ كبيراً» (٣١ — الإسراء) قال عطاء: إن نسينا أو أخطأنا يعني: أن جهلنا أو تعمدنا، وجعله الأكثر من الخطأ الذي هو الجهل والسهو، لأن ما كان عمداً من الذنب فغير معفو عنه بل هو في مشيئة الله، والخطأ معفو عنه قال النبي ﷺ: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما

(١) أخرج الطبري وسعيد بن منصور وابن أبي حاتم عن حكيم بن جابر قال: لما نزلت آمن الرسول، قال جبريل للنبي ﷺ: إن الله عز وجل قد أحسن الثناء عليك وعلى أمتك فسل تعطه، فسأل: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) حتى ختم السورة بمسألة محمد ﷺ انظر تفسير الطبري: ١٢٩/٦ والدر المنثور: ١٣٣/٢.

استكروها عليه»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾ أي عهداً ثقيلاً وميثاقاً لا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ يعني اليهود، فلم يقوموا به فعذبته، هذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والسدي والكلبي وجماعة يدل عليه قوله تعالى: «وأخذتم على ذلكم إصري» (٨١ — آل عمران) أي عهدي، وقيل: معناه لا تشدد ولا تغلظ الأمر علينا كما شددت على من قبلنا من اليهود، وذلك أن الله فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم بأداء ربع أموالهم في الزكاة ومن أصاب ثوبه نجاسة قطعها ومن أصاب ذنباً أصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحوها من الأثقال والأغلال، وهذا معنى قول عثمان وعطاء ومالك بن أنس وأبي عبيدة وجماعة يدل عليه قوله تعالى: «ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم» (١٥٧ — الأعراف) وقيل: الإصر ذنب لا توبة له، معناه اعصمنا من مثله، والأصل فيه العقل والإحكام.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَالًا طَاقَةً لَنَا بِهِ﴾ أي لاتلكننا من الأعمال مالا نطبقه وقيل هو حديث النفس والوسوسة حكى عن مكحول أنه قال: هو الغلظة، قيل الغلظة: شدة الشهوة، وعن إبراهيم قال: هو الحب، وعن محمد بن عبد الوهاب قال: العشق وقال ابن جريج: هو مسخ القردة والخنازير وقيل هو شماتة الأعداء، وقيل: هو الفرقة والقطيعة نعوذ بالله منها.

قوله تعالى: ﴿وَاَعْفُ عَنَّا﴾ أي تجاوز وآمخ عنا ذنوبنا ﴿وَاعْفِرْ لَنَا﴾ استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا ﴿وَارْحَمْنَا﴾ فإننا لانال العمل إلا بطاعتك، ولا نترك معصيتك إلا برحمتك ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ ناصرنا وحافظنا ووليننا ﴿فَانصِرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل ﴿غُفْرَانِكَ رَبَّنَا﴾ قال الله تعالى «قد غفرت لكم» وفي قوله لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا قال: «لا أوأخذكم» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾ قال: «لا أحمل عليكم إصرًا» ﴿وَلَا تَحْمِلْنَا مَالًا طَاقَةً لَنَا بِهِ﴾ قال: «لا أحملكم» ﴿وَاَعْفُ عَنَّا﴾ إلى آخره قال «قد عفوت عنكم، وغفرت لكم، ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين»<sup>(٢)</sup>. وكان معاذ بن جبل إذا ختم سورة البقرة قال: آمين.

(١) لقد اشتهر بهذا اللفظ في كتب الفقه والأصول والمعروف مأخرجه ابن ماجة في كتاب الطلاق باب طلاق المكره والناسي من طريق الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن عطاء عن ابن عباس بلفظ: (إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكروها عليه) رجاله كلهم ثقات ولكن يوجد فيه انقطاع بين ابن عباس وعطاء وأشار إلى هذا البصري في الزوائد فقال إسناده صحيح إن سلم من الانقطاع وقد ورد بألفاظ أخرى يقوي بعضها بعضاً.

انظر لإرواء الغليل بتحقيق الشيخ الألباني ١٢٣/١ والمعتبر في تخرج أحاديث المنهاج، والمختصر للزركشي ص ١٥٤.

(٢) ذكره الطبري عند تفسير الآية: ١٤٢/٦ — ١٤٣ وانظر تعليق محمود شاكر في الحاشية.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، أنا إبراهيم ابن محمد بن سفيان، أنا مسلم بن الحجاج، أنا أبو بكر بن أبي شيبة / أنا أبو أسامة حدثني مالك بن معول عن الزبير بن عدي عن طلحة بن علي بن مصرف عن مرة عن عبد الله قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدره المنتهى وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يُعْرَجُ به من الأرض فيَقْبَضُ منها، وإليها ينتهي ما يُهْبَطُ به فوقها فيَقْبَضُ منها قال: «إذ يغشى السدره ما يغشى» (١٦ — النجم) قال: فراش من ذهب قال: وأعطني رسول الله ﷺ ثلاثاً: الصلوات الخمس وأعطني خواتيم سورة البقرة، وغُفِرَ لمن لا يشرك بالله من أمته شيئاً من المُقَحَّمَاتِ<sup>(١)</sup> كبائر الذنوب.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين الإسفرايني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ، أنا يونس وأحمد بن شيبان قالوا: ثنا سفيان بن عيينة عن منصور عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد عن أبي مسعود رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كَفَتَا»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، أنا أبو جعفر الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، أنا العلاء بن عبد الجبار، أنا حماد بن سلمة، أخبرنا الأشعث بن عبد الرحمن الجرمي، عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا تقرأن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب في ذكر سدره المنتهى، برقم (١٧٣): ١٥٧/١.

(٢) رواه البخاري: في المغازي — باب: رقم ١٢ — ٣١٧/٧ — ٣١٨ وفي فضائل القرآن.

ومسلم: في صلاة المسافرين — باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة برقم (٢٥٥) و (٢٥٦) ٥٥٤/١ — ٥٥٥.

والمصنف في شرح السنة: ٤/٤٦٤، واختلف في معناه فقل: أجزأته عن قيام الليل، وقيل: كفتاه أجراً وفضلاً، وقيل: كفتاه من كل شيطان أو من كل آفة.

(٣) رواه الترمذي. في ثواب القرآن — باب: ما جاء في آخر سورة البقرة: ١٩٠/٨ وقال: هذا حديث غريب.

وابن حبان: في التفسير — تفسير سورة البقرة برقم (١٧٢٦) ص ٤٢٧ من موارد الظمان.

وأحمد: ٢٧٤/٤ عن النعمان بن بشير.

والدارمي: في الفضائل — باب: فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي: ٤٤٩/٢.

والمصنف في شرح السنة: ٤/٤٦٧ — وقال: هذا حديث غريب — انظر حاشية شرح السنة.

# نفس البغوي

«معالم التنزيل»

للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي  
( المتوفى - ٥١٦هـ )

المجلد الثامن

حققه وخج أحاديثه

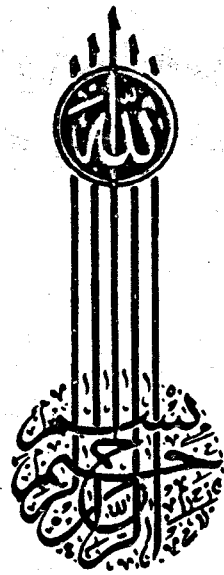
محمد عبد الله النمر    عثمان جمعة حميدة    سليمان مسلم الحارثي



دار طيبة للنشر والتوزيع

الرياض - شارع عسير - ص. ب : ٧١١٢

هاتفون : ٤٧٥٤٩٣٧ / ٤٧٥٩٧٤٠



نَفْسِ الْبَغْوِي

«مَعَالِمُ النَّزِيلِ»

مفتوح الإبريق محفوظ

١٤١٢ هـ

سورة الواقعة





## سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعِنِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾، إذا قامت القيامة . وقيل: إذا نزلت صيحة القيامة، وهي النفخة الأخيرة .

﴿لَيْسَ لَوْعِنِهَا﴾، لمجيئها، ﴿كَاذِبَةٌ﴾، كذب، كقوله: «لا تسمع فيها لاغية» (الغاشية - ١١)، أي: لغو، يعني أنها تقع صدقاً وحقاً . و«الكاذبة» اسم كالعافية والنازلة .

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾، تخفض أقواماً إلى النار وترفع آخرين إلى الجنة . وقال عطاء عن ابن عباس: تخفض أقواماً كانوا في الدنيا مرتفعين، وترفع أقواماً كانوا في الدنيا مستضعفين<sup>(٢)</sup> .

﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾، حركت وزلزلت زلزلاً، قال الكلبي: إن الله إذا أوحى إليها اضطربت فرقاً . قال المفسرون: ترج كما يرج الصبي في المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما عليها من الجبال وغيرها<sup>(٣)</sup> . وأصل «الرج» في اللغة: التحريك، يقال: رججته فارتج .

﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾، [قال عطاء ومقاتل ومجاهد]<sup>(٤)</sup>: قُتَّتْ قُتًّا فَصَارَتْ كَالدَّقِيقِ الْمَبْسُوسِ وهو المبلول . قال سعيد بن المسيب والسدي: كسرت كسراً . وقال الكلبي: سيرت على وجه

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: نزلت سورة الواقعة بمكة . انظر: الدر المنثور: ٣/٨ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٤/٨ لسعيد بن منصور وابن المنذر وأبي الشيخ في «العظمة» عن محمد بن كعب، وكذلك عند ابن كثير: ٢٨٣/٤، وعند القرطبي: ١٩٥/١٧ .

(٣) انظر: القرطبي: ١٩٦/١٧ .

(٤) ساقط من «أ» .

فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾

الأرض تسيراً . قال الحسن: قلعت من أصلها فذهبت، نظيرها: «فقل ينسفها ربي نسفاً» (طه - ١٠٥)، قال ابن كيسان جعلت كثيراً مهياً بعد أن كانت شاذجة طويلة .

﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾، غباراً متفرقاً كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل الكوة، وهو الهباء .

﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا﴾، أصنافاً، ﴿ثَلَاثَةً﴾، ثم فسرهما فقال:

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾، هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وقال ابن عباس: هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه، وقال الله تعالى لهم: هؤلاء في الجنة ولا أبالي<sup>(١)</sup> . وقال الضحاك: هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم . وقال الحسن والربيع: هم الذين كانوا ميامين مباركين على أنفسهم، وكانت أعمارهم في طاعة الله وهم التابعون بإحسان<sup>(٢)</sup>، ثم عجب نبيه ﷺ، فقال: ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾، وهذا كما يقال: زيد ما زيد! يراد زيد شديد .

﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾، يعني أصحاب الشمال، والعرب تسمى اليد اليسرى الشؤمي، ومنه يسمى الشام واليمن، لأن اليمن عن يمين الكعبة والشام عن شمالها، وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار .

وقال ابن عباس: هم الذين كانوا على شمال آدم عند إخراج الذرية وقال الله لهم: هؤلاء في النار ولا أبالي . وقال الضحاك: هم الذين يؤتون كتبهم بشماهم. وقال الحسن: هم المشائم على أنفسهم وكانت أعمارهم في المعاصي<sup>(٣)</sup> .

﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾، قال ابن عباس: السابقون إلى الهجرة هم السابقون في الآخرة . وقال عكرمة: السابقون إلى الإسلام . قال ابن سيرين: هم الذين صلّوا إلى القبلتين<sup>(٤)</sup>، دليله: قوله:

(١) انظر: القرطبي: ١٧/١٩٨ .

(٢) انظر: البحر المحيط: ٢٠٤/٨، القرطبي: ١٧/١٩٨ .

(٣) انظر: البحر المحيط: ٢٠٤/٨ .

(٤) أخرجه الطبري: ١٧١/٢٧، وانظر: البحر المحيط: ٢٠٥/٨ .

أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾

«والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار» (التوبة - ١٠٠) .

قال الربيع بن أنس: السابقون إلى إجابة الرسول ﷺ في الدنيا هم السابقون إلى الجنة في العقبى .

وقال مقاتل: إلى إجابة الأنبياء بالإيمان<sup>(١)</sup> .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: إلى الصلوات الخمس . وقال الضحاك: إلى الجهاد<sup>(٢)</sup> .

وقال سعيد بن جبير: هم المسارعون إلى التوبة وإلى أعمال البر<sup>(٣)</sup> . قال الله تعالى: «سابقوا إلى مغفرة من ربكم» (الحديد - ٢١)، «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم» (آل عمران - ١٣٣) . ثم أثنى عليهم فقال: «أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون»، قال ابن كيسان: والسابقون إلى كل ما دعا الله إليه .

وروي عن كعب: قال: هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة . وقيل: هم أولهم رواحاً إلى المسجد وأولهم خروجاً في سبيل الله<sup>(٣)</sup> . وقال القرطبي: إلى كل خير .

﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾، من الله، ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ \* ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾، أي من الأمم الماضية من لدن آدم عليه السلام إلى زمان نبينا ﷺ والثلة: جماعة غير محصورة العدد .

﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾، يعني من هذه الأمة، قال الزجاج: الذين عاينوا جميع النبيين من لدن آدم عليه الصلاة والسلام وصدقوهم، أكثر ممن عاين النبي ﷺ .

﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾، منسوجة كما توضع حلق الدرع فيدخل بعضها في بعض . قال المفسرون: هي موصولة منسوجة بالذهب والجواهر . وقال الضحاك: موضونة مصفوفة .

﴿مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾، لا ينظر بعضهم في قفا بعض .

(١) انظر: البحر المحيط: ٢٠٥/٨ .

(٢) انظر: القرطبي: ١٩٩/١٧ .

(٣) انظر: الطبري: ١٧١/٢٧، ابن كثير: ٢٨٤/٤ .

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهْةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ، للخدمة، ﴿وِلْدَانٌ﴾، [غلمان] <sup>(١)</sup>، ﴿مُخَلَّدُونَ﴾، لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون. وقال الفراء: [تقول العرب لمن كبير ولم يشمط: إنه مخلد] <sup>(٢)</sup>.

قال ابن كيسان: يعني ولدانا لا يحولون من حالة إلى حالة.

قال سعيد بن جبیر: مقرطون، يقال: خلد جاريته إذا حلاها بالخلد، وهو القُرط <sup>(٣)</sup>.

قال الحسن: هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها لأن الجنة لا ولادة فيها فهم خدام أهل الجنة <sup>(٤)</sup>.

﴿بأكواب وأباريق﴾، فالأكواب: جمع كوب، وهي الأقداح المستديرة الأفواه، لا آذان لها ولا عُرى، والأباريق وهي: ذوات الخراطيم، سميت أباريق لبريق لونها من الصفاء. ﴿وكأس من مَعِينٍ﴾، خمر جارية. ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾، لا تصدع رؤوسهم من شربها، ﴿وَلَا يُنْزَفُونَ﴾، أي لا يسكرون [هذا إذا قرئ بفتح الزاي، ومن كسر فمعناه لا ينفد شراهم] <sup>(٥)</sup>.

﴿وفاكهة مما يتخيرون﴾، يختارون ما يشتهون يقال تخيرت الشيء إذا أخذت خيره.

﴿ولحم طير مما يشتهون﴾، قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلاً بين يديه على ما اشتهى، ويقال إنه يقع على صحيفة الرجل فيأكل منه ما يشتهي ثم يطير فيذهب.

﴿وحور عِين﴾، قرأ أبو جعفر، وحمزة والكسائي: بكسر الراء والنون، أي: وبحور عِين، أتبعه قوله: «بأكواب وأباريق»، «وفاكهة ولحم طير» في الإعراب وإن اختلفا في المعنى، لأن الحور لا يطاف بهن، كقول الشاعر:

إذا ما الغايات برزْنَ يوماً وزجَّجنَ الحواجِبَ والعُيونَا <sup>(٦)</sup>

(١) ساقط من «أ». .

(٢) معاني القرآن للفراء: ١٢٢/٣ وفيه: «والعرب تقول للرجل إذا كبير ولم يشمط: إنه مخلد».

(٣) انظر: البحر المحيط: ٢٠٥/٨، القرطبي: ٢٠٢/١٧.

(٤) انظر: القرطبي: ٢٠٣/١٧.

(٥) إذا قرأت (لاينزفون) بفتح الزاي فمعناها: لايسكرون، وهي القراءة التي قرأ بها البغوي. وإلا فمعناها-بالكسر-لاينفد شراهم.

(٦) البيت للراعي التميري، انظر: معاني القرآن للفراء: ١٢٣/٣.

﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوكِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءُ إِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾

والعين لا تزجج وإنما تكحل، ومثله كثير . وقيل: معناه ويكرمون بفاكهة ولحم طير وهور عين .  
وقرأ الباقون بالرفع، أي: ويطوف عليهم حورّ عين . وقال الأخفش رفع على معنى لهم حور عين، وجاء في تفسيره: «حور عين» بيض ضيخام العيون .

﴿كأَمْثالِ اللَّوْلُوكِ الْمَكْنُونِ﴾، المخزون في الصدف لم تمسه الأيدي . ويروى: أنه يسطع نور في الجنة، قالوا: وما هذا؟ قالوا: ضوء ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها .

ويروى أن الحوراء إذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيا وتمجيد الأسورة من ساعديها، وإن عقد الياقوت ليضحك من نحرها، وفي رجلها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصران بالتسبيح .

﴿جَزَاءُ إِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا \* إِلَّا قِيلًا﴾، أي قولاً: ﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾، نصبيهما اتباعاً لقوله «قِيلًا» أي يسمعون قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً . قال عطاء: يحكي بعضهم بعضاً بالسلام . ثم ذكر أصحاب اليمين وعجّب من شأنهم فقال جل ذكره:

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ \* فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾، لاشوك فيه، كأنه مخضد شوكه، أي قطع ونزع منه، هذا قول ابن عباس وعكرمة<sup>(١)</sup> . وقال الحسن: لا يعقر الأيدي . قال ابن كيسان: هو الذي لا أذى فيه، قال: وليس شيء من ثمر الجنة في غلف كما يكون في الدنيا من الباقلاء وغيره بل كلها مأكول ومشروب ومشوم ومنظور إليه . قال الضحاك ومجاهد: هو الموقر حملاً<sup>(٢)</sup> . قال سعيد بن جبير: ثمارها أعظم من القلال<sup>(٣)</sup> . قال أبو العالية والضحاك: نظر المسلمون إلى وَج - وهو واد مخصب بالطائف - فأعجبهم سدرها، وقالوا: يا ليت لنا مثل هذا فأنزل الله هذه الآية<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر: الطبري: ١٧٩/٢٧ - ١٨٠، وهو قول عطاء، انظر: جزء في تفسير عطاء ص (١١٠) .

(٢) انظر: الطبري: ١٨٠/٢٧، القرطبي: ٢٠٧/١٧ .

(٣) ذكره القرطبي: ٢٠٧/١٧ .

## وَطَلِحَ مَنْضُودٌ ﴿٢٩﴾ وَظِلٌّ مَمْدُودٌ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ ﴿٣١﴾

﴿وطلح﴾، أي: موز، واحدتها طلحة، عن أكثر المفسرين . وقال الحسن: ليس هو بالموز ولكنه شجر له ظل بارد طيب . قال الفراء، وأبو عبيدة: الطلح عند العرب: شجر عظام لها شوك .

وروى [مجالد]<sup>(١)</sup> عن الحسن بن سعد قال: قرأ رجل عند علي رضي الله عنه: «وطلح منضود»، فقال: وما شأن الطلح؟ إنما هو: طلع منضود، ثم قرأ: «طلعها هضم»، قلت: يا أمير المؤمنين إنها في المصحف بالحاء أفلا تحوها؟ فقال: إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول<sup>(٢)</sup> .

و«المنضود» المتراكم الذي قد نضد بالحمل من أوله إلى آخره، ليست له سوق بارزة: قال مسروق أشجار الجنة من عروقها إلى أفنانها ثمر كله .

﴿وظلٌّ ممدودٌ﴾، دائم لاتنسخه الشمس والعرب تقول للشيء الذي لا ينقطع: ممدود . أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، حدثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمي، حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال : حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»<sup>(٣)</sup> .

وروى عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿وظلٌّ ممدودٌ﴾، قال: شجرة في الجنة على ساقٍ يخرج إليها أهل الجنة فيتحدثون في أصلها ويشتهي بعضهم هو الدنيا فيرسل الله عز وجل عليها ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل هو في الدنيا<sup>(٤)</sup> .

﴿وماءٍ مسكوبٍ﴾، مصبوب يجري دائماً في غير أخدود لا ينقطع/

ب/١٥٠

(١) في «ب» مجاهد .

(٢) أخرجه الطبري: ١٨٠/٢٧-١٨١، وابن الأباري في «المصاحف» كنز العمال: ٥١٩/٢، وعزاه ابن كثير: ٢٨٩/٤ لابن أبي حاتم ختصراً .

وهي رواية غير صحيحة كما تبين على ذلك الطبري: وكيف يقرأ أمير المؤمنين كرم الله وجهه تحريفاً في كتاب الله تعالى المتداول بين الناس؟ أو كيف يظن بأن ثقل القرآن الكريم ورواته وكتابه من قبل تعمّدوا ذلك أو غفلوا عنه؟ هذا، والله تعالى قد تكفل بحفظه . سبحانه هذا بهتان عظيم .

انظر: روح المعاني للآلوسي: ١٤١/٢٧ .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: ٤١٧/١١، والبحاري في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة: ٣١٩/٦-٣٢٠، ومسلم في الجنة، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها برقم: (٢٨٢٦): ٢١٧٥/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٠٧/١٥ .

(٤) عزاه الحافظ ابن كثير: ٢٩٠/٤-٢٩١ لابن أبي حاتم، وقال: «هذا أثر غريب، وإسناده جيد قوي حسن» .

وَفَكْهَةٌ كَثِيرَةٌ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ ﴿٣٣﴾ وَفُرْشٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً  
﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾

﴿وفاكهة كثيرة \* لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾، قال ابن عباس: لا تنقطع إذا جنبت، ولا تمتنع من أحدٍ أراد أخذها . وقال بعضهم: لا مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان، كما ينقطع أكثر ثمار الدنيا إذا جاء الشتاء، ولا يتوصل إليها إلا بالثمن . وقال القتيبي: يعني لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا .

وجاء في الحديث: «ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة إلا أبدل الله مكانها ضعفين»<sup>(١)</sup> .

﴿وفُرْشٌ مَرْفُوعَةٌ﴾، قال علي: «وفرش مرفوعة» على الأسرة . وقال جماعة من المفسرين: بعضها فوق بعض فهي مرفوعة عالية .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، حدثنا ابن حبيش، حدثنا أبو عبد الرحمن النسائي، حدثنا أبو كريب، حدثنا رشدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث عن ذراج أبي السمح، عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: «وفرش مرفوعة» قال: «إن ارتفاعها لكما بين السماء والأرض، وإن ما بين السماء والأرض لمسيرة خمسمائة عام»<sup>(٢)</sup> .

وقيل: أراد بالفرش النساء، والعرب تسمي المرأة فراشاً ولباساً على الاستعارة، «مرفوعة» رفعن بالجمال والفضل على نساء الدنيا، دليل هذا التأويل قوله في عقبه:

﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً﴾، خلقناهن خلقاً جديداً، قال ابن عباس: يعني الآدميات العجز الشمط، يقول خلقناهن بعد الهرم خلقاً آخر .

﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾، عذارى .

(١) انظر: مجمع الزوائد: ٤١٤/١٠ .

(٢) أخرجه الترمذي في صفة الجنة، باب ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة: ٢٤٧/٧ وقال: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد، وقال بعض أهل العلم في تفسير هذا الحديث: معناه أن الفرش في الدرجات، وبين الدرجات كما بين السماء والأرض»، والإمام أحمد في المسند: ٧٥/٣، الطبري: ١٨٥/٢٧، وعزاه المنذري في الترغيب والترهيب: ٥٣٠/٤ لابن أبي الدنيا والترمذي ونقل عن الحافظ قال: «رواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي وغيرهما من حديث ابن وهب أيضاً عن عمرو بن الحارث عن ذراج» .

وضعه الألباني في تعليقه على المشكاة: ١٥٦٧/٣ .

وانظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٠/٤ .



## عُرْبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، عن الهيثم بن كليب الشاشي، أخبرنا أبو عيسى الترمذي، أخبرنا عبد بن حميد، أخبرنا مصعب ابن المقدم، أخبرنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: أتت عجوز النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: «يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز»، قال: فولت تبكي، قال: «أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: «إنا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهن أبكاراً»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الخطيب، أخبرنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور، أخبرنا أبو بكر بن محمد بن سليمان بن الحارث الواسطي ببغداد، أخبرنا خلاد بن يحيى بن صفوان السلمي، حدثنا سفيان الثوري عن يزيد بن أبان، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ في قوله: «إنا أنشأناهن إنشاءً» قال: عجائز، كن في الدنيا عمشاً رمصاً. فجعلن أبكاراً<sup>(٢)</sup>.

وقال المسيب بن شريك: هن عجائز الدنيا أنشأهن الله تعالى خلقاً جديداً كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً<sup>(٣)</sup>.

وذكر المسيب عن غيره: أنهن فضّلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا<sup>(٤)</sup>.

وقال مقاتل وغيره: هن الحور العين أنشأهن الله ، لم يقع عليهن ولادة، فجعلناهن أبكاراً عذاري، وليس هناك وجع .

﴿عُرْبًا﴾، قرأ حمزة وإسماعيل عن نافع وأبو بكر: «عُرْبًا» ساكنة الراء، الباقون بضمها وهي

(١) أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية، صفحة: (١٤١) مع شرح الباجوري وهو مرسل . وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ١٥/٨ لعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في البعث . وقال الأرنؤوط: فيه المبارك بن فضالة، وهو مدلس، وقد عنعن . انظر: شرح السنة: ١٨٣/١٣ .

(٢) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الواقعة: ١٨٣/٩ وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة، ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث»، والطبري: ١٨٥/٢٧ . وعزاه ابن كثير: ٢٩٢/٤ أيضاً لابن أبي حاتم .

(٣) انظر: القرطبي: ٢١١/١٧ .

(٤) قطعة من حديث طويل ذكره ابن كثير في التفسير عن أم سلمة: ٢٩٢/٤-٢٩٣ وعزاه للطبراني . قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٤١٨/١٠ «رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه، وفي إسنادهما سليمان بن أبي كريمة وهو ضعيف» .

جمع «عروب» أي: عواشق متحبيات إلى أزواجهن . قاله الحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير، وهي رواية الوالي عن ابن عباس .

وقال عكرمة عنه: مَلَقَة . وقال عكرمة: غَنَجَة . وقال أسامة بن زيد عن أبيه: «عرباً» حسنات الكلام .

﴿أتراباً﴾، مستويات في السن على سن واحد .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي ، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، حدثنا ابن شيبه حدثنا الفرياني عن علي بن أبي شيبة، أخبرنا يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جرذاً مردأً بيضاً جعاداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين، على خلق آدم طوله ستون ذراعاً في سبعة أذرع»<sup>(١)</sup> .

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الخلال، حدثنا عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد، حدثني عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة، وتنصب له قبة [من لؤلؤ وزبرجد وياقوت]<sup>(٢)</sup> كما بين الجابية إلى صنعاء»<sup>(٣)</sup> .

وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرأة، وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنه ليكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك»<sup>(٤)</sup> .

وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يُرَدُّون أبناء ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبداً، وكذلك أهل النار»<sup>(٥)</sup> .

(١) أخرجه الإمام أحمد: ٢/٢٩٥، ٣٤٣، ٤١٥، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم: (٨٠٧٢) .

ورواه الترمذي عن معاذ بنحوه في صفة الجنة: ٢٥٤/٧ وقال: «هذا حديث غريب» .

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

(٣) أخرجه الترمذي في صفة الجنة، باب ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة: ٢٨٤/٧ وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد» . ورشدين بن سعد ودراج كلاهما ضعيف .

والإمام أحمد: ٨٦/٣، وابن حبان في موارد الظمان برقم: (٢٦٣٨): صفحة (٦٥٦)، والمصنف في شرح السنة: ٢١٩/١٥ .

وضعه الألباني في تعليقه على المشكاة برقم: (٥٦٤٨) .

(٥٤٤) انظر: التعليق السابق .

## لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾

وهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: «إن عليهم التيجان، إن أدنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق والمغرب»<sup>(١)</sup>

أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر الخارثي، أخبرنا محمد بن يعقوب، أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، أخبرنا عبد الله بن المبارك عن محمد بن سليم عن الحجاج بن عتاب العبدي عن عبد الله بن معبد الرماني، عن أبي هريرة قال: أدنى أهل الجنة منزلة - وما منهم دنيء - لَمَنْ يَغْدُو عَلَيْهِ وَيُروح عشرة آلاف خادم، مع كل واحد منهم طريفة ليست مع صاحبه<sup>(٢)</sup>.

قوله عز وجل ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾، يريد أنشأناهم لأصحاب اليمين. ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾، من المؤمنين الذين كانوا قبل هذه الأمة. ﴿وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾، من مؤمني هذه الأمة، هذا قول عطاء ومقاتل.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد العدل، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدقاق، حدثنا محمد بن عبد العزيز، حدثنا/عيسى بن المساور، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عيسى بن موسى، عن عروة بن رويم قال: لما أنزل الله على رسوله ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ \* وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ بكى عمر رضي الله عنه، وقال: يانبي الله آمنا برسول الله ﷺ وصدقناه ومن ينجو منا قليل؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ \* وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾، فدعا رسول الله ﷺ عمر فقال: «قد أنزل الله عز وجل فيما قلت» فقال عمر رضي الله عنه: رضينا عن ربنا وتصديق نبينا، فقال رسول الله ﷺ: «من آدم إلينا ثلثة، ومني إلى يوم القيامة ثلثة، ولا يستتمها إلا سودان من رعاة الإبل ممن قال لا إله إلا الله»<sup>(٣)</sup>.

١/١٥١

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا مسدد حدثنا حصين بن نمير عن حصين بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً فقال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ

(١) انظر: التعليق السابق.

(٢) أخرجه المصنف في شرح السنة: ٢١٩/١٥٠. قال محققه: «محمد بن سليم هو أبو هلال الراسبي، فيه لين، وشيخه الحجاج ابن عتاب لم أقف له على ترجمة».

(٣) حديث مرسل، وغالب أحاديث عروة مراسيل وانظر: زاد المسير: ١٤٣/٨.

ومعه الرجل، والنبى ومعه الرجلان، والنبى معه الرهط، والنبى ليس معه أحد، ورأيت سواداً كثيراً سدّ الأفق فرجوت أن يكونوا أمتي، فقليل: هذا موسى في قومه، ثم قيل لي: انظر، فرأيت سواداً كثيراً سدّ الأفق، فقليل لي: انظر هكذا وهكذا فرأيت سواداً كثيراً سدّ الأفق، فقليل: هؤلاء أمتك، ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، فتفرق الناس ولم يبين لهم فتذاكر أصحاب النبى ﷺ فقالوا: أما نحن فولدنا في الشرك، ولكننا آمنا بالله ورسوله، ولكن هؤلاء هم أبناءنا فبلغ النبى ﷺ فقال: «هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتنون وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة ابن محصن فقال: أمنهم أنا يا رسول الله؟ فقال: نعم فقام آخر فقال: أمنهم أنا؟ قال عليه السلام: «قد سبقك بها عكاشة»<sup>(١)</sup>.

ورواه عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «عرضت على الأنبياء الليلة بأتباعها حتى أتى علي موسى عليه السلام في كبكبة بني إسرائيل فلما رأيتهم أعجبوني، فقلت: أي رب هؤلاء؟ قيل: هذا أخوك موسى ومن معه من بني إسرائيل، قلت: رب فأين أمتي؟ قيل: انظر عن يمينك، فإذا اضطراب مكة قد سدت بوجوه الرجال، قيل: هؤلاء أمتك أرضيت؟ قلت: رب رضيت، رب رضيت، قيل انظر عن يسارك، فإذا الأفق قد سدّ بوجوه الرجال، قيل: هؤلاء أمتك أرضيت؟ قلت: رب رضيت، فقليل: إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة لا حساب لهم، فقال نبى الله ﷺ إن استطعتم أن تكونوا من السبعين فكونوا، وإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الطراب، وإن عجزتم فكونوا من أهل الأفق، فإني قد رأيت ثم أناساً يتهاوشون كثيراً»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن عمرو ابن ميمون عن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ في قبة فقال: «أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قلنا: نعم، قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا: نعم، قال: والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم من أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر»<sup>(٣)</sup> (٤).

(١) أخرجه البخاري في الطب، باب من اكنوى أو كوى غيره... ١٥٥/١٠، ومسلم في الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب برقم: (٢٢٠): ١٩٩/١-٢٠٠، والمصنف في شرح السنة: ١٣٥/١٥-١٣٦.

(٢) أخرجه الإمام أحمد: ٤٠١/١، والطبري: ١٩٠/٢٧، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٤٠٦/١٠ «رواه أحمد بأسانيد والبراز أتم منه والطبراني وأبو يعلى باختصار كثير، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح».

(٣) في «الأبيض».

(٤) أخرجه مسلم في الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة برقم: (٢٢١): ٢٠٠/١-٢٠١.

وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾  
لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ  
﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾

وزهد جماعة إلى أن الثلثين جميعاً من هذه الأمة، وهو قول أبي العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك، قالوا: «ثلة من الأولين» من سابقي هذه الأمة «وثلة من الآخرين» من آخر هذه الأمة في آخر الزمان.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد الدينوري، حدثنا أحمد بن محمد بن محمد بن إسحاق السني، أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب، حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان عن أبان بن أبي عياش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية: «ثلة من الأولين \* وثلة من الآخرين» قال رسول الله ﷺ: هما جميعاً من أمتي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ \* فِي سُمُومٍ﴾، ريح حارة، ﴿وَحَمِيمٍ﴾، ماء حار، ﴿وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ﴾، دخان شديد السواد، تقول العرب: أسود يحموم إذا كان شديد السواد، وقال الضحاك: النار سوداء وأهلها سود، وكل شيء فيها أسود. وقال ابن كيسان: «اليحموم» اسم من أسماء النار.

﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾، قال قتادة: لا بارد المنزل ولا كريم المنظر. وقال سعيد بن المسيب: ولا كريم ولا حسن، نظيره «من كل زوج كريم» (الشعراء - ٧). وقال مقاتل: طيب.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾، يعني في الدنيا، ﴿مُتْرَفِينَ﴾، منعمين.

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ﴾، يقيمون ﴿عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾، على الذنب الكبير وهو الشرك. وقال الشعبي: «الحنث العظيم» اليمين الغموس. ومعنى هذا: أنهم كانوا يلحفون أنهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك.

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾، قرأ أبو جعفر، ونافع،

(١) أخرجه الطبري: ١٩/٢٧، ورواه أبو داود الطيالسي موقوفاً، ومسدد موقوفاً ومرفوعاً عن أبي بكرة، ومدار إسناديهما على علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، وله شاهد عند أحمد. ورواه الطبراني بإسنادين قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١١٩/٧: «رجال أحدهما رجال الصحيح غير علي بن زيد وهو ثقة سيء الحفظ». انظر: المطالب العالية لابن حجر: ٣٨٣/٣ مع حاشية المحقق.

أَوَّابًا وَأَنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلِ إِنْ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ  
مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْتَانَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَا كِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالُؤُنْ مِنْهَا  
الْبُطُونُ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نُزِّلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ  
﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ  
الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾

والكسائي، ويعقوب: «أثذا» مستفهماً، «إنا» بتركه، وقرأ الآخرون بالاستفهام فيهما .

﴿أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ \* قل إن الأولين والآخرين \* لجموعون إلى ميقات يوم معلوم \* ثم  
إنكم أيها الضالون المكذبون \* لا كِلُونَ من شجر من زقوم \* فمالئون منها البطون \* فشاربون  
عليه من الحميم \* فشاربون شرب الهيم﴾، قرأ أهل المدينة، وعاصم، وحزمة: «شرب» بضم الشين .  
وقرأ الباقر بفتحها وهما لغتان، فالفتح على المصدر، والضم اسم بمعنى المصدر كالضَّعْف والضَّعْف  
و«الهيم» الإبل العطاش، قال عكرمة وقتادة: الهيام: داء يصيب الإبل لا تروى معه، ولا تزال تشرب  
حتى تهلك . يقال: جمل أهيم، وناقة هيماء، والإبل هيم . وقال الضحاك وابن عيينة: «الهيم» الأرض  
السهلة ذات الرمل .

﴿هَذَا نُزِّلُهُمْ﴾، يعني ما ذكر من الزقوم والحميم، أي رزقهم وغذائهم وما أعد لهم، ﴿يَوْمَ  
الدِّينِ﴾، يوم يجازون بأعمالهم ثم احتج عليهم في البعث بقوله:

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾، قال مقاتل: خلقناكم ولم تكونوا شيئاً، وأنتم تعلمون ذلك، ﴿فَلَوْلَا﴾، ١٥١/ب  
فهلَّا ﴿تُصَدِّقُونَ﴾، بالبعث .

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾، تصبون في الأرحام من النطف .

﴿أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾، يعني أنتم تخلقون ما تمنون بشراً، ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ \* نحن قَدَرْنَا﴾، قرأ  
ابن كثير بتخفيف الدال والباقر بتشديدها وهما لغتان، ﴿بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾، قال مقاتل: فمنكم من  
يلعب الهرم ومنكم من يموت صبيّاً وشاباً . وقال الضحاك: تقديره: إنه جعل أهل السماء وأهل الأرض  
فيه سواء، فعلى هذا يكون معنى «قَدَرْنَا»: قضينا .

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾، بمغلوبين عاجزين عن إهلاككم وإبدالكم بأمثالكم فذلك قوله عزَّ

عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَىٰ  
فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ وَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ وَأَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾  
لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾

وجل: ﴿على أن يُبدِّل أَمْثَلَكُمْ﴾، يعني: نأتي بخلق مثلكم بدلاً منكم، ﴿وننشئكم﴾، نخلقكم ﴿فيما لا تعلمون﴾، من الصور، قال مجاهد: في أي خلق شئنا<sup>(١)</sup>. وقال الحسن: أي نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير، كما فعلنا بمن كان قبلكم<sup>(٢)</sup>، يعني: إن أردنا أن نفعل ذلك ما فاتنا ذلك. وقال سعيد بن المسيب: «فيما لا تعلمون» يعني: في حواصل طير سود، تكون بيرهوت كأنها الخطاطيف، وبرهوت واد باليمن<sup>(٣)</sup>.

﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾، الخلق الأولى ولم تكونوا شيئاً. ﴿فلولا تذكرون﴾، أي قادر على إعبادكم كما قدرت على إبدائكم.

﴿أفرايتم ما تحرثون﴾، يعني: تثيرون من الأرض وتلقون فيها من البذر.

﴿أنتم تزرعونونه﴾، تبتنونه، ﴿أم نحن الزارعون﴾، المنبتون.

﴿لو نشاء لجعلناه حطاماً﴾، قال عطاء: تبناً لاقمح فيه، وقيل: هشيماً لا ينتفع به في مطعم وغذاء، ﴿فظلمتم﴾، وأصله: فظلمتم، حذفت إحدى اللامين تخفيفاً. ﴿تفكَّهُون﴾، تتعجبون بما نزل بكم في زرعكم، [وهو قول عطاء والكلبي ومقاتل. وقيل تندمون على نفقاتكم]<sup>(٤)</sup>، وهو قول يمان، نظيره: «فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها» (الكهف - ٤٢)، وقال الحسن: تندمون على ما سلف منكم من المعصية التي أوجبت تلك العقوبة. وقال عكرمة: تتلاومون. وقال ابن كيسان: تحزنون. قال الكسائي: هو تلهف على ما فات، وهو من الأضداد، تقول العرب: «تفكَّهت» أي: تنعمت و«تفكَّهت» أي: حزنت.

﴿إنا لمُغْرَمُونَ﴾، قرأ أبو بكر عن عاصم «أثنا» بهزتين، وقرأ الآخرون على الخبر، ومجاز الآية: فظلمتم تفكَّهُون وتقولون إنا لمغرمون. وقال مجاهد وعكرمة لمولع بنا. وقال ابن عباس

(١) أخرجه الطبري: ١٩٧/٢٧، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٢٣/٨ عزوه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) انظر: البحر المحيط: ٢١١/٨، القرطبي: ٢١٧/١٧.

(٣) انظر: القرطبي: ٢١٧/١٧.

(٤) ما بين القوسين ساقط من الآية.

بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾

وقتادة: معذبون، والغرام العذاب . وقال الضحاك وابن كيسان: غرنا أموالنا وصار ما أنفقنا غراماً علينا، والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض، وهو قوله:

﴿بل نحن محرومون﴾، محدودون ممنوعون، أي: حرمانا ما كنا نطلبه من الربيع في الزرع .  
 ﴿أفرايتم الماء الذي تشربون \* أنتم أنزلتموه من المزن﴾، السحاب، واحداً منها: مزنة،  
 ﴿أم نحن المنزلون \* لو نشاء جعلناه أجاجاً﴾، قال ابن عباس: شديد الملوحة، قال الحسن: مراً .  
 ﴿فلولا تشكرون﴾ .

﴿أفرايتم النار التي تؤرون﴾، تقدحون وتستخرجون من زئدكم .

﴿أنتم أنشأتم شجرتها﴾، التي تقدح منها [النار]<sup>(١)</sup>، وهي المرخ والعفار، ﴿أم نحن المنشئون \* نحن جعلناها تذكرة﴾، [يعني نار الدنيا]<sup>(٢)</sup>، تذكرة للنار الكبرى إذا رآها الراي ذكر جهنم، قاله عكرمة ومجاهد ومقاتل . وقال عطاء: موعظة يتعظ بها المؤمن .

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد الفقيه، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك، عن أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»، قالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: «فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً»<sup>(٣)</sup> .

﴿ومتاعاً﴾، بُلغة ومنفعة، ﴿للمقوين﴾، المسافرين، و«المقوي»: النازل في الأرض والقي والقوا هو: القفر الخالية البعيدة من العمران، يقال: أقوت الدار إذا خلت من سكانها. والمعنى: أنه يتنفع

(١) ساقط من «أ»

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ كتاب جهنم، باب ما جاء في صفة جهنم: ٩٩٤/٢، والبخاري في بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة: ٣٣٠/٦، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم برقم: (٢٨٤٣): ٢١٨٤/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٣٩/١٥ .



فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ \* فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾

بها أهل البوادي والأسفار، فإن منفعتهم بها أكثر من منفعة المقيم وذلك أنهم يوقدونها ليلاً لتهرب منهم السباع ويهتدي بها الضلال وغير ذلك من المنافع، هذا قول أكثر المفسرين .

وقال مجاهد وعكرمة: «المقوين» يعني للمستمتعين بها من الناس أجمعين، المسافرين والحاضرين، يستضيئون بها في الظلمة ويصطلون من البرد، ويتفتنون بها في الطبخ والخبز .

قال الحسن: بُلغة للمسافرين، يتبلغون بها إلى أسفارهم، يحملونها في الخرق والجوايق .

وقال ابن زيد: للجائعين، تقول العرب: أقويت منذ كذا وكذا، أي: ما أكلت شيئاً .

قال قطرب: «المقوي» من الأضداد، يقال للفقير: مقوٍ لخلوه من المال، ويقال للغني: مقوٍ لقوته على ما يريد، يقال: أقوى الرجل إذا قويت دوابه وكثر ماله، وصار إلى حالة القوة . والمعنى أن فيها متاعاً للأغنياء والفقراء جميعاً لا غنى لأحد عنها .

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ .

قوله عز وجل: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾، قال أكثر المفسرين: معناه: أقسم، و«لا» صلة، وكان عيسى بن عمر يقرأ: فَلَا قَسِمٍ، على التحقيق . وقيل: قوله «فلا» رد لما قاله الكفار في القرآن إنه سحر وشعر وكهانة، معناه: ليس الأمر كما يقولون، ثم استأنف القسم، فقال: ﴿أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ . قرأ حمزة والكسائي: «بموقع» على التوحيد . وقرأ الآخرون بمواقع على الجمع . قال ابن عباس: أراد نجوم القرآن، فإنه كان ينزل على رسول الله ﷺ متفرقاً نجوماً . وقال جماعة من المفسرين: أراد مغارب النجوم ومساقطها . وقال عطاء بن أبي رباح: أراد منازلها . وقال الحسن: أراد انكدارها وانتشارها يوم القيامة .

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعْلَمُونَ عَظِيمٌ \* إِنَّهُ﴾، يعني هذا الكتاب وهو موضع القسم . ﴿لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾، عزيز مكرم لأنه كلام الله . قال بعض أهل المعاني: الكريم الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير .

﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾، مصون عند الله في اللوح المحفوظ، محفوظ من الشياطين .

## لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾

﴿لَا يَمَسُّهُ﴾، أي ذلك الكتاب المكنون، ﴿إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾، وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة، يروى هذا عن أنس، وهو قول سعيد بن جبير، وأبي العالية، وقتادة وابن زيد: أنهم الملائكة، وروى حسان عن الكلبي قال: هم السفرة الكرام البررة .

وروى محمد بن الفضيل/عنه لا يقرؤه إلا الموحّدون . قال عكرمة: وكان ابن عباس ينهى أن يمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن .

قال الفراء: لا يجذ طعمه و نفعه إلا من آمن به <sup>(١)</sup> .

وقال قوم: معناه لا يمسّه إلا المطهرون من الأحداث والجنابات، وظاهر الآية نفّي ومعناها نهى، قالوا: لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا المحدث حمل المصحف ولا مسّه، وهو قول عطاء، وطاووس، وسالم، والقاسم، وأكثر أهل العلم، وبه قال مالك والشافعي .

وقال الحكم، وحامد، وأبو حنيفة: يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسّه .

والأول قول أكثر الفقهاء .

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمر بن حزم أن لا يمس القرآن إلا طاهر <sup>(٢)</sup> .

والمراد بالقرآن: المصحف، سماه قرآناً على قرب الجوار والاتساع . كما روي أن رسول الله ﷺ: «نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو» <sup>(٣)</sup> . وأراد به المصحف .

(١) معاني القرآن للفراء: ١٣٠/٣ .

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب القرآن، باب الأمر بالوضوء لمن مس القرآن: ١٩٩/١ . وقال ابن عبد البر: «لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث. وقد روي مسنداً من وجه صالح. وهو كتاب مشهور عند أهل السير، معروف عند أهل العلم معرفة يستغنى بها في شهرتها عن الإسناد. ورواه أبو داود في المراسيل صفحة: (١٣١) من حديث الزهري قال: قرأت صحيفة عند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ذكر أن رسول الله ﷺ كتبها لعمر بن حزم حين أمره على نجران وساق الحديث وفيه ... ولا يمس القرآن إلا طاهر. ثم قال: روي مسنداً ولا يصح » . ورواه الدارمي في الطلاق، باب لا طلاق قبل نكاح: ٨٤/٢ .

وقال ابن كثير: ٢٩٩/٤ بعد أن ساق مرسل أبي داود: «وهذه وجادة جيدة ... وفي إسناد كل منهما نظر والله أعلم» . أخرجه البخاري في الجهاد، باب كراهية السفر بالمصحف إلى أرض العدو: ١٣٣/٦، ومسلم في الإمارة، باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم برقم: (١٨٦٩): ١٤٩٠/٣ . والمصنف في شرح السنة: ٥٢٧/٤ .

## تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ﴿٨٢﴾

﴿تنزيل من رب العالمين﴾، أي القرآن منزل من عند رب العالمين . سُمِّيَ المنزل: تنزيلاً، على اتساع اللغة، كما يقال للمقدور: قَدَّر، وللمخلوق: خَلَقَ .

﴿أفبهذا الحديث﴾، يعني القرآن، ﴿أنتم﴾، يا أهل مكة، ﴿مُدْهِنُونَ﴾، قال ابن عباس: مكذبون . وقال مقاتل بن حيان: كفرون، نظيره: «وَدُّوا لو تدهن فيدهنون» (القلم - ٩)، والمدهن: المداهن: الكذاب والمنافق، وهو من الإدهان، وهو الجري في الباطن على خلاف الظاهر، هذا أصله، ثم قيل للمكذب: مدهن، وإن صرح بالتكذيب والكفر .

﴿وتجعلون رزقكم﴾، حظكم ونصيبكم من القرآن، ﴿أنكم تكذبون﴾، قال الحسن في هذه الآية: خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب به .

وقال جماعة من المفسرين: معناه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون .

وقال الهيثم بن عدي: إن من لغة أزد شنوءة: ما رَزَقَ فلان، بمعنى ما شكر، وهذا في الاستسقاء بالأنواء، وذلك أنهم كانوا يقولون إذا مطروا: مُطَرْنَا بنوء كذا، ولا يرون ذلك من فضل الله تعالى، فقليل لهم: أتجعلون رزقكم، أي: شكركم بما رزقكم، يعني شكر رزقكم التكذيب، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك، عن صالح بن كيسان، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن زيد ابن خالد الجهني قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي، وكافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب»<sup>(١)</sup> .

ورواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ وزاد: فنزلت هذه الآية «فلا أقسم بمواقع النجوم» إلى قوله: «وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون»<sup>(٢)</sup> (الواقعة - ٨٢) .

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الاستسقاء، باب الاستمطار بالنجوم: ١/١٩٢، ومن طريقه أخرجه البخاري في الأذان، باب ما يستقبل الإمام الناس إذا سلم: ٢/٣٣٣، وفي الاستسقاء: ٥٢٢٢، وفي المغازي: ٧/٤٣٩، ومسلم في الإيمان، باب كفر من قال: مُطَرْنَا بالنوء برقم: (٧١): ١/٨٣-٨٤، والمصنف في شرح السنة: ٤/٤١٩-٤٢٠ .  
(٢) أخرجه مسلم في الموضوع السابق نفسه برقم: (٧٣): ١/٨٤، وانظر فتح الباري: ٢/٥٢٣ .

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ  
وَلَكِنْ لَا بُصْرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ  
﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتٌ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن حجاج، حدثني محمد بن سلمة المرادي، حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث، أخبرنا أبو يونس حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين، ينزل الله تعالى الغيث فيقولون: مطرنا بكوكب كذا وكذا»<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا﴾، فهلاً، ﴿إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾، أي بلغت النفس الحلقوم عند الموت.

﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾، يريد وأنتم يا أهل الميت تنظرون إليه متى تخرج نفسه . وقيل: معنى قوله «تَنْظُرُونَ» أي إلى أمري وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئاً . ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾، بالعلم والقدرة والرؤية . وقيل: ورسلا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم، ﴿وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ﴾، الذين حضروه .

﴿فَلَوْلَا﴾، فهلاً ﴿إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾، مملوكين، وقال أكثرهم: محاسنين ومجزين . ﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أي تردون نفس هذا الميت إلى جسده بعدما بلغت الحلقوم، فأجاب عن قوله: «فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ» وعن قوله: «فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ» بجواب واحد . ومثله قوله عز وجل: «فَأَمَّا يَا تَيْنُكُمْ مَنِي هَدَى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ» (البقرة - ٣٨) أجيباً بجواب واحد، معناه: إن كان الأمر كما تقولون - أنه لا بعث ولا حساب ولا إله يجازي - فهلاً تردون نفس من يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم، وإذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا أن الأمر إلى غيركم وهو الله عز وجل فآمنوا به . ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال:

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾، وهم السابقون، ﴿فَرُوحٌ﴾، قرأ يعقوب «فَرُوحٌ» بضم الراء،

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب كفر من قال مطرنا بالنوء برقم: (٥٧٢): ٨٤/١، والمصنف في شرح السنة: ٤١٨/٤ - ٤١٩.

## وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿١٠﴾ فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿١١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿١٢﴾

والباقون بفتحها، فمن قرأ بالضم، قال الحسن معناه: تخرج روحه في الريحان، وقال قتادة: الروح الرحمة أي له الرحمة، وقيل: معناه فحياة وبقاء لهم .

ومن قرأ بالفتح، معناه: فله رَوْح وهو الراحة، وهو قول مجاهد . وقال سعيد بن جبیر: فرح . وقال الضحاك: مغفرة ورحمة .

﴿وريحان﴾، استراحة . وقال مجاهد وسعيد بن جبیر: رزق . وقال مقاتل: هو الرزق بلسان حمير، يقال: خرجت أطلب ريحان الله ، أي رزق الله .

وقال آخرون: هو الريحان الذي يُشَمُّ . قال أبو العالية: لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يُؤْتَى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم تقبض روحه<sup>(١)</sup> .

﴿وجنة نعيم﴾، قال أبو بكر الوراق: «الروح» النجاة من النار، و«الريحان» دخول دار القرار .

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾، المتوفى، ﴿من أصحاب اليمين﴾، ﴿فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾، أي سلامة لك يا محمد منهم، فلا تهم لهم، فإنهم سلموا من عذاب الله أو أنك ترى فيهم ما تحب من السلامة .

قال مقاتل: هو أن الله تعالى يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم .

١٥٢/ب

وقال الفراء وغيره<sup>(٢)</sup> : سَلَّمَ لَكَ أَنَّهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، أو يقال لصاحب اليمين: سَلَّمَ لَكَ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَلْفَيْتَ إِنْ كَالرَّجُلِ يَقُولُ إِنِّي مُسَافِرٌ عَنْ قَلِيلٍ، فيقول له: أنت مصدق مسافر عن قليل، وقيل: «فَسَلَامٌ لَكَ» أي عليك من أصحاب اليمين .

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾، بالبعث، ﴿الضَّالِّينَ﴾، عن الهدى وهم أصحاب المشأمة:

(١) أورد هذه الأقوال الطبري: ٢٧/٢١١-٢١٢ ثم قال مرجحاً: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عني بالروح: الفرح والرحمة والمغفرة وأصله من قولهم: وجدت روحاً: إذا وجد نسيماً يستروح إليه من كرب الحر، وأما الريحان: فإنه عندي الريحان الذي يتلقى به عند الموت، كما قال أبو العالية والحسن، ومن قال في ذلك نحو قولهما، لأن ذلك الأغلب والأظهر من معانيه» .

(٢) معاني القرآن للفراء: ١٣١/٣ بتصرف .

## فَزَلْ مِنْ حَمِيمٍ ﴿١٣﴾ وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿١٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿١٦﴾

﴿فَزَلْ مِنْ حَمِيمٍ﴾، فالذي يُعَذِّبُهم حميم جهنم، ﴿وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ﴾، وإدخال نار عظيمة .

﴿إِنَّ هَذَا﴾، يعني ما ذكر من قصة المختضرين، ﴿لهو حق اليقين﴾، أي الحق اليقين ، أضافه

إلى نفسه .

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، قيل: فصل بذكر ربك وأمره وقيل: «الباء» زائدة أي فسبح

اسم ربك العظيم .

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي ، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا ابن فنجويه، أخبرنا ابن أبي شيبة، حدثنا حمزة بن محمد الكاتب، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا عبد الله بن المبارك عن موسى بن أيوب الغافقي، عن عمه وهو إياس بن عامر، عن عقبة بن عامر الجهني قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ «فسبح باسم ربك العظيم»، قال: «اجعلوها في ركوعكم»، ولما نزلت «سبح اسم ربك الأعلى» قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في سجودكم»<sup>(١)</sup> .

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أخبرنا أبو محمد الجراحي، حدثنا أبو العباس المحبوبي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا أبو داود ، قال أخبرنا شعبة عن الأعمش قال: سمعت سعد بن عبيدة يحدث عن المُسْتَوْدِدِ، عن صِلَةَ بن زُفَرٍ، عن حذيفة، أنه صلى مع النبي ﷺ فكان يقول في ركوعه: «سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الأعلى، وما أتى على آية رحمة إلا وقف وسأل، وما أتى على آية عذاب إلا وقف وتعوذ»<sup>(٢)</sup> .

(١) أخرجه ابن ماجه في الإقامة، باب التسييح في الركوع والسجود برقم: (٨٨٧): ٢٨٧/١، والدارمي في الصلاة، باب ما يقال في الركوع: ٢٩٩/١، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ٢٣٥/١، والبيهقي في السنن: ٨٦/٢، وصححه ابن حبان ص ١٣٥-١٣٦، والحاكم: ٢٢٥/١، ٤٧٧/٢، ووافقه الذهبي، الإمام أحمد في المسند: ١٥٥/٤، والطبراني في مسنده ص ١٣٥ .

وأخرجه بنحوه أبو داود في الصلاة، باب مايقول في ركوعه وسجوده: ٤١٨/١ وزاد فيه: فكان رسول ﷺ إذا ركع قال: سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاثاً ... وقال: وهذه الزيادة تخاف ألا تكون محفوظة .

وانظر: نصب الراية: ٣٧٦/١، تلخيص الحبير: ٢٤٢/٢-٢٤٣، تنقيح التحقيق لابن الجوزي: ٨٨٠/٢، إرواء الغليل: ٤٠-٤١/٢ .

(٢) أخرجه الترمذي في الصلاة، باب ماجاء في التسييح في الركوع والسجود: ١٢١/٢ وقال: «هذا حديث حسن صحيح» . وأخرجه مسلم مطولاً في صلاة المسافرين وقصرها برقم: (٧٧٢): ٥٣٦-٥٣٧، والمصنف في شرح السنة: ١٠٠/٣ .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا محمد بن فضيل، أخبرنا عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا أبو نصر محمد بن الحسن الجُلْفري، حدثني أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله الرازي بدمشق، حدثنا علي بن الحسين البزاز وأحمد بن سليمان بن حَدَلَم وابن راشد قالوا: أخبرنا بكار بن قتيبة، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا حجاج الصواف عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال سبحان الله العظيم وبحمده، غرست له نخلة في الجنة»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، قال أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سماعيل، حدثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني السري بن يحيى أن شجاعاً حدثه عن أبي طيبة عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً»<sup>(٣)</sup> وكان أبو طيبة لا يدعها أبداً.

(١) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور، باب إذا قال: والله لا أتكلم اليوم: ٥٦٦/١١، ومسلم في الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء برقم: (٢٦٩٤): ٢٠٧٢/٤، والمصنف في شرح السنة: ٤٢/٥.

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات، باب فضل سبحان الله: ٤٣٣/٩ وقال: «هذا حديث حسن غريب صحيح، لا نعرفه إلا من حديث أبي الزبير عن جابر»، وصححه ابن حبان في موارد الظمان برقم: (٢٣٣٥): ص ٥٨٠، والحاكم: ٥٠١/١-٥٠٢. ووافقه الذهبي، ورواه البزار عن عبد الله بن عمرو بإسناد جيد. انظر: مجمع الزوائد: ٩٤/١.

(٣) رواه الحارث بن أبي أسامة، وقال البوصيري: «رواه الحارث عن العباس بن الفضل وهو ضعيف. ورواه أبو يعلى بسند رواه ثقات».

انظر: المطالب العالية: ٣٨٣/٣ مع حاشية المحقق.

وقال في الكافي الشاف ص ١٦٣: «ثم اختلفوا في ضبط أبي طيبة فعند الدارقطني بالطاء المهملة بعدها تحتانية، ثم موحدة وأنه عيسى بن سليمان الجرجاني وأن روايته عن ابن مسعود منقطعة. ويؤيده أن الثعلبي أخرجه من طريق أبي بكر الطاردي عن السري عن شجاع عن أبي طيبة الجرجاني. وعند البيهقي أنه بالمعجمة بعدها موحدة، ثم تحتانية، وأنه مجهول. وقال أحمد بن حنبل: هذا حديث منكر. وشجاع لا أعرفه».

سورة الحديد





## سُورَةُ الْحَٰدِثِ

مدنية وآياتها تسع وعشرون<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ  
يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْاَوَّلُ وَالْاٰخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ

﴿سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم \* له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير \* هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾، يعني هو «الأول» قبل كل شيء بلا ابتداء، كان هو ولم يكن شيء موجوداً، و«الآخر» بعد فناء كل شيء، بلا انتهاء تفنى الأشياء ويبقى هو، و«الظاهر» الغالب العالي على كل شيء، و«الباطن» العالم بكل شيء، هذا معنى قول ابن عباس .

وقال يمان: «هو الأول» القديم و«الآخر» الرحيم، و«الظاهر» الحليم، و«الباطن» العليم .

وقال السدي: هو الأول بيره إذ عرفك توحيده، والآخر بجوده إذ عرفك التوبة على ماجنيت، والظاهر بتوفيقه إذ وفقك للسجود له، والباطن بستره إذ عصيته فستر عليك .

وقال الجنيد: هو الأول بشرح القلوب، والآخر بغفران الذنوب، والظاهر بكشف الكروب، والباطن بعلم الغيوب .

وسأل عمر - رضي الله تعالى عنه - كعباً عن هذه الآية فقال: معناها إن علمه بالأول كعلمه بالآخر، وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن .

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: نزلت سورة الحديد بالمدينة  
انظر: الدر المنثور: ٤٥/٨ .

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَانْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامِنُوا مِنْكُمْ وَانْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾

﴿وهو بكل شيء عليم﴾، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغفار بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثني زهير ابن حرب، حدثنا جرير عن سهيل قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول: «اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين واغنني من الفقر»<sup>(١)</sup> وكان يروى ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ .

﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، يعلم ما يَلِجُ في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ له ملك السموات والأرض وإلى الله تُرْجَعُ الْأُمُورُ \* يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ .

﴿آمنوا بالله ورسوله﴾، يخاطب كفار مكة، ﴿وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾، مملكين فيه: يعني: المال الذي كان بيد غيرهم فأهلكهم وأعطاه قريشاً، فكانوا في ذلك المال خلفاء عمن مضوا . ﴿فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجرٌ كبيرٌ﴾ .

(١) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع برقم: (٢٧١٣): ٤/٢٠٨٤ .

وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتِلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

﴿وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم﴾، قرأ أبو عمرو: «أخذ» بضم الهمزة وكسر الخاء «ميثاقكم» برفع القاف على ما لم يسم فاعله . وقرأ الآخرون بفتح الهمزة والحاء والقاف، أي: أخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من ظهركم عليه السلام، بأن الله ربيكم لا إله لكم سواه، قاله مجاهد .

وقيل: أخذ ميثاقكم بإقامة الحجج/والدلائل التي تدعو إلى متابعة الرسول ﷺ .

﴿إن كنتم مؤمنين﴾ يوماً، فالآن أخرى الأوقات أن تؤمنوا لقيام الحجج والإعلام ببعثة محمد ﷺ ونزول القرآن .

﴿هو الذي ينزل على عبده﴾، محمد ﷺ، ﴿آيات بينات﴾، [يعني القرآن] <sup>(١)</sup>، ﴿ليخرجكم﴾، الله بالقرآن، ﴿من الظلمات إلى النور﴾، وقيل: ليخرجكم الرسول بالدعوة من الظلمات إلى النور أي من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، ﴿وإن الله بكم لرؤوف رحيم﴾ .

﴿وما لكم أَلَّا تنفقوا في سبيل الله والله ميراث السموات والأرض﴾، يقول: أي شيء لكم في ترك الإنفاق فيما يقرب من الله وأنتم ميتون تاركون أموالكم، ثم بين فضل من سبق بالإنفاق في سبيل الله وبالجهد فقال: ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح﴾، يعني فتح مكة في قول أكثر المفسرين، وقال الشعبي: هو صلح الحديبية، ﴿وقاتل﴾، يقول: لا يستوي في الفضل من أنفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله ﷺ قبل فتح مكة مع من أنفق وقاتل بعده، ﴿وأولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بَعْدُ وقَاتِلُوا﴾، وروى محمد بن فضيل عن الكلبي أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - فإنه أول من أسلم وأول من أنفق ماله في سبيل الله <sup>(٢)</sup> .

(١) ساقط من «أ» .

(٢) انظر: الطبري: ٢٧/٢٢٠-٢٢١، البحر المحيط: ٢١٩/٨ .

**خَيْرٌ ۝۱۰ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝۱۱**  
يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتٌ

وقال عبد الله بن مسعود: أول من أظهر إسلامه بسيفه النبي ﷺ وأبو بكر .

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد، أخبرنا أحمد بن إسحاق بن أيوب، أخبرنا محمد بن يونس، حدثنا العلاء بن عمرو الشيباني، حدثنا أبو إسحاق الفزاري، حدثنا سفيان بن سعيد عن آدم بن علي عن ابن عمر قال: كنت عند رسول الله ﷺ وعنده أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعليه عباءة قد خلها في صدره بخلال، فنزل عليه جبريل فقال: مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال؟ فقال: «أنفق ماله عليّ قبل الفتح»، قال: فإن الله عزّ وجلّ يقول: اقرأ عليه السلام وقل له: أراض أنت عني في فورك هذا أم ساخط؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر إن الله عزّ وجلّ يقرأ عليك السلام ويقول لك: أراض أنت في فورك هذا أم ساخط؟» فقال أبو بكر: أأسخط على ربي؟ إني عن ربي راضٍ إني عن ربي راضٍ<sup>(١)</sup> .

﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾، أي كلا الفريقين وعدهم الله الجنة . قال عطاء: درجات الجنة تتفاضل، فالذين أنفقوا قبل الفتح في أفضلها . وقرأ ابن عامر: «وكلّ» بالرفع، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ .

﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ \* يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ﴾، يعني على الصراط، ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾، يعني عن أيمنهم . قال بعضهم: أراد جميع جوانبهم ، فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم إلى الجنة .

وقال قتادة: ذكر لنا أن النبي ﷺ قال: «إن من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء ودون ذلك، حتى أن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه»<sup>(٢)</sup> .

(١) أورده ابن كثير: ٣٠٨/٤ عن البيهقي، وقال: «هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه والله أعلم» .  
فيه العلاء بن عمرو، قال ابن حبان في كتاب المجروحين والضعفاء: ١٨٥/٢: يروي عن أبي إسحاق الفزاري العجائب، لا يجوز الاحتجاج به بحال وساق له هذا الحديث .

وقال الذهبي في الميزان: ١٠٣/٣: متروك، وساق له هذا الحديث من طريق ابن خزيمة، ثم قال: «وهو كذب» .

(٢) أخرجه عبد الرزاق: ٢٧٥/٢، والطبري: ٢٢٢/٢٧ .

وعزه السيوطي في الدر: ٥٢/٨ لعبد الرزاق وعبد بن حميد، وابن المنذر

وانظر: تخرّج أحاديث إحياء علوم الدين: ١٥٤٥/٤ .

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره أعلى إبهامه فيطفا مرة ويقد مرة<sup>(١)</sup>.

وقال الضحاك ومقاتل: «يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم» كتبهم، يريد: أن كتبهم التي أعطوها بأيمانهم ونورهم بين أيديهم<sup>(٢)</sup>، وتقول لهم الملائكة: «بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم».

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا﴾، قرأ الأعمش وحمة: «انْظُرُونَا» بفتح الهمزة وكسر الظاء يعني أمهلونا . وقيل: انظرونا . وقرأ الآخرون بحذف الألف في الوصل وضمها في الابتداء وضم الظاء، تقول العرب: انْظُرْنِي وأنْظِرْنِي، يعني انتظرنِي . ﴿نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾، نستضيء من نوركم، وذلك أن الله تعالى يعطي المؤمنين نوراً على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط، ويعطي المنافقين أيضاً نوراً خديعةً لهم، وهو قوله عز وجل: «وهو خادعهم» (النساء - ١٤١)، فبينما هم يمشون إذ بعث الله عليهم ريحاً وظلمة فأطفأت نور المنافقين، فذلك قوله: «يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أئتم لنا نورنا» (التحریم - ٨)، مخافة أن يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين .

وقال الكلبي: بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين، ولا يعطون النور، فإذا سبقهم المؤمنون وبقوا في الظلمة قالوا للمؤمنين: انظرونا نقتبس من نوركم<sup>(٣)</sup>، ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾، قال ابن عباس: يقول لهم المؤمنون<sup>(٤)</sup>، وقال قتادة: تقول لهم الملائكة: ارجعوا وراءكم من حيث جئتم<sup>(٥)</sup>،

(١) أخرجه الطبري: ٢٢٣/٢٧، وصححه الحاكم: ٤٧٨/٢ .

وعزه السيوطي في الدر المنثور: ٥٢/٨ أيضاً لابن أبي شيبة، وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه . قال العراقي: رواه الطبراني والحاكم ... وقال الزبيدي: وكذا أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

انظر: تخریج أحادیث إحياء علوم الدين: ١٥٤٥/٤ .

(٢) انظر: الطبري: ٢٢٣/٢٧ .

(٣) انظر: القرطبي: ٢٤٥/١٧ - ٢٤٦ .

(٤) انظر: ابن كثير: ٢١٠/٤ .

(٥) انظر: الدر المنثور: ٥٤/٨ .

فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ينادونهم  
 أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ  
 حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾

﴿فَاتِمِسُوا نورا﴾، فاطلبوا هناك لأنفسكم نورا فإنه لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا، فيرجعون في طلب النور فلا يجدون شيئا فينصرفون إليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين، وهو قوله: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ﴾، أي سور، و«الباء» صلة يعني بين المؤمنين والمنافقين، وهو حائط بين الجنة والنار، ﴿له﴾، أي لذلك السور، ﴿بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾، أي في باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة، ﴿وَوَظَاهِرُهُ﴾، أي خارج ذلك السور، ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾، أي من قبل ذلك الظاهر، ﴿الْعَذَابُ﴾، وهو النار.

﴿ينادونهم﴾، روي عن عبد الله بن عمر قال: إن السور الذي ذكر الله تعالى في القرآن «فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ» هو سور بيت المقدس الشرقي، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب، وادي جهنم<sup>(١)</sup>.

و قال شريح: كان كعب يقول: في الباب الذي يسمى «باب الرحمة» في بيت المقدس: إنه الباب الذي قال الله عز وجل: «فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ» الآية<sup>(٢)</sup>. «ينادونهم» يعني: ينادي المنافقون المؤمنين من وراء السور حين حُجِرَ بينهم بالسور وبقوا في الظلمة:

﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾، في الدنيا نصلي ونصوم؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾، أهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعاصي والشهوات، وكلها فتنة، ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾، بالإيمان والتوبة. قال مقاتل: وتربصتم بمحمد الموت وقلتم يوشك أن يموت فنستريح منه، ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾، شككم في نبوته وفيما أوعدكم به، ﴿وَوَغَرَّتْكُمْ الْأَمَانِيُّ﴾، الأباطيل وما كنتم تتمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين، ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾، يعني الموت، ﴿وَوَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾، يعني الشيطان، قال قتادة: ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ٢٢٥/٢٧، وصححه الحاكم: ٦٠١/٤ ووافقه الذهبي. وعزه السيوطي في الدر المنثور: ٥٦/٨ أيضا لعبد ابن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن عساكر. وكلهم عن عبد الله بن عمرو.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٢٥/٢٧.

(٣) قال الحافظ ابن كثير: ٣١٠/٤: «وقول كعب الأخبار: إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد فهذا من إسرائيلياته وترهاته، وإنما المراد بذلك سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين...». أخرجه الطبري: ٢٢٧/٢٧، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٥٦/١٧ عزوه لعبد بن حميد. وذكره ابن كثير: ٣١٠/٤.

فَالْيَوْمَ لَا يَتُخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَتْكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ

﴿فاليوم لا يتخذ منكم فدية﴾، قرأ أبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: «تؤخذ» بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء، ﴿فدية﴾، بدل وعوض بأن تغدوا أنفسكم من العذاب، ﴿ولا من الذين كفروا﴾، يعني المشركين، ﴿مأواكم النار هي مولاكم﴾، صاحبكم وأولى بكم، لما أسلفتم من الذنوب، ﴿وبئس المصير﴾.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾، قال الكلبي ومقاتل: نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة، وذلك أنهم سألو سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا: حدثنا عن التوراة، فإن فيها العجائب، فنزلت: «نحن نقص عليك أحسن القصص» (يوسف - ٣)، فأخبرهم أن القرآن أحسن قصصاً من غيره، فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله، ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك فنزل: «الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً» (الزمر - ٢٣)، فكفوا عن سؤاله ما شاء الله ثم عادوا فقالوا: حدثنا عن التوراة فإن فيها العجائب فنزلت هذه الآية.

فعلى هذا التأويل، قوله «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ»، يعني في العلانية وباللسان.

وقال الآخرون نزلت في المؤمنين<sup>(١)</sup>. قال عبد الله بن مسعود: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ»، إلا أربع سنين<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن عباس: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن، فقال: «أَلَمْ يَأْنِ»<sup>(٣)</sup>، ألم يحن للذين آمنوا أن تخشع: ترق وتلين وتخضع قلوبهم لذكر الله، ﴿وما نزل﴾، قرأ نافع، وحفص عن عاصم بتخفيف الزاي، وقرأ الآخرون بتشديدها، ﴿من الحق﴾، وهو القرآن، ﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل﴾، وهم اليهود والنصارى، ﴿فطال عليهم الأمد﴾، الزمان بينهم وبين أنبيائهم، ﴿فقست قلوبهم﴾، قال ابن عباس: مالوا إلى الدنيا وأعرضوا

(١) انظر: الواحدي في أسباب النزول: ص ٤٧٠.

(٢) أخرجه مسلم في التفسير، باب في قوله تعالى: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ» برقم: (٣٠٢٧): ٤/٢٣١٩.

(٣) ساقه ابن كثير في التفسير: ٤/٣١١ من رواية ابن المبارك، وابن أبي حاتم، وفيه صالح المرئي، وهو ضعيف.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٨/٥٨ لابن أبي حاتم، وابن مردويه.



وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ  
الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا  
حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ  
هُمْ الصَّدِيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

عن مواعظ الله، والمعنى أن الله عز وجل ينهى المؤمنين أن يكونوا في صحبة القرآن كاليهود والنصارى  
الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر .

روي أن أبا موسى الأشعري بعث إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرؤوا  
القرآن فقال لهم: أنتم خيار أهل البصرة وقراءهم فاتلوه ولا يطولنَّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم  
كما قست قلوب من كان قبلكم <sup>(١)</sup> .

﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾، يعني الذين تركوا الإيمان بعبسى و محمد عليهما الصلاة والسلام .

وقوله عز وجل: ﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾  
\* إن المصدقين والمصدقات﴾، قرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم بتخفيف الصاد فيهما من  
«التصديق» أي: المؤمنين والمؤمنات، وقرأ الآخرون بتشديدهما أي المتصدقين والمتصدقات أدغمت  
التاء في الصاد، ﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾، بالصدقة والنفقة في سبيل الله عز وجل، ﴿يضاعف  
لهم﴾، ذلك القرض ﴿ولهم أجرٌ كريم﴾، ثواب حسن وهو الجنة .

﴿والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون﴾، والصديق: الكثير الصدق، قال مجاهد:  
كل من آمن بالله ورسوله فهو صديق وتلا هذه الآية .

قال الضحاك: هم ثمانية نفر من هذه الأمة، سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام: أبو  
بكر، وعلي، وزيد، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وحمة، وتاسعهم عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى  
عليهم أجمعين، ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته .

﴿والشهداء عند ربهم﴾، اختلفوا في نظم هذه الآية، منهم من قال: هي متصلة بما قبلها،  
و«الواو» واو النسق، وأراد بالشهداء المؤمنين المخلصين . قال الضحاك: هم الذين سميهم . قال

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية: ٢٥٧/١ .

وعزاه صاحب الدر المنثور: ٥٩/٨ لابن أبي شيبة .

وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٧﴾

مجاهد: كل مؤمن صديق شهيد، وتلا هذه الآية <sup>(١)</sup>.

وقال قوم: تم الكلام عند قوله: «هم الصديقون» ثم ابتداء فقال: والشهداء عند ربهم، و«الواو» واو الاستئناف، وهو قول ابن عباس ومسروق وجماعة. ثم اختلفوا فيهم فقال قوم: هم الأنبياء الذين يشهدون على الأمم يوم القيامة، يروى ذلك عن ابن عباس <sup>(٢)</sup> هو قول مقاتل بن حيان. وقال مقاتل بن سليمان: هم الذين استشهدوا في سبيل الله <sup>(٣)</sup>.

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾، بما عملوا من العمل الصالح، ﴿وَنُورُهُمْ﴾، على الصراط، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

قوله عز وجل: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾، أي: أن الحياة الدنيا، و«ما» صلة، أي: إن الحياة في هذه الدار، ﴿لَعِبٌ﴾، باطل لا حاصل له، ﴿وَلَهُمْ﴾، فرح ثم ينقضي، ﴿وَزِينَةٌ﴾، منظر تنزيتون به، ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾، يَفْخَرُ به بعضكم على بعض، ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾، أي: مباحاة بكثرة الأموال والأولاد، ثم ضرب لها مثلاً فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾، أي: الزراع، ﴿نَبَأُهُ﴾، ما نبت من ذلك الغيث، ﴿ثُمَّ يَهيجُ﴾، ييس، ﴿فَتَرَهُ مُصْفَرًّا﴾، بعد خضرته ونضرتة، ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾، يتحطم ويتكسر بعد ييسه ويفنى، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، قال مقاتل: لأعداء الله، ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾، لأوليائه وأهل طاعته.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾، قال سعيد بن جبير: متاع الغرور لمن لم يشتغل فيها بطلب الآخرة، ومن اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ إلى ما هو خير منه/.

(١) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: ٢٧٦/٢.

انظر: البحر المحيط: ٢٢٣/٨.

(٢) ذكره الطبري: ٢٣١/٢٧.

(٣) انظر: القرطبي: ٢٥٣/١٧.

سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ  
لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ  
الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ  
مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتَكُمْ  
وَلَا تَفْرَحُوا بِمَاءِ اتِّكُم وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ  
يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

﴿سابقوا﴾، سارعوا، ﴿إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾،  
لو وُصل بعضها ببعض، ﴿أُعِدَّتْ للذين آمنوا بالله ورسوله، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله  
ذو الفضل العظيم﴾، فين أن أحداً لا يدخل الجنة إلا بفضل الله .

قوله عز وجل: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض﴾، يعني: قحط المطر، وقلة النبات، ونقص  
الثمار، ﴿ولا في أنفسكم﴾، يعني: الأمراض وفقد الأولاد، ﴿إلا في كتاب﴾، يعني: اللوح المحفوظ،  
﴿من قبل أن نبرأها﴾، من قبل أن نخلق الأرض والأنفس . قال ابن عباس: من قبل أن نبرأ المصيبة .  
وقال أبو العالية: يعني التَّسَمَّة، ﴿إن ذلك على الله يسير﴾، أي إثبات ذلك على كثرة هين على الله  
عز وجل .

﴿لكيلا تأسوا﴾، تحزنوا، ﴿على ما فاتكم﴾، من الدنيا، ﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾، قرأ أبو  
عمرو بقصر الألف، لقوله ﴿فاتكم﴾ فجعل الفعل له، وقرأ الآخرون ﴿آتاكم﴾ بمد الألف، أي: أعطاكم.  
قال عكرمة: ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً<sup>(١)</sup>، ﴿والله  
لا يحب كل مختال فخور﴾، متكبر بما أوتي من الدنيا، «فخور» يفخر به على الناس .

قال جعفر بن محمد الصادق: يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يرده إليك الفوت،  
ومالك تفرح بموجود لا يتركه في يدك الموت<sup>(٢)</sup> .

﴿الذين يبخلون﴾، قيل: هو في محل الخفض على نعت المختال . وقيل: هو رفع بالابتداء

(١) أخرجه الطبري: ٢٣٥/٢٧، وصححه الحاكم: ٤٧٩/٢ ووافقه الذهبي .

وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٦٢/٨ عزوه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الشعب .

(٢) انظر: القرطبي: ٢٥٨/١٧ .

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ  
النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ  
مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

وخبره فيما بعده. ﴿ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول﴾، أي: يعرض عن الإيمان، ﴿فإن الله هو الغني الحميد﴾، قرأ أهل المدينة والشام: ﴿فإن الله الغني﴾ بإسقاط «هو»، وكذلك هو في مصاحفهم.

قوله عز وجل: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات﴾، بالآيات والحجج، ﴿وأزلنا معهم الكتاب والميزان﴾، يعني: العدل. وقال مقاتل بن سليمان: هو ما يوزن به، أي: ووضعنا الميزان كما قال: «والسما رفعها ووضع الميزان» (الرحمن - ٧) ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾، ليتعاملوا بينهم بالعدل.

﴿وأزلنا الحديد﴾، روي عن ابن عمر يرفعه: إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: الحديد، والنار، والماء، والملح<sup>(١)</sup>.

وقال أهل المعاني معنى قوله: ﴿أزلنا الحديد﴾ [أنشأنا وأحدثنا، أي: أخرج لهم الحديد]<sup>(٢)</sup> من المعادن وعلمهم صنعته بوجيه.

وقال قطرب هذا من التزل كما يقال: أنزل الأمير على فلان نزلاً حسناً، فمعنى الآية: أنه جعل ذلك نزلاً لهم. ومثله قوله: «وأزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج» (الزمر - ٦).

﴿فيه بأس شديد﴾، قوة شديدة يعني: السلاح للحرب. قال مجاهد: فيه جنة وسلاح يعني آلة الدفع وآلة الضرب، ﴿ومنافع للناس﴾، مما ينتفعون به في مصالحهم كالسكين والفأس والإبرة ونحوها، إذ هو آلة لكل صنعة، ﴿وليعلم الله﴾، أي: أرسلنا رسلنا وأنزلنا معهم هذه الأشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليعلم الله وليرى الله، ﴿مَنْ يَنْصُرُهُ﴾، أي: دينه، ﴿ورسله بالغيب﴾، أي: قام بنصرة الدين ولم ير الله ولا الآخرة، وإنما يحمد ويثاب من أطاع الله بالغيب، ﴿إن الله قوي عزيز﴾، قوي في أمره، عزيز في ملكه.

(١) ضعيف أخرجه الديلمي في الفردوس. انظر: كنز العمال: ٤١٨/١٥ وعزاه ابن حجر في الكافي الشاف صفحة: (١٦٤) للثعلبي وقال: «وفي إسناده من لا أعرفه».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ

﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون﴾ ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه ﴿﴾، [على دينه] <sup>(١)</sup>، ﴿رأفة﴾، وهي أشد الرقة، ﴿ورحمة﴾، كانوا متوادين بعضهم لبعض، كما قال الله تعالى في وصف أصحاب النبي ﷺ: «رحماء بينهم» (الفتح - ٢٩)، ﴿ورهبانية ابتدعوها﴾، من قبل أنفسهم، وليس هذا بعطف على ما قبله، وانتصابه بفعل مضمّر كأنه قال: وابتدعوا رهبانية أى جاؤوا بها من قبل أنفسهم، ﴿ما كتبناها﴾، أى ما فرضناها، ﴿عليهم إلا ابتغاء رضوان الله﴾، يعني: ولكنهم ابتغوا رضوان الله بتلك الرهبانية، وتلك الرهبانية ما حملوا أنفسهم من المشاق في الامتناع من المطعم والمشرب والملبس والنكاح والتعب في الجبال، ﴿فما رعوها حق رعايتها﴾، أى لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وكفروا بدين عيسى، فهودوا وتنصروا، ودخلوا في دين ملوكهم، وتركوا الترهّب، وأقام منهم أناس على دين عيسى عليه الصلاة والسلام حتى أدركوا محمداً ﷺ فآمنوا به، وذلك قوله تعالى: ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم﴾، وهم الذين ثبتوا عليها وهم أهل الرأفة والرحمة، ﴿وكثير منهم فاسقون﴾، وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه الصلاة والسلام.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أنبأني عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن عبد الله المزني، حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا الصعق بن حزن، عن عقيل الجعدي، عن أبي إسحاق عن سويد بن غفلة، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ فقال: «يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة، نجا منها ثلاث وهلك سائرهن، فرقة آزت الملوك وقتلوهم على دين عيسى عليه الصلاة والسلام، فأخذوهم وقتلوهم، وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بأن يقيموا بين ظهرانهم يدعونهم

(١) ما بين القوسين ساقط من «١».

إلى دين الله ودين عيسى عليه السلام فساحوا في البلاد وترهبوا، وهم الذين قال الله عز وجل فيهم: «ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم» فقال النبي ﷺ: «من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها، ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون»<sup>(١)</sup>.

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: «يا ابن أم عبد هل تدري من أين اتخذت بنو إسرائيل الرهبانية؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: ظهرت عليهم الجبابة بعد عيسى عليه السلام يعملون بالمعاصي، فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم، فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات، فلم يبق منهم إلا القليل، فقالوا: إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا ولم يبق للدين أحد يدعو له فقالوا: تعالوا نتفرق في الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى عليه السلام، يعنون محمداً ﷺ، / ففترقوا في غيران الجبال، وأحدثوا رهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر، ثم تلا هذه الآية: «ورهبانية ابتدعوها» الآية. «فأتينا الذين آمنوا منهم»، يعني من ثبتوا عليها أجرهم، ثم قال النبي ﷺ: «يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: الهجرة والجهاد، والصلاة والصوم، والحج والعمرة، والتكبير على التلاع»<sup>(٢)</sup>.

وروي عن أنس عن النبي ﷺ قال: «إن لكل أمة رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله»<sup>(٣)</sup>.

وروي سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت ملوك بعد عيسى عليه السلام بدّلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرؤون التوراة والإنجيل ويدعونهم إلى دين الله فقيل للملوكهم: لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه، فجمعهم ملكهم

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة: ٣٥/١ قال الألباني: إسناده ضعيف جداً، رجاله ثقات غير عقيل الجعدي فإنه ضعيف جداً، كما يفيد قول البخاري فيه: منكر الحديث.

والطبري: ٢٣٩/٢٧، والطبراني في المعجم الكبير: ٢٧١/١٠، وصححه الحاكم: ٤٨٠/٢ وتعقبه الذهبي فقال: «ليس بصحيح فإن الصقع وإن كان موثقاً فإن شيخه منكر الحديث قاله البخاري».

وساقه ابن كثير في التفسير: ٣١٧/٤ من رواية ابن أبي حاتم وابن جرير وقال: «أسنده أبو يعلى، وسنده: عن شيان بن فروخ، عن الصقع بن حزن، به مثل ذلك فقوي الحديث من هذا الوجه».

(٢) انظر الدر المنثور: ٦٤/٨.

(٣) أخرجه أبو يعلى في المسند عن أنس: ١٨٤/٤، وابن أبي شيبة: ٢٩٦/٥.

وأخرجه الإمام أحمد: ٢٦٦/٣ بلفظ: «لكل نبي رهبانية ...» وفيه زيد العمي وهو ضعيف.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٧٨/٥ «رواه أبو يعلى وأحمد إلا أنه قال: لكل نبي ... وفيه زيد العمي: وثقه أحمد وغيره، وضعفه أبو زرعة وغيره وبقي رجاله رجال الصحيح».

وللحديث شواهد. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم: (٥٥٥)، تخرج أحاديث إحياء علوم الدين: ١٥٦٦/٤.

﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ

وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها، فقالوا: نحن نكفيكم أنفسنا، فقالت طائفة: ابنوا لنا أسطوانة، ثم ارفعونا إليها، ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا، ولا نرد عليكم، وقالت طائفة: دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا بأرض فاقتلونا، وقالت طائفة: ابنوا لنا دوراً في الفيافي نحتفر الآبار ونحترث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم، ففعلوا بهم ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى عليه الصلاة والسلام، وخلف قوم من بعدهم ممن قد غيّر الكتاب، فجعل الرجل يقول: نكون في مكان فلان فتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دوراً كما اتخذ فلان، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم، فذلك قوله عز وجل: «ورهبانية ابتدعوها» أي ابتدعها هؤلاء الصالحون، ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾، يعني الآخرين الذين جاؤوا من بعدهم، ﴿فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾، يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله، «وكثير منهم فاسقون»، هم الذين جاؤوا من بعدهم، قال: فلما بُعث النبي ﷺ ولم يبق منهم إلا قليل انحط رجل من صومعته وجاء سياح من سياحته وصاحب دير من ديره، وآمنوا به<sup>(١)</sup> فقال الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾، الخطاب لأهل الكتابين من اليهود والنصارى، يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في محمد ﷺ ﴿وآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾، محمد ﷺ، ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾، نصيبين، ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾، يعني يؤتكم أجرين لإيمانكم بعيسى عليه الصلاة والسلام، والإنجيل وبمحمد ﷺ والقرآن.

وقال قوم: انقطع الكلام عند قوله «ورحمة» ثم قال: ورهبانية ابتدعوها، وذلك أنهم تركوا الحق فأكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان، فما رعوها، يعني: الطلعة والملة «حق رعايتها» كناية عن غير مذكور، «فاتينا الذين آمنوا منهم أجرهم» وهم أهل الرأفة والرحمة، «وكثير منهم فاسقون»، وهم الذين ابتدعوا الرهبانية، وإليه ذهب مجاهد.

معنى قوله: «إلا ابتغاء رضوان الله» [على هذا التأويل: ما أمرناهم وما كتبنا عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، وما أمرناهم بالترهب]<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه النسائي في ادب القضاة، باب: (تأويل قول الله عز وجل: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون): ٢٣١/٨-٢٣٣، وفي التفسير: ٢/٣٨٤-٣٨٧ وإسناده حسن.  
وساقه ابن كثير من رواية الطبري: ٢٣٩/٢٧ وقال: «هذا السياق فيه غرابة». ابن كثير: ٣١٧/٤.

وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ  
الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾، أي يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا  
الله وآمنوا برسوله محمد ﷺ «يؤتكم كفلين» نصيبين «من رحمته» .

وروينا عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له  
جارية فأذهبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها، ورجل من أهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد  
ﷺ، وعبد أحسن عبادة الله ونصح سيده»<sup>(١)</sup> .

﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾، قال ابن عباس ومقاتل: يعني على الصراط، كما قال:  
«نورهم يسعى بين أيديهم» (التحریم - ٨)، ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النور هو القرآن. وقال  
مجاهد: هو الهدى والبيان، أي يجعل لكم سبيلاً واضحاً في الدين تهتدون به، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ  
غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وقيل: لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله عز وجل: «أولئك يؤتون أجرهم  
مرتين» (القصص - ٥٤) قالوا للمسلمين: أما من آمن منا بكتابكم فله أجره مرتين لإيمانه بكتابكم  
وبكتابتنا، وأما من لم يؤمن منا فله أجر كأجوركم فما فضلكم علينا؟ فأنزل الله تعالى: «يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمَنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ» فجعل لهم الأجرين إذا آمنوا برسوله  
محمد ﷺ وزادهم النور والمغفرة<sup>(٢)</sup>، ثم قال:

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾، قال قتادة: حسد الذين لم يؤمنوا من أهل الكتاب المؤمنين منهم، فأنزل  
الله تعالى<sup>(٣)</sup>: «لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ» .

قال مجاهد: قالت اليهود يوشك أن يخرج [منا]<sup>(٤)</sup> نبي يقطع الأيدي والأرجل، فلما خرج  
من العرب كفروا به، فأنزل الله تعالى<sup>(٥)</sup>: «لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ» أي ليعلم و«لا» صلة ﴿لِّئَلَّا﴾  
يقدرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي ليعلم الذين لم يؤمنوا أنهم لا أجر لهم ولا نصيب لهم في

(١) أخرجه البخاري في العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله: ١٩٠/١، ومسلم في الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا  
محمد ﷺ برقم: (١٥٤): ١٣٤-١٣٥، والمصنف في شرح السنة: ٥٣/١ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦٨-٦٦/٨ للطبراني في الأوسط .

قال الهيتمي في مجمع الزوائد: ١٢١/٧: «رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه» .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: ٢٧٦/٢، والطبري: ٢٤٦/٢٧، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٦٨/٨ عزوه لعبد بن حميد  
وابن المنذر .

(٤) ساقط من «أ» .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦٨/٨ لعبد بن حميد وابن المنذر .



## يَسَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

فضل الله، ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قتيبة ابن سعيد، حدثنا الليث عن نافع، عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً، فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط، ثم قال من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا فأنتم الذين تعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس ألا لكم الأجر مرتين، فغضبت اليهود والنصارى وقالوا: نحن أكثر عمالاً وأقل عطاء؟ قال الله تعالى: «هل ظلمتكم من حقكم شيئاً؟» قالوا: لا قال: «فإنه فضلي أعطيه من شئت»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثني محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له عمالاً إلى الليل على أجر معلوم فعملوا إلى نصف النهار، فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا، وما عملناه باطل، فقال لهم: لا تفعلوا، أكملوا ببقية عملكم، وخذوا أجركم كاملاً، فأبوا وتركوا، واستأجر قوماً آخرين بعدهم، فقال: أكملوا ببقية يومكم هذا ولكم الذي شرطت لهم من الأجر، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا: ما عملنا باطل ولك الأجر الذي جلعت لنا فيه، فقال: أكملوا ببقية عملكم فإنما بقي من النهار شيء يسير فأبوا، فاستأجر قوماً أن يعملوا له ببقية يومهم فعملوا ببقية يومهم حتى غابت الشمس، فاستكملوا أجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل: ٤٩٥-٤٩٦، والمصنف في شرح السنة: ٢١٩-٢١٨/١٤.

(٢) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة، باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب: ٣٨/٢، والمصنف في شرح السنة:

المَجَسَّدَةُ  
الْبَرَاءَةُ



## سُورَةُ الْحَجَّازِلَةِ

مدنية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا  
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾، الآية. نزلت في خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت، وكانت حسنة الجسم، وكان به لم فأرادها فأبت، فقال لها: أنت علي كظهر أمي، ثم ندم على ما قال. وكان الظهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهلية. فقال لها: ما أظنك إلا قد حرمت علي. فقالت: والله ما ذاك طلاق، وأنت رسول الله ﷺ - وعائشة رضي الله عنها تغسل شق رأسه - فقالت: يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غنية ذات مال وأهل حتى إذا أكل مالي وأفنى شبابي وتفرق أهلي وكبر سني ظاهر مني، وقد ندم، فهل من شيء يجمعني وإياه تنعشني به؟ فقال رسول الله ﷺ: حرمت عليه، فقالت: يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً وإنه أبو ولدي وأحب الناس إلي، فقال رسول الله ﷺ: حرمت عليه، فقالت: أشكو إلى الله فاقتي ووحدي قد طالت صحبتي ونفضت له بطني. فقال رسول الله ﷺ: ما أراك إلا قد حرمت عليه، ولم أؤمر في شأنك بشيء، فجعلت تراجع رسول الله ﷺ، وإذا قال لها رسول الله ﷺ: حرمت عليه هتفت وقالت: أشكو إلى الله فاقتي وشدة حالي وإن لي صبيّة صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلي جاعوا، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم إني أشكو إليك، اللهم فأنزل على لسان نبيك، وكان هذا أول ظهار في الإسلام. فقامت

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة المجادلة بالمدينة. وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله، والله أعلم. انظر: الدر المنثور: ٦٩/٨.

الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ نِسَائِهِمْ مَاهُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾

عائشة تغسل شق رأسه الآخر، فقالت: انظر في أمري جعلني الله فداءك يا نبي الله، فقالت عائشة: أقصري حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله ﷺ؟ - وكان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه أخذه مثل السبات -، فلما قضى الوحي قال لها: ادعي زوجك فدعته، فتلا عليه رسول الله ﷺ: «قد سمع الله قول التي تجادلك»، الآيات<sup>(١)</sup>.

قالت عائشة: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات كلها، إن المرأة لتحاوّر رسول الله ﷺ وأنا في ناحية البيت أسمع بعض كلامها، ويخفى عليّ بعضه إذ أنزل الله: «قد سمع الله» الآيات<sup>(٢)</sup>.

ومعنى قوله: ﴿قَوْلِ الْتِي تَجَادِلُكَ﴾ تخاصمك وتحاوّر وتراجعك في زوجها، ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾، مراجعتكما الكلام، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، سميع لما تناجيه وتتضرع إليه، بصير بمن يشكو إليه، ثم ذم الظهار فقال:

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ نِسَائِهِمْ﴾، قرأ عاصم: «يظاهرون» فيها بضم الياء وتخفيف الظاء وألف بعدها وكسر الهاء. وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر، وحزمة، والكسائي: بفتح الياء والهاء، وتشديد الظاء وألف بعدها. وقرأ الآخرون بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء من غير ألف.

﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾، أي ما اللواتي يجعلونهن من زوجاتهم كالأمهات بأمهات. وخفض التاء في «أمهاتهم» على خبر «ما» ومحلّه نصب كقوله: «ما هذا بشراً» (يوسف - ٣١) المعنى: ليس هنّ بأمهاتهم، ﴿إِنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ أي أمهاتهم، ﴿إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ﴾، لا يعرف في شرع ﴿وَزُورًا﴾، كذباً، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾، عفا عنهم وغفر لهم بإيجاب الكفارة عليهم.

وصورة الظهار: أن يقول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي، أو أنت مني أو معي أو عندي كظهر أمي، وكذلك لو قال: أنت عليّ كبطن أمي أو كرأس أمي أو كيد أمي أو قال بطنك أو رأسك أو يدك علي كظهر أمي، أو شبه عضواً منها بعضو آخر من أعضاء أمه فيكون ظهاراً.

(١) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: ٢٧٧/٢، وصححه الحاكم: ٤٨١/٢. وانظر تفسير ابن كثير: ٣١٩/٤.

(٢) أخرجه عبد بن حميد في المنتخب من المسند، صفحة: (٤٣٨)، والنسائي: ١٨٦/٦، والحاكم: ٤٨١/٢. وأخرجه الإمام أحمد: ٤٦/٦ بلفظ: «الحمد لله الذي...»، والبخاري تعليقاً في كتاب التوحيد، باب (وكان الله سميعاً بصيراً): ٣٧٢/١٣.

وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ<sup>ع</sup>  
ذَلِكَ تَوْعُظُونَ بِهِ<sup>ع</sup> وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾

وعند أبي حنيفة - رضي الله عنه - إن شبهها ببطن الأم أو فرجها أو فخذها يكون ظهاراً، وإن شبهها بعضو آخر لا يكون ظهاراً .

ولو قال أنت علي كأمي أو كروح أمي، وأراد به الإعزاز والكرامة فلا يكون ظهاراً حتى يريده، ولو شبهها بجده فقال: أنت علي كظهر جدي يكون ظهاراً، وكذلك لو شبهها بامرأة محرمة عليه بالقرابة بأن قال: أنت علي كظهر أختي أو عمتي أو خالتي، أو شبهها بامرأة محرمة عليه بالرضاع يكون ظهاراً - على الأصح من الأقاويل - .

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾. ثم حُكِمَ الظهار: أنه يحرم على الزوج وطؤها بعد الظهار ما لم يكفر، والكفارة تجب بالعود بعد الظهار. لقوله تعالى: «ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقة» .

واختلف أهل العلم في «العود» فقال أهل الظاهر: هو إعادة لفظ الظهار، وهو قول أبي العالية لقوله تعالى: «ثم يعودون لما قالوا» أي إلى ما قالوا [أي أعادوه مرة أخرى]<sup>(١)</sup>، فإن لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه .

وذهب قوم إلى أن الكفارة تجب بنفس الظهار، والمراد من «العود» هو: العود إلى ما كانوا عليه في الجاهلية من نفس الظهار، وهو قول مجاهد والثوري .

وقال قوم: المراد من «العود» الوطء، وهو قول الحسن وقتادة وطاووس والزهري، وقالوا: لا كفارة عليه ما لم يطأها .

وقال قوم: هو العزم على الوطء، وهو قول مالك وأصحاب الرأي .

وذهب الشافعي إلى أن العود هو أن يمسكها عقيب الظهار زماناً يمكنه أن يفارقها، فلم يفعل، فإن طلقها عقيب الظهار في الحال أو مات أحدهما في الوقت فلا كفارة عليه لأن العود للقول هو المخالفة .

وفسر ابن عباس «العود» بالندم، فقال: يندمون فيرجعون إلى الألفة، ومعناه هذا .

قال الفراء<sup>(٢)</sup>: يقال: عاد فلان لما قال، أي فيما قال، وفي نقض ما قال، يعني:

(١) مابن القوسين ساقط من «أ» .

(٢) معاني القرآن للفراء: ١٣٩/٣ بتصرف في العبارة .

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ  
سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ  
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾

رجع عما قال .

وهذا يبين ما قال الشافعي وذلك أن قصده بالظهار التحريم، فإذا أمسكها على النكاح فقد خالف قوله ورجع عما قاله فنلزمه الكفارة، حتى قال: لو ظاهر عن امرأته الرجعية ينعقد ظهاره ولا كفارة عليه حتى يراجعها، فإن راجعها صار عائداً ولزمته الكفارة .

قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ﴾ والمراد بـ «التماس» : المجامعة، فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التي ظاهر منها ما لم يكفر، سواء أراد التكفير بالإعتاق أو بالصيام أو بالإطعام، وعند مالك إن أراد التكفير بالإطعام يجوز له الوطء قبله؛ لأن الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس وقال في الإطعام: «فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً» ولم يقل: من قبل أن يتماساً .

وعند الآخرين: الإطلاق في الإطعام محمول على المقيد في العتق والصيام .

واختلفوا في تحريم ما سوى الوطء من المباشرات قبل التكفير، كالثبلة والتلذذ: فذهب أكثرهم إلى أنه لا يحرم سوى الوطء، وهو قول الحسن، وسفيان الثوري، وأظهر قول الشافعي، كما أن الحيض يحرم الوطء دون سائر الاستمتاعات .

وذهب بعضهم إلى أنه يحرم، لأن اسم «التماس» يتناول الكل، ولو جامع المظاهر قبل التكفير يعصي الله تعالى، والكفارة في ذمته. ولا يجوز أن يعود ما لم يكفر، ولا يجب بالجماع كفارة أخرى . وقال بعض أهل العلم: إذا واقعها قبل التكفير عليه كفارتان .

وكفارة الظهار مرتبة يجب عليه عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فعليه صيام شهرين متتابعين، فإن أفطر يوماً متعمداً أو نسي النية يجب عليه استئناف الشهرين، فإن عجز عن الصوم يجب عليه أن يطعم ستين مسكيناً .

وقد ذكرنا في سورة المائدة مقدار ما يطعم كل مسكين<sup>(١)</sup> .

(١) انظرو: فيما سبق: ٩١/٣ .

﴿ذَلِكُمْ ثَوَابُكُمْ عَلَيْهِمْ﴾، تؤمرون به، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾، يعني الرقبة، ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَابَعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسًا﴾. فإن كانت له رقبة إلا أنه محتاج إلى خدمته، أو له ثمن رقبة لكنه محتاج إليه لنفقته ونفقة عياله فله أن ينتقل إلى الصوم. وقال مالك والأوزاعي: يلزمه الإعتاق إذا كان واجداً للرقبة أو ثمنها وإن كان محتاجاً إليه. وقال أبو حنيفة: إن كان واجداً لعين الرقبة يجب عليه إعتاقها، وإن كان محتاجاً إليها، فأما إذا كان واجداً لثمن الرقبة وهو محتاج إليه فله أن يصوم، فلو شرع المظاهر في صوم شهرين ثم جامع في خلال الشهر بالليل يعصي الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة، ولكن لا يجب عليه استئناف الشهرين، وعند أبي حنيفة يجب عليه استئناف الشهرين.

قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِينَ مَسْكِينًا﴾، يعني المظاهر إذا لم يستطع الصوم لمرض أو كبر أو فرط شهوة لا يصبر عن الجماع يجب عليه إطعام ستين مسكيناً.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني، أنخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري، حدثنا أحمد بن علي الكشميني حدثنا علي بن حجر، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن محمد بن أبي حرملة، عن عطاء بن يسار أن خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت، فظاهر منها وكان به لم، فجاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن أوساً ظاهر مني، وذكرت أن به لماً فقالت: والذي بعثك بالحق ما جئتك إلا رحمة له إن له في منافع، فأنزل الله القرآن فيها. فقال رسول الله ﷺ: «مُرِيهِ فليعتق رقبة»، قالت: والذي بعثك بالحق ما عنده رقبة ولا ثمنها، قال: مريه فليصم شهرين متتابعين، فقالت: والذي بعثك بالحق لو كلفته ثلاثة أيام ما استطاع، قال: مريه فليطعم ستين مسكيناً، قالت: والذي بعثك بالحق ما يقدر عليه، قال: مريه فليذهب إلى فلان ابن فلان فقد أخبرني أن عنده شطر تمر صدقة، فليأخذه صدقة عليه ثم ليتصدق به على ستين مسكيناً<sup>(١)</sup>.

وروى سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر قال: كنت امرأة أصيب من النساء ما لم يصب غيري فلما دخل شهر رمضان خفت أن أصيب من امرأتي شيئاً فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان، فبينما هي تحدثني ذات ليلة إذ تكشف لي منها شيء فلم ألبث أن وقعت عليها، فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: أنت بذاك، فقلت: أنا بذاك - قاله ثلاثاً - قلت: أنا بذاك وها أنا ذا فأمرض في حكم الله، فأني صابر لذلك، قال: فأعتق رقبة. فضربت صفقة عنقي بيدي فقلت:

(١) أخرجه البيهقي في السنن: ٣٨٩/٧ وله شاهد عند الإمام أحمد: ٤١٠/٦، والمصنف في شرح السنة: ٢٤١/٩.

وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٧١/٨ عزوه لسعيد بن منصور وابن مردويه.



إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ يَبَيِّنُ  
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا  
أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

لا والذي بعثك بالحق ما أملك غيرها، قال: فصم شهرين متتابعين، فقلت: يا رسول الله وهل أصابني ما أصابني إلا من الصيام؟ قال: فأطعم ستين مسكيناً، قلت: والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه [وحشين]<sup>(١)</sup>، ما لنا عشاء، قال: اذهب إلى صاحب صدقة بني زريق فقل له فليدفعها إليك، فأطعم عنك منها وسقاً ستين مسكيناً، ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك. قال: فرجعت إلى قومي فقلت: وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدت عند رسول الله ﷺ السعة والبركة، أمر لي بصدقتكم فادفعوها إليّ، قال: فدفعوها إليه<sup>(٢)</sup>.

﴿ذَلِكَ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، لتصدقوا ما أتى به الرسول ﷺ من الله عز وجل، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، يعني ما وصف من الكفارات في الظهار، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، قال ابن عباس: لمن جحدته وكذب به.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، أي يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون أمرهما، ﴿كُتِبُوا﴾، أذلوا وأخزوا وأهلكوا، ﴿كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾، حفظ الله أعمالهم، ﴿وَنَسُوهُ﴾، والله على كل شيء شهيد \* ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون / قرأ أبو جعفر بالتاء، لتأنيث النجوى، وقرأ الآخرون بالياء لأجل الحائل<sup>(٣)</sup>، ﴿مَنْ نَجَّى ثَلَاثَةً﴾، أي من سرار ثلاثة، يعني من المسارة، أي: ما من شيء يناجي به الرجل صاحبيه، ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، بالعلم

١/١٥٦

(١) في «ب» وُخْشاً.

(٢) أخرجه أبو داود في الطلاق، باب في الظهار: ١٣٧/٣-١٣٩، والترمذي في التفسير: ١٨٨/٩-١٩١ وقال: «هذا حديث حسن.

قال محمد بن إسماعيل: سليمان بن يسار لم يسمع عندي من سلمة بن صخر». وعبد الرزاق في المصنف: ٤٣١/٦، وابن ماجه: في الطلاق، باب الظهار برقم: (٢٠٦٢) ١/٦٦٥-٦٦٦، والدارمي: ٢/١٦٣-١٦٤، والبيهقي في السنن: ٣٩٠/٧، والإمام أحمد: ٥/٤٣٦، وصححه الحاكم: ٢/٢٠٣ على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

وانظر: تلخيص الخبير: ٣/٢٢١، وصححه الألباني في إرواء الغليل: ٧/١٧٦-١٧٩.

(٣) أي الفاصل بين الفعل والفاعل فلذلك لم يؤنث الفعل.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَهُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيُتْسَلِّمُونَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾

وقيل: معناه ما يكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضاً إلا هو رابعهم بالعلم، يعلم نجواهم، ﴿ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا﴾، قرأ يعقوب: «أكثر» بالرفع على محل الكلام قبل دخول «من» ﴿ثُمَّ يَنْتَهُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾، نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، يوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يسؤوهم، فيحزنون لذلك ويقولون ما نراهم إلا وقد بلغهم عن إخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو هزيمة، فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلما طال ذلك عليهم وكثر شكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم فأنزل الله<sup>(١)</sup>: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ أي المناجاة ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾، أي يرجعون إلى المناجاة التي نهوا عنها ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ﴾، قرأ الأعمش وحمة: و «ويتنجون»، على وزن يفتعلون، وقرأ الآخرون «يتناجون»، لقوله: «إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول»، وذلك أن النبي ﷺ كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه، ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾، وذلك أن اليهود كانوا يدخلون على النبي ﷺ ويقولون: السام عليك.. «والسام»: الموت، وهم يوهمون أنه يقولون: السلام عليك، وكان النبي ﷺ يرد عليهم فيقول: عليكم، فإذا خرجوا قالوا: ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾، يريدون: لو كان نبياً حقاً لعذبنا الله بما نقول، قال الله عز وجل: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا﴾

(١) انظر: الطبري: ١٣/٢٨، ابن كثير: ٣٢٤/٤، الدر المنثور: ٨٠/٨ والواحي في أسباب النزول: ص (٤٧٤).

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

فبئس المصير ﴿١٠﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا أبو أيوب عن ابن أبي مليكة، عن عائشة: أن اليهود أتوا النبي ﷺ وقالوا: السام عليك، قال: وعليكم، فقالت عائشة: السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم، فقال رسول الله ﷺ: مهلاً يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش، قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: أولم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في<sup>(١)</sup>، ثم إن الله تعالى: نهى المؤمنين أن يتناجوا فيما بينهم كفعل المنافقين واليهود، فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾، أي كفعل المنافقين واليهود، وقال مقاتل أراد بقوله: «آمنوا» المنافقين، أي آمنوا بلسانهم. قال عطاء: يريد الذين آمنوا بزعمهم، قال لهم: لا تتناجوا بالإثم والعدوان ومَعْصِيَةِ الرَّسُولِ، ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾، أي من تزيين الشيطان، ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي إنما يزين لهم ذلك ليحزن المؤمنين، ﴿وَلَيْسَ﴾، التناجي، ﴿بِضَارِّهِمْ شَيْئًا﴾، وقيل: ليس الشيطان بضارهم شيئاً، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أخبرنا جدي أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار، أخبرنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، حدثنا عبد الرزاق أخبرنا مَعْمَرُ عَنْ أَبِيوب عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عَمْرِو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً

(١) أخرجه البخاري في الدعوات، باب قول النبي ﷺ: يستجاب لنا في اليهود، ولا يستجاب لهم فينا: ١١/١٩٩-٢٠٠، والمصنف في شرح السنة: ٢٧٠/١٢-٢٧١.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ  
وَإِذَا قِيلَ أُنْشِرُوا فَأَنْشِرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ  
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه، فإن ذلك يحزنه<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا﴾، الآية، قال مقاتل بن حيان: كان النبي ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناس منهم يوماً وقد سَبَقُوا إلى المجلس فقاموا حيال النبي ﷺ وسلموا عليه، فردَّ عليهم، ثم سلموا على القوم فردوا عليهم، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم، فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على النبي ﷺ، فقال لمن حوله: قم يا فلان وأنت يا فلان، فأقام من المجلس بقدر النفر الذين قاموا بين يديه من أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي ﷺ الكراهية في وجوههم فأنزل الله هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

وقال الكلبي: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وقد ذكرنا في سورة الحجرات قصته<sup>(٣)</sup>.

وقال قتادة: كانوا يتنافسون في مجلس النبي ﷺ وكانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلاً ضنوا بمجلسهم فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض<sup>(٤)</sup>.

وقيل: كان ذلك يوم الجمعة، فأنزل الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا﴾، أي توسعوا في المجلس، قرأ الحسن، وعاصم: «في المجالس» لأن الكل جالس مجلساً، معناه: ليتفسح كل رجل في مجلسه. وقرأ الآخرون: «في المجلس» على التوحيد، لأن المراد منه مجلس النبي ﷺ، ﴿فَافْسَحُوا﴾: أوسعوا، يقال: فسح يفسح فسحاً: إذا وسع في المجلس، ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾، يوسع الله لكم الجنة، والمجالس فيها.

(١) أخرجه مسلم في السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه برقم (٢١٨٤): ١٧١٨/٤، والمصنف في شرح السنة: ٩٠/١٣.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٨١/٨ لابن أبي حاتم.

وانظر: الواحدي في أسباب النزول، ص (٤٧٥) تفسير ابن كثير: ٣٢٥/٤.

(٣) انظر: فيما سبق: /

(٤) أخرجه الطبري: ١٧/٢٨.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، حدثنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقيمَنَّ أحدكم الرجل من مجلسه ثم يخلفه فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا عبد الوهاب بن الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد المجيد عن ابن جريج قال: قال سليمان بن موسى عن جابر ابن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «لا يقيمَنَّ أحدكم أخاه يوم الجمعة / ولكن ليقل أفسحوا»<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو العالية، والقرظي، والحسن: هذا في مجالس الحرب ومقاعد القتال، كان الرجل يأتي القوم في الصف فيقول توسعوا فيأبون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم في الشهادة<sup>(٣)</sup> ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا﴾، قرأ أهل المدينة والشام وعاصم بضم الشين، وقرأ الآخرون بكسرهما، وهما لغتان أي ارتفعوا، قيل: ارتفعوا عن مواضعكم حتى تُوسَّعوا لإخوانكم. وقال عكرمة والضحاك: كان رجال يتناقلون عن الصلاة إذا نودي لها فأنزل الله تعالى هذه الآية، معناه: إذا نودي للصلاة فانهضوا لها<sup>(٤)</sup>.

وقال مجاهد وأكثر المفسرين: معناه: إذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة وإلى الجهاد وإلى مجالس كل خير وحق فقوموا لها ولا تقصروا<sup>(٥)</sup>.

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾، بطاعتهم لرسوله ﷺ وقيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لإخوانهم، ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم، «درجات»، فأخبر الله عز وجل أن رسوله ﷺ مصيب فيما أمر وأن أولئك المؤمنين مثابون فيما ائتمروا، وأن النفر من أهل بدر مستحقون لما عوملوا من الإكرام.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، قال الحسن: قرأ ابن مسعود هذه الآية وقال: أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبنكم في العلم، فإن الله تعالى يقول: «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم

(١) أخرجه الشافعي في المسند: ١٨٦/٢، والبخاري في الاستئذان، باب (إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا): ٦٢/١١،

ومسلم في السلام، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه، برقم (٢١٧٧): ١٧١٤/٤ والمصنف في شرح السنة: ٢٩٧/١٢.

(٢) أخرجه الشافعي في المسند: ١٨٧/٢، ومسلم في الموضع السابق برقم (٢١٧٨): ١٧١٥/٤.

(٣) انظر: الطبري: ١٧/٢٨.

(٤) انظر: الطبري: ١٨/٢٨.

(٥) الموضع السابق.

درجات» المؤمن العالم فوق الذي لا يعلم درجات .

[أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، حدثنا الإمام أبو الطيب سهل بن محمد ابن سليمان<sup>(١)</sup>] حدثنا أبو علي حامد بن محمد بن عبد الله الهروي، أخبرنا محمد بن يونس القرشي، أخبرنا عبيد الله بن داود، حدثنا عاصم بن رجاء بن حيوة، حدثني داود بن جميل عن كثير بن قيس قال: كنت جالساً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاء رجل فقال: يا أبا الدرداء إني جئتك من مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ، قال: ما كانت لك حاجة غيره؟ قال: لا، قال: ولا جئت لتجارة؟ قال: لا، قال: ولا جئت إلا رغبة فيه؟ قال: نعم، قال: فأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم، وإن السموات والأرض والحوت في الماء لتدعو له، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو علي الحسين بن أحمد بن إبراهيم السراج، أخبرنا الحسن ابن يعقوب العدل، حدثنا محمد بن عبد الوهاب الفراء، حدثنا جعفر بن عون، أخبرنا عبد الرحمن ابن زياد عن عبد الرحمن بن رافع، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ مرّ بمجلسين في مسجده، أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه، والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه، قال: «كلا المجلسين على خير، وأحدهما أفضل من صاحبه، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل، فهؤلاء أفضل وإنما بعثت معلماً، ثم جلس فيهم»<sup>(٣)</sup>.

(١) مابين القوسين ساقط من «أ» .

(٢) أخرجه أبو داود في العلم: باب الحث على طلب العلم: ٢٤٣/٥ قال المنذري: «وقد اختلف في هذا الحديث اختلافاً كثيراً...»، والترمذي في العلم، باب ماجاء في فضل الفقه على العبادة: ٤٥٠/٧-٤٥٣ لكن من طريق محمود بن خدّاش البغدادي، وقال، «ولاعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة، وليس إسناده عندي بمتمصل هكذا، حدثنا محمود ابن خدّاش هذا الحديث، وإنما يروى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن داود بن جميل، عن كثير بن قيس، عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ وهذا أصح من حديث محمود بن خدّاش»، والدارمي: ٩٨/١، وابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم برقم (٢٢٣): ٨١/١، والإمام أحمد: ١٩٦/٥، وابن حبان في موارد الظمان: صفحة (٤٨)، والمصنف في شرح السنة: ٢٧٥-٢٧٦ وللحديث شواهد يتقوى بها كما قال الحافظ في الفتح: (١٦٠/١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٦٢٩٧).

(٣) أخرجه الدارمي: ٩٩/١-١٠٠، وأبو داود الطيالسي: صفحة (٢٩٨)، والمصنف في شرح السنة: ٢٧٤-٢٧٥ . والحديث ضعيف لضعف عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفرقي .

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾

قوله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ﴾، أمام مناجاتكم، قال ابن عباس: وذلك أن الناس سألوا رسول الله ﷺ وأكثروا حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف على نبيه ويشبطهم ويردعهم عن ذلك فأمرهم أن يقدموا صدقة على المناجاة مع الرسول ﷺ (١).

وقال مقاتل بن حيان: نزلت في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يأتون النبي ﷺ فيكثر من مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس، حتى كره النبي ﷺ طول جلوسهم ومناجاتهم، فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئاً وأما أهل اليسرة فضنوا واشتد ذلك على أصحاب النبي ﷺ، فنزلت الرخصة (٢).

قال مجاهد: نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا، فلم ينجح إلا علي رضي الله عنه، تصدق بدينار ونجاه، ثم نزلت الرخصة فكان علي رضي الله عنه يقول: آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وهي آية المناجاة (٣).

وروي عن علي رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية دعاني رسول الله ﷺ فقال: أما ترى ديناراً؟ قلت: لا يطيعونه، قال: فكم؟ قلت: حبة أو شعيرة، قال: إنك لزهيد، فنزلت: «أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات»، قال علي رضي الله تعالى عنه: فبي قد خفف الله عن هذه الأمة (٤).

﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، يعني: تقديم الصدقة على المناجاة، ﴿وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، يعني الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به معفو عنهم.

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٨٣/٨ لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وانظر: الطبري: ٢٨/٢٠-٢١.

(٢) انظر: الواحدي في أسباب النزول ص (٤٧٦).

(٣) أخرجه الطبري: ٢٨/١٩-٢٠، وابن كثير: ٤/٣٢٧.

(٤) أخرجه الترمذي في التفسير - تفسير سورة المجادلة - ١٩٢/٩-١٩٤ وقال: «هذا حديث حسن غريب»، والطبري: ٢٨/٢١، وأبو يعلى: ٢٢٣/١، وابن حبان في موارد الظمان برقم: (١٧٦٤) صفحة: (٤٣٧) وفيه علي بن علقمة ذكره ابن حبان في المجروحين: (١٠٩/٢) وقال: «منكر الحديث ينفرد عن علي بما لا يشبه حديثه». وذكره الذهبي في الميزان: (١٤٦/٣) وقال: «في حديثه نظره»، وساق له هذا الحديث الذي ذكره العقيلي في الضعفاء.

ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقْتُمْ ۖ فَاذْلَمُوا تَفَعَّلُوا ۚ وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَاقِيمُوا  
الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَيْرٌ يُمَاتَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۖ أَلَمْ تَرَوْا إِلَى  
الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ  
يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا﴾ قال ابن عباس: أُنْجَلْتُمْ؟ والمعنى: أُنْجَلْتُمْ العيلة والفاقة إن قدمتم،  
﴿بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقْتُمْ﴾، فإذ لم تفعلوا، ما أمرتم به، ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: تجاوز عنكم ولم  
يعاقبكم بترك الصدقة، وقيل «الواو»، صلة، مجازة: فإن لم تفعلوا تاب الله عليكم ونسخ الصدقة  
[قال مقاتل بن حيان: كان ذلك عشر ليال ثم نسخ] <sup>(١)</sup>. وقال الكلبي: ما كانت إلا ساعة من نهار.  
﴿فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، المفروضة، ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾، الواجبة، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا  
تَعْمَلُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، نزلت في المنافقين تولَّوا اليهود وناصحوهم  
ونقلوا أسرار المؤمنين إليهم <sup>(٢)</sup>. وأراد بقوله: «غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ» اليهود، ﴿مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾،  
يعني المنافقين ليسوا من المؤمنين في الدين والولاء، ولا من اليهود والكافرين، كما قال: «مُذَبِّذِينَ  
بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ» (النساء - ١٤٣).

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، قال السدي ومقاتل: نزلت في عبد الله بن نبتل  
المنافق كان يجالس رسول الله ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينما رسول الله ﷺ في حجرة من  
حُجْرِهِ إِذْ قَالَ: يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ قَلْبُهُ قَلْبُ جَبَّارٍ وَيَنْظُرُ بَعْيِي شَيْطَانٌ، فَدْخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ  
نَبْتَلٍ وَكَانَ أَزْرَقَ الْعَيْنَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَامَ تَشْتَمْنِي أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ؟» فَحَلَفَ بِاللَّهِ مَا فَعَلَ  
وَجَاءَ بِأَصْحَابِهِ فَحَلَفُوا بِاللَّهِ مَا سُبُّهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَاتِ، فَقَالَ: «وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ  
وَهُمْ يَعْلَمُونَ» / أَنَّهُمْ كَذِبَةٌ <sup>(٣)</sup>.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ اتخذوا أيمانهم، الكاذبة، ﴿جَنَّةٍ﴾،  
يَسْتَجْتُونَ بِهَا مِنَ الْقَتْلِ وَيُدْفَعُونَ بِهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، ﴿فَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، صدوا المؤمنين

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٢) انظر: القرطبي: ٣٠٤/١٧.

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول صفحة: (٤٧٦).

قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف، ص (١٦٥) «لم أجده هكذا».



اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ  
 أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ  
 يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ  
 الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا  
 إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي  
 الْأَذْلِينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

عن جهادهم بالقتل وأخذ أموالهم، ﴿فلهم عذاب مهين﴾ .

﴿لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ﴾، يوم القيامة، ﴿أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً أولئك أصحاب النار  
 هم فيها خالدون﴾ يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له، ﴿كاذبين ما كانوا مشركين، ﴿كما يحلفون  
 لكم﴾، في الدنيا ﴿ويحسبون أنهم على شيء﴾، من أيمانهم الكاذبة، ﴿ألا إنهم هم الكاذبون﴾ .  
 ﴿استحوذ﴾، غلب واستولى، ﴿عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان  
 ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين،  
 الأسفلين: أي: هم في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والآخرة .

﴿كتب الله﴾، قضى الله قضاءً ثابتاً، ﴿لأغلبن أنا ورسلي إن الله قويٌّ عزيزٌ﴾، [نظيره]<sup>(١)</sup>  
 قوله: «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون» (الصفات ٧١-٧٢)، قال الزجاج:  
 غلبة الرسل على نوعين: من بعث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب، ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة .

قوله عز وجل ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو  
 كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾، الآية. أخبر أن إيمان المؤمنين يفسد بموادة  
 الكافرين وأن من كان مؤمناً لا يوالي من كفر، وإن كان من عشيرته .

قيل: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة وسيأتي في سورة الممتحنة<sup>(٢)</sup>،  
 إن شاء الله عز وجل .

(١) ساقط من (أ)،

(٢) انظر: القرطبي: ٣٠٨/١٧ .

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ،  
وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ  
كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي  
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ  
اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

وروى مقاتل بن حيان عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية قال: «ولو كانوا آباءهم» يعني: أبا عبيدة بن الجراح، قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد «أو أبناءهم»، يعني: أبا بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، وقال: يا رسول الله دعني أكن في الرحلة الأولى، فقال له رسول الله ﷺ: «مَتَّعْنَا بِنَفْسِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، «أو إخوانهم» يعني: مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد، «أو عشيرتهم» يعني عمر قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وعلياً وحمة وعبيدة قتلوا يوم بدر عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة<sup>(١)</sup>.

﴿أُولَئِكَ كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ﴾، أثبت التصديق في قلوبهم فهي موقنة مخلصه، وقيل: حكم لهم بالإيمان فذكر القلوب لأنها موضعه ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ قواهم بنصر منه. قال الحسن: سمي نصره إياهم روحاً لأن أمرهم يحيا به. وقال السدي: يعني بالإيمان. وقال الربيع: يعني بالقرآن وحجته، كما قال: «وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا» (الشورى-٥٢) وقيل برحمة منه. وقيل أمدهم بجبريل عليه السلام. ﴿وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

(١) انظر: الواحدي في أسباب النزول صفحة (٤٧٨)، القرطبي: ٣٠٧/١٧، ابن كثير: ٣٣٠/٤.



سورة  
الحشم



## سُورَةُ الْحَشْرِ

مدينة<sup>(١)</sup>

قال سعيد بن جبیر: قلت لابن عباس: سورة الحشر؟ قال: قل: سورة النضير<sup>(٢)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، قال المفسرون: نزلت هذه السورة في بني النضير<sup>(٣)</sup>، وذلك أن النبي ﷺ دخل المدينة فصالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه، فقبل ذلك رسول الله ﷺ منهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا وظهر على المشركين قالت بنو النضير: والله إنه النبي الذي وجدنا نعتة في التوراة لا ترد له راية، فلما غزا أحداً وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله ﷺ والمؤمنين، ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، وركب كعب بن الأشرف في أربعين راكباً من اليهود إلى مكة فأتوا قريشاً فحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد ﷺ، ودخل أبو سفيان في أربعين وكعب في أربعين من اليهود المسجد الحرام، وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الأستار والكعبة، ثم رجع كعب وأصحابه إلى المدينة، ونزل جبريل فأخبر النبي ﷺ بما تعاهد عليه كعب وأبو سفيان، فأمر النبي ﷺ بقتل كعب بن الأشرف فقتله محمد بن مسلمة - ذكرناه في سورة آل عمران<sup>(٤)</sup>

وكان النبي ﷺ اطلع منهم على خيانة حين أتاهم في دية المسلمين اللذين قتلهما

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة الحشر بالمدينة .

وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله .

انظر: الدر المنثور: ٨٨/٨ .

(٢) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة الحشر - ٦٢٩/٨ .

(٣) أخرجه البخاري في الموضع السابق، ومسلم في التفسير، باب في سورة براءة والأنفال والحشر، برقم (٣٠٣١): ٢٣٢٢/٤ .

عن سعيد بن جبیر .

(٤) انظر: فيما سبق: ١٤٧/٢ .

عمرو بن أمية الضمري في مُنْصَرَفِهِ من بئر معونة، فهموا بطرح حجر عليه من فوق الحصن، فعصمه الله وأخبره بذلك - ذكرناه في سورة المائدة <sup>(١)</sup> .

فلما قتل كعب بن الأشرف أصبح رسول الله ﷺ وأمر الناس بالمسير إلى بني النضير، وكانوا بقرية يقال لها زهرة، فلما سار إليهم النبي ﷺ وجدهم ينوحون على كعب بن الأشرف، فقالوا: يا محمد واعية على أثر واعية وباكية على أثر باكية؟ قال: نعم، قالوا: ذرنا نبكي شجوناً ثم اتهم أملك، فقال النبي ﷺ: اخرجوا من المدينة، فقالوا: الموت أقرب إلينا من ذلك، فتنادوا بالحرب وأذنوا بالقتال، ودس المنافقون - عبد الله بن أبي وأصحابه - إليهم: أن لا تخرجوا من الحصن، فإن قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم، ولكن أخرجتم لنخرجن معكم. فدرّبوا على الأزقة وحصّونها، ثم إنهم أجمعوا على الغدر برسول الله ﷺ فأرسلوا إليه: أن اخرج في ثلاثين رجلاً من أصحابك، وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك، فيستمعوا منك، فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا، فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه وخرج إليه ثلاثون حبراً من اليهود حتى إذا كانوا في براز من الأرض قال بعض اليهود لبعض: كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه كلهم يحب أن يموت قبله؟ فأرسلوا إليه: كيف نفهم ونحن ستون رجلاً؟ اخرج في ثلاثة من أصحابك ونخرج إليك في ثلاثة من علمائنا فيستمعوا منك، فإن آمنوا بك آمنا كلنا بك وصدقناك، فخرج النبي ﷺ في ثلاثة من أصحابه، وخرج ثلاثة من اليهود، واشتملوا / على الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ، فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى أخيها وهو رجل مسلم من الأنصار فأخبرته بما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله ﷺ فأقبل أخوها سريعاً حتى أدرك النبي ﷺ، فسارّه بخبرهم قبل أن يصل النبي ﷺ إليهم، فرجع النبي ﷺ، فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة، فقذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين، فسألوا رسول الله ﷺ الصلح، فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به النبي ﷺ، فقبلوا ذلك، فصالحهم على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من أموالهم إلا الحلقة وهي السلاح، وعلى أن يخلّوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم <sup>(٢)</sup> .

وقال ابن عباس: على أن يحمل كل أهل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم، ولنبي الله ﷺ ما بقي .

(١) انظر: فيما سبق: ٢٨/٣ .

(٢) أخرجه بعضه أبو داود في الخراج والإمارة، باب في خبر النضير: ٢٣٤/٤ - ٢٣٥ .

وأخرجه مطولاً عبد الرزاق في المصنف: ٣٥٩/٥ - ٣٦٠، وعراه السيوطي في الدر: ٩٣/٨ أيضاً لعبد بن حميد والبيهقي في الدلائل وانظر: تفسير ابن كثير: ٣٣١/٤ - ٣٣٢ .

هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنْهَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾

وقال الضحاك: أعطي كل ثلاثة نفر بغيراً وسقاة ففعلوا ذلك وخرجوا من المدينة إلى الشام إلى أذرعات وأريحاء إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حبي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر، ولحقت طائفة منهم بالحيرة<sup>(١)</sup>. فذلك قوله عز وجل:

﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب﴾، يعني بني النضير، ﴿من ديارهم﴾، التي كانت بيثرب، قال ابن إسحاق: كان إجلاء بني النضير بعد مرجع النبي ﷺ من أحد وفتح قريظة عند مرجعه من الأحزاب وبينهما سنتان. ﴿لأول الحشر﴾، قال الزهري: كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا<sup>(٢)</sup>.

قال ابن عباس: من شك أن الحشر بالشام فليقرأ هذه الآية، فكان هذا أول حشر إلى الشام، قال لهم النبي ﷺ: اخرجوا، قالوا إلى أين، قال: إلى أرض الحشر، ثم يحشر الخلق يوم القيامة إلى الشام<sup>(٣)</sup>.

وقال الكلبي: إنما قال: «لأول الحشر» لأنهم كانوا أول من أجلى من أهل الكتاب من جزيرة العرب، ثم أجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال مرة الهمداني: كان أول الحشر من المدينة، والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحاء من الشام في أيام عمر.

وقال قتادة: كان هذا أول الحشر، والحشر الثاني نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب تبيت

(١) أخرجه الطبري: ٣٢-٣١/٢٨.

وعزه السيوطي في الدر المنثور: ٩١/٨ أيضاً لابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٨/٢٨.

(٣) انظر: ابن كثير في التفسير: ٣٣٣/٤، القرطبي: ٢/١٨.



وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ

معهم حيث باتوا وتقبل معهم حيث قالوا<sup>(١)</sup>.

﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾، أيها المؤمنون ﴿أَنْ يُخْرِجُوا﴾، من المدينة لعزتهم ومنعتهم، وذلك أنهم كانوا أهل حصون وعقار ونخيل كثيرة. ﴿وظنوا أنهم ما نعُتهم حصونهم من الله﴾، أي: وظن بنو النضير أن حصونهم تمنعهم من سلطان الله، ﴿فأتاهم الله﴾، أي أمر الله وعذابه، ﴿من حيث لم يحتسبوا﴾، وهو أنه أمر نبيه ﷺ بقتلهم وإجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك، ﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾، بقتل سيدهم كعب بن الأشرف.

﴿يُخْرِبُونَ﴾، قرأ أبو عمر: بالتشديد، والآخرون بالتخفيف، ومعناها واحد، ﴿بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين﴾، قال الزهري: وذلك أن النبي ﷺ لما صالحهم على أن لهم ما أقلت الإبل، كانوا ينظرون إلى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون منها ما يستحسنونه فيحملونه على إيلهم، ويخرب المؤمنون باقيا<sup>(٢)</sup>.

قال ابن زيد: كانوا يقلعون العُمد، وينقضون السقوف، وينقبون الجدران، ويقلعون الخشب حتى الأوتاد، يخربونها لئلا يسكنها المؤمنون حسداً منهم وبغضا<sup>(٣)</sup>.

قال قتادة: كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها<sup>(٤)</sup>.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتسع لهم المقاتل، وجعل أعداء الله ينقبون دورهم في أدبارها فيخرجون إلى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم، ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله ﷺ، فذلك قوله عز وجل: ﴿يُخْرِبُونَ بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا﴾، فاتعظوا وانظروا فيما نزل بهم، ﴿يا أولي الأبصار﴾، ياذوي العقول والبصائر.

﴿ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء﴾، الخروج من الوطن، ﴿لَعَذَّبَهُم فِي الدُّنْيَا﴾، بالقتل والسبي كما فعل بيني قريظة، ﴿ولهم في الآخرة عذاب النار﴾، الذي لحقهم، ﴿بأنهم شاقوا﴾

(١) انظر: الطبري: ٢٨/٢٩.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٨/٢٩-٣٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٨/٣٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٨/٢٩.

﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾  
مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ  
الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب .

﴿ما قطعتم من لينة﴾، الآية. وذلك أن رسول الله ﷺ لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم وإحراقها، فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا: يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح! أفمنّ الصلاح عقر الشجر وقطع النخيل؟ فهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض؟ فوجد المسلمون في أنفسهم [من قولهم، وخشوا] <sup>(١)</sup> أن يكون ذلك فساداً واختلفوا في ذلك، فقال بعضهم: لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا. وقال بعضهم: بل نغيظهم بقطعها، فأنزل الله هذه الآية بتصديق من نهي عن قطعه وتحليل من قطعه من الإثم .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا آدم، حدثنا الليث عن نافع عن ابن عمر قال: حرق رسول الله ﷺ نخل بني النضير وقطع البؤيرة، فنزلت <sup>(٢)</sup>:

﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة علىٰ أصولها فبإذن الله﴾، أخبر الله في هذه الآية أن ما قطعوه وما تركوه فبإذن الله، ﴿وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ﴾ .

واختلفوا في «اللينّة»، فقال قوم: النخل كلها لينة ما خلا العجوة، [وهو قول عكرمة وقتادة <sup>(٣)</sup>]، ورواه زاذان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يقطع نخيلهم إلا العجوة <sup>(٤)</sup> وأهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمرة: الألوان، واحدا لون ولينة .

وقال الزهري: هي ألوان النخل كلها إلا العجوة والبرنية .

(١) في «أ» (وحسبوا) .

(٢) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة الحشر - باب (ما قطعتم من لينة): ٦٢٩/٨، ومسلم في الجهاد، باب جواز قطع أشجار الكفار برقم (١٧٤٦): ١٣٦٥/٣-١٣٦٦ .

(٣) عز السيوطي في الدر الثور: ٩٨/٨ قول عكرمة لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر . وقول قتادة في الموضع نفسه لعبد بن حميد .

(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ

وقال مجاهد وعطية: هي النخل كلها من غير استثناء. وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهم: هي لون من النخل. وقال سفيان: هي كرام النخل.

وقال مقاتل: هي ضرب من النخل / يقال لثمرها اللون، وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارج يغيب فيها الضرس، وكان من أجود تمرهم وأعجبها إليهم، وكانت النخلة الواحدة منها ثمنًا ثمن وصيف، وأحب إليهم من وصيف، فلما رأوهم يقطعونها شق ذلك عليهم وقالوا للمؤمنين إنكم تكرهون الفساد في الأرض وأنتم تفسدون دعوا هذا النخل [قائماً هو لمن غلب عليها]<sup>(١)</sup>، فأخبر الله تعالى أن ذلك بإذنه.

﴿وما أفاء الله على رسوله﴾ أي رده على رسوله. يقال: أفاء يفيء أي رجع، وأفاء الله ﴿منهم﴾ أي من يهود بني النضير، ﴿فما أوجفتم﴾، أوضعتهم، ﴿عليه من خيل ولا رِكَابٍ﴾، يقال: وجف الفرس والبعير يحف وجيفاً وهو سرعة السير، وأوجفه صاحبه إذا حمّله على السير، وأراد بالركاب الإبل التي تحمل القوم. وذلك أن بني النضير لما تركوا ربايعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله ﷺ أن يقسمها بينهم، كما فعل بغنائم خيبر، فبين الله تعالى في هذه الآية أنها فيء لم يوجف المسلمون عليها خيلاً ولا زكاًباً ولم يقطعوا إليها شقة ولا نالوا مشقة ولم يلقوا حرباً، ﴿ولكن الله يسّطّر رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير﴾، فجعل أموال بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة، وهم أبو دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف، والحارث ابن الصمة<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري، أخبرني مالك بن أوس بن الحدثان النضري، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعاه إذ جاءه حاجبه يرفاً فقال: هل لك في عثمان وعبد الرحمن والزبير وسعد يستأذنون؟ قال: نعم، فأدخلهم، فلبث يرفاً قليلاً ثم جاء فقال: هل لك في عباس وعلي يستأذنان؟ قال: نعم، فلما دخلا قال عباس: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا، وهما يختصمان في الذي أفاء الله على رسوله من بني النضير - فقال الرهط: يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرخ

(١) في «أ» (فإنما هي ثمن لمن غلب عليها).

(٢) قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف صفحة: (١٦٦): ذكره الثعلبي بغير سند.

أحدهما من الآخر، قال: اتشدوا، أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركنا صدقة. يريد رسول الله ﷺ نفسه؟ قالوا: قد قال ذلك، فأقبل عمر على علي وعباس، فقال أنشدكما بالله هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: فإني أحدثكم عن هذا الأمر، إن الله كان خص رسول الله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحداً غيره، فقال: «وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب»، إلى قوله: «قدير»، وكانت هذه خالصة لرسول الله ﷺ ما احتازها دونكم ولا استأثرها عليكم لقد أعطاكموها وبثها فيكم حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقي فيجعله يجعل مال الله، فعمل بذلك رسول الله ﷺ حياته، ثم توفي النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله ﷺ فقبضها أبو بكر رضي الله تعالى عنه فعمل بها بما عمل به فيها رسول الله ﷺ، وأنتم حينئذ جميع، وأقبل على علي وعباس: تذكرا أن أبا بكر فعل فيه كما تقولان والله يعلم إنه فيها صادق بار راشد تابع للحق، ثم توفي الله أبا بكر، فقلت: أنا ولي رسول الله ﷺ وأي بكر فقبضتها سنتين من إمارتي أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ، وأبو بكر والله يعلم إنني فيه صادق بار راشد تابع للحق، ثم جئتماني كلاكما وكلمتكما واحدة، وأمركما جميع فقلت لكما: إن رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركنا صدقة، فلما بدا لي أن أدفعه إليكما قلت: إن شئنا دفعته إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل به رسول الله ﷺ وأبو بكر، وبما عملت به فيها منذ وليتها، وإلا فلا تكلماني فيها، فقلتما: ادفعها إلينا بذلك فدفعتها إليكما؟ أفلتتمسان مني قضاء غير ذلك؟ فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض لا أقضي فيها قضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة، فإن عجزتما عنها فادفعها إلي فإني أكفيكما<sup>(١)</sup>

قوله عز وجل ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾، يعني من أموال كفار أهل القرى، قال ابن عباس: هي قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة، ﴿فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾، قد ذكرنا في سورة الأنفال حكم الغنيمة وحكم الفيء. إن مال الفيء كان لرسول الله ﷺ في حياته يضعه حيث يشاء وكان ينفق منه على أهله نفقة سنتهم ويجعل ما بقي يجعل مال الله<sup>(٢)</sup>.

واختلف أهل العلم في مصرف الفيء بعد رسول الله ﷺ، فقال قوم: هو للأئمة بعده.

(١) أخرجه البخاري في الفرائض، باب قول النبي ﷺ (لأنورث ما تركناه صدقة): ٦/١٢ وفي المغازي: ٣٣٤/٧-٣٣٥، ومسلم في الجهاد، باب حكم الفيء برقم (١٧٥٧): ٣/١٣٧٧-١٣٧٩.

(٢) انظر: فيما سبق: ٣/٣٦١.

مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا إِلَيْكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾

وللشافعي فيه قولان: أحدهما - هو للمقاتلة، والثاني: لمصالح المسلمين، ويبدأ بالمقاتلة ثم بالأهم فالأهم من المصالح.

واختلفوا في تخميس مال الفبيء: فذهب بعضهم إلى أنه يخمس، فخمسه لأهل الغنينة، وأربعة أخماسه للمقاتلة وللمصالح، وذهب الأكثرون إلى أنه لا يخمس بل مصرف جميعه واحد، ولجميع المسلمين فيه حق، قرأ عمر بن الخطاب: «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى»، حتى بلغ: «للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم. والذين جاؤوا من بعدهم»، ثم قال: هذه استوعبت المسلمين عامة، وقال: ما على وجه الأرض مسلم إلا له في هذا الفبيء حق إلا ما ملكت أيماكم<sup>(١)</sup>.

﴿كي لا يكون دولة﴾، قرأ العامة بالياء، «دولة» نصب، أي لكيلا يكون الفبيء دولة، وقرأ أبو جعفر: «تكون» بالتاء «دولة» بالرفع على اسم كان، أي: كيلا يكون الأمر إلى دولة، وجعل الكينونة بمعنى الوقوع وحيث لا خبر له. «والدولة» اسم للشئ الذي يتداوله القوم بينهم، ﴿بين الأغنياء منكم﴾، يعني بين الرؤساء والأقوياء، فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا اغتنموا غنينة أخذ الرئيس ربعها لنفسه، وهو المرباع، ثم يصطفي منها بعد المرباع ما شاء، فجعله الله لرسوله ﷺ يقسمه فيما أمر به، ثم قال:

﴿وما آتاكم﴾، أعطاكم، ﴿الرسول﴾، [من الفبيء والغنينة]<sup>(٢)</sup>، ﴿فخذوه وما نهاكم عنه﴾،

١٥٨/ب من الغلول وغيره، ﴿فانتهاوا﴾، وهذا نازل في / أموال الفبيء، وهو عام في كل ما أمر به النبي ﷺ ونهى عنه.

(١) أخرجه أبو داود في الإمارة، باب في تدوين العطاء: ٢١٤/٤ وقال المنذري: وهذا منقطع، الزهري لم يسمع من عمر، والبيهقي في السنن: ٣٥٢-٣٤٧/٦.

وأخرج بعضه عبد الرزاق في التفسير: ٢٨٤/٢، وأبو عبيد في الأموال: صفحة: (٢٤٣-٢٤٤) والطبري: ٣٧/٢٨. وصححه الألباني موقوفاً على عمر. انظر: إرواء الغليل: ٨٤-٨٣/٥.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

## لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، عن محمد بن يوسف، حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: لعن الله الواثقات والمستوثقات والمتنصطات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله. فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب، فجاءت فقالت: إنه قد بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله تعالى؟ فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول، قال: لكن كنت قرأته لقد وجدته أما قرأت: «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» (الحشر - ٧)؟ قالت: بلى، قال: فإنه قد نهي عنه<sup>(١)</sup>.

﴿واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾، ثم بين من له الحق في الفبي فقال:

﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً﴾، رزقاً ﴿من الله ورضواناً﴾، أي خرجوا إلى دار الهجرة طلباً لرضا الله عز وجل، ﴿وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾، في إيمانهم. قال قتادة: هؤلاء المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والعشائر وخرجوا حباً لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما كانوا فيه من شدة، حتى ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ما له دثار غيرها<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا محمد بن الحسن المروزي، أخبرنا أبو العباس الطحان، أخبرنا أبو أحمد بن محمد بن قريش<sup>(٣)</sup> بن سليمان، أخبرنا علي بن عبد العزيز المكي، أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام، حدثني عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن أبي إسحاق عن أمية بن خالد بن عبد الله بن أسيد عن النبي ﷺ: أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين. قال أبو عبيد: هكذا قال عبد الرحمن وهو عندي أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة الحشر - باب (وما آتاكم الرسول فخذوه) ٦٣٠/٨، ومسلم في اللباس، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة برقم: (٢١٢٥) : ١٦٧٨/٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٠/٢٨.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ١٠٥/٨ أيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) في «ب»: فراس.

(٤) رواه الطبري في الكبير: ٢٦٩/١، والمصنف في شرح السنة: ٢٦٤/١٤. وذكره ابن حجر في الإصابة: ٢٤٦/١ من رواية =

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ

وروينا عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم، وذلك مقدار خمسمائة سنة»<sup>(١)</sup>.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾، وهم الأنصار تبوَّءوا الدار توطنوا الدار، أي: المدينة، اتخذوها دار الهجرة والإيمان، ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي أسلموا في ديارهم وآثروا الإيمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي ﷺ بسنتين.

ونظم الآية: والذين تبوَّءوا الدار من قبلهم أي من قبل قدوم المهاجرين عليهم، وقد آمنوا لأن الإيمان ليس بمكان تبوء.

﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾، حازرة وغيظاً وحسداً، ﴿مِمَّا أُوتُوا﴾، أي مما أعطى المهاجرين دونهم من الفء، وذلك أن رسول الله ﷺ قسم أموال بني النضير بين المهاجرين، ولم يعط منها الأنصار قطابت أنفس الأنصار بذلك، ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾، أي يؤثرون على إخوانهم من المهاجرين بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم، ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون، وذلك أنهم قاسموهم ديارهم وأموالهم:

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا مسدد، حدثنا عبد الله بن داود عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي ﷺ فاستضافه فبعث إلى نسائه هل عندكن من شيء؟ فقلن ما معناه: إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: من يضم أو يضيف هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبيان،

= الطبراني. وقال: «أمية هذا ليست له صحة ولا رؤية...» وعزاه المنذري للطبراني أيضاً بلفظ: «كان يستفتح بصعاليك المسلمين» وقال: «رواه رواة الصحيح، وهو مرسل». انظر: الترغيب والترهيب: ١٤٤/٤. وذكره في مشكاة المصابيح (١٤٤٤/٣) وعزاه. لشرح السنة وضعفه الألباني. وانظر غريب الحديث لأبي عبيد: ٢٤٨/١.

(١) حديث ضعيف أخرجه أبو داود في العلم، باب في القصص: ٢٥٥/٥-٢٥٦، والإمام أحمد: ٩٦، ٦٣/٣.

قال المنذري: في إسناده المعلّى بن زياد أبو الحسن وفيه مقال.

وذكره الألباني في «ضعيف الجامع» برقم (٤٠).

## وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾

فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك، إذا أرادوا عشاءً، فهيأت طعامها وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلوا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال: ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما، فأنزل الله عز وجل: «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا الحكم بن نافع، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قالت الأنصار: أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: لا، فقالوا: تكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال: دعا النبي ﷺ الأنصار إلى أن يقطع لهم البحرين، فقالوا: لا إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها، قال: «ألا فاصبروا حتى تلقوني على الحوض، فإنه سيصيكم أثرة بعدي»<sup>(٣)</sup>.

وروي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم النضير للأنصار: «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة»، فقالت الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها، فأنزل الله عز وجل: «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار، باب قول الله عز وجل: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة): ١١٩/٧، ومسلم في الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره برقم: (٢٠٥٤): ١٦٢٤/٣.

(٢) أخرجه البخاري في الشروط، باب الشروط في المعاملة: ٣٢٢/٥.

(٣) أخرجه البخاري في المساقاة، باب القطائع: ٤٧/٥ وفي الجزية والموادعة باب: ما أقطع النبي ﷺ في البحرين ...: ٢٦٨/٦.

(٤) انظر: القرطبي: ٢٥/١٨.



«والشح» في كلام العرب: البخل ومنع الفضل. وفرّق العلماء بين الشح والبخل. روي أن رجلاً قال لعبد الله بن مسعود: إني أخاف أن أكون قد هلك، فقال: وما ذاك؟ قال: أسمع الله يقول: «ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»، وأنا رجل شحيح، لا يكاد يخرج من يدي شيء، فقال عبد الله: ليس ذاك بالشح الذي ذكر الله عز وجل في القرآن، ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلماً ولكن ذاك / البخل، وبئس الشيء البخل<sup>(١)</sup>.

١/١٥٩

وقال ابن عمر: ليس الشح أن يمنع الرجل ماله، إنما الشح أن تطمح عين الرجل إلى ما ليس له<sup>(٢)</sup>.

وقال سعيد بن جبيرة: «الشح» هو أخذ الحرام ومنع الزكاة<sup>(٣)</sup>. وقيل: الشح هو الحرص الشديد الذي يحمله على ارتكاب المحارم.

قال ابن زيد: من لم يأخذ شيئاً نهاه الله عنه، ولم يدعه الشح إلى أن يمنع شيئاً من شيء أمره الله به فقد وقاه شح نفسه<sup>(٤)</sup>.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو سعيد خلف بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي نزار، حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن حراز القهندري، حدثنا أبو عبد الله محمد بن إسحاق السعدي، حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا القعني، حدثنا داود بن قيس الفراء عن عبيد الله بن مقسم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»<sup>(٥)</sup>.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، حدثنا أبو العباس

(١) أخرجه الطبري: ٤٣/٢٨.

وعزه السيوطي في الدر المنثور: ١٠٧/٨ أيضاً لابن أبي شيبة وعبد بن حميد والفراني وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الشعب .  
وصححه الحاكم: ٤٩٠/٢.

وفيه المسعودي: صدوق اختلط قبل موته .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ١٠٧/٨ لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ١٠٨/٨ لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) أخرجه الطبري: ٤٤/٢٨ .

(٥) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم برقم: (٢٥٧٨)، ١٩٩٦/٤، والمصنف في شرح السنة: ٣٥٧/١٤ .

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾

الأصم، أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أخبرنا أبي وشعيب قالوا: أخبرنا الليث عن يزيد ابن الهاد عن سهيل بن أبي صالح عن صفوان بن أبي يزيد عن القعقاع هو ابن اللجلاج عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً» (١).

قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، يعني التابعين وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة، ثم ذكر أنهم يدعون لأنفسهم ولمن سبقهم بالإيمان والمغفرة، فقال: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾، غشاً وحسداً وبغضاً، ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، فكل من كان في قلبه غِلٌّ على أحد من الصحابة ولم يترحم على جميعهم فإنه ليس ممن عناه الله بهذه الآية، لأن الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاثة منازل: المهاجرين والأنصار والتابعين الموصوفين بما ذكر الله، فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجاً من أقسام المؤمنين.

قال ابن أبي ليلى: الناس على ثلاثة منازل: الفقراء المهاجرين، والذين تبوءوا الدار والإيمان، والذين جاؤوا من بعدهم، فاجتهد أن لا تكون خارجاً من هذه المنازل (٢).

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد ابن عبد الله بن سليمان حدثنا ابن نمير، حدثنا أبي عن إسماعيل بن إبراهيم عن عبد الملك بن عمير

(١) أخرجه النسائي في الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه: ١٣/٦-١٤، والإمام أحمد: ٢/٢٥٦، ٣٤١، ٤٤١، والحاكم: ٧٢/٢، والمصنف في شرح السنة: ٣٥٤/١٠.

وانظر: صحيح الجامع (٧٦١٦).

(٢) انظر: الطبري: ٤٥/٢٨.

عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ، فسببتموهم سمعت نبيكم ﷺ يقول: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها»<sup>(١)</sup>.

وقال مالك بن مغول: قال عامر بن شراحيل الشعبي: يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة [بخصلة]<sup>(٢)</sup>، سئلت اليهود: من خير أهل ملتكم؟ فقالت: أصحاب موسى عليه السلام. وسئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ فقالوا: حوارى عيسى عليه السلام. وسئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد ﷺ، أمروا بالاستغفار لهم فسببهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفالها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وإدحاض حجتهم، أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المضلة<sup>(٣)</sup>.

قال مالك بن أنس: من ييغض أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين، ثم تلا: «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى»، حتى أتى على هذه الآية: «للفقراء المهاجرين... والذين تبوءوا الدار والإيمان... والذين جاؤوا من بعدهم» إلى قوله: «رؤوف رحيم».

قوله عز وجل: ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا﴾، أي أظهروا خلاف ما أضمرُوا: يعني: عبد الله ابن أبي بن سلول وأصحابه، ﴿يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب﴾، وهم اليهود من بني قريظة والنضير، جعل المنافقين إخوانهم في الدين، لأنهم كفار مثلهم. ﴿لئن أخرجكم﴾، من المدينة، ﴿لنخرجنَّ معكم ولا نطيع فيكم أحداً﴾، يسألنا خذلانكم وخلافكم، ﴿أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم﴾، يعني المنافقين ﴿لكاذبون﴾.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ١٢٥/١٥.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢١/١٠ رواه الطبراني في الأوسط، وفيه إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر وهو ضعيف. ويشهد له ما أخرجه مسلم في التفسير عن عروة قال: قالت لي عائشة: يا ابن أخي! أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسببهم.

ونقله ابن كثير: ٣٤٠/٤ عن البغوي.

(٢) في «أ» بفضلة.

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١٤٦١-١٤٦٢/٨ وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة: ٢٦-٢٣/١ عن ابن شاهين في كتاب: «اللطيف من السنة» وخشيش بن أصرم في كتابه، ومن طريقه أبو عمرو الطلمنكي في كتابه «الأصول». وقال: فهذا الأثر قد روي عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول من وجوه متعددة يصدق بعضها بعضاً، وبعضها يزيد على بعض، لكن عبد الرحمن بن مالك ضعيف، وذم الشعبي لهم - الرافضة - ثابت من طرق أخرى.

لَيْنٌ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَيْنٌ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَيْنٌ نَصَرُوهُمْ لَيُولَيَنَّ  
 الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ  
 بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ  
 أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ  
 بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾

﴿لَيْنٌ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَيْنٌ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾، وكان الأمر كذلك، فإنهم  
 أخرجوا من ديارهم فلم يخرج المنافقون معهم، وقوتلوا فلم ينصروهم.  
 قوله تعالى: ﴿وَلَيْنٌ نَصَرُوهُمْ لَيُولَيَنَّ الْأَدْبَارُ﴾، أي لو قدر وجود نصرهم. قال الزجاج:  
 معناه لو قصدوا نصر اليهود لولوا الأدبار منهزمين، ﴿ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾، يعني بني النضير لا يصيرون  
 منصورين إذا انهزم ناصرهم.

﴿لَأَنْتُمْ﴾، يا معشر المسلمين، ﴿أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾، أي يرهبونكم أشد من  
 رهبتهم من الله، ﴿ذَلِكَ﴾، أي ذلك الخوف منكم، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾، عظمة الله .  
 ﴿لَا يَقَاتِلُونَكُمْ﴾، يعني اليهود، ﴿جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ﴾، أي لا يبرزون لقتالكم إنما يقاتلونكم  
 متحصنين بالقرى والجدران، وهو قوله: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾، قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «جدار»  
 على الواحد، وقرأ الآخرون: «جُدُر» بضم الجيم والذال على الجمع. ﴿بِأَسْهُمَ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾، أي:  
 بعضهم فظٌّ على بعض، وعداوة بعضهم بعضاً شديدة. وقيل: بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان  
 والحصون شديدة، فإذا خرجوا لكم فهم أجبن خلق الله، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾، متفرقة  
 مختلفة، قال قتادة: أهل الباطل مختلفة أهواؤهم، مختلفة شهادتهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في  
 عداوة أهل الحق. وقال مجاهد: أراد أن دين المنافقين يخالف دين اليهود. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا  
 يَعْقِلُونَ﴾.

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يعني: مثل هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم، ﴿قُرَيَّا﴾،  
 يعني مشركي مكة، ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾، يعني القتل بيدر، وكان ذلك قبل غزوة بني النضير،  
 قاله مجاهد. وقال ابن عباس: كمثل الذين من قبلهم يعني بني قينقاع. وقيل: مثل قريظة كمثل  
 بني النضير وكان بينهما سنتان. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ثم ضرب / مثلاً للمنافقين واليهود جميعاً في ١٥٩/ب

كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

[تخاذلهم] <sup>(١)</sup> فقال:

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ﴾، أي مثل المنافقين في غرورهم بني النضير وخذلانهم كمثل الشيطان، ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾.

وذلك ما روى عطاء وغيره عن ابن عباس قال: كان راهب في الفترة يقال له «برصيصة» تعبد في صومعة له سبعين سنة، لم يعص الله فيها طرفة عين، وإن إبليس أعياه في أمره الخيل، فجمع ذات يوم مردة الشياطين فقال: ألا أجد أحداً منكم يكفيني أمر برصيصة؟ فقال الأبيض - وهو صاحب الأنبياء وهو الذي تصدى للنبي ﷺ، وجاءه في صورة جبرائيل ليوسوس إليه على وجه الوحي فدفعه جبرائيل إلى أقصى أرض الهند - فقال الأبيض لإبليس: أنا أكفيك أمره، فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصة فناداه فلم يجبه، وكان لا يفتل عن صلاته إلا في كل عشرة أيام ولا يفطر إلا في عشرة أيام مرة.

فلما رأى الأبيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته، فلما انفتل برصيصة اطلع من صومعته فرأى الأبيض قائماً يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان، فلما رأى ذلك من حاله ندم في نفسه حين لم يجبه، فقال له: إنك ناديتني وكنت مشتغلاً عنك، فما حاجتك؟ قال: حاجتي أني أحببت أن أكون معك، فأتأدب بك وأقتبس من عملك وعلمك، ونجتمع على العبادة فتدعو لي وأدعو لك، فقال برصيصة: إنني لفي شغل عنك فإن كنت مؤمناً فإن الله سيجعل لك فيما أدعو للمؤمنين نصيباً إن استجاب لي، ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض، وأقبل الأبيض يصلي فلم يلتفت إليه برصيصة أربعين يوماً بعدها، فلما انفتل رآه قائماً يصلي فلما رأى برصيصة شدة اجتهاده قال له: ما حاجتك؟ قال: حاجتي أن تأذن لي فأرتفع إليك فأذن له فارتفع إليه في صومعته، فأقام معه حولاً يتعبد لا يفطر إلا في كل أربعين يوماً ولا يفتل عن صلاته إلا في كل أربعين يوماً مرة، وربما مد إلى الثمانين، فلما رأى برصيصة اجتهاده تقاصرت إليه نفسه وأعجبه شأن الأبيض.

(١) في رواية تخاذلهم.

فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا: إني منطلق فإن لي صاحباً غيرك ظننت أنك أشد اجتهاداً مما أرى، وكان يبلغنا عنك غير الذي رأيت، فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد وكره مفارقتة للذي رأى من شدة اجتهاده، فلما ودعه قال له الأبيض: إن عندي دعوات أعلمكها تدعو بهن فهن خير مما أنت فيه يشفي الله بها السقيم ويعافي بها المبتلى والمجنون، قال برصيصا: إني أكره هذه المنزلة لأن لي في نفسي شغلاً وإني أخاف إن علم به الناس شغلوني عن العبادة، فلم يزل به الأبيض حتى علمه .

ثم انطلق حتى أتى إبليس فقال: قد والله أهلك الرجل .

قال: فانطلق الأبيض فعرض لرجل فخنقه ثم جاء في صورة رجل متطرب فقال لأهله إن بصاحبكم جنونا أفأعالجه؟ قالوا: نعم، فقال لهم: إني لا أقوى على جنته ولكن سأرشدكم إلى من يدعو الله فيعافيه، انطلقوا إلى برصيصا فإن عنده الاسم الذي إذا دعا به أجيب، فانطلقوا إليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان، فكان الأبيض يفعل مثل ذلك بالناس ويرشدهم إلى برصيصا، فيدعو فيعافون، فانطلق الأبيض فعرض لجارية من بنات ملوك بني إسرائيل بين ثلاثة إخوة وكان أبوهم ملكهم، فمات واستخلف أخاه فكان عمها ملك بني إسرائيل، فعذبها وخنقها ثم جاء إليهم في صورة متطرب فقال لهم: أتريدون أن أعالجها؟ قالوا: نعم، قال: إن الذي عرض لها مارد لا يطاق، ولكن سأرشدكم إلى رجل تثقون به تدعونها عنده إذا جاء شيطانها دعا لها حتى تعلموا أنها قد عوفيت وتردونها صحيحة، قالوا: ومن هو؟ قال برصيصا، قالوا: وكيف لنا أن يجيئنا إلى هذا وهو أعظم شأننا من ذلك؟ قال: فانطلقوا فابنوا صومعة إلى جانب صومعته حتى تشرفوا عليه، فإن قبلها وإلا فضعوها في صومعته، ثم قولوا له هي أمانة عندك، فاحتسب فيها .

قال: فانطلقوا إليه فسألوه فأبى عليهم، فبنوا صومعة على ما أمرهم الأبيض ووضعوا الجارية في صومعته، وقالوا: هذه أختنا أمانة فاحتسب فيها، ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا عن صلاته عاين الجارية وما بها من الحسن والجمال، فوقعت في قلبه ودخل عليه أمر عظيم، ثم أقبل في صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب عنها الشيطان، ثم أقبل على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات، ثم أقبل على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها، وكانت تكشف عن نفسها، فجاءه الشيطان وقال واقعها فستتوب بعد فتدرك ما تريد من الأمر، فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها، فقال له الشيطان: ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك أن تقتلها وتتوب؟ فإن سألوك فقل: ذهب بها شيطانها، فلم أقدر

عليه. فدخل فقتلها، ثم انطلق بها فدفنها إلى جانب الجبل، فجاء الشيطان، وهو يدفنها ليلاً، فخذ بطرف إزارها، فبقي طرف خارجاً من التراب، ثم رجع برصيصة إلى صومعته فأقبل على صلاته، إذ جاء إخوتها يتعاهدون أختهم، وكانوا يجيئون في طرف الأيام يسألون عنها ويوصونه بها، فقالوا: يا برصيصة ما فعلت أختنا؟ قال: قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه، فصدَّقوه وانصرفوا، فلما أمسوا وهم مكروبون جاء الشيطان إلى أكبرهم في منامه فقال: ويحك إن برصيصة فعل بأختك كذا وكذا وإنه دفنها في موضع كذا وكذا، فقال الأخ في نفسه: هذا حلم، وهو من عمل الشيطان، فإن برصيصة خير من ذلك. قال: فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكثر. فانطلق إلى الأوسط بمثل ذلك فقال الأوسط مثل ما قاله الأكبر، فلم يخبر أحداً، فانطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك، فقال أصغرهم لأخويه: والله لقد رأيت كذا وكذا، وقال الأوسط: وأنا والله قد رأيت مثله / وقال الأكبر: وأنا رأيت مثله، فانطلقوا إلى برصيصة وقالوا: يا برصيصة ما فعلت أختنا؟ قال: أليس قد أعلمتكم بخالها؟ فكأنكم اهتمتموني؟ فقالوا: والله لا نتهمك، واستحيوا منه فانصرفوا، فجاءهم الشيطان فقال: ويحكم إنها لمدفونة في موضع كذا، وإن طرف إزارها خارج من التراب. فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوا في النوم، فمشوا في مواليمهم وغلماهم، ومعهم الفؤوس والمساحي، فهدموا صومعته وأنزلوه، ثم كفوه فانطلقوا به إلى الملك فأقر على نفسه، وذلك أن الشيطان أتاه فقال: تقتلها ثم تكابر، يجتمع عليك أمران: قتل ومكابرة، اعترف. فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة، فلما صلب أتاه الأبيض فقال: يا برصيصة أتعرفني؟ قال: لا، قال: أنا صاحبك الذي علمتك الدعوات فاستجيب لك، ويحك ما اتقيت الله في أمانتك! خنت أهلها وإنك زعمت أنك أعبد بني إسرائيل، أما استحييت؟ فلم يزل يعيره، ثم قال في آخر ذلك: ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت نفسك وفضحت أشباهك من الناس؟ فإن مت على هذه الحالة لم يفلح أحد من نظرائك، قال: فكيف أصنع قال: تطيعني في خصلة واحدة حتى أنجيح مما أنت فيه فأخذ بأعينهم فأخرجك من مكانك! قال: وما هي قال تسجد لي [قال: ما أستطيع. قال: افعل،<sup>(١)</sup> فسجد له، فقال: يا برصيصة هذا الذي كنت أردت منك، صارت عاقبة أمرك إلى أن كفرت بربك، إني بريء منك «إني أخاف الله رب العالمين»<sup>(٢)</sup>.

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) ذكرها الطبري باختصار: ٥٠/٢٨.

وعزاها السيوطي في الدر المنثور: ١١٧/٨ لابن أبي حاتم باختصار الطبري.

قال الحافظ ابن كثير: ٣٤٢/٤ بعد أن ساق رواية مختصرة عن ابن مسعود رضي الله عنه: «وكذا روي عن ابن عباس وطاووس

ومقاتل بن حيان نحو ذلك، واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصة فالله أعلم».

## فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾

يقول الله تعالى ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا﴾، يعني الشيطان وذلك الإنسان ﴿أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاُ الظَّالِمِينَ﴾، قال ابن عباس: ضرب الله هذا المثل لليهود بني النضير والمنافقين من أهل المدينة، وذلك أن الله عز وجل أمر نبيه ﷺ بإجلاء بني النضير عن المدينة فدرس المنافقون إليهم، وقالوا: لا تخبوا محمداً إلى ما مادعاكم ولا تخرجوا من دياركم، فإن قاتلكم فإننا معكم وإن أخرجكم خرجنا معكم، فأجابوهم فدربوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجاء نصر المنافقين، حتى جاءهم النبي ﷺ فناصروه الحرب يرجون نصر المنافقين، فخذلوهم وتبرؤوا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذه، فكان عاقبة الفريقين النار .

قال ابن عباس رضي الله عنه: فكان الرهبان بعد ذلك في بني إسرائيل لا يمشون إلا بالتَّيَّةِ والكتان، وطمع أهل الفسوق والفجور في الأحبار، ورموهم بالبهتان والقبیح حتى كان أمر جريج الراهب، فلما برأه الله مما رموه به انبسطت بعده الرهبان وظهروا للناس، وكانت قصة جريج على ما:

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، حدثنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثني زهير بن حرب، حدثنا يزيد ابن هارون أخبرنا جرير بن حازم، حدثنا محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم عليه السلام، وصاحب جريج، وكان جريج رجلاً عاهداً فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلي فقالت: يا جريج، فقال: يارب أمي وصلاتي؟ فأقبل على صلاته، فأنصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي، فقالت: يا جريج، فقال: أي رب أمي وصلاتي؟ فأقبل على صلاته، فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات .

فتذاكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته، وكانت امرأة بغية يتمثل بحسنها، فقالت: إن شئتم لأفنتنكم لكم. قال: فتعرضت له فلم يلتفت إليها، فأتت راعياً كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت: هو من جريج، فأتوه فاستنزلوه من صومعته وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه، فقال: ماشأنكم؟ قالوا: زنت بهذه البغية فولدت منك، فقال: أين الصبي؟ فجأؤوا به، فقال دعوني حتى أصلي فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال: يا غلام من أبوك؟ قال: فلان الراعي، قال: فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به، وقالوا نبني لك صومعتك من ذهب، قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت، ففعلوا .

وبينا صبي يرضع من أمه، فمرَّ رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة، فقالت أمه: اللهم



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

اجعل ابني مثل هذا، فترك الثدي وأقبل عليه ونظر إليه، فقال: اللهم لا تجعلني مثله. ثم أقبل على ثديه فجعل يرضع. قال: فكأنني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في فمه، فجعل يمصها .

قال: ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون: زنيبت وسرقت، وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فترك الرضاع ونظر إليها فقال: اللهم اجعلني مثلها، فهناك تراجع الحديث، فقالت: مرّ رجل حسن الهيئة فقلت: اللهم اجعل ابني مثله، فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون زنيبت وسرقت، فقلت: اللهم لا تجعل ابني مثلها، فقلت: اللهم اجعلني مثلها، قال: إن ذاك الرجل كان جباراً فقلت اللهم لا تجعلني مثله، وإن هذه يقولون لها: زنيبت، ولم تزن، وسرقت، ولم تسرق، فقلت: اللهم اجعلني مثلها<sup>(١)</sup> .

قوله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾، يعني ليوم القيامة، أي: لينظر أحدكم أي شيء قدم لنفسه، عملاً صالحاً ينجيهِ أم سيئاً يوبقه؟ ﴿واتقوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ .

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾، تركوا أمر الله، ﴿فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾، [أي حظوظ أنفسهم]<sup>(٢)</sup> حتى لم يقدموا لها خيراً، ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ .

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها، برقم: (٢٥٥٠): ١٩٧٦/٤-١٩٧٨ .

وأخرجه البخاري مختصراً في أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها): ٤٧٦/٦ .  
(٢) ما بين القوسين ساقط من الآية .

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾  
 هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ  
 الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ .

١٦٠/ب

قوله عز وجل: / ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾، قيل: لو جعل في الجبل تمييز وأنزل عليه القرآن لخشع وتشقق وتصدع من خشية الله مع صلاته وورزاته، حذراً من أن لا يؤدي حق الله عز وجل في تعظيم القرآن، والكافر يعرض عما فيه من العبر كأن لم يسمعها، يصفه بقساوة القلب، ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ .

﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة﴾، «الغيب»: ما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه، والشهادة ما شاهدوه وما علموه، ﴿هو الرحمن الرحيم﴾ .

﴿هو الله الذي لا إله إلا هو المَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾، الطاهر من كل عيب، المنزه عما لا يليق به، ﴿السلام﴾، الذي سلم من النقائص، ﴿المؤمن﴾، قال ابن عباس: هو الذي آمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به من عذابه، هو من الأمان الذي هو ضد التخويف كما قال: «وآمنهم من خوف»، (قريش - ٤) وقيل: معناه المصدق لرسله بإظهار المعجزات، والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب، وللكافرين بما أوعدهم من العقاب .

﴿المهيمن﴾، الشهيد على عباده بأعمالهم، وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، ومقاتل. يقال: هيمن يهيمن فهو مهيم، إذا كان رقيباً على الشيء، وقيل: هو في الأصل مؤيّم قلبت الهمزة هاء، كقولهم: أُرقت وهرقت، ومعناه، المؤمن. وقال الحسن: الأمين. وقال الخليل: هو الرقيب الحافظ. وقال ابن زيد: المصدق. وقال سعيد بن المسيب، والضحاك: القاضي. وقال ابن كيسان: هو اسم من أسماء الله تعالى في الكتب والله أعلم بتأويله .

﴿العزیز الجبار﴾، قال ابن عباس: «الجبار» هو العظيم، وجبروت الله عظمتة، وهو على هذا القول صفة ذات الله، وقيل: هو من الجبر وهو الإصلاح، يقال: جبرت الأمر، وجبرت العظم إذا أصلحته بعد الكسر، فهو يغني الفقير ويصلح الكسير. وقال السدي ومقاتل: هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما أراد. وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال: هو القهار الذي إذا أراد أمراً فعله لا يحجزه عنه حاجز .

هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

﴿التكبر﴾، الذي تكبر عن كل سوء. وقيل: المتعظم عما لا يليق به. وأصل التكبر، والكبرياء: الامتناع. وقيل: ذو الكبرياء، وهو الملك، ﴿سبحان الله عما يشركون﴾.

﴿هو الله الخالق﴾، المقدر والمقلب للشيء بالتدبير إلى غيره، كما قال: «يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق» (الزمر - ٦) ﴿الباريء﴾، المنشئ للأعيان من العدم إلى الوجود ﴿المصور﴾، الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض. يقال: هذه صورة الأمر أي مثاله، فأولاً يكون خلقاً ثم برءاً ثم تصويراً. ﴿له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، حدثنا ابن شيبه، حدثنا ابن وهب، حدثنا أحمد بن أبي شريح وأحمد بن منصور الرمادي قالا أخبرنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا خالد بن طهمان، حدثني نافع بن أبي نافع عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يصبح - ثلاث مرات - أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ الثلاث الآيات من آخر سورة الحشر وكَلَّ اللَّهُ به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي، فإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً، ومن قال حين يمسي كان بتلك المنزلة» (١).

ورواه أبو عيسى عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد الزبيري بهذا الإسناد، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه (٢).

(١) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن: ٢٣٩/٨ - ٢٤٠ وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه». والدارمي في فضائل القرآن: ٤٥٨/٢، والإمام أحمد: ٢٦/٥. وفيه خالد بن طهمان كان قد اختلط قبل موته بعشر سنين. وانظر: ضعيف الجامع: (٥٧٣٢).  
(٢) انظر: الموضع السابق عند الترمذي.

سورة  
الممتحنة



## سُورَةُ الْمُمْتَحِنَةِ

مدنية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾، الآية .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، حدثنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار، أخبرني الحسن بن محمد أنه سمع عبد الله بن أبي رافع يقول سمعت علياً رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: «انطلقوا حتى تأتوا (روضة خاخ) فإن بها طعينة معها كتاب فخذوه منها»، قال: فانطلقنا تتعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالطعينة، فقلنا: أخرجني الكتاب فقالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتُخرجَنَّ الكتاب أو لتلقين الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال: يا حاطب ما هذا؟ قال: يا رسول الله لا تعجل عليّ إني كنت امرأ ملصقاً في قريش - يقول كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها - وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة الممتحنة بالمدينة .

وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله .

انظر: الدر المنثور: ١٢٤/٨ ..

يحمون بها أهلهم وأموالهم، فأجبت - إذ فاتني ذلك من النسب فيهم - أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: أما إنه قد صدقكم، فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على [من شهد بدرًا] <sup>(١)</sup> فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، فأُنزل الله تعالى هذه السورة: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تُلقون إليهم بالمودة» إلى قوله: «سواء السبيل» <sup>(٢)</sup>.

قال المفسرون: نزلت الآية في حاطب بن أبي بلتعة كما جاء في الحديث، وذلك أن سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف أتت المدينة من مكة، ورسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة، فقال لها رسول الله ﷺ: أمسلمة جئت؟ قالت: لا، قال أمهاجرة جئت؟ قالت: لا، قال: فما جاء بك قالت: كنتم الأصل والعشيرة والموالي وقد ذهبت موالي وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني، فقال لها: وأين أنت من شبان مكة؟ وكانت مغنية نائحة، قالت: ما طلب مني شيء / بعد وقعة بدر، فحث رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وبني المطلب فأعطوها نفقة وكسوها وحملوها، فأتاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى، فكتب معها إلى أهل مكة، وأعطاهَا عشرة دنانير، وكساها بُردًا، على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة، وكتب في الكتاب: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة، إن رسول الله ﷺ يريدكم، فخذوا حذركم.

فخرجت سارة، ونزل جبريل فأخبر النبي ﷺ بما فعل، فبعث رسول الله ﷺ علياً وعماراً والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود وأبا مرثد فرساناً، فقال لهم: انطلقوا حتى تأتوا «روضة خاخ» فإن بها طعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، فخذوا منها وخلوا سبيلها، وإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها.

قال: فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله ﷺ، فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها كتاب، فبحثوها وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتاباً، فهموا بالرجوع، فقال علي رضي الله عنه: والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله ﷺ، وسل سيفه فقال: أخرجني الكتاب وإلا لأجردنك ولأضربن عنقك. فلما رأت الجد أخرجته من ذؤابتها، وكانت قد خبأتها

(١) في «ب» (أهل بدر) وهو الموافق للصحيحين.

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد، باب الجاسوس: ١٤٣/٦، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعة برقم: (٢٤٩٤): ١٩٤١-١٩٤٢.

إِنْ يَشَقُّوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ  
تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾

في شعرها، فجلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها، فرجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ .

فأرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب، فأتاه فقال: هل تعرف الكتاب؟ قال: نعم، قال: فما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا رسول الله والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته، وكنت غريباً فيهم، وكان أهلي بين ظهرائهم، فخشيت على أهلي، فأردت أن أتخذ عندهم يداً، وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه، وأن كتابي لا يغني عنهم شيئاً، فصدق رسول الله ﷺ وعذره .

فقام عمر بن الخطاب فقال: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق .

فقال رسول الله ﷺ: وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؟ فأنزل الله عز وجل في شأن حاطب: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء»<sup>(١)</sup> .

﴿تلقون إليهم بالمودة﴾، قيل: أي المودة، «والباء» زائدة، كقوله: «ومن يرد فيه بإلحاد بظلم» (الحج - ٢٥) وقال الزجاج: معناه تلقون إليهم أخبار النبي ﷺ وسيره بالمودة التي بينكم وبينهم، ﴿وقد كفروا﴾، «الواو» للحال، أي: وحالهم أنهم كفروا، ﴿بما جاءكم من الحق﴾، يعني القرآن ﴿يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾، من مكة، ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا﴾، أي لأن آمنتم، كأنه قال: يفعلون ذلك لإيمانكم، ﴿بِاللَّهِ وَرَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خُرِجْتُمْ﴾، هذا شرط جوابه متقدم وهو قوله: «لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق إن كنتم خرجتم»، ﴿جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ﴾، قال مقاتل: بالنصيحة، ﴿وأنا أعلم بما أخفيتم﴾، من المودة للكفار، ﴿وما أعلنتم﴾، أظهرتم بألسنتكم ﴿ومن يفعلهُ منكم فقد ضلَّ سواء السبيل﴾، أخطأ طريق الهدى .

﴿إِنْ يَشَقُّوْكُمْ﴾، يظفروا بكم ويروكم، ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾، بالضرب والقتل، ﴿وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾، بالشتم، ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾، كما كفروا. يقول: لا

(١) أخرجه الطبري: ٥٩/٢٨ - ٦٠ .

وانظر: أسباب النزول للواحدي ص: (٤٨٥) .



لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾

تناصحوهم فإنهم لا يناصحونكم ولا يوادونكم .

﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾، معناه: لا يَدْعُوْنَكُمْ ولا يحملنكم ذور أرحامكم وقراباتكم وأولادكم الذين بمكة إلى خيانة الرسول ﷺ والمؤمنين وترك مناصحتهم وموالاته أعدائهم فلن تنفعكم أرحامكم، ﴿ولا أولادكم﴾، الذين عصيتهم الله لأجلهم، ﴿يوم القيامة يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾، فيدخل أهل طاعته الجنة وأهل معصيته النار. قرأ عاصم ويعقوب، ﴿يَفْصِلُ﴾، بفتح الياء وكسر الصاد مخففاً، وقرأ حمزة والكسائي بضم الياء وكسر الصاد مشدداً، [وقرأ ابن عامر بضم الياء وفتح الصاد مشدداً] <sup>(١)</sup>، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الصاد مخففاً. ﴿والله بما تعملون بصير﴾ .

﴿قد كانت لكم أسوة﴾، قدوة، ﴿حسنة في إبراهيم والذين معه﴾، من أهل الإيمان ﴿إذ قالوا لقومهم﴾، من المشركين، ﴿إننا برآء منكم﴾، جمع بريء، ﴿ومما تعبدون من دون الله، كفرنا بكم﴾، جحدنا وأنكرنا دينكم، ﴿وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده﴾، يأمر حاطباً والمؤمنين بالافتداء بإبراهيم عليه الصلاة والسلام، والذين معه من المؤمنين في التبرؤ من المشركين، ﴿إلا قول إبراهيم لأبيه لا ستغفرن لك﴾، يعني: لكم أسوة حسنة في إبراهيم وأموره إلا في استغفاره لأبيه المشرك، فإن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان قد قال لأبيه: لا ستغفرن لك، ثم تبرأ منه - على ما ذكرناه في سورة التوبة - <sup>(٢)</sup> ﴿وما أملك لك من الله من شيء﴾، يقول إبراهيم عليه السلام لأبيه: ما أغني عنك ولا أدفع عنك عذاب الله إن عصيته وأشركت به، ﴿ربنا عليك توكلنا﴾، يقوله إبراهيم ومن معه من المؤمنين، ﴿وإليك أنبنا وإليك المصير﴾ .

﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا﴾، قال الزجاج: لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق

(١) ما بين القوسين ساقط من الآية .

(٢) انظر: فيما سبق: ١٠١/٤ .

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ ﴿٧﴾ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨﴾ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾

فيقتنوا وقال مجاهد: لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون: لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم ذلك<sup>(١)</sup> ﴿واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم﴾.

﴿لقد كان لكم فيهم﴾، أي في إبراهيم ومن معه ﴿أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾، هذا بدل من قوله «لكم»، وبيان أن هذه الأسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة، ﴿ومن يتولَّ﴾، يُعرض عن الإيمان ويوال الكفار، ﴿فإن الله هو الغني﴾، عن خلقه، ﴿الحميد﴾، إلى أوليائه وأهل طاعته .

قال مقاتل: فلما أمر الله المؤمنين بعبادة الكفار عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين، وأظهروا لهم العداوة والبراءة. ويعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك فأنزل الله<sup>(٢)</sup> :

﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم﴾، أي من كفار مكة، ﴿مودة﴾، ففعل الله ذلك بأن أسلم كثير منهم، فصاروا لهم أولياء وإخواناً، وخالطوهم وناكحوهم، ﴿والله قدير والله غفور رحيم﴾، ثم رخص الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا / المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال :

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم﴾، أي لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم، ﴿وتقسطوا إليهم﴾، تعدلوا فيهم بالإحسان والبر، ﴿إن الله يحب المقسطين﴾، قال ابن عباس: نزلت في خزاعة كانوا قد صالحوا النبي ﷺ على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحداً، فرخص الله في برهم .

(١) أخرجه الطبري: ٦٤/٢٨، وانظر: البحر المحيط: ٢٢٥/٨ وابن كثير: ٣٤٩/٤ .

(٢) ذكره ابن كثير: ٣٤٩/٤ - ٣٥٠ .

وانظر أسباب النزول للواحدي صفحة: (٤٨٨) .

إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ  
إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١﴾

وقال عبد الله بن الزبير: نزلت في أسماء بنت أبي بكر، وذلك أن أمها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا، ضياباً وأقطاً وسمناً، وهي مشركة، فقالت أسماء: لا أقبل منك هدية ولا تدخلني عليّ بيتي حتى أستأذن رسول الله ﷺ، فسألت رسول الله ﷺ فأُنزل الله هذه الآية، فأمرها رسول الله ﷺ أن تدخلها منزلها وتقبل هديتها وتكرمها وتحسن إليها<sup>(١)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قتيبة، حدثنا حاتم عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت عليّ أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ ومدتهم مع أبيها فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أمي قدمت عليّ وهي راغبة أفأصلها؟ قال: صلها<sup>(٢)</sup>.

وروي عن ابن عيينة قال: فَأُنزل الله فيها «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين». ثم ذكر الذين نهاهم عن صلتهم فقال:

﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ﴾، وهم مشركو مكة، ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحْنُوهُنَّ﴾، الآية.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب، أخبرني عروة بن الزبير أنه سمع مروان والمصور بن مخرمة يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: لما كاتب سهيل ابن عمرو يومئذ، كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي ﷺ: أنه لا يأتيك منا أحد - وإن

(١) أخرجه الطبري: ٦٦/٢٨، والإمام أحمد: ٤/٤، والحاكم: ٤٨٥/٢-٤٨٦ وصححه ووافقه الذهبي.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٢٣/٧ «رواه أحمد والبخاري وفيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقي رجاله رجال الصحيح».

(٢) أخرجه البخاري في الهبة، باب الهدية للمشركين: ٢٣٣/٥، ومسلم في الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقرين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين، برقم: (١٠٠٣): ٦٩٦/٢.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَ كُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجُرَاتٍ فَاَمْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ اَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۚ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُوهُمْ مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمُ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَانَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ وَاسْأَلُوا مَّا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمُ ائْتِنَا مَّا أَنفَقُوا ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

كان على دينك - إلا رددته إلينا، وخليت بيننا وبينه. فكره المؤمنون ذلك وأبى سهيل إلا ذلك، فكاتبه النبي ﷺ على ذلك، فرد النبي ﷺ يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو، ولم يأت أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة وإن كان مسلماً، وجاءت المؤمنات مهاجرات، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذ مهاجرة وهي عاتق، فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن: «إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن» إلى «ولا هم يحلون لهن».

قال عروة فأخبرتني عائشة رضي الله تعالى عنها: أن رسول الله ﷺ كان يمتحنهن بهذه الآية: «يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات»، إلى قوله: «غفور رحيم».

قال عروة: قالت عائشة رضي الله عنها: فمن أقرت بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله ﷺ قد بايعتك كلاماً يكلمها به، والله مامست يده يد امرأة قط في المبايعه ما بايعهن إلا بقوله<sup>(١)</sup>.

قال ابن عباس: أقبل رسول الله ﷺ معتمراً حتى إذا كان بالحديبية صالحه مشركو مكة على أن من أتاه من أهل مكة رده إليهم ومن أتى أهل مكة من أصحاب رسول الله ﷺ لم يردوه إليه، وكتبوا بذلك كتاباً وختموا عليه، فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مُسْلِمَةً بعد الفراغ من الكتاب، فأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم - وقال مقاتل هو: صيفي بن الراهب - في طلبها، وكان كافراً، فقال: يا محمد رد علي امرأتني فإنك قد شرطت أن ترد علينا من أتاك منا، وهذه طية الكتاب لم تحف بعد، فأنزل الله عز وجل: «يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من دار الكفر إلى دار الإسلام، ﴿فامتحنوهن﴾».

(١) أخرجه البخاري في الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعه: ٣١٢/٥ ومطولاً في باب الشروط في الجهاد: ٣٢٩-٣٣٢، ومسلم في الإمارة، باب كيفية بيعه النساء (١٨٦٦): ١٤٨٩/٣، والمصنف في شرح السنة:

قال ابن عباس: امتحانها: أن تستحلف ما خرجت لبغض زوجها ولا عشقاً لرجل من المسلمين، ولا رغبة عن أرض إلى أرض، ولا لحدث أحدثته ولا لالتماس دنياه. وما خرجت إلا رغبة في الإسلام وحباً لله ولرسوله .

قال: فاستحلفها رسول الله ﷺ على ذلك فحلفت فلم يردّها، وأعطى زوجها مهرها وما أنفق عليها؛ فتزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه<sup>(١)</sup> وكان يرد من جاءه من الرجال ويحبس من جاءه من النساء بعد الامتحان ويعطي أزواجهن مهورهن .

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِمْ﴾، [أي هذا الامتحان لكم، والله أعلم بهن]<sup>(٢)</sup>، ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تُرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا مِنْ حَلٍّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾، ما أحل الله مؤمنة لكافر، ﴿وَأَتَوْهُمْ﴾، يعني أزواجهن الكفار، ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾، عليهن يعني المهر الذي دفعوا إليهن، ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾، أي مهورهن، أباح الله نكاحهن للمسلمين، وإن كان لهن أزواج في دار الكفر لأن الإسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار، ﴿وَلَا تُمْسِكُوا﴾، [قرأ أبو عمرو، ويعقوب: بالتشديد، والآخرون: بالتخفيف، من الإمساك]<sup>(٣)</sup> ﴿بِعِصْمِ الْكُوفَرِ﴾، ﴿وَالْعِصْمُ﴾: جمع العصمة، وهي ما يعتصم به من العقد والنسب. «والكوافر»: جمع الكافرة .

نهى الله المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات، يقول: من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما .

قال الزهري: فلما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأتين كانتا له بمكة مشركتين: قُرَيْبَةُ بنت أبي أمية بن المغيرة، فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان، وهما على شركهما بمكة، والأخرى أم كلثوم بنت / عمرو بن جَرول الخزاعية أم ابنه عبد الله بن عمر، فتزوجها أبو جهم بن حذافة بن غانم، وهما على شركهما. وكانت أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب تحت طلحة بن عبيد الله، فهاجر طلحة وهي بمكة على دين قومها، ففرق الإسلام بينهما، فتزوجها في الإسلام خالد بن سعيد بن العاص بن أمية<sup>(٤)</sup> .

قال الشعبي: وكانت زينب بنت رسول الله ﷺ امرأة أبي العاص بن الربيع أسلمت ولحقت

(١) انظر: ابن كثير: ٣٥١/٤، الدر المنثور: ١٣٧/٨، القرطبي: ٦٢/١٨ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

(٣) أخرجه الطبري: ٧٢/٢٨ . وانظر: ابن كثير: ٣٥٢/٤ .

وَأِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتَّوُا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ  
مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

بالنبي ﷺ، وأقام أبو العاص بمكة مشركاً، ثم أتى المدينة فأسلم، فردها عليه رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَسْأَلُوا﴾، أيها المؤمنون، ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ﴾، أي: إن لحقت امرأة منكم بالمشركون مرتدة فاسألوا ما أنفقتم من المهر إذا منعوها من تزوجها منهم، ﴿وَلْيَسْأَلُوا﴾، يعني: المشركون الذين لحقت أزواجهم بكم ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾، من المهر من تزوجها منكم، ﴿ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يُحْكَمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، قال الزهري: لولا الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ولم يردّ الصداق، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد<sup>(٢)</sup>.

فلما نزلت هذه الآية أقر المؤمنون بحكم الله عز وجل وأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين على نسائهم، وأبى المشركون أن يقرّوا بحكم الله فيما أمروا به من أداء نفقات المسلمين [على نسائهم]<sup>(٣)</sup>، فأنزل الله عز وجل:

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ﴾، أيها المؤمنون، ﴿شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾، فلحقن بهم مرتدات، ﴿فَعَاقِبْتُمْ﴾، قال المفسرون: معناه غنمتم، أي غزوتهم فأصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة، وقيل: ظهرتم وكانت العاقبة لكم، وقيل: أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم، قرأ حميد الأعرج «فَعَقَبْتُمْ» بالتشديد، وقرأ الزهري: «فَعَقَبْتُمْ» خفيفة بغير ألف، وقرأ مجاهد ﴿فَأَعَقَبْتُمْ﴾، أي صنعتم بهم كما صنعوا بكم. وكلها لغات بمعنى واحد، يقال: عاقب وعَقَّبَ وعَقَّبَ وتعاقب وتعاقب واعتقب: إذا غنم. وقيل: «التعقيب»: غزوة بعد غزوة، ﴿فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾، إلى الكفار منكم، ﴿مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾، عليهم من الغنائم التي صارت في أيديكم من أموال الكفار. وقيل: فعاقبتهم المرتدة بالقتل.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لحق بالمشركين من نساء المؤمنين والمهاجرين ست نسوة: أم الحكم بنت أبي سفيان، وكانت تحت عياض بن شداد الفهري، وفاطمة بنت أبي أمية

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ١٣٦/٨ لعبد بن حميد.

وذكره ابن كثير في التفسير: ٣٥٢/٤. وراجع ما كتبه الحافظ ابن عبد البر في التمهيد: ٣٥-١٩/١٢، وانظر إرواء الغليل:

٣٤١-٣٣٩/٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٧٤/٢٨.

وزاد السيوطي في الدر المنثور: ١٣٧-١٣٦/٨ عزوه لعبد بن حميد وأبي داود في ناسخه وابن المنذر.

(٣) ساقط من آ. ١١.

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ

ابن المغيرة أخت أم سلمة، كانت تحت عمر بن الخطاب، فلما أراد عمر أن يهاجر أبت وارتدت، وبروع بنت عقبة، كانت تحت شماس بن عثمان، وعزة بن عبد العزيز بن نضلة، وزوجها عمرو ابن عبد ود، وهند بنت أبي جهل بن هشام، كانت تحت هشام بن العاص بن وائل، وأم كلثوم بنت جبرول، كانت تحت عمر بن الخطاب، فكلهن رَجَعْنَ عن الإسلام، فأعطى رسول الله ﷺ أزواجهن مهر نسائهم من الغنيمة<sup>(١)</sup>.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾، واختلف القول في أن رد مهر من أسلمت من النساء إلى أزواجهن، كان واجباً أو مندوباً؟.

وأصله أن الصلح هل كان وقع على ردِّ النساء؟ فيه قولان: أحدهما أنه وقع على رد الرجال والنساء جميعاً، لما روينا: أنه لا يأتيك منّا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، ثم صار الحكم في رد النساء منسوخاً بقوله: «فلا ترجعوهن إلى الكفار»، فعلى هذه كان رد المهر واجباً.

والقول الآخر: أن الصلح لم يقع على رد النساء، لأنه روي عن علي: أنه لا يأتيك منّا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، وذلك لأن الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المرأة من إصابة المشرك إياها، وأنه لا يؤمن عليها الردة إذا خوِّفت، وأكرهت عليها لضعف قلبها، وقلة هدايتها إلى المخرج منها بإظهار كلمة الكفر مع التورية، وإضمار الإيمان، ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته إلى التقية، فعلى هذا كان رد المهر مندوباً.

واختلفوا في أنه هل يجب العمل به اليوم في رد المال إذا شرط في معاقدة الكفار؟.

فقال قوم: لا يجب، وزعموا أن الآية منسوخة، وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة.

وقال قوم: هي غير منسوخة ويرد إليهم ما أنفقوا.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَكَ﴾، الآية. وذلك يوم فتح مكة لما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال، وهو على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه، وهو يبايع النساء بأمر رسول الله ﷺ ويبلغهن عنه، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنبهة متكررة مع النساء خوفاً من رسول الله ﷺ أن يعرفها، فقال رسول الله ﷺ: أبايعن «على أن لا تشركن بالله

(١) انظر: البحر المحيط: ٢٥٧/٨.

وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ  
وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾

شيئاً، فرفعت هند رأسها وقالت: والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيته أخذته على الرجال، وباع الرجال يومئذ على الإسلام، والجهاد فقط، فقال النبي ﷺ، «ولا يسرقن»، فقالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح وإني أصبت من ماله هنت، فلا أدري أيجل لي أم لا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها، فقال لها: وإنك لهند بنت عتبة؟ قالت: نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك، فقال: «ولا يزنين»، فقالت هند: أو تزني الحرة؟ فقال: «ولا يقتلن أولادهن»، فقالت هند ربيناهم صغاراً وقتلتموهم كباراً فأنتم وهم أعلم، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر، فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى، وتبسم رسول الله ﷺ، فقال: «ولا يأتين بهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن» - وهي أن تقذف ولداً على زوجها ليس منه - قالت هند: والله إن البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، فقال: «ولا يعصينك في معروف»، قالت هند: ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء. فأقر النسوة بما أخذ عليهن<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾، أراد وأد البنات الذي كان يفعله أهل الجاهلية. / ١٦٢ ب

قوله ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾: ليس المراد منه نهيهن عن الزنا، لأن النهي عن الزنا قد تقدم ذكره، بل المراد منه أن تلتقط مولوداً وتقول لزوجها هذا ولدي منك، فهو البهتان المفترى بين أيديهن وأرجلهن، لأن الولد إذا وضعت الأم سقط بين يديها ورجليها.

قوله ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾: أي في كل أمر وافق طاعة الله. قال بكر بن عبد الله المزني: في كل أمر فيه رشدن. وقال مجاهد: لا تخلو المرأة بالرجال. وقال سعيد بن المسيب والكلبي وعبد الرحمن بن زيد: هو النهي عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه، ولا تحدث المرأة الرجال إلا ذا محرم، ولا تخلو برجل غير ذي محرم، ولا تسافر إلا مع ذي محرم.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره: ٣٥٤-٣٥٥/٤ ثم قال: «وهذا أثر غريب وفي بعضه نكارة والله أعلم».

وانظر: البحر المحيط: ٢٥٨/٨.



محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية قالت: بايعنا رسول الله ﷺ فقراً علينا «أن لا يشركن بالله شيئاً»، ونهانا عن النياحة، فقبضت امرأة يدها فقالت: أسعدتني فلانة أريد أن أجزيها، فما قال لها النبي ﷺ شيئاً، فانطلقت ورجعت وبايعها<sup>(١)</sup>.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين الدينوري، حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق، حدثنا أبو يعلى الموصلي، حدثنا هذبة ابن خالد، حدثنا أبان بن يزيد، حدثنا يحيى بن أبي كثير، أن زيدا حدثه، أن أبا سلام حدثه، أن أبا مالك الأشعري حدثه، أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركوهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم والنياحة». وقال: «النائحة إذا لم تب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عمرو بن حفص، حدثنا أبي أخبرنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «ليس منا من ضرب الحدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية»<sup>(٣)</sup>.

قوله: «فبايعهن»، يعني إذا بايعتك فبايعهن، «واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم».

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثني محمود، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية: «لا يشركن بالله شيئاً» قالت: وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها<sup>(٤)</sup>.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا محمد بن عبد الله بن

(١) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة المتحنة، باب (إذا جاءك المؤمنات يبايعنك) ٦٣٧/٨.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده: ٢٣٥/٢، ومسلم في الجنائز، باب التشديد في النياحة برقم: (٩٣٤): ٦٤٤/٢، والمصنف في شرح السنة: ٤٣٧/٥.

(٣) أخرجه البخاري في الجنائز، باب: ليس منا من ضرب الحدود: ١٦٦/٣، ومسلم في الإيمان، باب تحريم ضرب الحدود برقم: (١٠٣): ٩٩/١، والمصنف في شرح السنة: ٤٣٦/٥.

(٤) أخرجه البخاري في الأحكام، باب في بيعه النساء: ٢٠٣/١٣، ومسلم في الإمارة، باب كيفية بيعه النساء برقم: (١٨٦٦): ١٤٨٩/٣، وعبد الرزاق في المصنف: ٧/٦.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَانْتَوَلَوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا  
يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

حمدون، أخبرنا مكي بن عبدان، حدثنا عبد الرحمن بن بشر، حدثنا سفيان بن عيينة، عن محمد ابن المنكدر، سمع أميمة بنت رقيقة تقول: بايعت رسول الله ﷺ في نسوة، فقال لنا: فيما استطعتن وأطقتن، فقلت: رسول الله ﷺ أرحم بنا من أنفسنا، قلت: يا رسول الله بايعنا، قال سفيان: يعني صافحنا، فقال: «إني لا أصافح النساء، إنما قولي لامرأة كفولي لمائة امرأة»<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، وهم اليهود، وذلك أن أناساً من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين، يتوصلون إليهم بذلك فيصيرون من ثمارهم، فنهاهم الله عن ذلك<sup>(٢)</sup>، ﴿قَدْ يَئِسُوا﴾، يعني هؤلاء اليهود، ﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾، بأن يكون لهم فيها ثواب وخير، ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾، أي: كما يئس الكفار الذين ماتوا وصاروا في القبور من أن يكون لهم حظ وثواب في الآخرة. قال مجاهد: الكفار حين دخلوا قبورهم أيسوا من رحمة الله. قال سعيد بن جبير: يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار الذين ماتوا فعينوا الآخرة. وقيل: كما يئس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا إليهم.

(١) أخرجه الترمذي في السيرة، باب ما جاء في بيعة النساء: ٢٢٠/٥ وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والنسائي في البيعة، باب بيعة النساء: ١٤٩/٧، وابن ماجه في الجهاد، باب بيعة النساء برقم (٢٨٧٤): ٩٥٩/٢، والإمام أحمد: ٣٥٧/٦، والإمام مالك في الموطأ: ٩٨٢/٢، وعبد الرزاق في المصنف: ٧/٦، وابن حبان برقم: (١٤) صفحة (٣٤). وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٥٢٩).

(٢) انظر: البحر المحيط: ٢٥٩/٨.



# سُورَةُ الصَّفِّ

152

## سُورَةُ الصَّفِّ

مدنية (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا  
تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾

﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون؟ قال المفسرون: إن المؤمنين قالوا: لو علمنا أحب الأعمال إلى الله عز وجل لعملناه، ولبدلنا فيه أموالنا وأنفسنا. فأنزل الله عز وجل: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً﴾ فابتلوا بذلك يوم أحد فولوا مدبرين، فأنزل الله تعالى ﴿لم تقولون ما لا تفعلون﴾ (٢)؟

وقال محمد بن كعب: لما أخبر الله تعالى رسوله ﷺ بثواب شهداء بدر، [قالت الصحابة] (٣) لن لقينا بعده قتالاً لنفرغ فيه وسعنا، ففروا يوم أحد فغيرهم الله بهذه الآية (٤).

وقال قتادة والضحاك: نزلت في [شأن] (٥) القتال، كان الرجل يقول: قاتلت ولم يقاتل،

(١) انظر: البحر المحيط: ٢٦١/٨ .

(٢) أخرج الطبري روايات عدة: ٨٣-٨٤، وانظر: ابن كثير: ٣٥٩/٤. وعزا السيوطي هذه الرواية في الدر المنثور: ١٤٦/٨ لابن أبي حاتم .

وانظر الواحدي ص: (٤٩٢) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

(٤) انظر: القرطبي: ٧٨/١٨ .

(٥) في «أ»: بيان .

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنَ مَرَّصُونَ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَطَعْنَتْ وَلَمْ يَطْعَنْ، وَضَرَبَتْ وَلَمْ يَضْرِبْ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ آيَةٌ <sup>(١)</sup>.

قال ابن زيد: نزلت في المنافقين كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون <sup>(٢)</sup>.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا﴾، في موضع الرفع فهو كقولك: بش رجلاً أخوك، ومعنى الآية: أي عَظُمَ ذلك في المَقْتِ والبغض عند الله، أي: إن الله يبغض بغضاً شديداً أن تقولوا ﴿مَلَا تَفْعَلُونَ﴾، أن تعدوا من أنفسكم شيئاً ثم لم توفوا به.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾، أي يصفون أنفسهم عند القتال صفاً / ولا يزولون عن أماكنهم، ﴿كَأَنَّهُمْ بِنَانٍ مَرَّصُونَ﴾، قد رُصَّ بعضه ببعض [أي ألزق بعضه ببعض] <sup>(٣)</sup> وأحكم فليس فيه فرجة ولا خلل. وقيل كالرصاص.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾، من بني إسرائيل: ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾، وذلك حين رموه بالأدرة، ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾، والرسول يعظم [ويكرم] <sup>(٣)</sup> ويحترم، ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾، عدلوا عن الحق، ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، أملأها عن الحق، يعني أنهم لما تركوا الحق بإيذاء نبيهم أملأ الله قلوبهم عن الحق، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، قال الزجاج: يعني لا يهدي من سبق في علمه أنه فاسق.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، والألف فيه للمبالغة في الحمد، وله وجهان:

(١) أخرجه الطبري: ٨٤/٢٨-٨٥، وذكره ابن كثير: ٣٥٩/٤.

وانظر: البحر المحيط: ٢٦١/٨.

(٢) ذكره الطبري: ٨٥/٢٨ وقال مرجحاً: «وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: عني بها الذين قالوا: لو عرفنا أحب الأعمال إلى الله لبعنا به، ثم قصروا في العمل بعد ما عرفوا».

وانظر: البحر المحيط: ٢٦١/٨.

(٣) ما بين القوسين زيادة من «ب».

وَمُبَشِّرٌ رَسُولٌ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

أحدهما: أنه مبالغة من الفاعل، أي الأنبياء كلهم حمادون لله عز وجل، وهو أكثر حمداً لله من غيره، والثاني: أنه مبالغة في المفعول، أي الأنبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو [أكثرهم مبالغة] <sup>(١)</sup> وأجمع للفضائل والחסن التي يحمد بها .

﴿فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ .

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ \* يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ .

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ .

﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تُنْجِيكُمْ﴾، قرأ ابن عامر «تُنْجِيكُمْ» بالتشديد، والآخرون بالتخفيف، ﴿من عذاب أليم﴾، نزل هذا حين قالوا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه <sup>(٢)</sup>، وجعل ذلك بمنزلة التجارة لأنهم يربحون بها رضا الله ونيل جنته والنجاة من النار. ثم بين تلك التجارة فقال:

﴿تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ \* يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم﴾ .

(١) في «ب»: (أكثرهم مبالغة مناقب) .

(٢) انظر: الدر المنثور: ١٤٩/٨ .



﴿١٢﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَتَأَمَّنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

﴿وأخرى تحبونها﴾، أي: ولكم خصلة أخرى في العاجل مع ثواب الآخرة تحبونها، وتلك الخصلة: ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾، قال الكلبي: هو النصر على قريش، وفتح مكة. وقال عطاء: يريد فتح فارس والروم. ﴿وبشر المؤمنين﴾، يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة. ثم حضهم على نصر الدين وجهاد المخالفين فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله﴾، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو: «أنصاراً»، بالتنوين «الله» بلام الإضافة، وقرأ الآخرون: «أنصار الله» مضافاً لقوله: «نحن أنصار الله».

﴿كما قال عيسى ابن مريم للحواريين﴾، أي انصروا دين الله مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى عليه السلام: ﴿من أنصاري إلى الله؟﴾ أي: من ينصروني مع الله؟ ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة﴾، قال ابن عباس: يعني في زمن عيسى عليه السلام، وذلك أنه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق: فرقة قالوا: كان الله فارتفع، وفرقة قالوا: كان ابن الله فرفعه الله إليه، وفرقة قالوا: كان عبد الله ورسوله فرفعه إليه وهم المؤمنون، واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس، فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين، حتى بعث الله محمداً ﷺ، فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة<sup>(١)</sup>، فذلك قوله تعالى: ﴿فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾، عاين غالبين. وروى مغيرة عن إبراهيم قال: فأصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد ﷺ أن عيسى كلمة الله وروحه<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: الطبري: ٩٢/٢٨، ابن كثير: ٣٦٣/٤.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ١٥٠/٨ لعبد بن حميد وابن المنذر.

سورة  
الجمعة



## سُورَةُ الْجُمُعَةِ

مدنية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي  
بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ  
وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ هو الذي  
بعث في الأميين، يعني العرب كانت أمة أمية لا تكتب ولا تقرأ ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾، يعني محمداً  
ﷺ نسبه نسبهم [ولسانه لسانهم ليكون أبلغ في إقامة الحجة عليهم]<sup>(٢)</sup> ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ  
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، أي ما كانوا قبل بعثة  
الرسول إلا في ضلال مبين يعبدون الأوثان.

﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ﴾، وفي «آخرين» وجهان من الإعراب: أحدهما الخفض، على الرد إلى الأميين،  
مجازة: وفي آخرين. والثاني النصب، على الرد إلى الهاء والميم في قوله «ويعلمهم» أي: ويعلم آخرين  
منهم، أي من المؤمنين الذين يدينون بدينهم، لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم، فإن المسلمين كلهم  
أمة واحدة.

واختلف العلماء فيهم، فقال قوم: هم العجم، وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية  
ليث عن مجاهد، والدليل عليه ما:

أخبرنا أبو جعفر محمد بن عبد الله بن محمد المعلم الطوسي بها، حدثنا أبو الحسن محمد بن

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: نزلت سورة الجمعة بالمدينة.

انظر: الدر المنثور: ١٥١/٨.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾  
مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ

يعقوب، أخبرنا أبو النصر محمد بن محمد بن يوسف، حدثنا الحسين بن سفيان، وعلي بن طيفور، وأبو العباس الثقفي قالوا: حدثنا قتيبة، حدثنا عبد العزيز، عن ثور، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت عليه سورة الجمعة، فلما قرأ: «وآخرين منهم لما يلحقوا بهم» قال رجل: مَنْ هؤلاء يا رسول الله؟ فلم يراجعه النبي ﷺ حتى سأله مرتين أو ثلاثاً، قال: وفينا سلمان الفارسي، قال: فوضع النبي ﷺ يده على سلمان، ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أخبرنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار، أخبرنا محمد بن زكريا العذافري، أخبرنا إسحاق الدبري، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن جعفر الجزري عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان الدين عند الثريا لذهب إليه رجل، أو قال: رجال، من أبناء فارس حتى يتناولوه»<sup>(٢)</sup>.

وقال عكرمة ومقاتل: هم التابعون. وقال ابن زيد: هم جميع من دخل في الإسلام بعد النبي ﷺ. إلى يوم القيامة وهي / رواية [ابن]<sup>(٣)</sup> أبي نجيح عن مجاهد . ١٦٣ ب

قوله ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، أي [لم]<sup>(٤)</sup> يدركوهم ولكنهم يكونون بعدهم. وقيل: ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي في الفضل والسابقة لأن التابعين لا يدركون شأواً الصحابة. ﴿وهو العزيز الحكيم﴾.

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، يعني الإسلام والهداية. ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾.

قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ﴾، أي كُلفوا القيام بها والعمل بما فيها، ﴿ثم لم يحملوها﴾، لم يعملوا بما فيها ولم يؤدُّوا حقها، ﴿كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾، أي كتباً من

(١) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة الجمعة: ٦٤١/٨، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضل فارس برقم: (٢٥٤٦).

١٩٦٣-١٩٧٢، والمصنف في شرح السنة: ١٩٩/١٤.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف في كتاب الجامع، باب قبائل العجم: ٦٦/١١، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضل

فارس برقم: (٢٥٤٦): ١٩٧٢/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٩٩/١٤-٢٠٠.

(٣) ساقط من «أ».

(٤) ساقط من «ب».

مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَتَايَأُهَا  
الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ  
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ  
﴿٧﴾ قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ  
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَتَايَأُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ

العلم، واحدها سفر، قال الفراء: هي الكتب العظام<sup>(١)</sup> يعني كما أن الحمار يحملها ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها، كذلك اليهود يقرؤون التوراة ولا يتفكرون بها لأنهم خالفوا ما فيها، ﴿بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾، الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب الأنبياء عليهم السلام، يعني من سبق في علمه أنه لا يؤمن لا يهديهم .

﴿قل يا أيها الذين هادوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾، من دون محمد ﷺ وأصحابه، ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾، فادعوا بالموت على أنفسكم، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أنكم أبناء الله وأحباؤه فَإِنَّ الْمَوْتَ هُوَ الَّذِي يُوصلُكُمْ إِلَيْهِ .

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ \* قل إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾، أي في يوم الجمعة كقوله: ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾ [أي في الأرض]<sup>(٢)</sup>، وأراد بهذا النداء الأذان عند قعود الإمام على المنبر للخطبة .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا آدم، حدثنا ابن أبي ذئب، عن الزهري، عن السائب بن يزيد قال: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء<sup>(٣)</sup> .

(١) معاني القرآن للفراء: ١٥٥/٣ .

(٢) زيادة من «ب» .

(٣) أخرجه البخاري في الجمعة، باب الأذان يوم الجمعة: ٣٩٣/٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٤٤/٤ .

قرأ الأعمش: «من يوم الجمعة» بسكون الميم، وقرأ العامة بضمها .

واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة، منهم من قال: لأن الله تعالى جمع فيه خلق آدم عليه السلام. وقيل: لأن الله تعالى فرغ فيه من خلق الأشياء فاجتمعت فيه المخلوقات. وقيل: لاجتماع الجماعات فيه. وقيل: لاجتماع الناس فيها للصلاة .

. وقيل: أول من سماها جمعة كعب بن لؤي قال أبو سلمة: أول من قال «أما بعد» كعب بن لؤي، وكان أول من سمي الجمعة جمعة، وكان يقال له يوم العروبة .

وعن ابن سيرين قال: جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبي ﷺ المدينة. وقبل أن ينزل الجمعة وهم الذين سموها الجمعة. وقالوا: لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى يوم، فهلّم فلنجعل يوماً نجتمع فيه، فنذكر الله ونصلي فيه، فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى، فاجعلوه يوم العروبة ، فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة، ثم أنزل الله عز وجل في ذلك بعد<sup>(١)</sup> .

وروي عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه كعب، أنه كان إذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لأسعد بن زرارة، فقلت له: إذا سمعت النداء ترحمت لأسعد بن زرارة؟ قال: لأنه أول من جمع بنا في هزم النبي من حرة بني بياضة في بقيع يقال له بقيع الخضعات، قلت له: كم كنتم يومئذ؟ قال: أربعون<sup>(٢)</sup> . و[أما]<sup>(٣)</sup> أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ بأصحابه على ما ذكر أهل السير: أن النبي ﷺ لما قدم المدينة مهاجراً نزل قباء على بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين لثنتي عشرة [ليلة]<sup>(٤)</sup> خلت من شهر ربيع الأول حين امتد الضحى، فأقام بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء ويوم الخميس، وأسس مسجدهم، ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامداً المدينة، فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن وادٍ لهم، وقد اتخذ اليوم في ذلك الموضع مسجداً، فجمع هناك وخطب<sup>(٥)</sup> .

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: ١٥٩/٣ .

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب الجمعة في القرى: ١٠/٢، والبيهقي: ١٧٦/٣-١٧٧، وابن ماجه في الإقامة، باب في فرض الجمعة برقم: (١٠٨٢): ٣٤٣/١-٣٤٤، والحاكم: ٢٨١/١ .

(٣) زيادة من «ب» .

(٤) انظر: البحر المحيط: ٢٦٧/٨-٢٦٨ .

# لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾

قوله عز وجل: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾، أي: فامضوا إليه واعملوا له، وليس المراد من السعي الإسراع، إنما المراد منها العمل والفعل، كما قال: «وإذا تولى سعى في الأرض» (البقرة - ٢٠٥)، وقال: «إن سعيكم لشتى» (الليل - ٤).

وكان عمر بن الخطاب يقرأ: فامضوا إلى ذكر الله، وكذلك هي في قراءة عبد الله بن مسعود<sup>(١)</sup>. وقال الحسن: أما والله ما هو بالسعي على الأقدام، ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار، ولكن بالقلوب والنية والخشوع<sup>(٢)</sup>.

وقال قتادة في هذه الآية: «فاسعوا إلى ذكر الله»، قال: فالسعي أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشي إليها<sup>(٣)</sup>، وكان يتأول قوله: «فلما بلغ معه السعي» (الصافات - ١٠٢) يقول فلما مشى معه.

أخبرنا الإمام أبو [علي]<sup>(٤)</sup> الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا محمد بن أحمد بن معقل الميداني، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، ولكن اثبوتها تمشون وعليكم السكينة [والوقار]<sup>(٥)</sup>»، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا<sup>(٥)</sup>.

قوله ﴿إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾، أي إلى الصلاة، وقال سعيد بن المسيب: «فاسعوا إلى ذكر الله» قال هو موعظة الإمام، ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾، يعني البيع والشراء لأن اسم البيع يتناولهما جميعاً. وإنما يحرم البيع والشراء عند الأذان الثاني، وقال الزهري: عند خروج الإمام. وقال الضحاك: إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء، ﴿ذَلِكُمْ﴾، الذي ذكرت من حضور الجمعة وترك البيع، ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾، من المبايعه، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، مصالح أنفسكم.

(١) أخرجه الطبري: ١٠٠/٢٨، وذكره ابن كثير: ٣٦٦/٤.

(٢) ذكره ابن كثير: ٣٦٧/٤.

(٣) أخرجه الطبري: ١٠٠-٩٩/٢٨.

(٤) ساقط من (أ).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: ٢١١/٢. وأخرجه البخاري في الجمعة، باب المشي إلى الجمعة: ٣٩٠/٢، ومسلم في المساجد، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة والنهي عن إتيانها سعيًا، برقم (٦٠٢): ٤٢٠/١-٤٢١، والمصنف في شرح السنة: ٣١٦/٢.



واعلم أن صلاة الجمعة من فروض الأعيان، فتجب على كل من جمع العقل، والبلوغ، والحرية، والذكورة، والإقامة، إذا لم يكن له عذر. ومن تركها استحق الوعيد .

وأما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما، لأنهما ليسا من أهل أن يلزمهما فروض الأبدان لنقصان أبدانهما، ولا جمعة / على النساء بالاتفاق: ١٦٤/أ

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا إبراهيم بن محمد، حدثني سلمة بن عبد الله الخطمي، عن محمد بن كعب أنه سمع رجلاً من بني وائل يقول: قال النبي ﷺ: «تجب الجمعة على كل مسلم إلا امرأة أو صبياً أو مملوكاً»<sup>(١)</sup>.

وذهب أكثرهم إلى أنه لا جمعة على العبيد .

وقال الحسن وقتادة والأوزاعي: تجب على العبد المخارج، ولا تجب على المسافر عند الأكثرين .

وقال النخعي والزهري: تجب على المسافر إذا سمع النداء، وكل من له عذر من مرض أو تعهد مريض أو خوف، جاز له ترك الجمعة، وكذلك له تركها بعذر المطر والوحل .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، [حدثنا مسدد حدثنا إسماعيل]<sup>(٢)</sup> أخبرني عبد الحميد صاحب الزيايدي، حدثنا عبد الله بن الحارث بن عمر، حدثنا محمد بن سيرين قال ابن عباس لمؤذنه في يوم مطير: إذا قلت: أشهد أن محمداً رسول الله، فلا تقل: حيّ على الصلاة. قل: صلّوا في بيوتكم. فكأن الناس استنكروا، فقال: فَعَلَهُ مَنْ هو خير مني، إن الجمعة عزمة، وإني كرهت أن أخرجكم فتمشوا في الطين والدحض<sup>(٣)</sup> .

وكل من لا يجب عليه حضور الجمعة، فإذا حضر وصلى مع الإمام [الجمعة]<sup>(٤)</sup> سقط عنه فرض الظهر، ولكن لا يكمل به عدد الجمعة إلا صاحب العذر، فإنه إذا حضر يكمل به العدد .

(١) أخرجه الشافعي في مسنده: ١٣٠/١، والبيهقي في السنن: ١٨٣/٣ وقال: هذا الحديث وإن كان فيه إرسال فهو مرسل جيد وله شواهد، ثم ساقها واعترضه ابن الترمذي في الجوهر النقي: ١٨٣/٣-١٨٤ .  
والمصنف في شرح السنة: ٢٢٣/٤ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) أخرجه البخاري في الأذان، باب هل يصلي الإمام بمن حضر وهل يخطب يوم الجمعة في المطر: ١٥٧/٢، ومسلم في صلاة المسافرين، باب الصلاة في الرحال برقم: (٦٩٩): ٤٨٥/١ .

أخبرنا الإمام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن حمويه السرخسي في سنة إحدى وثمانين وثلثمائة، أخبرنا عيسى بن عمر بن العباس السمرقندي، حدثنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي، أخبرنا يحيى بن حسان حدثنا معاوية ابن سلام، أخبرني زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول حدثني الحكم بن مينا أن ابن عمر حدثه وأبا هريرة أنهما سمعا رسول الله ﷺ وهو على أعواد منبره: «لينتهين أقوامٌ عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أخبرنا أبو محمد الجراحي، حدثنا أبو العباس المحبوبي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا علي بن خشرم، أخبرنا عيسى بن يونس، عن محمد بن عمرو، عن عبيدة بن سفيان، عن أبي الجعد يعني الضميري قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاوناً بها طبع الله على قلبه»<sup>(٢)</sup>.

واختلف أهل العلم في موضع إقامة الجمعة، وفي العدد الذي تنعقد به الجمعة، وفي المسافة التي يجب أن يؤتى منها :

أما الموضع: فذهب قوم إلى أن كل قرية اجتمع فيها أربعون رجلاً من أهل الكمال، بأن يكونوا أحراراً عاقلين [بالعين]<sup>(٣)</sup> مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفاً إلا ظعن حاجة، تجب عليهم إقامة الجمعة فيها. وهو قول عبيد الله بن عبد الله، وعمر بن عبد العزيز، وبه قال الشافعي، وأحمد، وإسحاق. وقالوا: لا تنعقد الجمعة بأقل من أربعين رجلاً على هذه الصفة، وشرط عمر ابن عبد العزيز مع عدد الأربعين أن يكون فيهم وإل، والوالي غير شرط عند الشافعي .

وقال علي: لا جمعة إلا في مصر جامع وهو قول أصحاب الرأي .

ثم عند أبي حنيفة، رضي الله عنه، تنعقد بأربعة، والوالي شرط، وقال الأوزاعي وأبو يوسف:

(١) أخرجه الدارمي في الصلاة، باب فيمن يترك الجمعة من غير عذر: ٣٠٦/١-٣٠٧. ومسلم في الجمعة، باب التغليظ في ترك الجمعة برقم: (٨٦٥): ٥٩١/٢، والمصنف في شرح السنة: ٢١٤-٢١٥/٤.

(٢) أخرجه الترمذي في الصلاة، باب ما جاء في ترك الجمعة من غير عذر: ١٣/٣ قال أبو عيسى: «حديث أبي الجعد حديث حسن»، وأبو داود في الصلاة، باب التشديد في ترك الجمعة: ٦-٥/٢، والنسائي في الجمعة، باب التشديد في التغلف عن الجمعة: ٨٨-٨٩/٣، وابن ماجه في الإقامة، باب فيمن ترك الجمعة من غير عذر برقم: (١١٢٥): ٣٥٧/١، والبيهقي: ١٧٨/٣، وصححه ابن حبان برقم (٥٥٥): ص (١٤٧)، والحاكم: ٢٨٠/١، ووافقه الذهبي، والإمام أحمد: ٤٢٤/٣، والمصنف في شرح السنة: ٢١٣/٤.

(٣) زيادة من «ب» .

تتعقد بثلاثة إذا كان فيهم وإل. وقال الحسن وأبو ثور: تتعقد باثنين كسائر الصلوات. وقال ربيعة: تتعقد باثني عشر رجلاً. والدليل على جواز إقامتها في القرى ما: أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن المثني، أخبرنا أبو عامر العقدي، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن أبي حمزة الضبيعي عن ابن عباس قال: إن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس بجؤأثي من البحرين<sup>(١)</sup>.

وإذا كان الرجل مقيماً في قرية لا تقام فيها الجمعة، أو كان مقيماً في برية، فذهب قوم إلى أنه إن كان يبلغهم النداء من موضع الجمعة يلزمهم حضور الجمعة، وإن كان لا يبلغهم النداء فلا جمعة عليهم. وهو قول الشافعي وأحمد وإسحاق. والشرط أن يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت، يؤذن في وقت تكون الأصوات فيه هادئة والرياح ساكنة، وكل قرية تكون في موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على أهلها حضور الجمعة.

وقال سعيد بن المسيب: تجب على كل من آواه البيت. وقال الزهري: تجب على من كان على ستة أميال. وقال ربيعة: على أربعة أميال. وقال مالك والليث: على ثلاثة أميال. وقال أبو حنيفة رضي الله عنه: لا جمعة على أهل السواد قرية كانت القرية أو بعيدة.

وكل من تلزمه صلاة الجمعة لا يجوز له أن يسافر يوم الجمعة بعد الزوال قبل أن يصلي الجمعة، وجوز أصحاب الرأي أن يسافر بعد الزوال إذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت.

أما إذا سافر قبل الزوال بعد طلوع الفجر فيجوز، غير أنه يكره إلا أن يكون سفره سفر طاعة من حج أو غزو، وذهب بعضهم إلى أنه إذا أصبح يوم الجمعة مقيماً فلا يسافر حتى يصلي الجمعة، والدليل على جوازه ما:

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أخبرنا أبو محمد الجراحي، أخبرنا أبو العباس المحبوبي، أخبرنا أبو عيسى، حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا أبو معاوية، عن الحجاج، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس قال: بعث النبي ﷺ عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة، فغدا أصحابه، وقال: أتخلف فأصلي مع رسول الله ﷺ ثم ألحقهم، فلما صلى مع النبي ﷺ رآه فقال: ما منعك أن تغدو مع أصحابك؟ قال: أردت أن أصلي معك ثم ألحقهم، فقال: «لو أنفقت ما في الأرض جميعاً

(١) أخرجه البخاري في الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن: ٣٧٩/٢، والمصنف في شرح السنة: ٢١٨/٤.

ما أدركت فضل غدوتهم»<sup>(١)</sup>.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع رجلاً عليه هيئة السفر يقول: لولا أن اليوم يوم الجمعة لخرجت، فقال عمر: اخرج فإن الجمعة لا تحبس عن سفر<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد أخبار في سنن يوم الجمعة وفضله منها:

ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد الفقيه، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك / عن يزيد بن عبد الله بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة أنه قال: خرجت إلى [الطور]<sup>(٣)</sup> فلقيت كعب الأبحار، فجلست معه فحدثني عن التوراة، وحدثته عن رسول الله ﷺ، فكان فيما حدثته أن قلت له: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه أهبط وفيه تيب عليه، وفيه مات وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حين تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا الجن والإنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه»، قال كعب: ذلك في كل سنة يوم، فقلت، بل في كل جمعة، قال: فقرأ كعب التوراة فقال: صدق رسول الله ﷺ. قال أبو هريرة: ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الأبحار وما حدثته في يوم الجمعة، فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أية ساعة هي، هي آخر ساعة في يوم الجمعة، قال أبو هريرة: وكيف تكون آخر ساعة في يوم الجمعة! وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي» وتلك ساعة لا يصلي فيها؟ فقال عبد الله بن سلام: ألم يقل رسول الله ﷺ من جلس مجلساً ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلها؟ قال أبو هريرة: بلى، قال: فهو ذاك<sup>(٤)</sup>.

(١) حديث ضعيف أخرجه الترمذي في الصلاة، باب ما جاء في السفر يوم الجمعة: ٦٥/٣-٦٦ قال أبو عيسى: «هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، قال علي بن المديني: قال يحيى بن سعيد: قال شعبة: «لم يسمع الحكم من مقسم إلا خمسة أحاديث وعددها شعبة وليس هذا الحديث فيما عددها شعبة. وكان هذا الحديث لم يسمعه الحكم من مقسم». وفيه أيضاً الحجاج بن أرطاة وهو ضعيف.

وأخرجه الإمام أحمد مختصراً: ٢٥٦/١، والبيهقي: ١٨٧/٣، والمصنف في شرح السنة: ٢٢٧/٤.

(٢) أخرجه الشافعي في مسنده: ١٥٠/١، وعبد الرزاق في المصنف: ٢٥٠/٣، والبيهقي في السنن: ١٨٧/٣.

(٣) في «ب» الطريق.

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب الجمعة، باب ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة: ١٠٨/١-١٠٩، وأبو داود

في الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة: ٣/٢، والترمذي في الصلاة، باب ما جاء في الساعة التي ترجى في يوم الجمعة: ٦١٨/٢-٦١٩ وقال: «هذا حديث صحيح»، والنسائي في الجمعة، باب ذكر الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة: ١١٣/٣-١١٤، والشافعي في ترتيب المسند: ١٢٨-١٢٩، والإمام أحمد: ٤٨٦/٢، والمصنف في شرح السنة:

٢٠٨-٢٠٦/٤.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، حدثنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، حدثنا آدم، حدثنا ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، أخبرني أبي، عن عبد الله ابن وديعة عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، حدثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا أحمد بن خالد، حدثنا محمد ابن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعن أبي أمامة يعني سهل بن حنيف حدثنا عن أبي سعيد وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة واستن ومس من طيب إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد، فلم يتخط رقاب الناس ثم ركب ما شاء الله أن يركب، وأنصت إذا خرج الإمام كانت كفارة ما بينها وبين الجمعة التي كانت قبلها»<sup>(٣)</sup> قال أبو هريرة: وزيادة ثلاثة أيام لأن الله تعالى يقول: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» (الأنعام - ١٦٠).

أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني، أخبرنا أبو القاسم بن جعفر الهاشمي، أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي، حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، حدثنا محمد بن حاتم الجرجرائي، حدثنا ابن المبارك عن الأوزاعي، حدثني حسان بن عطية، حدثني أبو الأشعث الصنعاني، حدثني أوس بن أوس الثقفي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من غسل يوم الجمعة واغتسل ثم بكر وابتكر ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام واستمع، ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب الجمعة: ١/١٠٢-١٠٣، والبخاري في الجمعة، باب فضل الغسل يوم الجمعة: ٣٥٦/٢، ومسلم في الجمعة برقم: (٨٤٤): ٥٧٩/٢، والمصنف في شرح السنة: ١٦١/٢.

(٢) أخرجه البخاري في الجمعة، باب الدهن للجمعة: ٣٧٠/٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٢٩/٤.

(٣) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب في الغسل يوم الجمعة: ٢١٢/١، والإمام أحمد: ٨١/٣، وصححه الحاكم: ٢٨٣/١ ووافقه الذهبي. وأخرجه مسلم مختصراً من حديث أبي صالح عن أبي هريرة: ٥٨٧/٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٣٠-٢٣١.

(٤) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب في الغسل يوم الجمعة: ٢١٣/١، والترمذي في الصلاة، باب ما جاء في فضل الغسل =

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، حدثنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا سفيان، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الناس على منازلهم، الأول فالأول فإذا خرج الإمام طويت الصحف واستمعوا الخطبة والمهجر إلى الصلاة كالمهدي بدنة، ثم الذي يليه كالمهدي بقرة، ثم الذي يليه كالمهدي شاة ثم الذي يليه كالمهدي كبشاً حتى ذكر الدجاجة والبيضة»<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، أي إذا فرغ من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم، ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾، يعني الرزق وهذا أمر إباحة، كقوله: «وإذا حللتهم فاصطادوا» (المائدة-٢)، قال ابن عباس: إن شئت فخرج وإن شئت فاقعد وإن شئت فصل إلى العصر، وقيل: فانتشروا في الأرض ليس لطلب الدنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله.

وتال الحسن وسعيد بن جبير ومكحول: «وابتغوا من فضل الله» هو طلب العلم.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

قوله عز وجل ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾، الآية، أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا حفص بن عمر، حدثنا خالد بن عبد الله، [أخبرنا حصين]<sup>(٢)</sup> عن سالم بن أبي الجعد وعن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: أقبلت غير يوم الجمعة ونحن مع النبي ﷺ، فثار الناس إلا اثني عشر رجلاً فأنزل الله: «وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا»<sup>(٣)</sup>.

يوم الجمعة: ٣/٣-٤ وقال: «حديث أوس بن أوس حديث حسن وأبو الأشعث الصنعاني اسمه شراحيل بن آدة»، والنسائي في الجمعة، باب فضل المشي إلى الجمعة: ٩٧/٣، وابن ماجه في الإقامة، باب ما جاء في الغسل يوم الجمعة برقم (١٠٨٧): ٣٤٦/١، والإمام أحمد: ١٠٤/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٣٦/٤.

(١) أخرجه الشافعي: ١٣١/١، والبخاري في الجمعة، باب الاستماع إلى الخطبة يوم الجمعة: ٤٠٧/٢، ومسلم في الجمعة، باب فضل التهجير يوم الجمعة برقم: (٥٨٠): ٥٨٧/٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٣٢/٤.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة الجمعة - باب: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا) ٦٤٣/٨، ومسلم في الجمعة، باب في =

ويحتج بهذا الحديث من يرى [إقامة]<sup>(١)</sup> الجمعة باثني عشر رجلاً. وليس فيه بيان أنه أقام بهم الجمعة حتى يكون حجة، لا شتراط هذا العدد. وقال ابن عباس في رواية الكلبي: لم يبق في المسجد إلا ثمانية رهط .

وقال الحسن وأبو مالك: أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة الكلبي بتجارة زيت من الشام والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فلما رأوه قاموا إليه بالبيع خشوا أن يسبقوا إليه، فلم يبق مع النبي ﷺ إلا رهط منهم أبو بكر وعمر فنزلت هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لو تابعتهم حتى لا يبقى منكم أحد لسال بكم الوادي ناراً»<sup>(٢)</sup> .

وقال مقاتل: بينا / رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة، وكان إذا قدم لم تبق بالمدينة عاتق إلا أخته، وكان يقدم إذا قدم بكل ما يحتاج إليه من دقيق وبر وغيره، فينزل عند أحجار الزيت، وهو مكان في سوق المدينة، ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج إليه الناس لبيتاعوا منه، فقدم ذات جمعة، وكان ذلك قبل أن يسلم، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب، فخرج إليه الناس فلم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلاً وامرأة، فقال النبي ﷺ: «كم بقي في المسجد؟ فقالوا: اثنا عشر رجلاً وامرأة، فقال النبي ﷺ: «لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء»، فأنزل الله هذه الآية<sup>(٣)</sup>. وأراد باللهم الطبل .

وقيل: كانت العير إذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق .

وقوله: «انفضوا إليها»، رد الكناية إلى التجارة لأنها أهم. وقال علقمة: سئل عبد الله بن عمر: أكان النبي ﷺ يخطب قائماً أو قاعداً؟ قال: أما تقرأ «وتركوك قائماً» .

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، حدثنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا إبراهيم بن محمد، أخبرني جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله: كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة خطبتين قائماً يفصل بينهما بجلوس<sup>(٤)</sup> .

= قوله تعالى: (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً) برقم: (٨٦٣): ٥٩٠/٢ .

(١) ساقط من «أ» .

(٢) أورده الحافظ ابن حجر في الكافي الشافعي (١٧١) وقال: هكذا ذكره الواحدي عن المفسرين، وذكره الثعلبي ثم البغوي عن الحسن بغير إسناد .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ١١٦/٨ وعزاه للبيهقي في شعب الإيمان .

(٤) أخرجه الشافعي: ١٤٤/١، والبيهقي في السنن: ١٨١/٣، والمصنف في شرح السنة: ٢٤٧/٤ .

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، أخبرنا أبو الأحوص، عن سماك عن جابر بن سمرة قال: كانت للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس<sup>(١)</sup>.

وبهذا الإسناد عن جابر بن سمرة قال: كنت أصلي مع النبي ﷺ، فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً<sup>(٢)</sup>.

والخطبة فريضة في صلاة الجمعة، ويجب أن يخطب قائماً خطبتين، وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة: أن يحمد الله، ويصلي على النبي ﷺ، ويوصي بتقوى الله، هذه الثلاثة فرض في الخطبتين جميعاً، ويجب أن يقرأ في الأولى آية من القرآن، ويدعو للمؤمنين في الثانية، فلو ترك واحدة من هذه الخمس لا تصح جمعته عند الشافعي، وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه إلى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه.

وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة، وهو مأمور بالخطبة.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا عبد الله بن يوسف بن محمد بن مامويه، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصري، بمكة، حدثنا الحسن بن الصباح الزعفراني، حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبيد الله بن أبي رافع أن مروان استخلف أبا هريرة على المدينة، فصلّى بهم أبو هريرة الجمعة فقرأ سورة الجمعة في الركعة الأولى وفي الثانية: «إذا جاءك المنافقون» (المنافقون - ١) فقال عبيد الله: فلما انصرفنا مشيت إلى جنبه فقلت له: لقد قرأت بسورتين سمعتُ علي بن أبي طالب يقرأ بهما في الصلاة؟ فقال سمعت النبي ﷺ يقرأ بهما<sup>(٣)</sup>.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن ضمرة بن سعيد المازني، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن الضحاک ابن قيس سأل النعمان بن بشير ماذا كان يقرأ به رسول الله ﷺ يوم الجمعة على أثر سورة الجمعة؟

(١) أخرجه مسلم في الجمعة، باب ذكر الخطبتين قبل الصلاة وما فيها من الجلسة برقم: (٨٦٢): ٥٨٩/٢.

(٢) أخرجه مسلم في الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة برقم: (٨٦٦): ٥٩١/٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٥١/٤.

(٣) أخرجه مسلم في الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة برقم: (٨٧٧): ٥٩٧/٢-٥٩٨ والمصنف في شرح السنة: ٢٧٠/٤.



## قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ النَّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزْقِينَ ﴿١١﴾

فقال: كان يقرأ بـ «هل أتاك حديث الغاشية»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أخبرنا أبو محمد الجراحي، حدثنا أبو العباس المحبوبي، حدثنا أبو عيسى، حدثنا قتيبة، حدثنا أبو عوانة عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير قال: كان النبي ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بـ «سبح اسم ربك الأعلى»، و«هل أتاك حديث الغاشية»، وربما اجتمع في يوم واحد فيقرأ بهما<sup>(٢)</sup>.

ولجواز الجمعة خمس شرائط: الوقت وهو: وقت الظهر ما بين زوال الشمس إلى دخول وقت العصر، والعدد، والإمام، والخطبة، ودار الإقامة، فإذا فقد شرط من هذه الخمسة يجب أن يصلوها ظهراً.

ولا يجوز للإمام أن يتدبّر الخطبة قبل اجتماع العدد، وهو عدد الأربعين عند الشافعي، فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة أو انتقص واحد من العدد لا يجوز أن يصلي بهم الجمعة، بل يصلي الظهر، ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضوا، فأصح أقوال الشافعي: أن بقاء الأربعين شرط إلى آخر الصلاة، [كما أن بقاء الوقت شرط إلى آخر الصلاة]<sup>(٣)</sup> فلو انتقص واحد منهم قبل أن يسلم الإمام يجب على الباقي أن يصلوها أربعاً. وفيه قول آخر: إن بقي معه اثنان أتمها جمعة. وقيل: إن بقي معه واحد أتمها جمعة، وعند المزني إن نقصوا بعد ما صلى الإمام بهم ركعة أتمها جمعة، وإن بقي وحده فإن كان في الركعة الأولى يتمها أربعاً وإن انتقص من العدد واحد، وبه قال أبو حنيفة في العدد الذي شرطه كالمسبوق إذا أدرك مع الإمام ركعة من الجمعة فإذا سلم الإمام أتمها جمعة وإن أدرك أقل من ركعة أتمها أربعاً.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ النَّجْرَةِ﴾، أي ما عند الله من الثواب على الصلاة والثبات مع النبي ﷺ خير من اللهو ومن التجارة، ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾، لأنه موجد الأرزاق فأيّاه فاسألوا ومنه فاطلبوا.

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب الجمعة، باب القراءة في صلاة الجمعة، والاحتباء ومن تركها من غير عذر: ١/١١١،

ومسلم في الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة برقم: (٨٧٨): ٢/٥٩٨، والمصنف في شرح السنة: ٢٧١/٤.

(٢) أخرجه الترمذي في الصلاة، باب ما جاء في القراءة في العيدين: ٣/٧٦، وقال: «حدث النعمان بن بشير حديث حسن صحيح»، ومسلم

في الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة برقم: (٨٧٨): ٢/٥٩٨، والمصنف في شرح السنة: ٢٧١/٤.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

# السورة المستافقون



## سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

مدنية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ

﴿إذا جاءك المنافقون﴾، يعني عبدالله بن أبي بن سلول وأصحابه، ﴿قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾، لأنهم أضمرُوا خلاف ما أظهروا .  
﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾، ستره، ﴿فصدوا عن سبيل الله﴾، منعوا الناس عن الجهاد والإيمان  
بمحمد ﷺ .

﴿إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾ .

﴿ذلك بأنهم آمنوا﴾، أقروا باللسان إذا رأوا المؤمنين، ﴿ثم كفروا﴾، إذا خلوا إلى المشركين، ﴿فطبع على قلوبهم﴾، بالكفر، ﴿فهم لا يفقهون﴾، / الإيمان .

﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾، يعني أن لهم أجساماً ومناظر، ﴿وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾، فتحسب أنه صدق، قال عبد الله بن عباس: كان عبد الله بن أبي جسيماً فصيحاً ذليقاً

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: نزلت سورة المنافقين بالمدينة .

وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله .

انظر: الدر المنثور: ١٧٠/٨ .

لَقَوْلِهِمْ كَانَهُمْ خَشَبٌ مُسْتَدَّةٌ يُحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأَوْا بِرُءُوسِهِمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾

اللسان، فإذا قال سمع النبي ﷺ قوله. ﴿كأنهم خشب مستدَّة﴾، أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام.

قرأ أبو عمرو والكسائي: «خشب» بسكون الشين، وقرأ الباقر بضمها.

﴿مُسْتَدَّة﴾، مائلة إلى جدار، من قولهم: أسندت الشيء، إذا أملت، والتثقيل للتكثير، وأراد أنها ليست بأشجار تثمر، ولكنها خشب مستدَّة إلى حائط، ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾، أي لا يسمعون صوتاً في العسكر بأن نادى منادٍ أو انفلت دابة وأنشدت ضالة، إلا ظنوا - من جنهم وسوء ظنهم - أنهم يُرادون بذلك، وظنوا أنهم قد أتوا، لما في قلوبهم من الرعب.

وقيل: ذلك لكونهم على وجل من أن ينزل الله فيهم أمراً بهتك أستارهم ويبيح دماءهم ثم قال: ﴿هم العدو﴾، وهذا ابتداء وخبره، ﴿فاحذرهم﴾، ولا تأمنهم، ﴿قاتلهم الله﴾، لعنهم الله ﴿أنى يؤفكون﴾، يصرفون عن الحق.

﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لَوَّأَوْا بِرُءُوسِهِمْ﴾، أي عطفوا وأعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار.

قرأ نافع ويعقوب «لَوَّأَوْا»، بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد، لأنهم فعلوه مرة بعد مرة.

﴿ورأيتهم يصدون﴾، يُعرضون عما دُعُوا إليه، ﴿وهم مستكبرون﴾، متكبرون عن استغفار رسول الله ﷺ لهم.

﴿سواء عليهم أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾، يا محمد، ﴿أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾، ذكر محمد بن إسحاق وغيره عن جماعة، من أصحاب السير أن رسول الله ﷺ بَلَغَهُ: أن بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو [جويرة]<sup>(١)</sup> زوج النبي

(١) في المخطوطتين (جويرة) وفي غيرها (جويرية).

ﷺ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المُرَيْسِع من ناحية قُدَيْد إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق، وقتل من قتل منهم، ونقل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفأها [عليهم]<sup>(١)</sup>، فبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار، يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسان بن وبرة الجهني، حليف بني عوف بن الخزرج، على [ذلك]<sup>(٢)</sup> الماء فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار! وصرخ الغفاري: يا معشر المهاجرين! وأعان جهجاه الغفاري رجل من المهاجرين يقال له جُعال، وكان فقيراً، فغضب عبد الله بن أبي بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم، غلام حديث السن، فقال ابن أبي: أفعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما مثُلنا ومثلهم إلا كما قال القائل: سَمْنٌ كلبك يأكلُك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة لِيُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ. يعني بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ﷺ. ثم أقبل على من حضره من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم، ولتحولوا إلى غير بلادكم، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضُوا من حول محمد، فقال زيد بن أرقم: أنتَ - والله - الدليل القليل المبغض في قومك، ومحمد ﷺ في عزٍّ من الرحمن ومودة من المسلمين، فقال عبد الله بن أبي: اسكت، فإنما كنتُ ألعب. قال: فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله ﷺ، [وذلك]<sup>(٣)</sup> بعد فراغه من العدو، فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب، فقال: دعني أضرب عنقه يا رسول الله، قال: كيف ياعمر إذا تحدّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ ولكن أذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرحل فيها فارتحل الناس.

وأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي فأتاه فقال: أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني؟ فقال عبد الله: والذي أنزل عليك الكتاب ما قلتُ شيئاً من ذلك، وإن زيدا لكاذبٌ، وكان عبد الله في قومه شريفاً عظيماً، فقال من حضر من الأنصار من أصحابه يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قاله. فعذّره النبي ﷺ وفشت الملامة في الأنصار لزيد، وكذبوه، وقال له عمه [وكان زيد معه]<sup>(٤)</sup>: ما أردت إلى أن كذبتك رسول الله ﷺ، والناس مَقْتُوك، وكان زيد يساير النبي ﷺ فاستحيا بعد ذلك أن يدنو من النبي ﷺ.

(١) في «ب» عليه .

(٢) زيادة من «ب» .

فلما استقلَّ رسول الله ﷺ وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه، ثم قال: يا رسول الله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها .

فقال له رسول الله ﷺ: أوما بلغك ما قال صاحبكم عبد الله بن أبي؟ قال: وما قال؟ قال: زعم إن رجع إلى المدينة أخرج الأعرز منها الأذل. فقال أسيد: فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك، وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً .

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان من أمر أبيه فأقَى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي، لِمَا بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فَمُرْنِي به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخرج ما كان بها رجل أبر بوالديه مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر، فأدخل النار .

فقال رسول الله ﷺ: بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا .

قالوا: وسار رسول الله ﷺ يومهم ذلك حتى أمسى، وليتهم حتى أصبح، وصدر يومهم حتى آذتهم الشمس، [ثم نزل بالناس] <sup>(١)</sup> فلم يكن إلا أن وجدوا مس الأرض وقعوا نياماً. وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي .

ثم راح بالناس حتى نزل [على ماء ب] <sup>(٢)</sup> الحجاز فَوَيْقَ النَّقِيعِ، يقال له نقعاً فهاجت ريح شديدة/ آذتهم وتخوفوها وضلّت ناقة النبي ﷺ وذلك ليلاً، فقال رسول الله ﷺ: لا تخافوا فإنما هبّت لموت عظيم من عظماء الكفار توفي بالمدينة، قيل: من هو؟ قال: رفاعة بن زيد بن التابوت، فقال رجل من المنافقين: كيف يزعم أنه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته؟ ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي! فأتاه جبريل فأخبره بقول المنافق وبمكان الناقة، وأخبر بذلك رسول الله ﷺ أصحابه، وقال: ما أزعجني أي أعلم الغيب وما أعلمه، ولكن الله أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي، هي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فإذا هي كما قال، فجاءوا بها وآمن ذلك المنافق .

فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت قد مات ذلك اليوم، وكان من عظماء اليهود وكهفاً للمنافقين، فلما وافى رسول الله ﷺ المدينة، قال زيد بن أرقم: جلست في البيت

(١) ساقط من «أ» .

هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ  
خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِنْ  
رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ  
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

لَمَّا بَيَّنَّ من الهم والحياء، فأنزل الله تعالى سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله. فلما  
نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد وقال: «يا زيد إن الله صدقك، وأوفى بأذنتك».

وكان عبد الله بن أبيي بقرب المدينة، فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبد الله بن عبد الله  
حتى أناخ على مجامع طرق المدينة، فلما جاء عبد الله بن أبيي قال: [وراءك، قال:] <sup>(١)</sup> مالك وملك؟  
قال: لا والله لا تدخلها أبداً إلا بإذن رسول الله ﷺ، ولتعلمن اليوم من الأعز من الأذل، فشكا  
عبد الله إلى رسول الله ﷺ ما صنع ابنه، فأرسل إليه رسول الله ﷺ أن خل عنه حتى يدخل،  
فقال: أما إذا جاء أمر رسول الله ﷺ فنعم، فدخل فلم يلبث إلا أياماً قلائل حتى اشتكى ومات.

قالوا: فلما نزلت الآية وبان كذب عبد الله بن أبيي قيل له: يا أبا حباب إنه قد نزل فيك  
آتي شداد فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك، فلوى رأسه ثم قال: أمرتموني أن أؤمن فأمنت،  
وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت فما بقي إلا أن أسجد لحمد فأنزل الله تعالى: «وإذا قيل  
لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ﷺ لَوُوا رُؤُوسَهُمْ» <sup>(٢)</sup> الآية. ونزل:

﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا﴾، يتفرقوا، ﴿والله خزائنُ  
السموات والأرض﴾، فلا يعطي أحد أحداً شيئاً إلا بإذنه ولا يمنعه إلا بمشيئته، ﴿ولكن المنافقين  
لا يفقهون﴾، أن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة﴾، من غزوة بني المصطلق، ﴿ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ  
والله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾، فغزة الله: قهره من دونه، وعزة رسوله: إظهار دينه على الأديان  
كلها، وعزة المؤمنين: نصر الله إياهم على أعدائهم. ﴿ولكن المنافقين لا يعلمون﴾، ذلك ولو علموا  
ما قالوا هذه المقالة.

(١) ساقط من «أ».

(٢) ذكره ابن هشام في السيرة: ٣/٣٠٢-٣٠٥ (طبعة دار القلم)، والطبري: ٢٨/١١٥-١١٧، وابن كثير ٤/٣٧١-٣٧٠.



يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١﴾ وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ﴾، لا تشغلکم ﴿أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾، قال المفسرون يعني الصلوات الخمس، نظيره قوله: ﴿لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ (النور - ٣٧) ﴿ومن يفعل ذلك﴾، أي من شغله ماله وولده عن ذكر الله ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾.

﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾، قال ابن عباس: يريد زكاة الأموال، ﴿من قبل أن يأتي أحدكم الموت﴾، فيسأل الرجعة، ﴿فيقول رب لولا أخرتني﴾، هلا أخرتني أمهلتنني. وقيل: «لا» صلة، فيكون الكلام بمعنى التمني، أي: لو أخرتني، ﴿إلى أجل قريب فأصدق﴾، فأتصدق وأزكي مالي، ﴿وأكن من الصالحين﴾، أي من المؤمنين.

نظيره قوله تعالى: ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾ (الرعد - ٢٣) (غافر - ٨)، هذا قول مقاتل وجماعة. وقالوا: نزلت الآية في المنافقين.

وقيل: [نزلت] <sup>(١)</sup> الآية في المؤمنين.

والمراد بالصلاح هنا: الحج. وروى الضحاك، وعطية عن ابن عباس قال: ما من أحد يموت وكان له مال لم يؤد زكاته وأطاق الحج فلم يحج إلا سأل الرجعة عند الموت. وقرأ هذه الآية <sup>(٢)</sup>.

وقال: «وأكن من الصالحين» قرأ أبو عمرو «وأكون» بالواو ونصب النون على جواب التمني وعلى لفظ فأصدق، وقال: إنما حذف الواو من المصحف اختصاراً.

وقرأ الآخرون: «وأكن» بالجزم عطفاً على قوله «فأصدق» لو لم يكن فيه الفاء، لأنه لو لم يكن فيه فاء كان جزماً. يعني: إن أخرتني أصدق وأكن، ولأنه مكتوب في المصحف بحذف الواو.

(١) زيادة من «ب».

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير - تفسير سورة المنافقين: ٢٢٠/٩-٢٢١، والطبري: ١١٨/٢٨.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ١٧٩/٨ أيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون﴾، قرأ أبو بكر: «يعملون» بالياء  
وقرأ الآخرون بالتاء .



# سورة النّجّات



# سُورَةُ النَّجْمِ

مدنية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ  
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَاتَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١﴾

قال عطاء هي مكية إلا ثلاث آيات<sup>(٢)</sup> من قوله: «يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم» إلى آخرهن .

﴿يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾  
\* هو الذي خلقكم فمنكم كافرٌ ومنكم مؤمنٌ والله بما تعملون بصيرٌ، قال ابن عباس: [إن]<sup>(٣)</sup>  
الله خلق بني آدم مؤمناً وكافراً، ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمناً وكافراً<sup>(٤)</sup> .

وروينا عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام طبع كافراً»<sup>(٥)</sup> .

وقال جلّ ذكره «ولا يلدوا إلا فاجراً كافراً» (نوح - ٢٧) .

(١) أخرج ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت سورة النجم بالمدينة .  
وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير قال: نزلت سورة النجم بالمدينة .

انظر: الدر المنثور: ١٨١/٨ .

(٢) أخرجه الطبري: ١٢٥/٢٨ .

وانظر الدر المنثور: ١٨١/٨ .

(٣) ساقط من «ب» .

(٤) أخرجه الطبري: ٣٨٢/١٢ (بتحقيق محمود شاكر)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد: ٥٤٧/٣، والآجري في الشريعة

ص (٢١١) .

(٥) أخرجه مسلم مرفوعاً في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين  
برقم: (٢٦٦١): ٢٠٥٠/٤ .

## خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد، عن عبيد الله بن أبي بكر بن أنس [عن أنس] <sup>(١)</sup> عن النبي ﷺ قال: «وكل الله بالرحم ملكاً فيقول: أي رب نطفة أي رب علقة، أي رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال: يارب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد؟ فما الرزق فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه» <sup>(٢)</sup>.

وقال جماعة: معنى الآية: إن الله خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا، لأن الله تعالى ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم، فقال: «فمنكم كافر ومنكم مؤمن»، كما قال الله تعالى: «والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي» (النور - ٤٥) والله خلقهم والمشي فعلهم. ثم اختلفوا في تأويلها:

روي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: «فمنكم كافر» في حياته «مؤمن» في العاقبة، «ومنكم مؤمن» في حياته كافر في العاقبة.

وقال عطاء بن أبي رباح: فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب، ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب <sup>(٣)</sup>.

وقيل / : فمنكم كافر بأن الله تعالى خلقه، وهو مذهب الدهرية، ومنكم مؤمن بأن الله خلقه <sup>(٤)</sup>.

ب/١٦٥

وجملة القول فيه: أن الله خلق الكافر، وكفره فعل له وكسب، وخلق المؤمن، وإيمانه فعل له وكسب، فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار، وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيتته، فالمؤمن بعد خلق الله إياه يختار الإيمان، لأن الله تعالى أراد ذلك منه، وقدره عليه، وعلمه منه، والكافر بعد خلق الله تعالى إياه يختار الكفر، لأن الله تعالى أراد ذلك منه، وقدره عليه، وعلمه منه. وهذا طريق أهل السنة والجماعة من سلكه أصاب الحق وسلم من الجبر والقدر.

﴿خلق السموات والأرض بالحق وصوّركم فأحسن صوّركم وإليه المصير يعلم ما في

(١) ساقط من «ب».

(٢) أخرجه البخاري في أول القدر: ٤٧٧/١١، وفي الحيض، باب مخلقة وغير مخلقة...، ومسلم في القدر برقم: (٢٦٤٦): ٢٠٣٨/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٢٧/١-١٢٨.

(٣) انظر البحر المحيط: ٢٧٧-٢٧٦/٨.

(٤) انظر البحر المحيط: ٢٧٧/٨.

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ  
 الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ  
 ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا  
 وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُغْنِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَلَنْ يُبْعَثَ رُسُلُهُمْ  
 أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُ أَنْزِلْنَا إِلَيْهِمْ فَأَنزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْبُكُورَ وَالْأُنثَىٰ وَلَهُمْ آيَاتُ أَنْزِلْنَا  
 إِلَيْهِمْ وَمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ  
 بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
 السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور .

﴿ألم يأتكم﴾، يخاطب كفار مكة، ﴿نبأ الذين كفروا من قبل﴾، يعني: الأمم الخالية،  
 ﴿فذاقوا وبأل أمرهم﴾، يعني ما لحقهم من العذاب في الدنيا، ﴿ولهم عذاب أليم﴾، في الآخرة .

﴿ذلك﴾، العذاب، ﴿بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدونا﴾، ولم يقل:  
 يهدينا، لأن البشر، وإن كان لفظه واحداً، فإنه في معنى الجمع، وهو اسم الجنس لا واحد له من  
 لفظه، وواحد إنسان، ومعناها: ينكرون ويقولون آدمي مثلنا يهدينا! ﴿فكفروا وتولوا واستغنى  
 الله﴾، عن إيمانهم، ﴿والله غني﴾، عن خلقه، ﴿حميد﴾، في أفعاله. ثم أخبر عن إنكارهم البعث  
 فقال جل ذكره:

﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل﴾، يا محمد، ﴿بلى وري لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم  
 وذلك على الله يسير﴾ فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا، وهو القرآن، ﴿والله بما تعملون  
 خبير﴾ .

﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾، يعني يوم القيامة، يجمع فيه أهل السموات والأرض، ﴿ذلك  
 يوم التغابن﴾، وهو تفاعل من الغبن، وهو فوت الحظ، والمراد بالمغبون من غبن في أهله ومنازله  
 في الجنة، فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الإيمان، وغبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان، ﴿ومن  
 يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار﴾، قرأ أهل المدينة



خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا  
بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٢﴾ مَا أَصَابَ  
مُصِيبَةً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾  
وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ  
﴿٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا

والشام: «نكفر» «وندخله»، وفي سورة الطلاق «ندخله» بالنون فيهن، وقرأ الآخرون بالياء، «خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم» .

﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير﴾ .

﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله﴾، [بإرادته وقضائه] <sup>(١)</sup> «ومن يؤمن بالله»، فيصدق أنه لا يصيبه مصيبة إلا بإذن الله، «يهدي قلبه»، يوفقه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم [لقضائه] <sup>(٢)</sup> «والله بكل شيء عليم» .

﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ .

﴿الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ .

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾، قال ابن عباس: هؤلاء رجال من أهل مكة أسلموا، وأرادوا أن يهاجروا إلى المدينة، فمنعهم أزواجهم وأولادهم، وقالوا: صبرنا على إسلامكم فلا نصبر على فراقكم، فأتاعوهم، وتركوا الهجرة <sup>(٣)</sup> [فقال تعالى: ﴿فاحذروهم﴾، أن تطيعوهم وتدعوا الهجرة] <sup>(٤)</sup> .

(١) زيادة من «ب» .

(٢) في «ب» لقضاء الله .

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير - تفسير سورة التغابن - ٢٢٢/٩-٢٢٣ وقال: «هذا حديث حسن صحيح» والطبري: ١٢٤/٢٨، والحاكم: ٤٩٠/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ١٨٤/٨ نسبته -

للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني .  
(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾، هذا فيمن أقام على الأهل والولد ولم يهاجر، فإذا هاجر رأى الذين سبقوه بالهجرة قد فقهوا في الدين هم أن يعاقب زوجه وولده الذين ثبطوا عن الهجرة، وإن لحقوا به في دار الهجرة لم ينفق عليهم ولم يصبهم بخير، فأمر الله تعالى بالعفو عنهم والصفح.

وقال عطاء بن يسار: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي: كان ذا أهل وولد، وكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورققوه، وقالوا: إلى من ندعنا؟ فبرق لهم ويقم<sup>(١)</sup>، فأنزل الله: «إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم» بحملهم إياكم على ترك الطاعة، فاحذروهم أن تقبلوا منهم.

﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا﴾، فلا تعاقبهم على خلافهم إياكم فإن الله غفور رحيم.

﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾، بلاء واختبار وشغل عن الآخرة، يقع بسببها الإنسان في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام، ﴿والله عنده أجر عظيم﴾، قال بعضهم: لما ذكر الله العداوة أدخل فيه «من» للتبعيض، فقال: «إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم» لأن كلهم ليسوا [بأعداء]<sup>(٢)</sup>، ولم يذكر «من» في قوله: «إنما أموالكم وأولادكم فتنة» لأنها لا تخلو عن الفتنة واشتغال القلب.

وكان عبد الله بن مسعود يقول: لا يقولن أحدكم: اللهم إني أعوذ بك من الفتنة، فإنه ليس منكم أحد يرجع إلى مال وأهل وولد إلا وهو مشتمل على فتنة، ولكن ليقول: اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن<sup>(٣)</sup>.

أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفري، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن إسحاق الفقيه، حدثنا أحمد بن بكر بن يوسف حدثنا علي بن الحسين، أخبرنا الحسين بن واقد، عن عبد الله بن بريدة قال سمعت أبا بريدة يقول: كان رسول الله ﷺ يخطبنا، فجاء الحسن والحسين، وعليهما قميصان أحمران، يمشیان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ

(١) أخرجه الطبري: ١٢٥/٢٨.

(٢) في «ب» بأعدائكم.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ١٨٥/٨ لابن المنذر والطبراني.

قال الهيثمي في المجمع: ٢٢٠/٧: «رواه الطبراني وإسناده منقطع وفيه المسعودي وقد اختلط».

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾  
يُضَاعِفُهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾  
عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

ﷺ من المنبر، فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال: «صدق الله: إنما أموالكم وأولادكم فتنة، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»<sup>(١)</sup>.

﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾، أطقتم، هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: «اتقوا الله حق تقاته» (آل عمران-١٠٢) ﴿واسمعوا وأطيعوا﴾، الله ورسوله، ﴿وأنفقوا خيراً لأنفسكم﴾، أنفقوا من أموالكم خيراً لأنفسكم. ﴿ومن يوق شح نفسه﴾، حتى يعطي حق الله من ماله ﴿فأولئك هم المفلحون﴾.

﴿إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حلیم \* عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم﴾.

ب/١٦٦

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب الإمام يقطع الخطبة للأمر يحدث: ٢٠/٢، والترمذي في المناقب ٢٧٨/١٠-٢٧٩، وقال: «هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من حديث الحسين بن واقد، والنسائي في الجمعة، باب نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة وقطعه كلامه ورجوعه إليه يوم الجمعة: ١٠٨/٣، وابن ماجه في اللباس، باب لبس الأحمر للرجال برقم: (٣٦٠٠): ١١٩٠/٢، وابن حبان برقم: (٢٢٣٠) صفحة: (٥٥٢)، والحاكم: ٢٨٧/١، والإمام أحمد: ٣٥٤/٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٣٧٥٧).

الطَّائِفَةُ



## سُورَةُ الطَّلَاقِ

مدنية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾، نادى النبي ﷺ، ثم خاطب أمته، لأنه السيد المقدم، فخطاب الجميع معه .

وقيل: مجازه: يا أيها النبي قل لأمتك «إذا طلقتم النساء»: إذا أردتم تطليقهن، كقوله عز وجل: «فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله» (النحل - ٩٨) أي: إذا أردت القراءة.

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾، أي لظهرهن بالذي يحصينه من عدتهن. وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن: «فطلِّقوهن في قُبُلِ عدتهن». نزلت هذه الآية في عبد الله [بن عمر]<sup>(٢)</sup> كان قد طلق امرأته في حال الحيض<sup>(٣)</sup>.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد الفقيه، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، [عن نافع]<sup>(٤)</sup>، عن عبد الله بن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض في عهد رسول الله ﷺ، فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: مَرَّةٌ فَلْيُرَاجِعْهَا، ثم ليمسكها حتى تطهر، ثم تحيض [ثم تطهر]<sup>(٥)</sup>، ثم إن شاء أمسك بعُدَّ، وإن شاء طلق قبل أن يمَسَّ، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة الطلاق بالمدنية.

انظر: الدر المنثور: ١٨٨/٨ .

(٢) ساقط من «أ» .

(٣) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة الطلاق - : ٦٥٣/٨ .

(٤) ساقط من «ب» .

(٥) أخرجه الإمام مالك في الموطأ في الطلاق، باب ما جاء في الأقراء وعدة الطلاق وطلاق الحائض: ٥٧٦/٢، والبخاري في

الطلاق، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾: ٣٤٥/٩-٣٤٦، ومسلم في الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض

بغير رضاها برقم: (١٤٧١): ١٠٩٣/٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٠٢/٩

ورواه سالم عن ابن عمر قال: «مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً»<sup>(١)</sup>.

ورواه يونس بن جبير وأنس بن سيرين عن ابن عمر، ولم يقولوا: ثم تحيض ثم تطهر<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا مسلم وسعيد بن سالم، عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عزة يسأل عبد الله بن عمر - وأبو الزبير يسمع - فقال: كيف ترى في رجل طلق امرأته حائضاً؟ فقال ابن عمر: طلق عبد الله بن عمر امرأته حائضاً، فقال النبي ﷺ: «مره فليراجعها فإذا طهرت فليطلق أو يمسك»، قال ابن عمر: وقال الله عز وجل: «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن أو لقبل عدتهن»، الشافعي يشك.

ورواه حجاج بن محمد عن ابن جريج، وقال: قال ابن عمر: وقرأ النبي ﷺ: يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن<sup>(٣)</sup>.

اعلم أن الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعة، وكذلك في الطهر الذي جامعها فيه، لقول النبي ﷺ: «وإن شاء طلق قبل أن يمس».

والطلاق السني: أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه. وهذا في حق امرأة تلزمها العدة بالأقراء.

فأما إذا طلق غير المدخول بها في حال الحيض، أو طلق الصغيرة التي لم تحض قط، أو الآيسة بعد ما جامعها، أو طلق الحامل بعد ما جامعها، أو في حال رؤية الدم، لا يكون بدعياً. ولا سنة ولا بدعة في طلاق هؤلاء، لأن النبي ﷺ قال: «ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً».

والخلع في حال الحيض أو في طهر جامعها [فيه]<sup>(٤)</sup> لا يكون بدعياً لأن النبي ﷺ أذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته من غير أن يعرف حالها، ولولا جوازه في جميع الأحوال لأشبه أن يتعرف الحال.

ولو طلق امرأته في حال الحيض أو في طهر جامعها فيه قصداً يعصي الله تعالى، ولكن يقع

(١) أخرجه مسلم في الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها برقم: (١٤٧١) ١٠٩٥/٢.

(٢) في الموضع السابق.

(٣) أخرجه الشافعي: ٣٣/٢ (ترتيب المسند)، ومسلم في الطلاق برقم: (١٤٧١) ١٠٩٨/٢.

(٤) ساقط من (أ).

رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ

الطلاق لأن النبي ﷺ أمر ابن عمر بالمراجعة فلولا وقوع الطلاق لكان لا يأمر بالمراجعة، وإذا راجعها في حال الحيض يجوز أن يطلقها في الطهر الذي يعقب تلك الحيضة قبل المسيس، كما رواه يونس بن جبير وأنس بن سيرين عن ابن عمر .

وما رواه نافع عن ابن عمر: «ثم لمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر»، فاستحب، استحباب تأخير الطلاق إلى الطهر الثاني حتى لا يكون مراجعته إيّاها للطلاق، كما يكره النكاح للطلاق .

ولا بدعة في الجمع بين الطلقات الثلاث، عند بعض أهل العلم، حتى لو طلق امرأته في حال الطهر ثلاثاً لا يكون بدعيّاً، وهو قول الشافعي وأحمد. وذهب بعضهم إلى أنه بدعة، وهو قول مالك وأصحاب الرأي .

قوله عز وجل: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾، أي عدد أقرائها، احفظوها، قيل: أمر بإحصاء العدة لتفريق الطلاق على الأقراء إذا أراد أن يطلق ثلاثاً. وقيل: للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة أمر النفقة والسكنى .

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾، أراد به إذا كان المسكن الذي طلقها فيه للزوج لا يجوز له أن يخرجها منه، ﴿وَلَا يُخْرِجَنَّ﴾، ولا يجوز لها أن تخرج ما لم تنقض عدتها فإن خرجت لغير ضرورة أو حاجة أثمت، فإن وقعت ضرورة - وإن خافت هدماً أو غرقاً - لها أن تخرج إلى منزل آخر، وكذلك إن كان لها حاجة من بيع غزل أو شراء قطن فيجوز لها الخروج نهاراً ولا يجوز ليلاً فإن رجلاً استشهدوا بأحد فقالت نساؤهم: نستوحش في بيوتنا، فأذن لهن النبي ﷺ أن يتحدثن عند إحداهن، فإذا كان وقت النوم تأوي كل امرأة إلى بيتها<sup>(١)</sup>، وأذن النبي ﷺ لحالة جابر طلقها زوجها أن تخرج لجذاذ نخلها<sup>(٢)</sup> .

وإذا لزمها العدة في السفر تعدد ذاهبة وجائئة، والبدوية [تنبؤاً]<sup>(٣)</sup> حيث يتنوّأ أهلها في العدة، لأن الانتقال في حقهم كالإقامة في حق المقيم .

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ﴾، قال ابن عباس: «الفاحشة المبينة»: أن تبذو على أهل

(١) أخرجه الشافعي في الأم: ٢١٧/٥، والبيهقي في السنن: ٤٣٦/٧ عن مجاهد مرسلأ ورجال إسناده ثقات، وعبد الرزاق في المصنف: ٣٦/٧ .

وانظر تلخيص الحبير: ٢٤٠/٣ .

(٢) أخرجه مسلم في الطلاق، باب جواز خروج المعتدة البائن والمتوفى عنها زوجها في النهار لحاجتها برقم: (١٤٨٣): ١١٢١/٣ .

(٣) في «ه» تنبؤي .



مُبَيِّنَةً لِّكَ حُدُودَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ  
 اللَّهُ يُخَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ  
 بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ بِهِ  
 مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾

زوجها، فيحل إخراجها<sup>(١)</sup>.

وقال جماعة: أراد بالفاحشة: أن تزني، فتخرج لإقامة الحد عليها، ثم ترد إلى منزلها، يروى ذلك عن ابن مسعود<sup>(٢)</sup>.

وقال قتادة: معناه إلا أن يطلقها على نشوزها، فلها أن تتحول من بيت زوجها<sup>(٣)</sup> والفاحشة: النشوز.

وقال ابن عمر، والسدي: خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة<sup>(٤)</sup>.

﴿وتلك حدود الله﴾، يعني: ما ذكر من سنة الطلاق وما بعدها، ﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يُخَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾، يوقع في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلاقين. وهذا يدل على أن المستحب أن يفرق الطلقات، ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة، حتى إذا ندم أمكنه المراجعة.

١٦٧/أ

﴿فإذا بلغن أجلهن﴾، أي قربن من انقضاء عدتهن، ﴿فأمسكوهن﴾، أي راجعوهن، ﴿بمعروف أو فارقوهن بمعروف﴾، أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فتبين منكم، ﴿وأشهدوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾، على الرجعة والفراق. أمر بالإشهاد على الرجعة وعلى الطلاق. ﴿وأقيموا الشهادة﴾، أيها الشهود ﴿لله﴾.

﴿ذلكم يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾، قال

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: ٣٢٣/٦، والطبري: ١٣٣/٢٨-١٣٤ وعزه السيوطي في الدر المنثور: ١٩٣/٨ لسعيد بن منصور وابن راهويه وعبد بن حميد وابن مردويه. ورواه الشافعي والبيهقي انظر: تلخيص الحبير: ٢٤١/٣.

(٢) انظر: الطبري: ١٣٤/٢٨، ابن كثير: ٣٧٩/٤.

(٣) انظر: المصنف لعبد الرزاق: ٣٢٣/٦، والطبري: ١٣٤/٢٨.

(٤) أخرجه الطبري: ١٣٤/٢٨. وانظر البحر المحيط: ٢٨٢/٨.

وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾

عكرمة والشعبي والضحاك: ومن يتق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجاً إلى الرجعة<sup>(١)</sup>.

وأكثر المفسرين قالوا: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، أسر المشركون ابناً له يسمى مالكا فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أسر العدو ابني، وشكا أيضاً إليه الفاقة، فقال له النبي ﷺ: اتق الله واصبر وأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ففعل الرجل [ذلك]<sup>(٢)</sup> فبينما هو في بيته إذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو، فأصاب إبلأ وجاء بها إلى أبيه<sup>(٣)</sup>.

وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: فتغفل عنه العدو، فاستاق غنمهم، فجاء بها إلى أبيه، وهي أربعة آلاف شاة. فنزلت: «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً»<sup>(٤)</sup> في ابنه «ويرزقه من حيث لا يحتسب»، ما ساق من الغنم.

وقال مقاتل: أصاب غنماً ومتاعاً ثم رجع إلى أبيه، فانطلق أبوه إلى النبي ﷺ وأخبره الخبر، وسأله: أيجل له أن يأكل ما أتى به ابنه؟ فقال له النبي ﷺ: نعم، وأنزل الله هذه الآية.

قال ابن مسعود: «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً» هو أن يعلم أنه من قبل الله وأن الله رازقه.

وقال الربيع بن خثيم: «يجعل له مخرجاً» من كل شيء ضاق على الناس<sup>(٥)</sup>.

وقال أبو العالية: «مخرجاً» من كل شدة.

وقال الحسن: «مخرجاً» عما نهاه عنه. «ومن يتوكل على الله فهو حسبه»، يتق الله فيما نابه كفاه ما أمه.

وروي أن النبي ﷺ قال: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير

(١) انظر: الطبري: ١٣٨/٢٨.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) انظر: الواحدي في أسباب النزول صفحة: (٥٠٢-٥٠٣)، ابن كثير: ٣٨١/٤.

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ١٩٧/٨ لابن مردويه.

وانظر الطبري: ١٣٨/٢٨، ابن كثير: ٣٨١/٤.

(٥) أخرجه الطبري: ١٣٩/٢٨.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ١٩٨/٨ أيضاً لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

وَالَّتِي يَسْنَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبَتْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝٤

تغدو خماساً وتروح بطائناً<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِالْبَالِغِ أَمْرِهِ﴾، قرأ طلحة بن مصرف، وحفص عن عاصم: «بالبالغ أمره» بالإضافة، وقرأ الآخرون «بالبالغ» [بالتنوين]<sup>(٢)</sup> «أمره» نصب، أي منفذ أمره، مُنْضَرٍ في خلقه قضاءه. ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾، أي جعل لكل شيء من الشدة والرخاء أجلاً ينتهي إليه.

قال مسروق: في هذه الآية «إِنَّ اللَّهَ بِالْبَالِغِ أَمْرِهِ»، توكل عليه أو لم يتوكل، غير أن المتوكل عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً.

قوله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَاللَّائِي يَسْنَنَ مِنَ الْحَيْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾، فلا ترجون أن يحضن، ﴿إِنْ ارْتَبَتْ﴾، أي شككن فلم تدروا ما عدتهن، ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾.

قال مقاتل: لما نزلت: «والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء» (البقرة-٢٢٨)، قال خلاد بن النعمان بن قيس الأنصاري: يارسول الله فما عدة من لا تحيض، والتي لم تحض، وعدة الحبل؟ فأنزل الله: «وَاللَّائِي يَسْنَنَ مِنَ الْحَيْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ»<sup>(٣)</sup> يعني القواعد اللائِي قعدن عن الحيض «إِنْ ارْتَبَتْ» شككن في حكمها «فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ».

﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾، يعني الصغار اللائِي لم يحضن فعدتهن أيضاً ثلاثة أشهر. أما الشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغها سن الآيسات: فذهب أكثر أهل العلم إلى أن عدتها لا تنقضي حتى يعاودها الدم، فتعتد بثلاثة أقراء، أو تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة أشهر. وهو

(١) أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في الزهادة في الدنيا: ٨/٧ وقال: «هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وابن ماجه في الزهد، باب التوكل واليقين برقم: (٤١٦٤): ١٣٩٤/٢، والإمام أحمد: ٣٠/١، والطيالسي في مسنده ص(١١)، وصححه الحاكم: ٣١٨/٤، ووافقه الذهبي، وابن حبان ص(٦٣٣) من موارد الظمان، وابن أبي الدنيا في كتاب التوكل برقم: (١)، والمصنف في شرح السنة: ٣٠١/١٤.

وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: (٣١٠).

(٢) ساقط من «أ».

(٣) انظر: أسباب النزول للواحدي صفحة: (٥٠٣).

وراجع أحكام القرآن للشافعي: ٣٢٤/١.

ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾  
 أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ

قول عثمان، وعلي، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وبه قال عطاء، وإليه ذهب الشافعي وأصحاب الرأي .

وحكي عن عمر: أنها تبرص تسعة أشهر، فإن لم تحض تعتد بثلاثة أشهر [وهو قول مالك .

وقال الحسن: تبرص سنة فإن لم تحض تعتد بثلاثة أشهر<sup>(١)</sup> . وهذا كله في عدة الطلاق .

أما المتوفى عنها زوجها فعدها أربعة أشهر وعشراً سواء كانت ممن تحيض أو لا تحيض .

أما الحامل فعدها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها أو مات عنها، لقوله تعالى: ﴿وَأُولَاتِ

الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ .

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الحلال، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا سفيان عن الزهري عن عبيد الله [بن عبد الله]<sup>(٢)</sup> عن أبيه: أن سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليالٍ فمر بها أبو السنابل بن بعكك [فقال]<sup>(٣)</sup>: «قد تَصْنَعَتِ لِلزَّوْجِ، إنها أربعة أشهر وعشر، فذكرت ذلك سبيعة لرسول الله ﷺ فقال: «كذب أبو السنابل - أو: ليس كما قال أبو السنابل - قد حَلَلَتْ فَتَزَوَّجِي»<sup>(٤)</sup> .

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾، يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة .

﴿ذَٰلِكَ﴾، يعني ما ذكر من الأحكام، ﴿أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ .

﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾، يعني مطلقات نسائكم ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾، «مِنْ» صلة، أي: أسكنوهن حيث سكنتم، ﴿مِنْ وَجْدِكُمْ﴾، يعني: سعتكم وطاقتكم، يعني: إن كان موسراً يوسع عليها في المسكن والنفقة، وإن كان فقيراً فعلى قدر الطاقة، ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ﴾، لا تؤذوهن، ﴿لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾، فخرجن من عدتهن .

(١) ساقط من «أ» .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) أخرجه الشافعي: ٥١/٢ - ٥٢ (ترتيب المسند)، والبخاري في الطلاق، باب: (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن):

٤٦٩/٩ - ٤٧٠، ومسلم في الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل برقم: (١٤٨٤): ١١٢٢/٢،

والمصنف في شرح السنة: ٣٠٤/٩ .

اعلم أن المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما دامت في العدة. ونعني بالسكنى: مؤنة السكنى، فإن كانت الدار التي طلقها فيها ملكاً للزوج يجب على الزوج أن يخرج ويترك الدار لها مدة عدتها، وإن كانت بإجارة فعلى الزوج الأجرة، وإن كانت عارية فرجع المعير بـ ١٦٧/ب فعليه أن يكتري / لها داراً تسكنها .

فأما المعتدة البائنة بالخلع أو الطلقات الثلاث [أو باللعان، فلها السكنى، حاملاً كانت أو حائلاً، عند أكثر أهل العلم]<sup>(١)</sup> .

روي عن ابن عباس أنه قال: لا سكنى لها إلا أن تكون حاملاً وهو قول الحسن وعطاء والشعبي .

واختلفوا في نفقتها: فذهب قوم إلى أنه لا نفقة لها إلا أن تكون حاملاً. روي ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن، وعطاء، والشعبي، وبه قال الشافعي، وأحمد<sup>(٢)</sup> .

ومنها من أوجبها بكل حال، روي ذلك عن ابن مسعود، وهو قول إبراهيم النخعي، وبه قال الثوري وأصحاب الرأي .

وظاهر القرآن يدل على أنها لا تستحق إلا أن تكون حاملاً، لأن الله تعالى قال: «وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن» .

والدليل عليه من جهة السنة ما:

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن عبد الله بن يزيد مولى الأسود بن سفيان، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن فاطمة بنت قيس، أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة، وهو غائب بالشام، فأرسل إليها وكيله بشعير فسَخِطَتْهُ، فقال: والله مالك علينا من شيء. فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له. فقال لها: ليس لك عليه نفقة، وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك. ثم قال: تلك امرأة يغشاها أصحابي فاعتدي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى، تضعين ثيابك، فإذا حللت فاذنيني. قالت: فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله ﷺ: أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد، قالت: فكبرهته، ثم قال: انكحي أسامة، فنكحته، فجعل

(١) مابين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) انظر: المصنف لعبد الرزاق: ٥٠٨، ٥٠٧/٦ .

الله فيه خيراً واغتبطت به<sup>(١)</sup>.

واحتج من لم يجعل لها السكنى بحديث فاطمة بنت قيس: أن النبي ﷺ أمرها أن تعتد في بيت عمرو بن أم مكتوم.

ولا حجة فيه، لما روي عن عائشة أنها قالت: كانت فاطمة في مكانٍ وحشٍ، فخيف على ناحيتها<sup>(٢)</sup>.

وقال سعيد بن المسيب: إنما نقلت فاطمة لطول لسانها على أحمائها، وكانت لسانها ذرابة<sup>(٣)</sup>.

أما المعتدة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب أو خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وإن كانت حاملاً.

[والمعتدة عن وفاة الزوج لا نفقة لها حاملاً]<sup>(٤)</sup> كانت أو حائلاً، عند أكثر أهل العلم، وروي عن علي رضي الله تعالى عنه أن لها النفقة، إن كانت حاملاً، من التركة حتى تضع، وهو قول شريح، والشعبي، والنخعي، والثوري<sup>(٥)</sup>.

واختلفوا في سكنائها، وللشافعي رضي الله عنه فيه قولان: أحدهما لا سكنى لها، بل تعتد حيث تشاء، وهو قول علي، وابن عباس، وعائشة. وبه قال عطاء، والحسن، وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه.

والثاني: لها السكنى وهو قول عمر، وعثمان، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وبه قال مالك، وسفيان الثوري، وأحمد، وإسحاق<sup>(٦)</sup>.

واحتج من أوجب لها السكنى بما :

(١) أخرجه مالك في الموطأ في الطلاق، باب ما جاء في نفقة المطلقة: ٥٨٠/٢، ومسلم في الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها برقم: (١٤٨٠): ١١١٤/٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٩٦/٩-٢٩٧.

(٢) أخرجه أبو داود في الطلاق، باب من أنكر ذلك على فاطمة: ١٩٥/٣-١٩٦، وابن ماجه: ٦٥٥/١. وأخرجه البخاري تعليقاً: ٤٧٩/٩. قال ابن حجر: وله شاهد من رواية أبي أسامة عن هشام عن عروة ...

(٣) أخرجه أبو داود في الطلاق، باب من أنكر ذلك على فاطمة: ١٩٦/٣، وسكت عنه المنذري.

(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٥) انظر: المصنف لعبد الرزاق: ٣٩/٧.

(٦) انظر: المصنف لعبد الرزاق: ٤١/٧، الأم للشافعي: ٢٠٨/٥.

حَمَلٌ فَأَنْفَقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا  
بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُم فِى تَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى ۝٦

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك، عن سعيد بن إسحاق بن كعب بن عجرة، عن عمته زينب بنت كعب: أن الفريعة بنت مالك بن سنان وهي أخت أبي سعيد الخدري أخبرتها: أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني خدره، فإن زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا حتى إذا كانوا بطرف القدوم لحقهم، فقتلوه فسألت رسول الله ﷺ: أن أرجع إلى أهلي فإن زوجي لم يتركني في منزل يملكه ولا نفقة؟ فقالت: قال رسول الله ﷺ: نعم، فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة أو في المسجد دعاني أو أمرني رسول الله ﷺ فدعيت له فقال رسول الله ﷺ: كيف قلت؟ قالت: فرددت عليه القصة التي ذكرت من شأن زوجي، فقال: امكثي [في بيتك] <sup>(١)</sup> حتى يبلغ الكتاب أجله: قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرًا. قالت: فلما كان عثمان أرسل إليّ فسألني عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضى به <sup>(٢)</sup>.

فمن قال بهذا القول قال: إذئذ لفريعة أولاً بالرجوع إلى أهلها صار منسوخاً بقوله [آخرًا] <sup>(٣)</sup>: «امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله».

ومن لم يوجب السكنى قال: أمرها بالمكث في بيتها آخرًا استحباباً لا وجوباً.

قوله عز وجل ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾، أي أرضعن أولادكم، ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾، على إرضاعهن، ﴿وَأَتَمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾، [ليقبل بعضكم من بعض إذا أمره بالمعروف] <sup>(٤)</sup>، قال الكسائي: شاوروا، قال مقاتل: بتراضي الأب والأم على أجر مسمى. والخطاب للزوجين جميعاً، يأمرهم أن يأتوا بالمعروف وبما هو الأحسن، ولا يقصدوا الضرر. ﴿وَإِنْ تَعَاَسَرْتُم﴾، في الرضاع والأجرة فأبى الزوج أن يعطي المرأة رضاها وأبت الأم أن ترضعه فليس له إكراهها على إرضاعه، ولكنه يستأجر للصبي مرضعاً غير أمه وذلك قوله: ﴿فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى﴾.

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) أخرجه مالك في الموطأ في الطلاق، باب مقام المتوفى عنها زوجها في بيتها حتى تحل: ٥٩١/٢، وأبو داود في الطلاق، باب في المتوفى عنها تنتقل: ١٩٨-١٩٩/٣، والترمذي في الطلاق، باب ما جاء أين تعتد المتوفى عنها زوجها: ٣٩٠-٣٩١/٤، والنسائي في الطلاق، باب مقام المتوفى عنها زوجها في بيتها حتى تحل: ١٩٩/٦، وابن ماجه برقم: (٢٠٣١).  
١٦٨/٢ (بتحقيق عبد الله هاشم الهادي)، والإمام أحمد: ٣٧٠/٦، وصححه ابن حبان برقم: (١٣٣٢) ص (٣٢٣-٣٢٤). وكذلك الحاكم: ٢٠٨/٢ ووافقه الذهبي، والمصنف في شرح السنة: ٣٠٠/٩-٣٠١.

لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَنَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ۖ فَحَاسِبْنَهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَهَا عَذَابًا تُكَرَّرُ ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ

﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾، على قدر غناه، ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾، من المال، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا﴾، في النفقة، ﴿إِلَّا مَا آتَاهَا﴾، أعطاهَا من المال، ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾، بعد ضيق وشدة غنى وسعة.

قوله عز وجل: ﴿وَكأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَنَتْ﴾، عصت وطغت، ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾، أي وأمر رسله، ﴿فَحَاسِبْنَهَا حَسَابًا شَدِيدًا﴾، بالمناقشة والاستقصاء، قال مقاتل: حاسبها بعملها في الدنيا فجازاها بالعذاب، وهو قوله: ﴿وَعَذَبْنَاهَا عَذَابًا تُكَرَّرُ﴾، منكرًا فظيعًا، وهو عذاب النار. لفظهما ماضٍ ومعناها الاستقبال.

وقيل: في الآية تقديم وتأخير، مجازها: فعذبناها في الدنيا بالجوع والقحط والسيوف وسائر البلايا، وحاسبناها في الآخرة حساباً شديداً.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾، جزاء أمرها، وقيل: ثقل عاقبة كفرها، ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾، خسراناً في الدنيا والآخرة.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾، يعني القرآن.

﴿رَسُولًا﴾، بدل من الذكر، وقيل: أنزل إليكم قرآنًا وأرسل رسولاً. وقيل: مع الرسول، وقيل: «الذكر» هو الرسول.

وقيل: «ذكرًا» أي شرفاً. ثم بيّن ما هو فقال: ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ



تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأُمُورَ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً ﴿١١﴾، يعني الجنة التي لا ينقطع نعيمها .  
﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن﴾، [في العدد] <sup>(١)</sup>، ﴿ينزل الأمر بينهن﴾، بالوحي من السماء السابعة إلى الأرض السفلى .

قال أهل المعاني: هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره، فينزل المطر ويخرج النبات، ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء، ويخلق الحيوان على اختلاف هيئاتها، وينقلها من حال إلى حال .  
وقال قتادة: في كل أرض من أرضه وسماء من سمائه خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه .

﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾، فلا يخفى عليه شيء .

(١) ساقط من «ب» .

# السورة



## سُورَةُ التَّحْنِثِ

مدنية (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾

﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم﴾، وسبب نزولها ما أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبيد الله بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء [ويحب] (٢) العسل، وكان إذا صلى العصر جاز على نسائه فيدنو منهم، فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس، فسألت عن ذلك، فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله ﷺ منها شربة، فقلت: أما والله لنحتالنَّ له، فذكرت ذلك لسودة، وقلت: إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك فقولي له: يا رسول الله أكلت مغافير؟ فإنه سيقول: لا، فقولي له: ما هذه الريح وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه الريح، فإنه سيقول: سقتني حفصة شربة عسل، فقولي له: جرت نخله العرفط، وسأقول ذلك وقوليه أنت يا صفية، فلما دخل على سودة، تقول سودة: والله الذي لا إله إلا هو لقد كدت أن أباديه بالذي قلت لي وإنه لعلى الباب، فرقاً منك، فلما دنا رسول الله ﷺ عليّ قلت: يا رسول الله أكلت مغافير؟ قال: لا، قلت: فما بال هذه الريح! قال: سقتني حفصة شربة عسل، قالت: جرت نخله العرفط، فلما دخل عليّ قلت له مثل ذلك، ودخل على صفية

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة التحريم بالمدينة .  
وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير قال: أنزلت بالمدينة سورة النساء (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) .  
انظر: الدر المنثور: ٢١٣/٨ .

(٢) زيادة من «أ» .

فقال له مثل ذلك، فلما دخل على حفصة قالت له: يا رسول الله ألا أسقيك منه قال: لا حاجة لي به، قالت: تقول سودة: سبحانه الله لقد حرمناه، قالت: قلت لها اسكتي<sup>(١)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا الحسن بن محمد الصباح، حدثنا الحجاج عن ابن جريج قال: زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول سمعت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقتل إني أجد منك ريح مغاير، أكلت مغاير، فدخل على إحدهما فقالت له ذلك، فقال: لا بأس شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له، فنزلت: «يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك» إلى قوله: «إن تتوبا إلى الله» لعائشة وحفصة، «وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً»، لقوله: بل شربت عسلاً<sup>(٢)</sup>.

وبهذا الإسناد قال: حدثنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، عن ابن جريج، عن عطاء بإسناده وقال: قال: لا، ولكن كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحداً، يبتغي بذلك مرضاة أزواجه<sup>(٣)</sup>.

وقال المفسرون: وكان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه، فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله ﷺ في زيارة أبيها فأذن لها، فلما خرجت أرسل رسول الله ﷺ إلى جاريته مارية القبطية فأدخلها بيت حفصة، فوقع عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقاً، فجلست عند الباب فخرج رسول الله ﷺ ووجهه يقطر عرقاً، وحفصة تبكي فقال: ما يبكيك؟ فقالت: إنما أذنت لي من أجل هذا، أدخلت أمتك بيتي، ثم وقعت عليها في يومي وعلى فراشي، أما رأيت لي حرمة وحقاً؟ ما كنت تصنع هذا بامرأةٍ منهن. فقال رسول الله ﷺ: أليست هي جاريتي أحلها الله لي؟ اسكتي فهي حرام عليّ أتمس بذاك رضاك، فلا تخبري بهذا امرأةٍ منهن. فلما خرج رسول الله ﷺ قرعت حفصة الجدار التي بينها وبين عائشة فقالت: ألا أبشرك أن رسول الله ﷺ قد

(١) أخرجه البخاري في الطلاق، باب (لم تحرم ما أحل الله لك) ٣٧٤/٩-٣٧٥، ومسلم في الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق برقم (١٤٧٤): ١١٠١/٢-١١٠٢.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة التحريم - باب (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك): ٦٥٦/٨، ومسلم في الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق برقم: (١٤٧٤): ١١٠٠/٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٢٦/٩.

(٣) أخرجه البخاري في الطلاق، باب (لم تحرم ما أحل الله لك): ٣٧٤/٩.

قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْهُ

حرم عليه أمته مارية، وإن الله قد أراحنا منها، وأخبرت عائشة بما رأت، وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي ﷺ، فغضبت عائشة فلم تنزل بنبي الله ﷺ حتى حلف أن لا يقربها، فأُنزل الله عز وجل<sup>(١)</sup>: «يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك» يعني العسل ومارية «تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم» وأمره أن يكفر يمينه ويراجع أمته، فقال:

﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾، أي بين وأوجب أن تكفروها إذا حثمت وهي ما ذكر في سورة المائدة ﴿والله مولاكم﴾، وليكم وناصرکم، ﴿وهو العليم الحكيم﴾.

واختلف أهل العلم في لفظ التحريم، فقال قوم: ليس هو يمين، فإن قال لزوجته: أنت علي حرام، أو حرمتك، فإن نوى به طلاقاً فهو طلاق، وإن نوى به ظهاراً فظهار. وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعلية كفارة اليمين بنفس اللفظ. وإن قال ذلك لجاريته فإن نوى عتقاً عتقت، وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعلية كفارة اليمين، وإن قال لطعام: حرمت على نفسي فلا شيء عليه، وهذا قول ابن مسعود وإليه ذهب الشافعي.

وذهب جماعة إلى أنه يمين، فإن قال ذلك لزوجته / أو جاريته فلا تجب عليه الكفارة ما لم يقربها، كما لو حلف أن لا يطأها. وإن حرم طعاماً فهو كما لو حلف أن لا يأكله، فلا كفارة عليه ما لم يأكل، يروى ذلك عن أبي بكر، وعائشة، وبه قال الأوزاعي، وأبو حنيفة رضي الله عنه: أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا معاذ بن فضالة، حدثنا هشام عن يحيى، عن ابن حكيم، وهو يعلى بن حكيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في الحرام: يكفر. وقال ابن عباس: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»<sup>(٢)</sup> (الأحزاب - ٢١).

﴿وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً﴾، وهو تحريم فئاته على نفسه، وقوله لحفصة: لا تخبري بذلك أحداً.

(١) انظر: الطبري: ١٥٧/٢٨، ابن كثير: ٣٨٧/٤، الدر المنثور: ٢١٦/٨-٢١٧.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة التحريم - باب (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ...): ٦٥٦/٨، ومسلم في الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق برقم: (١٤٧٣): ١١٠٠/٢.

## بَعْضٌ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: أسرَّ أمر الخلافة بعده فحدثت به حفصة<sup>(١)</sup>. قال الكلبي: أسر إليها أن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتين على أمتي من بعدي. وقال ميمون بن مهران: أسر أن أباً بكر خليفتي من بعدي<sup>(٢)</sup>.

﴿فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ﴾، أخبرت به حفصة عائشة، ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾، أي أطلع الله تعالى نبيه على أنها أنبأت به، ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾، قرأ عبد الرحمن السلمي والكسائي: «عَرَفَ» بتخفيف الراء، أي: عرف بعض الفعل الذي فعلته من إفشاء سره، أي: غضب من ذلك عليها وجازاها به، من قول القائل لمن أساء إليه: لأعرفنَّ لك ما فعلت، أي: لأجزيَنَّك عليه، وجازاها به عليه بأن طلقها، فلما بلغ ذلك عمر قال: لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله ﷺ. فجاء جبريل وأمره بمراجعتها، فاعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهراً وقعد في مشربة أم إبراهيم مارية، حتى نزلت آية التخيير<sup>(٣)</sup>.

وقال مقاتل بن حيان: لم يطلق رسول الله ﷺ حفصة وإنما هم بطلاقها فأتاه جبريل عليه السلام، وقال: لا تطلقها فإنها صوامة قوامة وإنها من نسائك في الجنة، فلم يطلقها.

وقرأ الآخرون «عَرَفَ» بالتشديد، أي: عَرَّفَ حفصة بعد ذلك الحديث، أي أخبرها ببعض القول الذي كان منها.

﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾، يعني لم يعرفها إياه، ولم يخبرها به. قال الحسن: ما استقصى كريم قط<sup>(٤)</sup>، قال الله تعالى: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾، وذلك أن النبي ﷺ لما رأى الكراهية في وجه حفصة أراد أن يتراضاها فأسر إليها شيئين: تحريم الأمة على نفسه، وتبشيرها بأن الخلافة بعده في أبي بكر وفي أبيها عمر رضي الله عنها، فأخبرت به حفصة عائشة وأطلع الله تعالى نبيه عليه، عرف [بعضه]<sup>(٥)</sup> حفصة وأخبرها ببعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم الأمة، وأعرض عن بعض، يعني ذكر الخلافة، كره رسول الله ﷺ أن ينتشر ذلك في الناس، ﴿فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ﴾، أي

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٢١٩/٨ لابن مردويه.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٢١٨/٨ لابن عساكر، وما انفرد به فهو ضعيف.

(٣) قال الحافظ - ابن حجر - في الكافي الشاف ص (١٧٥): «لم أره هكذا وهو عند الحاكم وغيره بغير ذكر سببه».

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٢١٩/٨ لابن مردويه عن علي رضي الله عنه.

(٥) ساقط من «أ».

إِنْ تُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ

أخبر حفصة بما أظهره الله عليه، ﴿قالت﴾، حفصة، ﴿من أنباك هذا﴾، أي: من أخبرك بأني أفشيت السر؟ ﴿قال نبأني العليم الخبير﴾.

﴿إن تتوبا إلى الله﴾، أي من التعاون على النبي ﷺ بالإيذاء. يخاطب عائشة وحفصة، ﴿فقد صغت قلوبكما﴾، أي زاغت ومالت عن الحق واستوجبتا التوبة. قال ابن زيد: مالت قلوبهما بأن سرهما ما كره رسول الله ﷺ من اجتناب جاريته.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري، أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن عبد الله بن عباس قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى لهما: «إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما»، حتى حج وحججت معه، وعدل وعدلت معه بإداوة، فتبرز ثم جاء، فسكبت على يديه منها، فتوضاً، فقلت له: يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى لهما: «إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما»؟ فقال: واعجباً لك يا بن عباس هما عائشة وحفصة.

ثم استقبل عمر الحديث يسوقه فقال: إني كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد، وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ فينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جنته بما حدث من خير ذلك اليوم من الوحي أو غيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك.

وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار فصخب على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ولم تنكر أن أراجعك! فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل. فأفزعني وقلت: خاب من فعل ذلك منهن.

ثم جمعت عليّ ثيابي [فنزلت]<sup>(١)</sup> فدخلت على حفصة، فقلت لها: أي حفصة أتعاضب إحداكن النبي ﷺ اليوم حتى الليل؟ قالت: نعم، فقلت: خبت وخسرت، أفتأمنين أن يغضب الله تعالى لغضب رسوله فتهلكي، لا تستكثري للنبي ﷺ ولا تراجعيه في شيء، ولا تهجره وسليني

(١) زيادة من «ب».



ما بدا لك، ولا يغرنك أن كانت [جارتك] <sup>(١)</sup> [أوضاً] <sup>(٢)</sup> منك وأحب إلى النبي ﷺ - يريد عائشة - .  
قال عمر: وكنا تحدثنا أن غسان تنغل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته، فرجع إلينا عشاء فضرب بابي ضرباً شديداً وقال: أئتم هو؟

ففزعت فخرجت إليه فقال: قد حدث اليوم أمر عظيم؟ فقلت: ما هو أ جاء غسان!  
قال: لا بل أعظم منه وأهول، طلق النبي ﷺ نساءه. فقلت: قد خابت حفصة وخسرت كنت أظن أن هذا يوشك أن يكون .

فجمعت عليّ ثيابي وصليت صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتزل فيها فدخلت على حفصة فإذا هي تبكي، فقلت: ما يبكيك ألم أكن حذرتك؟ أطلقكن النبي ﷺ؟

قالت: لا أدري ها هو ذا معتزل في المشربة. فجيئت إلى المنبر فإذا حوله رهط يبكي بعضهم، فجلست معهم قليلاً / ثم غلبني ما أجد، فجيئت المشربة التي فيها النبي ﷺ فقلت لغلام له أسود: استأذن لعمر، فدخل فكلّم النبي ﷺ ثم رجع فقال: كلمت النبي ﷺ فذكرتك له فصمت، فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد فجيئت إلى الغلام فقلت: استأذن فاستأذن ثم رجع إليّ فقال: قد ذكرت لك له فصمت، [فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد فجيئت الغلام فقلت: استأذن لعمر، فاستأذن ثم رجع إليّ فقال: قد ذكرت لك له فصمت] <sup>(٣)</sup> .

١/١٦٩

فلما وليت منصرفاً قال إذا الغلام يدعوني، فقال: قد أذن لك النبي ﷺ، فدخلت على رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجانبه متكئاً على وسادة من آدم حشوها ليف، فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم: يا رسول الله أطلقك نساءك؟ فرفع إلي بصره فقال: لا، فقلت: الله أكبر. ثم قلت وأنا قائم أستأنس: يا رسول الله لو رأيتني، وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فتبسم النبي ﷺ، ثم قلت: يا رسول الله لو رأيتني، ودخلت على حفصة فقلت لها: لا يغرنك أن كانت جارتك [أوضاً] <sup>(٢)</sup> منك وأحب إلى النبي ﷺ - يريد عائشة - فتبسم النبي ﷺ تبسمة أخرى، فجلست حين رأيته يتبسم فرفعت بصري في بيته، فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر غير أهبة

(١) في «ب» جارتك .

(٢) في «أ» أرضى .

(٣) زيادة من «ب» .

ثلاثة، فقلت: يا رسول الله ادع الله فليوسّع على أمتك فإن فارس والروم قد وسّع عليهم وأعطوا من الدنيا وهم لا يعبدون الله .

فجلس النبي ﷺ وكان متكئاً فقال: «أوفي هذا أنت يا بن الخطاب؟ إن أولئك قوم عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا» .

فقلت: يا رسول الله استغفر لي .

فاعتزل النبي ﷺ نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعاً وعشرين ليلة، وكان قال: ما أنا بداخل عليهن شهراً - من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله عز وجل فلما مضت تسع وعشرون ليلة، دخل على عائشة رضي الله عنها فبدأ بها، فقالت له عائشة : يا رسول الله إنك كنت أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدّها عدّاً! فقال: الشهر تسع وعشرون، وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين ليلة .

قالت عائشة: ثم أنزل الله التخيير فبدأ بي أول امرأة من نسائه، فاخترته، ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة<sup>(١)</sup> .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ جاءها حين أمره الله أن يخير أزواجه فبدأ بي رسول الله ﷺ، فقال: إني ذاكر لك أمراً فلا عليك [أن لا تعجلي]<sup>(٢)</sup> حتى تستأمر أبيك، وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه قالت ثم قال إن الله قال: «يا أيها النبي قل لأزواجك» إلى تمام الآيتين، فقلت: أوفي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة<sup>(٣)</sup> .

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثني زهير بن حرب، حدثنا عمر بن يونس

(١) أخرجه البخاري في المظالم، باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها: ١١٤/٥-١١٦ واللفظ له، ومسلم

في الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخيرهن وقوله تعالى: (وإن تظاهرا عليه) برقم: (١٤٧٩) ١١١١/٢-١١١٣ .

(٢) في «أ» (أن تستعجلي) .

(٣) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة الأحزاب، باب (قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعنن وأسرحن سراحاً جميلاً) ٥١٩/٨ .

وَصَلِّحِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يَبْدُلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَةٍ مُّؤْمِنَةٍ قَنَنَتْ تَبَيَّنَتْ عِيدَاتٍ سَيِّحَتْ تَبَيَّنَتْ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾

الحنفي، حدثنا عكرمة بن عمار، عن سماك [بن زميل] <sup>(١)</sup> حدثنا عبد الله بن عباس، حدثني عمر ابن الخطاب قال: لما اعتزل النبي ﷺ نساءه وذكر الحديث. وقال: دخلت عليه فقلت: يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء؟ فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك. وقلما تكلمت - وأحمد الله تعالى - بكلام إلا رجوت أن الله يصدق قولي الذي أقول، ونزلت هذه الآية: «عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن». «وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير» <sup>(٢)</sup>.

قوله: «وإن تظاهرا عليه»، أي تظاهرا وتعاونوا على أذى النبي ﷺ. قرأ أهل الكوفة بتخفيف الظاء، والآخرون بتشديدها.

«فإن الله هو مولاه»، أي وليه وناصره: «وجبريل وصالح المؤمنين»، روي عن ابن مسعود وأبي بن كعب: «وصالح المؤمنين»، أبو بكر وعمر رضي الله عنهما <sup>(٣)</sup>، قال الكلبي: هم المخلصون الذي ليسوا بمنافقين. «والملائكة بعد ذلك ظهير»، قال مقاتل: بعد الله وجبريل «وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير»، أي: أعوان للنبي ﷺ. وهذا من الواحد الذي يؤدي عن الجمع، كقوله: «وَحَسِّنْ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا» (النساء - ٦٩).

«عسى ربه إن طلقكن»، أي: واجب من الله إن طلقكن رسوله، «أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات»، خاضعات لله بالطاعة، «مؤمنات»، مصدقات بتوحيد الله، «قانات»، طائعات، وقيل: داعيات. وقيل: مصليات، «تائبات عابدات سائحات»، صائبات، وقال زيد بن أسلم: مهاجرات وقيل: يسحن معه حيث ما ساح، «ثيبات وأبكاراً»، وهذا في الإخبار عن القدرة لا عن الكون لأنه قال: «إن طلقكن» وقد علم أنه لا يطلقهن وهذا كقوله: «وإن تتولوا يستبدل

(١) هكذا في «أ» وفي «ب» (ابن أبي زميل) وكلاهما خطأ والصحيح (أبي زميل) كما في التهذيب وعند مسلم.

(٢) قطعة من حديث طويل أخرجه مسلم في الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخيهن ... برقم: (١٤٧٩):

١١٠٥-١١٠٨.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٢٢٣/٨ لابن عساكر، وقد أشار في مقدمة الجامع إلى أن العزو لابن عساكر مؤذن بالضعف

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا  
مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ

قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم»، (محمد - ٣٨) وهذا في الإخبار عن القدرة لأنه ليس في الوجود  
أمة خير من أمة محمد ﷺ .

قوله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: أي بالانتهاء  
عما نهاكم الله تعالى عنه / والعمل بطاعته، ﴿وأهليكم نارا﴾، يعني: مروهم بالخير وانهوهم عن  
الشر، وعلموهم وأدبوهم، ثَقُومٌ بذلك نارا، ﴿وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة﴾، يعني  
خزنة النار، ﴿غلاظ﴾، فظاظ على أهل النار، ﴿شداد﴾، أقوياء يدفع الواحد منهم بالدفع الواحدة  
سبعين ألفاً في النار، وهم الزبانية، لم يخلق الله فيهم الرحمة، ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون  
ما يُؤْمَرُونَ﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ \* يا أيها الذين آمنوا  
توبوا إلى الله توبة نصوحاً﴾، قرأ الحسن، وأبو بكر عن عاصم: «نُصُوحاً» بضم النون، وقرأ العامة  
بفتحها، أي: توبة ذات نصح تنصح صاحبها بترك العود إلى ما تاب منه .

واختلفوا في معناها قال عمر، وأبي، ومعاذ: «التوبة النصوح» أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب،  
كما لا يعود اللب إلى الضرع<sup>(١)</sup> .

قال الحسن: هي أن يكون العبد نادماً على ما مضى ؛ مجمعا على ألا يعود فيه<sup>(٢)</sup> .

قال الكلبي: أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن .

قال سعيد بن المسيب: توبة تنصحون بها أنفسكم .

قال القرظي: يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان، والإقلاع بالأبدان، وإضمار ترك العود

(١) قال ابن حجر في المطالب العالية: ٣/٣٩٠: أخرجه أحمد بن منيع في مسنده، وإسناده صحيح موقوف. ورواه الطبري:

١٦٧/٢٨ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٢٢٧/٨ لعبد بن حميد .

جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ

بالجنان، ومهاجرة سيء الإخوان .

﴿عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يُخْزِي الله النبي والذين آمنوا معه﴾، أي لا يعذبهم الله بدخول النار، ﴿نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمنهم﴾، على الصراط، ﴿يقولون﴾، إذا طفىء نور المنافقين، ﴿ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير﴾ .

﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾، ثم ضرب الله مثلاً للصالحين والصالحات من النساء فقال جل ذكره:

﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امْرَأَتَ نُوحٍ﴾، واسمها واعدة، ﴿وامْرَأَتَ لُوطٍ﴾، واسمها واهلة. وقال مقاتل: والعة وواهة .

﴿كانتا تحت عبدین من عبادنا صالحین﴾، وهما نوح ولوط عليهما السلام، ﴿فخانتاهما﴾، قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط وإنما كانت خيانتها أنهما كانتا على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تقول للناس: إنه مجنون، وإذا آمن به أحد أخبرت به الجبابة، وأما امرأة لوط [فإنها كانت] <sup>(١)</sup> تدل قومه على أضيافه، إذا نزل به ضيف بالليل أوقدت النار، وإذا نزل بالنهار دخنت ليعلم قومه أنه نزل به ضيف .

وقال الكلبي: أسرتا النفاق وأظهرتا الإيمان .

﴿فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً﴾، لم يدفعا عنهما مع نبوتها عذاب الله، ﴿وقيل ادخلا النار مع

(١) ما بين القوسين ساقط من أ، .

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ١١ ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَنِينِ﴾ ١٢

الداخلين، قطع الله بهذه الآية طمع كل من يركب المعصية أن ينفعه صلاح غيره. ثم أخبر أن معصية غيره لا تضره إذا كان مطيعاً فقال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾، وهي آسية بنت مزاحم.

قال المفسرون: لما غلب موسى السحرة آمنت امرأة فرعون، ولما تبين لفرعون إسلامها أوثد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس.

قال سلمان: كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة<sup>(١)</sup>.

﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾، فكشف الله لها عن بيتها في الجنة حتى رآته.

وفي القصة: أن فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها، فلما أتوها بالصخرة قالت: رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة، فأبصرت بيتها في الجنة من درة بيضاء، وانتزع روحها فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه، ولم تجد ألماً.

وقال الحسن وابن كيسان: رفع الله امرأة فرعون إلى الجنة فهي فيها تأكل وتشرب.

﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾، قال مقاتل: وعمله يعني الشرك. وقال أبو صالح عن ابن عباس: وعمله، قال: جماعة. ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، الكافرين.

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾، أي في جيب درعها، ولذلك ذكر الكناية، ﴿مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾، يعني الشرائع التي شرعها الله للعباد بكلماته المنزلة، ﴿وَكُتِبَ﴾، قرأ أهل البصرة وحفص: «وكتبه» على الجمع، وقرأ الآخرون: «وكتابه» على التوحيد. والمراد منه الكثرة أيضاً. وأراد بكتبه التي أنزلت على إبراهيم، وموسى، وداود، وعيسى.

(١) أخرجه الطبري: ١٧١/٢٨، وأبو يعلى: ٥٣/٦، قال ابن حجر في المطالب العالية: ٣٩٠/٣ صحيح موقوف.

عليهم السلام. ﴿وَكُنتَ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾، أي من القوم القانتين المطيعين لربها ولذلك لم يقل من القانتات .

وقال عطاء: «من القانتين» أي من المصلين. ويجوز أن يريد بالقانتين رهطها وعشيرتها، فإنهم كانوا أهل صلاح مطيعين لله .

وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون»<sup>(١)</sup> .

(١) صحيح أخرجه الترمذي في المناقب، فضل خديجة رضي الله عنها: ٣٨٩/١٠-٣٩٠ وقال: «هذا حديث صحيح»، وصححه الحاكم: ١٥٧/٣، وعبد الرزاق: ٤٣٠/١١، والطحاوي في مشكل الآثار: ٥٠/١، وأبو نعيم في الحلية: ٣٤٤/٢، والإمام أحمد: ١٣٥/٣، والمصنف في شرح السنة: ١٥٧/١٩ .

# المعراج





## سُورَةُ الْمُلْكِ

مكيه (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ  
أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾

﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير \* الذي خلق الموت والحياة﴾، قال  
عطاء عن ابن عباس: يريد الموت في الدنيا والحياة في الآخرة .

وقال قتادة: أراد موت الإنسان وحياته في الدنيا، جعل الله الدنيا دار حياة وفناء، وجعل  
الآخرة دار جزاء وبقاء<sup>(١)</sup> .

قيل: إنما قدم الموت لأنه إلى القهر أقرب: وقيل: قدمه لأنه أقدم لأن الأشياء في الابتداء  
كانت في حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوهما، ثم اعترضت عليها الحياة .

وقال ابن عباس: خلق الموت على صورة كبش أملح لا يمر بشيء ولا يجد ريحه شيء إلا  
مات وخلق الحياة على صورة فرس بقاء [أثنى]<sup>(٢)</sup> وهي التي كان جبريل والأنبياء يركبونها لا تمر  
بشيء ولا يجد ريحها شيء إلا حيي، وهي التي أخذ السامري قبضة من أثرها فألقى على العجل  
فحيي .

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾، فيما بين [الحياة إلى الموت]<sup>(٣)</sup>، ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، روي عن ابن عمر

(١) أخرج ابن الضريس والبخاري وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: نزلت بمكة تبارك الملك .

انظر: الدر المنثور: ٢٣٠/٨ .

(٢) انظر: الدر المنثور: ٢٣٤/٨ .

(٣) ساقط من (أ) .

(٤) في «ب» الموت والحياة .

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ  
هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٢﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٣﴾

١/١٧٠ مرفوعاً: «أحسن عملاً» أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله.

وقال فضيل بن عياض «أحسن عملاً» أخلصه وأصوبه. وقال: العمل لا يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، الخالص: إذا كان لله، والصواب: إذا كان على السنة.

وقال الحسن: أيكم أزهّد في الدنيا وأترك لها.

وقال الفراء: لم يوقع البلوى على «أَي» [إلا] <sup>(١)</sup> وبينهما إضمار كما تقول بلوتكم لأنظر أيكم أطوع <sup>(٢)</sup>. ومثله: «سلمهم أيهم بذلك زعيم» (القلم - ٤٠) أي: سلمهم وانظر أيهم، ف «أَي» : رفع على الابتداء «وأحسن» خبره، ﴿وهو العزيز﴾، في انتقامه ممن عصاه، ﴿الغفور﴾، لمن تاب إليه.

﴿الذي خلق سبع سموات طباقاً﴾، طبقاً على طبق بعضها فوق بعض، ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾، قرأ حمزة والكسائي: «من تَفَوُّتٍ» بتشديد الواو بلا ألف، وقرأ الآخرون بتخفيف الواو وألف قبلها. وهما لغتان كالتَّحْمُلُ والتَّحَامِلُ، والتطهر والتطاهر. ومعناه: ما ترى يا بن آدم في خلق الرحمن من اعوجاج واختلاف وتناقض، بل هي مستقيمة مستوية. وأصله من «الفوت» <sup>(٣)</sup> وهو أن يفوت بعضها بعضاً لقلّة استوائها، ﴿فارجع البصر﴾، كرر النظر، معناه: انظر ثم ارجع، ﴿هل ترى من فُطورٍ﴾، شقوق وصدوع.

﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾، قال ابن عباس: مرة بعد مرة، ﴿ينقلب﴾، ينصرف ويرجع، ﴿إليك البصر خاسئاً﴾، صاغراً ذليلاً مبعداً لم يرَ ما يهوى، ﴿وهو حسير﴾، كليل منقطع لم يدرك ما طلب. وروي عن كعب أنه قال: السماء الدنيا موج مكفوف، والثانية مرمرة بيضاء، والثالثة حديد، والرابعة [صفراء] <sup>(٤)</sup>، وقال: نحاس، والخامسة فضة، والسادسة ذهب، والسابعة ياقوتة حمراء، بين [السماء] <sup>(٥)</sup> السابعة إلى الحجب السبعة صحارى من نور <sup>(٦)</sup>.

(١) ساقط من «أَي».

(٢) معاني القرآن للفراء: ١٦٩/٣.

(٣) في «أَي» القرب: وهو تصحيف.

(٤) في «ب» صُفْر.

(٥) ساقط من «ب».

(٦) انظر: البحر المحيط: ٢٩٨/٨ وقد عقب على الرواية فقال: «...والسابعة من زمردة بيضاء، يحتاج إلى نقل صحيح، وقد كان بعض من ينتمي إلى الصلاح - وكان أعمى لا يبصر موضع قدميه - يخبر أنه يشاهد السموات على بعض أوصاف مما ذكرنا».

وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ

﴿ولقد زيننا السماء الدنيا﴾، أراد الأدنى من الأرض وهي التي يراها الناس . ﴿بمصباح﴾ [أي: الكواكب، واحدها: مصباح، وهو السراج، سُمي الكوكب مصباحاً] <sup>(١)</sup> لإضاءته، ﴿وجعلناها رجوماً﴾، مرامي، ﴿لشياطين﴾، إذا استرقوا السمع، ﴿وأعتدنا لهم﴾، في الآخرة، ﴿عذاب السعير﴾، النار الموقدة .

﴿وللذين كفروا برّبهم عذاب جهنم ويُس المصير﴾ \* إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً، وهو أول نهيق الحمار وذلك أقبح الأصوات، ﴿وهي تفور﴾، تغلي بهم كغلي المرّجل . وقال مجاهد: تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحلب القليل .

﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ﴾، تنقطع، ﴿من الغيظ﴾، من تغيظها عليهم، قال ابن قتبية: تكاد تنشق غيظاً على الكفار، ﴿كلما أُلقي فيها فَوْجٌ﴾، جماعة منهم، ﴿سأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾، سؤال توبيخ، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾، رسول ينذركم .

﴿قالوا بلى قد جاءنا نذيرٌ فكذبنا وقلنا﴾، للرسل <sup>(٢)</sup>: ﴿ما نزلَ الله من شيءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ .

﴿وقالوا لو كنّا نسمع﴾، من الرسل ما جاؤونا به، ﴿أو نعقل﴾، منهم . وقال ابن عباس: لو كنّا نسمع الهدى أو نعقله فنعمل به، ﴿ما كنّا في أصحاب السعير﴾، قال الزجاج: لو كنّا نسمع سمع من يعي ويتفكر أو نعقل عقل من يميز وينظر ما كنّا من أهل النار .

﴿فأعترفوا بذنوبهم فسُحقاً﴾، بعداً، ﴿لأصحاب السعير﴾، قرأ أبو جعفر والكسائي «فُسُحقاً»

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

(٢) في «أ» للرسول .

فَسَحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَمِنْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا

بضم الحاء، وقرأ الباقون بسكونها، وهما لغتان مثل الرُّعْب والرَّعْب والسُّحْت والسُّحْت .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وأسروا قولكم أو اجهروا به إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، قال ابن عباس: نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيخبره جبريل عليه السلام بما قالوا، فقال بعضهم لبعض: أسروا قولكم كي لا يسمع إله محمد<sup>(١)</sup> .

فقال الله جلّ ذكره: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾، ألا يعلم ما في الصدور مَنْ خلقها، ﴿وهو اللطيف الخبير﴾، لطيف علمه في القلوب الخبير بما فيها من الخير والشر والوسوسة . وقيل «مَنْ» يرجع إلى المخلوق، أي ألا يعلم الله مخلوقه؟

﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً﴾، سهلاً لا يمتنع المشي فيها بالحزونة، ﴿فامشوا في مَنَاكِبِهَا﴾، قال ابن عباس وقتادة: في جبالها . وقال الضحاك: في آكامها . وقال مجاهد: في طرقها وفجاجها . قال الحسن: في سبلها . وقال الكلبي: في أطرافها . وقال مقاتل: في نواحيها . قال الفراء: في جوانبها<sup>(٢)</sup> والأصل في الكلمة الجانب، ومنه منكب الرجل والريخ النكباء وتَنَكَّب فلان [أي جانب]<sup>(٣)</sup> . ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾، مما خلقه رزقاً لكم في الأرض . ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾، أي: وإليه تبعثون من قبوركم . ثم خَوْفُ الكفار فقال:

﴿أَمِنْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾، قال ابن عباس: أي: عذاب مَنْ في السماء إن عصيتموه، ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾، قال الحسن: تتحرك بأهلها . وقيل: تهوي بهم . والمعنى: أن الله تعالى يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى تلقّهم إلى أسفل، تعلوا عليهم وتمر فوقهم . يقال: مَارَ يَمُورُ، أي: جاء وذهب .

(١) انظر: زاد المسير: ٣٢١/٨ .

(٢) معاني القرآن للفراء: ١٧١/٣ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

هِيَ تَمُورٌ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَتْ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾، رجاء ذات حجارة كما فعل بقوم لوط .  
 ﴿فستعلمون﴾، في الآخرة وعند الموت، ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾، أي إنذاري إذا عاينتم العذاب .  
 ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يعني كفار الأمم الماضية، ﴿فكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، أي إنكاري عليهم بالعذاب .

﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ﴾، تصف أجنتها في الهواء، ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾، أجنتها بعد البسط، ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾، في حال القبض [والبسط]<sup>(١)</sup> أن يسقطن، ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ .

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ﴾، استفهام إنكار . قال ابن عباس: أي منعة لكم، ﴿يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾، يمنعكم من عذابه ويدفع عنكم ما أراد بكم . ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾، أي في غرور من الشيطان يغرههم بأن العذاب لا ينزل بهم .

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾، أي من الذي يرزقكم المطر إن أمسك الله [عنكم]<sup>(٢)</sup>، ﴿بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ﴾، تمادٍ في الضلال، ﴿وَنُفُورٍ﴾، تباعد من الحق . وقال مجاهد: كفور . ثم ضرب مثلاً فقال:

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ﴾، راكباً رأسه في الضلالة والجهالة أعمى القلب والعين لا يبصر يمينا ولا شمالاً وهو الكافر . قال قتادة: أكبَّ على المعاصي في الدنيا فحشره الله على وجهه

(١) ساقط من «أ» .

(٢) في «ب» عليكم .

قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾  
 قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ  
 صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّئَتْ  
 وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِي  
 اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ  
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾، معتدلاً يبصر الطريق وهو، ﴿على صراطٍ مستقيم﴾،  
 وهو المؤمن . قال قتادة: يمشي يوم القيامة سويًّا .

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، قال  
 مقاتل: يعني أنهم لا يشكرون رب هذه النعم .

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين \* قل  
 إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين \* فلما رأوه ﴿﴾، يعني: العذاب في الآخرة - على قول أكثر  
 المفسرين - وقال مجاهد: يعني العذاب ببدر، ﴿زُلْفَةً﴾، أي قريباً وهو [اسم يوصف به المصدر  
 يستوي فيه] <sup>(١)</sup> المذكر والمؤنث والواحد والاثنان [والجميع] <sup>(٢)</sup>، ﴿سَيَّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾،  
 اسودت وعليها كآبة، والمعنى قبحت وجوههم بالسواد، يقال: ساء الشيء يسوء فهو سيء إذا  
 قبح، وسيء يساء إذا قبح، ﴿وَقِيلَ﴾، لها أي قال الخزنة، ﴿هَذَا﴾، أي هذا العذاب، ﴿الَّذِي كُنْتُمْ  
 بِهِ تَدْعُونَ﴾، تفتعلون من الدعاء تدعون وتتمنون أنه يعجل لكم، وقرأ يعقوب تدعون بالتخفيف،  
 وهي قراءة قتادة ومعناها واحد مثل تذكرون وتذكرون .

﴿قُلْ﴾، يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنون [هلاكك] <sup>(٣)</sup>، ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِي اللَّهُ وَمَنْ  
 مَعِيَ﴾، من المؤمنين، ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾، فأبقانا وأخر آجالنا، ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾،  
 فإنه واقع بهم لا محالة . وقيل: معناه أرايتم إن أهلكني الله فعذبني ومن معي أو رحمتنا فغفر لنا،  
 فنحن - مع إيماننا - خائفون أن يهلكنا بذنوبنا، لأن حكمه نافذ فينا، فمن يجيركم ويمنعكم من  
 عذابه وأنتم كافرون؟ وهذا معنى قول ابن عباس .

(١) في «ب» اسم مصدر يوصف به .

(٢) في «ب» والجمع .

(٣) في «ب» هلاكهم . والصحيح ما أثبت من «ب» .

ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ﴾، الذي نعبد، ﴿ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلَمُونَ﴾، قرأ الكسائي بالياء، وقرأ الباقون بالتاء. ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، أي ستعلمون عند معاينة العذاب من الضال منا، نحن أم أنتم؟

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾، غائراً ذاهباً في الأرض لا تناله الأيدي والدلاء. قال الكلبي ومقاتل: يعني ماء زمزم، ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾، ظاهر تراه العيون وتناله [الأيدي]<sup>(١)</sup> والدلاء. وقال عطاء عن ابن عباس: معين أي جار.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني أبو الحسن الفارسي، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يزيد، حدثنا أبو يحيى البراز، حدثنا [محمد بن يحيى]<sup>(٢)</sup>، حدثنا أبو داود، حدثنا عمران، عن قتادة، عن عباس الجشمي، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية شفعت لرجل فأخرجته من النار يوم القيامة وأدخلته الجنة، وهي سورة تبارك»<sup>(٣)</sup>.

(١) ساقط من «ب».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة (أبواب قراءة القرآن) باب في عدد الآي: ١١٦/٢، والترمذي في فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الملك: ٢٠٠/٨ - ٢٠١ وقال: «هذا حديث حسن»، والنسائي في التفسير: ٤٥٤/٢، وابن ماجه في الأدب، باب ثواب القرآن برقم: (٣٧٨٦): ١٢٤٤/٢، وعبد بن حميد في المنتخب ص (٤٢١). وروى له الطبراني شاهداً في «الصغير» و«الأوسط» عن أنس ورجاله رجال الصحيح: انظر: مجمع الزوائد: ١٢٧/٧.

قال المنذري: وقد ذكره البخاري في التاريخ الكبير من رواية عباس الجشمي عن أبي هريرة كما أخرجه أبو داود ومن ذكره معه. وقال: لم يذكر سماعاً من أبي هريرة، يريد أن عباساً الجشمي روى هذا الحديث عن أبي هريرة ولم يذكر فيه أنه سمعه من أبي هريرة.





# سورة الفتح



## سُورَةُ الْقَلَمِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾

﴿ن﴾، اختلفوا فيه فقال ابن عباس: هو الحوت الذي على ظهره الأرض . وهو قول مجاهد ومقاتل، والسدي، والكلبي<sup>(٢)</sup> .

وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم خلق النون فبسط الأرض على ظهره فتحرك النون فمادت الأرض، فأثبتت بالجبال وإن الجبال لتفخر على الأرض، ثم قرأ ابن عباس: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> .

واختلفوا في اسمه، فقال الكلبي ومقاتل: [اسمه]<sup>(٤)</sup> يهيموت . وقال الواقدي: ليوثا . وقال كعب: ليوثا . وعن علي: اسمه بلهوث .

(١) في «ب» مدنية .

أخرج ابن الضريس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة . ثم يزيد الله فيها ما شاء ، وكان أول ما نزل من القرآن (اقرأ باسم ربك) ثم (المزمل) ثم (المدثر) . وأخرج النحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت سورة (ن والقلم) بمكة . انظر: الدر المنثور: ٢٤٠/٨ .

(٢) لعله لا يصح شيء من ذلك في تفسير نون بالحوت الذي عليه الأرضون السبع، أو أنه الدواة، أو أنه لوح من نور، أو أنه آخر حرف من حروف الرحمن؛ أو أنه نهر من أنهار الجنة .

انظر: البحر المحيط: ٣٠٧/٨ . روح المعاني للآلوسي: ٢٣/٢٩ .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: ٣٠٧/٢، والطبري: ١٤/٢٩، والحاكم: ٤٩٨/٢ وصححه وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٢٤٠/٨ - ٢٤١ عزوه للقرطبي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في «العظمة» والبيهقي في «الأسماء والصفات» والخطيب في «تاريخه» والضياء في «المختارة» وهو موقوف على ابن عباس .

(٤) ساقط من «ب» .

وقالت الرواة: لما خلق الله الأرض وفتحها بعث من تحت العرش ملكاً فهبط إلى الأرض حتى دخل تحت الأرضين السبع فوضعها على عاتقه، إحدى يديه بالشرق والأخرى بالمغرب، باسطين قابضتين على الأرضين السبع، حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار، فأهبط الله عز وجل من الفردوس ثوراً له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة، وجعل قرار قدمي الملك على سنامه، فلم تستقر قدماه فأخذ ياقوته خضراء من أعلى درجة في الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور إلى أذنه فاستقرت عليها قدماه، وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض، ومنخره في البحر فهر يتنفس كل يوم نفساً فإذا تنفس مد البحر وإذا [رد]<sup>(١)</sup> نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور موضع قرار، [فخلق]<sup>(٢)</sup> الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه «يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة» (لقمان - ١٦) ولم يكن للصخرة مستقر، فخلق الله نوناً وهو الحوت العظيم، فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر، والبحر على متن الريح، والريح على القدرة . يقال: فكل الدنيا كلها بما عليها حرفان قال لها الجبار: [جل جلاله]<sup>(٣)</sup> كوني فكانت<sup>(٤)</sup>.

قال كعب الأحبار: إن إبليس تغلغل إلى الحوت الذي على ظهره الأرض فوسوس إليه، فقال له: أتدري ما على ظهرك يا لويثا من الأُمم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم ألقيتهم عن ظهرك، فهم لويثا أن يفعل ذلك فبعث الله دابة فدخلت منخره فوصلت إلى دماغه فعج الحوت إلى الله منها فأذن لها الله فخرجت. قال كعب: فوالذي نفسي بيده إنه لينظر إليها وتنظر إليه إن هم بشيء من ذلك عادت كما كانت.

وقال بعضهم: نون آخر حروف الرحمن، وهي رواية عكرمة عن ابن عباس .

وقال الحسن وقتادة والضحاك: النون الدواة .

(١) في «أ» مد .

(٢) في «ب» فجعل .

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٤) هذا وأمثاله - مما سيأتي - من وضع أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء بالرسول كما قال الشيخ محمد بن محمد أبو شهبة

في كتابه «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» ص: (٣٠٥) .

وانظر: تفسير ابن كثير: ٤٠١/٤ - ٤٠٢ .

# مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾

وقيل : هو قسم أقسم الله به . وقيل : فاتحة السورة . وقال عطاء : افتتاح اسمه نور وناصر .

وقال محمد بن كعب: أقسم الله بنصرته للمؤمنين<sup>(١)</sup> .

﴿والقلم﴾، [هو]<sup>(٢)</sup> الذي كتب الله به الذكر، وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والأرض، ويقال: أول ما خلق الله القلم ونظر إليه فانشق بنصفين، ثم قال: اجر بما هو كائن إلى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك . ﴿وما يسطرون﴾، يكتبون أي ما تكتب الملائكة الحفظة من أعمال بني آدم .

﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾، [هو]<sup>(٣)</sup> جواب لقولهم «يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون» (الحجر - ٦) فأقسم الله بالنون والقلم وما يكتب من الأعمال فقال: ﴿ما أنت بنعمة ربك﴾، نبوة ربك، ﴿بمجنون﴾، أي: إنك لا تكون مجنوناً وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة . ١٧١/أ  
وقيل: بعصمة ربك . وقيل: هو كما يقال: ما أنت بمجنون [والحمد لله]<sup>(٤)</sup> . وقيل: معناه ما أنت بمجنون والنعمة لربك، كقولهم: سبحانك اللهم وبحمدك، أي: والحمد لك .

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾، أي: منقوص ولا مقطوع بصبرك على افتراءهم عليك .

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: دين عظيم لا دين أحب إلي ولا أرضى عندي منه، وهو دين الإسلام . وقال الحسن: هو آداب القرآن .

سُئِلَتْ عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن<sup>(٥)</sup> .

(١) أخرج هذه الروايات الطبري: ١٥/٢٩ - ١٦ .

(٢) ساقط من «أ» .

(٣) في «ب» هذا .

(٤) في «أ» بحمد الله .

(٥) أخرج مسلم في باب جامع صلاة الليل من كتاب صلاة المسافرين وقصرها مطولاً برقم: (٧٤٦): ٥١٣/١ عن حكيم ابن أفلح قال لعائشة - رضي الله عنها: «يا أم المؤمنين أنبئني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: أأستقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن» .

وقال قتادة: هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهي عنه من نهي الله، والمعنى إنك على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن .

وقيل: سمى الله خلقه عظيماً لأنه امتثل تأديب الله إياه بقوله: «خُذِ الْعَفْوَ» (الأعراف - ١٩٨) الآية .

وروينا عن جابر أن النبي ﷺ قال: «إن الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق، وتمام محاسن الأفعال»<sup>(١)</sup> .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، [حدثنا محمد بن اسماعيل]<sup>(٢)</sup>، حدثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله، حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا إبراهيم ابن يوسف، عن أبيه عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء يقول: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً ليس بالطويل البائن ولا بالقصير<sup>(٣)</sup> .

أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جعفر ابن سليمان الضبعي، عن ثابت، عن أنس بن مالك قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف قط<sup>(٤)</sup> [وما]<sup>(٥)</sup> قال لشيء صنعتُه: لِمَ صنعتُه؟ ولا لشيء تركته، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً، ولا مسست خزاً [قط]<sup>(٦)</sup> ولا حريراً ولا شيئاً [كان]<sup>(٧)</sup> ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شمتت مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ<sup>(٨)</sup> .

وباللفظ الذي ساقه المصنف أخرجه: أحمد: ٩١/٦، والبيهقي: ٤٩٩/٢، والضري: ١٣/٢٩ .

(١) أخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٠٢/١٣ عن جابر - رضي الله عنه - وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر، وهو ضعيف . قال الهيثمي في المجمع: ١٨٨/٨: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عمر بن إبراهيم القرشي، وهو ضعيف» . وللحديث شواهد بألفاظ متعددة عند الإمام أحمد: ٣٨١/٢، والإمام مالك في الموطأ: ٩٠٤/٢، والبخاري في الأدب المفرد ص: (٨٤)، وابن سعد في الطبقات: ١٩٢/١ - ١٩٣، والحاكم في المستدرک: ٦١٣/٢ . وانظر: شرح السنة مع تعليق الأرنؤوط: ٢٠٢/١٣، سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم: (٤٥): ٧٥/١، مشكاة المصابيح برقم: (٥٧٧٠)، كشف الخفاء للعجلوني: ٢٤٤/١ - ٢٤٥، تخریج أحاديث الإحياء للعراقي وابن السبكي والزبيدي برقم: (١٥٩٥)، مجمع الزوائد: ١٨٨/٨ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

(٣) أخرجه البخاري في المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم: ٥٦٤/٦، ومسلم في الفضائل، باب في صفة النبي صلى الله عليه وسلم ومبعثه وسنه برقم: (٢٤٤٧): ١٨٢٤/٤ - ١٨٢٥ .

(٤) ساقط من «أ» .

(٥) أخرجه الترمذي في البر، باب ما جاء في خلق النبي صلى الله عليه وسلم: ١٥٦/٦ - ١٥٧ وقال: «هذا حديث حسن =

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى ، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار ، حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى البرنى ، حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن مسروق ، عن عبد الله بن عمر قال : إن رسول الله ﷺ لم يكن فحاشاً ولا متفحشاً وكان يقول : «خياركم أحسنكم أخلاقاً»<sup>(١)</sup> .

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى ، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى ، أخبرنا أبو العباس الأصم ، حدثنا محمد بن هشام بن ملاس ، حدثنا مروان الفزاري ، حدثنا حميد الطويل ، عن أنس أن امرأة عرضت لرسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة فقالت : يا رسول الله إن لي إليك حاجة فقال : يا أم فلان اجلسي في أي سكك المدينة شئت أجلس إليك ، قال : ففعلت فقعد إليها رسول الله ﷺ ، حتى [قضى]<sup>(٢)</sup> حاجتها<sup>(٣)</sup> .

أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أخبرنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل قال : [حدثنا]<sup>(٤)</sup> محمد بن عيسى ، حدثنا هشيم ، أخبرنا حميد الطويل ، حدثنا أنس ابن مالك قال : إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتطلق به حيث شاءت<sup>(٥)</sup> .

أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله ابن محمد بن عبد العزيز البغوي ، حدثنا علي بن الجعد ، أخبرنا عمران بن زيد التغلبي ، عن زيد [ابن العَمِي]<sup>(٦)</sup> عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان إذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده [حتى يكون هو الذي ينزع يده]<sup>(٧)</sup> ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه [عن وجهه]<sup>(٧)</sup> ، ولم ير مقدماً ركبتيه بين يدي جليسه له<sup>(٨)</sup> .

= صحيح ، ومسلم في الفضائل ، باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً برقم : (٢٣٠٩) : ١٨٠٤/٤ .

(١) أخرجه البخاري في فضائل النبي صلى الله عليه وسلم ، باب مناقب عبد الله بن مسعود : ١٠٢/٧ وفي الأنبياء ، وفي الأدب ، ومسلم في الفضائل ، باب كفرة حياته صلى الله عليه وسلم برقم : (٢٣٢١) : ١٨١٠/٤ ، والمصنف في شرح السنة : ١٥٠/١٤ .

(٢) في «ب» قضت .

(٣) أخرجه مسلم في الفضائل ، باب قرب النبي صلى الله عليه وسلم من الناس وتركهم به برقم : (٢٣٢٦) : ١٨١٢/٤ .

١٨١٣ ، والمصنف في شرح السنة : ٢٤٠/١٣ .

(٤) في «ب» قال :

(٥) أخرجه البخاري في الأدب ، باب الكبير : ٤٨٩/١٠ .

(٦) في «ب» الأعمى .

(٧) ساقط من (أ) .

(٨) أخرجه ابن ماجه في الأدب ، باب إكرام الرجل جليسه برقم : (٣٧١٦) وقال في الزوائد : مدار الحديث علي زيد العَمِي ، =



أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد، أخبرنا أبو القاسم الخزاعي، أخبرنا الهيثم بن كليب، حدثنا أبو عيسى، حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني، حدثنا عبيدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا ضرب خادماً ولا امرأة<sup>(١)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا إسماعيل بن عبد الله، حدثني مالك عن إسحاق عن عبد الله ابن أبي طلحة، عن أنس قال كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعراي فجذبه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك ثم أمر له بعتاء<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا علي بن المديني، حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار، عن ابن أبي مليكة، عن يعلى بن مملك، عن أم الدرداء تحدث عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «إن أثقل شيء يوضع في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن، وإن الله تعالى يبعض الفاحش البذيء»<sup>(٣)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا أبو نعيم، حدثنا داود بن يزيد [الأودي]<sup>(٤)</sup> سمعت أبي يقول سمعت أبي

= وهو ضعيف وابن سعد في الطبقات: ٣٧٨/١.

قال الألباني: «ضعيف إلا جملة المصافحة فهي ثابتة» انظر: صحيح ابن ماجه: ٣٠٤/٢.

(١) أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية، باب في خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شرح الباجوري ص: (٢٠١)، ومسلم في الفضائل، باب مباحثته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرمانه برقم: (٢٣٢٨): ١٨١٤/٤ ما عدا ما ساقه المصنف في آخر روايته: (ولا ضرب خادماً ولا امرأة).

(٢) أخرجه البخاري في اللباس، باب البرود والخبر والشملة: ٢٧٥/١٠، ومسلم في الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة برقم: (١٠٥٧): ٧٣٠/٢ - ٧٣١.

(٣) أخرجه الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق: ١٤٠/٦ - ١٤١ وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وأبو داود مختصراً في الأدب، باب في حسن الخلق: ١٧٢/٧، والإمام أحمد: ٤٤٢/٦، وصححه ابن حبان في موارد الظمان برقم: (١٩٢٠) صفحة: (٤٧٤)، والمصنف في شرح السنة: ٧٨/١٣ - ٧٩، وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته.

(٤) في «أ» الأردني والصحيح ما أثبتناه كما في «تهذيب التهذيب».

## فَسْتَبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾

هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس النار؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان: الفرج والفم، أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن أكثر ما يدخل الناس الجنة: تقوى الله وحسن الخلق»<sup>(١)</sup>

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى، حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا محمد بن عبد الله [بن عبد]<sup>(٢)</sup> الحكم، أخبرنا أبي وشعيب قالوا حدثنا الليث عن [ابن]<sup>(٣)</sup> الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبد الله عن عائشة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار»<sup>(٤)</sup>.

قوله عز وجل ﴿فَسْتَبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾، فسترى يا محمد ويرون يعني أهل مكة إذا نزل بهم العذاب ﴿بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾، قيل معناه: بأيكم المجنون. فـ «المفتون» مفعول بمعنى المصدر، كما يقال: ما بفلان مجلود ومعقول، أي جلادة وعقل. وهذا معنى قول الضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس. وقيل الباء بمعنى «في»، مجازة: فستبصر ويبصرون في أي الفريقين المجنون في فريقك أم في فريقهم؟.

وقيل: الباء بمعنى «مع»، و «المفتون» هو الشيطان. [والمعنى: مع أيكم الشيطان]<sup>(٥)</sup> مع المؤمنين أم مع الكافرين؟ وهذا معنى قول مجاهد<sup>(٦)</sup>.

وقال الآخرون: زائدة، معناه: أي المجنون الذي فتن بالجنون، وهذا قول قتادة.

(١) أخرجه الترمذي في البروالصلة، باب ما جاء في حسن الخلق: ١٤٢/٦ بلفظ: (سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة... الحديث) وقال: «هذا حديث صحيح غريب» وابن حبان برقم: (١٩٢٣) ص: (٤٧٥)، والمصنف في شرح السنة: ٧٩/١٣.

(٢) ساقط من «أ».

(٣) في «أ» أي، والصحيح ما أثبت.

(٤) أخرجه أبو داود في الأدب، باب في حسن الخلق: ١٧٢/٧، وابن حبان برقم: (١٩٢٧) ص: (٤٧٥)، والحاكم: ٦/١، والمصنف في شرح السنة: ٨١/١٣.

(٥) ما بين القوسين من «ب».

(٦) في «ب»: قتادة.

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تَطْعُ  
الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مِّمَّهِينَ ﴿١٠﴾  
هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ \* فلا تطع المكذبين، يعني مشركي مكة فإنهم كانوا يدعونهم إلى دين آبائهم فنهاه أن يطيعهم .

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾، قال: الضحاك لو تكفر فيكفرون . قال الكلبي: لو تلين لهم فيلينون لك . قال الحسن: لو تصانعونهم في دينك فيصانعونك في دينهم . قال زيد بن أسلم: لو تنافق وتراي فينافقون ويرأون . وقال ابن قتيبة: أرادوا أن تعبد آلهتهم مدة ويعبدون الله مدة .

﴿وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مِّمَّهِينَ﴾، كثير الحلف بالباطل . قال [مقاتل: يعني] <sup>(١)</sup> الوليد بن المغيرة . وقيل: الأسود بن عبد يغوث . وقال عطاء: الأخنس بن شريق، ﴿مِّمَّهِينَ﴾، ضعيف حقير . قيل: هو فعيل من المهانة وهي قلة الرأي والتبيز . وقال ابن عباس: كذاب . وهو قريب من الأول، لأن الإنسان إنما يكذب لمهانة نفسه عليه .

﴿هَمَّازٍ﴾، مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والغيبة . قال الحسن: هو الذي يغمز بأخيه في المجلس، كقوله: «همزة»، ﴿مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾، قتات يسعى بالتميمة بين الناس ليفسد بينهم .

﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾، بخيل بالمال . قال ابن عباس: «مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ» أي للإسلام، يمنع ولده وعشيرته عن الإسلام، يقول: لئن دخل واحد منكم في دين محمد لا أنفعه بشيء أبداً، ﴿مُعْتَدٍ﴾، ظلوم يتعدى الحق، ﴿أَثِيمٍ﴾، فاجر .

﴿عُتْلٌ﴾، العتل: الغليظ الجافي . وقال الحسن: هو الفاحش الخلق السيء الخلق . قال الفراء: هو الشديد الخصومة في الباطل <sup>(٢)</sup> . وقال الكلبي: هو الشديد في كفره، وكل شديد عند العرب عُتْلٌ، وأصله من العتل وهو الدفع بالعنف . قال عبيد بن عمير: «العُتْلُ» الأكل الشروب القوي الشديد [في كفره] <sup>(٣)</sup> لا يزن في الميزان شعيرة، يدفع الملك من أولئك سبعين ألفاً في النار دفعة

(١) في «أ»، قيل .

(٢) معاني القرآن للفراء: ١٧٣/٣ .

(٣) ساقط من «ب» .

## أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾

واحدة<sup>(١)</sup>، ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾، أي مع ذلك، يريد ما وصفناه به، ﴿زَنِيمٌ﴾، وهو الدَّعِي [الملصق]<sup>(٢)</sup> بالقوم، وليس منهم. قال عطاء عن ابن عباس: يريد مع [هذا]<sup>(٣)</sup> هو دَعِيٌّ في قريش وليس منهم. قال مرة الحمداني: إنما ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة. وقيل: «الزَّيْم» الذي له زُغمة كزُغمة الشاة.

وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: نُعِت فلم يعرف حتى قيل زَيم فعرف، وكانت له زُغمة في عنقه يعرف بها<sup>(٤)</sup>.

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزُغمتها<sup>(٥)</sup>.

قال ابن قتيبة: لا نعلم أن الله وصف أحداً ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد ابن المغيرة فألحق به عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة<sup>(٦)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان الواعظ، حدثني أبو محمد بن زنجويه بن محمد، حدثنا علي بن الحسين الهلالي، حدثنا عبد الله بن الوليد العدني عن سفيان، حدثني معبد بن خالد القيسي، عن حارثة بن وهب الخزاعي قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كلٌ ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار كل عتَل جَوَّاط [مستكبر]<sup>(٧)</sup>»<sup>(٨)</sup>.

﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾، قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحمزة، وأبو بكر، ويعقوب: «أَنَّ» بالاستفهام. ثم حمزة وأبو بكر يخففان الهمزتين بلا مد، ويمد الهمزة الأولى أبو جعفر وابن عامر ويعقوب، ويلينون الثانية. وقرأ الآخرون بلا استفهام على الخبر، فمن قرأ بالاستفهام فمعناه: أَلَا أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ؟

(١) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٩.

(٢) في «أ»، الملحق.

(٣) في «ب» ما.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٦/٢٩.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٥/٢٩.

(٦) انظر: القُرطبي لابن مطرف الكناي: ١٧٦/٢.

(٧) في «أ»، متكبر. وما أثبت هو الصحيح كما في البخاري وشرح السنة.

(٨) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة القلم - باب (عتل بعد ذلك زَيم): ٦٦٢/٨ وفي الأدب، باب الكبير، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم: (٢٨٥٣): ٢٨٥٣/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٦٩/١٣.

إِذَا تُلِيَّ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِفُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾

﴿إذا تلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾، أي جعل مجازاة النعم التي خولها من البنين والمال الكفر بآياتنا . وقيل: معناه لأن كان ذا مال وبنين (تطيعه) <sup>(١)</sup> .

ومن قرأ على الخير فمعناه: لا تطع كل حلاف مهين لأن كان ذا مال وبنين <sup>(٢)</sup> أي: لا تطعه لماله وبنيه، «إذا تلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين» .

ثم أوعده فقال: ﴿سَنَسِفُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ﴾، و«الخرطوم»: الأنف . قال أبو العالية ومجاهد: أي نسود وجهه، فنجعل له علماً في الآخرة يعرف به، وهو سواد الوجه .

قال الفراء: خص الخرطوم بالسمة فإنه في مذهب الوجه لأن بعض الشيء يعبر به عن كله <sup>(٣)</sup> .

وقال ابن عباس: سنخطمه بالسيف، وقد فعل ذلك يوم بدر <sup>(٤)</sup> . وقال قتادة: سنلحق به شيئاً لا يفارقه .

قال القتيبي تقول العرب للرجل سب الرجل سبة قبيحة: قد وسمه ميسم سوء . يريد: ألصق به عاراً لا يفارقه، كما أن السمة لا ينمحي ولا يعفو أثرها، وقد ألحق الله بما ذكر من عيوبه عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة، كالوسم على الخرطوم .

وقال الضحاك والكسائي: سنكويه على وجهه .

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾، يعني اخترنا أهل مكة بالقحط والجوع، ﴿كَمَا بَلَوْنَا﴾، ابتلينا، ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾، روى محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: في قوله عز وجل: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾، قال: كان بستان باليمن يقال له الضَّروان، دون صنعاء بفرسخين، يطؤه أهل الطريق، كان غرسه قوم من أهل الصلاة، وكان لرجل فمات فورثه ثلاثة بنين له، وكان

(١) في «ب» تطغيه .

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

(٣) معاني القرآن للفراء: ١٧٤/٣ .

(٤) ذكره الطبري: ٢٨/٢٩ .

وَلَا يَسْتَنْتُونَ ﴿١٨﴾ فُطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾

يكون للمساكين إذا صرموا نخلهم كل شيء تعداه المنجل فلم يجزه وإذا طرح من فوق النخل إلى البساط فكل شيء يسقط على البساط فهو أيضاً للمساكين، وإذا حصدوا زرعهم فكل شيء تعداه المنجل فهو للمساكين وإذا داسوه كان لهم كل شيء ينتثر أيضاً، فلما مات الأب وورثه هؤلاء الإخوة [عن أبيهم] <sup>(١)</sup>، فقالوا: والله إن المال لقليل، وإن العيال لكثير، وإنما كان هذا الأمر يفعل إذ كان المال كثيراً والعيال قليلاً، فأما إذا قلَّ المال وكثر العيال فإننا لا نستطيع أن نفعل هذا، فتحالفوا بينهم يوماً ليغدو غدوة قبل خروج الناس فليصروا نخلهم ولم يستنوا، يقول: لم يقولوا إن شاء الله، فغدا القوم بسدفة من الليل إلى جنتهم ليصروها قبل أن يخرج المساكين، فأروها مسودة، وقد طاف عليها من الليل طائف من العذاب فأحرقها، فأصبحت كالصريم <sup>(٢)</sup>، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾، خلفوا، ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾، ليُجِدْنَهَا وليقطعن ثمرها إذا أصبحوا قبل أن يعلم المساكين، ﴿وَلَا يَسْتَنْتُونَ﴾، ولا يقولون إن شاء الله.

﴿فُطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ﴾، عذاب، ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾، ليلاً، ولا يكون الطائف إلا بالليل، وكان ذلك الطائف ناراً نزلت من السماء فأحرقها، ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾، كالليل المظلم الأسود. قال الحسن: أي صرم منها الخير فليس فيها شيء.

وقال الأخفش: كالصبح الصريم من الليل، وأصل «الصريم»: المصروم، مثل: قتيل ومقتول، وكل شيء قطع فهو صريم [فالليل صريم] <sup>(٣)</sup> والصبح صريم، لأن كل واحد منهما ينصرم عن صاحبه.

وقال ابن عباس: كالرماد الأسود بلغة خزمية.

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾، نادى بعضهم بعضاً لما أصبحوا.

﴿أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ﴾، يعني الثمار والزروع والأعنان، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَٰرِمِينَ﴾، قاطعين

للنخل.

(١) ساقط من «ب».

(٢) انظر: البحر المحيط: ٣١١/٨، القرطبي: ٢٣٩/١٨ - ٢٤٠، زاد المسير: ٣٣٥/٨.

(٣) ساقط من «أ».

فَانْطَلِقُوا وَهُمْ يَخْشَوْنَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَدِيرِينَ ﴿٢٥﴾  
فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾  
﴿فانطلقوا﴾، مشوا إليها، ﴿وهم يتخافتون﴾، يتسارون، يقول بعضهم لبعض سراً: ﴿أن لا يدخلها اليوم عليكم مسكين﴾ .

﴿وغدوا على حرد﴾، «الحرد» في اللغة يكون بمعنى القصد والمنع والغضب، قال الحسن، وقتادة، وأبو العالية: على جد وجهه .

وقال القرطبي، ومجاهد، وعكرمة: على أمر مجتمع عليه قد أسسوه بينهم . وهذا على معنى القصد لأن القاصد [إلى الشيء] <sup>(١)</sup> جاد مجمع على الأمر .

وقال أبو عبيدة والقيسي: غدوا ونيتهم على منع المساكين، يقال: حارَدَتِ السَّنةُ، إذا لم يكن لها مطر، وحارَدَتِ الناقةُ إذا لم يكن لها لبن .

وقال الشعبي وسفيان: على حنق وغضب من المساكين .

وعن ابن عباس قال: على قدرة، ﴿قادرين﴾، عند أنفسهم على جنتهم وثمارها، لا يحول بينها وبينهم أحد .

﴿فلما رأوها قالوا إنا ضالون﴾، أي لما رأوا الجنة محترقة قالوا: إنا لخطئون الطريق، أضللنا مكان جنتنا، ليست هذه بجنتنا . فقال بعضهم:

﴿بل نحن محرومون﴾، حرمانا خيرها ونفعها بمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء .

﴿قال أوسطهم﴾، أعدهم وأعقلهم وأفضلهم: ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾، هلا تستنون، أنكر عليهم ترك الاستثناء في قولهم: «ليصرئنها مصبحين»، وسمي الاستثناء تسبيحاً لأنه تعظيم لله، وإقرار بأنه لا يقدر أحد على شيء إلا بمشيئته .

وقال أبو صالح: كان استثناءهم سبحانه الله، وقيل: هلا تسبحون الله وتقولون: سبحان الله، وتشكرونه على ما أعطاكم . وقيل: هلا تستغفرونه من فعلكم .

(١) في «ب» للشيء .

قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَوْنَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يٰوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا ﴿٣٨﴾

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾، نَزَّهوه عن أن يكون ظالماً فيما فعل، وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾، بمنعنا المساكين .

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَوْنَ﴾، يلوم بعضهم بعضاً في منع المساكين حقوقهم، ونادوا على أنفسهم بالويل:

﴿قَالُوا يٰوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طٰغِينَ﴾، في منعنا حق الفقراء . وقال ابن كيسان: طغينا نَعَمَ الله فلم نشكرها ولم نصنع ما صنع آباؤنا من قبل .

ثم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾، قال عبد الله بن مسعود: بلغني أن القوم أخلصوا، وعرف الله منهم الصدق، فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان، فيها عنب يحمل البغل منه عنقوداً واحداً<sup>(١)</sup> .

قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾، أي: كفعلنا بهم نفع بمن تعدى حدودنا وخالف أمرنا، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، . ثم أخير بما عنده للمتقين فقال:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾، فقال المشركون: إِنَّا نعطى في الآخرة أفضل مما تعطون فقال الله تكذيباً لهم:

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ \* مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾، نزل من عند الله، ﴿فِيهِ﴾، في هذا الكتاب، ﴿تَدْرُسُونَ﴾، تقرأون .

﴿إِنْ لَكُمْ فِيهِ﴾، في ذلك الكتاب، ﴿لَا تَخْيُرُونَ﴾، تختارون وتشتنون .

(١) انظر: البحر المحيط: ٣١٣/٨ .



تَخَيَّرُونَ ﴿٢٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ ﴿٢٩﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ  
بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٣٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ  
﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ﴾، عهود ومواثيق، ﴿علينا بالغة﴾، مؤكدة عاهدناكم عليها، فاستوثقتم بها  
منا فلا ينقطع عهدكم، ﴿إلى يوم القيامة إن لكم﴾، في ذلك العهد، ﴿لما تحكمون﴾، لأنفسكم  
من الخير والكرامة عند الله . وكسر «إِنَّ» في الآيتين لدخول اللام في خبرهما . ثم قال لنبيه صلى الله  
عليه وسلم:

﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾، كفيل لهم بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين؟

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾، أي عندهم شركاء لله أرباب تفعل هذا . وقيل: شهداء يشهدون لهم  
بصدق ما يدعونه . ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ .

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾، قيل: «يوم» ظرف لقوله فلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ، أي: فلْيَأْتُوا بها في  
ذلك اليوم لتنفعهم وتشفع لهم، «يوم يكشف عن ساق» قيل: عن أمر فظيع شديد، قال ابن عباس:  
هو أشد ساعة في القيامة .

قال سعيد بن جبير: «يوم يكشف عن ساق» عن شدة الأمر .

وقال ابن قتيبة: تقول العرب للرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج فيه إلى الجد ومقاساة الشدة:  
شَمَّرَ عَنْ سَاقِهِ<sup>(١)</sup>، ويقال: إذا اشتد الأمر في الحرب: كشفت الحرب عن ساق .

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، حدثنا محمد بن عيسى الجلودي، أخبرنا  
إبراهيم بن محمد بن [سفيان]<sup>(٢)</sup>، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثني سويد بن سعيد، حدثني جعفر،  
حدثني حفص بن ميسرة، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه  
أن أناساً في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم  
هل تُضَارُّون في رؤية الشمس بالظهيرة صَحْوًا ليس معها سحب؟ وهل تُضَارُّون في رؤية القمر ليلة  
البدر صَحْوًا ليس فيها سحب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: ما تُضَارُّون في رؤية الله يوم القيامة إلا  
كما تُضَارُّون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مُؤَذِّنٌ لَتَتَّبِعَ كُلُّ أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد  
كان يعبد الله من يَرِ وفاجرٍ وغير أهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد

(١) انظر: القرطبي لابن مطرف الكتاني: ١٧٧/٢ .

(٢) في «ه» سليمان، والصحيح ما أثبتناه من «ب» كما ورد في سير أعلام النبلاء .

عزير ابن الله فيقال كذبتكم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ فقالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار . ثم تدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فماذا تنتظرون؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم . فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئاً، مرتين أو ثلاثاً، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها، فيقولون: نعم فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، فلا يبقى من كان يسجد نفاقاً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خثر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في الصورة التي رأوه فيها أول مرة فقال: أنا ربكم . فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم ، قيل يا رسول الله وما الجسر؟ قال: دحض مزلّة فيه خطاطيف وكلايب وحسكة يكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطريف العين والبرق كالريح كالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم ومخدوش مرسى، ومكردس في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرّم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً فيه خير ممن أمرتنا به . وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم: «إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً» (النساء - ٤٠)، فيقول الله: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلقهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون منها إلى الشمس أصيفر وأخضر، وما يكون

وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرَهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى  
السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾

منها إلى الظل يكون أبيض؟ قال: فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله من النار الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، ثم يقول: «ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا: أعطيتنا ما لم نعط أحداً من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا فيقولون: يا ربنا أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبداً»<sup>(١)</sup>.

وروى محمد بن إسماعيل هذا الحديث عن يحيى بن بكير عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم بهذا المعنى، أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا آدم، حدثنا الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويقي من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعةً، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً»<sup>(٢)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، يعني: الكفار والمنافقين تصير أصلابهم كصياصي البقر، فلا يستطيعون السجود.

﴿خاشعة أبصارهم﴾، وذلك أن المؤمنين يرفعون رؤسهم من السجود ووجوههم أشد بياضاً من الثلج، وتسود وجوه الكافرين والمنافقين، ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾، يغشاهم ذل الندامة والحسرة، ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾، قال إبراهيم التيمي: يعني إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة وقال سعيد بن جبير: كانوا يسمعون حي على الفلاح فلا يجيبون، ﴿وَهُمْ سَالِمُونَ﴾، أصحاب فلا يأتونه، قال كعب الأحبار: والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات.

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية برقم: (١٨٣): ١٦٧/١-١٧١ وأخرج بعضه البخاري في التفسير - تفسير سورة النساء - باب (إن الله لا يظلم مثقال ذرة): ٢٤٩/٨-٢٥٠.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة القلم - باب (يوم يكشف عن ساق): ٦٦٣/٨-٦٦٤ والمصنف في شرح السنة: ١٤١/١٥.

قال الحافظ ابن حجر: «وقع في هذا الموضع «يكشف ربنا عن ساقه» وهو من رواية سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم فأخرجها الإسماعيلي كذلك ثم قال: في قوله «عن ساقه» نكرة. ثم أخرجه من طريق حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم بلفظ «يكشف عن ساق» قال الإسماعيلي: هذه أصح لموافقتها لفظ القرآن في الجملة، لا يظن أن الله ذو أعضاء وجوارح لما في ذلك من مشابهة المخلوقين، تعالى الله عن ذلك ليس كمثله شيء».

فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ هَذَا الْحَدِيثَ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَنِبْهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾

﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾، أي فدعني والمكذبين بالقرآن، وخل بيني وبينهم. قال الزجاج: معناه لا تشغل قلبك بهم [كلهم] <sup>(١)</sup> إلي فإني [أكفيكمهم] <sup>(٢)</sup>، [قال ومثله: «ذرني ومن خلقت وحيداً»، معناه في اللغة: لا تشغل قلبك به وكله إلي فإني أجازيه. ومثله قول الرجل: ذرني وإياه، ليس أنه منعه منه ولكن تأويله كله فإني أكفيك أمره] <sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿سنستدرجهم﴾، سنأخذهم بالعذاب، ﴿من حيث لا يعلمون﴾، فعذبوا يوم بدر.

﴿وأُمْلِي لهم إن كيدي متين﴾. أم تسألهم أجراً فهم من مغرمٍ مثقلون \* أم عندهم الغيب فهم يكتبون \* فاصبر لحكم ربك، اصبر على أذاهم لقضاء ربك، ﴿ولا تكن﴾، في الضجر والعجلة، ﴿كصاحب الحوت﴾، وهو يونس بن متى، ﴿إذ نادى﴾، ربه [في] <sup>(٤)</sup> بطن الحوت، ﴿وهو مكظوم﴾، مملوء غماً.

﴿لولا أن تداركه﴾، أدركته، ﴿نعمة من ربه﴾، حين رحمه وتاب عليه، ﴿لنُبذَ بالعراء﴾، ل طرح بالفضاء من بطن الحوت، ﴿وهو مذموم﴾، يذم و يلام بالذنب [يذنبه] <sup>(٥)</sup>.

﴿فاجتنبه ربه﴾، اصطفاه، ﴿فجعله من الصالحين﴾ \* وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم، وذلك أن الكفار أرادوا أن يصيبوا رسول الله ﷺ بالعين، فنظر إليه قوم من قريش وقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حججه.

وقيل: كانت العين في بني أسد حتى كانت الناقة والبقرة السمينة تمر بأحدهم فيعاينها ثم يقول: يا جارية خذي المكمل والدرهم فأتينا بشيء من لحم هذه فما تبرح حتى تقع

(١) في «ب»: وكله.

(٢) في «ب»: أكفيك أمره.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٤) في «ب»: من.

(٥) زيادة من «ب».

وَأَن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَرْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَاهُوَ إِلَّا  
ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

بالموت ، فتنحر<sup>(١)</sup> .

وقال الكلبي: كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثاً، ثم يرفع جانب خبائه فتمر بها الإبل فيقول: لم أر كالיום إبلاً ولا غنماً أحسن من هذه، فما تذهب إلا قليلاً حتى تسقط منها طائفة وعدة، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين ويفعل به مثل ذلك، فعصم الله نبيه وأنزل: ﴿وَأَن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَرْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>، أي ويكاد، ودخلت اللام في «ليزلقونك» لمكان / «إِنَّ»، وقرأ أهل المدينة: «لِيَرْلِقُونَكَ» بفتح الياء، والآخرون بضمها، وهما لغتان، يقال: زلقه يزلقه زلقاً وأزلقه يزلقه إزلاقاً .

قال ابن عباس: معناه: ينفذونك، ويقال: زلق السهم: إذا أنفذ .

قال السدي: يصييونك بعيونهم . قال النضر بن شميل: يعينونك . وقيل: يزيلونك .

وقال الكلبي: يصرعونك . وقيل: يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة .

قال ابن قتيبة: ليس يريد أنهم يصييونك بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه، وإنما أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء، يكاد يسقطك<sup>(٣)</sup> .

وقال الزجاج: يعني من شدة عداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء أن يصرعوك . وهذا مستعمل في [كلام العرب]<sup>(٤)</sup> يقول القائل: نظر إليّ نظراً يكاد يصرعني، ونظراً يكاد يأكلني. يدل على صحة هذا المعنى: أنه قرن هذا النظر بسماع القرآن، وهو قوله: ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾، وهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهية فيحدون إليه النظر بالبغضاء، ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾، أي ينسبونه إلى الجنون إذا سمعوه يقرأ القرآن . فقال الله تعالى:

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، قال ابن عباس: موعظة للمؤمنين . قال

(١) انظر: الواحدي في أسباب النزول، ص: (٥٠٩) .

(٢) انظر: الواحدي في أسباب النزول، ص: (٥١٠) .

(٣) انظر: القرطبي: ١٧٨/٢ .

(٤) في «ب»: الكلام .

الحسن: دواء إصابة العين أن يقرأ الإنسان هذه الآية<sup>(١)</sup>.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيايدي، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، أخبرنا أحمد بن يوسف السلمي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال حدثنا أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت عن رسول الله ﷺ يقول: «العين حق» ونهى عن الوشم<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، حدثنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين ابن داود العلوي، أخبرنا أبو نصر بن محمد بن حمدويه بن سهل المروزي، حدثنا محمود [بن آدم المروزي]<sup>(٣)</sup>، حدثنا سفيان بن عيينه، عن عمرو بن دينار، عن عروة بن عامر، عن عبيد بن رفاعة الزرقى أن أسماء بنت عميس قالت: يا رسول الله إن بني جعفر تصيبهم العين أفأسترقى لهم؟ قال: «نعم، فلو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين»<sup>(٤)</sup>.

- (١) ذكره صاحب البحر المحيط: ٣١٨/٨.
- (٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: ١٨/١١، والبخاري في الطب، باب العين حق: ٢٠٣/١٠، والمصنف في شرح السنة: ١٠٣/١٢. وأخرج الجملة الأولى منه مسلم برقم: (٢١٨٧): ١٧١٩/٤.
- (٣) ساقط من «أ».
- (٤) أخرجه الترمذي في الطب، باب ما جاء في الرقية من العين: ٢٠٩/٦ - ٢٢٠ وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه في الطب، باب من استرقى من العين: ١١٦٠/٢، والطحاوي في مشكل الآثار: ٧٥/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٦١/١٢ - ١٦٢.
- وفي الباب عن ابن عباس عند مسلم برقم: (٢١٨٨) مرفوعاً «العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا».



سورة آفة  
الحاء





## سُورَةُ الْحَاقَّةِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْخَاقَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخَاقَةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾  
فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾

﴿الْحَاقَّةُ﴾، يعني القيامة، سميت حاقة لأنها حقت فلا كاذبة لها . وقيل: لأن فيها حواق الأمور وحقاتها، ولأن فيها يحق الجزاء على الأعمال، أي يجب، يقال: حق عليه الشيء إذا وجب يحق [حقوا]<sup>(٢)</sup> قال الله تعالى: «ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين» (الزمر - ٧١) قال الكسائي: «الحاقة» يوم الحق .

﴿مَا الْخَاقَةُ﴾، هذا استفهام معناه التفخيم لشأنها، كما يقال: زيد ما زيد، على التعظيم لشأنه .  
﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخَاقَةُ﴾، أي أنك لا تعلمها إذ لم تعانها ولم تر ما فيها من الأهوال .  
﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾، قال ابن عباس وقتادة: بالقيامة سميت قارعة لأنها تفرع قلوب العباد بالخفاقة . وقيل: كذبت بالعذاب الذي أوعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم .  
﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾، أي بطغيانهم وكفرهم . قيل: هي مصدر، وقيل: نعت، أي بفعالهم الطاغية، وهذا معنى قول مجاهد، كما قال: «كذبت ثمود بطغواها» (الشمس - ١١) وقال قتادة: بالصيحة الطاغية، وهي التي جاوزت مقادير الصباح فأهلكتهم . وقيل: طغت على الخزان [فلم يكن لهم عليها سبيل ولم يعرفوا كم خرج منها]<sup>(٣)</sup> كما طغى الماء على قوم نوح .

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة الحاقة بمكة .

انظر: الدر المنثور: ٢٦٣/٨ .

(٢) في «ب» حقاً .

(٣) مابين القوسين ساقط من «أ» .

وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۖ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثْمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۖ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ ۚ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ۖ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمُ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۖ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَا كُرًى فِي الْجَارِيَةِ ۚ

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾، عنت على خُزَّانها فلم تطعمهم ولم يكن لهم عليها سبيل، وجاوزت المقدار فلم يعرفوا كم خرج منها .

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾، أرسلها عليهم . وقال مقاتل: سلطها عليهم، ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثْمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾، قال وهب: هي الأيام التي تسميها العرب أيام العجوز، ذات برد ورياح شديدة . قيل: سميت عجوزاً لأنها في عجز الشتاء . وقيل: سميت بذلك لأن عجوزاً من قوم عاد دخلت سرباً فتبعها الريح، فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب، ﴿حُسُومًا﴾، قال مجاهد وقتادة: متتابعة ليس لها فترة، فعلى هذا فهو مِنْ حَسَمِ الْكُتَي، وهو أن يتابع على موضع الداء بالكمواة حتى يبرأ، ثم قيل لكل شيء توبع: حاسم، وجمعه حسوم، مثل شاهد وشهود، وقال الكلبي ومقاتل: حسوماً دائمة . وقال النضر بن شميل: حسمتهم قطعتم وأهلكتهم، والحسم: القطع والمنع ومنه حسم الداء . قال الزجاج: [الذي توجه الآية فعل معنى] <sup>(١)</sup> تحسمهم حسوماً تفنيهم وتذهبهم . وقال عطية: حسوماً كأنها حسمت الخير عن أهلها، ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا﴾، أي في تلك الليالي والأيام، ﴿صَرْعَى﴾، هلكى جمع صريع، ﴿كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾، ساقطة، وقيل: خالية الأجواف .

﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾، أي من نفس باقية، يعني: لم يبق منهم أحد .

﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾، قرأ أهل البصرة والكسائي بكسر القاف وفتح الباء، أي ومن معه من جنوده وأتباعه، وقرأ الآخرون بفتح القاف وسكون الباء، أي ومن قبله من الأمم الكافرة، ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾، أي: قرى قوم لوط، يريد: أهل المؤتفكات . وقيل يريد الأمم الذين اتفكوا بخطيئتهم، أي أهلكوا بذنوبهم، ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾، أي بالخطيئة والمعصية وهي الشرك .

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾، يعني لوطاً وموسى، ﴿فَأَخَذَهُمُ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾، نامية . قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: شديدة . وقيل: زائدة على عذاب الأمم .

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾، أي عتا وجاوز حده حتى علا على كل شيء وارتفع فوقه، يعني زمن

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٤﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ﴿١٧﴾

نوح عليه السلام، ﴿حملناكم﴾، أي حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم، ﴿في الجارية﴾، في السفينة التي تجري في الماء .

﴿لِنَجْعَلَهَا﴾، أي لنجعل تلك الفعل التي فعلنا، مِنْ إغراق قوم نوح ونجاة من حملنا معه، ﴿لكم تذكرة﴾، عبرة وموعظة، ﴿وتعيها﴾، قرأ القواس عن ابن كثير وسليم عن حمزة، باختلاس العين، وقرأ الآخرون بكسرها أي تحفظها، ﴿أذنٌ واعية﴾، أي: حافظة لما جاء من عند الله . قال قتادة: [أذن] <sup>(١)</sup> سمعت وعقلت ما سمعت . قال الفراء: لتحفظها كل أذن فتكون عبرة وموعظة لمن يأتي بعد <sup>(٢)</sup> .

﴿فإذا نُفِخَ في الصور نفخة واحدة﴾، وهي النفخة الأولى .

﴿وحملت الأرض والجبال﴾، رفعت من أماكنها، ﴿فدكنا﴾، كسرتا، ﴿دكة﴾ كسرة، ﴿واحدة﴾، فصارتا هباءً [منثوراً] <sup>(٣)</sup> .

﴿فيومئذٍ وقعت الواقعة﴾، قامت القيامة .

﴿وانشقت السماء فهي يومئذٍ واهية﴾، ضعيفة . قال الفراء: وَهِيهَا: تشققها <sup>(٤)</sup> .

﴿والمَلِكُ﴾، يعني الملائكة، ﴿على أرجائها﴾، نواحيها وأقطارها مالم/ينشق منها، واحدها: ١٧٣/ب «رجا» مقصوراً وتثنيته رَجَوَان . قال الضحاك: تكون الملائكة على حافتها حتى يأمرهم الرب فينزلون، فيحيطون بالأرض ومن عليها، ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم﴾، أي فوق رؤسهم يعني الحملة، ﴿يومئذٍ﴾، يوم القيامة، ﴿ثمانية﴾، أي ثمانية أملاك .

جاء في الحديث: «إنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة أخرى، فكانوا

(١) ساقط من «أ» .

(٢) معاني القرآن للفراء : ١٨١/٣ .

(٣) في «ب» منبأ .

(٤) في الموضع المتقدم .

ثمانية على صورة الأوعال ما بين أظلافهم إلى ركبهم كما بين سماء إلى سماء»<sup>(١)</sup>.

وجاء في الحديث: «لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا أبو بكر بن الهيثم الترابي، أخبرنا أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي، أخبرنا محمد بن يحيى الخالدي، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم [الحنظلي]<sup>(٣)</sup>، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا يحيى بن العلاء، عن عمه شعيب بن خالد، حدثنا سماك بن حرب، عن عبد الله بن عميرة، عن العباس بن عبد المطلب قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ بالبطحاء فمرت سحابة فقال: النبي ﷺ: «أتدرون ما هذا؟ قلنا: السحاب. قال: والمزن؟ قلنا: والمزن، قال: والعنان؟ فسكتنا، فقال: هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكذلك غلط كل سماء خمسمائة سنة، وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض، [ثم بين ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم كما بين السماء والأرض]<sup>(٤)</sup>، ثم فوق ذلك العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض والله تعالى فوق ذلك، ليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء»<sup>(٥)</sup>.

ويروى هذا عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس.

وروي عن ابن عباس أنه قال: «فوقهم يومئذ ثمانية» أي: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم

(١) أخرجه الطبري: ٥٩/٢٩ وليس فيه «على صورة الأوعال ما بين أظلافهم إلى ركبهم كما بين سماء إلى سماء» وهو خبر مقطوع.

قال صاحب البحر المحيط: ٣٢٤/٨ «وذكروا في صفات هؤلاء الثمانية أشكالاً متكاذبة ضربنا عن ذكرها صفحاً».

(٢) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: ٣١٤/٢ عن عبد الله بن وهب عن أبيه.

وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٢٧٠/٨ عزوه لعبد بن حميد وابن المنذر عن ابن وهب أيضاً.

وذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية: ٣٩١/٣ وعزاه لإسحاق وقال: موقف ضعيف الإسناد. وقال البوصيري:

ضعيف لجهالة بعض رواته.

(٣) في «أ» الخطائي، والصحيح ما أثبت كما في «تهذيب التهذيب».

(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٥) حديث ضعيف رواه أبو داود في السنة، باب في الجهمية: ٩١/٧ - ٩٣ وقال المنذري: في إسناد الوليد بن أبي ثور، ولا

يحتج بحديثه، وأخرجه الترمذي في تفسير سورة الحاقة: ٢٣٤/٩ - ٢٣٦، وقال: «هذا حديث حسن غريب». روى الوليد

ابن أبي ثور عن سماك نحوه ورفعته، وروى شريك عن سماك بعض هذا الحديث ووقفه ولم يرفعه، وأخرجه ابن ماجه في

المقدمة: ٦٩/١، والإمام أحمد في المسند: ٢٠٦/١ وابن أبي عاصم في السنة: ٢٥٣/١، والبيهقي في الأسماء والصفات: ١٤٢/٢

- ١٤٣، وابن خزيمة في التوحيد ص: (٦٨)، والآجري في الشريعة ص: (٢٩٢)، والدارمي في الرد على الجهمية ص:

(١٩)، والذهبي في العلو للعلو الغفار ص: (٣٣)، وصححه الحاكم: ٢٨٨/٢، ٤١٢، وتعبه الذهبي فقال: يحيى بن العلاء:

وإي، وعبد الله بن عميرة فيه جهالة. قال البخاري: لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس، ويحيى بن العلاء متهم بالوضع.

انظر: ظلال الجنة في تخریج السنة للألباني: ٢٥٤/١، المنهج السديد في تخریج أحاديث تيسير العزيز الحميد ص: (٢٨٣).

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أَوْقَتْ كِتَابَهُ رَيْمِيْنَهُ فَيَقُولُ هَٰؤُمِ  
 أَقْرَأُوا كِتَابِيَهٗ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهٗ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ  
 عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾

عدتهم إلا الله <sup>(١)</sup>.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾، على الله، ﴿لَا تَخْفَى﴾، قرأ حمزة والكسائي: «لا يخفى» بالياء، وقرأ الآخرون  
 بالتاء، ﴿مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾، أي فعلة خافية . قال الكلبي: لا يخفى على الله منكم شيء . قال أبو موسى:  
 يعرض الناس ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعندها تطاير  
 الصحف فأخذ يمينه وأخذ بشماله <sup>(٢)</sup> وذلك قوله عز وجل:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْقَتْ كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَيَقُولُ هَٰؤُمِ اقْرَءُوا كِتَابِيَهٗ﴾، تعالوا اقرؤوا كتابيه، الهاء في  
 «كتابيه» هاء الوقف .

﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾، علمت وأيقنت، ﴿أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهٗ﴾، أي: [أني] <sup>(٣)</sup> أحاسب في الآخرة .

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾، حالة من العيش، ﴿رَّاضِيَةٍ﴾، مرضية كقوله: «ماء دافق» (الطارق - ٦)  
 يريد: يرضاها، بأن لقي الثواب وأمن العقاب .

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾، رفيعة .

﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ ثمارها قريبة لمن يتناولها [في كل أحواله ينالها] <sup>(٤)</sup> قائماً وقاعداً ومضطجعاً  
 يقطعون كيف شاءوا . ويقال لهم:

(١) أخرجه الطبري: ٥٨/٢٩ .

وعزه السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٩/٨ أيضاً لابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) أخرجه الطبري: ٥٩/٢٩، والإمام أحمد: ٤١٤/٤ عن أبي موسى الأشعري ، وعبد الرزاق في التفسير: ٣١٤/٢، وابن  
 ماجه في الزهد، باب ذكر البعث: ١٤٣٠/٢ . قال في الزوائد: رجال الإسناد ثقات، إلا أنه منقطع، والحسن لم يسمع  
 من أبي موسى . قاله علي بن المديني وأبو حاتم و أبو زرعة . ورواه الترمذي في القيامة: ١١١/٧ - ١١٢ عن أبي هريرة  
 وقال: لا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة وأشار إلى حديث أبي موسى فقال: وقد رواه  
 بعضهم عن علي بن علي وهو الرفاعي عن الحسن عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ في الفتح: ٤٠٣/١١ : «أخرجه البيهقي في «البعث» بسند حسن عن عبد الله بن مسعود موقوفاً» .

(٣) ساقط من «ب» .

(٤) زيادة من «ب» .

كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا مِمَّا اسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ  
فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهٗ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدرِ مَا حِسَابِيهٗ ﴿٢٦﴾ يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾  
مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهٗ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾  
ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا مِمَّا اسْلَفْتُمْ﴾، قدمتم لآخرتكم من الأعمال الصالحة، ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾، الماضية يريد أيام الدنيا .

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾، قال ابن السائب: ثلوى يده اليسرى [من صدره] <sup>(١)</sup> خلف ظهره ثم يعطى كتابه . وقيل: تنزع يده اليسرى من صدره إلى خلف ظهره ثم يعطى كتابه؛ ﴿فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهٗ﴾، يتمنى أنه لم يؤت كتابه لما يرى فيه من قبائح أعماله .

﴿وَلَمْ أَدرِ مَا حِسَابِيهٗ \* يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾، يقول: يا ليت الموتة التى متها في الدنيا كانت القاضية الفارغة من كل ما بعدها، والقاطعة للحياة، فلم أحْيَ بعدها . و«القاضية»: موت لاحياة بعده، يتمنى أنه لم يبعث للحساب . قال قتادة: يتمنى الموت ولم يكن عنده في الدنيا شيء أكره من الموت .

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهٗ﴾، لم يدفع عني من عذاب الله شيئاً .

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ﴾، ضلت عني حجتى، عن أكثر المفسرين . وقال ابن زيد: زال عني ملكي وقوتي . قال مقاتل: يعني حين شهدت عليه الجوارح بالشرك، يقول الله لخزنة جهنم:

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾، اجمعوا يده إلى عنقه .

﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾، أي: أدخلوه الجحيم .

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾، فأدخلوه فيها . قال ابن عباس: سبعون ذراعاً بذراع المَلَك، فتدخل في دبرة وتخرج من منخره <sup>(٢)</sup> . وقيل: تدخل في فيه وتخرج من

(١) زيادة من «ب» .

(٢) أخرجه الطبري: ٦٣/٢٩ - ٦٤ .

وعزه السيوطي في الدر المنثور: ٢٧٤/٨ لابن أبي حاتم والبيهقي في البعث والنشور .

إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا  
حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾

دبره . وقال نوف البكالي: سبعون ذراعاً، كل ذراع سبعون باعاً، كل باع أبعد مما بينك وبين مكة، وكان في رحبة الكوفة<sup>(١)</sup> . وقال سفيان: كل ذراع سبعون ذراعاً . قال الحسن: الله أعلم أي ذراع هو .

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم ابن عبد الله الخلال، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن سعيد بن يزيد، عن أبي السمح، عن عيسى ابن هلال الصديقي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن [رضاضة]<sup>(٢)</sup> مثل هذه - وأشار إلى مثل الجمجمة - أرسلت من السماء إلى الأرض، وهي مسيرة خمسمائة سنة، لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها»<sup>(٣)</sup>

وعن كعب قال: لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها .

﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ \* وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾، لا يطعم المسكين في الدنيا ولا يأمر أهله بذلك .

﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ﴾، قريب ينفعه ويشفع له .

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ﴾، وهو صديد أهل النار، مأخوذ من الغسل، كأنه غسالة جروحهم وقروحهم . قال الضحاك والريبع: هو شجر يأكله أهل النار .

﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾، أي: الكافرون .

﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾، «لا» ردّ لكلام المشركين، كأنه قال: ليس كما يقول المشركون أقسم، ﴿بِمَا

(١) أخرجه الطبري: ٦٣/٢٩، وعبد الرزاق في التفسير: ٣١٥/٢ .

وعزاه السيوطي في الدر: ٢٧٣/٨ - ٢٧٤ لابن المبارك وهناك في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) في المخطوطتين «رضاضة» وعند ابن كثير كذلك . وفي شرح السنة «رضاضة» وأما عند الترمذي والإمام أحمد والطبري فـ «رضاضة» وقد شرحها المباركفوري بأنها قطعة من الرصاص .

(٣) أخرجه الترمذي في صفة جهنم، باب ما جاء في صفة طعام أهل النار: ٣١٣/٧ - ٣١٤ وقال: «هذا حديث إسناده حسن صحيح» والإمام أحمد: ١٩٧/٢، والطبري: ٦٤/٢٩، والمصنف في شرح السنة: ٢٤٨/١٥ - ٢٤٩ .



وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾

تبصرون \* وما لا تبصرون»، أي بما ترون وبما لا ترون . قال قتادة: أقسم بالأشياء كلها فيدخل فيه جميع [المخلوقات] <sup>(١)</sup> والموجودات . وقال: أقسم بالدنيا والآخرة . وقيل: «ما تبصرون»: ما على وجه الأرض، و«ملا تبصرون»: ما في بطنها . وقيل: «ما تبصرون»: من الأجسام و«ملا تبصرون»: من الأرواح . وقيل: «ما تبصرون»: الإنس و«ملا تبصرون»: الملائكة والجن . وقيل النعم الظاهرة والباطنة . وقيل: «ما تبصرون»: ما أظهر الله للملائكة واللوح والقلم: و«ملا تبصرون»: ما استأثر بعلمه فلم يطلع عليه أحداً .

﴿إنه﴾، يعني القرآن، ﴿لقول رسول كريم﴾، أي تلاوة رسول كريم، يعني محمداً صلى الله عليه وسلم .

﴿وما هو بقول شاعر قليلًا ما تؤمنون \* ولا بقول كاهن/ قليلًا ما تذكرون﴾، قرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: «يؤمنون ويذكرون» بالياء فيهما، وقرأ الآخرون بالتاء، وأراد بالقليل نفى إيمانهم أصلاً كقولك لمن لا يزورك: قلما تأتينا . وأنت تريد: لا تأتينا أصلاً .

﴿تنزيل من رب العالمين \* ولو نقول﴾، تحرّص واختلق، ﴿علينا﴾، محمد، ﴿بعض الأقاويل﴾، وأتى بشيء من عند نفسه .

﴿لأخذنا منه باليمين﴾، قيل «من» صلة، مجازة: لأخذناه وانتقمنا منه باليمين أي بالحق، كقوله: «كنتم تأتوننا عن اليمين» (الصفات - ٢٨) أي: من قبل الحق . وقال ابن عباس: لأخذناه بالقوة والقدرة . قال الشماخ في عرابة ملك اليمين:

إذا ما راية رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عُرَابَةٌ بِالْيَمِينِ <sup>(١)</sup>

أي بالقوة، عبر عن القوة باليمين، لأن قوة كل شيء في يمينه .

وقيل: معناه لأخذنا بيده اليمنى، وهو مثل معناه: لأذللناه، وأهنتاه، كالسلطان إذا أراد الاستخفاف

(١) في «ب» المكنونات .

(٢) البيت للشماخ، وعرابة هو ابن أوس الحارثي الأنصاري من سادات المدينة أسلم صغيراً وتوفي بالمدينة نحو سنة ستين .

ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَنَذْكُرُهُ لِلْمُنْتَقِينَ ﴿٤٨﴾  
وَاِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾  
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

بعض من يريد، يقول لبعض أعوانه: خذ بيده فأقمه .

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾، قال ابن عباس: أي نياط القلب، وهو قول أكثر المفسرين . وقال مجاهد: الحبل الذي في الظهر . وقيل هو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب، فإذا انقطع مات صاحبه .

﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾، مانعين يحجزوننا عن عقوبته، والمعنى: أن محمداً لا يتكلف الكذب لأجلكم مع علمه بأنه لو تكلفه لعاقبناه ولا يقدر أحد على دفع عقوبتنا عنه، وإنما قال: «حاجزين» بالجمع وهو فعل واحد رداً على معناه كقوله: «لا نفرق بين أحد من رسله» (البقرة - ٢٨٥) .

﴿وَإِنَّهُ﴾، يعني القرآن، ﴿لَنَذْكُرُهُ لِلْمُنْتَقِينَ﴾، أي لعظة لمن اتقى عقاب الله .

﴿وَاِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾، وإنه لحسرة على الكافرين، يوم القيامة يندمون على ترك الإيمان به .

﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾، أضافه إلى نفسه لاختلاف اللفظين .

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ .



# سورة المعارج



## سُورَةُ الْمَعِيدَةِ

مكة<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾

﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾: قرأ أهل المدينة والشام: «سال» بغير همز وقرأ الآخرون بالهمز، فمن همز فهو من السؤال، ومن قرأ بغير همز قيل: هو لغة في السؤال، يقال: سال يسال مثل خاف يخاف، [يعني]<sup>(٢)</sup> سال يسال خفف الهمزة وجعلها ألفاً .

وقيل: هو من السيل، والسائل واد من أودية جهنم، يروى ذلك عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، والأول أصح .

واختلفوا في الباء في قوله: «بعذاب» قيل: هو بمعنى «عن» كقوله: «فاسأل به خبيراً» (الفرقان - ٥٩) [أي عنه خبيراً]<sup>(٣)</sup> .

ومعنى الآية: سأل سائل عن عذاب، ﴿واقِعٌ﴾، نازل كائن على من ينزل ولمن ذلك العذاب فقال الله مبيناً مجيباً لذلك السائل:

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾، وذلك أن أهل مكة لما خوفهم النبي ﷺ بالعذاب قال بعضهم لبعض: مَنْ أهل هذا العذاب؟ ولمن هو؟ سلوا عنه محمداً فسأله فأنزل الله: «سأل سائل بعذاب واقع للكافرين» أي: هو للكافرين، هذا قول الحسن وقتادة . وقيل: الباء صلة ومعنى الآية: دعا داع وسأل سائل عذاباً واقعاً للكافرين، أي: على الكافرين، اللام بمعنى «على»، وهو النضر بن الحارث حيث دعا

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة سأل بمكة . انظر: الدر المنثور: ٢٧٧/٨ .

(٢) في «أ» بمعنى .

(٣) ما بين القوسين زيادة من «ب» .

## مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾

على نفسه وسأل العذاب، فقال: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك» الآية (الأنفال - ٣٢)، فنزل به ما سأل يوم بدر، فقتل صبراً، وهذا قول ابن عباس ومجاهد: ﴿ليس له﴾، أي للعذاب، ﴿دافع﴾، مانع.

﴿من الله ذي المعارج﴾، قال ابن عباس: أي ذي السموات، سماها معارج لأن الملائكة تعرج فيها. وقال سعيد بن جبیر: ذي الدرجات. وقال قتادة: ذي الفواضل والنعم، [ومعارج: الملائكة]<sup>(١)</sup>.

﴿تعرج الملائكة﴾، قرأ الكسائي «يعرج» بالياء، وهي قراءة ابن مسعود، وقرأ الآخرون «تعرج» بالتاء، ﴿والروح﴾، يعني جبريل عليه السلام، ﴿إليه﴾، أي إلى الله عز وجل، ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾، من سني الدنيا لو صعد غير الملك وذلك أنها تصعد منتهى أمر الله تعالى من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمر الله تعالى من فوق السماء السابعة.

روى ليث عن مجاهد أن مقدار هذا خمسون ألف سنة<sup>(٢)</sup>.

وقال محمد بن إسحاق: لو سار بنو آدم من الدنيا إلى موضع العرش لساووا خمسين ألف سنة من سني الدنيا.

وقال عكرمة وقتادة: هو يوم القيامة. وقال الحسن أيضاً: هو يوم القيامة. وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سني الدنيا، ليس يعني به مقدار طوله هذا دون غيره، لأن يوم القيامة له أول وليس له آخر لأنه يوم ممدود، ولو كان له آخر لكان منقطعاً.

وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: هو يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة<sup>(٣)</sup>.

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(٢) أخرجه الطبري: ٧١/٢٩.

(٣) أخرجه الطبري: ٧١/٢٩.

وعزه ابن كثير في التفسير: ٤/٤٢٠ لابن أبي حاتم. وساق أربعة أقوال في معنى (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) فلتنظر.

وعزه صاحب الدر المنثور: ٢٧٩/٨ لابن المنذر والبيهقي في البعث والنشور.

فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾

أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التميمي، أخبرنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي، أخبرنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ، حدثنا عبد الله بن سعيد، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، عن دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري قال قيل لرسول الله ﷺ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة: فما أطول هذا اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا»<sup>(١)</sup>.

وقيل: معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه خمسين ألف سنة . وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس ومقاتل . قال عطاء: ويفرغ الله منه في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا .

وروى محمد بن الفضل عن الكلبي قال: يقول لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والإنس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه إلا بعد خمسين ألف سنة، وأنا أفرغ منها في ساعة [واحدة]<sup>(٢)</sup> من النهار .

وقال يمان: هو يوم القيامة، فيه خمسون موطناً، كل موطن ألف سنة . وفيه تقديم وتأخير كأنه قال: ليس له دافع من الله ذي المعارج في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة تعرج الملائكة والروح إليه .

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾، يا محمد على تكذيبهم وهذا قبل أن يؤمر بالقتال .

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾، يعني العذاب، ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾، لأن ما هو آت قريب .

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾، كعكر الزيت . وقال الحسن: كالفضة إذا أذيت .

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾، كالصوف المصبوغ . ولا يقال: «عهن» إلا للمصبوغ . وقال

مقاتل: كالصوف المنفوش . وقال الحسن: كالصوف الأحمر وهو أضعف الصوف، وأول ما تتغير ١٧٤/ب

(١) أخرجه الطبري: ٧٢/٢٩، والإمام أحمد: ٧٥/٣، وابن حبان في موارد الظمان ص: (٦٣٨)، والمصنف في شرح السنة: ١٢٩/١٥ .

وذكره ابن كثير في التفسير: ٤٢٠/٤ وقال: إن دراجاً وشيخه ضعيفان .

(٢) ساقط من «ب» .



وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَيْنِيهِ  
 ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ  
 ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَى ﴿١٥﴾ نَزَاعَةً لِلشَّوَى ﴿١٦﴾

الجال تصير رملاً مهيلًا، ثم عنها منقوشاً، ثم تصير هباءً منثوراً .

﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾، قرأ البزي عن ابن كثير «لا يُسأل» بضم الياء أي: لا يسأل حميم عن حميم، أي لا يقال له: أين حميمك؟ وقرأ الآخرون بفتح الياء، أي: لا يسأل قريب قريباً لشغله بشأن نفسه .

﴿يُبْصِرُونَهُمْ﴾، يرونهم، وليس في القيامة مخلوق إلا وهو نصب عين صاحبه من الجن والإنس، فيبصر الرجل أباه وأخاه وقرباته فلا يسأله، ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه .

قال ابن عباس: يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعده .

وقيل: «يبصرونهم»: يُعرّفونهم، أي: يُعرّف الحميم حميمه حتى يعرفه، ومع ذلك لا يسأله عن شأنه لشغله بنفسه .

وقال السدي: يعرفونهم أما المؤمن فببياض وجهه، وأما الكافر فبسواد وجهه، ﴿يَوْمَ الْمُجْرِمِ﴾، يتمنى المشرك، ﴿لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَيْنِيهِ﴾ .

﴿وَصَاحِبَتِهِ﴾، زوجته، ﴿وَأَخِيهِ \* وَفَصِيلَتِهِ﴾، عشيرته التي فصل منهم . وقال مجاهد: قبيلته . وقال غيره: أقرباؤه الأقربون، ﴿الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾، أي التي تضمه ويأوي إليها .

﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾، ذلك الفداء من عذاب [ربك] <sup>(١)</sup> .

﴿كَلَّا﴾، لا ينجيه من عذاب الله شيء، ثم ابتداء فقال: ﴿إِنَّهَا لَأَطْلَى﴾، وهي اسم من أسماء جهنم . قيل: هي الدركة الثانية، سميت بذلك لأنها تلتظى، أي: تتلهب .

﴿نَزَاعَةً لِلشَّوَى﴾، قرأ حفص عن عاصم «نزاعة» نصب على الحال والقطع، وقرأ الآخرون بالرفع أي هي نزاعة للشوى، وهي [الأطراف] <sup>(٢)</sup>: اليدان والرجلان، [وسائر] <sup>(٣)</sup> الأطراف . قال مجاهد: لجلود الرأس . وروى إبراهيم بن مهاجر عنه: [تنزع] <sup>(٣)</sup> اللحم دون العظام .

(١) في «ب» الله .

(٢) ساقط من «ب» .

تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَوْتَوَلَّى ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾

قال مقاتل: تنزع النار الأطراف فلا تترك لحماً ولا جلداً .

وقال الضحاك: تنزع الجلد واللحم عن العظم .

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: العصب والعقب .

وقال الكلبي: لأَمُّ الرأس، تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان، ثم تعود لأكله فذلك دأبها .

وقال قتادة: لمكارم خلقه وأطرافه . قال أبو العالية: لمحاسن وجهه .

وقال ابن [جرير] <sup>(١)</sup>: «الشوى»: جوارح الإنسان ما لم يكن مقتلاً، يقال: رمي فأشوى إذا أصاب الأطراف ولم يصب المقتل <sup>(٢)</sup> .

﴿تَدْعُوا﴾، أي: النار إلى نفسها، ﴿مَنْ أَدْبَرَوْتَوَلَّى﴾، عن الإيمان، ﴿وَوَلَّى﴾، عن الحق فتقول: إِلَيَّ يا مشرك إِلَيَّ يا منافق إِلَيَّ إِلَيَّ . قال ابن عباس: تدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب . حُكي عن الخليل: أنه قال: تدعو أي تعذب . وقال: قال أعرابي لآخر: دعاك الله أي عذبك الله .

﴿وَجَمَعَ﴾، أي: جمع المال، ﴿فَأَوْعَى﴾، [أمسكه] <sup>(٣)</sup> في الوعاء ولم يؤد حق الله منه .

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾، روى السدي عن أبي صالح عن ابن عباس [قال] <sup>(٤)</sup>: «الهلوع»: الحريص على ما لا يحل له . وقال سعيد بن جبير: شحيحاً . وقال عكرمة: ضجوراً . وقال الضحاك والحسن: بخيلاً . وقال قتادة: جزوعاً . وقال مقاتل: ضيق القلب . والهلع: شدة الحرص، وقلة الصبر . وقال عطية عن ابن عباس: تفسيره ما بعده، وهو قوله:

﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا \* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾، أي: إذا أصابه الفقر لم يصبر، وإذا أصاب المال لم ينفق . قال ابن كيسان: خلق الله الإنسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره، ثم تعبده بإنفاق ما يحب والصبر على ما يكره . ثم استثنى فقال:

(١) في «ب» جبير والصحيح ما أثبت من «أ» .

(٢) ذكره الطبري: ٧٦/٢٩ .

(٣) ساقط من «أ» .

(٤) ساقط من «ب» .

إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَاتِ اللَّهِ الَّذِينَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتَانِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾

﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾، استثنى الجمع من الوجدان لأن الإنسان في معنى الجمع [كقوله: «إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا»] <sup>(١)</sup>.

﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾، يقيمونها في أوقاتها يعني الفرائض .

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، حدثنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الخلال، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن ابن لهيعة، حدثني يزيد بن أبي حبيب: أن أبا الخير أخبره قال: سألتنا عقبة بن عامر عن قول الله تعالى: «الذين هم على صلاتهم دائمون» أهم الذين يصلون أبداً؟ قال: لا، ولكنه إذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا من خلفه <sup>(٢)</sup>.

﴿والذين في أموالهم حق معلوم﴾ للسائل والمحروم \* والذين يصدقون بيوم الدين \* والذين هم من عذاب ربهم مشفقون \* إن عذاب ربهم غير مأمون \* والذين هم لفروجهم حافظون \* إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين \* فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون \* والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون \* والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾، قرأ حفص عن عاصم، ويعقوب: «بشهاداتهم»: على الجمع، وقرأ الآخرون [بشهادتهم] <sup>(٣)</sup> [على التوحيد] <sup>(٤)</sup>، ﴿قائمون﴾، أي يقومون فيها بالحق أو لا يكتُمونها ولا يغيرونها .

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٢) أخرجه الطبري: ٨٠/٢٩ . وابن المبارك حدث عن ابن لهيعة قبل الاختلاط .

وعزه السيوطي في الدر المنثور: ٢٨٤/٨ لابن المنذر .

(٣) ساقط من «أ» .

(٤) ساقط من «ب» .

وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون \* أولئك في جنات مكرمون﴾ .

﴿فمال الذين كفروا﴾، أي: فما بال الذين كفروا، كقوله: «فما لهم عن التذكرة معرضين» (المدر - ٤٩)، ﴿قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾، مسرعين مقبلين إليك مآذٍ أعناقهم ومدبي النظر إليك متطلعين نحوك .

نزلت في جماعة من الكفار، كانوا يجتمعون حول النبي ﷺ يستمعون كلامه ويستهنئون به ويكذبونه، فقال الله تعالى: ما لهم ينظرون إليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يستمعون<sup>(١)</sup> .

﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾، حلقاً ورفقاً، و«العزين»: جماعات في تفرقة، واحدها عِزَّة .  
﴿أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾، قال ابن عباس: معناه أيطمع كل رجل منهم أن يدخل جنتي كما يدخلها المسلمون ويتنعم فيها وقد كُذِّبَ نبيي؟

﴿كَلَّا﴾، لا يدخلونها . ثم ابتداءً فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾، أي: من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، نبه الناس على أنهم خلقوا من أصل واحد وإنما يتفاضلون ويستوجبون الجنة بالإيمان والطاعة .

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا الحسين ابن محمد بن فنجويه، حدثنا موسى بن محمد بن علي، حدثنا جعفر بن محمد الفريابي، حدثنا صفوان ابن صالح، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا جرير بن عثمان الرحبي، عن عبد الرحمن بن ميسرة، عن جبير بن نفير، عن بسر بن جحاش [القرشي]<sup>(٢)</sup> قال: قال النبي ﷺ وبصق يوماً في كفه ووضع عليها إصبعه فقال: يقول الله عز وجل: «ابن آدم أتى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا/ سَوَّيْتُكَ وعدلتك، مشيت بين بردين، وللأرض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي

(١) انظر: البحر المحيط: ٣٣٥/٨ .

(٢) زيادة من (أ) .

فَلَا أَقْسِمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرَ أَمْنِهِمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾  
فَذَرَهُمْ يَخْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ  
إِلَى نَصَبٍ يُوفَضُونَ ﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرَهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾  
قلت أتصدق، وأنى أوان الصدقة»<sup>(١)</sup>.

وقيل: معناه إنا خلقناهم [من أجل ما يعملون وهو الأمر والنهي والثواب والعقاب .

وقيل: «ما» بمعنى «من»، مجازة: إنا<sup>(٢)</sup> خلقناهم ممن يعلمون ويعقلون لا كالبهائم .

﴿فَلَا أَقْسِمُ رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾، يعني مشرق كل يوم من أيام السنة ومغربه، ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ \* عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ﴾، على أن نخلق أمثل منهم وأطوع لله [ورسوله]<sup>(٣)</sup>، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ .

﴿فَذَرَهُمْ يَخْضُوا﴾، في باطلهم، ﴿وَيَلْعَبُوا﴾، في دنياهم، ﴿حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾، نسختها آية القتال .

﴿يَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾، من القبور، ﴿سِرَاعًا﴾، إلى إجابة الداعي، ﴿كَانَتْهُمْ إِلَى نَصَبٍ﴾، قرأ ابن عامر [وابن عباس]<sup>(٤)</sup> وحفص: «نُصَبٍ» بضم النون والصاد، وقرأ الآخرون بفتح النون وسكون الصاد، يعنون إلى شيء منصوب، يقال: فلان نُصِبَ عيني . وقال الكلبي: إلى عِلْمٍ وراية . ومن قرأ بالضم ، قال مقاتل والكسائي: يعني إلى أوثانهم التي كانوا يعبدونها من دون الله [كقوله: «وما ذبح على النصب» (المائدة - ٣) ]<sup>(٥)</sup> . قال الحسن: يسرعون إليها أيهم يتسلمها أولاً، ﴿يُوفَضُونَ﴾، يسرعون .

﴿خَشِيعَةً﴾، ذليلة خاضعة، ﴿أَبْصَارَهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾، يغشاهم هوان، ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾، يعني يوم القيامة .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٢٨٦/٨ للبيهقي في الشعب عن بشير والصحيح بشر .

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

(٣) زيادة من «ب» .

(٤) زيادة من «أ» .

سورة  
الاحقاف



## سُورَةُ نُوحٍ

. مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾، أي: بأنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، المعنى: إِنَّا أَرْسَلْنَاهُ لِيُنْذِرَهُمْ بِالْعَذَابِ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا .

﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، أَنْذِرْكُمْ وَأَيِّنْ لَكُمْ [رسالة الله بلغة تعرفونها]<sup>(١)</sup> .

﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ﴾ \* يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾، «من» صلة، أي: يغفر لكم ذُنُوبَكُمْ . وقيل: يعني ما سلف من ذُنُوبِكُمْ إِلَىٰ وَقْتِ الْإِيمَانِ، وذلك بعض ذُنُوبِهِمْ، ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، أي: يعافيكُم إِلَىٰ مَتْنِي آجَالِكُمْ فَلَا يَعَاقِبُكُمْ، ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، يقول: آمَنُوا قَبْلَ الْمَوْتِ، تَسْمَلُوا [من العذاب]<sup>(٢)</sup>، فَإِنْ أَجَلَ الْمَوْتِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ وَلَا يُمْكِنُكُمْ الْإِيمَانُ .

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ \* فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾، نَفَارًا وَإِدْبَارًا عَنْ الْإِيمَانِ [والحق]<sup>(٣)</sup> .

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة نوح بمكة .

انظر: الدر المنثور: ٢٨٨/٨ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٣) زيادة من «ب» .



وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ  
وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ  
وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ  
عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا ﴿١١﴾

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾، إلى الإيمان بك، ﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾، لئلا  
يسمعوا دعوتي، ﴿وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾، غطوا بها وجوههم لئلا يروني، ﴿وَأَصْرُوا﴾، على كفرهم،  
﴿وَأَسْتَكْبَرُوا﴾، عن الإيمان بك، ﴿استكبارًا﴾.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا﴾، معلناً بالدعاء . قال ابن عباس: بأعلى صوتي .

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾، كررت الدعاء معلناً، ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾، قال ابن عباس:  
يريد الرجل بعد الرجل، أكلمه سرّاً بيني وبينه، أدعوه إلى عبادتك وتوحيديك .

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا﴾، وذلك أن قوم  
نوح لما كذبوه زماناً طويلاً حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فهلكت أمواهم  
ومواشيهم، فقال لهم نوح: استغفروا ربكم من الشرك، أي استدعوا المغفرة بالتوحيد، يرسل السماء  
عليكم مدراراً .

روى مطرف عن الشعبي أن عمر رضي الله تعالى عنه خرج يستسقي بالناس، فلم يزد على  
الاستغفار حتى رجع، ف قيل له : ما سمعناك استسقيت ؟ فقال : طلبت الغيث [بمجادح]<sup>(١)</sup>  
السَّماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ: «استغفروا ربكم إنه كان غفَّاراً \* يرسل السماء عليكم  
مدراراً»<sup>(٢)</sup> .

(١) واحدها مَجْدَح، والياء زائدة للإشباع، والقياس أن يكون واحدها مَجْدَاح، فأما مجدح فجمعه مجادح .  
والمجدح: نجم من النجوم، قيل: هو الدَّبران . وقيل: هو ثلاثة كواكب كالأثافي، تشبهاً بالمجدح الذي له ثلاث شعب،  
وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر، فجعل الاستغفار مُشَبَّهاً بالأنواء، مخاطبة لهم بما يعرفونه لا قولاً بالأنواء، وجاء  
بلفظ الجمع لأنه أراد الأنواء جميعها التي يزعمون أن من شأنها المطر .

انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٢٤٣/١ .

(٢) أخرجه الطبري: ٩٣/٢٩ - ٩٤، وذكره ابن كثير في تفسيره: ٤٢٦/٤ .

قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص: (١٧٧): «رجال ثقاة إلا أنه منقطع» .

وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٣﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٤﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٦﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٧﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٨﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿٢٠﴾

﴿وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾، قال عطاء: يكثر أموالكم وأولادكم، ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ ما لكم لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا، قال ابن عباس ومجاهد: لا ترون لله عظمة. وقال سعيد بن جبیر: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته. وقال الكلبي: لا تخافون الله حق عظمته.

و«الرجاء»: بمعنى الخوف، و«الوقار»: العظمة، اسم من التوقير وهو التعظيم.

قال الحسن: لا تعرفون الله حقاً ولا تشكرون له نعمة.

قال ابن كيسان: ما لكم لا ترجون في عبادة الله أن يثيبكم على توقيركم إياه خيراً.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾، تارات، حالاً بعد حال، نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى تمام الخلق.

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ وجعل القمر فيهن نوراً، قال الحسن:

يعني في السماء الدنيا، كما يقال: أتيت بني تميم، وإنما أتى بعضهم، وفلان متوارٍ في دور بني فلان وإنما هو في دار واحدة. وقال عبد الله بن عمرو: إن الشمس والقمر وجوههما إلى السموات، وضوء الشمس ونور القمر فيهن وأقفيتهما إلى الأرض<sup>(١)</sup>. ويروى هذا عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>.

﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾، مصباحاً مضيئاً.

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾، أراد مبدأ خلق آدم، خلقه من الأرض، والناس ولده،

وقوله: «نباتاً» اسم جعل في موضع المصدر أي إنباتاً، قال الخليل: مجازه: أنبتكم فنبتُم نباتاً.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾، بعد الموت، ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾، منها يوم البعث أحياء، ﴿إِخْرَاجًا﴾.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾، فرشها وبسطها لكم.

(١) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: ٣١٩/٢.

(٢) ذكره الحافظ في الكافي الشاف ص: (١٧٧) وقال: موقوف.

لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ  
وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا كُبَرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ  
وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾

﴿لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾، طرقاً واسعة .

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾، لم يجيبوا دعوتي، ﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾، يعني: اتبع السفلة والفقراء القادة والرؤساء الذين لم يزد لهم كثرة المال والولد إلا ضللاً في الدنيا وعقوبة في الآخرة .

﴿وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا كُبَرًا﴾، أي كبيراً عظيماً، يقال: كبير وكُبار، بالتخفيف، كُبار بالتشديد، كلها بمعنى واحد، كما يقال: أمر عجيب وعجَاب وعجَاب بالتشديد وهو أشد في المبالغة .

واختلفوا في معنى مكرهم . قال ابن عباس: قالوا قولاً عظيماً . وقال الضحاك: افترؤا على الله وكذبوا رسله وقيل: منع الرؤساء أتباعهم عن الإيمان بنوح [وحرصوهم]<sup>(١)</sup> على قتله .

﴿وَقَالُوا﴾، لهم: ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾، أي لا تتركوا عبادتها، ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وُدَّكُمْ﴾، قرأ أهل المدينة بضم الواو والباقون بفتحها، ﴿وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾، هذه أسماء آلهتهم .

قال محمد بن كعب: هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح، فلما ماتوا كان لهم أتباع يقتدون بهم ويأخذون بعدهم بأخذهم في العبادة فجاءهم إبليس وقال لهم: لو صورتم صورهم كان أنشط لكم وأشوق إلى العبادة، ففعلوا ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم إبليس: إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم، فابتداء عبادة الأوثان كان من ذلك<sup>(٢)</sup> .

وسميت تلك الصور بهذه الأسماء لأنهم صوروها على صور أولئك/القوم من المسلمين .

ب/١٧٥

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام عن ابن جريج وقال عطاء عن ابن عباس: صارت الأوثان التي كانت تعبد في قوم نوح [تعبد]<sup>(٣)</sup> في العرب [بعده]<sup>(٤)</sup>، أما وَدَ فكانت

(١) في «ب» وحرصوهم .

(٢) عزاه صاحب الدر المنثور: ٢٩٤/٨ لعبد بن حميد .

(٣) ساقط من «ب» .

(٤) زيادة من «ب» .

وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٤٤﴾ مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُعْرِقُوا فَأُدْخِلُوا  
نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٤٥﴾

لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يَعْوث فكانت لمراد ثم لبني غُطيف بالجرف عند سبأ، وأما يَعُوق فكانت لهمدان، وأما نَسْر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع<sup>(١)</sup> ذكره في تفسيره .

وروي سفيان عن موسى عن محمد بن قيس قوله تعالى: «ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ولا يَعْوث ويَعُوق ونسراً» قال: كانت أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عُبدت<sup>(٢)</sup> .

وروي عن ابن عباس: أن تلك الأوثان دفنها الطوفان وطمها التراب، فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب، وكانت للعرب أصنام أخرى، فاللات كانت لثقيف، والعزى لسليم وغطفان وجشم، ومناة لقديد، وإساف ونائلة وهبل لأهل مكة .

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾، أي: ضل بسبب الأصنام كثير من الناس كقوله عز وجل: «رَبِّ إِنهِنَّ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ» (إبراهيم - ٣٦)، وقال مقاتل: أضل كبرائهم كثيراً من الناس، ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾، هذا دعاء عليهم بعدما أعلم الله نوحاً أنهم لا يؤمنون، وهو قوله: «أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن» (هود - ٣٦) .

﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ﴾، أي: من خطيئاتهم، و«ما» صلة، وقرأ أبو عمرو: «خطاياهم» وكلاهما جمع خطيئة، ﴿أُعْرِقُوا﴾، بالطوفان، ﴿فَادْخُلُوا نَارًا﴾، قال الضحاك: هي في حالة واحدة في الدنيا يفرقون من جانب ويحترقون من جانب، وقال مقاتل: فادخلوا ناراً في الآخرة، ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾، لم يجدوا أحداً يمنعهم من عذاب الله .

(١) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة نوح، باب (وداً ولا سواعاً ولا يَعْوث ويَعُوق) ٦٦٧/٨ .

(٢) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة نوح، باب (وداً ولا سواعاً ولا يَعْوث ويَعُوق) ٦٦٧/٨ .

قال الحافظ - ابن حجر - : ٦٦٩/٨ : «ثم قال هذا الشارح (يعني الصديقي)، والصواب وهي . قلت: ووقع في رواية محمد بن ثور بعد قوله «وأما نسر فكانت لآل ذي الكلاع، قال: «ويقال هذه أسماء قوم صالحين» وهذا أوجه الكلام وصوابه، وقال بعض الشراح: حصل ما قيل في هذه الأصنام قولان: أحدهما أنها كانت في قوم نوح، والثاني أنها كانت أسماء رجال صالحين إلى آخر القصة . قلت: بل مرجع ذلك إلى قول واحد، وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح هذه الأصنام ثم تبعهم من بعدهم على ذلك» .

وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٣٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٣٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٣٨﴾

﴿وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾، أحداً يدور في الأرض فيذهب ويجيء أصله من الدوران، وقال [ابن قتيبة]<sup>(١)</sup>: إن أصله من الدار، أي: نازل دار<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾، قال ابن عباس، والكلبي، ومقاتل: كان الرجل ينطلق بابنه إلى نوح فيقول: احذر هذا فإنه كذاب، وإن أبي حذرنه، فيموت الكبير وينشأ الصغير على عليه، ﴿ولا يلدوا إلا فاجراً كفّاراً﴾، قال محمد بن كعب، ومقاتل، والربيع، وغيرهم: إنما قال نوح هذا حين أخرج الله كل مؤمن من أصلاهم وأرحام نسائهم وأعقم أرحام نسائهم وأيس أصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة. [وقيل سبعين سنة]<sup>(٣)</sup> وأخبر الله نوحاً أنهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمناً فحينئذ دعا عليهم نوح فأجاب الله دعاءه، وأهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب لأن الله تعالى قال: «وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم» (الفرقان - ٣٧)، ولم يوجد التكذيب من الأطفال<sup>(٤)</sup>.

﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾، واسم أبيه: ملك بن متوشلخ، واسم أمه: سمحاء بنت أنوش، وكانا مؤمنين، [وقيل اسمها هيجل بنت لاموش بن متوشلخ فكانت بنت عمه]<sup>(٥)</sup>، ﴿ولمّن دخل بيتي﴾، داري، ﴿مؤمناً﴾، وقال الضحاك والكلبي: مسجدي. وقيل: سفيتي، ﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾، هذا عام في كل من آمن بالله وصدق الرسل، ﴿ولا تزد الظالمين إلا تباراً﴾، هلاكاً ودماراً، فاستجاب الله دعاءه فأهلكهم.

(١) في «ب» القتيبي.

(٢) انظر: القرطبي: ١٨٢/٢.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٤) ذكره صاحب البحر المحيط: ٣٤٣/٨ ثم قال: «وهذا لا يظهر لأنه قال: «إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ» الآية، فقوله:

«ولا يلدوا إلا فاجراً وكفّاراً» يدل على أنه لم يعقم أرحام نسائهم، وقاله محمد بن كعب والربيع وابن زيد ولا يظهر كما قلنا.

(٥) ما بين القوسين ساقط من «ب».

سورة  
الحج  
سجدة



## سُورَةُ الْجِنِّ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى  
الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا  
وَلَدًا ﴿٣﴾

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾، وكانوا تسعة من جن نصيبين . وقيل سبعة،  
استمعوا قراءة النبي ﷺ ذكرنا خبرهم في سورة الأحقاف، ﴿فَقَالُوا﴾، لما رجعوا إلى قومهم: ﴿إِنَّا  
سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾، قال ابن عباس: بليغاً، أي: قرآنًا ذا عجب يُعَجِّبُ منه لبلاغته .

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾، يدعو إلى الصواب من التوحيد والإيمان، ﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا  
أَحَدًا﴾ .

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾، قرأ أهل الشام والكوفة غير أبي بكر عن عاصم: «وأنه تعالى» بفتح  
الهمزة وكذلك ما بعده إلى قوله: ﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾، وقرأ الآخرون بكسرهن، وفتح أبو جعفر  
منها «وأنه» وهو ما كان مردوداً [إلى] <sup>(٢)</sup>الوحي، وكسر ما كان حكاية عن الجن .

والاختيار كسر الكل لأنه من قول الجن لقومهم فهو معطوف على قوله: «فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا  
قُرْآنًا عَجَبًا»، وقالوا: «وأنه تعالى» .

ومن فتح رَدَّه على قوله: «فَآمَنَّا بِهِ» وآمنا بكل ذلك؛ ففتح «أَنَّ» لوقوع الإيمان عليه .

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة الجن بمكة .

انظر: الدر المنثور: ٢٩٦/٨ .

(٢) في «ب» على .



وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾

﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾، [جلال] <sup>(١)</sup> ربنا وعظمته، قاله مجاهد وعكرمة وقتادة . يقال: جَدَّ الرجل، أي: عَظُمَ، ومنه قول أنس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدَّ فينا، أي: عظم قدره .

وقال السدي: «جد ربنا» أي أمر ربنا . وقال الحسن: غني ربنا . ومنه قيل للجد: حظ، ورجل مجدود .

وقال ابن عباس: قدرة ربنا . قال الضحاك: فعله .

وقال القرظي: آلاؤه ونعمائوه على خلقه .

وقال الأخفش: علا ملك ربنا، ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾، قيل: تعالى جل جلاله وعظمته عن أن يتخذ صاحبةً (أو ولدًا) <sup>(٢)</sup> .

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾، جاهلنا، قال مجاهد وقتادة: هو إبليس، ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾، كذباً وعدواناً، وهو وصفه بالشريك والولد .

﴿وَأَنَا ظَنَنَّا﴾، حسبنا، ﴿أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ﴾، قرأ يعقوب «نَقُولُ» يفتح الواو وتشديدها، ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، أي: كنا نظنهم صادقين في قولهم إن الله صاحبةٌ وولداً حتى سمعنا القرآن .

قال الله تعالى ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾، وذلك أن الرجل من العرب في الجاهلية كان إذا سافر فأمسى في أرض قفر، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فبييت في أمن وجوار منهم حتى يصبح <sup>(٣)</sup> .

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عبد الله ابن يوسف بن أحمد بن مالك، حدثنا أبو القاسم [عبد الرحمن] <sup>(٤)</sup> بن محمد بن إسحاق المروزي،

(١) في «أ» جد .

(٢) في «ب» ولا ولداً .

(٣) انظر: الدر المنثور: ٣٠١/٨ .

(٤) في «ب» عبد الله والصحيح ما أثبت .

وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا  
مُلِثًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَأَتَاكُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمِيعِ فَمَن  
يَسْمِعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾

١٧٦/أ

حدثنا موسى بن سعيد بن النعمان بطرسوس، حدثنا فروة بن أبي/المغراء الكندي، حدثنا القاسم بن مالك، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن أبيه، عن كردم بن أبي سائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة، فأوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف النهار جاء ذئب فأخذ حملاً من الغنم، فوثب الراعي [فقال] <sup>(١)</sup>: يا عامر الوادي جارك، فنأدى منادٍ لا نراه، يقول: يا سرحان أرسله، فأقى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة <sup>(٢)</sup>، فأنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ بمكة ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾، ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، يعني زاد الإنس الجن باستعاذتهم بقادتهم رهقاً.

قال ابن عباس: إثماً. قال مجاهد: طغياناً. قال مقاتل: غياً. قال الحسن: شراً قال إبراهيم: عظمة وذلك أنهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغياناً، يقولون: سدنا الجن والإنس، و«الرَّهَق» في كلام العرب: الإثم وغشيان المحارم.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾، يقول الله تعالى: إن الجن ظننوا، ﴿كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾، يا معشر الكفار من الإنس، ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾، بعد موته.

﴿وَأَنَا﴾، تقول الجن: ﴿لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾، قال الكلبي: السماء الدنيا، ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِثًا حَرَسًا شَدِيدًا﴾، من الملائكة، ﴿وَشُهَبًا﴾، من النجوم.

﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾، من السماء، ﴿مَقَاعِدَ لِّلسَّمِيعِ﴾ أي: كنا نستمع، ﴿فَمَن يَسْمِعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا﴾، أرصد له ليرمي به.

قال ابن قتبية: إن الرجم كان قبل مبعث النبي ﷺ ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه

(١) في «ب» فنأدى.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره: ٤٣٠/٤ ثم قال معقياً: «وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل وهو ولد الشاة كان جنياً حتى يهرب الإنسي ويخاف منه ثم رده عليه لما استجار به ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه والله أعلم». وعزه في الدر المنثور: ٢٩٨/٨ - ٢٩٩ لابن المنذر وابن أبي حاتم والعقيلي في الضعفاء والطبراني وأبي الشيخ في العظمة وابن عساكر.

قال الميمني في المجمع: ١٢٩/٧: «رواه الطبراني وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي، وهو ضعيف».

وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ﴿١١﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنَّ لَنَ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنَ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ؕ آمَنَّا بِهِ ؕ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ؕ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ

في شدة الحراسة، وكانوا يسترقون السمع في بعض الأحوال، فلما بعث [النبي ﷺ] <sup>(١)</sup> منعوا من ذلك أصلاً <sup>(٢)</sup> ثم قالوا:

﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾، برمي الشهب، ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ .  
 ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ﴾، دون الصالحين، ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾، أي: جماعات متفرقين وأصنافاً مختلفة، والقِدَّة: القطعة من الشيء، يقال: صار القوم قِدْدًا إذا اختلفت حالاتهم، وأصلها من القَدَّ وهو القطع . قال مجاهد: يعنون: مسلمين وكافرين .

وقيل: [ذوو] <sup>(٣)</sup> أهواء مختلفة، وقال الحسن والسدي: الجن أمثالكم فمنهم قدرية ومرجئة ورافضة .

وقال ابن كيسان: شيعاً وفاقاً لكل فرقة هوى كأهواء الناس .

وقال سعيد بن جبیر: ألواناً شتى، وقال أبو عبيدة: أصنافاً .

﴿وَأَنَا ظَنَنَّا﴾، علمنا وأيقنا، ﴿أَنَّ لَنَ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: لن نفوته إن أراد بنا أمراً، ﴿وَلَنَ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾، إن طلبنا .

﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ﴾، [القرآن وما أتى به محمد] <sup>(٤)</sup>، ﴿آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾، نقصاناً من عمله وثوابه، ﴿وَلَا رَهَقًا﴾، ظلماً . وقيل: مكروهاً يغشاه .

﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾، وهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ، ﴿وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ﴾، الجائرون العادلون

(١) زيادة من «ب» .

(٢) انظر: القرطبي: ١٨٤/٢ .

(٣) ساقط من «ب» .

(٤) ما بين القوسين زيادة من «ب» .

فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَالْوَسْطَىٰ قَسَتْ حَتَّىٰ ظَنَّتْ أَنَّهَا إِلَىٰ سَفَاةٍ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ دَافِقَةٌ ﴿١٦﴾ إِنَّهَا عَلَّمَتْ لَهَا الْبَاطِلَ وَأَعْيَتْهَا حَقَّ رَبِّهَا فَاسْتَغْوَتْهُوَ ﴿١٧﴾

عن الحق . قال ابن عباس: هم الذين جعلوا لله نداً، يقال: أقسط الرجل إذا عدل فهو مقسط، وقسط إذا جار فهو قاسط، ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾، أي: قصدوا طريق الحق وتوَحَّوه .  
﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾، الذين كفروا، ﴿فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾، كانوا وقود النار يوم القيامة .  
ثم رجع إلى كفار مكة فقال:

﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾، اختلفوا في تأويلها، فقال قوم: لو استقاموا على طريقة الحق والإيمان والهدى فكانوا مؤمنين مطيعين، ﴿لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾، كثيراً، قال مقاتل: وذلك بعدما رُفِعَ عنهم المطر سبع سنين . وقالوا معناه لو آمنوا لوسَّعنا عليهم في الدنيا وأعطيناهم مالاً كثيراً وعيشاً رغداً، وضرب الماء الغدق مثلاً، لأن الخير والرزق كله في المطر، كما قال: «ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأَكَلُوا من فوقهم» الآية (المائدة - ٦٦) . وقال: «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء» الآية (الأعراف - ٩٦) .

وقوله تعالى: ﴿لَنَفْتَنَّهُمْ فِيهِ﴾، أي: لنختبرهم كيف شكرهم فيما نُحَوِّلُوا . وهذا قول سعيد ابن المسيب وعطاء بن أبي رباح والضحاك وقتادة ومقاتل والحسن .

وقال آخرون: معناها وأن لو استقاموا على طريقة الكفر والضلالة لأعطيناهم مالاً كثيراً، ولوسَّعنا عليهم لنفتنهم فيه، عقوبة لهم واستدراجاً حتى يفتتنوا بها فنعذبهم، وهذا قول الربيع بن أنس وزيد بن أسلم والكلبي وابن كيسان، كما قال الله: «فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء» الآية (الأنعام - ٤٤) .

﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ﴾، قرأ أهل الكوفة ويعقوب: «يسلكه» بالياء وقرأ الآخرون بالنون، أي: ندخله، ﴿عَذَاباً صَعَدًا﴾، قال ابن عباس: شاقاً، والمعنى ذا صعود، أي: ذا مشقة . قال قتادة: لا راحة فيه . وقال مقاتل: لا فرح فيه . قال الحسن: لا يزداد إلا شدة . والأصل فيه أن الصعود يشق على [الناس] <sup>(١)</sup> .

(١) في «ب» الإنسان .

وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا  
يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾، يعني المواضع التي بنيت للصلاة وذكر الله، ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، قال قتادة: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فأمر الله المؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد وأراد بها المساجد كلها<sup>(١)</sup>.

وقال الحسن: أراد بها البقاع كلها لأن الأرض جعلت كلها مسجداً للنبي ﷺ.

وقال سعيد بن جبير: قالت الجن للنبي ﷺ: كيف لنا أن [نأتي المسجد وأن]<sup>(٢)</sup> نشهد معك الصلاة ونحن ناؤون؟ فنزلت: «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ»<sup>(٣)</sup>.

وروي عن سعيد بن جبير أيضاً: أن المراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها الإنسان وهي سبعة: الجبهة واليدان والركبتان والقدمان؟ يقول: هذه الأعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره<sup>(٤)</sup>.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب، حدثنا علي بن الحسن الهلالي والسري بن خزيمة قالوا: حدثنا يعلى بن أسد، حدثنا وهيب، عن عبد الله بن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء: الجبهة - وأشار بيده إليها - واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين ولا أكف الثوب ولا الشعر»<sup>(٥)</sup>.

فإن جعلت المساجد مواضع الصلاة، فواحدها مسجد، بكسر الجيم، وإن جعلتها الأعضاء فواحدها مسجد، بفتح الجيم.

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾، قرأ نافع وأبو بكر بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها/«لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ»

ب/١

(١) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: ٣٢٣/٢.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) أخرجه الطبري: ١١٧/٢٩، وابن كثير: ٤٣٢/٤.

وانظر: الدر المنثور: ٣٠٦/٨.

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره: ٤٣٢/٤ - ٤٣٣.

(٥) أخرجه البخاري في الأدان، باب السجود على الأنف: ٢٩٧/٢، ومسلم في الصلاة، باب أعضاء السجود والنبي عن

كف الشعر والثوب وعقصر الرأس في الصلاة برقم: (٢٣٠): ٣٥٤/١، والمصنف في شرح السنة: ١٣٦/٣.

قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ

يعني النبي ﷺ، ﴿يدعوه﴾، يعني يعبد، ويقرأ القرآن، ذلك حين كان يصلي بيطن نخلة ويقرأ القرآن، ﴿كادوا﴾، يعني الجن، ﴿يكونون عليه لبدا﴾، أي يركب بعضهم بعضاً، ويزدحمون حرصاً على استماع القرآن . هذا قول الضحاك ورواية عطيه عن ابن عباس .

وقال سعيد بن جبير عنه: هذا من قول النفر الذين رجعوا إلى قومهم من الجن أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبي ﷺ واقتدائهم به في الصلاة <sup>(١)</sup> .

وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعني لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الإنس والجن، وتظاهروا عليه ليطلبوا الحق الذي جاءهم به، ويطفئوا نور الله، فأبى الله إلا أن يتم نوره، ويتم هذا الأمر، وينصره على من ناوأه <sup>(٢)</sup> .

وقرأ هشام عن ابن عامر: «لُبدًا» بضم اللام، وأصل «اللبد»: الجماعات بعضها فوق بعض، ومنه سمي اللبد الذي يفرش لتراكمه، وتلبد الشعر: إذا تراكم .

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾، قرأ أبو جعفر، وعاصم، وحزمة: «قل» على الأمر، وقرأ الآخرون: «قال» يعني رسول الله ﷺ «إنما أدعوا ربِّي»، قال مقاتل: وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: لقد جئت بأمر عظيم فارجع عنه فنحن نجريك، فقال لهم: إنما أدعوا ربِّي، ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ .  
﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾، لا أقدر أن أدفع عنكم ضراً، ﴿وَلَا رَشَدًا﴾، أي لا أسوق إليكم رشداً، أي: خيراً يعني أن الله يملكه .

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾، لن يمنعني من أحد إن عصيته، ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾، ملجأ أميل إليه . ومعنى «الملتحد» أي: المائل . قال السدي: حرزاً . وقال الكلبي: مدخلاً في الأرض مثل السرب .

﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾، ففيه الجوار والأمن والنجاة، قاله الحسن . قال مقاتل: ذلك الذي يجيرني من عذاب الله، يعني التبليغ . وقال قتادة: إلا بلاغاً من الله فذلك الذي أملكه بعون

(١) زيادة من «ب» . .

(٢) انظر: القرطبي: ١٨٤/٢ .

(١) ذكره الطبري: ١١٨/٢٩ .

(٢) أخرجه الطبري: ١١٨/٢٩ .

وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا  
 مَا يُوعَدُونَ فَيَسْئَلُونَ مَنْ أَضَعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلَّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِي  
 أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى  
 غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ  
 رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ  
 عَدَدًا ﴿٢٨﴾

الله وتوفيقه . وقيل: لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً لكن أبلغ بلاغاً من الله فإنما أنا مرسل لا أملك  
 إلا ما ملكت، ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، ولم يؤمن، ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ .

﴿حتى إذا رأوا ما يُوعَدُونَ﴾، يعني العذاب يوم القيامة، ﴿فَيَسْئَلُونَ﴾، عند نزول العذاب،  
 ﴿مَنْ أضعفُ ناصرًا وأقلَّ عددًا﴾، أهم أم المؤمنون .

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي﴾، [أي ما أدري] <sup>(١)</sup>، ﴿أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾، يعني العذاب وقيل القيامة،  
 ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾، أجلاً و غاية تطول مدتها يعني: أن علم وقت العذاب غيب لا يعلمه  
 إلا الله .

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾، رفع على نعت قوله «ربي»، وقيل: هو عالم الغيب، ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾، لا يطلع،  
 ﴿على غيبه أَحَدًا \* إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾، إلا من يصطفيه لرسالته فيظهره على ما يشاء  
 من الغيب لأنه يستدل على نبوته بالآية المعجزة بأن يخبر عن الغيب، ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ  
 وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾، ذكر بعض الجهات دلالة على جميعها رصداً أي: يجعل بين يديه وخلفه حفظة  
 من الملائكة يحفظونه من الشياطين أن يسترخوا السمع، ومن الجن أن يستمعوا الوحي فيلقوا إلى  
 الكهنة .

قال مقاتل وغيره: كان الله إذا بعث رسولا أتاه إبليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من  
 بين يديه ومن خلفه رصداً من الملائكة يحرسونه ويتردون الشياطين، فإذا جاءه شيطان في صورة  
 ملك أخبروه بأنه شيطان، فاحذروه وإذا جاءه ملك قالوا له: هذا رسول ربك <sup>(٢)</sup> .

(١) زيادة من «ب» .

(٢) انظر: الطبري: ١٤٢/٢٩ .

﴿لِيَعْلَمَ﴾، قرأ يعقوب: «لِيَعْلَمَ» بضم الياء أي ليعلم الناس، ﴿أَنْ﴾ الرسل، ﴿قَدْ أَبْلَغُوا﴾، وقرأ الآخرون بفتح الياء أي: «لِيَعْلَمَ» الرسول أن الملائكة قد أبلغوا، ﴿رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾، أي: علم الله ما عند الرسل فلم يخف عليه شيء، ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾، قال ابن عباس: أحصى ما خلق وعرف عدد ما خلق فلم يفتنه علم شيء حتى مثاقيل الذر والخرذل. ونصب «عدداً» على الحال، وإن شئت على المصدر، أي عدّ [عدداً]<sup>(١)</sup>.

(١) في «ب» عدداً.





المزمور  
سورة  
م س م  
حط



## سُورَةُ الْمَزْمَلِ

مكية <sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ فِرَآئِلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلْ

﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾، أي المتلف بثوبه . وأصله: المتزمل، أدغمت التاء في الزاي، ومثله المدثر، أي: المدثر أدغمت التاء في الدال، يقال: تزمل وتدثر بثوبه، إذا تغطى به .

وقال السدي: أراد يا أيها النائم قم فصل .

قال [العلماء] <sup>(٢)</sup> : كان هذا الخطاب للنبي ﷺ في أول الوحي قبل تبليغ الرسالة، ثم خوطب بعد بالنبي والرسول .

﴿قم الليل﴾، أي للصلاة، ﴿إلا قليلاً﴾، وكان قيام الليل فريضة في الابتداء وبين قدره فقال:

﴿نصفه أو انقص منه قليلاً﴾، إلى الثالث .

﴿أو زد عليه﴾، على النصف إلى الثلثين، خيرّه بين هذه المنازل، وكان النبي ﷺ وأصحابه يقومون على هذه المقادير، وكان الرجل لا يدري متى ثلث الليل ومتى نصف الليل ومتى الثلثان، فكان [الرجل] <sup>(٣)</sup> يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب، واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم فرحمهم الله تعالى وخفف عنهم ونسخها بقوله: «فاقرؤوا ما تيسر من القرآن علم الله أن سيكون منكم مرضى» الآية . فكان بين أول السورة وآخرها سنة <sup>(٤)</sup> .

(١) أخرج ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت (يا أيها المزمل) بمكة .

انظر: الدر المنثور: ٣١١/٨ .

(٢) في «أ» الحكماء .

(٣) ساقط من «ب» .

(٤) ورد معنى هذا القول في عدد من الأحاديث ذكرها الطبري: ١٢٦/٢٩، وصاحب الدر المنثور: ٣١٢/٨ .

## الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ٤

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفراييني، أخبرنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ، حدثنا الحسن بن علي بن عفان، حدثنا يحيى بن بشير، حدثنا سعيد - يعني ابن أبي عروبة - حدثنا قتادة عن زرارة بن أبي أوفى عن سعيد ابن هشام قال: انطلقت إلى عائشة رضي الله عنها فقلت: يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: [ألسن] <sup>(١)</sup> تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن، قلت: فقيام رسول الله ﷺ يا أم المؤمنين؟ قالت: ألسن تقرأ: ﴿يا أيها المزمل﴾، قلت: بلى، قالت: فإن الله افترض القيام في أول هذه السورة، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم وأسك الله خاتمها اثني عشر شهراً في السماء، ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوعاً بعد الفريضة <sup>(٢)</sup>.

قال مقاتل وابن كيسان: كان هذا بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس.

﴿وَرْتِلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾، قال/ابن عباس: بيّنه بياناً. وقال الحسن: اقرأه قراءة بيّنة. وقال مجاهد: ترسل فيه ترسلاً. وقال قتادة: ثبت فيه تثباً. وعن ابن عباس أيضاً: اقرأه على هينتك ثلاث آيات أو أربعاً أو خمساً.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا همام عن قتادة قال: سئل أنس كيف كانت قراءة النبي ﷺ فقال: كانت مداً مداً، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، يمد بسم الله، ويمد الرحمن ويمد الرحيم <sup>(٣)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا عمرو بن مرة قال: سمعت أبا وائل قال: جاء رجل إلى ابن مسعود، قال: قرأت المفصل الليلة في ركعة، فقال: هذا كهذا الشعر؟ لقد عرفت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرن بينهن، فذكر عشرين سورة من المفصل سورتين [من آل حاميم]

(١) في «أ»، أقرأ.

(٢) تقدم تخريجه في سورة القلم تعليق ( ) .

(٣) أخرجه البخاري في فضائل القرآن، باب مد القراءة: ٩١/٩، والمصنف في شرح السنة: ٤٨١/٤.

في [كل] ركعة<sup>(١)</sup>.

أخبرنا أبو جعفر أحمد بن أبي أحمد بن مثنويه، أخبرنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد بن علي بن الحسين الحراني فيما كتبه إليّ، [أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجري]<sup>(٢)</sup>، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن حميد الواسطي، حدثنا زيد بن أخزم، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا سعيد بن زيد، عن أبي حمزة، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله - يعني ابن مسعود - قال: لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة<sup>(٣)</sup>.

أخبرنا أبو جعفر أحمد بن أبي أحمد بن مثنويه، أخبرنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد بن علي بن الحسين الحراني فيما كتب إليّ، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد، حدثنا الحسين بن الحسن المروزي، حدثنا ابن المبارك، ح، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمد، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، حدثنا عبد الله ابن المبارك، عن موسى بن عبيدة، عن عبد الله بن عبيدة وهو أخوه عن سهل بن سعد الساعدي قال: بينا نحن نقرأ إذ خرج رسول الله ﷺ فقال: «الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الأخيار وفيكم الأحمر والأسود اقرؤوا [القرآن]<sup>(٤)</sup> قبل أن يأتي أقوام يقرؤونه، يقيمون حروفه كما يقيم السهم لا يجاوز تراقيهم، يتعجلون آخره ولا يتأجلونه»<sup>(٥)</sup>.

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أخبرنا أبو محمد الجراحي، حدثنا أبو العباس المحبوبي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا أبو بكر محمد بن نافع البصري، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، عن إسماعيل ابن مسلم العبدي، عن أبي المتوكل الناجي، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قام النبي ﷺ بآية من القرآن ليلة<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة: ٢/٢٥٥، ومسلم في صلاة المسافرين، باب ترتيل القراءة برقم: (٧٢٢): ١/٥٦٥، والمصنف في شرح السنة: ٢٣/٤.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) أخرجه محمد بن نصر المروزي في «قيام الليل» ص: (١١٦) مختصر المقرئ. وأخرجه أيضاً العسكري في «المواعظ» موقوفاً عن علي رضي الله عنه. انظر: الدر المنثور: ٨/٣١٤. وذكره ابن كثير عن البغوي.

(٤) ساقط من «ب».

(٥) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب ما تجزئ الأُمِّي والأعجمي من القراءة: ١/٣٩٥، والإمام أحمد: ٥/٣٣٨.

(٦) أخرجه الترمذي في الصلاة، باب ما جاء في القراءة بالليل: ٢/٥٢٩ قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب من هذا

## إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾

ورواه أبو ذر، قال: قام النبي ﷺ ليلة حتى أصبح بآية [من القرآن] <sup>(١)</sup>، والآية: «إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (المائدة - ١١٨) <sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: شديداً. قال الحسن: إن الرجل لهذه السورة ولكن العمل بها ثقیل.

وقال قتادة: ثقیل والله فرائضه وحدوده. وقال مقاتل: ثقیل لما فيه من الأمر والنهي والحدود.

وقال أبو العالية: ثقیل بالوعد والوعيد والحلال والحرام. وقال محمد بن كعب: ثقیل على المنافقين.

وقال الحسين بن الفضل: قولاً خفيفاً على اللسان ثقیلاً في الميزان.

قال الفراء: ثقیل ليس بخفيف السفساف لأنه كلام ربنا <sup>(٣)</sup>.

وقال ابن زيد: هو والله ثقیل مبارك، كما ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة <sup>(٤)</sup>.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن هشام بن عروة عن [أبيه] <sup>(٥)</sup> عن عائشة زوج النبي ﷺ [أن الحارث ابن هشام سأل رسول الله ﷺ] <sup>(٦)</sup> فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني [في] <sup>(٧)</sup> مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول». قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه

الوجه»، والمصنف في شرح السنة: ٢٥/٤ قال الأرناؤوط: «إسناده صحيح ويشهد له الحديث الثاني: (عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم رد هذه الآية حتى أصبح: «إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ». يعني في الصلاة).

(١) زيادة من «أ».

(٢) أخرجه النسائي في سننه: ١٧٧/٢، وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل برقم: (١٣٥٠).

٤٢٩/١، وصححه الحاكم: ٢٤١/١ ووافقه الذهبي، والمصنف في شرح السنة: ٢٦/٤.

(٣) معاني القرآن: ١٩٧/٣.

(٤) ذكر أكثر هذه الأقوال الطبري: ١٢٧/٢٩ - ١٢٨ ثم قال: «وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال: إن الله وصفه

بأنه قول ثقیل، فهو كما وصفه به ثقیل محمله، ثقیل العمل بحدوده وفرائضه.

(٥) ساقط من «ب».

(٦) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٧) زيادة من «أ».

## إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴿٦﴾

الوحي في اليوم الشاتي الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾، أي: ساعاته كلها، وكل ساعة منه ناشئة، سميت بذلك لأنها تنشأ، أي: تبدو، ومنه: نشأت السحابة إذا بدت، فكل ما حدث بالليل وبدا فقد نشأ فهو ناشئ، والجمع ناشئة.

وقال ابن أبي مليكة: سألت ابن عباس وابن الزبير عنها، فقالوا: الليل كله ناشئة<sup>(٢)</sup>.

وقال سعيد بن جبير وابن زيد: أي: ساعة قام من الليل فقد نشأ وهو بلسان الحبش [القيام، يقال]<sup>(٣)</sup>: نشأ فلان أي: قام<sup>(٤)</sup>.

وقالت عائشة: الناشئة القيام بعد النوم.

وقال ابن كيسان: هي القيام من آخر الليل.

وقال عكرمة: هي القيام من أول الليل.

روي عن علي بن الحسين أنه كان يصلي بين المغرب والعشاء، ويقول: هذه ناشئة الليل.

وقال الحسن: كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهي ناشئة من الليل.

وقال الأزهري: «ناشئة الليل»: قيام الليل، مصدر جاء على فاعلة كالعافية بمعنى العفو.

﴿هي أشدُّ وطأً﴾، قرأ ابن عامر، [وأبو عمرو]<sup>(٥)</sup>: وطاء بكسر الواو ممدوداً بمعنى المواطأة والموافقة، يقال: واطأت فلاناً مواطأة ووطأ، إذا وافقته، وذلك أن مواطأة القلب والسمع والبصر واللسان، بالليل تكون أكثر مما يكون بالنهار.

وقرأ الآخرون: [ووطأً]<sup>(٦)</sup> بفتح الواو وسكون الطاء، أي: أشد على المصلي وأثقل من صلاة

النهار، لأن الليل للنوم والراحة، ومنه قوله ﷺ: «اللهم اشدد وطاتك على مضر»<sup>(٧)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في بدء الوحي: ١٨/١، ومسلم في الفضائل، باب عرق النبي صلى الله عليه وسلم في البرد وحين يأتيه الوحي برقم: (٢٣٣٣): ١٨١٦/٤ - ١٨١٧، والمصنف في شرح السنة: ٣٢١/١٣ - ٣٢٢.

(٢) أخرجه الطبري: ١٢٨/٢٩.

(٣) ساقط من «أ».

(٤) زيادة من «أ».

(٥) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الدعوات، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة: ١٩٣/١١ - ١٩٤، ومسلم =



## إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾

وقال ابن عباس: كانت صلاتهم أول الليل هي أشد وطأً، يقول هي أجدر أن تحسبوا ما فرض الله عليكم من القيام، وذلك أن الإنسان إذا نام لم يدر متى يستيقظ <sup>(١)</sup>

وقال قتادة: أثبت في الخير وأحفظ للقراءة <sup>(٢)</sup>.

وقال الفراء: أثبت قياماً <sup>(٣)</sup>، أي: أوطأ للقيام وأسهل للمصلي من ساعات النهار، لأن النهار خلق لتصرف العباد، والليل للخلوة فالعبادة فيه أسهل. وقيل: أشد نشاطاً.

وقال ابن زيد: أفرغ له قلباً من النهار لأنه لا تعرض له حوائج <sup>(٤)</sup>.

وقال الحسن: أشد وطأً للخير وأمنع من الشيطان.

﴿وَأَقُومَ قِيلاً﴾، وأصواب قراءة وأصح قولاً لهدأة الناس وسكون الأصوات.

وقال الكلبي: أيين قولاً/بالقرآن.

ب/١٧٧

وفي الجملة: عبادة الليل أشد نشاطاً وأتم إخلاصاً وأكثر بركة وأبلغ في الثواب [من عبادة النهار] <sup>(٥)</sup>.

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾، أي: تصرفاً وتقلباً وإقبالاً وإدباراً في حوائجك وأشغالك، وأصل «السبح»: سرعة الذهاب، ومنه السباحة في الماء، وقيل: «سبحاً طويلاً»: أي: فراغاً وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك فصل من الليل.

وقرأ يحيى بن يعمر «سبحاً» بالخاء المجمة أي: استراحة وتخفيفاً للبدن، ومنه قول النبي ﷺ لعائشة، وقد دعت على سارق: «لا تُسَبِّخي عنه بدعائك عليه» <sup>(٦)</sup>، [أي: لا تخففي] <sup>(٧)</sup>

في المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة برقم: (٦٧٥) ٤٦٦/١ - ٤٦٧.

وساقه المصنف في شرح السنة: ١٥٢/٥.

(١) أخرجه الطبري: ١٣٠/٢٩.

(٢) أخرجه الطبري: ١٢٩/٢٩.

(٣) معاني القرآن للفراء: ١٩٧/٣.

(٤) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(٥) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب الدعاء: ١٤٥/٢، والمصنف في شرح السنة: ١٥٤/٥ قال الأرناؤوط: «وحبيب بن أبي

ثابت كثير التدليس، وقد عنعن وبقيه رجاله ثقات».

(٦) زيادة من «أ».

وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ  
وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذُرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ  
أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا  
أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾

﴿واذكر اسم ربك﴾، بالتوحيد والتعظيم، ﴿وتبتل إليه تبتيلًا﴾، قال ابن عباس وعمره: أخلص إليه إخلاصاً . وقال الحسن: اجتهد . وقال ابن زيد: تفرغ لعبادته . قال سفيان: توكل عليه توكلأ . وقيل: انقطع إليه في العبادة انقطاعاً، وهو الأصل في الباب، يقال: تبتلت الشيء أي: قطعت صدقة بته: أي: مقطوعة عن صاحبها لا سبيل له عليها، والتبتيل: [التقطيع] <sup>(١)</sup> تفعليل، منه يقال: بتلته فتبتل، والمعنى: بتل نفسك إليه، ولذلك قال: تبتيلاً . قال زيد بن أسلم: التبتل رفض الدنيا وما فيها، والتماس ما عند الله تعالى .

﴿ربُّ المشرق والمغرب﴾، قرأ أهل الحجاز، وأبو عمرو، وحفص: «ربُّ» برفع الباء على الابتداء، وقرأ الآخرون بالجر على نعت الرب في قوله: «واذكر اسم ربك». ﴿لا إله إلا هو فاتَّخِذْهُ وكيلاً﴾، قيماً بأمورك ففوضها إليه .

﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً﴾، نسختها آية القتال <sup>(\*)</sup> .

﴿وذري والمكذبين أولي النعمة ومهملهم قليلاً﴾، نزلت في صناديد قريش المستهزئين . وقال مقاتل بن حيان: نزلت في المطعمين: بيدر ولم يكن إلا يسير حتى قتلوا بيدر <sup>(٢)</sup> .

﴿إنَّ لدينا﴾، عندنا في الآخرة، ﴿أنكالا﴾، قيوداً عظماً لا تنفك أبداً واحدها نكل . قال الكلبي: أغلالاً من حديد، ﴿وجحيماً﴾ .

﴿وطعاماً ذا غُصَّةٍ﴾، غير سائغة تأخذ بالخلق لا ينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضرع . ﴿وعذاباً أليماً﴾ .

﴿يومَ ترجفُ الأرضُ والجبالُ﴾، أي: تتزلزل وتحرك، ﴿وكانتِ الجبالُ كثيباً مهيلاً﴾،

(\*) راجع فيما سبق: ٣٢/٣ تعليق (١) .

(١) زيادة من «أ» .

(٢) تقدم بيان ذلك في سورة الأنفال .

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلَاثُهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَّنْ نُحْصِيَهُ فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾  
 رملاً سائلاً . قال الكلبي: هو الرمل الذي إذا أخذت منه شيئاً تبعك ما بعده، يقال أهلت الرمل أهيله هيلاً إذا حركت أسفله حتى انهال من أعلاه .

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ .

﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾، شديداً ثقيلاً، يعني عاقبناه عقوبة غليظة يخوف كفار مكة .

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ﴾، أي: كيف لكم بالتقوى يوم القيامة إذ كفرتم في الدنيا يعني لا سبيل لكم إلى التقوى إذا وافيتهم يوم القيامة؟ وقيل: معناه كيف تتقون العذاب يوم القيامة وبأي شيء تحصنون منه إذا كفرتم؟ ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾، شمطاً من هوله وشدته، ذلك حين يقال لآدم قم فابعث بعث النار من ذريتك .

ثم وصف هول ذلك اليوم فقال: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾، متشقق لنزول الملائكة به أي: بذلك المكان . وقيل: الهاء ترجع إلى الرب أي: بأمره وهيبته، ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾، كائناً .

﴿إِنَّ هَذِهِ﴾، أي: آيات القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ﴾، تذكير وموعظة، ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾، بالإيمان والطاعة .

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾، أقل من، ﴿ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلَاثُهُ﴾، قرأ أهل مكة والكوفة: «نِصْفَهُ وَثُلَاثُهُ» بنصب الفاء والثاء وإشباع الهاءين ضمّاً، أي: وتقوم نصفه وثلثه وقرأ الآخرون بجر الفاء والثاء وإشباع الهاءين كسراً، عطفاً على ثلثي، ﴿وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾، يعني المؤمنين وكانوا يقومون معه، ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾، قال عطاء: يريد لا يفوته علم ما تفعلون، إي أنه يعلم مقادير الليل والنهار فيعلم القدر الذي تقومون من الليل، ﴿عَلِمَ أَنْ لَّنْ نُحْصِيَهُ﴾،

فَاقْرَءْ وَامَّا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى ۚ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ

قال الحسن: قاموا حتى انتفخت أقدامهم، فنزل: «علم أن لن تحصوه»، لن تطبقوا معرفة ذلك . وقال مقاتل: كان الرجل يصلي الليل كله، مخافة أن لا يصيب ما أمر به من القيام، فقال: علم أن لن تحصوه لن تطبقوا معرفة ذلك . ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾، فعاد عليكم بالعمو والتخفيف، ﴿فَاقْرَءُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾، يعني في الصلاة، قال الحسن: يعني في صلاة المغرب والعشاء .

قال قيس بن أبي حازم: صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ في أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة، [ثم قام في الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة]<sup>(١)</sup>، ثم ركع، فلما انصرف أقبل علينا فقال: إن الله عز وجل يقول: فاقْرَءُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ<sup>(٢)</sup> .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا عثمان بن أبي صالح، حدثنا ابن لهيعة، حدثني حميد بن مخراق، عن أنس ابن مالك أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ خمسين آية في يوم أو في ليلة لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة، ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الأجر»<sup>(٣)</sup> .

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثني القاسم بن زكريا، حدثنا عبيد الله ابن موسى عن شيبان، عن يحيى [بن كثير]<sup>(٤)</sup> عن محمد [عبد الله]<sup>(٥)</sup> بن عبد الرحمن مولى بني زهرة عن أبي سلمة عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ القرآن في كل شهر»، قال قلت: إني أجد قوة، قال: «فاقرأه في كل»<sup>(٦)</sup> عشرين ليلة، قال قلت: إني أجد قوة، قال: «فاقرأه في كل سبع ولا تزد على ذلك»<sup>(٧)</sup> .

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

(٢) في «ب» من القرآن .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٣٢٣/٨ للدارقطني والبيهقي في السنن وقد حسناه .  
(٤) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة بروايات وألفاظ متقاربة برقم: (٦٩٨ - ٧٠٠) من: (٣٢٦ - ٣٢٧) وفيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف، قال الحافظ ابن حجر: سنده ضعيف، روي لنا بعضه من وجه آخر بسند صحيح ثم أخرجه من حديث تميم الداري .

انظر: الفتوحات الربانية: ٢٧٥/٣ - ٢٧٦، الترغيب والترهيب: ٤٤٧/٢، مجمع الزوائد: ٢٦٧/٢ .

(٤) زيادة من «أ» .

(٥) ساقط من «ب» .

(٦) أخرجه مسلم في الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به برقم: (١١٥٩): ٨١٢/٢، والبخاري في فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن: ٩٥/٩ إلا قوله: (قال: فاقْرَءْهُ في كل عشرين ليلة، قلت: إني لأجد قوة) .

يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۖ وَآخَرُونَ يُقْنِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَأَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ

قوله عز وجل: ﴿عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾، يعني المسافرين للتجارة يطلبون من رزق الله، ﴿وَآخَرُونَ يقاتلون في سبيل الله﴾، لا يطبقون قيام الليل .

روى إبراهيم عن ابن مسعود قال: أما رجل جلب شيئاً إلى مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء، ثم قرأ عبد الله: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [يعني المسافرين للتجارة يطلبون رزق الله] <sup>(١)</sup>، «وَآخَرُونَ/يقاتلون في سبيل الله» <sup>(٢)</sup> .

١/١٧٨

﴿فأقروا ما تيسر منه﴾، أي [ما تيسر عليكم] <sup>(٣)</sup> من القرآن . [قال أهل التفسير] <sup>(٤)</sup> كان هذا في صدر الإسلام ثم نسخ بالصلوات الخمس، وذلك قوله: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾، قال ابن عباس: يريد ما سوى الزكاة من صلة الرحم، وقرى الضيف . ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً﴾، تجدوا ثوابه في الآخرة أفضل مما أعطيتكم، ﴿وأعظم أجراً﴾، من الذي أخرتم، ولم تقدموه، ونصب «خيراً وأعظم» على المفعول الثاني، فإن الوجود إذا كان بمعنى الرؤية يتعدى إلى مفعولين، وهو فصل في قول البصريين، وعماد في قول الكوفيين، لا محل له في الإعراب .

أخبرنا أبو القاسم يحيى بن علي الكشميني، أخبرنا أبو نصر أحمد بن علي البخاري بالكوفة، أخبرنا أبو القاسم نصر بن أحمد الفقيه بالموصل، حدثنا أبو يعلى الموصلي، حدثنا أبو خيثمة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن الحارث بن سويد قال: قال عبد الله : قال رسول الله ﷺ «أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه؟» قالوا: يا رسول الله ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه . قال: «اعلموا ما تقولون» قالوا: ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله، قال : «ما منكم

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب» .

(٢) عزاه ابن حجر في الكافي الشاف ص: (١٧٩) للثعلبي من رواية فرقد السبخي عن إبراهيم عن ابن مسعود موقوفاً . وفرقد ضعيف .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٢٢٣/٨ لابن مردويه .

(٣) ساقط من «ب» .

هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

رجل إلا مال وارثه أحب إليه من ماله»، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قل<sup>(١)</sup>: «إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر»<sup>(٢)</sup>.

﴿واستغفروا الله﴾، لذنوبكم، ﴿إن الله غفور رحيم﴾.

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق، باب ما قدم من ماله فهو له : ٢٦٠/١١، والمصنف في شرح السنة: ٢٥٩/١٤ - ٢٦٠.



المائدة





## سُورَةُ الْمَدَّثَرِ

مكية (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### يَا أَيُّهَا الْمَدَّثَرُ ١

[يا أيها المدثر] (١)، أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة [بن] (٢) عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن؟ قال: «يا أيها المدثر»، قلت: يقولون: «اقرأ باسم ربك الذي خلق» (العلق - ١)؟ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله عن ذلك، فقلت له مثل الذي قلت، فقال جابر: لا أحدثك إلا بما حدثنا به رسول الله ﷺ، قال: «جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت، فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً، فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبوا علي ماء بارداً، [قال] (٣): فدثروني وصبوا علي ماء بارداً، قال فنزلت: «يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر» (٤).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث، عن عقيل قال ابن شهاب: سمعت أبا

(١) أخرج ابن الضريس وابن مردويه والنحاس والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة المدثر بمكة . انظر: الدر المنثور: ٣٢٤/٨ .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) ساقط من «أ» .

(٤) زيادة من «ب» .

(٥) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة المدثر: ٦٧٦/٨ - ٦٧٧، ومسلم في الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرم: (١٦١): ١٤٤/١ .

## قُرْآنِذِرٌ ۚ وَرَبِّكَ فَكْبِرٌ ۚ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۚ

سلمة قال: أخبرني جابر بن عبد الله : أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي: «فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فخشيت حتى هويت على الأرض، فجئت أهلي فقلت: زملوني زملوني [فزملوني]<sup>(١)</sup>»، فأنزل الله تعالى: «يا أيها المدثر قم فأنذر»، إلى قوله: «فاهجر» قال أبو سلمة: والرجز الأوثان، ثم حمي الوحي وتابع<sup>(٢)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ \* قُمْ فَأَنْذِرْ﴾، أي: أنذر كفار مكة .

﴿وَرَبِّكَ فَكْبِرْ﴾، عظمه عما يقوله عبدة الأوثان .

﴿وِثْيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، قال قتادة ومجاهد: نفسك فطهر [عن الذنب]<sup>(٣)</sup>، فكفى عن النفس بالثوب، وهو قول إبراهيم والضحاك والشعبي والزهري . وقال عكرمة: سئل ابن عباس عن قوله: «وِثْيَابَكَ فَطَهِّرْ»، فقال: لا تلبسها على معصية ولا على غدر، ثم قال: أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي:

وإني بحمد الله لا ثوب فاجر ليست ولا من غدره أتقنع<sup>(٤)</sup>

والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء: إنه طاهر الثياب، وتقول لمن غدر: إنه لدنس الثياب . وقال أبي بن كعب: لا تلبسها على غدر ولا على ظلم ولا إثم، البسها وأنت بر [جواد]<sup>(٥)</sup> طاهر .

وروى أبو روق عن الضحاك معناه: وعملك فأصلح .

قال السدي: يقال للرجل إذا كان صالحاً: إنه لطاهر الثياب، وإذا كان فاجراً إنه لحيث

الثياب .

(١) زيادة من «ب» .

(٢) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة المدثر، باب (وِثْيَابَكَ فَطَهِّرْ): ٦٧٨/٨ - ٦٧٩، ومسلم في الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم برقم: (١٦١): ١٤٣/١ .

(٣) في «ب» من الذنوب .

(٤) أخرجه الطبري: ١٤٥/٢٩ .

وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٣٢٦/٨ عزوه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأثير في الوقف والابتداء وابن مردويه .

(٥) زيادة من «أ» .

## وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾

وقال سعيد بن جبیر: وقلبك ونيتك فطهر . وقال الحسن والقرظي: وخلقك فحسن .  
وقال ابن سيرين وابن زيد: أمر بتطهير الثياب من النجاسات التي لا تجوز الصلاة معها،  
وذلك أن المشركين [كانوا] <sup>(١)</sup> لا يتطهرون ولا يطهرون ثيابهم <sup>(٢)</sup> .

وقال طاووس: وثيابك فقصر لأن تقصير الثياب طهرة لها .

﴿وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ﴾، قرأ أبو جعفر، وحفص [عن عاصم] <sup>(٣)</sup> ويعقوب: «وَالرَّجْزَ» بضم الراء،  
وقرأ الآخرون بكسرهما وهما لغتان ومعناها واحد . قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة، والزهري، وابن  
زيد، وأبو سلمة: المراد بالرجز الأوثان، قال: فاهجرها ولا تقربها .  
وقيل: الزاي فيه منقلبة عن السين، والعرب تعاقب بين السين والزاي لقرب مخرجهما، ودليل  
هذا التأويل قوله: «فاجتنبوا الرجس من الأوثان» ( الحج - ٣٠ ) .

وروي عن ابن عباس أن معناه: اترك المآثم .

وقال أبو العالية والربيع: «الرَّجْزَ» بضم الراء: الصنم، وبالكسر: النجاسة والمعصية .

وقال الضحاك: يعني الشرك . وقال الكلبي: يعني العذاب .

ومجاز الآية: اهجر ما أوجب لك العذاب من الأعمال .

﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾، أي: لا تعط مالك مصانعةً لتعطى أكثر منه، هذا قول أكثر المفسرين،  
قال الضحاك ومجاهد: كان هذا للنبي ﷺ خاصة . قال الضحاك: هما رباوان حلال وحرام، فأما  
الحلال فالهدايا، وأما الحرام فالربا . قال قتادة: لا تعط شيئاً طمعاً لمجازاة الدنيا، يعني أعط لربك  
وأرد به الله . وقال الحسن: معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكثره، قال الربيع: لا تكثرن عملك  
في عينك فإنه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل . وروي خصيف عن مجاهد: ولا تضعف أن  
تستكثر من الخير، من قولهم: جبل متين إذا كان ضعيفاً، دليله: قراءة ابن مسعود: «ولا  
تمنن أن تستكثر»، قال [ابن] <sup>(٣)</sup> زيد معناه: لا تمنن بالنبوة على الناس فتأخذ عليها أجراً

(١) زيادة من «ب» .

(٢) قال ابن جرير: ١٤٧/٢٩ بعد أن ذكر هذا القول وأقوالاً أخرى: «وهذا القول الذي قاله ابن سيرين وابن زيد في ذلك  
أظهر معانيه» .

(٣) ساقط من «أ» .

وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ  
غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾

أو عرضاً من الدنيا<sup>(١)</sup>.

ب/١٧٨

[ ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ ] قيل: فاصبر على طاعته وأوامره ونواهيه لأجل ثواب الله . قال مجاهد: فاصبر لله على ما أوديت . وقال ابن زيد: <sup>(٢)</sup> معناه حملت أمراً عظيماً محاربة العرب والعجم فاصبر عليه لله عز وجل . وقيل: فاصبر تحت موارد القضاء لأجل الله .

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾، أي: نفخ في الصور، وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل، يعني النفخة الثانية .

﴿فَذَلِكَ﴾، يعني النفخ في الصور، ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾، يعني يوم القيامة، ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾، شديد .

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، يعسر فيه الأمر عليهم، ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾، غير هين .

قوله عز وجل: ﴿ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾، أي: خلقتني في بطن أمه وحيداً فريداً لا مال له ولا ولد . نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي، كان يسمى الوحيد في قومه<sup>(٣)</sup>

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾، أي: كثيراً . قيل: هو ما يمد بالتماء كالزرع والضرع والتجارة . واختلفوا في مبلغه، قال مجاهد وسعيد بن جبير: ألف دينار . وقال قتادة: أربعة آلاف دينار . وقال سفيان الثوري: ألف ألف [دينار]<sup>(٤)</sup> . وقال ابن عباس: تسعة آلاف مثقال فضة . وقال مقاتل: كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاءً ولا صيفاً . وقال عطاء عن ابن عباس: كان له بين مكة والطائف إبل وخيل ونعم [وغنم]<sup>(٤)</sup>، وكان له غير كثيرة وعبيد وجوار . وقيل: مالا ممدوداً غلة شهر بشهر .

(١) أخرج أكثر هذه الأقوال الطبري: ١٤٨/٢٩ - ١٥٠ ثم قال مرجحاً: «وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك قول من قال: معنى ذلك: ولا تمن على ربك من أن تستكثر عملك الصالح . وإنما قلت ذلك أولى بالصواب، لأن ذلك في سياق آيات تقدم فيها أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالجد في الدعاء إليه، والصبر على ما يلقى من الأذى فيه، فهذه بأن تكون من أنواع تلك، أشبه منها بأن تكون من غيرها» .

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٣) أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص: (٥١٣ - ٥١٤) .

وانظر تفسير عبد الرزاق: ٣٢٨/٢، والمستدرک للحاكم: ٥٠٦/٢ - ٥٠٧ .

(٤) زيادة من «ا» .

وَبَيْنَ شُھُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهْدَتْ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا ﴿١٧﴾

﴿وَبَيْنَ شُھُودًا﴾، حضوراً بمكة لا يغيبون عنه وكانوا عشرة، قاله مجاهد وقتادة . وقال مقاتل: كانوا سبعة وهم الوليد بن الوليد، وخالد، وعمار، وهشام، والعاص، وقيس، وعبد شمس، أسلم منهم [ثلاثة] <sup>(١)</sup> خالد وهشام و[عمار] <sup>(٢)</sup> .

﴿وَمَهْدَتْ لَهُ تَمْهِيدًا﴾، أي: بسطت له في العيش وطول العمر بسطاً . وقال الكلبي: يعني المال بعضه على بعض كما يمهّد الفرش .

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ﴾، يرجو، ﴿أَنْ أَزِيدَ﴾، أي أن أزيده مالاً وولداً، وتمهيداً .

﴿كَلَّا﴾، لا أفعل ولا أزيده، قالوا: فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك . ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾، معانداً .

﴿سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا﴾، سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيها .

وروينا عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «الصعود جبل من نار يتصعد فيه [الكافر] <sup>(٣)</sup> سبعين خريفاً، ثم يهوي» <sup>(٤)</sup> .

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، حدثنا عمر ابن الخطاب، حدثنا عبد الله بن الفضل، أخبرنا منجاب بن الحارث، أخبرنا شريك، عن عمار الدهني، عن عطية، عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله: «سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا» قال: «هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده فإذا وضع يده ذابت، [فإذا رفعها عادت فإذا وضع رجله ذابت،

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٢) في «ب» الوليد .

(٣) ساقط من «ب» .

(٤) أخرجه الترمذي في صفة جهنم، باب ما جاء في صفة قعر جهنم: ٢٩٧/٧ - ٢٩٨ وقال: «هذا حديث غريب، لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث ابن لهيعة»، والإمام أحمد: ٧٥/٣، والطبري: ١٥٥/٢٩، والحاكم: ٥٠٧/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي .

قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص: (١٧٩): «الترمذي من طريق ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعاً انتهى . وقد رواه الحاكم والطبري والبيهقي في «الشعب» من رواية عمرو بن الحارث عن دراج . ورواه ابن مردويه من رواية رشدين عن دراج أيضاً» .

## إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾

وإذا رفعها عادت [١] «(٢)» .

وقال الكلبي: «الصعود»: صخرة ملساء في النار يكلف أن يصعدوها، لا يترك أن يتنفس في صعوده، ويجذب من أمامه بسلاسل من حديد، ويضرب من خلفه بمقامع من حديد، فيصعدوها في أربعين عاماً، فإذا بلغ ذروتها أُحدر إلى أسفلها، ثم يكلف أن يصعدوها ويجذب من أمامه ويضرب من خلفه فذلك دأبه أبداً أبداً [٣] .

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾، الآيات، وذلك أن الله تعالى لما أنزل على النبي ﷺ «حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم» إلى قوله: «المصير» (غافر: ١-٣) قام النبي ﷺ في المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته، فلما فطن النبي ﷺ لاستماعه لقراءته [القرآن] [٤] أعاد قراءة الآية، فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم، فقال: [والله] [٥] لقد سمعت من محمد أنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه [لمشمر] [٦]، وإن أسفل له لمغدق، وإنه يعلو وما يُعلَى، ثم انصرف إلى منزله فقالت قريش: [سحره محمد] [٤] [صبأً والله الوليد، والله لتصبون قريش كلهم، وكان يقال للوليد: ريحانة قريش] [٧] فقال لهم أبو جهل: أنا أكفيكموه فانطلق فقعده إلى جنب الوليد حزينا، فقال له الوليد: مالي أراك حزينا يا بن أخي؟ قال: وما يمنعني أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك النفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون أنك زينت كلام محمد وتدخل على ابن أبي كبشة، وابن أبي قحافة، لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد، فقال: ألم تعلم قريش أنني من أكثرهم مالاً وولداً، وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام فيكون

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: ٣٣١/٢ .

وعزه الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص: (١٧٩) للبزار والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب والطبري وابن أبي حاتم . كلهم من طريق شريك بن عمار الدّهني عن عطية عن أبي سعيد مرفوعاً . قال البزار: لأنعمه رفعه إلا شريك، وبه جزم الطبراني . ورواه البزار والبيهقي من رواية ابن عيينة عن عمارة مرفوعاً .

قال الهيثمي في المجمع: ١٣١/٧: «قلت: ورواه أبو داود بغير سياقه - رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عطية وهو ضعيف» .

(٣) زيادة من «ب» .

(٤) ساقط من «ب» .

(٥) زيادة من «أ» .

(٦) في «أ» لمؤثر .

(٧) ساقط من «ب» .

فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾

لهم فضل من الطعام؟ ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه، فقال لهم: تزعمون أن محمداً مجنون، فهل رأيتموه يخنق قط؟ قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن؟ قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط؟ قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب؟ قالوا: لا - وكان رسول الله ﷺ يسمى الأمين قبل النبوة، من صدقه - فقالت قريش للوليد: فما هو؟ فتفكر في نفسه ثم نظر ثم عبس، فقال: ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله ومواليه وولده؟ فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر<sup>(١)</sup>، فذلك قوله عز وجل:

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾، في محمد والقرآن، ﴿وَقَدَّرَ﴾، في نفسه ماذا يمكنه أن يقول في محمد والقرآن.

﴿فَقُتِلَ﴾، لعن، وقال الزهري: عَذَّبَ، ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾، على طريق التعجب والإنكار والتوبيخ.

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾، كرره للتأكيد، وقيل: معناه لعن على أي حال قدر من الكلام، كما يقال لأضربنه كيف صنع أي على أي حال صنع.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾، في طلب ما يدفع به القرآن ويرده.

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾، كَلَحَ وَقَطَبَ وَجْهَهُ وَنَظَرَ بِكَرَاهِيَةٍ شَدِيدَةٍ كَالْمُهْتَمِّ الْمُتَفَكِّرِ فِي شَيْءٍ.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾، عن الإيمان، ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾، تكبر حين دعي إليه.

﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا﴾، ما هذا الذي يقرأه محمد، ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾، يروى ويحكى عن السحرة.

﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾، يعني يساراً وجبراً فهو يَأْثُرُهُ عَنْهُمَا. وقيل: يرويه عن مسيلمة

صاحب الغمامة.

قال الله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ﴾، سأدخله، ﴿سَقَرَ﴾، وسقر اسم من أسماء جهنم.

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص: (٥١٤).

وانظر تفسير عبد الرزاق: ٣٢٨/٢ - ٣٢٩، سيرة ابن هشام: ٢٨٨/١ - ٢٨٩.



﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ﴾ (٢٧) ﴿لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ﴾ (٢٨) ﴿لَوْ أَنَّ لِلْبَشْرِ﴾ (٢٩) ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ (٣٠)

﴿وما أدراك ما سقر﴾ لا تبقي ولا تذر﴾، أي لا تبقي ولا تذر فيها شيئاً إلا أكلته وأهلكته .  
وقال مجاهد: لا تمت ولا تحبي يعني لا تبقي من فيها حياً ولا تذر من فيها ميتاً كلما احترقوا جددوا .  
وقال السدي: لا تبقي لهم لحماً ولا تذر لهم عظماً . وقال الضحاك: إذا أخذت فيهم لم تبق منهم شيئاً  
وإذا أعيدوا لم تذرهم حتى تفنيهم ولكل شيء ملالة وفترة إلا لجهنم .

﴿لَوْ أَنَّ لِلْبَشْرِ﴾، مغيرة للجلد حتى تجعله أسود، يقال: لاحه السقم والحزن إذا غيره،  
وقال مجاهد: تلفح الجلد حتى تدعه أشد سواداً من الليل . وقال ابن عباس وزيد بن أسلم: محرقة للجلد .  
وقال الحسن وابن كيسان: تلوح لهم جهنم حتى يروها عياناً نظيره قوله: «وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ»  
(الشعراء - ٩١)، و﴿لَوْ أَنَّ﴾، رفع على نعت «سقر» في قوله: «وما أدراك ما سقر»، و «الْبَشْرِ»  
جمع بشرة وجمع البشر أ البشر .

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾، [أي: على] (١) النار تسعة عشر من الملائكة، وهم خزنتها: مالك ومعه  
ثمانية عشر . وجاء في الأثر: أعينهم كالبرق الخاطف، وأنبيأهم كالصياصي، يخرج لهب النار من  
أفواههم، ما بين منكبَي أحدهم مسيرة سنة، نزع من الرحمة، يرفع أحدهم سبعين ألف فيرميهم  
حيث أراد من جهنم (٢) .

قال عمرو بن دينار: إن واحداً منهم يدفع بالدفع الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر .

قال ابن عباس، وقتادة، والضحاك: لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم  
أمهاتكم، أسمع ابن أبي كبشة يخبر أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدَّهْم، أي: الشجعان، أفيعجز  
كل عشرة منكم أن ييطشوا بواحد من خزنة جهنم (٣)؟ قال أبو [الأشد] (٤) أسيد بن كلدة بن  
خلف الجمحي: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر، عشرة على ظهري وسبعة على بطني، فاكفوني أنتم  
اثنين .

وروي أنه قال: أنا أمشي بين أيديكم على الصراط فأدفع عشرة بمنكبي الأيمن وتسعة بمنكبي

(١) ساقط من «ب» .

(٢) عزاه صاحب الدر المنثور: ٣٣٣/٨ - ٣٣٤ لابن مردويه .

(٣) أخرجه الطبري: ١٥٩/٢٩ .

وانظر: سيرة ابن هشام: ٣٣٥/١، الدر المنثور: ٣٣٣/٨ .

(٤) في «أ» الأسود والصحيح ما أثبت كما هو في القرطبي والبحر وروح المعاني .

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ  
 أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ  
 فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ  
 وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا أَذْبَرَ ﴿٣٣﴾  
 وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾

الأيسر في النار ونمضي فندخل الجنة . فأنزل الله عز وجل:

﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾، لا رجالاً آدميين، فمن ذا يغلب الملائكة؟،  
 ﴿وما جعلنا عدتهم﴾، أي عددهم في القلة، ﴿إلا فتنة للذين كفروا﴾، أي ضلالة لهم حتى قالوا  
 ما قالوا، ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾، لأنه مكتوب في التوراة والإنجيل أنهم تسعة عشر،  
 ﴿ويزداد الذين آمنوا إيماناً﴾، يعني من آمن من أهل الكتاب يزدادون تصديقاً بمحمد ﷺ إذا  
 وجدوا ما قاله موافقاً لما في كتبهم، ﴿ولا يرتاب﴾، ولا يشك، ﴿الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾،  
 في عددهم، ﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض﴾، شك ونفاق، ﴿والكافرون﴾، [مشركو  
 مكة] <sup>(١)</sup>، ﴿ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾، أي شيء أراد بهذا الحديث ؟ وأراد بالمثل الحديث  
 نفسه . ﴿كذلك﴾، أي كما أضل الله من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدق كذلك، ﴿يضل الله  
 من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾، قال مقاتل: هذا جواب أبي جهل حين قال: أما  
 لحمد أعوان إلا تسعة عشر؟ قال عطاء: وما يعلم جنود ربك إلا هو يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب  
 أهل النار، لا يعلم عدتهم إلا الله ، والمعنى إن تسعة عشر هم خزنة النار، ولهم من الأعوان والجنود  
 من الملائكة ما لا يعلم إلا الله عز وجل، ثم رجع إلى ذكر سقر فقال: ﴿وما هي﴾، يعني  
 [سقر] <sup>(٢)</sup>، ﴿إلا ذكرى للبشر﴾، إلا تذكرة وموعظة للناس .

﴿كلاً والقمر﴾، هذا قسم، يقول: حقاً .

﴿والقمر \* والليل إذ أدبر﴾، قرأ نافع وحمة وخفص ويعقوب «إذ» بغير ألف، «أدبر» بالألف،  
 وقرأ الآخرون «إذا» بالألف، «دبر» بلا ألف، لأنه أشد موافقة لما يليه، وهو قوله: ﴿والصبح إذا

(١) ساقط من «ب» .

(٢) في «ب» النار .

إِنِّهَا لِأَحَدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرَ الْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾

أسفر، ولأنه ليس في القرآن قسم بجانبه إذ وإنما بجانب الإقسام إذا [، ودبر وأدبر] <sup>(١)</sup> كلاهما لغة، يقال: دبر الليل وأدبر إذا ولي ذاهباً . قال أبو عمرو: دبر لغة قريش، وقال قطرب: دبر أي أقبل، تقول العرب: دبرني فلان أي جاء خلفي، فالليل يأتي خلف النهار .

﴿والصبح إذا أسفر﴾، أضاء وتبين .

﴿إِنِّهَا لِأَحَدَى الْكُبَرِ﴾، يعني أن سقر لإحدى الأمور العظام، وواحد الكبر : كبري، قال مقاتل والكلبي: أراد بالكبر: دركات جهنم، وهي سبعة: جهنم، ولظى، والحطمة، والسعير، وسقر، والجحيم، والهاوية .

﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾، يعني النار نذيراً للبشر، قال الحسن: والله ما أنذر الله بشيء أدهى منها . وهو نصب على القطع من قوله: ﴿لِأَحَدَى الْكُبَرِ﴾ لأنها معروفة، و﴿نَذِيرًا﴾ نكرة، قال الخليل: النذير مصدر كالنكير، ولذلك وصف به المؤنث، وقيل: هو من صفة الله سبحانه وتعالى، مجازة: وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة نذيراً للبشر أي إنذاراً لهم. قال أبو رزين يقول أنا لكم منها نذير، فاتقوها. وقيل: هو صفة محمد ﷺ معناه: يا أيها المدثر قم نذيراً للبشر، [فأنذر] <sup>(٢)</sup>، وهذا معنى قول ابن زيد .

﴿لِمَنْ شَاءَ﴾، بدل من قوله «للبشر» ﴿مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ﴾، في الخير والطاعة، ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾، عنها في الشر والمعصية، والمعنى: أن الإنذار قد حصل لكل واحدٍ ممن آمن أو كفر .

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾، مرتبنة في النار بكسبها مأخوذة بعملها .

﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾، فإنهم لا يرتنون بذنوبهم في النار ولكن يغفرها الله لهم. قال قتادة: علق الناس كلهم إلا أصحاب اليمين . واختلفوا فيهم: روي عن علي رضي الله عنه أنهم أطفال المسلمين .

وروي أبو ظبيان عن ابن عباس: هم الملائكة .

(١) ساقط من «ب» .

(٢) زيادة من «أ» .

فِي جَنَّتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَفْعَلُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾

وقال مقاتل: هم أصحاب الجنة الذين كانوا على يمين آدم يوم الميثاق، حين قال الله لهم: هؤلاء في الجنة ولا أبالي. وعنه أيضاً: هم الذين أعطوا كتبهم بأيمانهم، وعنه أيضاً: هم الذين كانوا يماين على أنفسهم.

وقال الحسن: هم المسلمون المخلصون. وقال [القاسم]<sup>(١)</sup>: كل نفس مأخوذة بكسبها من خير أو شر إلا من اعتمد على الفضل، وكل من اعتمد على الكسب فهو رهين به، ومن اعتمد على الفضل فهو غير مأخوذ به.

﴿فِي جَنَّتٍ يَتَسَاءَلُونَ \* عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾، المشركين.

﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾، أدخلكم، ﴿فِي سَقَرٍ﴾، فأجابوا.

﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ﴾، [الله]<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ \* وَكُنَّا نَخُوضُ﴾، في الباطل، ﴿مَعَ الْخَائِضِينَ \* وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ \* حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾، وهو الموت.

قال الله عز وجل: ﴿فَمَا تَفْعَلُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾، قال ابن مسعود: تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين، فلا يبقى في النار إلا أربعة، ثم تلا: «قالوا لم نك من المصلين» إلى قوله: ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾<sup>(٣)</sup>، قال عمران بن الحصين: الشفاعة نافعة لكل واحد دون هؤلاء الذين تسمعون.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى /، أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد ١٧٩/ب الطوسي، حدثنا محمد بن حماد، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ يصف أهل النار فيعذبون قال: «فيمر فيهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل

(١) في دأه أبو القاسم.

(٢) زيادة من دأه.

(٣) أخرجه الطبري: ١٦٧/٢٩.

فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَفَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةٌ ﴿٥٢﴾

منهم يا فلان قال فيقول: ما تريد فيقول: أما تذكر رجلاً سقاك شربة يوم كذا وكذا؟ قال فيقول: وإنك لأنت هو؟ فيقول: نعم، فيشفع له فيشفع فيه. قال: ثم يمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول: يا فلان، فيقول: ما تريد؟ فيقول: أما تذكر رجلاً وهب لك وضوءاً يوم كذا وكذا؟ فيقول: إنك لأنت هو؟ فيقول: نعم فيشفع له فيشفع فيه<sup>(١)</sup>.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ﴾، مواعظ القرآن معرضين نصب على الحال، وقيل صاروا معرضين .

﴿كَانَتْهُمْ حُمْرٌ﴾، جمع حمار، ﴿مُسْتَنْفِرَةٌ﴾، قرأ أهل المدينة والشام بفتح الفاء، وقرأ الباقون بكسرهما، فمن قرأ بالفتح فمعناها منفرة مذعورة، ومن قرأ بالكسر فمعناها نافرة، يقال: نفر واستنفر بمعنى واحد، كما يقال عجب واستعجب .

﴿فَفَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾، قال مجاهد وقتادة والضحاك: «القسورة»: الرماة، لا واحد لها من لفظها، وهي رواية عطاء عن ابن عباس. وقال سعيد بن جبیر: هم القناص وهي رواية عطية عن ابن عباس. وقال زيد بن أسلم: [هم]<sup>(٢)</sup> رجال أقوياء، وكل ضخم شديد عند العرب: قسور وقسورة . وعن أبي المتوكل قال: هي لغط القوم وأصواتهم . وروى عكرمة عن ابن عباس قال: هي حبال الصيادين .

وقال أبو هريرة: هي الأسد، وهو قول عطاء والكلبي، وذلك أن الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت، كذلك هؤلاء المشركين إذا سمعوا النبي ﷺ يقرأ القرآن هربوا منه .

قال عكرمة: هي ظلمة الليل، ويقال لسواد أول الليل قسورة .

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾، قال المفسرون: إن كفار قريش قالوا

(١) أخرجه ابن ماجه في الأدب، باب فضل صدقة الماء برقم: (٣٦٨٥): ١٢١٥/٢ . قال في الزوائد: فيه يزيد بن أبان الرقاشي وهو ضعيف .

وعزه المنذري في الترغيب والترهيب: ٧٠/٢ أيضاً للأصبهاني .

وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني برقم: (٩٣) .

(٢) في «ب» من .

كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٥﴾  
وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

لرسول الله ﷺ: ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله أنك لرسوله تؤمر فيه باتباعك<sup>(١)</sup>.

قال الكلبي: إن المشركين قالوا: يا محمد بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح مكتوباً عند رأسه ذنبه وكفارته، فَأَتَيْنَا بِمَثَلِ ذَلِكَ، و«الصحف»: الكتب، وهي جمع الصحيفة، و«منشورة»: منشورة.

فقال الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾، لا يؤتون الصحف. وقيل: حقاً، وكل ما ورد عليك منه فهذا وجهه، ﴿أَهْلُ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾، أي لا يخافون عذاب الآخرة، والمعنى أنهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الأدلة.

﴿كَلَّا﴾، حقاً، ﴿إِنَّهُ﴾، يعني القرآن، ﴿تَذَكُّرٌ﴾، موعظة.

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾، اتعظ به.

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾، قرأ نافع ويعقوب [تذكرون]<sup>(٢)</sup> بالتاء والآخرين بالياء، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، قال مقاتل: إلا أن يشاء الله لهم الهدى. ﴿هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾، أي أهل أن تتقى محارمه وأهل أن يغفر لمن اتقاه.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عمر ابن الخطاب، حدثنا عبد الله بن الفضل، حدثنا هذبة بن خالد، حدثنا سهيل بن أبي حزم، عن ثابت، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال في هذه الآية: ﴿هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾، قال: قال ربكم عز وجل: «أنا أهل أن أتقى ولا يشرك بي غيري، وأنا أهل لمن اتقى أن يشرك بي أن أغفر

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٣٤٠/٨ لعبد بن حميد وابن المنذر.

وانظر: الطبري: ١٧١/٢٩.

(٢) زيادة من «ب».

له»<sup>(١)</sup>، وسهيل هو ابن عبد الرحمن القطعي، أخو حزم القطعي<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي في التفسير - تفسير سورة المدثر - ٢٤٧/٩ - ٢٤٨ وقال: «هذا حديث حسن غريب، وسهيل ليس بالقوي في الحديث وقد تفرد سهيل بهذا الحديث عن ثابت» والنسائي في التفسير: ٤٧٥/٢، وابن ماجه في الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة برقم: (٤٢٩٩): ١٤٣٧/٢، والدارمي في الرقائق، باب في تقوى الله: ٣٠٢/٢، وأبو يعلى في المسند: ٣٤٠/٣، والإمام أحمد: ١٤٢/٣، وصححه الحاكم في المستدرک: ٥٠٨/٢، ورواه الخطيب في تاريخ بغداد: ٥٢/٥. وفيه سهيل القطعي، قال الحافظ في التقریب: ضعيف من السابعة.

(٢) وفي نسخة «ب» القطعي وفي «أ» القطعي وهو الصحيح.

واسمه سهيل بن مهران أخو حزم القطعي ويقال عبد الله القطعي أبو بكر البصري روى عن ثابت وعنه هدية بن خالد. انظر: تهذيب التهذيب: ٢٦١/٤، ميزان الاعتدال: ٢٤٤/٢، الضعفاء والمتروكين للنسائي، المجروحين: ٣٥٣/١، المجرح والتعديل: ٢٤٧/٤.

# سورة القیامة





## سُورَةُ الْقِيَامَةِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۖ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ۖ

﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، قرأ القواس عن ابن كثير: «لَا أَقْسِمُ» الحرف الأول بلا ألف قبل الهمزة .

﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾، بالألف، وكذلك قرأ عبد الرحمن الأعرج، على معنى أنه أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس [اللوامة]<sup>(٢)</sup>، والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً و «لَا» صلة فيهما أي أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة .

وقال أبو بكر بن عياش: هو تأكيد للقسم كقولك: لا والله.

وقال الفراء: «لَا» ردُّ لكلام المشركين المنكرين، ثم ابتداء فقال: أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة<sup>(٣)</sup> .

وقال المغيرة بن شعبة: يقولون: القيامة، وقيامه أحدهم موته. وشهد علقمة جنازة فلما دفنت قال: أما هذا فقد قامت قيامته .

﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ قال سعيد بن جبير وعكرمة: تلوم على الخير والشر، ولا تصبر على السراء والضراء.

وقال قتادة: اللوامة: الفاجرة.

(١) أخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» من طرق عن ابن عباس قال: نزلت سورة القيامة، وفي لفظ: نزلت «لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ»، بمكة .

(٢) وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير قال: نزلت سورة «لَا أَقْسِمُ» بمكة. انظر: الدر المنثور: ٣٤٢/٨. ساقط من «أ».

(٣) راجع: معاني القرآن للفراء: ٢٠٧/٣ .

## أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٢﴾ بَلَىٰ قَدَرِينٌ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ ﴿٤﴾

وقال مجاهد: تندم على ما فات وتقول: لو فعلت، ولو لم أفعل .

قال الفراء: ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها، إن كانت عملت خيراً قالت: هلا ازددت، وإن عملت شراً قالت: ياليتني لم أفعل<sup>(١)</sup> . قال الحسن: هي النفس المؤمنة، قال: إن المؤمن - والله - ما تراه إلا يلوم نفسه، ما أردت بكلامي؟ ما أردت بأكلتي؟ وإن الفاجر يمضي قدماً لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها .

وقال مقاتل: هي النفس الكافرة تلوم نفسها في الآخرة على ما فرطت في أمر الله في الدنيا .

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ﴾، نزلت في عدي بن ربيعة، حليف بني زهرة، ختن الأحنس بن شريق الثقفي، وكان النبي ﷺ يقول: اللهم اكفني جاري السوء، يعني: عدياً والأحنس . وذلك أن عدي بن ربيعة أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد حدثني عن القيامة متى تكون وكيف أمرها وحالها؟ فأخبره النبي ﷺ فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أؤمن [بك]<sup>(٢)</sup> أو يجمع الله العظام؟ فأنزل الله عز وجل: «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ»<sup>(٣)</sup> يعني الكافر ﴿أَنْ لَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ بعد التفرق والبلبلي فنحييه . قيل: ذكر العظام وأراد نفسه لأن العظام قالب النفس لا يستوي الخلق إلا باستوائها . وقيل: هو خارج على قول المنكر أو يجمع الله العظام كقوله: «قال من يحيي العظام وهي رميم» (يس - ٧٨) .

﴿بَلَىٰ قَادَرِينٌ﴾، أي نقدر، استقبال صُرف إلى الحال، قال الفراء «قادرين» نصب على الخروج من نجمع، كما تقول في الكلام أتحسب أن لا نقوى عليك؟ بلَى قادرين على أقوى منك، يريد: بل قادرين على أكثر من ذا<sup>(٤)</sup> .

مجاز الآية: بلَى نقدر على جمع عظامه وعلى ما هو أعظم من ذلك، وهو ﴿[على]<sup>(٥)</sup> أَنْ

نسوي بنانه﴾ أنامله، فنجعل/ أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً كخف البعير وحافر الحمار، فلا

١٨٠/أ

(١) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٠٨/٣ .

(٢) في «أه» به .

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول، ص: (٥١٥) .

قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص: (١٨٠): «ذكره الثعلبي والبغوي والواحدي بغير إسناد» .

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٠٨/٣ .

(٥) لم ترد في النسختين وهي من الآية .

## بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾

يرتفق بها [بالقبض]<sup>(١)</sup> والبسط والأعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرها. هذا قول أكثر المفسرين.

وقال الزَّجَّاج وابن قتيبة: معناه: ظن الكافر أنا لا نقدر على جمع عظامه، بلى نقدر على أن نعيد السلاميات على صغرها، فنؤلف بينها حتى نسوي البنان، فمن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها أقدر<sup>(٢)</sup>.

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾، يقول لا يجهل ابن آدم أن ربه قادر على جمع عظامه لكنه يريد أن يفجر أمامه، أي: يمضي قدماً [على]<sup>(٣)</sup> معاصي الله ما عاش راكباً رأسه لا ينزع عنها ولا يتوب، هذا قول مجاهد، والحسن، وعكرمة، والسدي.

وقال سعيد بن جبير: «ليفجر أمامه»: يقدم الذنب ويؤخر التوبة، فيقول: سوف أتوب، سوف أعمل حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله<sup>(٤)</sup>.

وقال الضحّاك: هو الأمل، يقول: أعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا [ولا يذكر الموت]<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن عباس، وابن زيد: يكذب بما أمامه من البعث والحساب. وأصل «الفجور»: الميل، وسمي الفاسق والكافر: فاجراً، لميله عن الحق.

﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾، أي متى يكون [ذلك]<sup>(٦)</sup>، تكذيباً به.

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ﴾، قرأ أهل المدينة «بَرَقَ» بفتح الراء، وقرأ الآخرون بكسرها، وهما لغتان.

قال قتادة ومقاتل: شخص البصر فلا يطرف مما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا. قيل: ذلك عند الموت.

وقال الكلبي: عند رؤية جهنم برق أبصار الكفار.

(١) في «ب» في القبض.

(٢) انظر: القرطبي: ١٩٣/٢.

(٣) في «ب» في.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٠٨/٣.

(٥) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٦) زيادة من «ب».

وَحَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾  
إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُبْتَأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾

وقال الفراء والخليل «برق» - بالكسر - أي: فزع وتحير لما يرى من العجائب<sup>(١)</sup>، و «برق» بالفتح، أي: شق عينه وفتحها، من البريق، وهو التلألؤ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾ أظلم وذهب نوره وضوءه.

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران. وقيل: يجمع بينهما في ذهاب الضياء. وقال عطاء بن يسار: يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى. ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾، أي الكافر المكذب ﴿يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ﴾، أي: المهرب، وهو موضع الفرار. [وقيل: هو مصدر، أي: أين الفرار]<sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾، لا حصن ولا حرز ولا ملجأ. وقال السدي: لا جبل وكانوا إذا فزعوا لجؤوا إلى الجبل فتحصنوا به. [فقال الله تعالى]<sup>(٤)</sup>: لا جبل يومئذ يمنعهم.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾، أي مستقر الخلق.

وقال عبد الله بن مسعود: المصير والمرجع، نظيره: قوله تعالى: «إلى ربك الرجعى» (العلق - ٨) «إلى الله المصير» (آل عمران - ٢٨) (النور - ٤٢) (فاطر - ١٨).

وقال السدي: المنتهى، نظيره: «وإن إلى ربك المنتهى» (النجم - ٤٢).

﴿يُبْتَأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾، [قال ابن مسعود وابن عباس: «بما قدم»]<sup>(٥)</sup> قبل موته من عمل صالح وسيء، وما أخر: بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها.

وقال عطية عن ابن عباس: «بما قدم» من المعصية «وأخر» من الطاعة.

وقال قتادة: بما قدم من طاعة الله، وأخر من حق الله فضيعة.

(١) راجع معاني القرآن للفراء: ٢٠٩/٣.

(٢) قال ابن جرير: ١٧٩/٢٩ «وَأَوَّلَى الْقَرَاءَتَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ كَسْرُ الرَّاءِ (فَإِذَا بَرَقَ) بِمَعْنَى: فَرَعَ فَشَقَّ وَفَتَحَ مِنْ هَوْلِ الْقِيَامَةِ وَفَرَعَ الْمَوْتَ، وَبِذَلِكَ جَاءَتْ أَشْعَارُ الْعَرَبِ. أَنَشَدَنِي بَعْضُ الرِّوَاةِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْكَلَابِيِّ: لَمَّا أَتَانِي ابْنُ صَبِيحٍ رَاضِيًا أَعْطَيْتُهُ عِيْسَاءَ مِنْهَا بَرَقًا».

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٤) في «ب» فقال: قل.

بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾

وقال مجاهد: بأول عمله وآخره. وقال عطاء: بما قدم في أول عمره وما آخر في آخر عمره.

وقال زيد بن أسلم: بما قدم من أمواله لنفسه وما آخر خلفه للورثة<sup>(١)</sup>.

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾، قال عكرمة، ومقاتل، والكلبي: معناه بل الإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله، وهو سمعه وبصره وجوارحه<sup>(٢)</sup>، ودخل الهاء في البصيرة لأن المراد بالإنسان ها هنا جوارحه، ويحتمل أن يكون معناه «بل الإنسان على نفسه بصيرة» يعني: لجوارحه، فحذف حرف الجر كقوله: «وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم» (البقرة - ٢٣٣) أي لأولادكم. ويجوز أن يكون نعتاً لاسم مؤنث أي بل الإنسان على نفسه عين بصيرة.

وقال أبو العالية، وعطاء: بل الإنسان على نفسه شاهد، وهي رواية العوفي عن ابن عباس، والهاء في «بصيرة» للمبالغة، دليل هذا التأويل. قوله عز وجل: «كفى بنفسك اليوم عليك حسيياً» (الإسراء- ١٤).

﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾، يعني يشهد عليه الشاهد ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم ينفعه، كما قال تعالى: «يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم» (غافر- ٥٢)، وهذا قول مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وابن زيد وعطاء: قال الفراء: ولو اعتذر فعليه من نفسه من يكذب عذره ومعنى الإلقاء: القول، كما قال: «وألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون» (النحل- ٨٦). وقال الضحاك والسدي: «ولو ألقى معاذيره» يعني: ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب. وأهل اليمن يسمون الستر: معذاراً، وجمعه: معاذير، ومعناه على هذا القول: وإن أسبل الستر ليخفي ما يعمل، فإن نفسه شاهدة عليه.

قول عز وجل ﴿لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: «لا تحرك به لسانك لتعجل به» قال: كان رسول الله

(١) قال ابن جرير: ١٨٤/٢٩ «والصواب من القول في ذلك عندنا، أن ذلك خبر من الله أن الإنسان نبأ بكل ما قدم أمامه مما عمل من خير أو شر في حياته وآخر بعده من سنة أو سيفة مما قدم وأخر، كذلك ما قدم من عمل عمله من خير أو شر، وآخر بعده من عمل كان عليه فضيعة، فلم يعمل مما قدم وأخر ولم يخص الله في ذلك بعضاً دون بعض، فكل ذلك مما نبأ به الإنسان يوم القيامة».

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢١١/٣

إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾

ﷺ إذا نزل [عليه] <sup>(١)</sup> جبريل بالوحي كان ربما يحرك لسانه وشفثيه فيشتد عليه، وكان يعرف منه، فأنزل الله عز وجل الآية التي في لا أقسم بيوم القيامة: «لا تحرك به لسانك لتعجل به» <sup>(٢)</sup>.

﴿إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنَهُ﴾، قال علينا أن نجمله في صدرك، وقرآنه.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾، فإذا أنزلناه فاستمع.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾، علينا أن نبينه بلسانك. قال: فكان إذا أتاه جبريل عليه السلام أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل، ورواه محمد بن إسماعيل، عن عبد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن موسى بن أبي عائشة بهذا الإسناد وقال: كان يحرك شفثيه إذا نزل عليه، يخشى أن ينفلت منه، فقليل له: «لا تحرك به لسانك» ﴿إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ﴾ أن نجمله في صدرك <sup>(٣)</sup> «وَقُرْآنَهُ» أن تقرأه.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ \* وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾. قرأ أهل المدينة والكوفة «تحبون وتذرون» بالتاء فيهما، وقرأ الآخرون بالياء أي يختارون الدنيا على العقبى، ويعملون لها، يعني: كفار مكة، ومن قرأ بالتاء فعلى تقدير: قل لهم يا محمد: بل تحبون [وتذرون] <sup>(٤)</sup>.

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾، يعني يوم القيامة ﴿نَاصِرَةٌ﴾، قال ابن عباس: حسنة، وقال مجاهد: مسرورة. وقال ابن زيد: ناعمة. وقال مقاتل / :بيض يعلوها النور. وقال السدي: مضيئة. وقال يمان: مسفرة. وقال الفراء: مشرقة بالنعيم <sup>(٥)</sup>. يقال: نصر الله وجهه ينصر نصرأً، ونصره الله وأنصره ونصر وجهه ينصر نصرأً ونصارة. قال الله تعالى: «تعرف في وجوههم نصرة النعيم»، (المطففين-٢٤)، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، قال ابن عباس: وأكثر الناس تنظر إلى ربها عياناً بلا حجاب. قال الحسن: تنظر إلى الخالق وحق لها أن [تنصر] <sup>(٦)</sup> وهي تنظر إلى الخالق.

أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم الترابي، أخبرنا عبد الله بن أحمد الحموي، أخبرنا إبراهيم بن خزيمة

(١) ساقط من «ب».

(٢) أخرجه البخاري في التفسير، تفسير سورة القيامة، باب: «إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنَهُ»: ٦٨٢/٨، ومسلم في الصلاة، باب الاستماع للقراءة برقم: (٤٤٨): ٣٣٠/١.

(٣) أخرجه البخاري في التفسير- تفسير سورة القيامة- باب: «إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنَهُ»: ٦٨١/٨.

(٤) ساقط من «ب».

(٥) معاني القرآن للفراء: ٢١٢/٣.

(٦) في النسختين كُتِبَ بالطاء، والصواب ما أثبتناه لأنها من النصارة لا من النظر.

وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٤٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٤٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٤٦﴾ وَقِيلَ مِنْ رَاقٍ ﴿٤٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٤٨﴾

الشاشي، أخبرنا عبد الله بن حميد، حدثنا شيابة، عن إسرائيل، عن ثوير قال: سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة»<sup>(١)</sup>.

﴿ووجوه يومئذ باسرة﴾، عابسة كالحة مغبرة مسودة.

﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾، تستيقن أن يعمل بها عزيمة من العذاب، والفاقرة: الداهية العظيمة، والأمر الشديد يكسر فقار الظهر. قال سعيد بن المسيب: قاصمة الظهر. قال ابن زيد: هي دخول النار. وقال الكلبي: هي أن تحجب عن رؤية الرب عز وجل.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ﴾، يعني النفس، كناية عن غير مذكور، ﴿التَّرَاقِيَ﴾، فحشرج بها عند الموت، و «التراقي»: جمع الترقوة، وهي العظام بين ثغرة النحر والعاتق، ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الإشراف على الموت.

﴿وَقِيلَ﴾، أي قال من حضره [الموت]<sup>(٢)</sup>: هل «من راق» هل من طبيب يرقه ويداويه فيشفيه بريقته أو دوائه.

وقال قتادة: التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئاً.

وقال سليمان التيمي، ومقاتل بن سليمان: هذا من قول الملائكة، يقول بعضهم لبعض: من يرقى بروحه؟ فتصعد بها ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾، أي يقن الذي بلغت روحه التراقي، ﴿أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾، من الدنيا.

(١) أخرجه الترمذي في التفسير - تفسير سورة القيامة - ٢٤٩/٩ - ٢٥٠، وقال: «هذا حديث غريب وقد روى غير واحد عن إسرائيل مثل هذا مرفوعاً»، والإمام أحمد: ٦٤/٢، وأبو يعلى في المسند: ٢٧٦/٥، وصححه الحاكم: ٥٠٩/٢، ٥١٠، فتعقبه الذهبي بقوله عن ثوير، «بل هو واهي الحديث»، وأبو نعيم في الحلية: ٨٧/٥، والطبري: ١٩٣/٢٩، والمصنف في شرح السنة: ٢٣٢/١٥. قال الميثمي في مجمع الزوائد: ٤٠١/١٠ «رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني وفي أسانيدهم ثوير بن أبي فاختة وهو مجمع على ضعفه».

وأشار المنذري إلى تضعيفه في الترغيب والترهيب: ٥٠٨/٤ وزاد نسبه للبيهقي. وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة، رقم (١٩٨٥): ١٤٥٠/٤.

(٢) ساقط من «ب».



وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٣٩﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٤٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٤١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ  
وَقَوْلَى ﴿٤٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴿٤٣﴾ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴿٤٥﴾

﴿والتفت الساق بالساق﴾، قال قتادة: الشدة بالشدة. وقال عطاء: شدة الموت بشدة الآخرة. وقال سعيد بن جبیر: تتابعت عليه الشدائد، وقال السدي: لا يخرج من كرب إلا جاءه أشد منه.

قال ابن عباس: أمر الدنيا بأمر الآخرة، فكان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة. وقال مجاهد اجتمع فيه الحياة والموت.

وقال الضحاك: الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه.

وقال الحسن: هما ساقاه إذا التفتا في الكفن. وقال الشعبي: هما ساقاه عند الموت<sup>(١)</sup>.

﴿إلى ربك يومئذ المساق﴾، أي مرجع العباد [يومئذ]<sup>(٢)</sup> إلى الله يساقون إليه.

﴿فلا صدق ولا صلى﴾، يعني: أبا جهل، لم يصدق بالقرآن ولا صلى لله.

﴿ولكن كذب وتولى﴾، عن الإيمان.

﴿ثم ذهب إلى أهله﴾، رجع إليهم، ﴿يتمطَّى﴾، يتبختر ويختال في مشيته، وقيل: أصله: «يتمطط» أي: يتمدد، والمط هو المد.

﴿أولى لك فأولى \* ثم أولى لك فأولى﴾، هذا وعيد على وعيد من الله عز وجل لأبي جهل، وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد.

وقال بعض العلماء: معناه أنك أجدر بهذا العذاب وأحق وأولى به، يقال للرجل يصيبه مكروه يستوجهه.

وقيل: هي كلمة تقولها العرب لمن قاربه المكروه وأصلها [من الولاء]<sup>(٣)</sup> من المولى وهو

(١) قال ابن جرير مرجحاً: ١٩٨/٢٩ «وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندي قول من قال: معنى ذلك: والتفت ساق الدنيا بساق الآخرة، وذلك شدة كرب الموت بشدة هول المطلاع، والذي يدل على أن ذلك تأويله قوله «إلى ربك يومئذ المساق» والعرب تقول لكل أمر اشتد: قد شمر عن ساقه، وكشف عن ساقه، ومنه قول الشاعر:

إذا شممت لك عن ساقها فزئها زيع ولا تسأم

(٢) ساقط من «ب».

(٣) زيادة من «ب».

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نَظْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾  
فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدَرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٤٠﴾

القرب ، قال الله تعالى: « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » (التوبة-١٢٣) .

وقال قتادة: ذكر لنا أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبي جهل بالبطحاء وقال له: «أولى لك فأولى \* ثم أولى لك فأولى»، فقال أبو جهل: أتوعدني يا محمد؟ والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل بي شيئاً، وإني لأعز من مشى بين جبلتي! فلما كان يوم بدر صرعه الله شراً مصرع، وقتله أسوأ قتلة. وكان النبي ﷺ يقول: إن لكل أمة فرعوناً [وإن] <sup>(١)</sup> فرعون هذه الأمة أبو جهل <sup>(٢)</sup>.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾، هملأ لا يؤمر ولا ينهى، وقال السدي: معناه المهمل وإبل سدى إذا كانت ترعى حيث شئت بلا راع.

﴿أَلَمْ يَكُ نَظْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾، نُصِبَ في الرحم، قرأ حفص عن عاصم «يمنى» بالياء، وهي قراءة الحسن، وقرأ الآخرون بالتاء، لأجل النطفة .

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾، فجعل فيه الروح فسوى خلقه.

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾، خلق من مائه أولاداً ذكوراً وإناثاً.

﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ﴾، الذي فعل هذا، ﴿بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾.

أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني، أخبرنا أبو عمرو القاسم بن جعفر الهاشمي، أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي، حدثنا أبو داود سليمان بن أشعث، حدثنا عبد الله ابن محمد الزهري، حدثنا سفيان، حدثني إسماعيل بن أمية قال: سمعت أعرابياً يقول سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ منكم والتين والزيتون فانتبهى إلى آخرها: «أليس الله بأحكم الحاكمين» (التين-٨)، فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ: «لا أقسم بيوم القيامة» فانتبهى إلى: «أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى» فليقل: بلى، ومن قرأ: « والمرسلات»، فبلغ «فبأي حديث بعده يؤمنون» فليقل: «آمنا بالله» <sup>(٣)</sup>

(١) زيادة من «ب» .

(٢) ذكره عبد الرزاق في التفسير: ٣٣٥/٢ بلاغاً

وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٣٦٣/٨ أيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب مقدار الركوع والسجود: ٤٢٣/١، والإمام أحمد: ٢٤٩/٢، وصححه الحاكم: ٥١٠/٢، -

أخبرنا عمر بن عبد العزيز، أخبرنا القاسم بن جعفر، أخبرنا أبو علي اللؤلؤي، أخبرنا أبو داود، حدثنا محمد بن المثني، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن موسى بن أبي عائشة قال: كان رجل يصلي فوق بيته فكان إذا قرأ: «أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى» قال: سبحانك بلى، فسألوه عن ذلك فقال: سمعته من رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>

= ووافقه الذهبي، والبيهقي في سننه: ٣١٠/٢، والمصنف في شرح السنة: ١٠٤/٣-١٠٥ وأخرجه الترمذي مختصراً في التفسير: ٢٧٦/٩-٢٧٧ وقل: «هذا حديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي عن أبي هريرة ولا يُسمى». وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٣٦٤/٨ أيضاً لابن المنذر وابن مردويه. وقال الألباني في تعليقه على المشكاة: ٢٧٢/١ «إسناده ضعيف فيه ابن الأعرابي لم يُسمَّ».

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب الدعاء في الصلاة: ٤٢٢/١، وهو مرسل، والمصنف في شرح السنة: ١٠٥/٣. وراجع عون المعبود: ١٣٩/٣-١٤٠.

# سورة الانسان



## سُورَةُ الْإِنْسَانِ

قال عطاء: هي مكية<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد وقتادة: مدنية<sup>(٢)</sup>. وقال الحسن وعكرمة: هي مدنية إلا آية وهي قوله: «فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً»<sup>(٣)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴿٢﴾

﴿هل أتى على الإنسان﴾، يعني آدم عليه السلام، ﴿حين من الدهر﴾، أربعون سنة ملقى من طين بين مكة والطائف قبل أن ينفخ فيه الروح، ﴿لم يكن شيئاً مذكوراً﴾، لا يذكر ولا يعرف / ١٨٠ / ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به، يريد: كان شيئاً ولم يكن مذكوراً، وذلك من حين خلقه من طين إلى أن [ينفخ] فيه الروح.

روي أن عمر سمع رجلاً يقرأ هذه الآية: «لم يكن شيئاً مذكوراً» فقال عمر: ليتها تمت، يريد: ليت بقي على ما كان<sup>(٤)</sup>، قال ابن عباس: ثم خلقه بعد عشرين ومائة سنة.

﴿إنا خلقنا الإنسان﴾، يعني ولد آدم، ﴿من نطفة﴾، يعني: مني الرجل ومني المرأة.

(١) أخرج النحاس عن ابن عباس قال: نزلت سورة الإنسان بمكة وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير قال: أنزلت بمكة سورة «هل أتى على الإنسان». انظر: الدر المنثور: ٣٦٥/٨.

(٢) أخرج ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة الإنسان بالمدينة. انظر: الدر المنثور: ٣٦٥/٨.

(٣) قال صاحب زاد المسير: ٤٢٧/٨ «وفيها ثلاثة أقوال - سورة الإنسان:

أحدها: أنها مدنية كلها، قاله الجمهور، منهم: مجاهد وقتادة.

والثاني: مكية، قاله ابن يسار، ومقاتل، وحكي عن ابن عباس.

والثالث: أن فيها مكياً ومدنياً، ثم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المكى منها آية، وهو قوله تعالى: (ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً) وباقيها جميعه مدني، قاله الحسن وعكرمة.

والثاني: أن أولها مدني إلى قوله تعالى: (إنا نحن نزلنا عليك القرآن) ومن هذه الآية إلى آخرها مكى، حكاه الماوردي.

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٣٦٦/٨ لابن المبارك وأبي عبيد في «فضائله» وعبد بن حميد وابن المنذر.

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٢﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا

﴿أمشاج﴾: أخلاط، واحدها: مَشَجٌ وَمَشِيجٌ، مثل خدن وخدين.

قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والربيع: يعني ماء الرجل [وماء المرأة]<sup>(١)</sup> يختلطان في الرحم فيكون منهما الولد، فماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا صاحبه كان الشبه له، وما كان من عصب وعظم فهو من نطفة الرجل، وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة<sup>(٢)</sup>.

وقال الضحاك: أراد بالأمشاج اختلاف ألوان النطفة، فنطفة الرجل بيضاء وحمراء وصفراء، ونطفة المرأة خضراء وحمراء [وصفراء]<sup>(٣)</sup>، وهي رواية الوالبي عن ابن عباس. وكذلك قال الكلبي: قال: الأمشاج البياض في الحمرة والصفرة. وقال يمان: كل لونين اختلطا فهو أمشاج. وقال ابن مسعود: هي العروق التي تكون في النطفة.

وقال الحسن: نطفة مشجت بدم، وهو دم الحيضة، فإذا حبلت ارتفع الحيض.

وقال قتادة: هي أطوار الخلق نطفة، ثم علقه، ثم مضغة، ثم [عظماً] ثم يكسوه لحماً ثم ينشئه خلقاً آخر<sup>(٤)</sup>.

﴿نبتليه﴾ نختبره بالأمر والنهي، ﴿فجعلناه سميعاً بصيراً﴾ قال بعض أهل العربية: فيه تقديم وتأخير، مجازة: فجعلناه سميعاً بصيراً لنبتليه<sup>(٥)</sup>، لأن الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخلقة.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾، أي بينا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة، وعرفناه طريق الخير والشر. ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، إما مؤمناً سعيداً وإما كافراً شقيماً. وقيل: معنى الكلام الجزاء، يعني: بينا له الطريق إن شكر أو كفر<sup>(٥)</sup>.

ثم بين ما للفریقین فقال: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا﴾، يعني: في جهنم. قرأ أهل المدينة

(١) في «أ» والمرأة.

(٢) راجع: التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص(٣٣٤-٣٣٨)، خلق الإنسان للدكتور محمد علي البار ص(٣٩٠ وما بعدها).

(٣) ساقط من «ب».

(٤) قال ابن جرير مرجحاً بعد أن ساق الأقوال المذكورة: ٢٠٣/٢٩-٢٠٥: «وأشبه هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى ذلك (من نطفة أمشاج) نطفة الرجل ونطفة المرأة، لأن الله وصف النطفة بأنها أمشاج، وهي إذا انتقلت فصارت علقه، فقد استحالت عن معنى النطفة فكيف تكون نطفة أمشاجاً وهي علقه؟ وأما الذين قالوا: إن نطفة الرجل بيضاء وحمراء، فإن المعروف من نطفة الرجل أنها سحراء على لون واحد، وهي بيضاء تضرب إلى الحمرة، وإذا كانت لوناً واحداً لم تكن ألواناً مختلفة، وأحسب أن الذين قالوا: هي العروق التي في النطفة قصدوا هذا المعنى».

(٥) انظر: معاني القرآن للقرطبي: ٢١٤/٣.

وَأَغْلَظْ لَهَا سَعِيرًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٦﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٧﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا

والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «سلاسلاً» و «قواريراً» فقوارير بالألف في الوقف، وبالتنوين في الوصل فهن جميعاً، وقرأ حمزة ويعقوب بلا ألف في الوقف، ولا تنوين في الوصل فهن، وقرأ ابن كثير «قوارير» الأولى بالألف في الوقف وبالتنوين في الوصل، و «سلاسلاً» و «قوارير» الثانية بلا ألف ولا تنوين وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحفص «سلاسلاً» و «قواريراً» الأولى بالألف [في الوقف] <sup>(١)</sup> على الخط وبغير تنوين في الوصل، و «قوارير» الثانية بغير ألف ولا تنوين. قوله ﴿وَأَغْلَظْ﴾ يعني: في أيديهم، تغل إلى أعناقهم، ﴿وسعيراً﴾، وقوداً شديداً.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾، يعني المؤمنين الصادقين في إيمانهم المطيعين لربهم، [واحدهم] <sup>(٢)</sup> بار، مثل: شاهد وأشهد، وناصر وأنصار، و «بر» أيضاً مثل: نهر وأنهار، ﴿يشربون﴾، في الآخرة، ﴿كأس﴾، [فيها] <sup>(٣)</sup> شراب ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾، قال قتادة: يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك. قال عكرمة: «مزاجها»: طعمها، وقال أهل المعاني: أراد كالكافور في بياضه وطيب ريحه وبرده، لأن الكافور لا يشرب، وهو كقوله: «حتى إذا جعله ناراً» (الكهف-٩٦) أي كنار. وهذا معنى قول [قتادة] <sup>(٤)</sup> ومجاهد: يمازجه ريح الكافور. وقال ابن كيسان: طيبت بالكافور والمسك والزنجبيل. وقال عطاء والكلبي: الكافور اسم لعين ماء في الجنة.

﴿عَيْنًا﴾، نصب تبعاً للكافور. وقيل: [هو] <sup>(٥)</sup> نصب على المدح. وقيل: أعني عيناً. وقال الزجاج: الأجود أن يكون المعنى من عين، ﴿يشرب بها﴾، [قيل: يشربها] <sup>(٦)</sup> والباء صلة وقيل بها أي منها، ﴿عباد الله﴾، قال ابن عباس أولياء الله، ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾، أي يقودونها حيث شاؤوا من منازلهم وقصورهم، كمن يكون له نهر يفجره ها هنا وها هنا إلى حيث يريد.

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾، هذا من صفاتهم في الدنيا أي كانوا في الدنيا كذلك.

قال قتادة: أراد يوفون بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة،

(١) زيادة من «ب».

(٢) في «أ» واحداً.

(٣) في «ب» فيه.

(٤) في «ب» مقاتل، والصحيح ما أثبتناه من «أ» كما هو عند الطبري: ٢٠٧/٢٩.

(٥) ساقط من «ب».

(٦) ساقط من «أ».



## ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَّامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾

وغيرها من الواجبات<sup>(١)</sup>، ومعنى النذر: الإيجاب.

وقال مجاهد وعكرمة: إذا نذروا في طاعة الله وفوا به.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن طلحة بن عبد الملك الأيلي، عن القاسم بن محمد، عن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»<sup>(٢)</sup>. ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾، فاشياً ممتداً، يقال: استطار الصبح، إذا امتد وانتشر.

قال مقاتل: كان شره فاشياً في السموات فانشقت، وتناثرت الكواكب، وكورت الشمس والقمر، وفزعت الملائكة، وفي الأرض: فنسفت الجبال، وغارت المياه، وتكسر كل شيء على الأرض من جبل وبناء.

﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَّامَ عَلَى حُبِّهِ﴾، أي على حب الطعام وقتله وشهوتهم له وحاجتهم إليه. وقيل: على حب الله عز وجل، ﴿مِسْكِينًا﴾، فقيراً لا مال له، ﴿وَيَتِيمًا﴾، صغيراً لا أب له ﴿وَأَسِيرًا﴾، قال مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء: هو المسجون من أهل القبلة. وقال قتادة: أمر الله بالأسراء أن يحسن إليهم، وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك. وقيل: الأسير المملوك. وقيل: المرأة، لقول النبي ﷺ: «اتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان»<sup>(٣)</sup> أي أسراء.

واختلفوا في سبب نزول هذه الآية، قال مقاتل: نزلت في رجل من الأنصار أطمع في يوم واحد مسكيناً ويَتِيمًا وأسيراً<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ٢٩/٢٠٨، وعبد الرزاق في التفسير: ٢/٣٣٦.

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: ٢/٤٧٦ في النذر والأيمان، باب ما لا يجوز من النذور في معصية الله. وهو قطعة من حديث أخرجه البخاري في الأيمان والنذور، باب النذر في الطاعة: ١١/٥٨١، والمصنف في شرح السنة: ٢٠/٢١-٢١.

(٣) قطعة من حديث أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار: ٣/٢١٢، والترمذي في أبواب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها: ٤/٣٢٦ وقال: «هذا حديث حسن صحيح». وأخرجه ابن ماجه بنحوه في النكاح برقم: (١٨٥١): ١/٥٩٤. وروى الإمام مسلم معناه في حديث جابر في حجة الوداع. وله شاهد من حديث عم أبي حرة الرقاشي عند الإمام أحمد: ٥/٧٢-٧٣. انظر: إرواء الغليل: ٧/٥٣-٥٤، ٩٦-٩٧.

(٤) ذكره صاحب زاد المسير: ٨/٤٣٢.

﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (١) ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾  
 ﴿فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرُّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ (١١) ﴿وَجَزَيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾

وروى مجاهد وعطاء عن ابن عباس: أنها نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك أنه عمل لليهودي بشيء من شعير، [فقبض الشعير] (١) فطحن ثلثه فجعلوا منه شيئاً لبأكلوه، فلما تم إنضاجه أتى مسكين فسأل فأخرجوا إليه الطعام، ثم عمل الثلث الثاني فلما تم إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه، ثم عمل الثلث الباقي فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين، فسأل فأطعموه، وطووا يومهم ذلك: وهذا قول الحسن وقتادة، أن الأسير كان من أهل الشرك، وفيه دليل على أن إطعام الأسارى، وإن كانوا من أهل الشرك، حسنٌ يُرجى ثوابه (٢).

ب/١٨١ ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ / لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾، والشُّكُور مصدر كالتعقود والدخول والخروج. قال مجاهد وسعيد بن جبير: إنهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم، فأثنى عليهم.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾، تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته، نسب العبوس إلى اليوم، كما يقال: يوم صائم وليل قائم. وقيل: وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة، ﴿فَنَطَرِيرًا﴾، قال قتادة، ومجاهد، ومقاتل: «القمطير»: الذي يقبض الوجوه والجباه بالتعيس. قال الكلبي: العبوس الذي لا انبساط فيه، و «القمطير»: الشديد، قال الأخفش: «القمطير»: أشد ما يكون من الأيام وأطولها في البلاء، يقال: يوم قمطير وقماطر، إذا كان شديداً كريهاً، وأفمطر اليوم فهو مُفْمَطِر.

﴿فَوَقَاهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾، الذي يخافون، ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً﴾، حُسناً في وجوههم، ﴿وَسُرُورًا﴾، في قلوبهم.

﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾، على طاعة الله واجتباب معصيته، وقال الضحاك: على الفقر. وقال عطاء: على الجوع. ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾، قال الحسن: أدخلهم الله الجنة وألبسهم الحرير.

(١) ساقط من «ب».

(٢) قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف، صفحة (١٨٠): «رواه الثعلبي من رواية القاسم بن بهرام عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد، عن ابن عباس، ومن رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس .. وقال الحكيم الترمذي: ومن الأحاديث التي تنكرها القلوب حديث روه عن ابن عباس، فذكره .. ثم قال: هذا حديث مزوَّق مفتعل لا يروج إلا على أحمق جاهل. ورواه ابن الجوزي في «الموضوعات» وقال «هذا لاشك في وضعه».

وانظر: الواحدي في أسباب النزول، صفحة: (٥١٦).

وراجع ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمه رحمه الله في «مناهج السنة»: ١٧٤/٧-١٨٧ في رده على ابن المطهر في الاحتجاج بأمثال هذا، فقد بين بطلانه من ثلاثة عشر وجهاً.

وانظر: تفسير القرطبي: ١٣٠/١٩-١٣٥.

﴿مُتَكِينِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ (١٣) ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾ (١٤) ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ (١٥) ﴿قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقْدِيرًا﴾ (١٦) ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ (١٧) ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا﴾

﴿مُتَكِينِينَ﴾، نصب على الحال، ﴿فِيهَا﴾ في الجنة، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾، السرر في الحجال، ولا تكون أريكة إلا إذا اجتمع، ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾، أي [صيفاً] <sup>(١)</sup> ولا شتاء. قال مقاتل: يعني شمساً يؤذيهم حرها ولا زمهريراً يؤذيهم برده، لأنهما يؤذيان في الدنيا. والزمهرير: البرد الشديد. ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا﴾، أي قرية منهم ظلال أشجارها، ونصب «دانية» بالعطف على قوله: ﴿مُتَكِينِينَ﴾، وقيل: على موضع قوله: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ ويرون «دانية»، وقيل: على المدح، ﴿وَذُلَّتْ﴾، سُخِّرَتْ وَقُرِبَتْ، ﴿قُطُوفُهَا﴾، ثمارها، ﴿نَذِيلًا﴾، يأكلون من ثمارها قياماً وقعوداً ومضطجعين ويتناولونها كيف شاؤوا على أي حال كانوا.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ \* قوارير من فضة، قال المفسرون: أراد بياض الفضة في صفاء القوارير، فهي من فضة في صفاء الزجاج، يرى ما في داخلها من خارجها. قال الكلبي: إن الله جعل قوارير كل قوم من تراب أرضهم، وإن أرض الجنة من فضة، فجعل منها قوارير يشربون فيها، ﴿قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا﴾، قدروا الكأس على قدر ربيهم لا يزيد ولا ينقص، أي قدرها لهم السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها ثم يسقون.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾، يشوق ويطرب، والزنجبيل: مما كانت العرب تستطيعه جداً، فوعدهم الله تعالى أنهم يسقون في الجنة الكأس الممزوجة بزنجبيل الجنة. قال مقاتل: لا يشبه زنجبيل الدنيا. قال ابن عباس: كل ما ذكر الله في القرآن مما في الجنة وسماه ليس له في الدنيا مثل. وقيل: هو عين في الجنة يوجد منها طعم الزنجبيل. قال قتادة: يشربها المقربون صرفاً، ويمزج لسائر أهل الجنة <sup>(٢)</sup>.

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا﴾، قال قتادة: سلسلة منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤوا <sup>(٣)</sup>، وقال

(١) في (ب)، قيصاً.

(٢) أخرجه الطبري: ٢١٨/٢٩.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: ٣٣٨/٢، والطبري: ٢١٨/٢٩، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٣٧٦/٨ عزوه لعبد بن حميد.

﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوفٌ أُخْضَرُوا مِن فِضَّةٍ

مجاهد: حديدة [شديدة] <sup>(٥)</sup> الجزية <sup>(١)</sup>. وقال [أبو العالية] <sup>(٢)</sup> ومقاتل بن حيان: سميت سلسبيلاً لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان وشراب الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك. قال الزجاج: سميت سلسبيلاً لأنها في غاية السلسلة تتسلسل في الخلق، ومعنى قوله: «تسمى» أي توصف لأن أكثر العلماء على أن سلسبيلاً صفة لا اسم.

﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾، قال عطاء: يريد في بياض اللؤلؤ وحسنه، واللؤلؤ إذا نثر من الخيط على البساط، كان أحسن منه منظوماً. وقال أهل المعاني: إنما شبهوا بالمنثور لانتشارهم في الخدمة، فلو كانوا صفاً لشبهوا بالمنظوم.

﴿وإذا رأيته ثم﴾، أي إذا [رأيت] <sup>(٣)</sup> يبصرك ونظرت به ثم يعني في الجنة، ﴿رأيت نعيماً﴾، لا يوصف، ﴿وملكاً كبيراً﴾، وهو أن أدناهم منزلة ينظر إلى ملكه في مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه. وقال مقاتل والكلبي: هو أن رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه إلا بإذنه. وقيل: ملكاً لا زوال له.

﴿عليهم ثياب سندس﴾، قرأ أهل المدينة وحمة: «عليهم» ساكنة الياء مكسورة الهاء، فيكون في موضع رفع بالابتداء، وخبره: ثياب سندس، وقرأ الآخرون بنصب الياء وضم الهاء على [الصفة، أي فوقهم، وهو نصب على الظرف] <sup>(٤)</sup> ﴿ثياب سندس خضر وإستبرق﴾، قرأ نافع وحفص «خضر وإستبرق» [مرفوعاً] <sup>(٥)</sup> عطفاً على الثياب، وقرأهما حمزة والكسائي مجرورين، وقرأ ابن كثير وأبو بكر «خضر» بالجر «وإستبرق»، بالرفع، وقرأ أبو جعفر وأهل البصرة والشام على ضده [فالرفع على] <sup>(٦)</sup>

(٥) ما بين القوسين استدركتاه من رواية هناد في الزهد.

(١) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: ٣٣٨/٢، والطبري: ٢٩/٢١٨، وهناد في الزهد: ١/١٧٢، وعزاه السيوطي في الدر المنثور:

٣٧٥/٨ لسعيد بن منصور، وهناد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي.

وأخرجه البخاري تعليقاً: ٦/٣١٩، وقال الحافظ في «الفتح»: وصله سعيد بن منصور، وعبد بن حميد من طريق مجاهد.

وانظر تعليق المحقق على الزهد لهناد.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) في «ب» رمت.

(٤) في «أ» الحال، وعليهم: أي فوقهم، ويجوز انتصابه على الظرف.

(٥) في «أ» مرفوعتين.

(٦) في «أ» فقوله: أخضر بالرفع على.

وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطْعَمْ مِنْهُمْ ءَانِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾

نعت الثياب [والجر] <sup>(١)</sup> على نعت السندس [واستبرق بالرفع على أنه معطوف على وثياب إستبرق فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه كقوله «وأسأل القرية» أي أهل القرية، ومثله قوله: خز أي ثوب خز، وأما جر إستبرق فعلى أنه معطوف على سندس وهو جر بإضافة الثياب إليه، وهما جنسان أضيفت الثياب إليهما كما تقول: ثوب خز وكتان فتضيفه إلى الجنسین] <sup>(٢)</sup>.

﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾، قيل: طاهراً من الأقدار والأقذاء لم تدينسه الأيدي والأرجل كخمر الدنيا.

وقال أبو قلابة وإبراهيم: إنه لا يصير بولاً نجساً ولكنه يصير رشحاً في أبدانهم، [ربحه كريح المسك] <sup>(٣)</sup>، وذلك أنهم يؤتون بالطعام، فإذا كان آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور، فيشربون فيظهر بطونهم ويصير ما أكلوا رشحاً يخرج من جلودهم [ريحاً] <sup>(٤)</sup> أطيب من المسك الإذفر، وتضمير بطونهم وتعود شهوتهم.

وقال مقاتل: هو عين ماء على باب الجنة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد.

﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾، أي ما وصف من نعيم الجنة كان لكم جزاء بأعمالكم وكان سعيكم عملكم في الدنيا بطاعة الله مشكوراً، قال عطاء: شكرتم عليه [فاتيتكم] <sup>(٥)</sup> أفضل الثواب.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾، قال ابن عباس / : متفرقاً آية بعد آية، ولم ينزل جملة واحدة.

١٨٢/أ

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطْعَمْ مِنْهُمْ﴾، يعني من مشركي مكة، ﴿ءَانِمًا أَوْ كَفُورًا﴾، يعني وكفوراً، والألف صلة.

(١) في «أ» وخضر بالجر.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) في «ب» كرشع المسك.

(٤) ساقط من «ب».

(٥) في «ب» فاتيتكم.

وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾

قال قتادة: أراد بالآثم الكفور أبا جهل وذلك أنه لما فرضت الصلاة على النبي ﷺ نهاه أبو جهل عنها، وقال: لئن رأيت محمداً يصلي لأطأن عنقه<sup>(١)</sup>.

وقال مقاتل: أراد بـ «الآثم»: عتبة بن ربيعة، وبـ «الكفور» الوليد بن المغيرة، قالاً للنبي ﷺ: إن كنت صنعت ما صنعت لأجل النساء والمال فارجع عن هذا الأمر، قال عتبة: فأنا أزوجك ابنتي وأسوقها إليك بغير مهر، وقال الوليد: أنا أعطيك من المال حتى ترضى، فارجع عن هذا الأمر، فأنزل الله هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ومن الليل فاسجد له، [يعني صلاة المغرب والعشاء]<sup>(٣)</sup> ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾، يعني التطوع بعد المكتوبة.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾، يعني كفار مكة ﴿يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾، أي الدار العاجلة وهي الدنيا. ﴿وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾، يعني أمامهم، ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾، شديداً وهو يوم القيامة. أي يتركونه فلا يؤمنون به ولا يعملون له.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا﴾، [قَوِينَا وَأَحْكَمْنَا]<sup>(٤)</sup> ﴿أَسْرَهُمْ﴾، قال مجاهد وقتادة [ومقاتل]<sup>(٥)</sup>: «أسرهم» أي: خلقهم، يقال: رجل حسن الأسر، أي: الخلق.

وقال الحسن: يعني أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب.

(١) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: ٣٣٩/٢، والطبري: ٢٢٤/٢٩، وغزاه السيوطي في الدر المنثور: ٣٧٨/٨ لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) قال الألوسي: ١٦٥/٢٩: والمراد بالآثم والكفور: جنسه. وتعليق النبي بذلك مشعر بعلة الوصفين له، فلا بد أن يكون النهي عن الإطاعة في الإثم والكفر، لا فيما ليس بإثم ولا كفر والمراد: ولا تطع مرتكب الإثم الداعي لك إليه، أو مرتكب الكفر الداعي إليه: أي: لا تتبع أحداً من الآثم إذا دعاك إلى الإثم، ومن الكفور إذا دعاك إلى الكفر فإنه إذا قيل: لا تطع الظالم، فهم منه: لا تتبعه في الظلم إذا دعاك إليه. ومنع هذا الفهم مكابرة ..

وقيل: الآثم: عتبة، والكفور: الوليد. والأولى ما تقدم.

وقال: «وفي النهي مع العصمة إرشاد لغير المعصوم إلى التضرع إلى الله تعالى والرغبة إليه سبحانه في الحفاظ عن الوقوع فيما لا ينبغي».

(٣) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(٤) ساقط من «أ».

إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

وروي عن مجاهد في تفسير «الأسر» قال: الشرج، يعني: موضع مَصْرَفِي البول والغائط، إذا خرج الأذى تقبُّضاً. ﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً﴾، أي: إذا شئنا أهلكتناهم وأتينا بأشباههم فجعلناهم بدلاً منهم.

﴿إِنَّ هَذِهِ﴾، يعني هذه السورة، ﴿تَذْكِرَةٌ﴾، تذكير وعظة، ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾، وسيلة بالطاعة.

﴿وما تشاؤون﴾، قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو: «يشاؤون» بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي لستم تشاؤون إلا بمشيئة الله عز وجل، لأن الأمر إليه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ \* يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ، أي المشركين. ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

المؤسسة  
سورة  
الملك





## سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١ فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا ۝٢ وَالنَّشْرِ نَشْرًا ۝٣ فَالْفَرْقَتِ فَرْقًا ۝٤

﴿والمرسلات عُرْفًا﴾، يعني الرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس. وقيل: عرفاً أي كثيراً تقول العرب: الناس إلى فلان عرف واحد، إذا توجهوا إليه فأكثرُوا، هذا [معنى]<sup>(٢)</sup> قول مجاهد وقتادة. وقال مقاتل: يعني الملائكة التي أرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه، وهي رواية مسروق عن ابن مسعود.

﴿فالعاصفات عَصْفًا﴾، يعني الرياح الشديدة الهبوب.

﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾، يعني الرياح اللينة. وقال الحسن: هي الرياح التي يرسلها الله بشراً بين يدي رحمته. وقيل: هي الرياح التي تنشر السحاب وتأتي بالمطر. وقال مقاتل: هم الملائكة ينشرون الكتب<sup>(٣)</sup>.

﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾، قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك: يعني الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل. وقال [قتادة]<sup>(٤)</sup> والحسن: هي آي القرآن تفرق بين الحلال والحرام. وروي عن

(١) أخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: نزلت سورة المرسلات بمكة. وأخرج البخاري ومسلم والنسائي وابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «بينما نحن مع النبي ﷺ في غار بمنى إذ نزلت عليه سورة المرسلات عُرْفًا، فإنه يتلوها وإني لألقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها إذ وثبت عليه حية، فقال النبي ﷺ: اقتلوها فابتدرناها فذهبت. فقال النبي ﷺ: وقت شركم كما وقتتم شرها». انظر: الدر المنثور: ٣٨٠/٨.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) ساق ابن جرير هذه الأقوال: ٢٣٠/٢٩ - ٢٣١، ثم قال مرجحاً: «وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالناشرات نشراً، ولم يخص شيئاً من ذلك دون شيء، فالريح تنشر السحاب، والمطر ينشر الأرض، والملائكة تنشر الكتب، ولا دلالة من وجه يجب التسليم له على أن المراد من ذلك بعض دون بعض، فذلك على كل ما كان ناشراً».

(٤) في «أ» مقاتل.

فَالْمَلَقِيَتِ ذِكْرًا ۝ عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ۝ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝  
وَلِإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ ۝

مجاهد قال: هي الرياح تفرق السحاب وتبدده<sup>(١)</sup>.

﴿فَالْمَلَقِيَتِ ذِكْرًا﴾، يعني الملائكة تلقي الذكر إلى الأنبياء، نظيرها: «يلقي الروح من أمره» (غافر- ١٥).

﴿عُذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾، أي للإعذار والإنذار، وقرأ الحسن «عُذْرًا» بضم الذال واختلف فيه عن أبي بكر عن عاصم، وقراءة العامة بسكونها، وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص «عذراً» أو<sup>(٢)</sup> «نذراً» ساكنة الذال فيهما، وقرأ الباقر بضمها، ومن سَكَنَ قال: لأنهما في موضع مصدرين بمعنى الإنذار والإعذار، وليساً بجمع فينقلان [وقال ابن كثير ونافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم ويعقوب برواية رويس بن حسان: «عُذْرًا» سكون الذال و «نُذْرًا» بضم الذال، وقرأ روح بالضم في العذر والنذر جميعاً، وهي قراءة الحسن، والوجه فيهما أن العذر والنذر بضميتين كالأُذُن والعُنُق هو الأصل ويجوز التخفيف فيهما كما يجوز التخفيف في العنق والأذن، يقال: عذُر ونذُر، وعذُر ونذُر، كما يقال: عُنُق وعُنُق، وأُذُن وأُذُن، والعذر والنذر مصدران بمعنى الإعذار والإنذار كالنكير والعذير والنذير، ويجوز أن يكونا جمعين لعذير ونذير، ويجوز أن يكون العذر جمع عاذر، كشارف وشرَف، والمعنى في التحريك والتسكين واحد على ما بينا إلى ها هنا أقسام<sup>(٣)</sup>]. ذكرها على قوله:

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾، من أمر الساعة والبعث، ﴿لَوَاقِعٌ﴾، [لكائن<sup>(٤)</sup>] ثم ذكر متى يقع.

فقال: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾، محي نورها.

﴿وَلِإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾، شقت.

﴿وَلِإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ﴾، قلعت من أماكنها.

(١) قال ابن جرير مرجحاً: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: أقسم ربنا جل ثناؤه بالفارقات، وهي الفاصلات بين الحق والباطل، ولم يخص بذلك منهن بعضاً دون بعض، فذلك قسم بكل فارقة بين الحق والباطل، مُلَكَّا كان أو قرآناً، أو غير ذلك.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٤) زيادة من «ب».

وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَّتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخَرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾

﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَّتْ﴾، قرأ أهل البصرة «وقنت» بالواو، وقرأ أبو جعفر بالواو وتخفيف القاف، وقرأ الآخرون بالألف وتشديد القاف، وهما لغتان. والعرب تعاقب بين الواو والهمزة كقولهم: وكُذِّتْ وأكُذِّتْ، وورُخَتْ وأرُخَتْ، ومعناها: جمعت لميقات يوم معلوم، وهو يوم القيامة ليشهدوا على الأمم.

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾، أي أخرت، وضرب الأجل لجمعهم فعجب العباد من ذلك اليوم، ثم بيّن فقال: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يوم يفصل الرحمن عز وجل بين الخلائق.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ \* وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ \* أَلَمْ يُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾، يعني الأمم الماضية بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم.

﴿ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخَرِينَ﴾، السالكون سبلهم في الكفر والتكذيب يعني كفار مكة بتكذيبهم محمداً ﷺ.

﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ \* وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ \* أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾، يعني النطفة. ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾، يعني الرحم. ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾، وهو وقت الولادة.

﴿فَقَدَرْنَا﴾، قرأ أهل المدينة والكسائي: «فقدَرنا» بالتشديد من التقدير، وقرأ الآخرون بالتخفيف من القدرة، لقوله: «فنعَم القادرون»، وقيل: معناهما واحد، وقوله: ﴿فنعَم القادرون﴾ أي المقَدرون.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ \* أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾، وعاء، ومعنى الكَفَت: الضم والجمع،

أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رُوسًا شِمِخَتْ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ  
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ أَنظِلُّوْا إِلَى مَا كُتِبَ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٩﴾ أَنظِلُّوْا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ  
﴿٣٠﴾ لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾

١٨٢/ب يقال: كفت الشيء: إذا ضمه وجمعه / . وقال الفراء: يريد تكفتهم أحياء على ظهرها في دورهم ومنازلهم، وتكفتهم أمواتاً في بطنها، أي: تحوزهم<sup>(١)</sup> .

وهو قوله: ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ \* وجعلنا فيها رؤوساً، جبالاً ﴿شامخات﴾، عاليات، وأسقيناكم ماءً فُرَاتًا، عذباً.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾، قال مقاتل: وهذا كله أعجب من البعث، ثم أخبر أنه يقال لهم يوم القيامة.

﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون﴾، في الدنيا.

﴿انطلقوا إلى ظلي ذي ثلاث شعَبٍ﴾، يعني دخان جهنم إذا ارتفع انشعب وافترق ثلاث فرق. وقيل: يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث شعب، أما النور فيقف على رؤوس المؤمنين، والدخان يقف على رؤوس المنافقين، واللهب الصافي يقف على رؤوس الكافرين.

ثم وصف ذلك الظل فقال عز وجل: ﴿لَا ظِلِيلٍ﴾ لا يظل من الحر، ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾، قال الكلبي: لا يرد لهب جهنم عنكم، والمعنى أنهم [إذا]<sup>(٢)</sup> استظلوا بذلك الظل لم يدفع عنهم حر اللهب.

﴿إِنَّهَا﴾، يعني جهنم، ﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ﴾، وهو ما تطاير من النار، واحدها شررة. ﴿كَالْقَصْرِ﴾، وهو البناء العظيم، قال ابن مسعود: يعني الحصون.

وقال عبد الرحمن بن عياش سألت ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ قال: هي الخشب العظيم المقطعة، وكنا نعمد إلى الخشب فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه ندخرها للشتاء، فكنا نسميها القصر.

وقال سعيد بن جبير، والضحاك: هي أصول النخل والشجر العظيم، واحدها قصرة، مثل

(١) معاني القرآن للفراء: ٢٢٤/٣.

(٢) ساقط من «أ».

كَأَنَّهُ جُمِلَتْ صُفْرٌ ﴿٣٢﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٣﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِدُونِ ﴿٣٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونِ ﴿٤٠﴾ وَفَوَاكِهٍ مَمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤١﴾

تمرّة وتمر، وجمرة وجمر.

وقرأ علي وابن عباس «كالقصر» بفتح الصاد، أي أعناق النخل، والقصرة العنق، وجمعها قصر وقصرات.

﴿كَأَنَّهُ﴾ رد الكناية إلى اللفظ، ﴿جُمِلَتْ﴾. قرأ حمزة والكسائي وحفص: «جمالة» على جمع الجمل، مثل حجر وحجارة، وقرأ يعقوب بضم الجيم بلا ألف، أراد: الأشياء العظام المجموعة، وقرأ الآخرون: «جماليات» بالألف وكسر الجيم على جمع الجمال، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد ابن جبير: هي حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض، حتى تكون كأوساط الرجال، ﴿صُفْرٌ﴾، جمع الأصفر، يعني لون النار، وقيل: «الصفير» معناه: السود، لأنه جاء في الحديث أن شرر نار جهنم أسود كالقير، والعرب تستبي سود الإبل صفراً لأنه يشوب سوادها شيء من صفرة كما يقال لبيض الظباء: آدم، لأن بياضها يعلوه كدرة.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ \* هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾، وفي القيامة مواقف، ففي بعضها يختصمون ويتكلمون، وفي بعضها يختم على أفواههم فلا ينطقون.

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾، رفع عطف على قوله: «يؤذن»، قال الجنيد: أي لا عذر لمن أعرض عن منعمه وكفر بأياديه ونعمه.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ \* هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾، بين أهل الجنة والنار، ﴿جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾، يعني مكذبي هذه الأمة والأولين الذين كذبوا أنبياءهم.

﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِدُونِ﴾، قال مقاتل: إن كانت لكم حيلة فاحتالوا لأنفسكم.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ \* إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونِ﴾، جمع ظل أي في ظلال الشجر، ﴿وَعُيُونِ﴾،

الماء .

﴿وَفَوَاكِهٍ مَمَّا يَشْتَهُونَ﴾.

كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ  
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَنَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْزَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا  
قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا تِرْكَعُوا ﴿٤٨﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ  
يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

ويقال لهم: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون﴾، في الدنيا بطاعتي .

﴿إننا كذلك نجزي المحسنين \* ويل يَوْمَئِذٍ للمكذبين﴾ .

ثم قال لكفار مكة: ﴿كلوا وتمتعوا قليلاً﴾، في الدنيا، ﴿إنكم مجرمون﴾، مشركون بالله عز وجل مستحقون للعذاب.

﴿ويل يَوْمَئِذٍ للمكذبين \* وإذا قيل لهم اركعوا﴾ صلُّوا، ﴿لا يركعون﴾، لا يصلُّون، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إنما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون.

﴿ويل يَوْمَئِذٍ للمكذبين \* فبأي حديث بعده﴾ بعد القرآن، ﴿يؤمنون﴾، إذا لم يؤمنوا به.

السورة





## سُورَةُ النَّبَاِ

مكية (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا ﴿٥﴾

﴿عَمَّ﴾، أصله: «عن ما» فأدغمت النون في الميم وحذفت ألف «ما» [كقوله] <sup>(١)</sup>: «فيم»، و «بِمَ»؟ ﴿يتساءلون﴾، أي: عن أي شيء يتساءلون، هؤلاء المشركون؟ وذلك أن النبي ﷺ لما دعاهم إلى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت، وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم فيقولون: ماذا جاء به محمد؟ قال الزجاج: اللفظ لفظ استفهام ومعناه التفخيم، كما تقول: أي شيء زيد؟ إذا عظمت [أمره] <sup>(٢)</sup> وشأنه.

ثم ذكر أن تساؤلهم عماذا فقال: ﴿عن النبا العظيم﴾، قال مجاهد والأكثر: هو القرآن، دليله: قوله: «قل هو نبا عظيم» (ص-٦٧)، وقال قتادة: هو البعث.

﴿الذي هم فيه مختلفون﴾، فمصدق ومكذب، ﴿كلا سيعلمون﴾ «كلا» نفى لقولهم، «سيعلمون» عاقبة تكذيبهم حين تنكشف الأمور.

﴿ثم كلا سيعلمون﴾، وعيد لهم على أثر وعيد. وقال الضحاك: «كلا سيعلمون» يعني: الكافرين، «ثم كلا سيعلمون» يعني: المؤمنين، ثم ذكر صناعته ليعلموا توحيده فقال:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾، فراشاً.

(١) أخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس وابن مردويه عن ابن الزبير قال: نزلت سورة (عم يتساءلون) بمكة.

انظر: الدر المنثور: ٣٨٩/٨.

(٢) في «ب» كفولهم.

(٣) ساقط من «ب».

سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾  
وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا  
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً

﴿والجبال أوتاداً﴾، للأرض حتى لا تميد.

﴿وخلقناكم أزواجاً﴾، أصنافاً ذكوراً وإناثاً.

﴿وجعلنا نومكم سباتاً﴾، أي راحة لأبدانكم. قال الزجاج: «السبات»: أن ينقطع عن الحركة والروح فيه. وقيل: معناه جعلنا نومكم قطعاً لأعمالكم، لأن أصل السبت: القطع.

﴿وجعلنا الليل لباساً﴾، غطاء وغشاء يستتر كل شيء بظلمته.

﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾، المعاش: العيش، وكل ما يعاش فيه فهو معاش، أي جعلنا النهار سبباً للمعاش والتصرف في المصالح. قال [ابن عباس]<sup>(١)</sup>: يريد: تبتغون فيه من فضل الله، وما قسم لكم من رزقه.

﴿وبنينا فوقكم سبْعاً شِدَادًا﴾، يريد سبع سموات .

﴿وجعلنا سراجاً﴾، [يعني الشمس]<sup>(٢)</sup>، ﴿وهَّاجاً﴾، مضيئاً منيراً. قال الزجاج: الوهاج: الوقاد. قال مقاتل: جعل فيه نوراً وحرارة، والوهج يجمع النور والحرارة.

﴿وأنزلنا من المعصِرَاتِ﴾، قال مجاهد، وقتادة، ومقاتل، والكلبي: يعني الرياح التي تعصر السحاب، وهي رواية العوفي عن ابن عباس .

١٨٣/أ قال الأزهري: هي الرياح ذوات / الأعاصير، فعلى هذا التأويل تكون « مِنْ » بمعنى الباء أي بالمعصرات، وذلك أن الريح تستدر المطر.

وقال أبو العالية، والربيع، والضحاك: المعصرات هي السحاب وهي رواية الوالبي عن ابن عباس.

(١) في «ب» ابن مسعود.

(٢) ساقط من «ب».

﴿ثَجَّاجًا ۝١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا ﴿١٧﴾  
يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾

قال الفراء: [المعصرات السحاب] <sup>(١)</sup> [التي] <sup>(٢)</sup> تتحلب بالمطر ولا تمطر، كالمرأة المعصر هي التي دنا حيضها ولم تحض <sup>(٣)</sup>.

وقال ابن كيسان: هي المغيثات من قوله «فيه يُغاث الناس» <sup>(٤)</sup> وفيه يعصرون.

وقال الحسن، وسعيد بن جبير، وزيد بن أسلم، ومقاتل بن حيان: «من المعصرات» أي من السموات.

﴿ماءٌ ثَجَّاجًا﴾، أي صبابًا، وقال مجاهد: مدرارًا. وقال قتادة: متتابعًا يتلو بعضه بعضًا. وقال ابن زيد: كثيرًا.

﴿لِنُخْرِجَ بِهِ﴾، أي بذلك الماء، ﴿حَبًّا﴾، وهو ما يأكله الناس، ﴿وَنَبَاتًا﴾، ما تنبت الأرض مما تأكله الأنعام.

﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ ملتفة بالشجر، واحدها لَفٌ ولفيف، وقيل: هو جمع الجمع، يقال: جنة لَفًا، وجمعها لَفٌ، بضم اللام، وجمع الجمع أَلْفَافٌ.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾، يوم القضاء بين الخلق، ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾، لما وعد الله تعالى من الثواب والعقاب.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾، زمرًا [زمرًا] <sup>(٥)</sup> من كل مكان للحساب.

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾، قرأ أهل الكوفة: «فُتِحَتْ» بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد، أي شُقَّتْ لنزول الملائكة، ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾، أي ذات أبواب. وقيل: تنحل وتتناثر حتى تصير فيها أبواب وطرق.

(١) في «ب» المعصر السحابة.

(٢) زيادة من «ب».

(٣) انظر: «القرطين» لابن مطرف: ٢٠٠/٢.

(٤) ساقط من «ب».

وَسَيَّرَ الْجِبَالَ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّٰغِينَ مَثَابًا ﴿٢٢﴾  
لِّبِثِّينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾

﴿وَسَيَّرَ الْجِبَالَ﴾، عن وجه الأرض، ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾، أي هباءً منبثاً لعين الناظر كالسراب.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾، طريقاً وممرّاً فلا سبيل لأحد إلى الجنة حتى يقطع النار. وقيل: «كانت مرصاداً» أي: معدة لهم، يقال: أرصدت له [الشيء] <sup>(١)</sup> إذا أعددت له. وقيل: هو من رصدت الشيء أرصده إذا ترقبته. «والمِرْصَاد»: المكان الذي يرصد الراصد فيه العدو. وقوله: «إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا»، أي ترصد الكفار.

وروى مقسم عن ابن عباس: أن على جسر جهنم سبعة محابس يسأل العبد عند أولها عن شهادة أن لا إله إلا الله، فإن [أجابها] <sup>(٢)</sup> تامة جاز إلى الثاني، فيسأل عن الصلاة، فإن [أجابها] <sup>(٣)</sup> تامة جاز إلى الثالث، فيسأل عن الزكاة، فإن [أجابها] <sup>(٤)</sup> تامة جاز إلى الرابع، فيسأل عن الصوم فإن جاء به تامة جاز إلى الخامس، فيسأل عن الحج فإن جاء به تامة جاز إلى السادس، فيسأل عن العمرة فإن [أجابها] <sup>(٥)</sup> تامة جاز إلى السابع، فيسأل عن المظالم فإن خرج منها وإلا يقال: انظروا فإن كان له تطوع أكمل بها أعماله، فإذا فرغ منه انطلق به إلى الجنة.

﴿لِلطَّٰغِينَ﴾، للكافرين، ﴿مَثَابًا﴾، مرجعاً يرجعون إليه.

﴿لِّبِثِّينَ﴾، قرأ حمزة ويعقوب: «لِبِثِّينَ» بغير ألف، وقرأ العامة: «لابثين» [بالألف] <sup>(٦)</sup> وهما لغتان. ﴿فِيهَا أَحْقَابًا﴾، جمع حُقب، والحُقب الواحد: ثمانون سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، كل يوم ألف سنة <sup>(٧)</sup>. روي ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقال مجاهد: «الأحقاب» ثلاثة وأربعون حقبة كل حقب سبعون خريفاً، كل خريف سبعمئة سنة، كل سنة ثلاثمئة وستون يوماً، كل يوم ألف سنة.

(١) ساقط من «ب».

(٢) في «ب» جاء بها.

(٣) ساقط من «ب».

(٤) انظر: الطبري: ١١/٣٠.

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ  
كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ

قال الحسن: إن الله لم يجعل لأهل النار مدة، بل قال: «لابئين فيها أحقاب» فوالله ما هو إلا [إذا] <sup>(١)</sup> مضى حقب دخل آخر ثم آخر إلى الأبد، فليس للأحقاب عدة إلا الخلود <sup>(٢)</sup>.

روى السدي عن مرة عن عبد الله قال: لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا، ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا.

وقال مقاتل بن حيان: الحقب الواحد سبع عشرة ألف سنة. قال: وهذه الآية منسوخة نسختها «فلن نزيدكم إلا عذاباً» يعني أن العدد قد ارتفع والخلود قد حصل <sup>(٣)</sup>.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾، روي عن ابن عباس: أن البرد النوم، ومثله قال الكسائي و [قال] <sup>(٤)</sup> أبو عبيدة، تقول العرب: منع البرد البرد أي أذهب البرد النوم. وقال الحسن وعطاء: «لا يذوقون فيها برداً» أي: روحاً وراحة. وقال مقاتل: «لا يذوقون فيها برداً» ينفعهم من حر، «ولا شراباً» ينفعهم من عطش.

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾، قال ابن عباس: «الغساق»: الزمهرير يحرقهم ببرده. وقيل: صديد أهل النار، وقد ذكرناه في سورة «ص» <sup>(٥)</sup>.

﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾، أي جزيناهم جزاء وافق أعمالهم. قال مقاتل: وافق العذاب الذنب، فلا ذنب أعظم من الشرك، ولا عذاب أعظم من النار.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾، لا يخافون أن يحاسبوا، والمعنى: أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم محاسبون.

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، أي بما جاءت به الأنبياء، ﴿كَذَّابًا﴾، تكذيباً، قال الفراء: هي لغة يمانية فصيحة، يقولون في مصدر التفعيل فَعَّالٌ وقال: قال لي أعرابي منهم على المروة يستفتيني: الحلق أحب

(١) ساقط من «أ».

(٢) انظر: الطبري: ١٢/٣٠-١١.

(٣) قال الطبري: ١٢/٣٠: «ولا معنى لهذا القول لأن قوله (لابئين فيها أحقاباً) خبر، والأخبار لا يكون فيها نسخ، وإنما النسخ يكون في الأمر والنهي».

(٤) ساقط من «أ».

(٥) المجلد السابع، صفحة: (٩٩).

كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ  
وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءُ  
مَنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ  
إِلَيْكَ أَمِ الْقِصَارُ؟<sup>(١)</sup>

﴿وكل شيء أحصيناه كتاباً﴾، أي وكل شيء من الأعمال بيناه في اللوح المحفوظ، كقوله:  
﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ (يس-١٢).

﴿فذوقوا﴾، أي يقال لهم: فذوقوا، ﴿فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾.

قوله عز وجل: ﴿إن للمتقين مفازاً﴾، فوزاً ونجاةً من النار، وقال الضحاك: منزهاً.

﴿حدائق وأعناباً﴾، يريد أشجار الجنة وثمارها.

﴿وكواعب أتراباً﴾، جوارى نواهد قد تكعبت ئديهن، واحدها كاعب، ﴿أتراباً﴾، مستويات في

السن.

﴿وكأساً دهاقاً﴾، قال ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد: مترعة مملوءة. وقال سعيد بن  
جبير ومجاهد: متتابعة. قال عكرمة: صافية.

﴿لا يسمعون فيها لغواً﴾، باطلاً من الكلام، ﴿ولا كذاباً﴾، تكذيباً، لا يكذب  
بعضهم بعضاً. وقرأ الكسائي «كذاباً» بالتخفيف مصدر [كاذب]<sup>(٢)</sup> كالمكاذبة، وقيل: هو الكذب.  
وقيل: هو بمعنى التكذيب كالمشدد.

﴿جزاء من ربك عطاءً حساباً﴾، أي جازاهم جزاء وأعطاهم عطاء «حساباً» أي: كافياً  
وافياً، يقال: أحسبت فلاناً، أي أعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي. وقال ابن قتيبة: «عطاءً حساباً»  
أي كثيراً<sup>(٣)</sup>. وقيل: هو جزاء بقدر أعمالهم.

﴿رب السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾، قرأ أهل الحجاز، وأبو عمرو: «رب» رفع  
على الاستئناف و «الرحمن» خبره. وقرأ الآخرون بالجر إتباعاً لقوله: «من ربك» وقرأ ابن عامر،

(١) معاني القرآن للفراء: ٢٢٩/٣.

(٢) ساقط من «ب»

(٣) انظر: القرطبي: ٢٠١/٢.

## خَطَابًا ﴿٢٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ

وعاصم، ويعقوب: «الرحمن» جراً إتباعاً لقوله: «رَبِّ السَّمَاوَاتِ /»، وقرأ الآخرون بالرفع، فحمزة والكسائي يقرآن «رَبِّ» بالخفض لقربه من قوله: «جزاء من ربك» ويقرآن «الرحمن» بالرفع لبعده منه على الاستئناف، وقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ في موضع رفع، خبره.

ومعنى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾، قال مقاتل: لا يقدر الخلق على أن يكلموا الرب إلا بإذنه. وقال الكلبي: لا يملكون شفاعاً إلا بإذنه.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾، أي في ذلك اليوم، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾، واختلفوا في هذا الروح، قال الشعبي والضحاك: هو جبريل.

وقال عطاء عن ابن عباس: «الروح» ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقاً أعظم منه، فإذا كان يوم القيامة قام وحده صفّاً وقامت الملائكة كلهم صفّاً واحداً، فيكون عظم خلقه مثلهم<sup>(١)</sup>.

وعن ابن مسعود قال: الروح ملك أعظم من السموات ومن الجبال، ومن الملائكة وهو في السماء الرابعة، يسبح كل يوم اثني عشر [ألف]<sup>(٢)</sup> تسبيحة، يُخلق من كل تسبيحة ملك يجيء يوم القيامة صفّاً وحده<sup>(٣)</sup>.

وقال مجاهد، وقتادة، وأبو صالح: «الروح» خلق على صورة بني آدم ليسوا بناس يقومون صفّاً والملائكة صفّاً، هؤلاء جند وهؤلاء جند.

وروى مجاهد عن ابن عباس قال: هم خلق على صورة بني آدم وما ينزل من السماء ملك إلا معه واحد منهم<sup>(٤)</sup>.

وقال الحسن: هم بنو آدم<sup>(٥)</sup>. ورواه قتادة عن ابن عباس، وقال: هذا مما كان يكتبه ابن عباس<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: الطبري: ٢٢/٣٠.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرجه الطبري: ٢٢/٣٠.

واستغربه ابن كثير: ٤٦٦/٤ فقال: «وهذا قول غريب جداً».

وانظر: الدر المنثور: ٤٠٠/٨.

(٤) انظر: الطبري ٢٣/٣٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٣/٣٠.

(٦) الراجح الجمع بين هذه الأقوال كما بين ابن جرير: ٢٣/٣٠ فقال: «والصواب من القول أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر =



وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

«والملائكة صفا» قال الشعبي: هما سماطا<sup>(١)</sup> رب العالمين، يوم يقوم سماط من الروح وسماط من الملائكة.

﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾، في الدنيا، أي حقاً. وقيل: قال: لا إله إلا الله<sup>(٢)</sup>.

﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾، الكائن الواقع يعني يوم القيامة، ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا﴾، مرجعاً وسيلاً بطاعته، أي: فمن شاء رجع إلى الله بطاعته.

﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾، يعني العذاب في الآخرة، وكل ما هو آت قريب. ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، أي كل امرئ يرى في ذلك اليوم ما قدم من العمل مثبتاً في صحيفته، ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾.

قال عبد الله بن عمرو<sup>(٣)</sup>: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مدّ الأديم، وحشرت الدواب والبهائم والوحوش، ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القراء تنطحها، فإذا فرغ من القصاص قيل لها: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ياليتني كنت تراباً. ومثله عن مجاهد.

وقال مقاتل: يجمع الله الوحوش والهوام والطير فيقضي بينهم حتى يُقتص للجماء من القراء، ثم يقول لهم: أنا خلقتكم وسخرتكم لبني آدم وكنتم مطيعين إياهم أيام حياتكم، فارجعوا إلى الذي

= أن خلقه لا يملك منه خطاباً، يوم يقوم الروح، والروح خلق من خلقه، وجائز أن يكون بعض هذه الأشياء التي ذكرت، والله أعلم أي ذلك هو، ولا خير بشيء من ذلك أنه المعنى به دون غيره يجب التسليم له، ولا حجة تدل عليه، وغير ضائر الجهل به. وراجع ابن كثير: ٤٦٦/٤-٤٦٧ فقد رجع أنهم بنو آدم.

(١) والسماط: الصف.

(٢) رواه الطبري: ٢٤/٣٠ عن عكرمة ثم قال: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: «إن الله تعالى ذكره أخبر عن خلقه أنهم لا يتكلمون يوم يقوم الروح والملائكة صفاً إلا من أذن له منهم في الكلام الرحمن، وقال صواباً فالواجب أن يقال

كما أخبر إذ لم يخبرنا في كتابه، ولا على لسان رسوله، أنه عني بذلك نوعاً من أنواع الصواب، والظاهر محتمل جميعه». (٣) في المخطوطتين: عبد الله بن عمر، أما في الطبري: ٢٦/٣٠ فبعد الله بن عمرو. وكذلك عند ابن كثير: ٤٦٧/٤. وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٤٠٢/٨ لعبد بن حميد وابن شاهين في كتاب «العجائب والغرائب».

كنتم، كونوا تراباً، فإذا التفت الكافر إلى شيء صار تراباً، يتمنى فيقول: ياليتني كنت في الدنيا في صورة خنزير، وكنت اليوم تراباً.

وعن [أبي الزناد عبد الله بن ذكوان]<sup>(١)</sup> قال: إذا قضى الله بين الناس وأمر أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، وقيل لسائر الأمم وللمؤمنين الجن عودوا تراباً فيعودون تراباً، فحينئذ يقول الكافر: ياليتني كنت تراباً. وبه قال لينث بن [أبي]<sup>(٢)</sup> سليم، مؤمنو الجن يعودون تراباً<sup>(٣)</sup>.

وقيل: إن الكافر ها هنا إبليس<sup>(٤)</sup> وذلك أنه عاب آدم أنه خلق من التراب وافتخر بأنه خلق من النار، فإذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والرحمة، وما هو فيه من الشدة والعذاب، قال: ياليتني كنت تراباً. قال أبو هريرة فيقول: التراب لا، ولا كرامة لك، من جعلك مثلي؟.

(١) في نسخة «أ» أبي الزناد عن عبد الله بن ذكوان، والصواب أنه اسم واحد.

(٢) ساقط من «ب» والصحيح ما أثبتناه كما في «تهذيب التهذيب».

(٣) انظر الطبري: ٢٦/٣٠.

(٤) حكى الثعلبي عن بعض أشياخه أنه رأى ذلك في بعض التفاسير، انظر: زاد المسير: ١٣/٨. والصحيح أنها عامة في كل كافر لأنه لم يخص كافراً معيناً فدخل إبليس وغيره...



# السُّورَةُ الزَّاعِمَاتِ



## سُورَةُ النَّازِعَاتِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا<sup>(٢)</sup>

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾، يعني الملائكة تنزع أرواح الكفار من أجسادهم، كما يُغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المدّ بعد ما نزعها حتى إذا كادت تخرج ردها في جسده فهذا عمله بالكفار، و«الغرق» اسم أقيم مقام الإغراق، أي: والنازعات لإغراقاً، والمراد بالإغراق المبالغة في المدّ.

قال ابن مسعود: ينزعها ملك الموت [وأعوانه]<sup>(٣)</sup> من تحت كل شعرة ومن الأظافر وأصول القدمين<sup>(٤)</sup>، [ويرددها في جسده بعد ما ينزعها]<sup>(٥)</sup> حتى إذا كادت تخرج ردها في جسده بعد ما ينزعها، فهذا عمله بالكفار.

وقال مقاتل: ملك الموت وأعوانه ينزعون [أرواح]<sup>(٦)</sup> الكفار كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبطل، فتخرج نفسه كالغريق في الماء.

وقال مجاهد: هو الموت ينزع النفوس<sup>(٧)</sup>.

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة النازعات بمكة.

انظر: الدر المنثور: ٤٠٣/٨.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) انظر: الطبري: ٢٧/٣٠.

(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٥) في «ب» روح.

(٦) انظر الطبري: ٢٧/٣٠.

## وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ۝ وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ۝

وقال السُّدِّي: هي النفس حين تغرق في الصدر<sup>(١)</sup>.

وقال الحسن وقتادة وابن كيسان: هي النجوم تنزع من أفق إلى أفق تطلع ثم تغيب<sup>(٢)</sup>.

وقال عطاء وعكرمة: هي الْقَسِي<sup>(٣)</sup>. وقيل: الغزاة الرماة<sup>(٤)</sup>.

﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾، [هي]<sup>(٥)</sup> الملائكة تنشط نفس المؤمن، أي تحل حلاً رقيقاً فتقبضها،

كما ينشط العقل من يد البعير، أي يحل برفق، حكى الفراء هذا القول، ثم قال: والذي سمعت من العرب أن يقولوا: أُنْشِطُ الْعَقْلَ، إذا حللته، وأنشطته: إذا عقدته بأنشطة<sup>(٦)</sup>. وفي الحديث: «كأنما أُنشط من عقل»<sup>(٧)</sup>.

وعن ابن عباس: هي نفس المؤمن تنشط للخروج عند الموت، لما يرى من الكرامة لأنه تعرض عليه الجنة قبل أن يموت.

وقال علي بن أبي طالب: هي الملائكة تنشط أرواح الكفار مما بين الجلد والأظفار حتى تخرجها من أفواههم بالكرب والغم، والنَّشِطُ: الجذب والنزع، يقال: نشطت الدلو نشطاً إذا نزعته قال الخليل: النشط والإنشاط مذك الشيء إلى نفسك، حتى ينحل.

وقال مجاهد: هو الموت ينشط النفوس. وقال السدي: هي النفس تنشط من القدمين أي تجذب. وقال قتادة: هي النجوم تنشط من أفق إلى أفق، أي تذهب، يقال: نشط من بلد إلى بلد، إذا خرج في سرعة، ويقال: حمار ناشط، ينشط من بلد إلى بلد، وقال عطاء وعكرمة: هي [الأوهاق]<sup>(٨)</sup>.

﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾، هم الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلمونها/ سلاً رقيقاً، ثم يدعونها

حتى تستريح كالسباح بالشيء في الماء يرفق به.

(١) أخرجه الطبري: ٢٨/٣٠.

(٢) انظر الطبري: ٢٨/٣٠.

(٣) قال صاحب زاد المسير: ١٥/٩ «حكاه الثعلبي».

(٤) في «ب» هم.

(٥) معاني القرآن للفراء: ٢٣٠/٣ وقد تصرّف في العبارة.

(٦) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الإجارة، باب ما يعطى في الرقية .. ٤٥٣/٤، عن أبي سعيد الخدري.

وانظر: فتح الباري: ٤٥٦/٤.

(٧) في «ب» الإزهاق.

والأوهاق: جمع وهق - بسكون الهاء أو تحريكها - وهي الخيل المغارير في طرفه أنشطة فتؤخذ فيه الدابة والإنسان.

وقد ساق الطبري: ٢٨-٢٩، أكثر الأقوال المذكورة ثم قال مرجحاً: «والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: =

## فَالسَّيِّقَتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَاَلْمَدِيرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾

وقال مجاهد وأبو صالح: هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد يقال له سابح إذا أسرع في جريه.

وقيل: هي خيل الغزاة. وقال قتادة: هي النجوم والشمس [والقمر]<sup>(١)</sup>، قال الله تعالى: «كل في فلك يسبحون» (الأنبياء-٣٣).

وقال عطاء: هي السفن.

﴿فالسابقات سَبْقًا﴾، قال مجاهد: هي الملائكة [تسبق]<sup>(٢)</sup> ابن آدم بالخير والعمل الصالح.

وقال مقاتل: هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.

وعن ابن مسعود قال: هي أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها شوقاً إلى لقاء الله وكرامته، وقد عاينت السرور.

وقال قتادة: هي النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير. وقال عطاء: هي الخيل<sup>(٣)</sup>.

﴿فالمديرات أَمْرًا﴾، قال ابن عباس: هم الملائكة وُكِّلُوا بأمر عَرَّفَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ العمل بها.

قال [عبد الرحمن]<sup>(٤)</sup> بن سابط: يدبر [الأمر]<sup>(٥)</sup> في الدنيا أربعة: جبريل، وميكائيل، وملك الموت، وإسرافيل، عليهم السلام، أما جبريل: فموكل بالريح والجنود، وأما ميكائيل: فموكل بالقطر والنبات، وأما ملك الموت: فموكل بقبض [الأرواح]<sup>(٦)</sup>، وأما إسرافيل: فهو ينزل بالأمر عليهم.

وجواب هذه الأقسام محذوف، على تقدير: لتبعثن ولتحاسبن<sup>(٧)</sup>.

= إن الله جل ثناؤه أقسم بالناشطات نشطاً، وهي التي تنشط من موضع إلى موضع فتذهب إليه، ولم يخص الله بذلك شيئاً دون شيء، بل عم القسم بجميع الناشطات والملائكة تنشط من موضع إلى موضع، وكذلك الموت وكذلك النجوم والأوهاق وبقر الوحش أيضاً تنشط.

ويلاحظ أن الأكثرية على أنها الملائكة كما قال ابن كثير وابن الجوزي وهو أقرب.

(١) ساقط من «ب».

(٢) في «ب» سبقت.

(٣) راجع في هذه الأقوال: الطبري: ٣٠/٣٠-٣١، زاد المسير: ١٧/٩، والتعليق السابق على الناشطات.

(٤) في «ب» عبد الله، والصحيح ما أثبتناه من «أ» كما في «تهذيب التهذيب».

(٥) في «ب» الأمر.

(٦) في «ب» الأنفس.

(٧) انظر: زاد المسير: ١٨/٩.



## يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾

وقيل: جوابه [قوله] <sup>(١)</sup>: «إن في ذلك لعبرة لمن يخشى».

وقيل: فيه تقديم [وتأخير] <sup>(٢)</sup>، تقديره: يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات غرقاً <sup>(٣)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾، يعني النفخة الأولى، يتزلزل ويتحرك لها كل شيء، ويموت منها جميع [الخلائق] <sup>(٤)</sup>.

﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾، وهي النفخة الثانية ردت الأولى وبينهما أربعون سنة.

قال قتادة: هما صيحتان فالأولى تمت كل شيء، والأخرى تحيي كل شيء بإذن الله عز وجل <sup>(٥)</sup>.

وقال مجاهد: ترجف الراجفة تتزلزل الأرض والجبال، تتبعها الرادفة حين تنشق السماء، وتُحمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة <sup>(٦)</sup>.

وقال عطاء: «الراجفة» القيامة و «الرادفة» البعث. وأصل الرجفة: الصوت والحركة.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك، حدثنا محمد بن هارون <sup>(٧)</sup> الحضرمي، حدثنا الحسن ابن عرفة، حدثنا قبيصة بن عقبة، عن سفيان الثوري، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل ابن أبي بن كعب، عن أبي بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربيع الليل قام، وقال: «يا أيها الناس اذكروا الله، [اذكروا الله] <sup>(٨)</sup>، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه،

(١) ساقط من «أ».

(٢) ساقط من «ب».

(٣) قال أبو حيان في البحر المحيط: ٤٢٠/٨: «وقيل: التقدير يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات على التقديم والتأخير أيضاً وليس بشيء».

(٤) في «ب» الخلق.

(٥) أخرجه الطبري: ٣١/٣٠.

(٦) انظر الطبري: ٣٢/٣٠.

(٧) في «أ» محمد بن إبراهيم ولعله سقط اسم أبيه هارون فهو محمد بن هارون بن إبراهيم كما في «تهذيب التهذيب».

(٨) ساقط من «أ».

قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَيْنَا كُنَّا عِظَمًا نَخْرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾

[جاء الموت بما فيه] <sup>(١)</sup>.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾، خائفة قلقة مضطربة، وسمي «الوجيف» في السير، لشدة اضطرابه، يقال: وجف القلب ووجب وجوفاً ووجيفاً ووجوباً ووجيباً. وقال مجاهد: وجلة. وقال السدي: زائلة عن أماكنها، نظيره «إذ القلوب لدى الحناجر» (غافر-١٨).

﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾، ذليلة، كقوله: «خاشعين من الذل» (الشورى-٤٥) الآية.

﴿يَقُولُونَ﴾ يعني المنكرين للبعث إذا قيل لهم إنكم مبعوثون من بعد الموت: ﴿أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾؟ أي: إلى أول الحال وابتداء الأمر، فنصير أحياء بعد الموت كما كنا؟ تقول العرب: رجع فلان في حافرتي، أي رجع من حيث جاء، والحافرة عندهم اسم لابتداء الشيء، [وأول الشيء] <sup>(٢)</sup>.

وقال بعضهم: «الحافرة»: وجه الأرض التي تحفر فيها قبورهم، سميت حافرة بمعنى المحفورة، كقوله: «عيشة راضية» أي مرضية.

وقيل: سميت حافرة لأنها مستقر [الحوافر] <sup>(٣)</sup>، أي أئنا لمرْدودون إلى الأرض فنبعث خلقاً جديداً نمشي عليها؟ وقال ابن زيد: «الحافرة» النار.

﴿أَيْنَا كُنَّا عِظَمًا نَخْرَةً﴾، قرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، ويعقوب: «أئنا؟ مستفهماً، «إذا» بتركه، ضده أبو جعفر، [الباقون] باستفهامهما، وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو عمرو: «عظاماً ناخرة»، وقرأ الآخرون «نخرة» وهما لغتان، مثل الطمع والطامع والحذر والحاذر، ومعناها البالية، وفرق قوم بينهما، فقالوا: النخرة: البالية، والناخرة: المجوفة التي تمر فيها الريح فتتخر، أي: تصوت.

﴿قَالُوا﴾، يعني المنكرين: ﴿تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾، رجعة خائبة، يعني إن رددنا بعد الموت

= والحديث أخرجه الترمذي في صفة القيامة: ١٥٢/٧-١٥٣ وقال: «هذا حديث حسن» وصححه الحاكم: ٤٢١/٢ ووافقه الذهبي.

وأخرج بعضه الإمام أحمد: ١٣٦/٥، وأبو نعيم في الحلية: ٢٥٦/١، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث برقم: (٩٥٤) ٦٧٥/٢.

(١) ساقط من «أ».

(٢) ساقط من «ب».

(٣) في «ب» الحافر.

فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَنتَكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾  
 إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى  
 ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿١٩﴾ فَأَرِنَهُ آيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾

لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت.

قال الله عز وجل: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾، يعني النفخة الأخيرة، ﴿زَجْرَةٌ﴾، صيحة، ﴿وَاحِدَةٌ﴾، يسمعونها.

﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾، يعني: وجه الأرض، أي صاروا على وجه الأرض بعد ما كانوا في جوفها<sup>(١)</sup>. والعرب تسمى القلاة ووجه الأرض: ساهرة. قال بعض أهل اللغة<sup>(٢)</sup>: تراهم سموها ساهرة لأن فيه نوم الحيوان وسهرهم. قال سفيان: هي أرض الشام<sup>(٣)</sup>. وقال قتادة: هي جهنم<sup>(٤)</sup>. قوله عز وجل: ﴿هَلْ أَنتَكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾، يقول: قد جاءك يا محمد حديث موسى.

﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾<sup>(٥)</sup>. فقال يا موسى: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾، علا وتكبر وكفر بالله.

﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾، قرأ أهل الحجاز ويعقوب بتشديد الزاي: أي تزكى وتطهر من الشرك، وقرأ الآخرون [بالتخفيف] وأصله تزكى فأدغمت التاء الثانية في الزاي في القراءة الأولى، وحذفت في الثانية، ومعناه تطهر من الشرك<sup>(٦)</sup> أي: تسلم وتصلح، قال ابن عباس: تشهد أن لا إله إلا الله.

﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾، أي: أدعوك إلى عبادة ربك. وتوحيده فتخشى عقابه.

﴿فَأَرِنَهُ آيَةَ الْكُبْرَى﴾، وهي العصا واليد البيضاء

(١) وهذا ما رجحه ابن كثير: ٤/٤٦٨.

(٢) انظر الطبري: ٣٠/٣٥.

(٣) انظر الطبري: ٣٠/٣٧.

(٤) انظر الطبري: ٣٠/٣٨.

(٥) قال ابن جرير عند تفسير هذه الآية: ٣٨/٣٠ «وהל سمعت خبره حين ناجاه ربه بالواد المقدس، يعني بالمقدس: المطهر المبارك ثم ذكر أقوالاً كثيرة في معنى طوى».

(٦) ما بين القوسين ساقط من «ب».

فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴿٤٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٤٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٤٤﴾  
فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٤٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى ﴿٤٦﴾ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ  
بَنَتْهَا ﴿٤٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَهَا ﴿٤٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٤٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ  
﴿فَكَذَّبَ﴾، بأنهما من الله، ﴿وَعَصَى﴾.

﴿ثُمَّ أَذْبَرَ﴾، تولى وأعرض عن الإيمان ﴿يَسْعَى﴾، يعمل بالفساد في الأرض.

﴿فَحَشَرَ﴾، فجمع قومه وجنوده، ﴿فَنَادَى﴾، لما اجتمعوا.

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾، فلا رب فوقى. وقيل: أراد أن الأصنام أرباب وأنا ربكم وربها.

﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾، قال الحسن وقتادة: عاقبه الله فجعله نكال الآخرة والأولى، أي في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بالنار<sup>(١)</sup>.

وقال مجاهد وجماعة من المفسرين: أراد بالآخرة والأولى كلمتي فرعون قوله: «ما علمت

لكم من إله غيري» (القصص-٣٨)، وقوله: «أنا ربكم الأعلى»، وكان بينهما/أربعون سنة<sup>(٢)</sup>. ١٨٤/ب

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾، الذي فعل فرعون حين كذب وعصى، ﴿لَعِبْرَةً﴾، لعظة، ﴿لِمَن يَخْشَى﴾، الله عز وجل.

ثم خاطب منكري البعث فقال: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾، يعني: أخلقكم بعد الموت أشد عندكم وفي تقديركم أم السماء؟ وهما في قدرة الله واحد، كقوله: «لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ» (غافر-٥٧)، ثم وصف خلق السماء فقال: ﴿بَنَاهَا﴾.

﴿رَفَعَ سَمَكَهَا﴾، سقفها ﴿فَسَوَّاهَا﴾، بلا شطور [ولا شقوق]<sup>(٣)</sup> ولا فطور.

﴿وَأَغْطَشَ﴾، أظلم، ﴿لَيْلَهَا﴾، والغطش والغيش الظلمة، ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾، أبرز وأظهر نهارها ونورها، وأضافهما إلى السماء لأن الظلمة والنور كلاهما ينزل من السماء.

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾، بعد خلق السماء ﴿دَحَاهَا﴾، بسطها، والدَّحُو: البسط. قال ابن

عباس: خلق الله الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن

(١) انظر الطبري: ٤٢/٣٠.

(٢) انظر الطبري: ٤١/٣٠.

(٣) ساقط من «ب».

دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَمَ لَكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلَا ﴿٤٤﴾

سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك.

وقيل: معناه: والأرض مع ذلك دحاها، كقوله عز وجل: «عُتِّلَ بعد ذلك زنيم» (القلم-١٣)، أي مع ذلك.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ والجبال أرساها \* متاعاً لكم ولأنعامكم \* فإذا جاءت الطامة الكبرى، يعني النفخة الثانية التي فيها البعث وقامت القيامة، وسميت القيامة: «طامة» لأنها تطم على كل هائلة من الأمور، فتعلو فوقها وتغمر ما سواها، و «الطامة» عند العرب: الداهية التي لا تُستطاع.

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾، ما عمل في الدنيا من خير وشر.

﴿وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾، قال مقاتل يكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق.

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾، في كفره.

﴿وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، على الآخرة.

﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ وأما مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ، عن المحارم

التي تشتهيها، قال مقاتل: هو الرجل يهجم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها.

﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ يسألونك عن الساعة أَيَّانَ مُرْسَاهَا، متى ظهورها وثبوتها.

﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾، لست في شيء من علمها وذكرها، أي لا تعلمها.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلَا﴾، أي منتهى علمها عند الله.

إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِّنْ يَّخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ﴿٤٦﴾

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِّنْ يَّخْشَاهَا﴾، قرأ أبو جعفر: «منذر» بالتنوين أي [إنما أنت] <sup>(١)</sup> مخوف من يخاف قيامها، أي: إنما ينفع إنذارك من يخافها.

﴿كَانَهُمْ﴾، يعني كفار قريش، ﴿يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾، يعاينون يوم القيامة، ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾، في الدنيا، وقيل: في قبورهم، ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى﴾، قال الفراء <sup>(٢)</sup>: ليس للعشية ضحى، إنما الضحى لصدر النهار، ولكن هذا ظاهر من كلام العرب أن يقولوا: آتتك العشية أو غداتها، إنما معناه: آخر يوم أو أوله، نظيره: قوله «كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار» (الأحقاف-٣٥).

(١) ساقط من «ب».

(٢) معاني القرآن للفراء: ٢٣٤/٣.



سورة ، م  
عَلِيْس  
ع . ح





## سُورَةُ عَبَسَ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢)

﴿عَبَسَ﴾، كَلَحَ، ﴿وَتَوَلَّى﴾، أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ.

﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾، [أي: لَأَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى]<sup>(٣)</sup>، وهو ابن أم مكتوم، واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي، وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ، وهو يناجي عتبة بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب، وأبى بن خلف، وأخاه أمية، يدعوهم إلى الله، يرجو إسلامهم، فقال ابن أم مكتوم: [يا رسول الله]<sup>(٤)</sup> أقرئني وعلمي مما علمك الله، فجعل يناديه ويكرر النداء، ولا يدرى أنه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه، وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد: إنما أتباعه العميان والعبيد والسفلة، فعبس وجهه وأعرض عنه، وأقبل على القوم الذين يكلمهم، فأنزل الله هذه الآيات، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه، وإذا رآه قال: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي، ويقول له: هل لك من حاجة؟ واستخلفه على المدينة مرتين<sup>(٥)</sup> في غزوتين غزاهما، قال أنس بن مالك: فرأيت يوم القادسية عليه درع ومعه

(١) أخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس قال: نزلت سورة عبس بمكة. انظر: الدر المنثور: ٤١٥/٨.

(٢) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(٣) انظر: الواحدي في أسباب النزول صفحة (٥١٧).

وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» صفحة (١٨١): «ذكره الثعلبي بلا إسناد، وأخرجه ابن أبي حاتم من رواية العوفي عن ابن عباس نحوه دون قوله: (صناديد قريش) ودون سياق نسب ابن أم مكتوم، وكذا أخرجه الطبري من رواية سعيد عن قتادة. قال: ذكر لنا... فذكره.

وانظر الروايات في الصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي صفحة (١٦٩).

وَمَا يَذُرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكِي ﴿٣﴾ أَوْ يَذْكُرُ فَنُفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكِي ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَى ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾

راية سوداء<sup>(١)</sup>.

﴿وما يذريك لعله يزكي﴾، يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك، وقال ابن زيد: يسلم.

﴿أو يذكرك﴾، يتعظ، ﴿فنفعه الذكرى﴾، الموعظة قرأ عاصم: «فنفعه» بنصب العين على جواب «لعل» بالفاء، وقراءة العامة بالرفع نسقاً على قوله: «يذكر».

﴿أما من استغنى﴾، قال ابن عباس: عن الله وعن الإيمان بما له من المال.

﴿فأنت له تصدى﴾، تتعرض له وتقبل عليه وتصغي إلى كلامه، وقرأ أهل الحجاز: «تصدى» بتشديد الصاد على الإدغام، أي: تصدى، وقرأ الآخرون بتخفيف الصاد على الحذف.

﴿وما عليك ألا يزكي﴾، لا يؤمن ولا يهتدي، إن عليك إلا البلاغ.

﴿وأما من جاءك يسعى﴾، يمشي يعني: ابن أم مكتوم.

﴿وهو يخشى﴾، الله عز وجل.

﴿فأنت عنه تلهي﴾، تتشاغل وتعرض [عنه]<sup>(٢)</sup>.

﴿كلَّا﴾، زجر، أي لا تفعل بعدها مثلها، ﴿إنها﴾ يعني هذه الموعظة. وقال مقاتل: آيات القرآن، ﴿تذكرة﴾، موعظة وتذكير للخلق.

﴿فمن شاء﴾، من عباد الله، ﴿ذكره﴾، أي اتعظ به. وقال مقاتل: فمن شاء الله ذكره وفهمه، واتعظ بمشيئته وتفهمه، والهاء في «ذكره» راجعة إلى القرآن والتنزيل والوعظ. ثم أخبر عن جلالته عنده فقال:

﴿في صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾، يعني اللوح المحفوظ. وقيل: كتب الأنبياء عليهم السلام، دليله قوله

(١) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: ٣٤٨/٢.

(٢) ساقط من «ب».

مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾

تعالى: «إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى» (الأعلى - ١٨، ١٩).

﴿مَرْفُوعَةٍ﴾، رفيعة القدر عند الله عز وجل، وقيل: مرفوعة يعني في السماء السابعة. ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾، لا يمسها إلا المطهرون، وهم الملائكة.

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: كَتَبَ، وهم الملائكة الكرام الكاتبون، واحدهم سافر، يقال: سفرت أي كتبت. ومنه قيل [للكتاب: سافر، و] <sup>(١)</sup> للكتاب: سِفْرٌ، وجمعه: أسفار. وقال الآخرون: هم الرسل من الملائكة واحدهم سفير، وهو الرسول، وسفير القوم الذي يسعى بينهم للصلح، وسفرت بين القوم إذا أصلحت بينهم.

ثم أثنى عليهم فقال: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾، أي: كرام على الله، بررة / مطيعين، جمع بار. ١٨٥/أ

قوله عز وجل: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ﴾، أي لعن الكافر. قال مقاتل: نزلت في عتبة بن أبي لهب <sup>(٢)</sup> ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾، ما أشد كفره بالله مع كثرة إحسانه إليه وأياديه عنده، على طريق التعجب، قال الزجاج: معناه: اعجبوا أنتم من كفره. وقال الكلبي ومقاتل: هو «ما» الاستفهام، يعني: أي شيء حمّله على الكفر؟ ثم بيّن من أمره ما كان ينبغي معه أن يعلم أن الله خالقه فقال: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾، لفظه استفهام ومعناه التقرير.

ثم فسره فقال: ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾، أطواراً: نطفة ثم علقه إلى آخر خلقه، قال الكلبي: قدر خلقه، رأسه وعينه ويديه ورجليه.

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾، أي طريق خروجه من بطن أمه. قال السدي ومقاتل، والحسن ومجاهد: يعني طريق الحق والباطل، سهل له العلم به، كما قال: «إنا هديناه السبيل» (الإنسان - ٣) «وهديناه النجدين» (البلد - ١٠)، وقيل: يسر على كل أحد ما خلقه له وقدره عليه.

﴿ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾، جعل له قبراً يوارى فيه. قال الفراء: جعله مقبوراً ولم يجعله ممن يلقي كالسباع والطيور. يقال: قبرت الميت إذا دفنته، وأقبره الله: أي صيره بحيث يقبر، وجعله ذا قبر،

(١) ساقط من «أ».

(٢) انظر: زاد المسير، ٣٠/٩، وعزاه صاحب الدر المنثور: ٤١٩/٨ لعكرمة.

ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرُهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَيْنًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَيْكَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾

كما يقال: طردت فلاناً والله أطرده أي صيره طريداً<sup>(١)</sup>.

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾، أحياه بعد موته.

﴿كَلَّا﴾، رداً عليه، أي: ليس كما يقول ويظن هذا الكافر، وقال الحسن: حقاً. ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرُهُ﴾، أي لم يفعل ما أمره [الله به]<sup>(٢)</sup> ولم يؤد ما فرض عليه، ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فقال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾، كيف قدره ربه ودبره له وجعله سبباً لحياته. وقال مجاهد: إلى مدخله ومخرجه.

ثم بين فقال: ﴿أَنَا﴾ قرأ أهل [الكوفة]<sup>(٣)</sup>: «أَنَا» [بالفتح]<sup>(٤)</sup> على تكرير الخافض، مجازة: فلينظر إلى أنا وقرأ الآخرون بالكسر على الاستئناف. ﴿صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾، يعني المطر. ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾، بالنبات.

﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾، يعني الحبوب التي يُتَغَذَى بها.

﴿وَعَيْنًا وَقَضْبًا﴾، وهو القث الرطب، سمي بذلك لأنه يقضب في كل الأيام أي يقطع. وقال الحسن: القضب: العلف للدواب.

﴿وَزَيْتُونًا﴾، وهو ما يعصر منه الزيت، ﴿وَنَخْلًا﴾، جمع نخلة.

﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾، غلاظ الأشجار، واحدها أغلب، ومنه قيل لغليظ الرقبة: أغلب. وقال مجاهد ومقاتل: الغلب: الملتفة الشجر بعضه في بعض، قال ابن عباس: طوالاً.

﴿وَفَيْكَةً﴾، يريد ألوان الفواكه، ﴿وَأَبًّا﴾، يعني الكلاً والمرعى الذي لم يزرعه الناس، مما يأكله الأنعام والدواب.

(١) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٣٧/٣.

(٢) في «ب» به ربه.

(٣) في «ب» المدينة.

(٤) في «أ» بفتح الألف.

مَتَاعًا لَكُمْ وَلَا نَعْمًا لَكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ  
 ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾

قال عكرمة: «الفاكهة» ما يأكله الناس، و «الأب» ما يأكله الدواب. ومثله عن قتادة قال: الفاكهة لكم والأب لأنعامكم.

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما أنبتت [الأرض]<sup>(١)</sup> مما يأكل الناس والأنعام. وروي عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر سئل عن قوله: «وفاكهة وأباً» فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم<sup>(٢)</sup>.

وروى ابن شهاب عن أنس أنه سمع عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية ثم قال: كل هذا قد عرفنا فما الأب؟ ثم رفض عصاً كانت بيده وقال: هذا [والله]<sup>(٣)</sup> لَعَمْرُ الله التكلف، وما عليك يا ابن [أم]<sup>(٤)</sup> عمر أن لا تدري ما الأب، ثم قال: اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب، وما لا [تبين]<sup>(٥)</sup> فدعوه<sup>(٥)</sup>.

﴿متاعاً لكم﴾، منفعة لكم يعني الفاكهة، ﴿ولأنعامكم﴾، يعني العشب.

ثم ذكر القيامة فقال: ﴿فإذا جاءت الصاعَةُ﴾، يعني صيحة القيامة سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع، أي تبالغ في الأسماع حتى تكاد تصمها.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ﴾، لا يلتفت إلى واحد منهم لشغله بنفسه.

(١) زيادة من «ب».

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» صفحة (١٨٢): «رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» حدثنا محمد بن يزيد عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي، أن أبا بكر - رضي الله عنه - سئل عنه، فذكره - ورواه ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد من هذا الوجه. وهذا منقطع. ورواه يحيى الحماني وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» ص (٣٥٣) من طريقه من رواية إبراهيم النخعي عن أبي معمر عن أبي بكر فذكره». وانظر: الدر المنثور: ٤٢١/٨، تفسير ابن كثير: ٤٧٤/٤.

(٣) زيادة من «ب».

(٤) ساقط من «أ».

(٥) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: ٣٤٩/٢، وابن سعد في الطبقات: ٣٢٧/٣، والطبري: ٥٩/٣٠، ٦١، وصححه الحاكم: ٥١٤/٢.

وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٤٢١/٨-٤٢٢ عزوه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر، وابن مردويه والبيهقي في «الشَّعْب» والخطيب وانظر: الكافي الشاف، صفحة (١٨٢). قال ابن كثير بعد أن ساق رواية الطبري: ٤٧٤/٤: «وهذا إسناد صحيح وقد رواه غير واحد عن أنس به، وهو محمول =

لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفَرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾  
وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾

حكى عن قتادة قال في هذه الآية «يوم يفر المرء من أخيه [وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه]»<sup>(١)</sup>، قال: يفر هابيل من قابيل، ويفر النبي ﷺ من أمه، وإبراهيم عليه السلام من أبيه، ولوط عليه السلام من صاحبه، ونوح عليه السلام من ابنه<sup>(٢)</sup>.

﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾، يشغله عن شأن غيره.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني الحسين ابن محمد بن عبد الله، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، حدثنا محمد بن عبد العزيز، حدثنا ابن أبي أويس، ثنا أبي، عن محمد بن أبي عياش، عن عطاء بن يسار، عن سودة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يبعث الناس حفاةً عُراةً غُرلاً، قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان، فقلت: يا رسول الله، واسوأته ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال: قد شغل الناس، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه»<sup>(٣)</sup>.

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفَرَةٌ﴾، مشرقة مضيئة.

﴿ضَاحِكَةٌ﴾، بالسرور ﴿مُسْتَبْشِرَةٌ﴾، فرحة بما نالت من كرامة الله عز وجل.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾، سواد وكآبة الهم [والحزن]<sup>(٤)</sup>.

﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾، تعلوها وتغشاها ظلمة وكسوف. قال ابن عباس: تغشاها ذلة. قال ابن زيد: الفرق بين الغبرة والقتر: أن القتر ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء، والغبرة ما كان أسفل في الأرض.

= على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض كقوله: (فأنبتنا .. الآية).

(١) زيادة من «ب».

(٢) انظر: ابن كثير: ٤٧٤/٤.

(٣) أخرجه الحاكم: ٥١٤-٥١٥، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم».

وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٤٢٣/٨ عزوه للطبراني وابن مردويه والبيهقي.

قال الميمني في الجمع: ٣٣٣/١٠ «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عياش وهو ثقة، وذكره الميمني في الجمع من رواية الطبراني وقال: رواه ثقات.

وزاد في الكنز عزوه لابن مردويه في «البعث»: ٣٦٣/١٤.

(٤) ساقط من «ب».

أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

﴿أولئك﴾، الذين يصنع بهم هذا، ﴿هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾، جمع الكافر والفاجر.





السُّورَةُ



## سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

مكية <sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن سهل السرخسي إماماً، أخبرنا أبو الوفاء المؤمل بن الحسن بن عيسى الماسرجسي، حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا إبراهيم بن خالد، حدثنا عبد الله بن بحير القاضي قال سمعت عبد الرحمن بن زيد الصنعاني قال سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن ينظر في أحوال القيامة فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾» <sup>(٢)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أظلمت، وقال قتادة ومقاتل والكلبي: ذهب ضوءها. وقال سعيد بن جبير: غوّرت. وقال مجاهد: اضمحلّت. وقال الزجاج: لُفَّتْ كما تلف العمامة، يقال: كورت العمامة على رأسي، أكورها كوراً وكورتها تكويراً، إذا لففتها / ، وأصل التكوير جمع بعض الشيء إلى بعض، فمعناه: أن الشمس يجمع بعضها إلى بعض ثم تلف، فإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها <sup>(٣)</sup>.

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: نزلت سورة (إذا الشمس كورت) بمكة.

انظر: الدر المنثور ٤٢٥/٨.

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير - سورة التكوير - ٢٥٢/٩ - ٢٥٣، والإمام أحمد ٣٧/٢، وصححه الحاكم: ٥١٥/٢ ووافقه الذهبي.

وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٤٢٦/٨ عزوه لابن المنذر وابن مردويه.

(٣) ذكر هذه الأقوال ابن جرير: ٩٤/٣٠ - ٩٥ ثم قال مرجحاً: «والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: (كورت) كما قال الله جل ثناؤه، والتكوير في كلام العرب: جمع بعض الشيء إلى بعض، وذلك كتكوير العمامة، وهو لفها على الرأس، وتكوير الكارة، وهو جمع الثياب بعضها إلى بعض، لفها، وكذلك قوله: (إذا الشمس كورت) إنما معناه: جمع بعضها إلى بعض، ثم لفت فرمي بها، وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها فعل التأويل الذي تأولناه وبيناه لكلا القولين اللذين ذكرت عن أهل التأويل وجه صحيح، وذلك أنها إذا كورت ورمي بها ذهب ضوءها».

وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا  
الْوَحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾

قال ابن عباس: يكرر الله الشمس والقمر والنجوم يوم [القيامة] <sup>(١)</sup> في البحر، ثم يبعث عليها ريحاً ذبوراً فتضربها فتصير ناراً <sup>(٢)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا مسدد، حدثنا عبد العزيز بن المختار، حدثنا عبد الله الدانا، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «الشمس والقمر يكووران يوم القيامة» <sup>(٣)</sup>.

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾، أي تناثرت من السماء وتساقطت على الأرض، يقال: انكدر الطائر أي سقط عن عشه، قال الكلبي وعطاء: تمطر السماء يومئذ نجوماً فلا يبقى نجم إلا وقع. ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾، [قلعت] <sup>(٤)</sup> عن وجه الأرض فصارت هباءً [منثوراً] <sup>(٥)</sup>.

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾، وهي النوق الحوامل التي أتى على حملها عشرة أشهر، واحداً عشرًا، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع تمام سنة، وهي أنفس مال عند العرب، «عُطِّلَتْ»: تركت [مهملة] <sup>(٦)</sup> بلا راع أهملها أهلها، وكانوا لازمين لأذنانها، ولم يكن لهم مال أعجب إليهم منها، لما جاءهم من أهوال يوم القيامة.

﴿وَإِذَا الْوَحُوشُ حُشِرَتْ﴾، يعني دواب البر، ﴿حُشِرَتْ﴾، جمعت بعد البعث ليقصص لبعضها من بعض وروى عكرمة عن ابن عباس قال: حَشَرُهَا: موتها. وقال: حَشَرَ كُلَّ شَيْءٍ الْمَوْتَ، غير الجن والإنس، فإنهما يوقفان يوم القيامة. وقال أبي بن كعب: اختلطت.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾، قرأ أهل مكة والبصرة بالتخفيف، وقرأ الباقر بالتشديد، قال ابن عباس: أوقدت فصارت ناراً تضطرم، وقال مجاهد ومقاتل: يعني فجر بعضها في بعض، العذب

(١) ساقط من «ب».

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٤٢٦/٨ لابن أبي الدنيا في «الأهوال» وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في «العظمة».

(٣) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر: ٢٩٧/٦، والمصنف في شرح السنة: ١١٥/١٥-١١٦.

(٤) زيادة من «ب».

(٥) في «ب» منبثاً.

(٦) في «ب» هملأ.

## وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾

والملاح، فصارت البحور كلها بحراً واحداً. وقال الكلبي. ملئت، وهذا أيضاً معناه: «والبحر المسجور» (الطور-٦)، والمسجور: المملوء، وقيل: صارت مياهها بحراً واحداً من الحميم لأهل النار. وقال الحسن: ييست، وهو قول قتادة، قال: ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة.

وروى أبو العالية عن أبي بن كعب، قال: ست آيات قبل يوم القيامة: بينا الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، [فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم]<sup>(١)</sup>، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت، وفزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطير والوحش، وماج بعضهم في بعض، فذلك قوله: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، [اختلطت]<sup>(٢)</sup>، ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ \* وإذا البحار سُجِّرَتْ، قال: قالت الجن للإنس نحن نأتيكم بالخبر: فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تأجج، قال: فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى [وانشقت السماء إنشقاقة واحدة]<sup>(٣)</sup>، وإلى السماء السابعة العليا، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتهم<sup>(٤)</sup>.

وعن ابن عباس أيضاً قال: هي اثنتا عشرة خصلة، ستة في الدنيا وستة في الآخرة، وهي ما ذكره بقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾.

وروى النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب أنه سئل عن هذه الآية؟ فقال: يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار<sup>(٥)</sup>، وهذا [معنى]<sup>(٦)</sup> قول عكرمة.

وقال الحسن وقتادة: ألحق كل امرئ بشيعته، اليهودي باليهودي والنصراني بالنصراني. قال الربيع بن خثيم: يحشر الرجل مع صاحب عمله. وقيل: زوجت النفوس بأعمالها. وقال عطاء ومقاتل: زوجت نفوس المؤمنين بالخور العين، وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين.

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) ساقط من «ب».

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٤) أخرجه الطبري: ٦٣/٣٠-٦٤ موقوفاً على أبي.

وعزه السيوطي في الدر المنثور: ٤٢٧/٨ لابن أبي الدنيا في «الأهوال» وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٩/٣٠.

وعزه السيوطي في الدر المنثور: ٤٢٩/٨ لابن مردويه.

(٦) ساقط من «ب».

وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾

وروي عن عكرمة قال: وإذا النفوس زوجت ردت الأرواح في الأجساد<sup>(١)</sup>.

﴿وإذا الموءدة سئلت﴾، وهي الجارية المدفونة حية، سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها، أي يثقلها حتى تموت، وكانت العرب تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة، يقال: [أود هذا ليس بصحيح من حيث البناء لأن الموءدة من الواد لا من الأود يقال<sup>(٢)</sup>]: وأد يقد وأدأ، فهو وائد، والمفعول موءد.

روى عكرمة عن ابن عباس: كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت وكان أوان ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة، فإن ولدت جارية رمت بها في الحفرة، وإن ولدت غلاماً حبسته<sup>(٣)</sup>.

﴿بأي ذنب قتلت﴾، قرأ العامة على الفعل المجهول فيهما، وأبو جعفر يقرأ: «قتلت» بالتشديد ومعناه تُسأل الموءدة، فيقال لها: بأي ذنب قُتِلَتْ؟ ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها، لأنها تقول: قُتِلْتُ بغير ذنب.

وروي أن جابر بن زيد كان يقرأ: «وإذا الموءدة سألَتْ \* بأي ذنب قتلت»، ومثله قرأ أبو الضحى.

﴿وإذا الصحف نُشِرَتْ﴾، قرأ أهل المدينة والشام وعاصم ويعقوب: «نشرت» بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد، كقوله: «يؤتى صحفاً منشرة» (المدثر-٥٢)، يعني صحائف الأعمال تنتشر للحساب.

﴿وإذا السماء كُشِطَتْ﴾، قال الفراء: نزع فتطويت<sup>(٤)</sup>. وقال الزجاج: قلعت كما يقلع السقف. وقال مقاتل: تكشف عمن فيها. ومعنى «الكشط» رفعك شيئاً عن شيء قد غطاه، كما يكشط الجلد عن السنام.

(١) ساق ابن جرير ٧٠/٣-٧١ أقوالاً في الآية ثم قال: «وأولى التأولين في ذلك بالصحة الذي تأوله عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لليلة التي اعتل بها، وذلك قول الله تعالى ذكره: (وكنتم أزواجاً ثلاثة)، وقوله (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) وذلك لا شك الأمثال والأشكال في الخير والشر، وكذلك قوله (وإذا النفوس زوجت) بالقرناء والأمثال في الخير والشر».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) انظر: الدر المنثور: ٤٢٨/٨.

(٤) معاني القرآن للفراء: ٢٤١/٣.

وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أُقْسِمُ  
بِالْخُنُسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنُسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا انْفَسَسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ  
رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾، قرأ أهل المدينة والشام، وحفص عن عاصم: «سُعِّرَتْ» بالتشديد،  
وقرأ الباقون بالتخفيف أي: أوقدت لأعداء الله.

﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ﴾، قُرِبَتْ لأولياء الله.

﴿عَلِمَتْ﴾، عند ذلك ﴿نَفْسٌ﴾ أي: كل نفس ﴿مَّا أَحْضَرَتْ﴾، من خير أو شر، وهذا جواب  
لقوله: «إِذَا الشَّمْسُ كُورَتْ» وما بعدها.

قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُسِ﴾، «لا» زائدة، معناه: أقسم بالخنس ﴿الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾،  
قال قتادة: هي النجوم تبدو بالليل وتختس بالنهار، فتخفى فلا ترى .

وعن علي أيضاً: أنها الكواكب تختس بالنهار فلا ترى، وتكنس تأوي إلى مجاريها.

وقال قوم: هي النجوم الخمسة: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد، تختس في  
مجرها، أي: ترجع وراءها وتكنس: تستتر وقت اختفائها وغروبها، كما تكنس الأطباء في مغارها.

وقال ابن زيد: معنى «الخنس» أنها تختس أي: تتأخر عن مطالعها في كل عام تأخراً تتأخره  
عن تعجيل ذلك الطلوع، تختس عنه. و «الْكُنُسُ» / أي تكنس بالنهار فلا ترى. وروى الأعمش  
عن إبراهيم، عن عبد الله أنها هي الوحش.

وقال سعيد بن جبير: هي الأطباء. وهي رواية العوفي عن ابن عباس.

وأصل الخنوس: الرجوع إلى وراء، والكنوس: أن تأوي إلى مكانسها، وهي المواضع التي  
تأوي إليها الوحوش.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾، قال الحسن: أقبل بظلامه. وقال الآخرون: أدبر. تقول العرب:  
عسعس الليل وسعسع: إذا أدبر ولم يبق منه إلا اليسير.

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا انْفَسَسَ﴾، أقبل وبدا أوله، وقيل: امتد ضوءه وارتفع.

﴿إِنَّهُ﴾، يعني القرآن، ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾، يعني جبريل، أي: نزل به جبريل عن الله

تعالى.



## ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾

﴿ذِي قُوَّةٍ﴾، وكان من قوته أنه اقتلع قريات قوم لوط من الماء الأسود وحملها على جناحه فرفعها إلى السماء ثم قلبها، وأنه أبصر إبليس يكلم عيسى على بعض عقاب الأرض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة ألقاه إلى [أقصى] <sup>(١)</sup> جبل بالهند، وأنه صاح صيحة بشمود فأصبحوا جاثمين، وأنه يهبط من السماء إلى الأرض ويصعد في أسرع من [الطير] <sup>(٢)</sup>، ﴿عند ذي العرش مكين﴾، في المنزلة. ﴿مُطَاعٌ ثَمَّ﴾، أي في [السموات] <sup>(٣)</sup> تطيعه الملائكة، ومن طاعة الملائكة إياه أنهم فتحوا أبواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله ﷺ، وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله، ﴿أمين﴾، على وحي الله ورسالته إلى أنبيائه.

﴿وما صاحبكم بمجنون﴾، يقول لأهل مكة: وما صاحبكم يعني محمداً ﷺ بمجنون. وهذا أيضاً من جواب القسم، أقسم على أن القرآن نزل به جبريل، وأن محمداً ليس كما يقوله أهل مكة، وذلك أنهم قالوا إنه مجنون، وما يقول يقوله من عند نفسه.

﴿ولقد رآه﴾، يعني رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على صورته، ﴿بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾، وهو الأفق الأعلى من ناحية المشرق، قاله مجاهد وقتادة.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا الحسن بن عليوة، حدثنا إسماعيل بن عيسى، حدثنا إسحاق بن بشر، أخبرنا ابن جريج، عن عكرمة [ومقاتل] <sup>(٤)</sup> عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «إني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء»، قال لن تقوى على ذلك، قال: بلى، قال: فأين تشاء أن أتخيل لك؟ قال: بالأبطح، قال: لا يسعني، قال فها هنا، قال: لا يسعني، قال: فبعرفات، قال: ذلك بالبحري أن يسعني فواعده، فخرج النبي ﷺ في الوقت فإذا هو بجبريل قد أقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة، قد ملأ ما بين المشرق والمغرب، ورأسه في السماء ورجلاه في الأرض، فلما رآه النبي ﷺ كبر وخر مغشياً عليه. قال: فتحول جبريل في صورته فضمه إلى

(١) زيادة من «ب».

(٢) في «ب» من الطرف.

(٣) في «ب» السماء.

(٤) ساقط من «ب».

وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

صدره، وقال: يا محمد لا تخف فكيف لك لو رأيت إسرافيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة، وأن العرش لعلى كاهله، وإنه ليتضاءل أحياناً من مخافة الله عز وجل حتى يصير مثل [الصعور]<sup>(١)</sup> يعني العصفور، حتى ما يحمل عرش ربك إلا عظمتة<sup>(٢)</sup>.

﴿وما هو﴾، يعني محمداً ﷺ، ﴿على الغيب﴾، أي الروحي، وخبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائباً عنه من الأنباء والقصص، ﴿بضنين﴾، قرأ أهل مكة والبصرة والكسائي بالطاء أي يهتم، يقال: فلان يظن ببلل ويزن أي يهتم به: والظنة: التهمة، وقرأ الآخرون بالضاد أي ييخل، يقول إنه يأتيه علم الغيب فلا ييخل به عليكم بل يعلمكم ويخبركم به، ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلواناً، تقول العرب: ضننت بالشيء بكسر النون أضينُ به ضيناً وضينانَةً فأنا به ضنينٌ أي ييخل.

﴿وما هو﴾، يعني القرآن، ﴿يقول شيطان رجيم﴾، قال الكلبي: يقول إن القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش.

﴿فأين تذهبون﴾، أي أين تعدلون عن هذا القرآن، وفيه الشفاء والبيان؟ قال الزجاج: أي طريق تسلكون آيين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم.

ثم بين فقال: ﴿إن هو﴾، أي ما القرآن، ﴿إلا ذكر للعالمين﴾، موعظة للخلق أجمعين.

﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾، أي يتبع الحق ويقم عليه.

﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾، أي أعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه وأنهم لا يقدرُونَ على ذلك إلا بمشيئة الله، وفيه إعلام أن أحداً لا يعمل خيراً إلا بتوفيق الله ولا شراً إلا بخذلانه.

(١) في «ب» الوضع ولعله وقع تصحيف في النسخين للاسم الصحيح للعصفور الصغير (الوصع) بمهملتين كما في المصباح.

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد: عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ سأل جبريل .. وهذا منقطع.

وذكره السيوطي في «الحبايك في أخبار الملائك» صفحة (٢٢).

وفيه إسماعيل بن عيسى ضعيف، وكذلك إسحاق بن بشر. قال فيه ابن حبان: لا يخل حديثه إلا على جهة التعجب، وقال الدارقطني: متروك، وقال الذهبي: يروي العظام عن ابن إسحاق وابن جريج انظر: الضعفاء لابن حبان: ٣٧/١، الميزان



الأنفِطُ السَّوْدَةُ



## سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ۝ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ (٤) عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝ (٥) يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾، انشقت.

﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾، تساقطت .

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾، فُجِّرَ بعضها في بعض، واختلط العذب بالملح، فصارت بحراً واحداً.

وقال الربيع: «فجرت»: فاضت.

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾، بحث وقلب ترابها وبعث مَنْ فيها من الموتى أحياء، يقال: بعثرت

الحوض وبخثرته، إذا قلبته فجعلت أسفله أعلاه.

﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾، قيل: «ماقدمت» من عمل صالح أو سيئ، و «أخرت»

من سنة حسنة أو سيئة. وقيل: «ماقدمت» من الصدقات و «أخرت» من التركات، على ما ذكرنا

في قوله: «يَنبَأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ» (القيامة - ١٣) .

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾، ما خدعك وسؤل لك الباطل حتى أضعت

ما وجب عليك. والمعنى: ماذا أمنك من [عذابه]<sup>(٢)</sup>؟ قال عطاء: نزلت في الوليد بن المغيرة .

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت: (إذا السماء انفطرت) بمكة.

انظر: الدر المنثور: ٤٣٧/٤.

(٢) في «ب» عقابه.

## بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ

وقال الكلبي ومقاتل: نزلت في الأسود بن شريق ضرب النبي فلم يعاقبه الله عز وجل، فأنزل الله هذه الآية<sup>(١)</sup> يقول: ما الذي غرك بربك الكريم المتجاوز عنك إذ لم يعاقبك عاجلاً بكفرك؟ قال قتادة: غره عدوه المسلط عليه يعني الشيطان قال مقاتل: غره عفو الله حين لم يعاقبه في أول [مرة]<sup>(٢)</sup>. وقال السدي: غره رفق الله به.

وقال ابن مسعود: ما منكم من / أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة. فيقول: يا ابن آدم ما غرك بي؟ يا ابن آدم ماذا عملت فيما [علمت]<sup>(٣)</sup>؟ يا ابن آدم ماذا أجبتم المرسلين؟

وقيل للفضيل بن عياض: لو أقامك الله يوم القيامة فقال: ما غرك بربك الكريم؟ ماذا كنت تقول؟ قال: أقول غربي ستورك المرحاة<sup>(٤)</sup>.

وقال يحيى بن معاذ: لو أقامني بين يديه فقال ما غرك بي؟ [فأقول]<sup>(٥)</sup>: غربي بك برك بي سالفاً وآنفاً.

وقال أبو بكر الوراق: لو قال لي: ما غرك بربك الكريم؟ لقلت: غربي كرم الكريم. قال بعض أهل الإشارة: إنما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه الإجابة حتى يقول: غربي كرم الكريم.

﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾، قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر «فَعَدَلَكَ» بالتخفيف أي صرفك وأمالك إلى أي صورة شاء حسناً وقيحاً وطويلاً وقصيراً. وقرأ الآخرون بالتشديد أي قومك وجعلك معتدل الخلق والأعضاء.

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾، قال مجاهد والكلبي ومقاتل: في أي شبه من أب أو أم أو خال أو عم.

وجاء في الحديث: أن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضر كل عرق بينه وبين آدم ثم قرأ ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) عزاه ابن كثير في تفسيره: ٤٨٢/٤ للبغوي.

(٢) في «ب» أمره.

(٣) في «أ» عملت.

(٤) انظر: ابن كثير (٤٨٤/٤).

(٥) في «ب» قلت.

(٦) أخرجه الطبري: ٨٧/٣٠.

﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَتِيبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ

وذكر الفراء قولاً آخر «في أي صورة ما شاء ربك» إن شاء في صورة إنسان وإن شاء في صورة دابة، أو حيوان آخر.

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ﴾، قرأ أبو جعفر بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء لقوله: «وإن عليكم لحافظين» ﴿بالذين﴾، بالجزء والحساب.

﴿وإن عليكم لحافظين﴾، رقباء من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم.

﴿كراماً﴾ على الله، ﴿كاتين﴾ يكتبون أقوالكم وأعمالكم.

﴿يعلمون ما تفعلون﴾، من خير أو شر.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾، الأبرار الذين بروا وصدقوا في إيمانهم بأداء فرائض الله عز وجل واجتناب معاصيه.

﴿وإن الفجار لفى جحيم﴾، روي أن سليمان بن عبد الملك قال لأبي حازم المدني: ليت شعري مالنا عند الله؟ قال: اعرض عملك على كتاب الله فإنك تعلم مالك عند الله. قال: فأين أجد في كتاب الله؟ قال عند قوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ \* وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾. قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: «قريب من المحسنين» (الأعراف-٥٦).

قوله عز وجل: ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾، يدخلونها يوم القيامة ﴿وما هم عنها بغائبين﴾.

ثم عظم ذلك اليوم، فقال: ﴿وما أدراك ما يوم الدين﴾، ثم كرر تعجباً لشأنه فقال:

﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ \* يَوْمَ لَا تَمْلِكُ﴾، قرأ أهل الكوفة والبصرة: «يوم»

وساقه ابن كثير من رواية الطبري: ٤٨٢/٤ وقال: «هكذا رواه ابن أبي حاتم والطبراني من حديث مطهر بن الهيثم به. وهذا الحديث لو صح لكان فيضاً في هذه الآية ولكن إسناده ليس بالثابت لأن مطهر بن الهيثم قال فيه أبو سعيد بن يونس: كان متروك الحديث. وقال ابن حبان في الضعفاء: ٢٦/٣: يروي عن موسى بن علي، روى عنه أبو همام الوليد بن شجاع، منكر الحديث، يأتي عن موسى بن علي مالا يتابع عليه وعن غيره من الثقات مالا يشبه حديث الأئمة». قال الهيثمي: ١٣٥/٧: «رواه الطبراني، وفيه مطهر بن الهيثم وهو متروك».



## ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

برفع الميم، رداً على اليوم الأول، وقرأ الآخرون بنصبها، أي: في يوم، يعني: هذه الأشياء في يوم لا تملك ﴿نفس لنفس شيئاً﴾، قال مقاتل: يعني لنفس كافرة شيئاً من المنفعة، ﴿والأمر يومئذ لله﴾، أي لم يملك الله في ذلك اليوم أحداً شيئاً كما ملكهم في الدنيا.

# المُطَفِّفِينَ

.



## سُورَةُ الْمُطَفِّينَ

مدنية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّينَ ﴿١﴾

﴿ويل للمطففين﴾، يعني الذين ينقصون المكيال والميزان ويبخسون حقوق الناس. قال الزجاج: إنما قيل للذي ينقص المكيال والميزان: مطفف، لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان إلا الشيء اليسير الطفيف.

أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد بن محمد علي الصيرفي، حدثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي، أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ، حدثنا عبد الرحمن بن بشر، حدثنا علي بن الحسين بن واقد، حدثني أبي، حدثني يزيد النحوي أن عكرمة حدثه عن ابن عباس قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله عز وجل: «ويل للمطففين» فأحسنوا الكيل<sup>(٢)</sup>.

وقال السدي: قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له: أبو جهينة، ومعه صاعان، يكيل بأحدهما، ويكتال بالآخر، فأنزل الله هذه الآية<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرج النحاس وابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة المطففين بمكة وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله. وأخرج ابن الضريس عن ابن عباس قال: آخر ما أنزل بمكة سورة المطففين. وأخرج ابن مردويه والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس قال: أول ما نزل بالمدينة: «ويل للمطففين» . انظر: الدر المنثور: ٤٤١/٨.

(٢) أخرجه النسائي في التفسير: ٥٠٢/٢، وابن ماجه في التجارات، باب التوفي في الكيل والوزن برقم: (٢٢٢٣): ٧٤٨/٢، والطبري: ٩١/٣٠، والواحدي في أسباب النزول صفحة: (٥٢٠)، وصححه الحاكم في المستدرک: ٣٣/٢ ووافقه الذهبي، وابن حبان في موارد الظمان برقم: (١٧٧٠) صفحة (٤٣٨).

وانظر: الدر المنثور: ٤٤١/٨، وقد زاد عزوه للطبراني وابن مردويه والبيهقي في «الشعب» . وانظر: الكافي الشاف صفحة: (١٨٢)، الصحيح المسند من أسباب النزول صفحة (١٧٠).

(٣) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٥٢١) مجمع الزوائد: ١٣٥/٧.

الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

فالله تعالى جعل الويل للمطففين. ثم بين أن المطففين من هم فقال:

﴿الذين إذا اكْتالوا على الناس يَسْتَوْفُونَ﴾، وأراد إذا اكْتالوا من الناس أي أخذوا منهم، و«من»، و«على» متعاقبان .

قال الزجاج: المعنى إذا اكْتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل [والوزن]<sup>(١)</sup>، [وأراد: الذين إذا اشتروا لأنفسهم استوفوا في الكيل والوزن]<sup>(٢)</sup> .

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾، أي كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ أي للناس، يقال: وزنتك حقك وكلتك طعامك، أي وزنت لك وكلت لك كما يقال: نصحتك ونصحت لك وكسبتك وكسبت لك .

قال أبو عبيدة: وكان عيسى بن عمر يجعلهما حرفين يقف على «كالوا ووزنوا» ويتبدى «هم يخسرون» وقال أبو عبيدة: والاختيار الأول<sup>(\*)</sup>، يعني: أن كل واحدة كلمة واحدة، لأنهم كتبوها بغير ألف، ولو كانتا مقطوعتين لكانت: «كالوا [و]<sup>(٣)</sup> وزنوا» بالألف كسائر الأفعال مثل جاؤوا وقالوا: واتفقت المصاحف على إسقاط الألف، ولأنه يقال في اللغة: كلتك ووزنتك كما يقال: كلت لك ووزنت لك. «يخسرون» أي ينقصون، قال نافع: كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول: اتق الله وأوف الكيل والوزن، فإن المطففين يوقفون يوم القيامة حتى إن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم.

﴿أَلَا يَظُنُّ﴾، يستيقن، ﴿أُولَئِكَ﴾، الذين يفعلون ذلك، ﴿أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ \* لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، يعني يوم القيامة.

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾، [من قبورهم]<sup>(١)</sup>، ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي لأمره ولجزائه ولحسابه.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا إبراهيم بن المنذر، أخبرنا معن، حدثني مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف

(١) ساقط من «ب».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(\*) في «أ» الأولى .

(٣) في «ب» أو.

## كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾

أذنيه<sup>(١)</sup>.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميهني، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد ابن الحارث، حدثنا محمد بن يعقوب الكسائي، حدثنا عبد الله بن محمود، حدثنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: [حدثني سليم بن عامر]<sup>(٢)</sup>، حدثني المقداد صاحب رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون [قدر]<sup>(٣)</sup> / ميل أو اثنين» - قال سليم: لا أدري أي الميلى يعني مسافة الأرض أو الميل الذي تكحل به العين؟ - قال: «فتصهرهم الشمس فيكون في العرق بقدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه إلى عقبه ومنهم من يأخذه إلى ركبته ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إجماماً» فرأيت رسول الله ﷺ، وهو يشير بيده إلى فيه يقول: «ألجمه إجماماً»<sup>(٤)</sup>.

١٨٧/أ

قوله عز وجل: ﴿كَلَّا﴾، ردع، أي ليس الأمر على ما هم عليه فليرتدعوا، وتام الكلام هاهنا، وقال الحسن: «كلا» ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقاً، ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ﴾، الذي كتبت فيه أعمالهم، ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾، قال عبد الله بن عمر، وقتادة، ومجاهد، والضحاك: ﴿سجين﴾ هي الأرض السابعة السفلى فيها أرواح الكفار.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا موسى بن محمد، حدثنا الحسن بن علويه، أخبرنا إسماعيل بن عيسى، حدثنا المسيب، حدثنا الأعمش، عن المنهال، عن زاذان، عن البراء قال: قال رسول الله ﷺ «سجين» أسفل سبع أرضين، و «عليون» في السماء السابعة تحت العرش<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة المطففين - ٦٩٦/٨، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب صفة يوم القيامة أعاذنا الله من أهوالها برقم: (٢٨٦٢): ٢١٩٥/٤.

(٢) في «ب» قيد.

(٣) أخرجه مسلم في الجنة، باب صفة يوم القيامة برقم: (٢٨٦٤): ٢١٩٤/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٢٨/١٥ - ١٢٩.

(٤) أخرجه الإمام أحمد مطولاً: ٢٨٧/٤ - ٢٨٨، وفيه .. فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى .. والطيالسي في مسنده ص ١٠٢.

وأخرجه مختصراً: أبو داود في الجنائز، باب الجلوس عند القبر: ٣٣٧/٤، والنسائي في الجنائز، باب الوقوف للجنائز: ٧٨/٤، وصححه الحاكم مطولاً في المستدرک: ٣٧/١ - ٣٨ وساق له شواهد.

وقال ابن القيم في «تهذيب السنن»: (٣٣٧/٤): وقد أعلمه أبو حاتم بن حبان بأن قال: زاذان لم يسمه من البراءة. وهذه العلة فاسدة، فإن زاذان قال: سمعت البراء بن عازب يقول - فذكره - ذكره أبو عوانة الإسفرائيني في «صحيحه» وأعله ابن حزم بضعف المنهال بن عمرو. وهذه علة فاسدة، فإن المنهال ثقة صدوق. وقد صححه أبو نعيم وغيره.

## وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾

وقال شمر بن عطية: جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال: أخبرني عن قول الله عز وجل: «إن كتاب الفجار لفي سجين»، قال: إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ثم يهبط بها إلى الأرض، فتأبى الأرض أن تقبل فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهي بها إلى سجين، وهو موضع جند إبليس، فيخرج لها من سجين رق فيرقم ويختم، ويوضع تحت جند إبليس، لمعرفة الهلاك بحساب يوم القيامة<sup>(١)</sup>، وإليه ذهب سعيد بن جبير، قال: سجين تحت جند إبليس.

وقال غطاء الخراساني: هي الأرض السفلى، وفيها إبليس وذريته.

وقال الكلبي: هي صخرة تحت الأرض السابعة السفلى خضراء، خضرة السموات منها يجعل كتاب الفجار فيها.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد أيضاً قال: «سجين» صخرة تحت الأرض السفلى، تقلب، فيجعل كتاب الفجار فيها. وقال وهب: هي آخر سلطان إبليس.

وجاء في الحديث: «الفلق جب في جهنم مغطى، وسجين جب في جهنم مفتوح»<sup>(٢)</sup>.

وقال عكرمة: «لفي سجين» أي: لفي خسار وضلال. وقال الأخفش: هو فعيل من السجين، كما يقال: فسيق وشريب، معناه: لفي حبس وضيق شديد.

﴿وما أدراك ما سجين﴾، [قال الزجاج:]<sup>(٣)</sup> أي ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك.

﴿كتاب مرقوم﴾، ليس هذا تفسير السجين، بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله: «إن كتاب الفجار» أي هو كتاب مرقوم، أي مكتوب فيه أعمالهم مثبتة عليهم كالرقم في الثوب، لا ينسى ولا يمحي حتى يجازوا به. وقال قتادة ومقاتل: رقم عليه بشركا، كأنه أعلم بعلامة يعرف بها أنه

(١) أخرجه الطبري: ٩٥/٣٠ وشيخ الطبري فيه ضعف.

وعزه السيوطي في الدر المنثور: ٤٤٣/٨ لابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري: ٩٦/٣٠.

قال الحافظ ابن كثير: ٤٨٦/٤: «حديث غريب منكر لا يصح .. والصحيح أن سجيناً مأخوذ من السجين وهو الضيق فإن المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق وكل ما تعالى منها اتسع، فإن الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذي دونه وكذلك الأرضون، كل واحدة أوسع من التي دونها حتى ينتهي السفل المطلق والمحل الأضيق إلى المركز في وسط الأرض السابعة ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهي أسفل السافلين كما قال تعالى: (ثم رددناه أسفل سافلين. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال ما هنا: (كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين) وهو يجمع بين الضيق والسفل».

(٣) ساقط من «أ».

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ  
 ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ  
 ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُونَ ﴿١٥﴾

كافر. وقيل: مختوم، بلغة حمير.

﴿ويل يومئذ للمكذبين \* الذين يكذبون يوم الدين \* وما يكذب به إلا كل معتد أثيم \* إذا تلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾.

﴿كلا﴾، قال مقاتل: أي لا يؤمنون، ثم استأنف: ﴿بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد التراي، حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي، أخبرنا إبراهيم بن حزم الشاشي، أخبرنا أبو محمد عبد<sup>(١)</sup> بن حميد الكشي، حدثنا صفوان ابن عيسى، عن ابن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها، وإن زاد زادت حتى تملو قلبه»، فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه: «كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون»<sup>(٢)</sup>.

وأصل «الرين»: الغلبة، يقال: رانت الخمر على عقله ترين ريناً وريوناً إذا غلبت عليه فسكر. ومعنى الآية، غلبت على قلوبهم المعاصي وأحاطت بها. قال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب. قال ابن عباس: «ران على قلوبهم»: طبع عليها.

﴿كلا إنيهم عن ربهم يومئذ﴾ يوم القيامة ﴿لحجوبون﴾، [قال ابن عباس: «كلا» يريد: لا يصدقون، ثم استأنف فقال: «إنيهم عن ربهم يومئذ لحجوبون»]<sup>(٣)</sup>، قال بعضهم: عن كرامته ورحمته [ممنوعون]<sup>(٣)</sup>. وقال قتادة: هو ألا ينظر إليهم ولا يذكهم. وقال أكثر المفسرين: عن رؤيته.

(١) في الأصل: عبد الله.

(١) أخرجه الترمذي في التفسير - تفسير سورة المطففين: ٢٥٣/٩ - ٢٥٤ وقال: «هذا حديث حسن صحيح» والنسائي في التفسير: ٥٠٥/٢.

وفي عمل اليوم والليلة صفحة (٣١٧) برقم: (٤١٨)، وابن ماجه في الزهد، باب ذكر الذنوب برقم: (٤٢٤٤): ١٤١٨/٢،

والإمام أحمد: ٢٩٧/٢، والطبري: ٩٨/٣٠، وصححه الحاكم: ٥١٧/٢ ووافقه الذهبي، وابن حبان برقم: (١٧٧١) صفحة

(٤٣٩)، والمصنف في شرح السنة: ٨٩/٥.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) في «ب» ممنوعون.



ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيَيْنِ ﴿١٨﴾

قال الحسن: لو علم الزاهدون العابدون أنهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت أنفسهم في الدنيا.  
قال الحسين بن الفضل: كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته.  
وسئل مالك عن هذه الآية فقال: لما حجب [الله] <sup>(١)</sup> أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه.  
وقال الشافعي رضي الله عنه: في قوله: «كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون»: دلالة على أن أولياء الله يرون الله <sup>(٢)</sup>.

ثم أخبر أن الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار فقال:

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾، لذاخلو النار.

﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾، أي تقول لهم الخزنة، ﴿هَذَا﴾، أي هذا العذاب، ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿كَلَّا﴾، قال مقاتل: لا يؤمن بالعذاب الذي يصلاه. ثم بين محل كتاب الأبرار فقال: ﴿إِنَّ

كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيَيْنِ﴾، رويها عن البراء مرفوعاً: «إن عليين في السماء السابعة تحت العرش» <sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عباس: هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه.

وقال كعب، وقتادة: هو قائمة العرش اليمنى.

وقال عطاء عن ابن عباس: هو الجنة. وقال الضحاك: سدرة المنتهى.

وقال بعض أهل المعاني: علو بعد علو وشرف بعد شرف، ولذلك جمعت بالياء والنون.

وقال الفراء: هو اسم موضوع على صيغة الجمع، لا واحد له من لفظه، مثل عشرين وثلاثين <sup>(٤)</sup>.

(١) اللفظ ساقط من «ب».

(٢) قال الحافظ ابن كثير: ٤/٤٨٧: «وهذا الذي قاله الإمام الشافعي - رحمه الله - في غاية الحسن وهو استدلال بمفهوم هذه الآية. كما دل عليه منطوق قوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الدار الآخرة رؤية بالأبصار في عرصات القيامة وفي روضات الجنان الفاخرة».

(٣) انظر فيما سبق تخرج حديث البراء عند الآية السابعة من السورة.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣/٢٤٧.

وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيْنَا ۖ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَمُهُ مِسْكَ ۖ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾

﴿وما أدراك ما علينا \* كتاب مرقوم﴾، ليس بتفسير عليين، أي مكتوب أعمالهم، كما ذكرنا في كتاب الفجار. وقيل: كتب هناك ما أعد الله لهم من الكرامة، وهو معنى قول مقاتل. وقيل: رقم لهم بخير. وتقدير الآية [على] <sup>(١)</sup> التقديم والتأخير، مجازها: إن كتاب الأبرار [كتاب] <sup>(٢)</sup> مرقوم في عليين، وهو محل الملائكة، ومثله إن كتاب الفجار كتاب مرقوم في سجين، وهو محل إبليس وجنده.

﴿يشهده المقربون﴾، يعني الملائكة الذين هم في عليين، يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب أو ذلك الكتاب إذا صعد به إلى عليين.

﴿إن الأبرار لفي نعيم \* على الأرائك ينظرون﴾، إلى ما أعطاهم / الله من الكرامة والنعمة، ١٨٧/ب وقال مقاتل: ينظرون إلى عدوهم كيف يعذبون.

﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾، إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمة مما ترى في وجوههم من النور والحسن والبياض، قال الحسن: النضرة في الوجه والسرور في القلب، قرأ أبو جعفر ويعقوب: «تُعرف» بضم التاء وفتح الراء على غير تسمية الفاعل «نُضرة» رفع، وقرأ الباقون بفتح التاء وكسر الراء، «نضرة» نصب.

﴿يسقون من رحيق﴾، خمر صافية طيبة. قال مقاتل: الخمر البيضاء. ﴿مختوم﴾، ختم ومنع من أن تمسه يد إلى أن يفك ختمه الأبرار، وقال مجاهد: «مختوم» أي مطين.

﴿ختامه﴾، أي طينه، ﴿مسك﴾، كأنه ذهب إلى هذا المعنى، قال ابن زيد: ختامه عند الله مسك، وختام [خمر] <sup>(٤)</sup> الدنيا طين. وقال ابن مسعود: «مختوم» أي مزوج ختامه أي: آخر طعمه

(٢) ليست في النسختين، والسياق يقتضيه.

(٣) زيادة من «ب».

(٤) ساقط من «أ».

وَمِنْ أَجْهِ مَنْ تَسْنِمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا

وعاقبته مسك، فالختوم الذي له ختام، أي آخر، وختُم كل شيء الفراغ منه. وقال قتادة: يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك.

وقراءة العامة «ختامه مسك» بتقديم التاء، وقرأ الكسائي «خاتمته» وهي قراءة علي وعلقمة، ومعناها واحد، كما يقال: فلان كريم [الطابع والطباع]<sup>(١)</sup> والختام والختام، آخر كل شيء.

﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾، فليزعم الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله عز وجل. وقال مجاهد: فليعمل العاملون، [نظيره. قوله تعالى: «مثل هذا فليعمل العاملون» (الصفافات - ٦١)]<sup>(٢)</sup>، وقال مقاتل بن سليمان: فليتنازع المتنازعون وقال عطاء: فليستبق المستبقون، وأصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس، ويريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره، أي يضمن.

﴿ومزاجه من تسنيم﴾، شرب ينصب عليهم من علو في غرفهم ومنازلهم، وقيل: يجري [في الهواء متسماً فينصب]<sup>(٣)</sup> في أواني أهل الجنة على قدر ملئها، فإذا امتلأت أمسك. وهذا معنى قول قتادة.

وأصل الكلمة من العلو، يقال للشيء المرتفع: سنام، ومنه: سنام البعير. قال الضحاك: هو شراب اسمه تسنيم، وهو أشرف الشراب.

قال ابن مسعود وابن عباس: هو خالص [للمؤمنين]<sup>(٤)</sup> المقربين يشربونها صرفاً ويمزج لسائر أهل الجنة. وهو قوله: «ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون».

وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله: «من تسنيم؟» قال: هذا مما قال الله تعالى: «فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين»<sup>(٥)</sup> (السجدة - ١٧).

«عينا» نصب على الحال، «يشرب بها» أي منها، وقيل: يشرب بها المقربون صرفاً.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾، أشركوا، يعني كفار قريش: أبا جهل، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وأصحابهم من مترفي مكة، ﴿كانوا من الذين آمنوا﴾: عمار، وخباب،

(١) في «أ» الطبع والطابع والصواب ما أثبتاه من «ب» وهو عند الفراء كذلك: ٢٤٨/٣.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٤) ساقط من «ب».

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٤٥٢/٨ لعبد بن حميد وابن المنذر.

مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٥﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٦﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ

وصهيب، وبلال، وأصحابهم من فقراء المؤمنين. ﴿يضحكون﴾، وبهم يستهزؤون.

﴿وإذا مروا بهم﴾، يعني من فقراء المؤمنين بالكفار، ﴿يتغامزون﴾، والغمز الإشارة بالجفن والحاجب، أي يشيرون إليهم بالأعين استهزاء.

﴿وإذا انقلبوا﴾، يعني الكفار، ﴿إلى أهلهم انقلبوا فكهين﴾، معجبين بما هم فيه يتفكهون بذكرهم.

﴿وإذا رأوهم﴾، رأوا أصحاب النبي ﷺ، ﴿قالوا إن هؤلاء لضالون﴾، يأتون محمداً ﷺ يرون أنهم على شيء.

﴿وما أرسلوا﴾، يعني المشركين، ﴿عليهم﴾، يعني على المؤمنين، ﴿حافظين﴾، أعمالهم، أي لم يوكلوا بحفظ أعمالهم.

﴿فالיום﴾، يعني في الآخرة، ﴿الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾، قال أبو صالح: وذلك أنه يفتح للكفار في النار أبوابها، ويقال لهم: اخرجوا، فإذا رأوها مفتوحة أقبلوا إليها ليخرجوا، والمؤمنون ينظرون إليهم فإذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم، يفعل ذلك بهم مراراً والمؤمنون يضحكون.

وقال كعب: بين الجنة والنار كوى، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو له، كان في الدنيا، اطلع عليه من تلك الكوى<sup>(١)</sup>، كما قال: «فاطلع فراه في سواء الجحيم» (الصفات-٥٥)، فإذا اطلعوا من الجنة إلى أعدائهم وهم يعذبون في النار ضحكوا، فذلك قوله عز وجل: «فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون»

﴿على الأرائك﴾، [من الدر والياقوت]<sup>(٢)</sup>، ﴿ينظرون﴾، إليهم في النار.

(١) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: ٣٥٧/٢.

وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٤٥٣/٨ عزوه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

## يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثَوَابَ الْكَفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

قال الله تعالى: ﴿هَلْ ثَوَابَ﴾، هل جوزي، ﴿الْكَفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، أي جزاء استهزائهم بالمؤمنين. ومعنى الاستفهام ها هنا: التقرير. وثوب [وأثيب]<sup>(١)</sup> وأثاب بمعنى واحد.

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

# الأنشقة



## سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ② وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ⑤

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾، انشقاقها من علامات القيامة.

﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾، أي سمعت أمر ربها بالانشقاق وأطاعته، من الأذن وهو الاستماع، ﴿وَحُقَّتْ﴾، أي وحق لها أن تطيع ربها.

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾، مدّ الأديم العكاظي، وزيد في سعتها. وقال مقاتل: سُويت كمدّ الأديم، فلا يبقى فيها بناء ولا جبل.

﴿وَأَلْقَتْ﴾، أخرجت، ﴿مَا فِيهَا﴾، من الموقى والكنوز، ﴿وَتَخَلَّتْ﴾، [خلت]<sup>(٢)</sup> منها.

﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾، واختلفوا في جواب «إذا»، قيل: جوابه محذوف، تقديره: إذا كانت هذه الأشياء يرى الإنسان الثواب والعقاب.

وقيل جوابه: «يا أيها الإنسان إنك كادح»، ومجازه: إذا السماء انشقت لقي كل كادح [ما]<sup>(٣)</sup> عمله.

وقيل: جوابه: «وأذنت»، وحيث تذكرون «الواو» زائدة.

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة (إذا السماء انشقت) بمكة. انظر: الدر المنثور: ٤٥٤/٨.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».



يَتَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا حَافِلًا ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ  
﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ  
كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿١٢﴾

ومعنى قوله: ﴿كادح إلى ربك كدحاً﴾، أي ساعٍ إليه في عملك، والكدح: عمل الإنسان وجهده في الأمر من الخير والشر حتى يكدح ذلك فيه، أي يؤثر. وقال قتادة والكلبي والضحاك: عامل لربك عملاً، ﴿فملاقية﴾، أي ملاقي جزاء عملك خيراً كان أو شراً.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ﴾، ديوان [أعماله] <sup>(١)</sup>، ﴿بِيَمِينِهِ \* فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا سعيد بن أبي مرجم، أخبرنا نافع، عن ابن عمر، حدثني ابن أبي مليكة أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، [وأن النبي ﷺ قال] <sup>(٢)</sup>: «مَنْ حُسِبَ عُذْبٌ» قالت عائشة رضي الله عنها فقلت: يا رسول الله أو ليس يقول الله عز وجل: «فسوف يحاسب حساباً يسيراً»؟ قالت: فقال: «إنما ذلك العرض، ولكن من ثوقش [في الحساب هلك]» <sup>(٣)</sup>.

﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ﴾، يعني في الجنة من الخور العين والآدميات، ﴿مَسْرُورًا﴾ / ، بما أوتي من الخير والكرامة .

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾، فتغل يد اليمنى إلى عنقه وتجعل يده الشمال وراء ظهره، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره. وقال مجاهد: تخلع يده اليسرى من وراء ظهره.

﴿فسوف يدعوا ثُبُورًا﴾، ينادي بالويل والهلاك إذا قرأ كتابه يقول: يا ويلاه يا ثُبُوراه، كقوله تعالى: «دعوا هنالك ثُبُورًا» (الفرقان- ١٣) .

﴿ويصلى سعيراً﴾، قرأ أبو جعفر، وأهل البصرة، وعاصم، وحمة: و «يُصَلِّي» بفتح الياء

(١) في «ب» عمله.

(٢) في «أ» قالت: قال النبي ﷺ.

(٣) في «ب» الحساب يهلك.

(٤) أخرجه البخاري في العلم، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه: ١٩٦/١-١٩٧ وفي تفسير سورة الانشقاق، وفي الرقاق. ومسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب إثبات الحساب برقم: (٢٨٧٦): ٢٢٠٤/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٣١/١٥.

إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِالْشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴿١٩﴾

خفيفاً كقوله: «يصلى النار الكبرى» (الأعلى-١٢)، وقرأ الآخرون بضم الياء [وفتح الصاد]<sup>(١)</sup> وتشديد اللام كقوله: «وتصلية جحيم» (الواقعة-٩٤)، ثم الجحيم صلوه» (الحاقة-٣١).

﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾، يعني في الدنيا، باتباع هواه وركوب شهوته.

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾، أن لن يرجع إلينا ولن يبعث ثم قال:

﴿بَلَىٰ﴾، أي: ليس كما ظن، بل يحور إلينا ويبعث، ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾، من يوم خلقه إلى أن بعثه.

قوله عز وجل: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْشَّفَقِ﴾، قال مجاهد: هو النهار كله. وقال عكرمة: ما بقي من النهار. وقال ابن عباس وأكثر المفسرين: هو الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس. وقال قوم: هو البياض الذي يعقب تلك الحمرة.

﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾، أي جمع وضَمٌّ، يقال: وسقته أسقه وسقاً، أي: جمعته، واستوسقت الإبل: إذا اجتمعت وانضمت. والمعنى: والليل وما جمع وضَمٌّ ما كان بالنهار منتشرًا من الدواب، وذلك أن الليل إذا أقبل أوى كل شيء إلى مأواه. روى منصور عن مجاهد قال: ما لف وأظلم عليه. وقال مقاتل بن حيان: أقبل من ظلمة أو كوكب. وقال سعيد بن جبير. وما عمل فيه. ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾، اجتمع واستوى وتم نوره وهو في الأيام البيض. وقال قتادة: استدار، وهو افعل من الوَسَق الذي هو الجمع.

﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾، قرأ أهل مكة وحمة والكسائي: «لَتَرْكَبُنَّ» بفتح الباء، يعني لتركبن يا محمد ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾. قال الشعبي ومجاهد: سماء بعد سماء. قال الكلبي: يعني تصعد فيها. ويجوز أن يكون درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى والرفعة.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا سعيد بن النضر، أخبرنا هشيم، أخبرنا أبو بشر عن مجاهد قال قال ابن عباس:

(١) ساقط من «أ».

## فَمَالَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢﴾

«لتركبن طبقاً عن طبق» حالاً بعد حال، قال هذا نبيكم ﷺ<sup>(١)</sup>.

وقيل: أراد به السماء تتغير لوناً بعد لون، فتصير تارة كالدهان وتارة كالملح، وتنشق بالغمام مرة وتطوى أخرى. وقرأ الآخرون بضم الباء، لأن المعنى بالناس أشبه، لأنه ذكر من قبل: «فأما من أوتي كتابه بيمينه»، «وشماله» وذكر من بعد: «فما لهم لا يؤمنون»، وأراد: لتركبن حالاً بعد حال، وأمرأ بعد أمر في موقف القيامة، يعني: الأحوال تنقلب بهم، فيصرون في الآخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا. و «عن» بمعنى بعد.

وقال مقاتل: يعني الموت ثم الحياة [ثم الموت ثم الحياة]<sup>(٢)</sup>.

وقال عطاء: مرة فقيراً ومرة غنياً. وقال عمرو بن دينار عن ابن عباس: يعني الشدائد وأهوال الموت، ثم البعث ثم العرض. وقال عكرمة: حالاً بعد حال، رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ. وقال أبو عبيدة: لتركبن سنن من كان قبلكم وأحوالهم.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن عبد العزيز، أخبرنا أبو عمرو الصنعاني من اليمن عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «لتبعن سنن من [كان]<sup>(٣)</sup> قبلكم شيراً شيراً وذراعاً ذراعاً، حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لتبعتموهم» قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟<sup>(٤)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؟ استفهام إنكار.

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾. قال الكلبي ومقاتل: لا يصلون.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا قتيبة، حدثنا سفيان ابن عيينة عن أيوب بن موسى عن عطاء بن مينا عن أبي هريرة قال: سجدنا مع رسول الله ﷺ

(١) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة الانشقاق: ٦٩٨/٨.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) زيادة من «ب».

(٤) أخرجه البخاري في الاعتصام، باب قول النبي ﷺ (لتبعن سنن من كان قبلكم): ٣٠٠/١٣، وفي الأنبياء، ومسلم في العلم،

باب اتباع سنن اليهود والنصارى برقم: (٢٦٦٩)، ٢٠٥٤/٤، والمصنف في شرح السنة: ٣٩٢/١٤

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

في «اقرأ باسم ربك»، «وإذا السماء انشقت»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا مسدد، أخبرنا معمر قال: سمعت أبي قال حدثني بكر، عن أبي رافع قال: صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ إذا السماء انشقت، فسجد فقلت: ما هذا؟ قال: سجدت بها خلف أبي القاسم عليه السلام فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه<sup>(٢)</sup>.

﴿بل الذين كفروا يكذبون﴾، بالقرآن والبعث.

﴿والله أعلم بما يُوعُونَ﴾. في صدورهم من التكذيب. قال مجاهد: يكتُمون.

﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ \* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾، غير مقطوع ولا منقوص.

(١) أخرجه الترمذي في الصلاة، باب في السجدة: ١٦٥/٣، ومسلم في المساجد، باب سجود التلاوة برقم: (٥٧٨): ٤٠٦/١، وأبو داود في الصلاة، باب السجود في (إذا السماء انشقت) ١١٨/٢، والنسائي في سجود القرآن، باب السجود في (اقرأ باسم ربك): ١٦١/٢، والمصنف في شرح السنة: ٣٠١/٣.

(٢) أخرجه البخاري في سجود التلاوة، باب (من قرأ السجدة في الصلاة فسجد بها): ٥٥٩/٢، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب سجود التلاوة برقم: (٥٧٨): ٤٠٧/١.



# سورة الفجر



## سُورَةُ الْبُرُوجِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ \* وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾، هو يوم القيامة.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾.

أخبرنا عبد الواحد الميلحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سميان، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا عبد الله بن موسى بن عبيدة، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «اليوم الموعود يوم القيامة، والمشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة، ما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة، فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله فيها خيراً إلا استجاب الله له، أو يستعيز [به]<sup>(٢)</sup> من شر إلا أعاده منه»<sup>(٣)</sup>، وهذا قول ابن عباس .

والأكثر: أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر .

(١) أخرج ابن الضريس، والنحاس، والبيهقي، وابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت (والسما ذات البروج) بمكة. انظر الدر المنثور: ٤٦١/٨.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة البروج: ٢٥٨/٩ وقال: «هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث، ضعفه يحيى بن معين من قبل حفظه»، والطبري: ١٢٨/٣٠. وذكره ابن كثير في التفسير: ٤٩٢/٤، وقال: «هكذا روى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف الحديث. وقد روي موقوفاً على أبي هريرة وهو أشبه» وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٢٠٤/٤.



وروي عن ابن عمر: «الشاهد»: يوم الجمعة، «والمشهود» يوم [النحر]<sup>(١)</sup>

قال سعيد بن المسيب: «الشاهد» يوم التروية، «والمشهود»: يوم عرفة.

وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: «الشاهد»: محمد ﷺ، و «المشهود»: يوم القيامة، ثم تلا: «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً» (النساء-٤١)، وقال: ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود<sup>(٢)</sup>.

وقال / عبد العزيز بن يحيى: «الشاهد»: محمد ﷺ، و «المشهود»: الله عز وجل، بيانه: قوله «وجئنا بك على هؤلاء شهيداً».

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: «الشاهد»: آدم، و «المشهود»: يوم القيامة.

وقال عكرمة «الشاهد»: الإنسان و «المشهود»: يوم القيامة. وعنه أيضاً: الشاهد الملك يشهد على ابن آدم، والمشهد يوم القيامة. وتلا: «وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد» (ق-٢١)، و «وذلك يوم مشهود» (هود-١٠٣)، وقيل: الشاهد [الحفظة والمشهد بنو آدم. وقال عطاء بن يسار: الشاهد]<sup>(٣)</sup> آدم وذريته، والمشهد يوم القيامة.

وروى الوالبي عن ابن عباس: الشاهد هو الله عز وجل والمشهد يوم القيامة.

وقال الحسين بن الفضل: الشاهد هذه الأمة والمشهد سائر الأمم. بيانه: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس» (البقرة-١٤٣).

وقال سالم بن عبد الله: سألت سعيد بن جبير عن قوله: «وشاهد ومشهود»، فقال: الشاهد هو الله والمشهد: نحن، بيانه: «وكفى بالله شهيداً» (النساء-٧٩)، وقيل: الشاهد أعضاء بني آدم، والمشهد ابن آدم، بيانه: «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم» الآية (النور-٢٤)، وقيل:

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ»، والأثر ذكره صاحب زاد المسير: ٧١/٩.

(٢) في «ب» عرفة.

(٣) أخرجه الطبري: ١٣٠/٣٠ عن ابن عباس، وفيه علي بن زيد.

ورواه أيضاً عن الحسن بن علي رضي الله عنه، في الموضع نفسه. وأخرجه النسائي في التفسير: ٥١٤/٢.

قال الهيثمي في المجمع: ١٣٦/٧ «رواه البزار ورجاله ثقات».

قال الطبري مرجحاً: ١٣١/٣٠: «والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أقسم بشاهد شهد، ومشهود شهد، ولم يخبرنا مع إقسامه بذلك أي شاهد وأي مشهود أراد، وكل الذي ذكرنا أن العلماء قالوا: هو المعنى مما يستحق أن يقال له (شاهد ومشهود).

(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ».

## قِيلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾

الشاهد الأنبياء والمشهود محمد ﷺ، بيانه: قوله: «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين» إلى قوله «فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين» (آل عمران - ٨١) .

﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾، أي: لعن، و «الأخدود»: الشق المستطيل في الأرض كالنهر، وجمعه: أخاديد واختلفوا فيهم:

أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحى، أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الله بن سعدان الخطيب، أخبرني أبو أحمد محمد بن أحمد بن محمد بن قريش بن نوح بن رسم، حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي، حدثنا هُذْبَةُ بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً، وكان في طريقه إذا سلك إليه راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب، وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه، وإذا رجع من عند الساحر قعد إلى الراهب وسمع كلامه فإذا أتى أهله ضربوه، فشكا [ذلك] <sup>(١)</sup> إلى الراهب، فقال: إذا [جئت] الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا [جئت] <sup>(٢)</sup> أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر؟ فأخذ حجراً ثم قال اللهم: إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، فمضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى فإن ابتليت [فاصبر] <sup>(٣)</sup> فلا تدلّ عليّ، فكان الغلام يرى الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك وكان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هنا لك أجمع إن أنت شفيتني، قال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله لك فشفاك، فأمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك؟ قال: ربي عزّ وجلّ، قال أولئك ربّ غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجاءه بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرِك ما تبرئ به الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل، قال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الراهب، فجاءه بالراهب فقبل له: ارجع عن دينك، فأبى [فدعا

(١) زيادة من «ب».

(٢) في «ب» خشيت.

بالمنشار<sup>(١)</sup> فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع [شقاه]<sup>(٢)</sup>، ثم جيء بمجلس الملك فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، [فذهبوا به]<sup>(٣)</sup> فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، فجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور [إلى لجة بحر كذا]<sup>(٤)</sup> فإن رجع عن دينه وإلا [فاطرحوه في البحر]<sup>(٥)</sup> فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا فجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهماً من كناتي ثم ضع السهم في كبد القوس وقل: بسم [الله]<sup>(٦)</sup> رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى. فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كناته ثم وضع [السهم]<sup>(٧)</sup>، في كبد قوسه، ثم قال: بسم [الله]<sup>(٨)</sup> رب الغلام، ثم رماه فوق السهم في صدغه، فوضع يده على صدغه في موضع السهم، فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام ثلاثاً فأبى الملك، فقيل له: أرايت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرُك، قد آمن الناس، فأمر بالأحدود بأفواه السكك، فخذت وأضرم بها النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل له اقتحم، قال: ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يأماء اصبري فإنك على الحق.

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم بن الحجاج عن [هذبة بن خالد عن]<sup>(٩)</sup> حماد بن

سلمة<sup>(١٠)</sup>.

وذكر محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه: أن رجلاً كان قد بقي على دين عيسى فوق إلى أهل نجران [فدعاهم]<sup>(١١)</sup> فأجابوه فصار إليه ذو نواس اليهودي بمجنوده من حمير وخيرهم بين النار واليهودية، فأبوا عليه فخذ الأخابد وأحرق اثني عشر ألفاً، ثم [لما]<sup>(١٢)</sup> غلب أرباط على اليمن فخرج

(١) زيادة من «ب».

(٢) ساقط من «ب».

(٣) في «ب» فتوسطوا به البحر.

(٤) في «ب» فاقدفوه.

(٥) زيادة من «ب».

(٦) ساقط من «أ».

(٧) في كتاب الزهد، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام برقم (٣٠٠٥) ٢٢٩٩/٤.

ذو نواس هارباً فاقتحم البحر بفرسه فغرق<sup>(١)</sup>، قال الكلبي: وذو نواس قتل عبد الله بن التامر.

وقال محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر: أن خربة احتفرت في زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبد الله بن التامر واضعاً يده على ضربة في رأسه إذا أميظت يده عنها انبعثت دماً وإذا تركت ارتدت مكانها، وفي يده خاتم من حديد فيه: ربي الله، فبلغ ذلك عمر فكتب / أن أعيدوا عليه الذي وجدتم عليه<sup>(٢)</sup>.

أ/١٨٩

وروى عطاء عن ابن عباس- رضي الله تعالى عنهما- قال: كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له: يوسف ذو نواس بن شرحبيل بن شرحيل في الفترة قبل مولد النبي ﷺ [بسبعين سنة]<sup>(٣)</sup>، وكان في بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر، وكان أبوه سلمه إلى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بداً من طاعة أبيه فجعل يختلف إلى المعلم [وكان]<sup>(٤)</sup> في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت، فأعجبه ذلك، وذكر قريباً من معنى حديث صهيب إلى أن قال الغلام للملك: إنك لا تقدر على قتلي إلا أن تفعل ما أقول لك، قال: فكيف أقتلك؟ قال: تجمع أهل مملكتك وأنت على سريرك فترميني بسهم باسم إلهي، ففعل الملك [ذلك]<sup>(٥)</sup> فقتله، فقال الناس: لا إله إلا الله، عبد الله بن تامر لا دين إلا دينه، فغضب الملك وأغلق باب المدينة وأخذ أفواه السكك وخد أخذوداً وملاء ناراً ثم عرضهم رجلاً رجلاً فمن رجع عن الإسلام تركه، ومن قال: ديني دين عبد الله ابن تامر ألقاه في الأخدود فأحرقه، وكان في مملكته امرأة أسلمت فيمن أسلم ولها أولاد ثلاث أحدهم رضيع، فقال لها الملك: ارجعي عن دينك وإلا ألقيتك وأولادك في النار، فأبت فأخذ ابنها الأكبر فألقاه في النار، ثم قال لها: ارجعي عن دينك، فأبت فألقى الثاني في النار، ثم قال لها: ارجعي فأبت فأخذوا الصبي منها ليلقوه في النار فهتت المرأة بالرجوع، فقال الصبي: يا أماه لا ترجعي [عن الإسلام]<sup>(٦)</sup> فإنك على الحق، ولا بأس عليك، فألقى الصبي في النار، وألقيت أمه على أثره<sup>(٧)</sup>.

وقال سعيد بن جبير وابن أبيزى: لما انهزم أهل اسفندهار قال عمر بن الخطاب: أي شيء يجري على المجوس من الأحكام فإنهم ليسوا بأهل كتاب؟ فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: بلى قد كان لهم كتاب، وكانت الخمر أحلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبته على عقله، فتناول أخته فوق عليها فلما ذهب عنه السكر ندم، وقال لها: ويحك ما هذا الذي أتيت، وما المخرج منه

(١) سيرة ابن هشام: ٣٧-٣٢/١.

وانظر: البداية والنهاية لابن كثير: ١١٩-١٢١، الكافي الشاف ص (١٨٣)

(٢) انظر: سيرة ابن هشام: ٣٨-٣٧/١.

(٣) ساقط من «ب».

(٤) انظر: البداية والنهاية لابن كثير: ١٢١/٢.

قالت: المخرج منه أن تخطب الناس، وتقول: إن الله قد أحل نكاح الأخوات فإذا ذهب في الناس وتناسوه خطبتهم فحرمتهم، فقام خطيباً فقال: إن الله قد أحل لكم نكاح الأخوات، فقال الناس بأجمعهم: معاذ الله أن نؤمن بهذا، أو نقرّ به، ما جاءنا به نبي ولا أنزل علينا فيه كتاب، فبسط فيهم السوط فأبوا أن يقرؤا فجرد فيهم السيف. فأبوا أن يقرؤا [فخذّ لهم أخدوداً]<sup>(١)</sup> وأوقد فيه النيران وعرضهم عليها فمن أوى ولم يطرعه قذفه في النار ومن أجاب خلّى سبيله<sup>(٢)</sup>.

وقال الضحاك: أصحاب الأخدود من بني إسرائيل، أخذوا رجالاً ونساء فخذوا لهم أخدوداً ثم أوقدوا فيه النيران فأقاموا المؤمنين عليها، فقالوا: أتكفرون أم نقذفكم في النار؟ ويزعمون أنه دانيال وأصحابه. وهذه رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو الطفيل عن علي رضي الله عنه: كان أصحاب الأخدود نبيهم حبشي، بعث [نبي]<sup>(٤)</sup> من الحبشة إلى قومه، ثم قرأ علي رضي الله عنه: «ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم قصصنا عليك»، الآية (غافر-٧٨)، فدعاهم فتابعه أناس فقاتلهم فقتل أصحابه وأخذوا وأوثق ما أفلت منهم فخذوا أخدوداً فملئوها ناراً فمن تبع النبي رُمي فيها، ومن تابعهم تركوه، فجاءوا بامرأة ومعها صبي رضيح فجزعت، فقال الصبي: يا أماه مري ولا تنافقي.

وقال عكرمة: كانوا من النبط [أحرقوا بالنار]<sup>(٥)</sup>. وقال مقاتل: كانت الأخدود ثلاثة: واحدة بنجران باليمن، وواحدة بالشام، والأخرى بفارس، حرقوا [بالنار]<sup>(٦)</sup> أما التي بالشام فهو أبطاموس الرومي، وأما التي بفارس فبختنصر، وأما التي بأرض العرب فهو ذو نواس يوسف، فأما التي بالشام وفارس فلم يُنزل الله فيهما قرآناً وأنزل في التي كانت بنجران<sup>(٧)</sup>، وذلك أن رجلاً مسلماً ممن يقرأ الإنجيل آجر نفسه في عمل، وجعل يقرأ الإنجيل فرأت بنت المستأجر النور يضيء من قراءة الإنجيل، فذكرت ذلك لأبيها فرمقه حتى رآه [فسأله فلم يخبره]<sup>(٨)</sup>، فلم يزل به حتى أخبره بالدين والإسلام، فتابعه هو وسبعة وثمانون إنساناً من بين رجل وامرأة وهذا بعدما رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، فسمع ذلك يوسف ذو نواس فخذّ لهم في الأرض وأوقد فيها ناراً فعرضهم على الكفر، فمن أوى

(١) ساقط من «أ».

(٢) أخرجه الطبري: ١٣٢/٣٠.

(٣) أخرجه الطبري: ١٣٣/٣٠.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٤٦٥/٨ لابن المنذر.

(٤) ساقط من «ب».

(٥) انظر: ابن كثير: ٤٦٩/٤.

(٦) ساقط من «ب».

النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾

أن يكفر قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذفه، وإن امرأة جاءت ومعه ولد صغير لا يتكلم، فلما قامت على شفير الخندق نظرت إلى ابنها فرجعت عن النار، فضربت حتى تقدمت فلم تنزل كذلك ثلاث مرات، فلما كانت في الثالثة ذهبت ترجع فقال لها ابنها: يا أماه إني أرى أمامك ناراً لا تطفأ، فلما سمعت ذلك قذفا جميعاً أنفسهما في النار، فجعلها الله وابنها في الجنة، فقذف في النار في يوم واحد سبعة وسبعون إنساناً، فذلك قوله عز وجل: «قتل أصحاب الأخدود».

﴿النار ذات الوقود﴾، بدل من الأخدود، قال الربيع بن أنس: نجى الله المؤمنين الذين ألقوا في النار بقبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار، وخرجت النار إلى من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم<sup>(١)</sup>.

﴿إذ هم عليها قعود﴾، أي: عند النار جلوس [لتعذيب]<sup>(٢)</sup> المؤمنين. قال مجاهد: كانوا قعوداً على الكراسي [عند الأخدود]<sup>(٣)</sup>.

﴿وهم﴾، يعني الملك وأصحابه الذين خدّوا [الأخدود]<sup>(٤)</sup>، ﴿على ما يفعلون بالمؤمنين﴾، من عرضهم على النار وإرادتهم أن يرجعوا إلى دينهم، ﴿شهود﴾، حضور، وقال مقاتل: يعني يشهدون أن المؤمنين في ضلال حين تركوا عبادة الصنم.

﴿وما نَقَمُوا منهم﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما كرهوا منهم، ﴿إلا أن يؤمنوا بالله﴾، قال مقاتل ما عابوا منهم. وقيل: ما علموا فيهم عيباً. قال الزجاج: ما أنكروا عليهم ذنباً إلا إيمانهم بالله، ﴿العزیز الحمید﴾.

﴿الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد﴾، من أفعالهم، ﴿شهيد﴾.

(١) أخرجه الطبري: ١٣٤/٣٠-١٣٥.

وانظر ابن كثير: ٤٩٧/٤.

(٢) في «ب» يعذبون.

(٣) زيادة من «ب».

(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ».

إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمَّا تَبَتُّوْا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ  
الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يَبْدِي وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ  
الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا﴾، عذبوا وأحرقوا، ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، يقال: فتنت الشيء إذا أحرقت، نظيره «يوم هم على النار يفتنون» (الذاريات-١٣)، ﴿ثُمَّ لَمَّا تَبَتُّوْا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ﴾، بكفرهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾، بما أحرقوا المؤمنين. وقيل: ولهم عذاب الحريق [في الدنيا، وذلك أن الله أحرقهم بالنار التي] <sup>(١)</sup> أحرقوا بها المؤمنين، ارتفعت إليهم من الأخدود، قاله الربيع بن أنس والكلبي.

ثم ذكر ما أعد للمؤمنين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾.

واختلفوا في جواب القسم: فقال بعضهم: جوابه: «قتل أصحاب الأخدود»، يعني لقد قتل.

وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: قتل أصحاب الأخدود والسماء ذات البروج.

وقال قتادة: جوابه: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، قال ابن عباس: إن أخذه بالعذاب إذا أَخَذَ

الظَّلْمَةَ لَشَدِيدٌ، كقوله: «إِنْ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ» (هود-١٠٢).

﴿إِنَّهُ هُوَ يَبْدِي وَيُعِيدُ﴾، أي يخلقهم أولاً في الدنيا ثم يعيدهم أحياء بعد الموت.

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾، لذنوب المؤمنين، ﴿الْوَدُودُ﴾، المحب لهم، وقيل: معناه المودود، كالحلوب

والركوب، بمعنى المحلوب والركوب. وقيل: يغفر ويود أن يغفر، وقيل: المتودد إلى أوليائه بالمغفرة.

﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾، قرأ حمزة والكسائي: «المجيد» بالجر، على صفة العرش أي السرير العظيم.

وقيل: أراد حسنه فوصفه بالمجد كما وصفه بالكرم، فقال: «رب العرش الكريم» (المؤمنون-١١٦)،

ومعناه الكمال، والعرش: أحسن الأشياء وأكملها، وقرأ الآخرون بالرفع على صفة ذو العرش.

﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾، لا يعجزه شيء يريد ولا يمتنع منه شيء طلبه.

قوله عز وجل: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾، قد أتاك خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿٧٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٨٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴿٨١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٨٢﴾

على الأنبياء، ثم بين من هم فقال:

﴿فرعون وثمود﴾ بل الذين كفروا، من قومك يا محمد، ﴿في تكذيب﴾، لك وللقرآن كدأب [آل فرعون] من قبلهم، ولم يعتبروا بمن كان قبلهم من الكفار. ﴿والله من ورائهم محيط﴾، عالم بهم لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، يقدر أن ينزل بهم ما أنزل بمن كان قبلهم.

﴿بل هو قرآن مجيد﴾، كريم شريف كثير الخير، ليس كما زعم المشركون أنه شعر وكهانة. ﴿في لوح محفوظ﴾، قرأ نافع: «محفوظ» بالرفع على نعت القرآن، فإن القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف، قال الله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» (الحجر - ٩). وقرأ الآخرون بالجر على نعت اللوح، وهو الذي يُعرف باللوح المحفوظ، وهو أم الكتاب، ومنه نسخ الكتب، محفوظ من الشياطين، ومن الزيادة فيه والنقصان.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا الحسين ابن محمد بن فنجويه، أخبرنا مخلد بن جعفر، حدثنا الحسن بن علويه، أخبرنا إسماعيل بن عيسى، حدثنا إسحاق بن بشر، أخبرني مقاتل وابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: إن في صدر اللوح: لا إله إلا الله وحده، دينه الإسلام، ومحمد عبده ورسوله، فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة، قال: واللوح لوح من درة بيضاء، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق إلى المغرب، وحافته الدر والياقوت، ودفتاه ياقوتة حمراء، وقلمه نور، وكلامه معقود بالعرش، وأصله في حجر ملك<sup>(١)</sup>.

قال مقاتل: اللوح المحفوظ عن يمين العرش.

(١) ساقط من «ب».

(٢) موقوف على ابن عباس، وفيه إسحاق بن بشر، قال ابن حبان: لا يحل حديثه إلا على جهة التعجب وقال الدارقطني: متروك. وقال الذهبي: يروي العظام عن ابن إسحاق وابن جريج والثوري. انظر: الضعفاء لابن حبان: ٣٧/١، الميزان للذهبي: ١٨٤/١. وراجع ابن كثير: ٤٩٨/٤.





الطَّرِيقُ



## سُورَةُ الطَّارِقِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾

﴿والسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾، قال الكلبي: نزلت في أبي طالب، وذلك أنه أتى النبي ﷺ فأنحفه بخبز ولبن، فبينما هو جالس يأكل إذ انحط نجم فامتلاً ماءً ثم ناراً، ففزع أبو طالب وقال: أي شيء هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: هذا نجم رُمي به، وهو آية من آيات الله عز وجل فعجب أبو طالب فأنزل الله عز وجل: «والسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ»<sup>(٢)</sup>، وهذا قسم، و«الطارق» النجم يظهر بالليل، وما أتاك ليلاً فهو طارق .

﴿وما أدراك ما الطَّارِقُ﴾؟ ثم فسره فقال:

﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾، أي المضيء المنير، قال مجاهد: المتوهج، قال ابن زيد: أراد به الثريا، والعرب تسميه النجم. وقيل: هو زُحَل، سُمي بذلك لارتفاعه، تقول العرب للطائر إذا لحق ببطن السماء ارتفاعاً: قد ثقب.

﴿إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ﴾، جواب القسم، ﴿لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾، قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وعاصم، وحمزة: «لما» بالتشديد، يعنون: ما كل نفس إلا عليها حافظ، وهي لغة هذيل يجعلون «لما» بمعنى «إلا» يقولون: نشدتك الله لما قمت، أي إلا قمت.

وقرأ الآخرون بالتخفيف، جعلوا «ما» صلة، مجازة: إن كل نفس لعلها حافظ [من ربه]<sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه ابن الضريس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت (والسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ) بمكة. انظر: الدر المنثور: ٤٧٣/٨ .

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول، صفحة (٥٢٢).

قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف صفحة: (١٨٣): «ذكره الثعلبي والواحدي بغير إسناد».

(٣) ساقط من «ب».

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾

[وتأويل الآية: كل نفس عليها حافظ من ربها] <sup>(١)</sup> يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكتسب من خير وشر.

قال ابن عباس: هم الحفظة من الملائكة. قال الكلبي: حافظ من الله يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها ويسلمها إلى المقادير، ثم يخلّي عنها.

﴿فليُنظر الإنسان مِمَّ خُلِقَ﴾، أي من أي شيء خلقه ربه، أي فليُنظر نظر المتفكر .

ثم بين فقال: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾، مدفوق أي مصبوب في الرحم، وهي المنى، فاعل بمعنى مفعول كقوله: «عيشة راضية» (الحاقة-٢١) أي مرضية، والدفق: الصب، وأراد ماء الرجل وماء المرأة، لأن الولد مخلوق منهما، وجعله واحداً لامتزاجهما.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، يعني صلب الرجل وترائب المرأة، و«الترائب»: جمع التريبة، وهي عظام الصدر والنحر. قال ابن عباس: هي موضع القلادة من الصدر. وروى الوالبي عنه: بين ثديي المرأة. وقال قتادة: النحر. وقال ابن زيد: الصدر.

﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾، قال مجاهد: على رد النطفة في الإحليل. وقال عكرمة: على رد الماء في الصلب الذي خرج منه. وقال الضحاك: إنه على رد الإنسان ماءً كما كان من قبل لقادر. وقال مقاتل بن حيان: [إن شاء رده] <sup>(٢)</sup> من الكبر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصبا، ومن الصبا إلى النطفة، وقال ابن زيد: إنه على حبس ذلك الماء لقادر حتى لا يخرج وقال قتادة: إن الله تعالى على الإنسان وإعادته قادر وهذا أولى الأقاويل لقوله :

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ وذلك يوم القيامة تبلى السرائر، تظهر الخفايا قال قتادة ومقاتل: تختبر [الأعمال] <sup>(١)</sup>، قال عطاء بن أبي رباح: السرائر فرائض الأعمال، كالصوم والصلاة [والوضوء] <sup>(٢)</sup> والاعتسال من الجنابة، فإنها سرائر بين الله تعالى وبين العبد، فلو شاء العبد لقال: صمْتُ / ولم يصم، وصليتُ ولم يصل، واغتسلت ولم يغتسل، فيختبر حتى يظهر من أداها ممن ضيعها .

قال ابن عمر: بيدي الله عز وجل يوم القيامة كل سر، فيكون زيناً في وجوه وشيناً في وجوه،

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) في «ب» إن شئت رددته.

فَمَالَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُويْدًا ﴿١٧﴾

يعني: من أداها كان وجهه مشرقاً، ومن ضيّعها كان وجهه أغبر.

﴿فماله من قوة ولا ناصر﴾، أي ما لهذا الإنسان المنكر للبعث من قوة يتمتع بها من عذاب الله ولا ناصر ينصره من الله.

ثم ذكر قسماً آخر فقال: ﴿والسما ذات الرجع﴾، أي ذات المطر لأنه يرجع كل عام ويتكرر. وقال ابن عباس: هو السحاب يرجع بالمطر.

﴿والأرض ذات الصدع﴾، أي تتصدع وتنشق عن النبات والأشجار والأنهار .  
وجواب القسم قوله: ﴿إنه﴾، يعني القرآن، ﴿لقول فصل﴾، حق وجد يفصل بين الحق والباطل.

﴿وما هو بالهزل﴾، باللعب والباطل.

ثم أخبر عن مشركي مكة فقال: ﴿إنهم يكيدون كيداً﴾، يخافون النبي ﷺ ويظهرون ما هم على خلافه .

﴿وأكيد كيداً﴾، وكيد الله استدراجه إياهم من حيث لا يعلمون.

﴿فمهّل الكافرين﴾، قال ابن عباس: هذا وعيد من الله عز وجل لهم، ﴿أمهّلهم رويداً﴾، قليلاً، ومعنى مهّل وأمهل: أنظر ولا تعجل، فأخذهم الله يوم بدر، ونسخ الإمهال بآية السيف<sup>(١)</sup>.

(١) أنظر فيما سبق ٣٢/٣ تعليق (١) .



الاحكام



1853

## سُورَةُ الْأَعْلَى

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، [يعني]<sup>(٢)</sup>: قل سبحان ربي الأعلى. وإلى هذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن عبد الله، حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان، حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مسلم بن البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قرأ «سبح اسم ربك الأعلى» فقال: «سبحان ربي الأعلى»<sup>(٣)</sup>.

وقال قوم: معناه نزه ربك الأعلى عما يصفه به الملحدون، وجعلوا الاسم صلة. ويحتج بهذا من يجعل الاسم والمسمى واحداً، لأن أحداً لا يقول: سبحان اسم الله، وسبحان اسم ربنا، إنما يقول: سبحان الله وسبحان ربنا، فكان معنى سُبِّحْ اسم ربك الأعلى: سُبِّحْ ربك.

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة (سبح) بمكة، وأخرجه ابن مردويه عن عائشة وابن الزبير.

انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨.

(٢) زيادة من «ب».

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب الدعاء في الصلاة: ٤٢٢/١، ومن طريق وكيع رواه البيهقي في السنن: ٣١١/٢ وصححه الحاكم: ٢٦٣-٢٦٤ على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٢٣٢/١.

قال أبو داود: خولف وكيع في هذا الحديث، رواه أبو وكيع - وهو الجراح بن مليح - وشعبة عن أبي إسحاق عن سعيد ابن جبير.

وانظر: الكافي الشاف ص ١٨٤، والدر المنثور: ٤٨٢/٨.

الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ۝

وقال آخرون: نزه تسمية ربك، بأن تذكره وأنت له معظم، ولذكره محترم [ولأوامره مطاوع]<sup>(١)</sup>، وجعلوا الاسم بمعنى التسمية .

وقال ابن عباس: سبح [اسم ربك الأعلى]<sup>(٢)</sup> أي: صلِّ بأمر ربك الأعلى .

﴿الذي خلق فسوى﴾، قال الكلبي: خلق كل ذي روح، فسوى اليدين والرجلين والعينين .  
وقال الزجاج: خلق الإنسان مستوياً، ومعنى «سوى»: عدل قامته .

﴿والذي قدر فهدى﴾، قرأ الكسائي: «قَدَّر» بتخفيف الدال، وشدها الآخرون، وهما بمعنى واحد .

قال مجاهد: هدى الإنسان لسييل الخير والشر، والسعادة والشقاوة، وهدى الأنعام لمراتها .

وقال مقاتل والكلبي: قدر لكل شيء مسلكه، «فهدى»: عرّفها كيف يأتي الذكر الأنثى .

وقيل: قدر الأرزاق وهدى لاكتساب الأرزاق والمعاش .

وقيل: خلق المنافع في الأشياء، وهدى الإنسان لوجه استخراجها منها .

وقال السدي: قدر مدة الجنين في الرحم ثم هداه للخروج من الرحم .

قال الواسطي: قدر السعادة والشقاوة عليهم، ثم يسر لكل واحد من الطائفتين سلوك

[سييل]<sup>(٣)</sup> ما قدر عليه .

﴿والذي أخرج المرعى﴾، أنبت العشب وما ترعاه [النَّعَم]<sup>(٤)</sup>، من بين أخضر وأصفر وأحمر

وأبيض .

﴿فجعله﴾، بعد الخضرة، ﴿غُثَاءً﴾، هشيماً بالياً، كالغناء الذي تراه فوق السيل . ﴿أَحْوَى﴾

أسود بعد الخضرة، وذلك أن الكلاً إذا جف ويس أسود .

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٣) ساقط من «أ» .

(٤) في «أ» الغنم .

﴿سَنَقَرِيكَ فَلَا تَنْسَى﴾ ٦ ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ ٧ ﴿وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى﴾  
 ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ ٩ ﴿سَيَذَكِّرُكَ مِنْ يَخْشَى﴾ ١٠ ﴿وَيَنْجِنُهَا الْأَشْقَى﴾ ١١ ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ ١٢

﴿سنقرئك﴾ سنعلمك بقراءة جبريل [عليك] <sup>(١)</sup>، ﴿فلا تنسى﴾ \* إلا ما شاء الله ﴿أن تنساه، وما نسخ الله تلاوته من القرآن، كما قال: «ما ننسخ من آية أو ننسها» (البقرة-١٠٦)، والإنشاء نوع من النسخ.

وقال مجاهد، والكلبي: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل عليه السلام، لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله ﷺ بأولها، مخافة أن ينساها، فأنزل الله تعالى: «سنقرئك فلا تنسى» [فلم ينس بعد] <sup>(٢)</sup> ذلك شيئاً <sup>(٣)</sup>.

﴿إنه يعلم الجهر﴾، من القول والفعل، ﴿وما يخفى﴾، منهما، والمعنى: أنه يعلم السر والعلانية. ﴿ونيسرك لليسرى﴾، قال مقاتل: نهون عليك عمل أهل الجنة - وهو معنى قول ابن عباس - ونيسرك لأن، تعمل خيراً. و«اليسرى»: عمل الخير.

وقيل: نوفقت للشريعة اليسرى وهي الخفيفة السمحة.

وقيل: هو متصل بالكلام الأول معناه: أنه يعلم الجهر مما تقرؤه على جبريل إذا فرغ من التلاوة، ﴿وما يخفى﴾: ما تقرأ في نفسك مخافة النسيان، ثم وعده فقال: ﴿ونيسرك لليسرى﴾ أي نهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعلمه.

﴿فذكّر﴾، عِظْ بالقرآن، ﴿إن نفعت الذكرى﴾، الموعظة والتذكير. والمعنى: نفعت أو لم تنفع، وإنما لم يذكر الحالة الثانية، كقوله: «سرايل تقيكم الحر»، وأراد: الحر والبرد جميعاً.

﴿سيزكرك﴾، سيتعظ، ﴿من يخشى﴾، الله عز وجل.

﴿ويتجنبها﴾، أي يتجنب الذكرى ويتباعد عنها، ﴿الأشقى﴾، الشقي في علم الله.

﴿الذي يصلّى النار الكبرى﴾، العظيمة والفظيعة، لأنها أعظم وأشدّ حرّاً من نار الدنيا.

(١) ساقط من «ب».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) انظر: الدر المنثور: ٤٨٣/٨.

ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾

﴿ثم لا يموت فيها﴾، فيستريح، ﴿ولا يحيى﴾، حياة تنفعه.

﴿قد أفلح من تزكى﴾، تطهر من الشرك وقال: لا إله إلا الله. هذا قول عطاء وعكرمة، ورواية الوالي وسعيد بن جبير عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. وقال الحسن: من كان عمله زاكياً<sup>(٢)</sup>.

وقال آخرون: هو صدقة الفطر، روي عن أبي سعيد الخدري في قوله: «قد أفلح من تزكى» قال: أعطى صدقة الفطر<sup>(٣)</sup>.

﴿وذكر اسم ربه فصلى﴾، قال خرج إلى العيد فصلى، فكان ابن مسعود يقول: رحم الله امرأً تصدق ثم صلى، ثم يقرأ هذه الآية<sup>(٤)</sup>. وروى نافع: كان ابن عمر إذا صلى الغداة - يعني من يوم العيد - قال: يانافع أخرجت الصدقة؟ فإن قلت: نعم، مضى إلى المصلى، وإن قلت: لا، قال: فالآن فأخرج، فإنما نزلت هذه الآية في هذا «قد أفلح من تزكى \* وذكر اسم ربه فصلى». وهو قول أبي العالية وابن سيرين.

وقال بعضهم: لا أدري ما وجه هذا التأويل؟ لأن هذه السورة مكية، ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر<sup>(٥)</sup>.

[قال الشيخ الإمام محيي السنة رحمه الله<sup>(٦)</sup>: / يجوز أن يكون النزول سابقاً على الحكم كما قال: «وأنت حل بهذا البلد»، فالسورة مكية، وظهر أثر الحل يوم الفتح حتى قال عليه الصلاة والسلام: «أُحِلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ»<sup>(٧)</sup> وكذلك نزل بمكة: «سيهزم الجمع ويولون الدبر» (القمر- ٤٥)، قال عمر بن الخطاب: كنت لا أدري أي جمع يهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ

١٩٠/ب

(١) انظر: الطبري: ١٥٦/٣٠، الدر المنثور: ٤٨٤/٨.

(٢) أخرجه الطبري: ١٥٦/٣٠.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٤٨٥/٨.

(٤) ذكره صاحب الدر المنثور: ٤٨٦/٨ عن أبي الأحوص، وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن جرير.

(٥) قال صاحب زاد المسير: ٩٢/٩ «القول قول ابن عباس في الآيتين، فإن هذه السورة مكية بلا خلاف، ولم يكن بمكة زكاة ولا عيد.

(٦) في «أه» قال الشيخ الإمام الأجل محيي السنة، ناصر الحديث، قدوة الأمة، مظهر الإسلام، مفتي الشرق، الحسين بن مسعود رضي الله عنه.

(٧) قطعة من حديث «أخرجه مسلم في الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلوها وشجرها ولقطتها برقم: (١٣٥٤): ٩٨٨/٢،

والمصنف في شرح السنة: ٣٠٠/٧-٣٠١.

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ  
الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

يَتَّبُ في الدرر ويقول: سبهم الجمع ويولون الدبر<sup>(١)</sup>، «وذكر اسم ربه فصلي» أي: وذكر ربه فصلي، قيل: الذكر: تكبيرات العيد، والصلاة: صلاة العيد، وقيل: الصلاة ها هنا الدعاء.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾، قرأ أبو عمرو، ويعقوب: [يؤثرون]<sup>(٢)</sup> بالياء، يعني: الأشقيين الذين ذكروا، وقرأ الآخرون بالتاء، دليله: قراءة أبي بن كعب «بل أنتم تؤثرون الحياة الدنيا» [والمراء بـ «الأشقي» الجمع، وإن كان على لفظ الواحد، لأن الشيء إذا دخله الألف واللام للجنس صار مستغرقاً، فكأنه قال: ويتجنبه الأشقيون، ثم قال: «بل تؤثرون الحياة الدنيا»]<sup>(٣)</sup>.

﴿وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، قال عرفجة الأشجعي: كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية، فقال لنا: أتدرون لم أثرتنا الحياة الدنيا على الآخرة؟ قلنا: لا، قال: لأن الدنيا أحضرت، وعجّل لنا طعامها وشرابها ونساءها ولذاتها وبهجتها، وأن الآخرة نُعتت لنا، وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركنا الآجل<sup>(٤)</sup>.

﴿إِنَّ هَذَا﴾، يعني ما ذكر من قوله: «قد أفلح من تزكى» [إلى تمام]<sup>(٥)</sup> أربع آيات، ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾، أي في الكتب الأولى التي أنزلت قبل القرآن، ذكر فيها فلاح المتركي والمصلي، وإيثار الخلق الحياة الدنيا على الآخرة، وأن الآخرة خير وأبقى.

ثم بيّن الصحف فقال:

﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾، قال عكرمة والسدي: هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أخبرنا

(١) سبق في سورة القمر: ٤٣٤/٧.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٤) أخرجه الطبري: ١٥٧/٣٠.

وزاد صاحب الدر المنثور: ٤٨٧/٨ عزوه لابن المنذر والطبراني والبيهقي في شعب الإيمان.

وذكره ابن كثير في تفسيره: ٥٠٢/٤ وقال: «وهذه منه على وجه التواضع والمضم، أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو والله أعلم».

(٥) ساقط من «ب».

محمد بن أحمد بن معقل الميداني، حدثنا محمد بن يحيى [بن أيوب حدثنا سعيد بن كثير حدثنا] <sup>(١)</sup>  
يحيى بن أيوب عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت:  
كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين اللتين يوتر بعدهما بـ «سبح اسم ربك الأعلى»، و«قل يا أيها  
الكافرون»، وفي الوتر بـ «قل هو الله أحد» و«قل أعوذ برب الفلق» و«قل أعوذ برب الناس» <sup>(٢)</sup>.

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار: ٢٨٥/١، والدارقطني في السنن ٢٤/١، وصححه الحاكم على شرط الشيخين: ٣٠٥/١ ووافقه الذهبي، وابن حبان، صفحة (١٧٥) من موارد الطمان، والبيهقي في السنن ٣٧/٢، والمصنف في شرح السنة: ٩٩/٣-١٠٠.

وأعله ابن الجوزي بيحيى بن أيوب، قال أبو حاتم: لا يحتج به، وقد أنكر الإمام أحمد ويحيى بن معين زيادة المعوذتين. وروى ابن السكن في «صحيحه» له شاهداً من حديث عبد الله بن سرجس بإسناد غريب. انظر: تنقيح التحقيق لابن عبد الهادي: ١٠٦٠-١٠٦١، تلخيص الحبير ١٨/٢-١٩.

# سورة الغاشية





## سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾

﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ يعني: قد أتاك حديث القيامة، تغشى كل شيء بالآهوال.

﴿وجوه يومئذ﴾، يعني: يوم القيامة، ﴿خاشعة﴾، ذليلة.

﴿عاملة ناصبة﴾، قال عطاء عن ابن عباس: يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام من عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب، مثل الرهبان وغيرهم، لا يقبل الله منهم اجتهاداً في ضلالة، يدخلون النار يوم القيامة، وهو قول سعيد بن جبير، وزيد بن أسلم. ومعنى النَّصَب: الدأب في العمل بالتعب.

وقال عكرمة والسدي: عاملة في الدنيا بالمعاصي، ناصبة في الآخرة في النار<sup>(٢)</sup>.

وقال بعضهم: عاملة في النار ناصبة فيها. قال الحسن: لم تعمل لله في الدنيا، فأعملها وأنصبها في النار بمعالجة السلاسل، والأغلال. وبه قال قتادة، وهي رواية العوفي عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>.

قال ابن مسعود: تخوض في النار كما تخوض الإبل في الوحل.

وقال الكلبي: يُجْرُونَ على وجوههم في النار.

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: نزلت سورة الغاشية بمكة. وأخرج ابن مردويه عن الزبير مثله.

انظر: الدر المنثور: ٤٩٠/٨.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٤٩١/٨ لابن أبي حاتم.

(٣) انظر: الطبري: ١٦٠/٣٠.

## تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾

[وقال الضحاك: يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار]،<sup>(١)</sup> والكلام خرج على «الوجه»، والمراد منها أصحابها.

﴿تَصَلَّى نَارًا﴾، قرأ أهل البصرة وأبو بكر: «تُصَلَّى» بضم التاء اعتباراً بقوله: «تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ» [وقرأ الآخرون بفتح التاء، «نَارًا حَامِيَةً»]، قال ابن عباس: قد حمت فهي تلتظي على أعداء الله.

﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ﴾<sup>(٢)</sup>، متناهية في الحرارة قد أوقدت عليها جهنم منذ خلقت، فدفعوا إليها [وَرَدًا]<sup>(٣)</sup> عطاشاً. قال المفسرون: لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت. هذا شراهم ثم ذكر طعامهم فقال:

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾، قال مجاهد وعكرمة وقتادة: هو نبت ذو شوك لا طيء بالأرض، تسميه قريش الشبرق فإذا هاج سموها الضريع،<sup>(٤)</sup> وهو أخبث طعام وأبشعه. وهو رواية العوفي عن ابن عباس. قال الكلبي: لا تقربه دابة إذا ييس.

قال ابن زيد: أما في الدنيا فإن «الضريع»: الشوك اليابس الذي ييس له ورق، وهو في الآخرة شوك من نار<sup>(٥)</sup>، وجاء في الحديث عن ابن عباس: «الضريع: شيء في النار [شبهه]<sup>(٦)</sup> الشوك أمر من الصبر، وأنتن من الجيفة، وأشد حراً من النار»<sup>(٧)</sup>.

وقال أبو الدرداء، والحسن: إن الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بالضريع، ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غُصَّة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون القصص في الدنيا بالماء، فيستسقون، فيعطشهم ألف سنة، ثم يسقون من عين آتية شربة لا هنيئة ولا مريئة، فلما أدنوه من وجوههم، سلخ جلود وجوههم وشواها، فإذا وصل إلى بطونهم قطعها فذلك قوله عز وجل: «وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ»<sup>(٨)</sup> (محمد-١٥).

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) في «أ» وردوا.

(٣) أخرجه الطبري: ١٦١/٣٠-١٦٢.

(٤) أخرجه الطبري: ١٦٢/٣٠.

(٥) في «ب» يشبه.

(٦) عزاه صاحب الدر المنثور: ٤٩٢/٨-٤٩٣ لابن مردويه بسند واه.

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٤٩٢/٨ لابن مردويه.

لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ  
عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ  
مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَمَنَازِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَائِبُ مَبْنُوتَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ

قال المفسرون: فلما نزلت هذه الآية قال المشركون: إن إبلنا لتسمن على الضريع، وكذبوا في ذلك، فإن الإبل إنما ترعاه ما دام رطباً، وتسمى «شبقاً»، فإذا يبس لا يأكله شيء. فأنزل الله: ﴿لَا يَسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾.

ثم وصف أهل الجنة فقال: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾، قال مقاتل: في نعمة وكرامة.

﴿لِّسَعْيِهَا﴾، في الدنيا، ﴿رَاضِيَةٌ﴾، في الآخرة حين أعطيت الجنة بعملها.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾، لغو وباطل، قرأ أهل مكة والبصرة: «لَا يُسْمَعُ» بالياء وضمها، «لاغية» رفع. وقرأ نافع «لا تُسمع»، بالتاء وضمها، «لاغية» رفع، وقرأ الآخرون بالتاء وفتحها «لاغية» [بالنصب]<sup>(١)</sup>، على الخطاب للنبي ﷺ.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ فيها سرر مرفوعة، قال ابن عباس: ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت، مرتفعة ما لم يجيء أهلها، فإذا أراد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها، ثم ترتفع إلى مواضعها.

﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾، عندهم، جمع كوب، وهو الإبريق الذي / لا عروة له. ١٩١/أ

﴿وَمَنَازِقُ﴾، وسائل ومرافق، ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾، بعضها بجانب بعض، واحدها «مُتْرَفَةٌ» بضم النون.

﴿وَزَرَائِبُ﴾، يعني البسط العريضة. قال ابن عباس: هي الطنافس التي لها خمل واحدها زَرِيَّةٌ،

﴿مَبْنُوتَةٌ﴾، مبسوطة، وقيل متفرقة في المجالس.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾، قال أهل التفسير: لما نعت الله تعالى في هذه السورة

ما في الجنة عجب من ذلك أهل الكفر وكذبوه، فذكّرهم الله تعالى صنعه فقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ﴾، [من بين سائر الحيوانات]<sup>(٢)</sup> ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ﴾، وكانت الإبل أعظم عيش العرب<sup>(٣)</sup>،

(١) في «ب» نصب.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) انظر: الطبري: ١٦٥/٣٠، الدر المنثور: ٤٩٤/٨.

# كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾

لهم فيها منافع كثيرة، فلما صنع لهم ذلك في الدنيا صنع لأهل الجنة فيها ما صنع.

وتكلمت الحكماء في وجه تخصيص الإبل من بين سائر الحيوانات؛ فقال مقاتل: لأنهم لم يروا بهيمة قط أعظم منها، ولم [يشاهد]<sup>(١)</sup> الفيل إلا الشاذ منهم.

وقال الكلبي: لأنها تنهض بحملها وهي باركة.

وقال قتادة: ذكر الله تعالى ارتفاع سُرُر الجنة وفُرُشها، فقالوا: كيف نصعدها فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وسئل الحسن عن هذه الآية، وقيل له: الفيل أعظم في الأعجوبة؟ فقال: أما الفيل فالعرب بعيدة العهد بها. ثم هو [لا خير فيه]<sup>(٢)</sup> لا يُركب ظهرها ولا يُؤكل لحمها ولا يُحلب درها، والإبل أعز مال للعرب وأنفسها تأكل النوى والقت وتخرج اللبن.

وقيل: [لأنها]<sup>(٣)</sup> مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف، حتى إن الصبي الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء، وكان شريح القاضي يقول: اخرجوا بنا إلى [كناسة اسطبل]<sup>(٤)</sup> حتى ننظر إلى الإبل كيف خُلِقَتْ<sup>(٥)</sup>.

﴿وإلى السماء كيف رُفِعَتْ﴾، عن الأرض حتى لا ينالها شيء بغير عمد.

﴿وإلى الجبال كيف نُصِبَتْ﴾، عل وجه الأرض [مرساة]<sup>(٦)</sup> لا تزول.

﴿وإلى الأرض كيف سطحت﴾، [بسطت]<sup>(٧)</sup>، قال عطاء عن ابن عباس: هل يقدر أحد أن يخلق مثل الإبل، أو يرفع مثل السماء، أو ينصب مثل الجبال، أو يسطح مثل الأرض غيري؟.

(١) في «ب» يشاهدوا.

(٢) في «ب» خنزير لأنه.

(٣) في «ب» لأنها.

(٤) في «ب» الكناسة.

(٥) أخرجه الطبري: ١٦٥/٣٠.

(٦) في «ب» مرسلة.

(٧) ساقط من «ب».

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾  
فِي عَذَابِ اللَّهِ الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

﴿فَذَكِّرْ﴾ [أي: عِظْ يا محمد] <sup>(١)</sup> ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ \* لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾، بمسَّط فتقتلهم وتكرههم على الإيمان. نسختها آية القتال <sup>(٢)</sup>.

﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾، استثناء منقطع عما قبله، معناه: لكن من تولى وكفر بعد التذكير.

﴿فِي عَذَابِ اللَّهِ الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ﴾، وهو أن يدخله النار وإنما قال «الأكبر» لأنهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والقتل والأسر.

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾، رجوعهم بعد الموت، يقال: آب يؤب أوباً وإياباً، وقرأ أبو جعفر: «إِيَابَهُمْ» بتشديد الياء، وهو شاذ لم يُجزه أحد غير الزجاج فإنه قال يقال: أَيْبَ إِيَاباً، على: فعل فيعلاً.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾، يعني جزاءهم بعد المرجع إلى الله عز وجل.

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) انظر فيما سبق: ٣٢/٣ تعليق (١)



سورة  
الفجر





## سُورَةُ الْفَجْرِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣

﴿والفجر﴾ أقسم الله عز وجل بالفجر، روى أبو صالح عن ابن عباس قال: هو انفجار الصبح كل يوم وهو قول عكرمة، وقال عطية عنه: صلاة الفجر. وقال قتادة: هو فجر أول يوم من المحرم، تنفجر منه السنة. وقال الضحاك: فجر ذي الحجة لأنه [قرنت]<sup>(٢)</sup> به الليالي العشر. ﴿وليلٍ عشرٍ﴾، روي عن ابن عباس: أنها العشر الأول من ذي الحجة. وهو قول مجاهد، وقاتدة، والضحاك، والسدي، والكلبي.

وقال أبو روق عن الضحاك: هي العشر [الأواخر]<sup>(٣)</sup> من شهر رمضان.

وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال: هي العشر [الأول]<sup>(٤)</sup> من شهر رمضان.

وقال يمان بن رباب: هي العشر الأول من المحرم التي عاشيرها يوم عاشوراء<sup>(٥)</sup>.

﴿والشفع والوتر﴾، قرأ حمزة، والكسائي: «الوتر» بكسر الواو، وقرأ الآخرون بفتحها،

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس في «ناسخه» وابن مردويه والبيهقي من طرق عن ابن عباس قال: نزلت (والفجر) بمكة. انظر: الدر المنثور: ٤٩٧/٨.

(٢) في «ب» قرن.

(٣) في «ب» الأول.

(٤) في «ب» الأواخر.

(٥) ساق أبو جعفر بعض هذه الأقوال: ١٦٨/٣ - ١٦٩ ثم قال مرجحاً:

«والصواب من القول في ذلك عندنا: أنها عشر الأضحى لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه، وأن عبد الله بن أبي زياد القطواني حدثني قال: حدثني زيد بن حباب، قال: أخبرني عباس بن عتبة، قال: حدثني جبير بن نعيم، عن أبي الزبير، عن جابر، أن رسول الله ﷺ قال: (والفجر وليال عشر) قال: عشر الأضحى».

واختلفوا في الشفع والوتر. قيل: «الشفع»: الخلق، قال الله تعالى: «وخلقناكم أزواجاً» و«الوتر»: هو الله عز وجل. روي ذلك عن [ابن مسعود وعن<sup>(١)</sup> أبي سعيد الخدري، وهو قول عطية العوفي.

وقال مجاهد ومسروق: «الشفع» الخلق كله، كما قال الله تعالى: «ومن كل شيء خلقنا زوجين» (الذاريات-٤٩)، الكفر والإيمان، والهدى والضلالة، والسعادة والشقاوة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والبر والبحر، والشمس والقمر، والجن والإنس، والوتر هو الله عز وجل، قال الله تعالى: «قل هو الله أحد» (الإخلاص-١).

قال الحسن وابن زيد: «الشفع والوتر»: الخلق كله، منه شفع، ومنه وتر.

وروي قتادة عن الحسن قال: هو العدد منه شفع ومنه وتر.

وقال قتادة: هما الصلوات منها شفع ومنها وتر. وروي ذلك عن عمران بن حصين مرفوعاً، وروي عطية عن ابن عباس: الشفع صلاة الغداة، والوتر صلاة المغرب.

وعن عبد الله بن الزبير قال: «الشفع»: يوم النفر الأول، و«الوتر»: يوم النفر الأخير. روي أن رجلاً سأله عن الشفع والوتر والليالي العشر؟ فقال: أما الشفع والوتر: فقول الله عز وجل: «فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه» (البقرة - ٢٠٣) فهما الشفع والوتر، وأما الليالي العشر: فالثمان وعرفة والنحر.

وقال مقاتل بن حيان: «الشفع»: الأيام والليالي، و«الوتر»: اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيامة.

وقال الحسين بن الفضل: «الشفع»: درجات الجنة لأنها ثمان، و«الوتر» دركات النار لأنها سبع، كأنه أقسم بالجنة والنار.

وسئل أبو بكر الوراق عن الشفع والوتر فقال: «الشفع»: تضاد [أخلاق]<sup>(٢)</sup> المخلوقين من العز والذل، والقدرة والعجز، والقوة والضعف، والعلم والجهل، والبصر والعمى، و«الوتر»: انفراد صفات الله عز وجل بلا ذل، وقدرة بلا عجز، وقوة بلا ضعف، وعلم بلا جهل، وحياة بلا ممات<sup>(٣)</sup>.

(١) زيادة من «أ».

(٢) في «ب» أوصاف.

(٣) ذكر الطبري بعض هذه الأقوال: ١٦٩/٣٠ - ١٧٢ ثم قال: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالشفع والوتر، ولم يخص نوعاً من الشفع ولا من الوتر دون نوع بخير ولا عقل، وكل شفع ووتر فهو مما أقسم به مما قال أهل التأويل أنه داخل في قسمه هذا لعموم قسمه بذلك».

وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ ۝ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝  
إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝

﴿والليل إذا يسر﴾، أي إذا سار وذهب كما قال تعالى «والليل إذا أدبر» (المدثر - ٣٣)، وقال قتادة: إذا جاء وأقبل، وأراد كل ليلة .

وقال مجاهد وعكرمة والكلبي: هي ليلة المزدلفة.

قرأ أهل الحجاز، والبصرة: «يسري» بالياء في الوصل، ويقف ابن كثير ويعقوب بالياء أيضاً، والباقون يحذفونها في الحالين، فمن حذف فلو فاق رؤوس الآي، ومن أثبت فلائها لام الفعل، والفعل لا يحذف منه في الوقف، نحو قوله: هو يقضي وأنا أقضي. وسئل الأخفش عن العلة / في سقوط الياء؟ فقال: الليل لا يسري، ولكن يسرى فيه، فهو مصروف، فلما صرفه بخسه حقه من الإعراب، كقوله: «وما كانت أملك بغياً»، ولم يقل: «بغية» لأنها صرفت من باغية.

﴿هل في ذلك﴾، أي فيما ذكرت، ﴿قَسَمٌ﴾، أي: مقنع ومكتفى في القسم، ﴿لذِي حِجْرِ﴾، لذي عقل<sup>(١)</sup>، سمي بذلك لأنه يحجر صاحبه عما لا يحل ولا ينبغي، [كما يسمى عقلاً، لأنه يعقله عن القبائح، ونهى لأنه ينهى عما لا ينبغي]<sup>(٢)</sup>، وأصل «الحجر»: المنع. وجواب القسم قوله: «إنَّ رَبُّكَ لِبَالِغُ صَادٍ»، واعترض بين القسم وجوابه قوله عز وجل:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾، قال الفراء: ألم تُخبر؟ وقال الزجاج: ألم تعلم؟ ومعناه التعجب. ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ \* إِرْمَ﴾، يخوف أهل مكة، يعني: كيف أهلكهم، وهم كانوا أطول أعماراً وأشد قوة من هؤلاء. واختلفوا في إرم ذات العماد، فقال سعيد بن المسيب: «إرم ذات العماد» دمشق، وبه قال عكرمة.

وقال القرظي هي الإسكندرية، وقال مجاهد: هي أمة. وقيل: معناها: القديمة.

وقال قتادة، ومقاتل: هم قبيلة من عاد قال مقاتل: كان فيهم الملك، وكانوا [بمَهْرَة]<sup>(٣)</sup>، وكان عاد أباهم، فنسبهم إليه، وهو إرم بن عاد بن إرم بن سام بن نوح.

(١) انظر: تفسير الطبري ١٧٤/٣٠، شعب الإيمان للبيهقي: ٥٢٨/٨.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) مَهْرَة: بالتحريك وقد تسكن الهاء - وهي قبيلة مهرة بن حيدان بن عمرو من قضاة، وبالحين لهم مخالف ينسب إليهم.

معجم البلدان: ٢٣٠/٥.

## الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ

وقال محمد بن إسحاق: هو جد عاد، وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح<sup>(١)</sup>.

وقال الكلبي: «إرم» هو الذي يجتمع إليه نسب عاد وثمود وأهل الجزيرة، كان يقال: عاد إرم، وثمود إرم، فأهلك الله عاداً ثم ثمود، وبقي أهل السواد والجزيرة، وكانوا أهل عُمْدٍ وخيام وماشية سيارة في الربيع، فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا أهل جنان وزروع، ومنازلهم بوادي القرى، وهي التي يقول الله فيها:

﴿التي لم يُخلق مثلها في البلاد﴾، وسموا ذات العماد [لهذا]<sup>(٢)</sup> لأنهم كانوا أهل عمد سيارة، وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي، ورواية عطاء عن ابن عباس، وقال بعضهم: سموا ذات العماد لطول قامتهم. قال ابن عباس: يعني طولهم مثل العماد. وقال مقاتل: كان طول أحدهم اثني عشر ذراعاً.

وقوله: ﴿لم يُخلق مثلها في البلاد﴾، أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة، وهم الذين قالوا: «من أشدُّ منا قوة».

وقيل: سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم فشيء [عمده]<sup>(٣)</sup>، ورفع بناءه، يقال: بناء شداد بن عاد على صفة لم يخلق في الدنيا مثله، وسار إليه في قومه، فلما كان منه على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعاً.

﴿وِثْمُودَ﴾، أي: وِثْمُود، ﴿الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ﴾، قطعوا الحجر، وأحدثها: صخرة، ﴿بِالْوَادِ﴾، يعني: [وادي القرى]<sup>(٤)</sup> كانوا يقطعون الجبال فيجعلون فيها بيوتاً. وأثبت ابن كثير ويعقوب الياء في الوادي وصلاً ووقفاً على الأصل، وأثبتها ورش وصلاً، والآخرون بجذفها في الحاليين على وفق رؤوس الآي.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾، سمي بذلك لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد، وقد

(١) سيرة ابن هشام: ٨/١.

وانظر: الطبري ١٧٦/٣٠.

(٢) زيادة من «ب».

(٣) في «ب» عنده.

(٤) وهو واد بين المدينة والشام.

معجم البلدان: ٣٤٥/٥.

## ذِي الْأَوْتَادِ (١٠)

ذكرناه في سورة (ص) (١).

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا مخلد بن جعفر، حدثنا الحسين بن علويه، حدثنا إسماعيل بن عيسى، حدثنا إسحاق بن بشر عن ابن سمعان عن عطاء عن ابن عباس: أن فرعون إنما سُمي «ذي الأوتاد» لأنه كانت امرأة، وهي امرأة خازنة حزيل، وكان مؤمناً كتم إيمانه مائة سنة، وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون، فبينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها، فقالت: تعس من كفر بالله، فقالت بنت فرعون: وهل لك من إله غير أبي؟ فقالت: إلهي وإله أبيك وإله السموات والأرض واحد لا شريك له، فقامت فدخلت على أبيها وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ قالت: الماشطة امرأة خازنك تزعم أن إلهك وإلهها وإله السموات والأرض واحد لا شريك له. فأرسل إليها فساءها عن ذلك، فقالت: صدقت، فقال لها: ويحك اكفري بإلهك وأقرّي بأبي إلهك، قالت: لا أفعل. فمدّها بين أربعة أوتاد، ثم أرسل عليها الحيات والعقارب، وقال لها: اكفري بإلهك وإلا عذبتك بهذا العذاب شهرين، فقالت له: ولو عذبتني سبعين شهراً ما كفرت بالله. وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على قرب منها. وقال لها: اكفري بالله وإلا ذبحت الصغرى على قلبك، وكانت رضيعاً، فقالت: لو ذبحت من على وجه الأرض على فسي ما كفرت بالله عزّ وجلّ، فأثى بابنتها الصغرى فلما أضجعت على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت المرأة، فأطلق الله لسان ابنتها فتكلّمت، وهي من الأربعة الذين تكلموا أطفالاً، وقالت: يا أماه لا تجزعي فإن الله قد بنى لك بيتاً في الجنة. اصبري فإنك تُفَضِّلِينَ إلى رحمة الله وكرامته، فذبحت فلم تلبث أن ماتت فأسكنها الله في الجنة، قال: وبعث في طلب زوجها حزيل فلم يقدروا عليه، فقبل لفرعون: إنه قد رُئِيَ في موضع كذا وكذا في جبل كذا، فبعث رجلين في طلبه فانتها إلى وهو يصلي ويليه صفوف من الوحوش خلفه يصلون، فلما رأيا ذلك انصرفا، فقال حزيل: اللهم إنك تعلم أني كتمت إيماني مائة سنة، ولم يظهر عليّ أحد، فأيا هذين الرجلين كتم عليّ فاهده إلى دينك وأعطه من الدنيا سؤلّه، وأيا هذين الرجلين أظهر عليّ فعجل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره في الآخرة إلى النار، فانصرف الرجلان إلى فرعون فأما أحدهما فاعتبر وآمن، وأما الآخر فأخبر فرعون بالقصة على رؤوس الملأ، فقال له فرعون: وهل كان معك غيرك؟ قال: نعم فلان، فدعا به فقال: أحقّ ما يقول هذا؟ قال: لا، ما رأيت مما قال شيئاً فأعطاه فرعون وأجزل، وأما الآخر فقتله، ثم صلبه.

(١) راجع فيما سبق: ٧٤/٧.

## الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

١/١٩٢

قال: وكان فرعون قد تزوج امرأة من نساء بني إسرائيل يقال لها «آسية بنت مزاحم» فرأت ما صنع فرعون بالماشطة، فقالت: وكيف يسعني أن أصبر على ما يأتي به فرعون، وأنا مسلمة وهو كافر؟ فبينما هي كذلك تؤامر نفسها إذ دخل عليها فرعون فجلس قريباً منها، فقالت: يا فرعون أنت شرُّ الخلق وأخبثهم عمدت إلى الماشطة فقتلتها، قال: فلعل بك الجنون الذي كان بها قالت ما بي من جنون، وإن إلهي وإلهها وإلهك وإله السموات والأرض واحد لا شريك له، فمزق عليها ثيابها وضربها وأرسل إلى أبويها فدعاهما، فقال لهما: ألا تريان أن الجنون الذي كان بالماشطة أصابها؟ قالت: أعود بالله من ذلك، إني أشهد أن ربي وربك ورب السموات والأرض واحد لا شريك له، فقال لها أبوها: يا آسية ألسنت من خير نساء [العماليق]<sup>(١)</sup> وزوجك إله العماليق؟ قالت أعود بالله من ذلك، إن كان ما يقول حقاً فقولاً له أن يتزوجني تاجاً تكون الشمس أمامه والقمر خلفه والكواكب حوله، فقال لهما فرعون: اخرجا عني، فمدّها بين أربعة أوتاد يعذبها، ففتح الله لها باباً إلى الجنة ليهوّن عليها ما يصنع بها فرعون، فعند ذلك قالت: «رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله، ونجني من القوم الظالمين» (التحریم-١١)، فقبض الله روحها وأسكنها الجنة<sup>(٢)</sup>.

﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾، يعني عاداً وثمود وفرعون، عملوا في الأرض بالمعاصي وتجبروا. ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ﴾ فصبّ عليهم ربك سَوْطَ عَذَابٍ، قال قتادة: يعني لونا من العذاب صبّه عليهم، قال أهل المعاني: هذا على الاستعارة، لأن السوط عندهم غاية العذاب، فجرى ذلك لكل نوع من العذاب. وقال الزجاج: جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾، قال ابن عباس: يعني بحيث يرى ويسمع ويصير.

قال الكلبي: عليه طريق العباد لا يفوته أحد. قال مقاتل: ممر الناس عليه، والمرصاد، والمرصد: الطريق.

وقيل: مرجع الخلق إلى حكمه وأمره وإليه مصيرهم.

وقال الحسن وعكرمة: يرصد أعمال بني آدم.

(١) في «ب» العالمين.

(٢) أثر موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه إسحاق بن بشر، كذبه ابن أبي شيبة وأبو زرعة. وكأن هذا الأثر متلقى عن أهل الكتاب، والله أعلم.

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا

والمعنى: أنه لا يفوته شيء من أعمال العباد، كما لا يفوت من هو بالمرصاد.

وقال السدي: أرصد الله النار على طريقهم حتى يهلكهم.

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾، امتحنه، ﴿رَبُّهُ﴾، بالنعمة، ﴿فَأَكْرَمَهُ﴾، بالمال، ﴿وَنَعَّمَهُ﴾، بما وسع عليه، ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾، بما أعطاني.

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾، بالفقر، ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾، قرأ أبو جعفر وابن عامر «فَقَدَّر» بتشديد الدال، وقرأ الآخرون بالتخفيف، وهما لغتان، أي ضيق عليه رزقه. وقيل: «قَدَّر» بمعنى قتر وأعطاه قدر. ما يكفيه. ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾، أذلني بالفقر. وهذا يعني به الكافر، تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ في الدنيا وقلته.

قال الكلبي ومقاتل: نزلت في أمية بن خلف الجمحي الكافر، فردَّ الله على من ظن أن سعة الرزق إكرام وأن الفقر إهانة، فقال:

﴿كَلَّا﴾ لم أبتله بالغني لكرامته، ولم أبتله بالفقر لهوانه، فأخبر أن الإكرام والإهانة لا تدور على المال وسعة الرزق، ولكن الفقر والغنى بتقديره، فيوسع على الكافر لا لكرامته، ويقدر على المؤمن لا لهوانه، إنما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته.

قرأ أهل الحجاز والبصرة «أكرمني وأهانني» بإثبات الياء في الوصل، ويقف ابن كثير ويعقوب بالياء أيضاً، والآخرون يحذفونها وصلأ ووقفأ.

﴿بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾، قرأ أهل البصرة: «يكرمون، ويحضون، ويأكلون، ويحبون» بالياء فيهن، وقرأ الآخرون بالتاء، «لا تكرمون اليتيم» لا تحسنون إليه. وقيل: لا تعطونه حقه.

قال مقاتل: كان قدامة بن مظعون يتيماً في حجر أمية بن خلف وكان يدفعه عن حقه.

﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾، أي لا تأمرون بإطعامه، قرأ أبو جعفر وأهل الكوفة: «تَحَاضُّونَ» بفتح الحاء وألف بعدها، أي لا يحض بعضكم بعضاً عليه<sup>(١)</sup>.

(١) في الأصل اختار المؤلف قراءة (يحضون).



تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ

﴿وتأكلون التراث﴾، أي الميراث، ﴿أكلاً لماً﴾، شديداً وهو أن يأكل نصيبه ونصيب غيره، وذلك أنهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان، ويأكلون نصيبهم.

قال ابن زيد: الأكل اللُّم: الذي يأكل كل شيء يجده، لا يسأل عنه أحلال هو أم حرام؟ ويأكل الذي له ولغيره، يقال: لمت ما على الخوان إذا أتيت ما عليه فأكلته.

﴿وتحبون المال حُباً جمًّا﴾، أي كثيراً، يعني: تحبون جمع المال وتولعون به، يقال: جمَّ الماء في الحوض، إذا كثر واجتمع.

﴿كلاً﴾، ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر. وقال مقاتل: أي لا يفعلون ما أمروا به في اليتيم، وإطعام المسكين، ثم أخبر عن تلفهم على ما سلف منهم حين لا ينفعهم، فقال عز من قائل:

﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾، مرة بعد مرة، وكسر كل شيء على ظهرها من جبل وبناء وشجر، فلم يبق على ظهرها شيء.

﴿وجاء ربك﴾، قال الحسن: جاء أمره وقضاؤه<sup>(١)</sup>. وقال الكلبي: ينزل ﴿والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، قال عطاء: يريد صفوف الملائكة، وأهل كل سماء صف على حدة. قال الضحاك: أهل كل سماء إذا نزلوا يوم القيامة كانوا صفًّا مختلطين بالأرض ومن فيها فيكون سبعة صفوف<sup>(٢)</sup>.

﴿وجيء يومئذٍ بجهنم﴾؛ قال عبد الله بن مسعود، ومقاتل في هذه الآية: [جيء بها تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يقودونها]<sup>(٣)</sup>، لها تغيظ وزفير حتى تنصب على يسار العرش. ﴿يومئذٍ﴾ يعني يوم يجاء بجهنم، ﴿يتذكَّرُ الإنسانُ﴾، يتعظ ويتوب الكافر، ﴿وأتى له الذكري﴾، قال الزجاج: يظهر التوبة ومن أين له التوبة؟

(١) راجع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٤٠٢/٥ - ٤٠٩، ٤١٦/١٦ - ٤٢٠.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥١١/٨ لابن أبي حاتم.

(٣) العبارة المثبتة من الطبري: ١٨٨/٣٠ لأن العبارة في المخطوطتين غير مستقيمة وهي: «تقاد جهنم بسبعين ألف زمام، كل زمام بيد كل زمام سبعين ألف ملك».

وَأَنِّي لَهُ الذِّكْرَى ﴿٤٣﴾ يَقُولُ يَلِيَّتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٤٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٤٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ ﴿٤٦﴾ يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٤٧﴾ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرَضِيَةً ﴿٤٨﴾

﴿يقول يا ليتني قدمت لحياتي﴾، أي قدمت الخير والعمل الصالح لحياتي في الآخرة، أي لآخرتي التي لا موت فيها.

﴿فيومئذ لا يعذب عذابه أحد \* ولا يوثق وثاقه أحد﴾، قرأ الكسائي ويعقوب « لا يُعَذَّبُ »، «ولا يوثق» بفتح الذال والياء على معنى لا يعذب أحد [في الدنيا]<sup>(١)</sup> كعذاب الله يومئذ، ولا يوثق كوثاقه [أحد]<sup>(٢)</sup> يومئذ .

قيل: هو رجل بعينه، هو أمية بن خلف، يعني لا يعذب كعذاب هذا الكافر أحد، ولا يوثق كوثاقه أحد.

وقرأ الآخرون بكسر الذال والياء، أي: لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ، ولا يوثق كوثاقه أحد، يعني لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله في العذاب، والوثاق: هو الإسار في السلاسل والأغلال.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾، إلى ما وعد الله عز وجل المصدقة بما قال الله. وقال مجاهد: «المطمئنة» التي أيقنت أن الله تعالى ربها وصبرت جأشاً لأمره وطاعته. وقال الحسن: المؤمنة الموقنة، وقال عطية: الراضية بقضاء الله تعالى. وقال الكلبي: الآمنة من عذاب الله.

وقيل: المطمئنة بذكر الله، بيانه: قوله «وتطمئن قلوبهم بذكر الله» .

واختلفوا في وقت هذه المقالة، فقال قوم: يقال لها ذلك عند الموت فيقال لها:

﴿ارجعي إلى / ربك﴾، إلى الله، ﴿راضية﴾، بالثواب، ﴿مرضية﴾، عنك.

وقال الحسن: إذا أراد الله قبضها اطمأنت إلى الله ورضيت عن الله ورضي الله عنها.

(١) ساقط من «أ». .

(٢) ساقط من «ب». .

## فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾

قال عبد الله بن عمرو<sup>(١)</sup>: إذا توفي العبد المؤمن أرسل الله عز وجل ملكين إليه وأرسل إليه بتحفة من الجنة، فيقال لها: اخرجي يا أيتها النفس المطمئنة، اخرجي إلى رُوح وريحان وربك عنك راضٍ، فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد في أنفه، والملائكة على أرجاء السماء يقولون: قد جاء من الأرض روح طيبة ونسمة طيبة. فلا تمر بباب إلا فتحت لها ولا بملك إلا صلى عليها، حتى يُؤتى بها الرحمن فتسجد، ثم يقال لميكائيل: اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين، ثم يؤمر فيوسع عليه قبره، سبعون ذراعاً عرضه، وسبعون ذراعاً طوله، وينبذ له فيه الريحان فإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره.

وإن لم يكن جعل له نوره مثل الشمس في قبره، ويكون مثله مثل العروس، ينام فلا يوقظه إلا أحب أهله إليه. وإذا توفي الكافر أرسل الله إليه ملكين وأرسل قطعة من بجاد أنتن من كل نتن وأخشن من كل خشن، فيقال: يا أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى جهنم وعذاب أليم وربك عليك غضبان<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو صالح في قوله: «ارجعي إلى ربك راضية مرضية»، قال: هذا عند خروجها من الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قيل: «ادخلي في عبادي وادخلي جنتي».

وقال آخرون: إنما يقال لها ذلك عند البعث يقال: ارجعي [إلى ربك]<sup>(٣)</sup>، أي إلى صاحبك وجسدك، فيأمر الله الأرواح أن ترجع إلى الأجساد، وهذا قول عكرمة، وعطاء، والضحاك، ورواية العوفي عن ابن عباس.

وقال الحسن: معناه: ارجعي إلى ثواب ربك وكرامته، راضية عن الله بما أعد لك، مرضية، رضي عنك ربك.

﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾، أي مع عبادي في جنتي. وقيل: في جملة عبادي الصالحين المطيعين المصطفين، نظيره: «وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين».

(١) في «أ» عمر. وهو خطأ.

(٢) قطعة من موقوف عبد الله بن عمرو بن العاص، أخرجه عبد الرزاق في «المصنف»: ٥٦٤/٣-٥٦٦، وهناد في «الزهد»: ٢٥٢/١-٢٥٣، قال الهيثمي: ٣٢٨/٢ «رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله ثقات». وعزاه السيوطي لهناد وعبد بن حميد في «التفسير» والطبراني في «الكبير» بسند رجاله ثقات. انظر: شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور ص (٨٨). وفيه عبد الرحمن بن البيهقي وهو ضعيف، له ترجمة في «الميزان» و «التهذيب».

(٣) ساقط من «أ».

## وَادْخُلِيْ جَنَّتِيْ ﴿٣٠﴾

﴿وادخلي جنتي﴾، وقال بعض أهل الإشارة: يا أيتها النفس المطمئنة إلى الدنيا ارجعي إلى الله بتركها، والرجوع إلى الله هو سلوك سبيل الآخرة.

وقال سعيد بن جبیر: مات ابن عباس رضي الله عنهما بالطائف فشهدت جنازته، فجاء طائر لم [نر]<sup>(١)</sup> على صورة خلقه فدخل نعشه، ثم لم [نر]<sup>(٢)</sup> خارجاً منه، فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر، ولم ندر من قرأها: «يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي»<sup>(٣)</sup>.

(١) في «ب» لم يُر.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥١٥/٨ لابن أبي حاتم والطبراني.



البقرة



## سُورَةُ الْبَلَدِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢)

﴿لا أقسم﴾، يعني أقسم، ﴿بهذا البلد﴾، يعني مكة.

﴿وَأَنْتَ حِلٌّ﴾، أي حلال، ﴿بهذا البلد﴾، تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر ليس عليك ما على الناس فيه من الإثم، أحل الله تعالى لنبيه ﷺ مكة يوم الفتح، حتى قاتل وقتل وأمر بقتل ابن خَطْلٍ، وهو متعلق بأستار الكعبة<sup>(٣)</sup>، ومقيس بن صُبَّابة وغيرهما<sup>(٤)</sup>، فأحل دماء قوم وحرم دماء قوم، فقال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن<sup>(٥)</sup>، ثم قال: إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، ولم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة<sup>(٥)</sup>.

والمعنى: أن الله تعالى لما أقسم بمكة دل ذلك على عظيم قدرها مع حرمتها، فوعد نبيه ﷺ أنه يحلها له حتى يقاتل فيها، وأن يفتحها على يده، فهذا وعد من الله عز وجل بأن يحلها له. قال شرحبيل بن سعد: ومعنى قوله: «وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ» قال: يحرمون أن يقتلوا بها صيداً ويستحلون إخراجك وقتلك؟

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: نزلت سورة (لا أقسم بهذا البلد) بمكة.

انظر: الدر المنثور: ٥١٦/٨.

(٢) أخرجه البخاري في الحج، باب دخول الحرم ومكة بغير إحرام: ٥٨/٤ وفي الجهاد، باب قتل الأسير وقتل الصير، ومسلم في الحج: باب جواز دخول مكة بغير إحرام برقم (١٣٥٧): ٩٨٩/٢ - ٩٩٠.

(٣) عزاه ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٨٤ لأبي داود والنسائي.

وانظر سيرة ابن هشام: ٥٢/٤.

(٤) انظر: سيرة ابن هشام: ٤٦/٤.

(٥) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الحج، باب فضل الحرم: ٤٤٩/٣، ومسلم في الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلوها وشجرها .. برقم (١٣٥٣): ٩٨٦/٢.



وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٢﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لَبَدًا ﴿٦﴾

﴿ووالد وما ولد﴾، يعني آدم عليه السلام وذريته.

﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾، روى الوائلي عن ابن عباس: في نصب. قال الحسن: يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة. وقال قتادة: في مشقة فلا تلقاه إلا يكابد أمر الدنيا والآخرة.

وقال سعيد بن جبير: [في شدة. وقال عطاء عن ابن عباس<sup>(١)</sup>]: في شدة خلق حمله وولادته ورضاعه، وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته.

وقال عمرو بن دينار: عند نبات أسنانه. قال يمان: لم يخلق الله خلقاً يكابد ما يكابد ابن آدم، وهو مع ذلك أضعف الخلق. وأصل الكبد: الشدة.

وقال مجاهد، وعكرمة، وعطية، والضحاك: يعني منتصباً معتدل القامة، وكل شيء خلق فإنه يمشي مكباً، وهي رواية مقسم عن ابن عباس، [وأصل<sup>(٢)</sup> الكبد: الاستواء والاستقامة.

وقال ابن كيسان: منتصباً رأسه في بطن أمه فإذا أذن الله له في خروجه انقلب رأسه إلى رجلي أمه.

وقال مقاتل: «في كبد» أي في قوة.

نزلت في أبي الأشدين، واسمه أسيد بن كلدة الجمحي، وكان شديداً قوياً يضع الأديم العكاظي تحت قدميه فيقول: من أزالني عنه فله كذا وكذا، فلا يطاق أن ينزع من تحت قدميه إلا قطعاً ويبقى موضع قدميه.

﴿أَيْحَسِبُ﴾، يعني أبا الأشدين من قوته، ﴿أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾، أي: يظن من شدته أن لن يقدر عليه الله تعالى. وقيل: هو الوليد بن المغيرة.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾، يعني أنفقت، ﴿مَا لَا لَبَدًا﴾، أي كثيراً بعضه على بعض، من التلبيد، في عداوة محمد ﷺ، قرأ أبو جعفر لبداً بتشديد الباء على جمع لا بد، مثل راع وركع، وقرأ الآخرون بالتخفيف على جمع «لبدة»، وقيل على الواحد مثل قُطْمٍ وحُطْمٍ.

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) ساقط من «ب».

أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾، قال سعيد بن جبير [وقتادة: أيظن] <sup>(١)</sup> أن الله لم يره، ولا يسأله عن ماله من أين اكتسبه، وأين أنفقه؟

وقال الكلبي: إنه كان كاذباً في قوله أنفقت كذا وكذا، ولم يكن أنفق جميع ما قال، يقول أيظن أن الله عز وجل لم يَرِ ذلك منه فيعلم مقدار نفقته. ثم ذكره نَعَمَ ليعتبر، فقال:

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾، قال قتادة: نَعَمَ الله متظاهرة يقرر بها كيما تشكر، وجاء في الحديث: أن الله عز وجل يقول: ابن آدم إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعتكك عليه بطبقتين فأطبق، وإن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك، فقد أعتكك عليه بطبقتين، فأطبق، وإن نازعك فرجك إلى ما حرمت عليك فقد أعتكك عليه بطبقتين فأطبق <sup>(٢)</sup>.

﴿وهديناه / النجدين﴾، قال أكثر المفسرين: طريق الخير والشر، والحق والباطل، والهدى والضلالة، كقوله: «إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً» وقال محمد بن كعب عن ابن عباس: «وهديناه النجدين» قال: الثدين، وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك، والنجد: طريق في ارتفاع. ﴿فلا اقتحم العقبة﴾، يقول: فهلاً أنفق ماله فيما يجوز به من فك الرقاب وإطعام السُّعْبَانِ، فيكون خيراً له من إنفاقه على عداوة محمد ﷺ، هذا قول ابن زيد وجماعة.

وقيل: «فلا اقتحم العقبة» أي لم يقتحمها ولا جاوزها. والاقترام: الدخول في الأمر الشديد، وذكر العقبة هنا مثل ضربته الله لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر، فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة، يقول: لم يحمل على نفسه المشقة بعق الرقبة ولا طعام، وهذا معنى قول قتادة. وقيل: إنه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة، فإذا أعتق رقبة وأطعم كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها.

وروي عن ابن عمر: أن هذه العقبة جبل في جهنم <sup>(٣)</sup>.

(١) ما بين القوسين ساقط من الآية.

(٢) انظر: ابن كثير: ٥١٣/٤، الدر المنثور: ٥٢١/٨.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠١/٣٠.

وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٥٢٢/٨ عزوه لابن أبي شيبة وابن أبي حاتم.

## وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾

وقال الحسن وقتادة: عقبة شديدة في النار دون الجسر، فاقتحموها بطاعة الله تعالى<sup>(١)</sup>.  
وقال مجاهد، والضحاك، والكلبي: هي صراط يضرب على جهنم كحدّ السيف، مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلاً وصعوداً وهبوطاً، وإنّ يجنبته كلاب وخطاطيف كأنها شوك السعدان، فناج مسلّم، وناج مخدوش، ومكردس في النار منكوس، فمن الناس من يمرّ كالبرق الخاطف، ومنهم من يمرّ كالريح العاصف، ومنهم من يمرّ كالفرس، ومنهم من يمرّ عليه كالرجل يعدو، ومنهم من يمر كالرجل يسير، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم الزالّون، ومنهم من يكردس في النار.

قال ابن زيد: يقول فهلاً سلك الطريق التي فيها النجاة. ثم بين ما هي فقال:  
﴿وما أدراك ما العقبة﴾، ما اقتحام العقبة. قال سفيان بن عيينة: كل شيء قال: «وما أدراك» فإنه أخبر به، وما قال: «وما يدريك» فإنه لم يخبر به.

﴿فكُّ رَقَبَةٍ \* أَوْ إِطْعَامٌ﴾، قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي: «فكُّ» بفتح الكاف، «رَقَبَةٍ» نصب، «أَوْ أَطْعَمٌ» بفتح الهمزة والميم على الماضي. وقرأ الآخرون «فكُّ» برفع الكاف، «رَقَبَةٍ» جرّاً، «أَوْ إِطْعَامٌ» [بكسر الهمزة، فألف بعد العين، ورفع الميم منونة]<sup>(٢)</sup> على المصدر.  
وأراد بفك الرقبة إعتاقها وإطلاقها، ومن أعتق رقبة كانت فداءه من النار.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سماعيل، حدثنا أبو جعفر ابن محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني الليث بن سعد، حدثني ابن الهادي، عن عمر بن علي بن حسين، عن سعيد بن مرجانة قال: سمعته يحدث عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار، حتى يعتق فرجه بفرجه»<sup>(٣)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا محمد بن كثير العبدوي، حدثنا عيسى بن عبد الرحمن السلمي، عن طلحة

(١) أخرجه الطبري: ٢٠٢/٣٠.

وانظر: الدر المنثور: ٥٢٣/٨.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) أخرجه البخاري في الإيمان والنذور، باب قول الله تعالى: (أو تحرير رقبة) ٥٩٩/١١، ومسلم في العتق، باب فضل العتق

برقم: (١٥٠٩): ١١٤٨/٢، والمصنف في شرح السنة: ٣٥١-٣٥٢.

يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ  
وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ  
الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾

ابن مُصَرِّف الياامي، عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله علّمني عملاً يدخلني الجنة، قال: «لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة، أعتق النسيئة وفك الرقبة»، قال: قلت: أَوَلَيْسَ واحداً؟ قال: «لا، عتق النسيئة: أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة: أن تعين في ثمنها، والمِنْحَةُ الْوَكُوفُ<sup>(١)</sup> وأنفق<sup>(٢)</sup> على ذي الرحم الظالم، فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع واسق الظمآن، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من خير»<sup>(٣)</sup>.

وقال عكرمة قوله: «فك رقبة»، يعني فك رقبة من الذنوب بالتوبة «أو إطعام في يوم ذي مَسْعِية»، مجاعة، يقال: سَعَبَ يَسْعُبُ سَعْباً<sup>(٤)</sup> إذا جاع.

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾، أي ذا قرابة، يريد يتيماً بينك وبينه قرابة.

﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾، قد لصق بالتراب من فقره وضره. وقال مجاهد عن ابن عباس: هو المطروح في التراب لا يقيه شيء. و «المتربة» مصدر تَرَبَّ يَتَرَّبُ تَرَبًّا وَمَتْرَبَةً، إذا افتقر.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، بين أن هذه القُرْبَ إنما تنفع مع الإيمان. وقيل: «ثم» بمعنى الواو، ﴿وَتَوَاصَوْا﴾، أوصى بعضهم بعضاً، ﴿بِالصَّبْرِ﴾، على فرائض الله وأوامره، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾، برحمة الناس.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ \* وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ \* عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ﴾، مطبقة عليهم أبوابها، لا يدخل فيها رَوْح ولا يخرج منها غم.

(١) أي غزيرة اللبن.

(٢) في «ب» والفيء.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن: ٢٧٣/١٠، والإمام أحمد: ٢٩٩/٤، وصححه الحاكم على شرط الشيخين: ٢١٧/٢ ووافقه الذهبي، وابن حبان صفحة: (٢٩٤) من موارد الظمآن، والمصنف في شرح السنة: ٣٥٤/٩. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٤٠/٤.

«رواه أحمد ورجاله ثقات».

(٤) ويقال أيضاً: سَعَبَ يَسْعُبُ سَعْباً.

قرأ أبو عمرو، وحمزة، وحفص: بالهمزة ها هنا، وفي الهمزة، وقرأ الآخرون بلا همز، وهما لغتان، يقال: آصدت الباب وأوصدته، إذا أغلقته وأطبقته، وقيل: معنى الهمز المطبقة وغير الهمز المغلقة<sup>(١)</sup>.

(١) قال الإمام أبو زرعة ابن زنجلة في كتابه «حجة القراءات» صفحة (٧٦٦) «فمن همزه جعله (مُفَعَّلَةً) من (آصَدَتِ الباب) أي: أَطْبَقْتُهُ، مثل آمنت. فاء الفعل همزة، تقول: آصد يُوصد لإصداً. ومن ترك الهمز جعله من (أَوْصَدَ يُوصِدُ لإصداً)، فاء الفعل واو. قال الكسائي أَوْصَدَتِ الباب وَأَصَدَّتْهُ إذا رددته».

النَّشْمُورَةُ



## سُورَةُ الشَّمْسِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ① وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ② وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ③ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ④  
وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا ⑥

﴿والشمس وضحاها﴾، قال مجاهد والكلبي: ضوءها، والضحي: حين تطلع الشمس، فيصفو ضوءها. قال قتادة: هو النهار كله. وقال مقاتل: حرها، كقوله في طه «ولا تضحي»، يعني لا يؤذيك الحر.

﴿والقمر إذا تلاها﴾، تبعها، وذلك في النصف الأول من الشهر، إذا غربت الشمس تلاها القمر في الإضاءة وخلفها في النور. قال الزجاج: وذلك حين استدار، يعني كمل ضوءه تابعاً للشمس في الإنارة وذلك في الليالي البيض.

﴿والنهار إذا جلاها﴾، يعني إذا جلى الظلمة، كناية عن غير مذكور لكونه معروفاً.

﴿والليل إذا يغشاها﴾، يعني يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق.

﴿والسماء وما بناها﴾، قال [الكلبي]<sup>(٢)</sup>: «ومن بناها، وخلقها كقوله: «فانكحوا ما طاب لكم من النساء». (النساء - ٣) أي من طاب .

قال عطاء: والذي بناها. وقال الفراء والزجاج: «ما» بمعنى المصدر، أي وبنائها كقوله: «بما غفر لي ربي» (يس - ٢٧) .

﴿والأرض وما طحاها﴾، بسطها.

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة (والشمس وضحاها) بمكة .  
انظر: الدر المنثور: ٥٢٧/٨ .

(٢) ساقط من «أ» .



## وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾

﴿ونفس وما سواها﴾، عدل خلقها وسوى أعضائها. قال عطاء: يريد جميع ما خلق من الجن والإنس.

﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾، قال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة: / بين لها الخير والشر. وقال في رواية عطية: علمها الطاعة والمعصية، وروى الكلبي عن أبي صالح عنه: عرفها ما تأتي من الخير وما تتقي [من الشر]<sup>(١)</sup>.

١٩٣/ب

وقال سعيد بن جبير: ألهمها فجورها وتقواها. قال ابن زيد: جعل فيها ذلك، يعني بتوفيقه إياها للتقوى، وخذلانه إياها للفجور. واختار الزجاج هذا، وحمل الإلهام على التوفيق والخذلان، وهذا يبين أن الله عز وجل خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا [أحمد بن]<sup>(١)</sup> محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الله، حدثنا موسى بن محمد بن علي بن عبد الله أنا عبد الله ابن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن إبراهيم، أخبرنا عروة بن ثابت الأنصاري، حدثنا يحيى بن عقيل، عن يحيى بن يعمر، عن الأسود الديلي قال: قال لي عمران بن حصين: أرايت ما يعمل الناس [ويتكادحون]<sup>(٢)</sup> فيه شيء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما آتاهم به نبيهم وأكّدت عليهم الحجة؟ قلت: بل شيء قد قضى عليهم، قال: فهل يكون ذلك ظلماً؟ قال: ففرغت منه فرعاً شديداً، وقلت: إنه ليس شيء إلا وهو خلقه وملك يده لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فقال لي: سدّدك الله، إنما سألتك لأختبر عقلك [إن رجلاً من جهينة أو مزينة]<sup>(٣)</sup> أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أرايت ما يعمل الناس ويتكادحون فيه شيء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما آتاهم نبيهم وأكّدت به عليهم الحجة؟ فقال: «لا بل شيء قد قضى عليهم ومضى فيهم»، قال قلت: فقيم العمل إذا؟ قال: «من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يهبه الله لها، وتصدّق ذلك في كتاب الله عز وجل: «ونفس وما سواها» فألهمها فجورها وتقواها»<sup>(٤)</sup>.

(١) ساقط من «أ».

(٢) في «ب» ويكدحون.

(٣) في صحيح مسلم: إن رجلين من مزينة.

(٤) أخرجه مسلم في القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله، وشقاوته وسعادته برقم (٢٦٥٠).

## قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿٢﴾ كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَنِهَا ﴿٣﴾

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، حدثنا علي بن الجعد، حدثنا زهير بن معاوية عن أبي الزبير، عن جابر قال: جاء سُرَّاقَةُ بن مالك بن جُعْشُم فقال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا نخلقنا الآن، رأيت عمرتنا هذه ألعامنا هذا أم للأبد؟ قال: بل للأبد، قال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن فيم العمل اليوم، فيما جفَّت به الأقالم وجرت به المقادير؟ أو فيما يستقبل؟ قال: «لا بل فيما جفَّت به الأقالم وجرت به المقادير»، قال: ففيم العمل؟ فقال زهير: فقال كلمة خفيت علي، فسألت عنها نسيتي بعد فذكر أنه سمعها، فقال: «اعملوا فإنَّ كُلاًّ ميسر لما خُلِقَ له»<sup>(١)</sup>.

﴿قد أفلح من زكَّاهَا﴾، وهذا موضع القسم، أي فازت وسعدت نفس زكَّاهَا الله، أي أصلحها وطهرها من الذنوب ووقفها للطاعة.

﴿وقد خاب من دسَّاهَا﴾، أي خابت وخسرت نفس أضلها الله فأفسدها.

وقال الحسن: معناه قد أفلح من زكى نفسه فأصلحها وحملها على طاعة الله عزَّ وجلَّ، «وقد خاب من دسَّاهَا» أهلكها وأضلها وحملها على المعصية، فجعل الفعل للنفس.

و «دسَّاهَا» أصله: دسَّسها من التدسيس، وهو إخفاء الشيء، فأبدلت السين الثانية ياءً. والمعنى ها هنا: أخملها وأخفى محلها بالكفر والمعصية.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أخبرنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي، أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم أبو بكر الجوربدي، حدثنا أحمد بن حرب، حدثنا أبو معاوية عن عاصم، عن أبي عثمان وعبد الله بن الحارث، عن زيد بن أرقم قال: لا أقول لكم إلا ما قال رسول الله ﷺ لنا: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والجبن والهَمُّ وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها وزكَّها أنت خير من زكَّاهَا، أنت وليُّها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن نفس لا تشبع، ومن قلب لا يخشع، ومن دعوة لا يستجاب لها»<sup>(٢)</sup>.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾، بطغيانها وعدوانها، أي الطغيان حملهم على التكذيب.

(١) أخرجه مسلم في القدر باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه .. برقم: (٢٦٤٨): ٢٠٤٠/٤-٢٠٤١.

(٢) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما لم يعمل برقم: (٢٧٢٢).

٢٠٨٨/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٥٨/٥-١٥٩.

إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ  
فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَحَسَونَهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

﴿إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾، أي قام، والانبعاث: هو الإسراع في الطاعة للباعث، أي: كذبوا بالعذاب، وكذبوا صالحاً لما أنبعث أشقاها وهو: قُذَارُ بن سالف، وكان أشقر أزرق [العينين]<sup>(١)</sup> قصيراً قام لعقر الناقة.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل [أنا موسى بن إسماعيل]<sup>(٢)</sup>، حدثنا وهيب، حدثنا هشام عن أبيه أنه أخبره عبد الله ابن زمعة أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال [رسول الله ﷺ]:<sup>(٣)</sup> «إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا»، أنبعث لها رجل عزيز [عارم]<sup>(٤)</sup> منيع في أهله مثل أبي زَمْعَةَ<sup>(٥)</sup>.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾، صالح عليه السلام، ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾، أي احذروا عقر ناقة الله. وقال الزجاج: منصوب على معنى: ذروا ناقة الله، ﴿وَسُقْيَاهَا﴾، شربها، أي: ذروا ناقة الله وذروا شربها من الماء، [فلا تتعرضوا]<sup>(٥)</sup> للماء يوم شربها.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾. يعني صالحاً، ﴿فَعَقَرُوهَا﴾، يعني الناقة.

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾، قال عطاء ومقاتل: فدمر عليهم ربهم فأهلكهم. قال المؤرج: الدمدمه إهلاك باستئصال. ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾، بتكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة، ﴿فَسَوَّاهَا﴾، فسوى الدمدمه عليهم جميعاً، وعمهم بها فلم يفلت منهم أحد. وقال الفراء: سوى الأمة وأنزل العذاب بصغيرها وكبيرها، يعني سوى بينهم.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾، قرأ أهل المدينة والشام: «فلا» بالفاء وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ الباقون بالواو، وهكذا في مصاحفهم ﴿عُقْبَاهَا﴾ عاقبتها.

(١) ساقط من «أ».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) هو الشرير المفسد الخبيث، وقيل: القوي الشرس.

(٤) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة الشمس - ٧٠٥/٨، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها برقم: (٢٨٥٥):

٢١٩١/٤.

(٥) في «ب» فلا تعرضوا.

قال الحسن: معناه: لا يخاف الله من أحد تبعاً في إهلاكهم. وهي رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

وقال الضحاك، والسُّدي، والكلبي: هو راجع إلى العاقر، وفي الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: إذ انبعث أشقاها ولا يخاف عقابها.



السورة



## سُورَةُ اللَّيْلِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ۝ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ۝ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ۝ (٤) فَأَمَّا  
مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ (٦)

﴿والليل إذا يغشى﴾، أي يغشى النهار بظلمة فيذهب بضوئه.

﴿والنهار إذا تجلَّى﴾، بان وظهر من بين الظلمة.

﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾، يعني: ومن خلق، قيل هي «ما» المصدرية/أي: وخلق الذكر والأنثى، قال مقاتل والكلبي: يعني آدم وحواء. وفي قراءة ابن مسعود، وأبي الدرداء: والذكر والأنثى. وجواب القسم قوله:

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾، إن أعمالكم مختلفة، فساع في فكاك نفسه، وساع في عطبها.

روى أبو مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعَ نَفْسِهِ فَمَعْتُقُهَا أَوْ مُؤَبِّقُهَا»<sup>(٢)</sup>.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾، ماله في سبيل الله، ﴿وَاتَّقَى﴾، ربه.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، قال أبو عبد الرحمن والضحاك: وصدق بلا إله إلا الله، وهي رواية عطية

عن ابن عباس.

وقال مجاهد: بالجنة، دليله: قوله تعالى «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى» يعني الجنة .

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة (والليل إذا يغشى) بمكة. انظر: الدر المنثور: ٥٣٢/٨.

(٢) أخرجه مسلم في الطهارة، باب فضل الوضوء برقم: (٢٢٣): ٢٠٣/١ .



فَسَنِيْسِرُهُ لِلْيَسْرِى ۝ ٧ وَأَمَّا مَنْ يَخْلُ وَاسْتَغْنَى ۝ ٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝ ٩ فَسَنِيْسِرُهُ لِلْعُسْرِى

وقيل: «صدق بالحسنى»: أي بالخلف، أي أيقن أن الله تعالى سيخلفه. وهي رواية عكرمة عن ابن عباس.

وقال قتادة ومقاتل والكلبي: بموعد الله عز وجل الذي وعده أن يثيبه .

﴿فَسَنِيْسِرُهُ﴾، فسنيته في الدنيا، ﴿لِلْيَسْرِى﴾، أي للخلّة اليسرى، وهي العمل بما يرضاه الله عز وجل.

﴿وَأَمَّا مَنْ يَخْلُ﴾، بالنفقة في الخير، ﴿وَاسْتَغْنَى﴾، عن ثواب الله فلم يرغب فيه ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ فسنيبره للعسرى، سنيته للشر بأن نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضي الله، فيستوجب به النار. قال مقاتل: نعسر عليه أن يأتي خيراً.

وروينا عن علي عن النبي ﷺ قال: «ما من نفس منفوسة إلا [كتب الله]»<sup>(١)</sup> مكانها من الجنة أو النار، فقال رجل: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: «لا ولكن اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل الشقاء فييسرون لعمل أهل الشقاء، وأما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة»، ثم تلا: «فأما من أعطى واتقى \* وصدق بالحسنى \* فسنيبره لليسرى \* وأما من يخل واستغنى \* وكذب بالحسنى \* فسنيبره للعسرى»<sup>(٢)</sup>.

قيل: نزلت في أبي بكر الصديق اشترى بلالاً من أمية بن خلف بردة وعشرة أواق، فأعته فأنزل الله تعالى: «والليل إذا يغشى» إلى قوله: «إِنْ سَعِيْكُمْ لَشَتَى» يعني: سعي أبي بكر وأميه<sup>(٣)</sup>.

وروى علي بن حجر عن إسحاق عن أبي نجيع عن عطاء، قال: كان لرجل من الأنصار نخلة وكان له جار يسقط من بلحها في دار جاره، وكان صبيانه يتناولون منه، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «بعنيها بنخلة في الجنة» فأبى، فخرج فلقية أبو الدحداح، فقال له: هل لك أن تبيعها ببشر [البستان]<sup>(٤)</sup>، يعني حائطاً له، فقال له: هي لك، فأبى النبي ﷺ فقال: يارسول الله أتشتريها مني بنخلة في الجنة؟ قال: «نعم» قال: هي لك، فدعا النبي ﷺ جَارَ الْأَنْصَارِي

(١) في «ب» قد كُتِبَ.

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله: ٢٢٥/٣. وفي التفسير، وفي الأدب، وفي القدر وفي التوحيد، ومسلم في أول القدر برقم: (٢٦٤٧) ٢٠٣٩/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٣١/١-١٣٢.

(٣) انظر: الواحدي في أسباب النزول ص(٥٢٤).

(٤) ساقط من «أ».

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ (١١) ﴿إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ (١٢) ﴿وَإِنْ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ (١٣) ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ (١٤) ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ (١٥) ﴿الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى﴾ (١٦) ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾

فقال: «خذها». فأنزل الله تعالى: «والليل إذا يغشى» إلى قوله: «إن سعيكم لشتى»<sup>(١)</sup> [سعي أبي]<sup>(٢)</sup> الدحداح والأنصاري صاحب النخلة.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾، [يعني أبا]<sup>(٣)</sup> الدحداح، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الثواب]<sup>(٤)</sup> ﴿فَسَنِيسِرُهُ لِلْعُسَى﴾ يعني الجنة، ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ يعني الأنصاري، ﴿وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى﴾ يعني الثواب، ﴿فَسَنِيسِرُهُ لِلْعُسَى﴾، يعني النار.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾، الذي بخل به، ﴿إِذَا تَرَدَّى﴾، قال مجاهد: إذا مات. وقال قتادة وأبو صالح: هوى في جهنم.

﴿إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾، يعني البيان. قال الزجاج: علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال، وهو قول قتادة، قال: على الله بيان حلاله وحرامه.

قال الفراء: يعني من سلك الهدى فعلى الله سبيله<sup>(٥)</sup>، كقوله تعالى: «وعلى الله قصد السبيل» (النحل - ٩)، يقول: من أراد الله فهو على السبيل القاصد.

وقيل معناه: إن علينا للهدى والإضلال كقوله: «بيدك الخير» (آل عمران - ٢٦) [فاقتصر على الهدى لدلالة الكلام عليه كقوله: «سرايل تقيكم الحر» (النحل - ٨١)، فاقصر على ذكر الحر ولم يذكر البرد لأنه يدل عليه]<sup>(٥)</sup>.

﴿وَإِنْ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾، فمن طلبهما من غير مالكما فقد أخطأ الطريق.

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ﴾: يا أهل مكة، ﴿نَارًا تَلَظَّى﴾، أي: تتلظى، يعني تتوقد وتتوهج.

﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ الذي كذب الرسول، ﴿وَتَوَلَّى﴾، عن الإيمان.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾، يريد بالأشقى الشقي، وبالأتقى التقى.

(١) انظر: ابن كثير: ٥٢٠-٥٢١، الواحدي في أسباب النزول ص ٥٢٣، الدر المنثور: ٥٣٢/٨-٥٣٣.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) زيادة من «أ».

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٧١/٣.

(٥) ما بين القوسين ساقط من «ب».

## ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ (١٧)

﴿الذي يُؤتي ماله﴾، يعطي ماله، ﴿يتزكى﴾، يطلب أن يكون عند الله زاكياً لا رياء ولا سمعة، يعني أبا بكر الصديق، في قول الجميع.

قال ابن الزبير: كان أبو بكر يبتاع الضعفة فيعتقهم، فقال أبوه: أي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك؟ قال: منع ظهري أريد، فنزل: «وسيجنبها الأتقى»، إلى آخر السورة<sup>(١)</sup>.

وذكر محمد بن إسحاق قال: كان بلال لبعض بني جمح وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة، وكان صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أمية بن خلف يخرجها إذا حمت الظهيرة فيطرحه على ظهره يبطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد.

قال محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه قال: مرّ به أبو بكر يوماً وهم يصنعون به ذلك، وكانت دار أبي بكر في بني جمح، فقال لأمية ألا تتقي الله تعالى في هذا المسكين؟ قال: أنت أفسدته فأنقذه مما ترى، قال أبو بكر: أفعل! عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى، على دينك، أعطيك؟ قال: قد فعلت فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذه فأعتقه، ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر ستّ [رقاب]<sup>(٢)</sup>، بلال سابعهم، عامر بن فهيرة شهد بدرًا وأحدًا، وقتل يوم بئر معونة شهيدًا، وأم عميس، وزئيرة فأصيب بصرها حين أعتقها، فقالت قریش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى [فقال: كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى]<sup>(٣)</sup>، وما تنفعان فرد الله إليها بصرها، وأعتق النهدية وابنتها، وكانت امرأة من بني عبد الدار فمرّ بهما وقد بعثتهما سيدتهما تحطبان<sup>(٤)</sup> لها وهي تقول والله لا أعتقكما أبداً. فقال أبو بكر: خلا يا أم فلان، فقالت: خلا، أنت أفسدتها فأعتقهما، قال [أبو بكر رضي الله عنه]<sup>(٥)</sup> فبكم؟ قالت: بكذا وكذا، قال: قد أخذتهما وهما حرتان، وامر بجارية بني المؤمل وهي تعذب فابتاعها فأعتقها<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ٢٢١/٣٠.

وزاد صاحب الدر المنثور: ٥٣٥/٨ عزوه لابن عساكر. وذكره الواحدي في أسباب النزول صفحة: (٥٢٦).

(٢) في «ب» رقيات.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٤) في «ب» تطحنان.

(٥) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٦) سيرة ابن هشام: ٣٣٩/١-٣٤٠.

وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

وقال سعيد بن المسيب: بلغني أن أمية بن خلف قال لأبي بكر في بلال حين قال: أتبيعه؟ قال: نعم أبيعته بنسطاس عبد أبي بكر، صاحب عشرة آلاف دينار، وغللمان وجوار ومواش، وكان مشركاً حمله أبو بكر على الإسلام على أن يكون ماله له، فأبى فأبغضه أبو بكر، فلما قال له / ١٩٤ ب / أمية أبيعته بغلماك بنسطاس اغتنمه وباعه منه، فقال المشركون: ما فعل ذلك أبو بكر ببلال إلا ليد كانت لبلال عنده فأنزل الله:

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾<sup>(١)</sup>، أي يجازيه ويكافئه عليها ﴿إِلَّا﴾، لكن ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾، يعني: لا يفعل ذلك مجازاة لأحد بيد له عنده، ولكنه يفعله ابتغاء وجه ربه الأعلى وطلب رضاه.

﴿ولسوف يرضى﴾، بما يعطيه الله عز وجل في الآخرة من الجنة والكرامة جزاء على ما فعل.

(١) انظر: الطبري ٢٢٨/٣٠، الواحدي في أسباب النزول ص ٥٢٦، الدر المنثور ٥٣٨/٨.



سورة  
الضحى  
حمد



## سُورَةُ الضُّحَى

مكية <sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ۝١  
وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۝٢  
مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ۝٣

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا الأسود بن قيس قال: سمعت جندب ابن سفيان قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قريبك منذ ليلتين أو ثلاث، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالضُّحَى \* وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى \* مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ <sup>(٢)</sup>.

وقيل: إن المرأة التي قالت ذلك أم جميل امرأة أبي لهب.

وقال المفسرون سألت اليهود رسول الله ﷺ عن ذي القرنين وأصحاب الكهف وعن الروح؟ فقال: سأخبركم غداً، ولم يقل: إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي <sup>(٣)</sup>.

وقال زيد بن أسلم: كان سبب احتباس جبريل عليه السلام عنه كون جبرئيل في بيته، فلما نزل عاتبه رسول الله ﷺ على إبطائه، فقال: إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب [أو] <sup>(٤)</sup> صورة <sup>(٥)</sup>.

واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه، فقال ابن جريج: اثنا عشر يوماً. وقال ابن عباس: خمسة عشرة يوماً. وقال مقاتل: أربعون يوماً.

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: نزلت سورة (الضحى) بمكة. انظر: الدر المنثور: ٥٣٩/٨.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة الضحى - باب (ما ودعك ربك وما قلى): ٧١٠/٨. وفي مواضع أخرى، ومسلم في الجهاد والسير، باب، ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين برقم: (١٩٩٧): ١٤٢٢/٣.

(٣) راجع فيما سبق ١٤٥/٥ - ١٤٦ تعليق رقم (٢).

(٤) في «ب» ولا.

(٥) انظر أحاديث في ذلك: مسند الإمام أحمد: ١/١٤٨، الترغيب والترهيب: ٦٨/٤ - ٦٩.



## وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى

قالوا: فقال المشركون: إن محمداً ودّعه ربه وقلاه، فأنزل الله تعالى هذه السورة، فقال النبي ﷺ: «يا جبريل ما جئت حتى اشتقت إليك»، فقال جبريل: «إني كنت أشدّ شوقاً إليك»<sup>(١)</sup>، ولكنني عبدٌ مأمور، فأنزل: «وما ننزل إلا بأمر ربك»<sup>(٢)</sup> (مريم - ٦٤) .

قوله عزّ وجلّ: ﴿والضحى﴾، أقسم بالضحى وأراد به النهار كله، بدليل أنه قابله بالليل [فقال والليل]<sup>(٣)</sup> إذا سجي، نظيره: قوله: «أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى» (الأعراف - ٩٨)، أي نهاراً.

وقال قتادة ومقاتل: يعني وقت الضحى، وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس، واعتدال النهار في الحر والبرد والصيف والشتاء.

﴿والليل إذا سجي﴾، قال الحسن: أقبل بظلامه، وهي رواية العوفي عن ابن عباس، وقال الوالبي عنه: إذا ذهب، قال عطاء والضحاك: غطى كل شيء بالظلمة. وقال مجاهد: استوى. وقال قتادة وابن زيد: سكن واستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك. يقال: ليل ساج وبحر ساج [إذا كان ساكناً]<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ما ودّعك ربك وما قلى﴾، هذا جواب القسم، أي ما تركك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك .

﴿وللآخرة خيرٌ لك من الأولى﴾، حدثنا المطهر بن علي الفارسي، أخبرنا محمد بن إبراهيم [الصالحاني]<sup>(٥)</sup>، أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر أبو الشيخ الحافظ، أخبرنا ابن أبي عاصم، أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة، أخبرنا معاوية بن هشام عن علي بن صالح عن يزيد بن زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا»<sup>(٦)</sup>.

(١) ساقط من «ب».

(٢) أخرجه الطبري: ٢٣١/٣٠، وعبد الرزاق في التفسير: ٣٧٩/٢ عن معمر. وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٥٤١/٨ عزوه لابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس. وانظر: الفتح السماوي: ١١٠١/٣.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٤) في «ب» إذا سكن.

(٥) في «هـ» الصالحى والصحيح ما أثبت.

(٦) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة: ٦٣٣/٢، وابن أبي شيبة: ٢٣٦/١٥ وابن ماجه مطولاً في الفتن، باب خروج المهدي: =

## وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾

﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾، قال عطاء عن ابن عباس: هو الشفاعة في أمته حتى يرضى، وهو قول علي والحسن.

وروينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «اللهم أمتي أمتي وبكى، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوءك فيهم»<sup>(١)</sup>.

وقال حرب بن شريح سمعت أبا جعفر محمد بن علي يقول: إنكم يا معشر أهل العراق تقولون: أرجى آية في القرآن: «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله»، وإنا أهل البيت نقول: أرجى آية في كتاب الله «ولسوف يعطيك ربك فترضى»<sup>(٢)</sup>.

[قيل: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾]<sup>(٣)</sup> من الثواب. وقيل: من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين، ﴿فترضى﴾.

ثم أخبره الله عز وجل عن حالته التي كان عليها قبل الوحي، وذكره نعمه فقال جل ذكره: ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى﴾، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي فقال: أنبأني عبد الله بن حامد الأصفهاني، أخبرنا محمد بن عبد الله النيسابوري، حدثنا محمد بن عيسى أنا أبو عمرو الجويني وأبو الربيع الزهراني قالا: حدثنا حماد ابن زيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي مسألة وودت أني لم أكن سألتها، قلت: يارب إنك آتيت سليمان بن داود ملكاً عظيماً، وآتيت فلاناً كذا وآتيت فلاناً كذا؟ قال: يا محمد ألم أجذك يتيماً فآويتك؟ قلت: بلى، أني ربّ [قال: ألم أجذك ضالاً فهديتك؟ قلت: بلى أني ربّ، قال: ألم أجذك عائلاً فأغنيتك؟ قلت: بلى أني ربّ]، وزاد غيره عن حماد قال: ألم أشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك؟ قلت:

= ١٣٦٦/٢، وأخرجه الحاكم في المستدرک: ٤٦٤/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٤٨/١٤. قال في الزوائد ١٣٦٦/٢: «إسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد الكوفي، لكن لم يتفرد به فقد رواه الحاكم في المستدرک من طريق عمر بن قيس عن الحكم عن إبراهيم».

قال الذهبي في تلخيص المستدرک: موضوع.

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ لأمرته وبكائه شفقة عليهم برقم: (٢٠٢): ١٩١/١، والمصنف في شرح السنة ١٦٥/١٥-١٦٦.

(٢) عزاه صاحب الدر المنثور: ٥٤٣/٨ لابن المنذر، وابن مردويه، وأبي نعيم في الحلية.

(٣) أثبتاه من المطبوع.

## وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾

بلى أي رب<sup>(١)</sup>.

ومعنى الآية: ألم يجدك يتيماً صغيراً فقيراً حين مات أبوك ولم يخلفك لك مالاً ولا مأوى، فجعلت لك مأوى تأوي إليه، وضممتك إلى عمك أبي طالب حتى أحسن تربيتك وكفاك المؤنة. ﴿ووجدك ضالاً﴾، يعني ضالاً عما أنت عليه ﴿فهدي﴾ أي: فهداك للتوحيد والنبوة.

قال الحسن والضحاك وابن كيسان: «وجدك ضالاً» عن معالم النبوة وأحكام الشريعة غافلاً عنها، فهداك إليها، [كما قال]<sup>(٢)</sup>: «وإن كنت من قبله لمن الغافلين» (يوسف-٣)، وقال: «ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان» (الشورى-٥٢).

وقيل: ضالاً في شعاب مكة فهداك إلى جدك عبد المطلب. وروى أبو الضحى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ: ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير، فرآه أبو جهل منصرفاً عن أغنامه فردّه إلى عبد المطلب.

وقال سعيد بن المسيب: خرج رسول الله ﷺ مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فيبينا هو راكب ذات ليلة ظلماء ناقةً إذ جاء إبليس فأخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق، فجاء جبريل / فنفع إبليس نفخة وقع منها إلى أرض الحبشة، وردّه إلى القافلة فمَنَّ الله عليه بذلك<sup>(٣)</sup>. وقيل: وجدك ضالاً [ضالاً]<sup>(٤)</sup> نفسك لا تدري من أنت، فعرّفك نفسك وحالك.

﴿ووجدك عائلاً فأغنى﴾، أي فقيراً فأغناك بمال خديجة ثم بالغانم.

وقال مقاتل: [فأرضاك]<sup>(٥)</sup> بما أعطاك من الرزق. واختاره الفراء. وقال: لم يكن غنياً عن كثرة المال ولكن الله [أرضاه]<sup>(٦)</sup> بما آتاه وذلك حقيقة الغنى.

(١) ما بين القوسين ساقط من الآية.

قال الميثمي في مجمع الزوائد: ٢٥٤/٨: «رواه الطبراني في الكبير» ٤٥٥/١١ و «الأوسط» وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط. وساقه ابن كثير في التفسير: ٥٢٥/٤-٥٢٦ من رواية ابن أبي حاتم وأبي نعيم في «دلائل النبوة» وعزاه في كثر العمال: ٤٥٦/١١ للحاكم والبيهقي وابن عساكر عن ابن عباس.

(٢) ساقط من الآية.

(٣) عزاهما ابن كثير في التفسير: ٥٢٤/٤ للبخاري.

(٤) ساقط من الآية.

(٥) في «ب» فرضاك.

(٦) في «ب» رضاه.

## فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿١﴾

أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، حدثنا أحمد بن يوسف السلمي، حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنه قال أنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسين الزغرتاني<sup>(٢)</sup>، أخبرنا أحمد بن سعيد أخبرنا أبو يحيى محمد بن عبد الله، حدثنا أبي، حدثني شرحبيل بن شريك عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه»<sup>(٣)</sup>.

ثم أوصاه باليتامى والفقراء فقال:

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾، قال مجاهد: لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيمًا. وقال الفرّاء والزجاج: لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه<sup>(٤)</sup>، وكذا كانت العرب تفعل في أمر اليتامى، تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم.

أخبرنا أبو بكر محمد عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا [عبد الله]<sup>(٥)</sup> بن محمود، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن الخلال، حدثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب عن يحيى [بن]<sup>(٦)</sup> سليمان عن يزيد بن أبي عتاب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يَحْسَنُ إِلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ»، ثم قال بأصبعيه: «أنا وكافل اليتيم [في الجنة]»<sup>(٧)</sup>.

(١) أخرجه عبد الرزاق في روايته لصحيفة همام بن منبه برقم (٦٢) ص (٢٣٧) بتحقيق: د. رفعت فوزي. والبخاري في الرقاق، باب الغنى غنى النفس: ٢٧١/١١، ومسلم في الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض برقم: (١٠٥١): ٧٢٦/٢، والمصنف في شرح السنة ٢٤٣/١٤-٢٤٤.

(٢) في «أ» (الزغرتاني) وفي «ب» (الزغرتاني). والصحيح ما أثبت.

(٣) أخرجه مسلم في الزكاة، باب في الكفاف والقناعة برقم: (١٠٥٤): ٧٣٠/٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٤٥/١٤.

(٤) انظر: معاني القرآن للفرّاء: ٢٧٤/٣.

(٥) في «أ» عبد والصحيح ما أثبت.

(٦) ساقط من «ب».

(٧) ساقط من «أ».

## وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

هكذا [وهو يشير] <sup>(١)</sup> بأصبعيه [السبابة والوسطى] <sup>(٢)</sup> ﴿٣﴾ .

﴿وَأَمَّا السائل فلا تنهر﴾، قال المفسرون: يريد السائل على الباب، يقول: لا تنهره لا تزجره إذا سألك، فقد كنت فقيراً فإما أن تطعمه وإما أن ترده رداً ليناً، يقال: نهره وانتهره إذا استقبله بكلام يزجره.

وقال قتادة: رَدَّ السائل برحمة ولين. قال إبراهيم بن أدهم: نعم القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة.

وقال إبراهيم: السائل يريد الآخرة يجيء إلى باب أحدكم فيقول: هل توجهون إلى أهليكم بشيء؟

وروي عن الحسن في قوله: «أما السائل فلا تنهر»، قال: طالب العلم.

﴿وَأَمَّا بنعمة ربك فحدث﴾، قال مجاهد يعني النبوة، روى عنه أبو بشر واختاره الزجاج وقال: أي بلغ ما أرسلت به، وحدث بالنبوة التي آتاك [الله] <sup>(٤)</sup> .

وقال الليث عن مجاهد: يعني القرآن وهو قول الكلبي، أمره أن [يقرأ به] <sup>(٥)</sup> .

وقال مقاتل: اشكر لما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة من جبر اليتيم والهدى بعد الضلالة والإغناء بعد العيلة، والتحدث بنعمة الله شكراً.

أخبرنا أبو سعيد بكر بن محمد بن محمد بن محمي البسطامي، حدثنا أبو الحسن عبد الرحمن ابن إبراهيم بن محمد بن يحيى بن سختويه، أخبرنا عبد الله بن محمد بن الحسين النصر آبادي، [حدثنا

(١) في «ب» وهو يشير.

(٢) ساقط من «أ».

(٣) حديث ضعيف أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص(٤٧)، وابن ماجه في الأدب، باب حق اليتيم برقم: (٣٦٧٩): ١٢١٣/٢، وأبو نعيم في الحلية عن عمر رضي الله عنه: ٣٣٧/٦، والمصنف في شرح السنة: ٤٣/١٣.

وضعه البوصيري فقال في الزوائد «في إسناده يحيى بن سليمان، أبو صالح، قال فيه البخاري: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: مضطرب الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات، وأخرج ابن خزيمة حديثه في صحيحه، وقال: في النفس من هذا الحديث شيء، فأني لا أعرف يحيى بعدالة ولا جرح، وإنما خرجت خبره لأنه يختلف العلماء فيه. قلت: قد ظهر للبخاري وأبي حاتم ما خفي على ابن خزيمة، فجرهما مقدم على من عدله.

وانظر: تخریج أحاديث إحياء علوم الدين للعراقي والزبيدي: ١٢٠٩-١٢١٠، سلسلة الأحاديث الضعيفة: ١٤٢/٤.

(٤) الكلمة ساقطة من «أ».

(٥) في «ب» يقرأه.

علي بن سعيد النسوي<sup>(١)</sup> أخبرنا سعيد بن عفير، حدثنا يحيى بن أيوب عن عمارة بن غزية عن شرحبيل مولى الأنصاري، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «من صُنِعَ إليه معروفٌ فليجز به، فإن لم يجد ما يُجزى به فليثن عليه فإنه إذا أثنى عليه فقد شكره، وإن كتبه فقد كفره، ومن تحلى بما لم يُعطَ كان كلابس ثوبين من زور»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق، حدثنا أبو القاسم بن منيع، حدثنا منصور بن أبي مزاحم، حدثنا وكيع عن أبي عبد الرحمن يعني القاسم بن الوليد، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله تعالى، التحدث بنعمة الله شكر، وتركه كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب»<sup>(٣)</sup>.

والسنة - في قراءة أهل مكة - أن يكبر من أول سورة «الضحى» على رأس كل سورة حتى يختم القرآن؛ فيقول: الله أكبر.

قال الشيخ الإمام الأجل محيي السنة ناصر الحديث قدوة الأئمة ناشر الدين ركن الإسلام إمام الأئمة مفتي الشرق أبو محمد الحسين بن مسعود رحمه الله: كذلك قرأته على الإمام المقرئ أبي نصر محمد بن أحمد بن علي الحامدي بمرو، قال: قرأت على أبي القاسم طاهر ابن علي الصيرفي، قال: قرأت على أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران، قال: قرأت على أبي علي محمد بن أحمد بن حامد الصفار المقرئ، قال: قرأت على أبي بكر محمد بن موسى الهاشمي، قال: قرأت على أبي ربيعة والحسين بن محمد الحداد، وهما قرأاً على أبي الحسين بن أبي بزة وأخبرهما

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص(٦٩) من حديث سعيد بن عفير، عن يحيى بن أيوب، عن عمارة بن غزية عن شرحبيل مولى الأنصار، عن جابر. وشرحبيل ضعفه غير واحد، ومع ذلك فقد صححه ابن حبان برقم: (٢٠٧٣) ص(٥٠٦). وأخرجه الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في التشيع بما لم يعطه، عن طريق إسماعيل بن عباس عن عمارة بن غزية، عن أبي الزبير عن جابر. وقال «هذا حديث حسن غريب». وأخرجه أبو داود في الأدب، باب في شكر المعروف ١٧٩/٧. وللحديث شاهد عند أحمد والطبراني في «الأوسط» قال الهيثمي في المجمع ١٨١/٨: «وفيه صالح بن أبي الأخضر، وقد وثق على ضعفه، وبقي رجال أحمد ثقات، فهو حديث صحيح بطريقه».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٢٧٨/٤، وابنه عبد الله في زوائد المسند: ٣٧٥/٤. قال الهيثمي في المجمع: ٢١٨/٥: «رواه عبد الله بن أحمد والبخاري والطبراني ورجالهم ثقات». وقال العجلوني في «كشف الخفاء»: ٣٦٦/٢: «رواه ابن أبي الدنيا في «اصطناع المعروف» عن النعمان، وأخرجه عبد الله ابن أحمد بإسناد لا بأس به .. وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥٤٥/٨ للبيهقي في الشعب بسند ضعيف. وضعفه ابن كثير: ٥٢٤/٤. وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني: ٢٧٦/٢-٢٧٧.

[ابن أبي بزة]<sup>(١)</sup> أنه قرأ على عكرمة بن سليمان بن كثير المكي، وأخبره عكرمة أنه قرأ على شبل ابن عباد وإسماعيل بن قسطنطين، وأخبراه أنهما قرأا على عبد الله بن كثير، وأخبرهما عبد الله [بن كثير - رضي الله عنهم أجمعين]<sup>(٢)</sup> أنه قرأ على مجاهد، وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس، وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب.

وأخبرنا الإمام المقرئ أبو نصر محمد بن أحمد بن علي وقرأت عليه بمرو، وقال: أنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد الزيدي بالتكبير، وقرأت عليه بثغر حران، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن ابن زياد الموصلي المعروف بالنقاش، وقرأت عليه بمدينة السلام، حدثنا أبو ربيعة محمد بن إسحاق الربيعي، وقرأت عليه بمكة قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي [بزة]<sup>(٣)</sup>، وقرأت عليه قال لي: قرأته على عكرمة بن سليمان، وأخبرني أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد قال فلما بلغت «والضحى» قال لي: كبر حتى تحتم، مع خاتمة كل سورة، فإننا قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك، وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس [فأمره بذلك]<sup>(٤)</sup>، وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب فأمره بذلك وأخبره أبي أنه قرأ على النبي ﷺ فأمره بذلك<sup>(٥)</sup>.

وكان سبب التكبير أن الوحي لما احتبس قال المشركون هجره شيطانه، وودعه، فاغتم النبي ﷺ لذلك، فلما نزل «والضحى» كبر رسول الله ﷺ فرحاً بنزول الوحي، فاتخذوه سنة<sup>(٦)</sup>.

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) زيادة من «ب».

(٣) في «أ» توبة، والصحيح ما أثبت.

(٤) ساقط من «أ».

(٥) ساقه ابن كثير: ٥٢٢/٤ ثم قال: «فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البري من ولد القاسم بن أبي بزة.

وكان إماماً في القراءات. فأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي وقال: لا أحدث عنه وكذلك أبو جعفر العقيلي قال

هو منكر الحديث لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في شرح الشاطبية عن الشافعي أنه سمع رجلاً يكبر هذا التكبير

في الصلاة فقال: أحسنت وأصبت السنة، وهذا يقتضي صحة هذا الحديث.

وراجع في ذلك «التيبان في آداب حملة القرآن» للنووي.

(٦) ذكره ابن كثير: ٥٢٢/٤ وقال: «ولم يرو ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف فאלله أعلم».

السيرة  
ورقة  
حج





## سُورَةُ الشَّرْحِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا  
لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، أَلَمْ نَفْتَحْ وَنَوَسِّعْ / وَنَلِّينَ لَكَ قَلْبَكَ بِالْإِيمَانِ وَالنَّبُوءَةِ وَالْعِلْمِ ١٩٥/ب  
والْحِكْمَةِ.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾، قَالَ الْحَسَنُ، وَمَجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ: وَحَطَطْنَا عَنكَ الَّذِي سَلَفَ  
مِنْكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ: «لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ» (الْفَتْحُ-٢).

وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: يَعْنِي الْخَطَأَ وَالسَّهْوَ. وَقِيلَ: ذُنُوبُ أُمْتِكَ [فَأَضَافَهُ] <sup>(٢)</sup> إِلَيْهِ لِاشْتِغَالِ  
قَلْبِهِ بِهِمْ، وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى وَأَبُو عُبَيْدَةَ: يَعْنِي خَفَفْنَا عَنكَ أَعْبَاءَ النَّبُوءَةِ وَالْقِيَامِ بِأَمْرِهَا <sup>(٣)</sup>.

﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾، أَثْقَلَ ظَهْرَكَ فَأَوْهَنَهُ حَتَّى سَمِعَ لَهُ نَقِيضٌ، أَيْ صَوْتٌ.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الشَّرِيحِيُّ، أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ  
الثَّعْلَبِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْخَالِقِ بْنُ عَلِيٍّ الْمُؤَدِّنَ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ حَبِيبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْمَاعِيلَ  
مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ يَعْنِي ابْنَ صَالِحٍ عَبْدُ الْمَلِكِ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ يَعْنِي ابْنَ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ  
ابْنُ لُحَيْعَةَ عَنْ دُرَّاجٍ عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَأَلَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ «وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ»؟ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «إِذَا ذُكِّرْتُ ذُكِّرْتُ مَعِيَ» <sup>(٤)</sup>.

(١) أَخْرَجَ ابْنُ الضَّرِيرِ وَالنَّحَّاسُ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَابْنُ أَبِي عِيْنٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: نَزَلَتْ سُورَةُ (أَلَمْ نَشْرَحْ) بِمَكَّةَ.  
زَادَ بَعْضُهُمْ بَعْدَ الضَّمِّ، انْظُرْ: الدَّرُ الْمَشْهُورُ: ٥٤٧/٨.

(٢) فِي «ب» فَأَضَافَهَا.

(٣) هَذَا مَوْضِعُهُ فِي «أ» وَفِي «ب» بَعْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ).

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ: ٢٣٥/٣٠، وَأَبُو يَعْلَى فِي الْمُسْنَدِ: ١٣١/٢، وَابْنُ حِبَّانَ بِرَقْمٍ (١٧٧٢) ص (٤٣٩) مِنْ مَوَارِدِ الظَّمَانِ. وَفِيهِ =

## فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾

وعن الحسن قال: «ورفعنا لك ذكرك» إذا ذكرت ذكرتك [معني]<sup>(١)</sup>. وقال عطاء عن ابن عباس: يريد الأذان والإقامة والتشهد والخطبة على المنابر، ولو أن عبداً عبد الله وصدقته في كل شيء ولم يشهد أن محمداً رسول الله لم ينتفع بشيء، وكان كافراً.

وقال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله<sup>(٢)</sup>.

وقال الضحاك: لا تقبل صلاة [إلا به]<sup>(٣)</sup> ولا تجوز خطبة إلا به. وقال مجاهد: [ورفعنا لك ذكرك]<sup>(٤)</sup> يعني بالتأذين.

وفيه يقول حسان بن ثابت:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ عَبْدَهُ      ببرهانه، وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَمَجْدُ  
أَغْرَى، عَلَيْهِ لِلنَّبِوةِ خَاتَمٌ      من الله مشهودٌ يُلَوِّحُ وَيَشْهَدُ  
وَضَمَّ إِلَاهُ اسْمَ النَّبِيِّ مَعَ اسْمِهِ      إذا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ: أَشْهَدُ  
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجَلَّه      فَذُو الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ، وَهَذَا مُحَمَّدٌ<sup>(٥)</sup>

وقيل: رفع الله ذكره بأخذ ميثاقه على النبيين وإلزامهم الإيمان به والإقرار بفضله.

ثم وعده اليسر والرخاء بعد الشدة، وذلك أنه كان بمكة في شدة، فقال الله عز وجل:

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا \* إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ أي مع الشدة التي أنت فيها من جهاد

المشركين يسراً ورخاءً بأن يظهرهم عليهم حتى يتقادوا للحق الذي جتتهم به، «إن مع العسر يسراً» كرهه لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء.

وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «أبشروا، قد جاءكم اليسر، لن يغلب

= ابن لهيعة وقد اختلط، ودراج ضعيف.

(١) زيادة من «أ.»

(٢) أخرجه الطبري: ٢٣٥/٣٠.

وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٥٤٨/٨-٥٤٩ عزوه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل.

(٣) ساقط من «أ.»

(٤) ساقط من «ب.»

(٥) انظر: ديوان حسان - رضي الله عنه - ص (٤٧) طبع بيروت.

عسر يسرين<sup>(١)</sup>.

قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل، إنه لن يغلب عسر يسرين<sup>(٢)</sup>.

قال المفسرون: ومعنى قوله: «لن يغلب عسر يسرين» أن الله تعالى كرّر العسر بلفظ المعرفة واليسر بلفظ النكرة، ومن عادة العرب إذا ذكرت اسماً معرفاً، ثم أعادته كان الثاني هو الأول، وإذا ذكرت نكرة ثم أعادته مثله صار اثنين، وإذا أعادته معرفة فالثاني هو الأول، كقولك: إذا كسبت درهماً أنفقت درهماً، فالثاني غير الأول، وإذا قلت: إذا كسبت درهماً فأنفق الدرهم، فالثاني هو الأول، فالعسر في الآية مكرر بلفظ التعريف، فكان عسراً واحداً، واليسر مكرر بلفظ [التنكير]<sup>(٣)</sup>، فكانا يسرين، فكانه قال: فإن مع العسر يسراً، إن مع ذلك العسر يسراً آخر.

وقال أبو علي [الحسن]<sup>(٤)</sup> بن يحيى بن نصر الجرجاني صاحب «النظم»<sup>(٥)</sup>: تكلم الناس في قوله: «لن يغلب عسر يسرين»، فلم يحصل منه غير قولهم: إن العسر معرفة واليسر نكرة، فوجب أن يكون عسر واحد ويسران، وهذا قول مدخول، إذا قال الرجل: إن مع الفارس سيفاً [إن مع الفارس سيفاً]<sup>(٦)</sup>، فهذا لا يوجب أن يكون الفارس واحداً والسيوف اثنين، فمجاز قوله: «لن يغلب عسر يسرين» أن الله بعث نبيه ﷺ وهو مُقِلُّ مخفٍّ، فكانت قريش تعيره بذلك، حتى قالوا: إن كان بك طلب الغنى جمعنا لك مالاً حتى تكون كأيسر أهل مكة، فاعتم النبي لذلك، فظن أن قومه إنما يكذبونه لفقره، فعدد الله نعمه عليه في هذه السورة، ووعد الغنى، ليسليه بذلك عما خامره من الغم، فقال: «فإن مع العسر يسراً»، مجازه: لا يحزنك ما يقولون فإن مع العسر يسراً في الدنيا عاجلاً، ثم أُنجزه ما وعدّه، وفتح عليه القرى العربية ووسّع عليه ذات يده، حتى كان يعطي اثنين من الإبل، ويهب الهبات السنّية، ثم ابتدأ فضلاً آخر من أمر الآخرة، فقال: إن مع العسر يسراً، والدليل على ابتدائه: تعرّيه من الفاء والواو، وهذا وعد لجميع المؤمنين، ومجازه: إن مع العسر

(١) أخرجه الطبري: ٢٣٥/٣٠-٢٣٦ وهو منقطع.

وعزه السيوطي في الدر المنثور: ٥٥٠/٨ أيضاً لعبد بن حميد وابن مردويه.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: ٣٨٠/٢-٣٨١، والطبري: ٢٣٦/٣٠، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٥٥٠-٥٥١ عزوه للطبراني وابن مردويه.

(٣) في «ب» النكرة.

(٤) في «أ» الحسين والصحيح ما أثبت.

(٥) أي «نظم القرآن» ويقع في مجلدين.

انظر: ترجمة أبي علي الحسن بن يحيى في «تاريخ جرجان» للشهمي ص (١٨٧-١٨٨).

(٦) ما بين القوسين ساقط من «ب».

## فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾

يسراً، أي: إن مع العسر في الدنيا للمؤمن يسراً في الآخرة، فربما اجتمع له اليسر اليسر اليسر وهو ما ذكره في الآية الأولى ويسر الآخرة وهو ما ذكره في الآية الثانية، فقوله عليه السلام: «لن يغلب عسرٌ يسرين» أي: لن يغلب عسرُ الدنيا اليسر الذي وعده للمؤمنين في الدنيا واليسر الذي وعدهم في الآخرة، وإنما يغلب أحدهما، وهو يسر الدنيا، وأما يسر الآخرة فذائم غير زائل، أي لا يجمعهما في الغلبة، كقوله ﷺ: «شهرًا عيد لا ينقصان»<sup>(١)</sup> أي لا يجتمعان في النقصان.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾، أي فاتعب، والتَّصَبَّ: التعب، قال ابن عباس، وقتادة، والضحاك، ومقاتل، والكلبي: فإذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك في الدعاء وارغب إليه في المسألة يُعْطِكَ<sup>(٢)</sup>.

[وروى عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه قال: إذا صليت فاجتهد في الدعاء والمسألة]<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل<sup>(٤)</sup>.

وقال الشعبي: إذا فرغت من التشهد فادعُ لدينك وآخرتك.

وقال الحسن وزيد بن أسلم: إذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك<sup>(٥)</sup>.

وقال منصور عن مجاهد: إذا فرغت من أمر الدنيا فانصب في عبادة ربك وصل<sup>(٦)</sup>.

وقال حيان عن الكلبي: إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب، أي: استغفر لذنبك وللمؤمنين.

(١) أخرجه البخاري في الصوم: شهرًا عيد لا ينقصان: ١٢٤/٤، ومسلم في الصيام، بيان معنى قوله ﷺ شهرًا عيد لا ينقصان برقم: (١٠٨٩): ٧٦٦/٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٣٦/٣٠.

وزاد صاحب الدر المنثور: ٥٥١/٨ عزوه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥٥١/٨ لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٣٧/٣٠.

وانظر: الدر المنثور: ٥٥٢/٨.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٣٧/٣٠ وقال مرجحاً: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: إن الله تعالى ذكره أمر نبيه أن يجعل فراغه من كل ما كان به مشغولاً من أمر دنياه وآخرته، مما أدى له الشغل به، وأمره بالشغل به إلى النصب في عبادته، والاشتغال فيما قربه إليه، ومسألته حاجته، ولم يخص بذلك حالاً من أحوال فراغه دون حال، فسواء كل أحوال فراغه من صلاة كان فراغه، أو جهاد، أو أمر دنيا كان به مشغولاً لعموم الشرط في ذلك من غير خصوص حال فراغ دون حال أخرى».

## وَالْإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾

﴿وإلى ربك فارغب﴾، قال عطاء: تضرع إليه راهباً من النار راغباً في الجنة. وقيل: فارغب إليه في جميع حوائك. قال الزجاج: / أي اجعل رغبتك إلى الله وحده.

١/١٩٦



# السِّينِ





## سُورَةُ التِّينِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾

﴿والتين والزيتون﴾، قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وإبراهيم، وعطاء بن أبي رباح، ومقاتل، والكلبي: هو تينكم [هذا]<sup>(٢)</sup> الذي تأكلونه، وزيتونكم هذا الذي تعصرون منه الزيت.

قيل: خصّ التين بالقسم لأنها فاكهة مخلصّة لا عجم لها، شبيهة بفواكه الجنة. وخصّ الزيتون لكثرة منافعه، ولأنه شجرة مباركة جاء بها الحديث، وهو ثمر ودهن يصلح للاصطباغ والاصطباج.

وقال عكرمة: هما جبلان. قال قتادة: «التين»: الجبل الذي عليه دمشق، و «الزيتون»: الجبل الذي عليه بيت المقدس، لأنهما ينبتان التين والزيتون.

وقال الضحاك: هما مسجدان بالشام. قال ابن زيد: «التين»: مسجد دمشق، و «الزيتون»: مسجد بيت المقدس. وقال محمد بن كعب: «التين» مسجد أصحاب الكهف، و «الزيتون»: مسجد إيليا.

﴿وطور سينين﴾، يعني الجبل الذي كلّم الله عليه موسى عليه السلام، وذكرنا معناه عند قوله: «وشجرة تخرج من طور سيناء»<sup>(٣)</sup> (المؤمنون - ٢٠).

﴿وهذا البلد الأمين﴾، أي الآمن، يعني: مكة، يأمن فيه الناس في الجاهلية والإسلام، هذه كلها أقسام، والمقسم عليه قوله:

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: أنزلت سورة (التين) بمكة. انظر: الدر المنثور: ٥٥٣/٨.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) انظر فيما سبق: ٤١٤/٥.

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾

﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ أي: أعدل قامة وأحسن صورة، وذلك أنه خلق كل حيوان منكباً على وجهه إلا الإنسان خلقه مديد القامة، يتناول مأكوله بيده، مزيناً بالعقل والتميز. ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾، يريد إلى الهرم وأرذل العمر، فينقص عقله ويضعف بدنه، والسافلون: هم الضعفاء والزمنى والأطفال، فالشيخ الكبير [أسفل]<sup>(١)</sup> من هؤلاء جميعاً، «وأسفل سافلين» نكرة تعم الجنس، كما تقول: فلان أكرم قائم فإذا عرفت قلت: أكرم القائمين. وفي مصحف عبد الله «أسفل السافلين»<sup>(٢)</sup>.

وقال الحسن، وقتادة، ومجاهد: يعني ثم رددناه إلى النار، يعني إلى أسفل السافلين، لأن جهنم بعضها أسفل من بعض.

قال أبو العالية: يعني إلى النار في شر صورة، في صورة خنزير.

ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [فإنهم لا يردون إلى النار. ومن قال بالقول الأول قال: رددناه أسفل سافلين، فزالت عقولهم وانقطعت أعمالهم، فلا يكتب لهم حسنة إلا الذين آمنوا]<sup>(٣)</sup>. ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فإنه يكتب لهم بعد الهرم، والخرف، مثل الذي كانوا يعملون في حال الشباب والصحة.

قال ابن عباس: هم نفر رُدُّوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى عذرهم. وأخير أن لهم أجرهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم<sup>(٤)</sup>.

قال عكرمة: لم يضر هذا الشيخ [كبره]<sup>(٥)</sup> إذ ختم الله له بأحسن ما كان يعمل<sup>(٦)</sup>.

وروى عاصم الأحول عن عكرمة عن ابن عباس قال: «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»

(١) ساقط من «ب».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٤) انظر: الطبري: ٢٤٧/٣٠، الدر المنثور: ٥٥٧/٨ وقد عزاه أيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) ساقط من «أ».

(٦) أخرجه الطبري: ٢٤٤/٣٠.

## فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

قال: «إلا الذين [آمنوا]»<sup>(١)</sup> قرؤوا القرآن، وقال: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر<sup>(٢)</sup>. ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾، غير مقطوع، لأنه يكتب له كصالح ما كان يعمل. قال الضحاك: أجر بغير عمل، ثم قال: إلزاماً للحجة:

﴿فما يكذبك﴾ [أي: أمن يكذبك. وقيل: أي شيء يكذبك؟ أي يحملك على الكذب، وقيل: على التكذيب]<sup>(٣)</sup> أيها الإنسان، ﴿بعْدُ﴾، أي بعد هذه الحجة والبرهان، ﴿بالذِّينِ﴾، بالحساب والجزاء، والمعنى: ألا تتفكر في صورتك وشبابك وهرمك فتعتبر، وتقول: إن الذي فعل ذلك قادر على أن يبعثني ويحاسبني، فما الذي يكذبك بالمجازاة بعد هذه الحجج؟

﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾، بأقضى القاضين، قال مقاتل: [أليس الله]<sup>(٤)</sup> يحكم بينك وبين أهل التكذيب [بك]<sup>(٥)</sup> يا محمد.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ والتين والزيتون فانتبه إلى آخرها: «أليس الله بأحكم الحاكمين» فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين»<sup>(٦)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أبو الوليد، حدثنا شعبة عن عدي بن ثابت الأنصاري قال: سمعت البراء بن عازب قال: إن النبي ﷺ كان في سفر فقرأ في العشاء في إحدى الركعتين بالتين والزيتون<sup>(٧)</sup>.

(١) زيادة من «ب».

(٢) صححه الحاكم في المستدرک: ٥٢٨/٢ - ٥٢٩ ووافقه الذهبي وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٥٥٨/٨ عزوه للبيهقي في شعب الإيمان.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٤) ساقط من «أ».

(٥) أخرجه أبو داود مطولاً في الصلاة، باب مقدار الركوع والسجود: ٤٢٣/١ ومن طريقه البيهقي في السنن: ٣١٠/٢، والإمام أحمد: ٢٤٩/٢.

ورواه الترمذي: ٢٧٦-٢٧٧ مختصراً عن إسماعيل بن أمية قال: سمعت رجلاً يداً يقول سمعت أبا هريرة .. وقال: «هذا حديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرجي عن أبي هريرة ولا يسمى» والمصنف في شرح السنة: ١٠٤/٣ - ١٠٥.

(٦) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة التين: ٧١٣/٨.



# سورة الحاق



## سُورَةُ الْحَاقَّةِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، أكثر المفسرين: على أن هذه السورة أول سورة نزلت من القرآن، وأول ما نزل خمس آيات من أولها إلى قوله: «ما لم يعلم».

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبَّ إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء، فيتحنَّث فيه - وهو التعبُد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزوَّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ فقال: ما أنا بقارىء، قال: فأخذني فغطَّنِي حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارىء، [قال: فأخذني] <sup>(٢)</sup> فغطَّنِي الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطَّنِي الثالثة [حتى بلغ مني الجهد] <sup>(٣)</sup>، ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾. فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة: ما لي؟ وأخبرها الخبر، وقال: لقد خشيتُ على نفسي، فقالت خديجة: كلا، والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

(١) أخرج ابن مردويه من طرق عن ابن عباس قال: أول ما نزل من القرآن بمكة (اقرأ باسم ربك الذي خلق).

انظر: الدر المنثور: ٥٦٢-٥٦٠/٨.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».



فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى - ابن عم خديجة - وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي، فيكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يابن عم، اسمع من ابن أخيك ما يقول، فقال له ورقة: يا بن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أومخرجني» [هم] <sup>(١)</sup>؟ قال: نعم لم / يأت [أحد بمثل ما] <sup>(٢)</sup> جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم يمكث <sup>(٣)</sup> ورقة أن توفي، وفتر الوحي <sup>(٤)</sup>.

ب/١٩٦

وروى محمد بن إسماعيل هذا الحديث في موضع آخر من كتابه، عن يحيى بن بكير بهذا الإسناد، وقال: حدثني عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر قال الزهري، فأخبرني عروة عن عائشة وذكر الحديث، قال: «اقرأ باسم ربك الذي خلق» حتى بلغ «ما لم يعلم» وزاد في آخره فقال: وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً حتى يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه، تبدى له جبريل فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه، فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل، فقال له مثل ذلك <sup>(٥)</sup>.

أخبرنا أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد الوراق أخبرنا مكى بن عبدان، أخبرنا عبد الرحمن بن بشر، حدثنا سفيان عن محمد بن إسحاق، عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: أول سورة نزلت قوله عز وجل: «اقرأ باسم ربك» <sup>(٦)</sup>.

قال أبو عبيدة: مجازة: اقرأ اسم ربك، يعني أن الباء زائدة، والمعنى: اذكر اسمه، أمر أن يتبدىء القراءة باسم الله [تأدياً] <sup>(٧)</sup>.

(١) زيادة من «أ».

(٢) في «ب» (رجل قط بما). وهو موافق لرواية البخاري.

(٣) في «ب» ينشأ.

(٤) أخرجه البخاري في بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ٢٣/١.

(٥) أخرجه البخاري في التعبير، باب أول ما بدى به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة: ٣٥١/١٢-٣٥٢، ومسلم

في الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ برقم: (١٦٠): ١٣٩/١-١٤٢.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٣٠، وصححه الحاكم: ٥٢٩/٢ وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٥٦١/٨ عزوه لابن مردويه والبيهقي

في الدلائل.

(٧) في «ب» تأدياً.

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴿٦﴾ أَن رَّاهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾  
إِن إِلَىٰ رَبِّكَ الرَّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾

﴿الذي خلق﴾ قال الكلبي: يعني الخلاق، ثم فسره فقال:

﴿خلق الإنسان﴾ يعني [خلق] <sup>(١)</sup> ابن آدم، ﴿من علق﴾، جمع علقه .

﴿اقرأ﴾، كرره تأكيداً، ثم استأنف فقال: ﴿وربك الأكرم﴾، قال الكلبي: الحليم عن جهل العباد لا يعجل عليهم بالعقوبة.

﴿الذي علّم بالقلم﴾، يعني الخط والكتابة.

﴿علّم الإنسان ما لم يعلم﴾، من أنواع الهدى والبيان. وقيل: علم آدم الأسماء كلها. وقيل: الإنسان ها هنا محمد ﷺ، بيانه: «وعلمك ما لم تكن تعلم» (النساء - ١١٣) .

﴿كلا﴾، حقاً، ﴿إن الإنسان ليطغى﴾، ليتجاوز حده ويستكبر على ربه.

﴿أن﴾، لأن، ﴿راه استغنى﴾، أن رأى نفسه غنياً. قال الكلبي: يرتفع عن منزلة إلى منزلة في اللباس والطعام وغيرهما.

وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل، كان إذا أصاب مالا زاد في ثيابه ومركبه وطعامه، فذلك طغيانه .

﴿إن إلى ربك الرجعى﴾، أي المرجع في الآخرة، [«الرجعى»: مصدر على وزن فُعْلَى] <sup>(٢)</sup>.

﴿أرايت الذي ينهى \* عبداً إذا صلى﴾، نزلت في أبي جهل، نهى النبي ﷺ عن

الصلاة <sup>(٣)</sup>.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودى، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا عبد الله بن معاذ ومحمد بن عبد الأعلى القيسي، قالا: حدثنا المعتمر عن أبيه، حدثني نعيم بن أبي هند، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعقر محمد وجهه بين أظهركم؟ ف قيل: نعم، فقال: [واللات] <sup>(٤)</sup>

(١) ساقط من «ب».

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٣) انظر الطبري: ٢٥٤/٣٠، ابن كثير: ٥٢٩/٤.

(٤) زيادة من «ب» .

أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾  
كَلَّا لَنْ لَمَزْنَهُ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾

والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى، [عزم] <sup>(١)</sup> ليطأ على رقبته، فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي يديه، قال ف قيل له: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار، وهولاً وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ: لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً، قال: فأنزل الله - لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه -: «كلا إن الإنسان ليطغى \* أن رآه استغنى \* إن إلى ربك الرجعى \* أرايت الذي ينهى \* عبداً إذا صلى» الآيات <sup>(٢)</sup>.

ومعنى «أرايت» ها هنا تعجيب للمخاطب. وكرر هذه اللفظة للتأكيد:

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾، يعني: العبد المنهى، وهو محمد ﷺ.

﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾ يعني بالإخلاص والتوحيد.

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾، يعني أبا جهل، ﴿وَتَوَلَّى﴾، عن الإيمان.

وتقدير نظم الآية: أرايت الذي ينهى عبداً إذا صلى [والمنى] <sup>(٣)</sup> على الهدى، أمر بالتقوى، والناهي مكذبٌ متوَلٍّ عن الإيمان، فما أعجب من هذا!

﴿أَلَمْ يَعْلَمْ﴾، يعني أبا جهل، ﴿بأن الله يرى﴾، ذلك فيجازيه به.

﴿كَلَّا﴾، لا يعلم ذلك، ﴿لئن لم ينته﴾، عن إيذاء [نبيه] <sup>(٤)</sup> ﷺ وتكذيبه، ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾، لنأخذن بناصيته فلنجرنه إلى النار، كما قال «فيؤخذ بالنواصي والأقدام» (الرحمن - ٤١) يقال: سفعت بالشئ، إذا أخذته وجذبه جذباً شديداً، و«الناصية»: شعر مقدم الرأس.

ثم قال على البدل: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾، أي صاحبها كاذب خاطيء، قال ابن عباس: لما نهى أبو جهل رسول الله ﷺ عن الصلاة انتهره رسول الله ﷺ، فقال أبو جهل أتنهري [يا محمد لقد علمت ما بها أكثر نادياً مني؟ ثم قال] <sup>(٥)</sup>: فوالله لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلاً جرداً

(١) في «ب» زعم.

(٢) أخرجه مسلم في صفات المنافقين، باب قوله (إن الإنسان ليطغى) برقم: (٢٧٩٧): ٢١٥٤/٤.

(٣) في «ب» وهو.

(٤) في «ب» محمد.

(٥) ما بين القوسين ساقط من «ب».

فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا نُطِيعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾

ورجالاً مرداً<sup>(١)</sup>.

قال الله عز وجل: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾، أي قومه وعشيرته، أي فليستنصر بهم.

﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾، جمع زَبْنِي، مأخوذ من الزَّيْن، وهو الدفع، قال ابن عباس: يريد زبانية جهنم سمو بها لأنهم يدفعون أهل النار إليها، قال الزجاج: هم الملائكة الغلاظ الشداد، قال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله<sup>(٢)</sup>. ثم قال:

﴿كَلَّا﴾، ليس الأمر على ما عليه أبو جهل، ﴿لَا نُطِيعُهُ﴾، في ترك الصلاة، ﴿وَأَسْجُدْ﴾، صلِّ لله، ﴿وَاقْتَرِبْ﴾، من الله.

أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني، أخبرنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي، حدثنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي، حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث، حدثنا أحمد بن صالح وأحمد بن عمرو بن السراج ومحمد بن سلمة قالوا: أخبرنا وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن عمارة بن غُزَيَّة عن سُمَيٍّ مولى أبي بكر أنه سمع أبا صالح ذكوان يُحَدِّث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبدُ من ربِّه وهو ساجدٌ، فأكثرُوا الدعاء [فيها]<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: الطبري: ٢٥٥/٣٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٥٦/٣٠.

(٣) ساقط من «ب».

(٤) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب الدعاء في الركوع والسجود: ٤٢٠/١، ومسلم في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم: (٤٨٢): ٣٥٠/١ والمصنف في شرح السنة: ١٥١/٣.



القصة



## سُورَةُ الْقَدْرِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢)

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، يعني القرآن، كناية عن غير مذكور، أنزله جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، فوضعه في بيت العزة، ثم كان ينزل به جبريل عليه السلام نجوماً في عشرين سنة<sup>(٢)</sup>. ثم عَجَّب نبيه فقال:

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾، سُمِّيَتْ ليلة القدر لأنها ليلة تقدير الأمور والأحكام، يقدر الله فيها أمر السنة في عباده وبلاده إلى السنة المقبلة، كقوله تعالى: «فيها يفرق كل أمر حكيم» (الدخان-٤)، وهو مصدر قولهم: قَدَّرَ الله الشيء بالتخفيف، قَدَّرَ وقَدَّرَ، كالتَّهَرَّ / والنَّهَر والشَّعْر والشَّعْر، وقَدَّرَه - بالتشديد - تقديراً [وقَدَّرَ بالتخفيف قدراً]<sup>(٣)</sup> بمعنى واحد .

قيل للحسين بن الفضل: أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: [بلى]<sup>(٤)</sup>، قيل: فما معنى ليلة القدر؟ قال: سَوَّقَ المقادير إلى المواقيت، وتنفيذ القضاء المقدر. وقال الأزهرى: «ليلة القدر»: أي ليلة العظيمة والشرف من قول الناس: لفلان عند الأمير قدر، أي جاه ومنزلة، ويقال: قَدَّرْتُ فلاناً أي عظمته. قال الله تعالى: «وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدره» (الأنعام-٩١) (الزمر-٦٧)، أي ما عظموه حق تعظيمه .

وقيل: لأن العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولاً.

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) بمكة.

انظر: الدر المنثور: ٥٦٧/٨.

(٢) انظر: ابن كثير: ٥٣٠/٤.

(٣) ما بين القوسين زيادة من «أ».

(٤) في «ب» نعم.



واختلفوا في وقتها؛ فقال بعضهم: إنها كانت على عهد رسول الله ﷺ ثم رفعت، وعامة الصحابة والعلماء على أنها باقية إلى يوم القيامة. وروي عن عبد الله بن مكناس مولى معاوية قال: قلت لأبي هريرة: زعموا أن ليلة القدر قد رُفعت؟ قال: كذب من قال ذلك، قلت: هي في كل شهر أستقبله؟ قال: نعم<sup>(١)</sup>.

وقال بعضهم: هي ليلة من ليالي السنة حتى لو علّق رجل طلاق امرأته وعقّق عبده بليلة القدر، لا يقع ما لم تمض سنة من حين حلف. يروى ذلك عن ابن مسعود، قال: من يقيم الحول يُصيّبها، فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال: يرحم الله أبا عبد الرحمن أما إنه علم أنها في شهر رمضان، ولكن أراد أن لا يتكل الناس<sup>(٢)</sup>.

والجمهور من أهل العلم على أنها في شهر رمضان.

واختلفوا في تلك الليلة؛ قال أبو رزين العقيلي: هي أول ليلة من شهر رمضان. وقال الحسن: ليلة سبع عشرة، وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر.

والصحيح والذي عليه الأكثرون: أنها في العشر الأواخر من شهر رمضان.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد الحنبلي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني، حدثنا عبدة بن سليمان، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يجاور في العشر الأواخر من رمضان، ويقول: «تحرّوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان»<sup>(٣)</sup>.

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أخبرنا أبو محمد الجراحي، حدثنا أبو العباس الحنبلي، حدثنا أبو عيسى، حدثنا قتيبة، حدثنا عبد الواحد بن زياد، عن الحسن بن عبيد الله، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر [ما]<sup>(٤)</sup> لا يجتهد في غيرها<sup>(٥)</sup>.

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥٧٠/٨ لعبد بن حميد.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٥٧٦/٨.

(٣) أخرجه الترمذي في الصوم، باب ما جاء في ليلة القدر: ٥٠٤/٣، والبخاري في فضل ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر: ٢٥٩/٤، وأخرج مسلم الجمعة الأخيرة (تحرّوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان) في الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها، برقم: (١١٦٩)، ٨٢٨/٤، والمصنف في شرح السنة: ٣٨١/٦.

(٤) ساقط من «ه».

(٥) أخرجه الترمذي في الصوم: ٥٠٩/٣ وقال: «هذا حديث غريب حسن صحيح». ومسلم في الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان برقم: (١١٧٤)، ٨٣٢/٢، والمصنف في شرح السنة: ٣٩٠/٦.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن أبي يعقوب، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر [الأواخر]<sup>(١)</sup> من رمضان شدّ مئزره وأحيا ليله، وأيقظ أهله<sup>(٢)</sup>.

واختلفوا في أنها في أي ليلة من العشر؟

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا إسماعيل بن جعفر، حدثنا أبو سهل بن مالك، عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «تَحَرَّوْا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»<sup>(٣)</sup>.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد الزوزان، أخبرنا مكّي بن عبدان، حدثنا عبد الله بن [هاشم]<sup>(٤)</sup> بن حيان، حدثنا يحيى بن سعيد القطان، حدثنا عيينة بن عبد الرحمن، حدثني أبي قال: ذكرت ليلة القدر عند أبي بكر، فقال: ما أنا بطالها بعد شيء سمعته من رسول الله ﷺ إلا في العشر الأواخر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اتمسوها في العشر الأواخر من تسع بَقِينٍ أو سبع بَقِينٍ أو خمس بَقِينٍ أو ثلاث بَقِينٍ أو آخر ليلة»<sup>(٥)</sup>، فكان أبو بكر إذا دخل رمضان يصلي كما يصلي في سائر السنة، فإذا دخل العشر [الأخير]<sup>(٦)</sup> اجتهد.

وأخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن المثني، حدثني خالد بن الحارث، حدثنا حميد، حدثنا أنس بن مالك عن عبادة بن الصمت قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاخى رجلان من المسلمين، فقال: «خرجتُ

(١) ساقط من «ا».

(٢) أخرجه البخاري في فضل ليلة القدر، باب العمل في العشر الأواخر من رمضان ٢٦٩/٤، ومسلم في الاعتكاف باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان برقم: (١١٧٤): ٨٣٢/٢، والمصنف في شرح السنة: ٣٨٩/٦.

(٣) أخرجه البخاري في فضل ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر: ٢٥٩/٤، والمصنف في شرح السنة: ٣٨١/٦ - ٣٨٢.

(٤) في «ا» هشام والصحيح ما أثبتناه كما في التهذيب.

(٥) أخرجه الترمذي في الصوم، باب ما جاء في ليلة القدر: ٥٠٧/٣ - ٥٠٨. وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن حبان صفحة: (٢٣١) من موارد الظمآن، وابن خزيمة: ٣٢٤/٣، وصححه الحاكم: ٤٣٨/١ ووافقه الذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان: ٧/٢٨٠، والإمام أحمد: ٣٦/٥، والطيالسي في المسند صفحة: (١١٨) برقم: (٨٨١)، وابن أبي شيبة: ٧٦/٣. وصححه الألباني في تعليقه على المشكاة برقم: (٢٠٩٢) وصحيح الجامع برقم: (١٢٤٣).

وانظر: الأحاديث الواردة في تعيين ليلة القدر بالتفصيل في: «تحف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام» لابن حجر الهيتمي صفحة (١٦٦) وما بعدها.

(٦) في «ب» الأواخر.

لأخبركم بليلة القدر فتَلَاخِي فلان وفلان فَرُفِعَتْ، وعسى أن يكون خيراً لكم، فاتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك، عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ [أروا]<sup>(٢)</sup> ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان فقال رسول الله ﷺ: «إني أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر»<sup>(٣)</sup>.

وروي عن أبي سعيد الخدري: أنها ليلة إحدى وعشرين.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك، عن يزيد بن عبد الله بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي سعيد الخدري أنه قال: كان النبي ﷺ يعتكف العشر الوسطى من رمضان، واعتكف عاماً حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج صبحها من اعتكافه، قال: من [كان سيعتكف]<sup>(٤)</sup> معي فليعتكف العشر الأواخر، وقد رأيت هذه الليلة ثم أنسيتها، وقد رأيتني أسجد في صبيحتها في ماء وطين، فاتمسوها في العشر الأواخر، واتمسوها في كل وتر»<sup>(٥)</sup>.

قال أبو سعيد الخدري: فمطرت السماء تلك الليلة، وكان المسجد على عريش فَوَكَفَ المسجد.

قال أبو سعيد: فأبصرت عيناي رسول الله ﷺ انصرف وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين من صبيحة إحدى وعشرين.

وقال بعضهم: هي ليلة ثلاث وعشرين:

(١) أخرجه البخاري في فضل ليلة القدر باب: رفع معرفة ليلة القدر لتلاخي الناس: ٢٦٧/٤ والمصنف في شرح السنة: ٣٨٠/٦.

(٢) في «ب» رأوا.

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الاعتكاف، باب ما جاء في ليلة القدر، ٣٢٠/١، والبخاري في فضل ليلة القدر، باب اتقاس ليلة القدر في السبع الأواخر ٢٥٦/٤، ومسلم في الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها برقم: (١١٦٥): ٨٢٢/٢-٨٢٣، والمصنف في شرح السنة: ٣٨١/٦.

(٤) في «ب» من اعتكف.

(٥) أخرجه الإمام مالك في الاعتكاف، باب ما جاء في ليلة القدر: ٣١٩/١، والبخاري في الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر: ٢٧١/٤، ومسلم في الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها برقم: (١١٦٧): ٨٢٥/٢ والمصنف في شرح السنة: ٣٨٤-٣٨٣/٦.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا أحمد بن خالد الحمصي، حدثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم، حدثني عبد الله بن أنيس عن أبيه أنه قال لرسول الله ﷺ: إني أكون بيادية يقال لها الوطأة، وإني بحمد الله أصلي بهم، فمُرني بليلة من هذا الشهر أنزلها إلى المسجد فأصلبها فيه، فقال: «انزل ليلة ثلاث وعشرين فصلها فيه، وإن أحببت أن تستتم آخر الشهر فافعل، / وإن أحببت فكف»<sup>(١)</sup>. ب/١٩٧ قال: فكان إذا صلى العصر دخل المسجد فلم يخرج إلا من حاجة حتى يصلي الصبح، فإذا صلى الصبح كانت دابته بباب المسجد.

وأخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد ابن زنجويه، حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: تذاكرنا ليلة القدر فقال رسول الله ﷺ: كم مضى من الشهر؟ قلنا: ثنتان [وعشرون]<sup>(٢)</sup> وبقي سبع، [فقال: «مضى اثنتان وعشرون وبقي سبع»]<sup>(٣)</sup> اطلبوها الليلة، الشهر تسع وعشرون»<sup>(٤)</sup>.

وقال قوم: هي ليلة سبع وعشرين، وهو قول علي وأبي وعائشة:

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا سفيان عن عاصم عن زر بن حبیش قال: قلت لأبي ابن كعب: يا أبا المنذر أخبرنا عن ليلة القدر، فإن ابن أم عبد يقول: من يقيم الحول يُصيبتها، فقال:

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب في ليلة القدر: ١١٠/٢، والبيهقي في السنن ٣١٠/٤، وفي شعب الإيمان: ٢٧٦/٧، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ٨٨/٣، وعبد الرزاق في المصنف: ٢٥١/٤. ورواه مالك منقطعاً: ٣٢٠/١ ووصله مسلم وغيره كما تقدم.

قال المنذري: «وفي سنده محمد بن إسحاق وقد تقدم الكلام عليه، وقد أخرج مسلم في صحيحه في «كتاب الصيام» برقم: (١١٦٨) من حديث بشر بن سعيد، عن عبد الله بن أنيس: أن رسول الله ﷺ قال: أريت ليلة القدر ثم أنسيتها وأراني صبحها أسجد في ماء وطين، قال: فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين، فصل بنا رسول الله ﷺ فانصرف وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه، وأما ابن إسحاق فإن تدليسه لا يضر، فهو ليس من القادح في العدالة، وقد أطال العلامة اللكنوي في الرد على جرحه، وانتهى إلى توثيقه في كتابه: «إمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام» صفحة: (٢٨٠-٢٩٠) وبالجملة فهو حسن اختلف فيه، وهو حسن الحديث كما قال المنذري.

وانظر: مجمع الزوائد: ١٧٨/٣.

(٢) ساقط من «أ».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ٨٤/٣ ومن طريقه أخرجه ابن ماجه في الصيام، باب ما جاء في «الشهر تسع وعشرون» برقم: (١٦٥٦): ٥٣٠/١ وقال البوصيري في الزوائد: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، وزاد الشيخ أحمد شاکر في تعليقه على المسند على أنه شرط البخاري.

وصححه ابن حبان صفحة: (٢٣٠) من موارد الظمان، وأخرجه البيهقي في السنن، ٣١٠/٤، والإمام أحمد في المسند: ٢٥١/٢ بإسناد صحيح وبشرح الشيخ أحمد شاکر: ١٥٦/١٣.

وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٣٨٦/٦.

## لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٢﴾

رحم الله أبا عبد الرحمن، أما إنه قد علم أنها في رمضان، ولكن كره أن يُخَيِّرَكم فَتَكَلُّوا هي - والذي أنزل القرآن على محمد ﷺ - ليلة سبع وعشرين، فقلنا: يا أبا المنذر أتني علمت هذا؟ قال: بالآية التي أخبرنا النبي ﷺ فحفظنا [ووعينا] <sup>(١)</sup>، هي والله [لا تنسى] <sup>(٢)</sup>، قال قلنا لِرَبِّ: وما الآية؟ قال: تطلع الشمس كأنها طأسٌ ليس لها شعاع <sup>(٣)</sup>.

ومن علاماتها: ما روي عن الحسن رَفَعَهُ: أنها ليلة [بَلَجَةٌ] <sup>(٤)</sup> سَمَحَةٌ لا حارَّة ولا باردة، تطلع الشمس صبيحتها لا شعاع لها <sup>(٥)</sup>.

وفي الجملة: أبهم الله هذه الليلة على هذه الأمة ليجتهدوا في العبادة ليالي رمضان طمعاً في إدراكها، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس، واسمها الأعظم في الأسماء، ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها، وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها، وأخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذراً من قيامها.

قوله عز وجل: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، قال عطاء عن ابن عباس: ذكر لرسول الله ﷺ رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر، فعجب رسول الله ﷺ لذلك وتمنى ذلك لأمته، فقال: يارب جعلت أمتي أقصر الأُمم أعماراً وأقلها أعمالاً؟ فأعطاه الله ليلة القدر، فقال: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، التي حمل فيها الإسرائيلي السلاح في سبيل الله، لك ولأمتك إلى يوم القيامة <sup>(٦)</sup>.

(١) في «ب» وعددنا.

(٢) في «ب» لا نستثنى.

(٣) أخرجه مسلم في الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث عليها برقم: (٧٦٢): ٨٢٨/٢، والمصنف في شرح السنة: ٣٨٧/٦.

(٤) أي مفرقة، النهاية: ١٥١/١.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف عن الحسن مرسلًا: ٥١٤/٣، وعبد الرزاق في المصنف: ٢٥٢/٤-٢٥٣، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٦٠/٤: «وقد ورد لليلة القدر علامات أكثرها لا تظهر إلا بعد أن تمضي، منها في صحيح مسلم عن أبي بن كعب - الحديث السابق - وفي رواية لأحمد من حديث: «مثل الطست» ونحوه لأحمد من حديث أبي عون عن ابن مسعود، وزاد: «صافية» ومن حديث ابن عباس نحوه، ولابن خزيمة من حديثه مرفوعاً: «ليلة القدر صافية بلجة طلقة لا حارة ولا باردة...».

(٦) أخرجه الطبري: ٢٨٩/٣-٢٩٠، والواحدي في أسباب النزول صفحة (٥٣٣) كلاهما عن مجاهد.

وأخرجه أيضاً البيهقي في السنن: ٣٠٦/٤ وقال: هذا مرسل، وأشار إليه في «شعب الإيمان» ٢٦٥/٧. وذكره ابن كثير في التفسير من رواية ابن أبي حاتم عن مجاهد أن النبي ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل .. وهو منقطع، وفيه مسلم بن خالد الزنجي صدوق له أوهام.

## نَزَلَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

قال المفسرون: «ليلة القدر خير من ألف شهر» معناه: عمل صالح في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

حدثنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، إماماً، حدثنا أبو نعيم الإسفراييني، أخبرنا أبو عوانة، حدثنا أبو إسماعيل، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا الزهري، أخبرني أبو سلمة عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه»<sup>(١)</sup>.

قال سعيد بن المسيب: من شهد المغرب والعشاء في جماعة فقد أخذ بحظه من ليلة القدر<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو بكر بن عبدوس المزكي، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا الحسن بن مكرم، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا كههمس عن عبد الله بن بريدة أن عائشة قالت للنبي ﷺ: إن وافيت ليلة القدر فما أقول؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفوٌ تحبُّ العفو فاعفُ عني»<sup>(٣)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿نَزَلَ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾، يعني جبريل عليه السلام معهم، ﴿فِيهَا﴾، أي في ليلة القدر، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، أي بكل أمر من الخير والبركة، كقوله: «يحفظونه من أمر الله» (الرعد- ١١)، أي بأمر الله.

﴿سَلَّمَ﴾، قال عطاء: يريد: سلامٌ على أولياء الله وأهل طاعته. وقال الشعبي: هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر<sup>(٤)</sup>.

وقال الكلبي: الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمناً أو مؤمنة سَلَّموا عليه من ربه حتى يطلع الفجر.

(١) أخرجه البخاري في التراويح، باب فضل من قام رمضان: ٢٥٠/٤، ومسلم في صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان برقم: (٧٦٠): ٥٢٤/١.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥٨٢/٨.

(٣) أخرجه الترمذي في الدعوات: ٤٩٥/٩ وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والنسائي في التفسير: ٥٣٨/٢، وفي عمل اليوم والليلة صفحة: (٤٩٩) ومن طريقه أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة صفحة (٣٥٩)، وابن ماجه برقم: (٣٨٥٠): ١٢٦٥/٢، والبيهقي في شعب الإيمان: ٢٩٩/٧ والإمام أحمد: ١٧١/٦، ١٨٢، ١٨٣، والحاكم: ٥٣٠/٢ وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، ومحمد بن نصر في قيام الليل وقيام رمضان صفحة: (٢٣٩) من مختصر المقرئ.

وصححه النووي في الأذكار. وانظر: الفتوحات الربانية على الأذكار النووية لابن علان: ٣٤٦/٤.

(٤) أخرجه البيهقي عنه في شعب الإيمان: ٢٩٩/٧ ورجاله ثقات وذكره القرطبي عنه: ١٣٤/٢٠.

وقيل: تمّ الكلام عند قوله: «بإذن ربهم من كل أمر» ثم ابتداء فقال: «سلامٌ هي»، أي: ليلة القدر سلامٌ وخيرٌ كلّها، ليس فيها شر.

قال الضحاك: لا يُقدّر الله في تلك الليلة ولا يقضي إلا السلامة.

وقال مجاهد: يعني أن ليلة القدر [سائلة]<sup>(١)</sup> لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً، ولا أن يحدث فيها أذى<sup>(٢)</sup>.

﴿حتى مطلع الفجر﴾، أي: إلى مطلع الفجر، قرأ الكسائي «مطلع» بكسر اللام، والآخرين بفتحها، وهو الاختيار، بمعنى الطلوع، على المصدر، يقال: طلع الفجر طُلوعاً ومطلعاً، والكسر موضع الطلوع.

(١) ساقط من «أ».

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: ٢٩٩/٧.

وذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥٦٩/٨-٥٧٠ وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد ومحمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي.

البَيْتُ الْوَرْدِيُّ





## سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

مدنية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾  
رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، وهم اليهود والنصارى، ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾، وهم عبدة الأوثان، ﴿مُنْفَكِينَ﴾، [منتهين عن كفرهم و شركهم، وقال أهل اللغة: <sup>(١)</sup> زائلين منفصلين، يقال: فككت الشيء فانفكك، أي: انفصل، ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾، لفظه مستقبل ومعناه الماضي، أي: حتى أتتهم البينة، الحجة الواضحة، يعني: محمداً ﷺ، أتاهم بالقرآن فبين لهم [ضلالاتهم] <sup>(٢)</sup> وجهالتهم ودعاهم إلى الإيمان. فهذه الآية فيمن آمن من الفريقين، أخبر أنهم لم ينتهوا عن الكفر حتى أتاهم الرسول فدعاهم إلى الإيمان فأمنوا فأنقذهم الله من الجهل والضلالة، ثم فسر البينة فقال: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو﴾، يقرأ، ﴿صُحُفًا﴾، كتباً، يريد ما يتضمنه الصحف من المكتوب فيها، وهو القرآن؛ لأنه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن [الكتاب] <sup>(٤)</sup>، قوله: ﴿مُطَهَّرَةً﴾، من الباطل والكذب والزور.

﴿فِيهَا﴾، أي في الصحف، ﴿كُتِبَ﴾، يعني الآيات والأحكام المكتوبة فيها، ﴿قِيمَةٌ﴾، عادلة مستقيمة غير ذات عوج.

ثم ذكر من لم يؤمن من أهل الكتب فقال:

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة (لم يكن) بالمدينة، انظر: الدر المنثور: ٥٨٥/٨.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) في «ب» ضلالتهم.

(٤) في «ب» كتاب.

وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾

﴿وما تفرّق الذين أُوتوا الكتاب﴾، في أمر محمد ﷺ، ﴿إلا من بعد ما جاءهم البينة﴾، أي البيان في كتبهم أنه نبي مرسل.

قال المفسرون: لم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد ﷺ حتى بعث الله، فلما بُعث تفرقوا في أمره واختلفوا، فآمن / به بعضهم، وكفر آخرون. ١/١٩٨

وقال بعض أئمة اللغة: معنى قوله «منفكين»: هالكين، من قولهم: انفك [صلا] <sup>(١)</sup> المرأة عند الولادة، وهو أن ينفصل فلا يلتئم فتهلك.

ومعنى الآية: لم يكونوا هالكين معذبين إلا من بعد قيام الحجة عليهم بإرسال الرسول وإنزال الكتاب، والأول أصح.

ثم ذكر ما أمروا به في كتبهم فقال:

﴿وما أمروا﴾، يعني هؤلاء الكفار، ﴿إلا ليعبدوا الله﴾ يعني إلا أن يعبدوا الله، ﴿مخلصين له الدين﴾، قال ابن عباس: ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا [بالإخلاص في] <sup>(٢)</sup> العبادة لله موحدين، ﴿حنفاء﴾، مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، ﴿ويقوموا الصلاة﴾، المكتوبة في أوقاتها، ﴿ويؤتوا الزكاة﴾، عند محلها، ﴿وذلك﴾، الذي أمروا به، ﴿دين القيمة﴾، أي الملة والشريعة المستقيمة. أضاف الدين إلى القيمة وهي نعتة، لاختلاف اللفظين، وأنّ «القيمة» رداً بها إلى الملة.

وقيل: الهاء فيه للمبالغة، وقيل: «القيمة» هي الكتب التي جرى ذكرها، أي وذلك دين الكتب القيمة فيما تدعو إليه وتأمر به، كما قال: «وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه» (البقرة - ٢١٣).

قال النضر بن شميل: سألت الخليل بن أحمد عن قوله: «وذلك دين القيمة»؟ فقال: «القيمة»:

(١) وسط الظهر مثلاً ومن كل ذي أربع.

(٢) في «ب» بإخلاص.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٢﴾ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٣﴾

جمع القيم، والقيّم والقائم واحد، ومجاز الآية: وذلك دين القائمين لله بالتوحيد.

ثم ذكر ما للفريقين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾، قرأ نافع وابن عامر «البريئة» بالهمزة في الحرفين لأنه من قولهم: برأ الله الخلق، وقرأ الآخرون مشدداً بغير همز، كالذرية، ترك همزها في الاستعمال.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه، وتناهى عن المعاصي.

وقيل: الرضا ينقسم إلى قسمين: رضا به ورضاً عنه، فالرضا به: رباً ومُدبراً، والرضا عنه: فيما يقضي ويُقدّر.

قال السدي رحمه الله: إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك؟

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة قال: سمعت قتادة عن أنس بن مالك قال النبي ﷺ لأبي: «إن الله تعالى أمرني أن أقرأ عليك: «لم يكن الذين كفروا»، قال: وسَماني؟ قال: «نعم» فبكى<sup>(١)</sup>.

وقال همام عن قتادة: «أمرني أن أقرأ عليك القرآن»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في التفسير- تفسير سورة البينة- ٧٢٥/٨.

(٢) أخرجه البخاري في الموضع السابق، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب أبي بن كعب، ومسلم في صلاة المسافرين، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحدائق فيه .. برقم: (٧٩٩): ٥٥٠/١.



السورة



## سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۖ (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۖ (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۖ (٤)

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾، حُرِّكَتِ [الأرض]<sup>(١)</sup> حركةً شديدة لقيام الساعة، ﴿زُلْزَالَهَا﴾، تحريكها.

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾، موتها وكنوزها فتلقيا على ظهرها .

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا واصل بن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلاذَ كَبِدِهَا أَمْثَالِ [الْأَسْطُوانِ]<sup>(٢)</sup> مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحْمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدْعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا»<sup>(٤)</sup>.

﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾؟ قيل: في الآية تقديم وتأخير تقديره: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾،

فيقول الإنسان: «ما لها»، أي تخبر الأرض بما عمل عليها.

- (١) ذكر السيوطي في الدر المنثور: ٥٩٠/٨ عن ابن عباس وعن قتادة أن السورة مدنية.
- وقال ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠١/٩ «وفيها قولان: أحدهما: أنها مدنية: قاله ابن عباس وقاتل والجمهور.
- والثاني: مكية، قاله ابن مسعود، وجابر، وعطاء.
- والغالب على آياتها خصائص الآيات المكية والله أعلم.
- (٢) ساقط من «ا».
- (٣) جمع أسطوانة وهي السارية أو العمود، وشبهه بالأسطوانة لعظمه.
- (٤) أخرجه مسلم في الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من لا يقبلها برقم: (١٠١٣): ٧٠٩١/٢.



يَا نَرَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ ﴿٦﴾  
فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ  
شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث،  
أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال،  
حدثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب، حدثنا يحيى بن أبي سليمان عن سعيد المقبري،  
عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ﴾ قال: «أتدرون ما  
أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كلِّ عبدٍ وأمةٍ بما عمل على ظهرها،  
أن تقول: عمل عليّ يوم كذا وكذا وكذا قال: فهذه أخبارها»<sup>(١)</sup>.

﴿يَا نَرَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾، أي: أمرها بالكلام وأذن لها بأن تخبر بما عمل عليها. قال ابن عباس  
والقرظي: أوحى إليها.

ومجاز الآية: يوحى الله إليها، يقال: أوحى لها، وأوحى إليها ووحي لها، ووحي إليها، واحد.  
قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾، يرجع الناس عن موقف الحساب بعد العرض،  
﴿أَشْتَاتًا﴾، متفرقين فأخذ ذات اليمين إلى الجنة وآخذ ذات الشمال إلى النار، كقوله: «يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ»  
(الروم-١٤)، «يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ». (الروم-٤٣). ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ﴾، قال ابن عباس: ليروا جزاء  
أعمالهم، والمعنى: أنهم يرجعون عن الموقف فرقاً لينزلوا منازلهم من الجنة والنار.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾، وزن غلّة صغيرة أصغر ما يكون من الثمل. ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾.  
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ قال ابن عباس: ليس مؤمن ولا كافر عمل خيراً أو  
شراً في الدنيا إلا أراه الله إياه يوم القيامة<sup>(٢)</sup>، فأما المؤمن فيُرى حسناته وسيئاته فيغفر الله سيئاته

(١) أخرجه الترمذي في القيامة، باب الأرض تحدث أخبارها يوم القيامة: ١١٦/٧ وقال: «هذا حديث حسن غريب». وفي  
التفسير: ٢٨٦/٩، والنسائي في التفسير: ٥٤٤/٢ وصححه الحاكم: ٢٥٦/٢ على شرط الشيخين وأقره الذهبي ثم كرره  
في ٥٣٢/٢ فتعقبه الذهبي بقوله: «يحيى هذا يحيى بن أبي سليمان، منكر الحديث، قاله البخاري». وصححه ابن حبان برقم: (٢٥٨٦) صفحة: (٦٤١) من موارد الظمان وأخرجه الإمام أحمد: ٣٧٤/٢، والمصنف في شرح  
السنة: ١١٦/١٥-١١٧، وله شاهد عند الطبراني: ١٤١/٧-١٤٢. وانظر: الكافي الشاف صفحة: (١٨٦-١٨٧) والدر المنثور: ٥٩٢/٨.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٦٨/٣٠. وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٥٩٥/٨ عزوه لابن المنذر والبيهقي في البعث.

ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فترد حسناته ويعذبه بسيئاته.

قال محمد بن كعب في هذه الآية «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره»: من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده، حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير، «ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده، حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر.

قال مقاتل: نزلت هذه الآية في رجلين، وذلك أنه لما نزل «ويطعمون الطعام على حبه» كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ونحوها، يقول: ما هذا بشيء إنما نؤجر على ما نعطي ونحن نخبه، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة وأشباه ذلك، ويقول: إنما وعد الله النار على الكبائر، وليس في هذا إثم، فأنزل الله تعالى هذه الآية يرغمهم في القليل من الخير أن يعطوه، فإنه يوشك / أن يكثر، ويحذرهم اليسير من الذنب، فإنه يوشك أن يكثر<sup>(١)</sup>، فالإثم الصغير في عين صاحبه أعظم من الجبال يوم القيامة، وجميع محاسنه [في عينه]<sup>(٢)</sup> أقل من كل شيء.

قال ابن مسعود: أحكم آية في القرآن «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره \* ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره»<sup>(٣)</sup>.

وكان رسول الله ﷺ يسميها الجامعة الفاذة حين سئل عن زكاة الحمر فقال: «ما أنزل عليّ فيها شيء إلا هذه الآية الجامعة الفاذة» «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره \* ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره»<sup>(٤)</sup>.

وتصدق عمر بن الخطاب، وعائشة بحبة عنب، وقالوا: فيها مثاقيل كثيرة<sup>(٥)</sup>.

وقال الربيع بن خثيم: مرّ رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السورة فلما بلغ آخرها قال: حسبي قد انتهت الموعظة<sup>(٦)</sup>.

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥٩٤/٨-٥٩٥ معزواً لابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير.

(٢) زيادة من «ا».

(٣) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الجهاد، باب الخيل لثلاثة: ٦٣/٦-٦٤، ومسلم في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة برقم: (٩٨٧): ٦٨٢/٢.

(٤) أخرجه البخاري في التفسير- تفسير سورة الزلزلة- باب (ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ٧٢٧/٨.

(٥) انظر: الدر المنثور: ٥٩٧/٨.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: ٣٨٨/٢.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا محمد بن القاسم، حدثنا أبو بكر محمد عبد الله، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا علي بن حجر، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا يمان بن المغيرة، حدثنا عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ» تعدل نصف القرآن، «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»، تعدل ثلث القرآن، «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» تعدل ربع القرآن<sup>(١)</sup>.

(١) ضعيف أخرجه الترمذي في فضائل القرآن: ٢٠٥/٨-٢٠٦ وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة».

وصححه الحاكم: ٥٦٦/١ وتعقبه الذهبي فقال: «بل يمان ضعفه».  
والبيهقي في شعب الإيمان: ٤٥٢/٥، وابن عدي في الكامل: ٢٦٣٨/٧.  
وانظر: فيض القدير للمناوي: ٣٦٧/١، ضعيف الجامع للألباني رقم: (٥٣١) صفحة (٧٦).

# سورة العنكبوت



## سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### وَالْعَادِيَّاتِ ضَبْحًا<sup>(٢)</sup>

﴿والعاديَّاتِ ضَبْحًا﴾، قال ابن عباس، وعطاء ومجاهد، وعكرمة، والحسن، والكلبي، وقتادة، والمقاتلان<sup>(٣)</sup>، وأبو العالية وغيرهم: هي الخيل العادية في سبيل الله عز وجل تُضْبِحُ، والضَّبْحُ: صوت أجوافها إذا عَدَّتْ.

قال ابن عباس: وليس شيء من الحيوانات تضبح غير الفرس والكلب والثعلب، وإنما تضبح هذه الحيوانات إذا تغيَّر حالها من تعب أو فرح، وهو من [قوله] <sup>(٣)</sup>: ضَبَّحَتْهُ النَّارُ، إذا غَيَّرَتْ لونه. [وقوله: «ضَبْحًا» نصب على المصدر، مجازة: والعاديَّات تضبح ضَبْحًا]<sup>(٤)</sup>.

وقال علي: هي الإبل في الحج، تعدو من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى مِنًى، وقال إنها نزلت في وقعة بدر، [كانت أول غزوة في الإسلام بدرًا]<sup>(٥)</sup> وما كان معنا إلا قَرَسَان، قَرَسٌ للزبير وفرس للمقداد بن الأسود فكيف تكون الخيل العاديَّات؟ وإلى هذا ذهب ابن مسعود، ومحمد ابن كعب، والسُّدِّي .

وقال بعض من قال: هي الإبل: قوله «ضَبْحًا» يعني ضبايحاً تمد أعناقها في السير<sup>(٦)</sup> .

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت والعاديَّات بمكة.

انظر: الدر المنثور: ٥٩٩/٨.

(٢) يعني: مقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان.

(٣) في «ب» قول العرب.

(٤) ما بين القوسين جاء في «ا» متأخراً لآخر معنى (والعاديَّات ضَبْحًا).

(٥) ما بين القوسين ساقط من «ا».

(٦) ساق الطبري: ٢٧١/٣٠-٢٧٣ هذه الأقوال - التي ترجع إلى رأيين - ثم قال مرجحاً: «وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: عنى بالعاديَّات: الخيل، وذلك أن الإبل لا تضبح وإنما تضبح الخيل، وقد أخبر الله تعالى أنها تعدو ضَبْحًا»

## فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾، قال عكرمة، وعطاء، والضحاك، ومقاتل، والكلبي: هي الخيل توري النار بجوافرها إذا سارت في الحجارة. يعني: والقادحات قدحاً يقدحن بجوافرهن .

وقال قتادة: هي الخيل تهبج الحرب ونارَ العداوة بين فرسانها.

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: هي الخيل تغزو في سبيل الله ثم تأوي بالليل [إلى مأواها] <sup>(١)</sup> فيورون نارهم، ويصنعون طعامهم .

وقال مجاهد، وزيد بن أسلم: هي مكر الرجال، يعني رجال الحرب، والعرب تقول إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه: أما والله لأقدحن لك ثم لأورينَّ لك.

وقال محمد بن كعب: هي النيران تجتمع <sup>(٢)</sup>.

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾، هي الخيل تغير بفرسانها، على العدو عند الصباح، هذا قول أكثر المفسرين. وقال القرظي: هي الإبل تدفع بركبانها يوم النحر من جَمْعٍ <sup>(٣)</sup> إلى مِنًى، والسنة أن لا تدفع [بركبانها يوم النحر] <sup>(٤)</sup> حتى تصبح والإغارة سرعة السير، ومنه قولهم: أشرق ثبير كيما نغير .

﴿فَأَثَرْنَ بِهِ﴾، أي هيَّجن بمكان [سيرهن] <sup>(٥)</sup> كناية عن غير مذكور، لأن المعنى مفهوم،

﴿نَقْعًا﴾، غباراً، والنَّقْع: الغبار.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾، أي دخلن به وسط جمع العدو، وهم الكتيبة يقال: وَسَطْتُ القوم بالتخفيف، ووسَّطتهم، بالتشديد، وتوسَّطهم بالتشديد، كلها بمعنى واحد. قال القرظي: [هي الإبل توسط بالقوم] <sup>(٦)</sup> يعني جَمْع منى، [هذا موضع القسم]، <sup>(٦)</sup> أقسم الله بهذه الأشياء.

(١) ساقط من «ب».

(٢) ذكر الطبري: ٢٧٣/٣٠-٢٧٤، هذه الأقوال ثم قال مرجحاً: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالموريات التي توري النيران قدحاً، فالخيل توري بجوافرها، والناس يورونها بالزُند، واللسان مثلاً يوري بالمنطق، والرجال يورون بالمر مثلاً، وكذلك الخيل تهبج الحرب بين أهلها إذا التقت في الحرب، ولم يضع الله دلالة على أن المراد من ذلك بعض دون بعض، فكل ما أورت النار قدحاً، فداخلة فيما أقسم به لعموم ذلك بالظاهر» .

(٣) مزدلفة.

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٥) في «ب» سيرها.

(٦) ما بين القوسين ساقط من «ب».

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ وَلِحَبِّ الْخَيْرِ  
لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾، قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: «لكنود»: لكفور جحود  
لنعم الله تعالى<sup>(١)</sup>. قال الكلبي: هو بلسان مضر وربيعه الكفور، وبلسان كندة وحضرموت  
العاصي<sup>(٢)</sup>.

وقال الحسن: هو الذي يعد المصائب وينسى النعم<sup>(٣)</sup>. وقال عطاء: هو الذي لا يعطي في  
الناتبة مع قومه.

وقال أبو عبيدة: هو قليل الخير، والأرض الكنود: التي لا تنبت شيئاً.

وقال الفضيل بن عياض: «الكنود» الذي أنسته الخصلة الواحدة من الإساءة الخصال الكثيرة  
من الإحسان، و«الشكور»: الذي أنسته الخصلة الواحدة من الإحسان الخصال الكثيرة من الإساءة.

﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾، قال [أكثر المفسرين]:<sup>(٤)</sup> وإن الله على كونه كنوداً لشاهد. وقال  
ابن كيسان: الهاء راجعة إلى الإنسان أي: إنه شاهد على نفسه بما يصنع.

﴿وَإِنَّهُ﴾، يعني الإنسان، ﴿لِحَبِّ الْخَيْرِ﴾، أي حب المال، ﴿لَشَدِيدٌ﴾، أي: لبخيل، أي إنه  
من أجل حب المال لبخيل. يقال للبخيل: شديد ومتشدد.

وقيل: معناه وإنه لحب الخير لقوي، أي شديد الحب للخير أي المال.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾، أي: أفلا يعلم هذا الإنسان، ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾، أي: أثير وأُخرج، ﴿مَا فِي الْقُبُورِ﴾ [من  
المتوفى]<sup>(٤)</sup>.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾، أي: مُيز وأبرز ما فيها من خير أو شر.

(١) انظر: شعب الإيمان للبيهقي: ٥٠٧/٨.

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب»: ٥٠٨/٨ وعزه السيوطي لابن جرير وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي  
حاتم والبيهقي في «الشعب».

(٣) في «ب» المفسرون.

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».



## إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ﴾، [جمع]<sup>(١)</sup> الكناية لأن الإنسان اسم الجنس، ﴿يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾، عالم، قال الزجاج: إن الله خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره، ولكن المعنى أنه يجازيهم على كفرهم في ذلك [اليوم]<sup>(٢)</sup>.

(١) في «ب» بجمع .

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

سورة القدر



## سُورَةُ الْقَارِعَةِ

مكية وقيل مدنية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ يَكُونُ  
النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ  
الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ

﴿القارعة﴾، [اسم]<sup>(٢)</sup> من أسماء القيامة، لأنها تفرع القلوب بالفرع.

﴿ما القارعة﴾، تهويل وتعظيم.

﴿وما أدراك ما القارعة﴾ يوم يكون الناس كالفراش المبعوث، هذا الفرش: الطير [الصغار  
البق، واحدها فراشة، أي: كالطير]<sup>(٣)</sup> التي تراها تنهات في النار، والمبعوث: المتفرق. وقال الفراء:  
كفوغاء الجراد، شبه / الناس عند البعث بها [لأن الخلق]<sup>(٣)</sup> يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم  
بعضاً من الهول كما قال: «كأنهم جراد منتشر» (القمر - ٧).

﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾، كالصوف المندوف.

﴿فأما من ثقلت موازينه﴾، رجحت حسناته [على سيئاته]<sup>(٣)</sup>، ﴿فهو في عيشة راضية﴾،  
مرضية في الجنة. قال الزجاج ذات رضا يرضاها صاحبها.

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: نزلت سورة القارعة بمكة.  
انظر الدر المنثور: ٦٠٥/٨.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير: ٢١٣/٩ «وهي مكية بإجماعهم» .  
وعبارة المصنف - رحمه الله - توحى بضعف كونها مدنية.

(٢) زيادة من «أ».

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا آذَرْنَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾، رجحت سيئاته على حسناته .

﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾، مسكنه النار، سمي المسكن أمّاً لأن الأصل في السكون إلى الأمهات، والهاوية اسم من أسماء جهنم، وهو المهواة لا يدرك قعرها، وقال قتادة: وهي كلمة عربية تقولها العرب للرجل إذا وقع في أمر شديد، يقال: هوت أمه. وقيل: «فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ» [ أراد أم رأسه ] « منحدره منكوسة» [ يعني أنهم يهونون في النار على رؤوسهم، وإلى هذا التأويل ذهب قتادة وأبو صالح.

﴿وَمَا آذَرْنَاكَ مَا هِيَ﴾، يعني الهاوية، وأصلها: ما هي، أدخل الهاء فيها للوقف والاستراحة ثم

فسرها فقال:

﴿نَارُ حَامِيَةٍ﴾، أي حارة قد انتهى حرها.

سورة النكاش



## سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢

﴿ألهاكم التكاثر﴾، شغلتكم المباهاة والمفاخرة والمكاثرة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه .

﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، حتى [متم]<sup>(٢)</sup> ودفنتم في المقابر.

قال قتادة: نزلت في اليهود، قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبني فلان أكثر من بني فلان، شغلهم ذلك حتى ماتوا ضللاً<sup>(٣)</sup> .

وقال مقاتل والكلبي: نزلت في حين من قريش؛ بني عبد مناف بن قصي، وبني سهم بن عمرو، كان بينهم تفاخر، [فتعاد]<sup>(٤)</sup> السادة والأشراف أيهم أكثر عدداً؟ فقال بنو عبد مناف: نحن أكثر سيلاً وأعز عزيزاً وأعظم نفراً وأكثر عدداً، وقال بنو سهم مثل ذلك، فكثرهم بنو عبد مناف، ثم قالوا: نعد موتانا، حتى زاروا القبور فعدوهم، فقالوا: هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم بثلاثة أبيات لأنهم كانوا في الجاهلية أكثر عدداً، فأنزل الله هذه الآية<sup>(٥)</sup> .

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس- رضى الله عنهما- قال: نزلت بمكة سورة (ألهاكم التكاثر).

انظر: الدر المنثور: ٦٠٩/٨.

(٢) زيادة من «ب».

(٣) أخرجه الواحدي في أسباب النزول صفحة: (٥٣٧).

وانظر الطبري: ٢٨٣/٣٠، ابن كثير: ٥٤٦/٤، الدر المنثور: ٦١٠/٨.

(٤) في «ب» فتعادوا والصواب ما أثبتناه.

(٥) أخرجه الواحدي في أسباب النزول صفحة (٥٣٧).

وانظر: ابن كثير: ٥٤٤/٤ .



# كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى، أخبرنا حاجب ابن أحمد الطوسى، حدثنا عبد الرحيم بن منيب، حدثنا النضر بن شُمَيْل، عن قتادة عن مطرف ابن عبد الله الشَّخِير، عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية: «ألهاكم التكاثر»، قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك، إلا ما أكلت فأفنيته، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»<sup>(١)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم أنه سمع أنس بن مالك يقول: قال: قال رسول الله ﷺ: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فِيرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فِيرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»<sup>(٢)</sup>.

ثم رد الله عليهم فقال:

﴿كَلَّا﴾، ليس الأمر بالتكاثر، ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وعيد لهم، ثم كرره تأكيداً فقال:

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، قال الحسن، ومقاتل: هو وعيد بعد وعيد، والمعنى: سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت.

وقال الضحاك: «كلا سوف تعلمون»، يعني الكفار، «ثم كلا سوف تعلمون» يعني المؤمنين، وكان يقرأ الأولى بالياء والثانية بالتاء.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾، أي: علماً يقيناً، فأضاف العلم إلى اليقين كقوله: «لهو حق اليقين»، وجواب «لو» محذوف، أي: لو تعلمون علماً يقيناً لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر. قال قتادة: كنا نتحدث أن علم اليقين أن يعلم أن الله باعته بعد الموت<sup>(٣)</sup>.

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾، قرأ ابن عامر والكسائي: «لَتَرَوُنَّ» بضم التاء من أريته الشيء، وقرأ الآخرون بفتح التاء، أي: ترونها بأبصاركم عن بعيد.

(١) أخرجه مسلم في الزهد برقم: (٢٩٥٨): ٢٢٧٣/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٥٨/١٤.

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق، باب سكرات الموت: ٣٦٢/١١، ومسلم في أول كتاب الزهد برقم: (٢٩٦٠) ٢٢٧٣/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٥٩/١٤.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦١١/٨ للفرجاني وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

## ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

﴿ثم لترونها﴾، مشاهدة، ﴿عين اليقين﴾.

﴿ثم لتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، قال مقاتل: يعني كفار مكة، كانوا في الدنيا في الخير والنعمة، فيُسْأَلُونَ يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه، ولم يشكروا ربَّ النعيم حيث عبدوا غيره، ثم يعذبون على ترك الشكر، هذا قول الحسن .

وعن ابن مسعود رفعه قال: «لتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» قال: «الأمن والصحة»<sup>(١)</sup>.

وقال قتادة: إن الله يسأل كل ذي نعمة عما أنعم عليه<sup>(٢)</sup>:

أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم التراي، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي، حدثنا إبراهيم بن خزيمة الشاشي، حدثنا عَبْدُ بن حُمَيْدٍ، حدثنا شُبابَةُ عن عبد الله بن العلاء عن الضحاك بن عرزم الأشعري قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يُسأل العبدُ يوم القيامة من النعيم أن يقال له: ألم نصحَّ جسمك؟ ونروك من الماء البارد»<sup>(٣)</sup>.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، أخبرنا أبو عيسى الترمذي، أخبرنا محمد بن إسماعيل، حدثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا شيبان أبو معاوية، حدثنا عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ في سبابة لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها أحد، فأتاه أبو بكر فقال: ما جاء بك يا أبا بكر؟ فقال: خرجتُ لألقى رسولَ الله ﷺ وأنظر إلى وجهه وللتسليم عليه، فلم يلبث أن جاء عمر، فقال: ما جاء بك يا عمر؟ قال: الجوع

(١) أخرجه مرفوعاً عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد صفحة: (١٥٧ و ٣٩٠) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» ١٥٧/٢، وفيه محمد بن سليمان: صدوق يخطيء، وابن أبي ليلى: صدوق سيء الحفظ .  
وأخرجه هناد في الزهد مرفوعاً على ابن مسعود: ١٠٢/٢، والطبري في التفسير: ٢٨٥/٣٠ والبيهقي في «شعب الإيمان» ٤٩٤/٨، وزاد السيوطي نسبه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه.  
وانظر: الزهد لحناد مع تعليق المحقق .

(٢) وروي عنه قال: الأمن والصحة. انظر شعب الإيمان للبيهقي: ٤٩٥/٨.

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير- تفسير سورة التكاثر: - ٢٩٠/٩ وقال: «هذا حديث غريب».  
وابن حبان برقم (٢٥٨٥) صفحة (٦٤٠)، وصححه الحاكم: ١٣٨/٤ ووافقه الذهبي والبيهقي في «الشعب» ٤٨٩/٨، وعبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد صفحة: (٣١) والطبري: ٢٨٨/٣، والخطيب في تاريخ بغداد: ٢٢٤/٧، والمصنف في شرح السنة: ٣١١/٤.

وزاد السيوطي نسبه في الدر المنثور: ٦١٣/٨ لعبد بن حميد.  
وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٥٣٩): ٦٦-٦٧.

يارسول الله، قال [النبي ﷺ]: <sup>(١)</sup> «وأنا قد وجدت بعض ذلك»، فانطلقوا إلى منزل أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري، وكان رجلاً كثير النخل والشاء، ولم يكن له خَدم، فلم يجدوه، فقالوا لامرأته: أين صاحبك؟ فقالت: انطلق ليستعذب لنا الماء، فلم يلبثوا أن جاء أبو الهيثم بقربة يزعها ماءً فوضعها، ثم جاء يلتزم رسول الله ﷺ ويفديه بأبيه وأمه، ثم انطلق بهم إلى حديقته فبسط لهم بساطاً، ثم انطلق إلى نخلة فجاء بقميص فوضعه، فقال النبي ﷺ: «أفلا تنقيت لنا من رطبِهِ وبُسْرِهِ»، فقال: يارسول الله إني أردت أن تخيروا [أو قال: أن تختاروا] <sup>(٢)</sup> من رطبه وبسره، فأكلوا وشربوا من ذلك الماء، فقال النبي ﷺ: «هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تُسألون عنه يوم القيامة، ظلُّ بارد، ورُطبٌ طيب، وماء بارد»، فانطلق أبو الهيثم ليصنع لهم طعاماً فقال النبي ﷺ: «لا تذبحن ذات ذرٍّ»، فذبح لهم عناقاً أو جذياً فأتاهم بها، فأكلوا، فقال النبي ﷺ: هل لك خادم؟ قال: لا، قال النبي ﷺ: «فاذا أتانا سبي فأتنا»، فأتي النبي ﷺ برأسين ليس معهما ثالث، فأتاه أبو الهيثم فقال النبي ﷺ: «اختر منهما»، فقال: يا نبي الله اختر لي، فقال النبي ﷺ: «إن المستشار مؤتمن، خذ هذا، فإني رأيته يصلي، واستوص به معروفاً» فانطلق به أبو الهيثم إلى امرأته فأخبرها بقول رسول الله ﷺ، فقالت امرأته: ما أنت ببالغ فيه ما قال رسول الله ﷺ إلا أن تعتقه، قال: فهو عتيق، فقال النبي ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى لم يبعث نبياً ولا خليفة إلا وله بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالاً، ومن يوق بطانة السوء فقد وقي» <sup>(٣)</sup>.

وروي عن ابن عباس قال: النعيم: صحة الأبدان والأسماع والأبصار، يسأل الله العبيد فيم استعملوها؟ وهو أعلم بذلك منهم <sup>(٤)</sup>، وذلك قوله: «إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا» (الإسراء - ٣٦).

وقال عكرمة: عن الصحة والفراغ.

وقال سعيد بن جبير: عن الصحة والفراغ والمال.

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) زيادة من «أ».

(٣) أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ: ٣٩-٣٤/٧. وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب» وصححه الحاكم ١٣١/٤ والبيهقي في «شعب الإيمان»: ٤٨٣/٨، ٤٨٤، والطحاوي في «مشكل الآثار»: ١٩٥/١، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦٩٤٨) وأخرجه مسلم بنحوه من طريق آخر في الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك رقم (٢٠٣٨): ١٦١٠/٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٨٩/٣٠، والبيهقي في «الشعب»: ٤٩٣/٨ وإسناده حسن، لكن فيه انقطاع وزاد السيوطي في الدر: ٦١٢/٨ عزوه لابن أبي حاتم وابن مردويه. وانظر التعليق على شعب الإيمان.

أخبرنا الإمام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي، حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد ابن موسى بن الصلت، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، حدثنا الحسين بن الحسن بمكة، حدثنا عبد الله بن المبارك والفضل بن موسى، قالا: حدثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن أبيه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»<sup>(١)</sup>.

قال محمد بن كعب: يعني عمّا أنعم عليكم بمحمد ﷺ.

وقال أبو العالية: عن الإسلام والسنن. وقال الحسين بن الفضل: تخفيف الشرائع وتيسير القرآن.

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد صفحة (٢)، والبخاري في الرقاق، باب ماجاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة: ٢٢٩/١١، والمصنف في شرح السنة: ٢٢٣/١٤.



العصر



## سُورَةُ الْعَصْرِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
وَتَوَصَّوْا بِالْحَقِّ وَتَوَصَّوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

﴿والعصر﴾، قال ابن عباس: والدهر. قيل: أقسم به لأن فيه عبرة للناظر. وقيل: معناه ورب العصر، وكذلك في أمثاله. وقال ابن كيسان: أراد بالعصر الليل والنهار، يقال لهما العصران. وقال الحسن: من بعد زوال الشمس إلى غروبها<sup>(٢)</sup>. وقال قتادة: آخر ساعة من ساعات النهار<sup>(٣)</sup>. وقال مقاتل: أقسم بصلاة العصر وهي الصلاة الوسطى.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، أي خسران ونقصان، قيل: أراد به [الكفار]<sup>(٤)</sup> بدليل أنه استثنى المؤمنين، و «الخسران»: ذهاب رأس مال الإنسان في هلاك نفسه وعمره [بالمعاصي]<sup>(٥)</sup>، وهما أكبر رأس ماله.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فإنهم ليسوا في خسر، ﴿وَتَوَصَّوْا﴾، أوصى بعضهم بعضاً، ﴿بِالْحَقِّ﴾، بالقرآن، قاله الحسن وقاتدة، وقال مقاتل: بالإيمان والتوحيد. ﴿وَتَوَصَّوْا بِالصَّبْرِ﴾، على أداء الفرائض وإقامة أمر الله. وروى ابن عون عن إبراهيم قال: أراد أن الإنسان إذا عُمر في

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة (والعصر) بمكة.

انظر: الدر المنثور: ٦٢١/٨.

(٢) انظر: عبد الرزاق في التفسير: ٣٩٤/٢، فتح الباري: ٧٢٩/٨.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: ٣٩٤/٢ دون قوله آخر.

(٤) في «ب» الكافر.

(٥) زيادة من «ب».



الدنيا وهم، لفي نقص وتراجع إلا المؤمنين، فإنهم يكتب لهم أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم، وهي مثل قوله: «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات».

سورة مائدة  
القصص



## سُورَةُ الْهُمَزَةِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾

﴿ويل لكل هُمزة لُمزة﴾، قال ابن عباس: هم المشاؤون بالثيمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبراء العيب<sup>(٢)</sup>، ومعناها واحد وهو العيب.

وقال مقاتل: «الهُمزة»: الذي يعيبك في الغيب، و«اللُمزة»: الذي يعيبك في الوجه. وقال أبو العالية والحسن بضده.

وقال سعيد بن جبير، وقادة: «الهُمزة» الذي يأكل لحوم الناس ويغتابهم، و«اللُمزة»: الطعان عليهم.

وقال ابن زيد: «الهُمزة»: الذي يهزم الناس بيده ويضربهم، و«اللُمزة»: الذي يلزمهم بلسانه ويعيبهم.

وقال سفيان الثوري: ويهزم بلسانه ويلمز بعينه. ومثله قال ابن كيسان: «الهمزة»: الذي يؤذي جلسه بسوء اللفظ و«اللُمزة»: الذي يؤمض بعينه ويشير برأسه، ويرمز بحاجبه وهما نعتان للفاعل، نحو سُخْرَةٍ وضُحْكَةٍ: للذي يسخر ويضحك من الناس [والهُمزة واللُمزة، ساكنة الميم، الذي يُفعل ذلك به]<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس قال: أنزلت (ويل لكل همزة) بمكة.

انظر الدر المنثور: ٦٢٣/٨.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور. انظر: فتح الباري ٧٢٩/٨.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي  
الْحُطْمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَذْرَبَكُمْ مَا الْحُطْمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى

وأصل الهمز: الكسر والعرض على الشيء بالعنف.

واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية؟ قال الكلبي: نزلت في الأخنس بن شريق بن وهب الثقفي  
كان يقع في الناس ويغتابهم<sup>(١)</sup>.

وقال محمد بن إسحاق: مازلنا نسمع أن سورة الحمزة [نزلت في أمية بن خلف  
الجمحي]<sup>(٢)</sup>.

وقال مقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة، كان يغتاب النبي ﷺ من ورائه ويطعن عليه في  
وجهه.

وقال مجاهد: هي عامة في حق كل من هذه صفته. ثم وصفه فقال:

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا﴾، قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «جَمَعَ» بتشديد الميم على  
التكثير، وقرأ الآخرون بالتخفيف. ﴿وَعَدَّدَهُ﴾، أحصاه، وقال مقاتل: استعده وادخره وجعله عتاداً  
له، يقال: أعددت [الشيء]<sup>(٣)</sup> وعددته إذا أمسكته.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾، في الدنيا، يظن أنه لا يموت مع يساره.

﴿كَلَّا﴾، ردّاً عليه أن لا يخلده ماله، ﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾، ليطرحن، ﴿فِي الْحُطْمَةِ﴾، في جهنم،  
والحطمة من أسماء النار، مثل: سقر، ولظى<sup>(٤)</sup>، سميت «حطمة» لأنها تحطم العظام وتكسرها.

﴿وَمَا أَذْرَبُكُمْ / مَا الْحُطْمَةُ﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ \* الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنَدَةِ، أي التي يبلغ  
ألمها ووجعها إلى القلوب، والاطّلاع والبلوغ بمعنى واحد، يحكي عن العرب: متى طلعت أرضنا؟  
أي بلغت.

ومعنى الآية: أنها تأكل كل شيء منه حتى تنتهي إلى فؤاده، قاله القرطبي والكلبي.

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦٢٣/٨ لابن أبي حاتم عن السدي.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ه» وانظر: ابن هشام: ٣٨٢/١.

(٣) ساقط من «ه».

(٤) وهو قول الفراء وذكره البخاري في ترجمة: ٧٢٩/٨.

## الْأَفْئِدَةُ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (٩)

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾، مطبقة مغلقة.

﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾، قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر: ﴿فِي عَمَدٍ﴾ بضم العين والميم، وقرأ الآخرون بفتحهما، كقوله تعالى: «رفع السموات بغير عَمَدٍ تَرْوْنَهَا» (الرعد - ٢) وهما جميعاً جمع عمود، مثل: أديم وأدم [وأدم<sup>(١)</sup>]، قاله الفراء<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو عبيدة: جمع عماد، مثل: إهاب وأهب وأهب<sup>(٣)</sup>.

قال ابن عباس: أدخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد.

[وقيل: «في عمد ممددة»]<sup>(٤)</sup> في أعناقهم الأغلال السلاسل.

[وقيل: «هي عمد ممددة»: على باب جهنم]<sup>(٤)</sup>، سدت عليهم بها الأبواب [لا يمكنهم الخروج]<sup>(٤)</sup>.

وقال قتادة: بلغنا أنها عمد يعذبون بها في النار.

وقيل: هي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار، أي أنها مطبقة عليهم بأوتاد ممددة، وهي في قراءة عبد الله «بِعُمَدٍ» بالباء.

قال مقاتل: أطبقت الأبواب عليهم ثم سُدَّتْ بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها، فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم رَوْحٌ، والممددة من صفة العمد، أي مطولة فتكون أرسخ من القصيرة.

(١) ساقط من «ب».

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٩١/٣.

(٣) قال الفيومي في «المصباح المنير» ٢٨/١: «الإهاب: الجلد .. والجمع: أهَب» بضمين على القياس مثل: كتاب وكُتِبَ، وبفتحين على غير قياس. قال بعضهم: وليس في كلام العرب فعال يجمع على فَعَلٍ بفتحين إلا إهاب وأَقَبَ، وعماد وعَمَد.

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».



سورة  
الفيل





## سُورَةُ الْفَيْلِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الْفَيْلُ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفَيْلِ﴾؟ وكانت قصة أصحاب الفيل - على ما ذكره محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبيرة وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدي -: أن النجاشي ملك الحبشة كان قد بعث «أرياط» إلى أرض اليمن فغلب عليها، فقام رجل من الحبشة، يقال له: «أبرهة بن الصباح» [أبو يكسوم]<sup>(٢)</sup> فساخط «أرياط» في أمر الحبشة، حتى انصدعوا صدعين، وكانت طائفة مع أرياط، وطائفة مع أبرهة، فتزاحفا فقتل أبرهة أرياط، واجتمعت الحبشة لأبرهة، وغلب على اليمن وأقره النجاشي على عمله .

ثم إن أبرهة رأى الناس يتجهزون أيام الموسم إلى مكة لحج بيت الله، فبنى كنيسة بصنعاء وكتب إلى النجاشي: إني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يُنَّ للملك مثلها، ولست منتهاً حتى أصرف إليها حج العرب، فسمع به رجل من بني مالك بن كنانة [فخرج إليها مستخفياً]<sup>(٣)</sup> فدخلها ليلاً فقعدها فيها وتغوط بها، ولطخ بالعدرة قبلتها، فبلغ ذلك أبرهة فقال: من اجتراً علي ولطخ كنيسة بالعدرة؟ فقبل له: صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت سمع بالذي قلت، فحلف أبرهة عند ذلك: ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها، فكتب إلى النجاشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث إليه بفيله، وكان له فيل يقال له محمود، وكان فيلاً لم ير مثله عِظْماً وجسماً وقوة، فبعث به إليه، فخرج

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: أنزل (ألم تر كيف فعل ربك) بمكة.

انظر: الدر المنثور: ٦٢٧/٨.

(٢) ما بين القوسين زيادة من «أ».

(٣) ما بين القوسين زيادة من «ب».

أبرهة من الحبشة سائراً إلى مكة، وخرج معه بالفيل، فسمعت العرب بذلك فأعظموه ورأوا جهاده حقاً عليهم، فخرج ملك من ملوك اليمن، يقال له: ذو نفر، بمن أطاعه من قومه، فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ ذا نفر، فقال: أيها الملك لا تقتلني فإن استبقائي خير لك من قتلي، فاستحياه وأوثقه. وكان أبرهة رجلاً حليماً.

ثم سار حتى إذا دنا من بلاد خثعم، خرج نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع إليه من قبائل اليمن، فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيل، فقال نفيل: أيها الملك إني دليل بأرض العرب، وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة، فاستبقاه، وخرج معه يدله حتى إذا مرّ بالطائف خرج إليه مسعود بن مَعْتَبٍ في رجال من ثقيف فقال: أيها الملك نحن عبيدك، ليس لك عندنا خلاف، وإنما تريد البيت الذي بمكة، نحن نبعث معك من يدلك عليه، فبعثوا معه أبا رِغَال، مولى لهم، فخرج حتى إذا كان [بالمُعَمَّس] <sup>(١)</sup> مات أبو رِغَال وهو الذي يرجم قبره، وبعث أبرهة من المُعَمَّس رجلاً من الحبشة، يقال له: الأسود بن مسعود، على مقدمة خيله، وأمره بالغارة على نَعَم الناس، فجمع الأسود إليه أموال الحرم، وأصاب لعبد المطلب مائتي بعير.

ثم إن أبرهة بعث حباطة الحِمَيْرِي إلى أهل مكة، وقال: سل عن شريفها ثم أبلغه ما أرسلك به إليه، أخبره أنني لم آت لقتال، إنما جئت لأهدم هذا البيت. فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هاشم، فقال: إن الملك أرسلني إليك لأخبرك أنه لم يأت لقتال إلا أن تقاتلوه، إنما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم.

فقال عبد المطلب: ما له عندنا قتال ولا لنا به يد إلا أن نخلي بينه وبين ما جاء له، فإن هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام، فإن يمنعه فهو بيته وحرمة، وإن يخل بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به قوة.

قال: فانطلق معي إلى الملك، فزعم بعض العلماء أنه أردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيهِ حتى قدم المعسكر، وكان ذو نفر صديقاً لعبد المطلب فأتاه فقال: يا ذا نفر، هل عندك من [غناء] <sup>(٢)</sup> فيما نزل بنا؟ فقال: ما غناء رجل أسير لا يأمن أن يقتل بكرة أو عشياً، ولكن سأبعث إلى أنيسر، سائس الفيل، فإنه لي صديق فأسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده، قال: فأرسل إلى أنيس فأتاه فقال له: إن هذا سيد قريش صاحب

(١) موضع قرب مكة في طريق الطائف: انظر معجم البلدان.

(٢) في رواية غنى وما أثبت موافق لما ورد في السيرة.

غير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال، وقد أصاب له الملك مائتي بعير، فإن استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فإنه صديق لي، أُحِبُّ ما وصل إليه من الخير، فدخل أنيس على أبرهة فقال: أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب غير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال، يستأذن إليك وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك، وقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك، فأذن له، وكان عبد المطلب رجلاً جسيماً وسيماً، فلما رآه أبرهة أعظمه وأكرمه، وكره أن يجلس معه على السرير وأن يجلس تحته، فهبط إلى / البساط فجلس عليه ثم دعاه فأجلسه معه، ثم قال لترجمانه قل له: ما حاجتك إلى الملك؟ فقال له الترجمان ذلك، فقال عبد المطلب: حاجتي إلى الملك أن يرّد عليّ مائتي بعير أصابها لي، فقال أبرهة لترجمانه قل له: لقد كنت أعجبتني حين رأيته، وقد زهدت فيك، قال [عبد المطلب]: <sup>(١)</sup> لِمَ؟ قال: جئتُ إلى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لأهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير أصبتها؟ قال عبد المطلب: أنا رب هذه الإبل وإن لهذا البيت رباً سيمنعه، قال ما كان لينعه مني، قال فأنت وذاك، فأمر بإبله فرُدّت عليه .

فلما رُدّت الإبل إلى عبد المطلب خرج فأخبر قريشاً الخبر، وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في رؤوس الجبال، تخوفاً عليهم من معرة الجيش، ففعلوا، وأتى عبد المطلب الكعبة، وأخذ بحلقة الباب وجعل يقول:

يَارَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ      يَارَبِّ فَاثْمَنُ مِنْهُمْ حِمَاكَ  
إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكَ      ائْتَمَّعُهُمْ أَنْ يُخْرِبُوا قَرَاكَ  
وقال أيضاً:

لَا هُمْ <sup>(٢)</sup> إِنْ الْعَبْدَ يَنْـ      نَعُ رَحْلَهُ فَاثْمَنُ جَلَالِكَ <sup>(٣)</sup>  
لَا يَغْلِبَنَّ صَلَيبُهُمْ      وَمَحَالُهُمْ غَدَاً <sup>(٤)</sup> مَحَالِكَ <sup>(٥)</sup>  
جَرُّوا جُمُوعَ بِلَادِهِمْ      وَالْفِيلَ كِي يَسْبُوا عِيَالِكَ  
عَمَلُوا حِمَاكَ بِكَيْدِهِمْ      جَهْلًا وَمَا رَقَبُوا جَلَالِكَ

(١) زيادة من (أ).

(٢) أصلها اللهم، والعرب تحذف الألف واللام منها وتكتفي بما بقي، تقول لاه أبوك، وهي تريد لله أبوك.

(٣) جمع حِلَّة، وهي جماعة البيوت، ويريد هنا القوم الحلول. والحلال أيضاً: متاع البيوت.

(٤) غَلَوْا: غَدَاً، وهو اليوم الذي يأتي بعد يومك، فحذف لامة، ولم يستعمل تاماً إلا في الشعر .

(٥) القوة والشدة.

إِنْ كُنْتَ تَارِكَهُمْ وَكَفَ — بَيْنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَاكَ  
فَلَمْ أَسْمَعْ بِأَرْجَسَ مِنْ رِجَالٍ أَرَادُوا الْقَزْوَ يَنْتَهَكُوا حَرَامَكَ<sup>(١)</sup>

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه مع قومه، وأصبح أبرهة بالمُعَمَّس قد تهيأ للدخول وعبأ جيشه وهياً فيله، وكان فيلاً لم يُر مثله في العظم والقوة، ويقال كان معه اثنا عشر فيلاً .

فأقبل نفيل إلى الفيل الأعظم ثم أخذ بأذنه فقال: ابرك محمود وارجع راشداً من حيث جئت [فإنك]<sup>(٢)</sup> في بلد الله الحرام، فبرك الفيل فبعثوه فأبى، فضربوه بالمعول في رأسه فأبى، فأدخلوا محاجنهم تحت مراقه ومراقه فزغوه ليقوم فأبى، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، فصرفوه إلى الحرم فبرك وأبى أن يقوم.

وخرج نفيل يشند حتى [صعد]<sup>(٣)</sup> في الجبل، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف مع كل [طائر]<sup>(٤)</sup> منها ثلاثة أحجار: حجران في رجله، وحجر في منقاره، أمثال الحمص والعدس، فلما غشين القوم أرسلنها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحداً إلا هلك، وليس كل القوم أصابت وخرجوا هاربين لا يهتدون إلى الطريق الذي جاؤوا منه، يتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلّهم على الطريق إلى اليمن، ونفيل ينظر إليهم من بعض تلك الجبال، فصرخ القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل [مهلك]<sup>(٥)</sup> .

وبعث الله على أبرهة داءً في جسده فجعل يتساقط أنامله كلما سقطت أئمة اتبعها [مدة] من قيح ودم<sup>(٦)</sup>، فانتهى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطير فيمن بقي من أصحابه، وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك<sup>(٧)</sup> .

قال الواقدي: وأما محمود، فيل النجاشي، فريض ولم [يسره]<sup>(٨)</sup> على الحرم فنجا، والفيل

(١) هذا البيت زيادة من «أ».

(٢) ساقط من «ب».

(٣) في «ب» أصد.

(٤) في «ب» طير.

(٥) في «ب» منهل.

(٦) وهي الغليظة من القيح، أما الرقيقة فهي صديد.

(٧) أخرجه ابن هشام: ٤٤/١ - ٥٦.

وأخرجه الطبري في التلويح: ١٢٨/٢ - ١٣٩، من طريق ابن إسحاق.

(٨) في «ب» يشجع.

الآخر شجع فحصب .

وزعم مقاتل بن سليمان أن السبب الذي جرَّ أصحاب الفيل: أن فتية من قريش خرجوا تجاراً إلى أرض النجاشي فدنوا من ساحل البحر وثمَّ بيعةً للنصارى تسميها قريش «الهيكل»، فنزلوا فأججوا ناراً واشتوا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف فعجَّت الريح فاضطرم الهيكل ناراً فانطلق الصريخ إلى النجاشي فأسف غضباً للبيعة، فبعث أبرهة لهدم الكعبة.

وقال فيه: إنه كان بمكة يومئذ أبو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة، وكان رجلاً نبياً نبيلاً تستقيم الأمور برأيه، وكان خليلاً لعبد المطلب، فقال له عبد المطلب: ماذا عندك هذا يوم لا يستغنى فيه عن رأيك؟ فقال أبو مسعود: اصعد بنا إلى حراء فصعد الجبل، فقال أبو مسعود لعبد المطلب: اعمد إلى مائة من الإبل فاجعلها لله وقلِّدْها نعلًا ثم أرسلها في الحرم لعل بعض هذه السودان يعقر منها شيئاً، فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم، ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم إلى تلك الإبل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو، فقال أبو مسعود: إن لهذا البيت رباً يمنعه، فقد نزا تبعُّ ملك اليمن صحن هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه، وأظلم عليه ثلاثة أيام، فلما رأى تبع ذلك كساه القباطي البيض، وعظمه ونحر له جزوراً.

[ثم قال أبو مسعود<sup>(١)</sup>: فانظر نحو البحر، فنظر عبد المطلب فقال: أرى طيراً بيضاء نشأت من شاطئ البحر، فقال: ارمقها ببصرك أين قرارها؟ قال أراها قد دارت على رؤوسنا، قال: فهل تعرفها؟ قال: فوالله ما أعرفها ما هي بنجدية ولا تهامية ولاغربية ولا شامية، قال: ما قدّها؟ قال: أشباه [اليعاسيب]<sup>(٢)</sup>، في منقارها حصى كأنها حصى الحذف، قد أقبلت كالليل يكسع بعضها بعضاً، أمام كل رفقةٍ طيرٌ يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق، فجاءت حتى إذا حاذت بعسكر القوم [وكدت]<sup>(٣)</sup> فوق رؤوسهم، فلما توافت الرجال كلها أهالت الطير ما في مناقيرها على من تحتها، مكتوب في كل حجر اسمُ صاحبه، ثم إنها انصاعت راجعة من حيث جاءت، فلما أصبحت انحطت من ذروة الجبل فمشيا ربوة فلم يؤنسا أحداً ثم دنوا ربوة فلم يسمعا حساً فقالوا: بات القوم [ساهرين]<sup>(٤)</sup>، فأصبحوا نياماً، فلما دنوا من عسكر القوم فإذا هم خامدون، وكان يقع

(١) ما بين القوسين زيادة من المطبوع وهي لازمة تمام المعنى.

(٢) الجراد.

(٣) أقامت وقصدت وأصاب.

(٤) في «ب» سامدين .

## الْمَجْعَلِ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾

١/٢٠١ الحجر على بيضة<sup>(١)</sup> أحدهم فيخرقها حتى يقع في دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر في الأرض من شدة وقعه، فعمد عبد المطلب فأخذ فأساً / من فؤوسهم فحفر حتى أعمق في الأرض فملاؤه من أموالهم، من الذهب الأحمر والجوهر، وحفر لصاحبه حفرة فملاؤها كذلك، ثم قال لأبي مسعود: هات فاختر إن شئت حفرتي وإن شئت حفرتك، وإن شئت فهما لك معاً، قال أبو مسعود: اختر لي على نفسك، فقال عبد المطلب إني لم آل أن أجعل أجود المتاع في حفرتي فهو لك، وجلس كل واحد منهما على حفرة، ونادى عبد المطلب في الناس، فتراجعوا وأصابوا من فضلها حتى ضاقوا به ذرعاً، وساد عبد المطلب بذلك قريشاً وأعطته المقادة، فلم يزل عبد المطلب وأبو مسعود في أهليهما في غنى من ذلك المال، ودفع الله عن كعبته وبيته.

واختلفوا في تاريخ عام الفيل؛ فقال مقاتل: كان قبل مولد النبي ﷺ بأربعين سنة.

وقال الكلبي: بثلاث وعشرين سنة.

والأكثر على أنه كان في العام الذي وُلِدَ فيه رسول الله ﷺ.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾؟ قال مقاتل: كان معهم فيل واحد. وقال الضحاك: كانت الفيلة ثمانية. وقيل اثنا عشر، سوى الفيل الأعظم، وإنما وُحِدَ لأنه نسبهم إلى الفيل الأعظم. وقيل: لِيُوقَاكَ رُؤُوسَ الْآيِ .

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾، «كيدهم» يعني مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة. وقوله: «في تضليل» عما أرادوا، وأضل كيدهم حتى لم يصلوا إلى الكعبة، وإلى ما أرادوه بكيدهم. قال مقاتل: في خسارة، وقيل: في بطلان.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضاً. وقيل: أقاطيع كالإبل المؤبلة. قال أبو عبيدة. أبابيل جماعات في تفرقة، يقال: جاءت الخيل أبابيل من ها هنا وها هنا.

قال الفراء: لا واحد لها من لفظها. وقيل: واحدها إِبَالَةٌ<sup>(٢)</sup>. وقال الكسائي: إني كنت أسمع

(١) ما يلبس على الرأس لوقايته في القتال.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٩٢/٣.

## تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

النحويين يقولون: واحدها أبول، مثل عجول وعجاجيل<sup>(١)</sup>.

وقيل: واحدها من [لفظها]<sup>(٢)</sup> إيل.

قال ابن عباس: كانت طيراً لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأف الكلاب<sup>(٣)</sup>.

وقال عكرمة: لها رؤوس كرؤوس السباع. قال الربيع: لها أنياب كأنياب السباع.

وقال سعيد بن جبير: خضر لها مناقير صفر. وقال قتادة: طير سود جاءت من قبل البحر فوجاً فوجاً مع كل طائر ثلاثة أحجار؛ حجران في رجله، وحجر في منقاره، لا تصيب شيئاً إلا هشمته.

﴿ترميمهم بحجارة من سجيل﴾، قال [ابن عباس]<sup>(٤)</sup> وابن مسعود: صاحت الطير ورمته بالحجارة، فبعث الله ريحاً فضربت الحجارة فزادتها شدة فما وقع منها حجر على رجل إلا خرج من الجانب الآخر، وإن وقع على رأسه خرج من دبره.

﴿فجعلهم كعصفٍ مأكول﴾، كزرع وتين أكلته الدواب فرائته فييس وتفرقت أجزاءه. شبه تقطع أوصالهم بتفريق أجزاء الروث. قال مجاهد: «العصف» ورق الحنطة. وقال قتادة: هو التين. وقال عكرمة: كالحب إذا أكل فصار أجوف. وقال ابن عباس: هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف له.

(١) ذكر الفراء العبارة في الموضع السابق على النحو التالي: «وقد قال بعض النحويين وهو الكسائي: كنت أسمع النحويين يقولون: أبوك مثل العجول والعجاجيل».

(٢) ساقط من «ا».

(٣) أخرجه الطبري: ٢٩٧/٣٠.

وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٦٣٠/٨ عزوه لابن أبي شبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٤) ساقط من «ب».





سورة  
قالبش



## سُورَةُ قُرَيْشٍ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ ۝١

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ﴾، قرأ أبو جعفر: «لِيلَافٍ» بغير همز «الإفهم» طلباً للخفة، وقرأ ابن عامر ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ﴾ بهمزة مختلصة من غير ياء بعدها [على وزن لغلاف]<sup>(٢)</sup>، وقرأ الآخرون بهمزة مشبعة وياء بعدها، واتفقوا - غير أبي جعفر - في «إيلافهم» أنها يياء بعد الهمزة، إلا عبد الوهاب بن فليح عن ابن كثير فإنه قرأ: «إِلْفِهِمْ» ساكنة اللام بغير ياء.

وعدَّ بعضهم سورة الفيل وهذه السورة واحدة؛ منهم أبي بن كعب، لا فصل بينهما في مصحفه، وقالوا: اللام في «إيلاف» تتعلق بالسورة التي قبلها، وذلك أن الله تعالى ذكر أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة، وقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال الزجاج: المعنى: جعلهم كعصف مأكول لإيلاف عريش، أي [يريد إهلاك أهل]<sup>(٤)</sup> الفيل لتبقى قريش، [وما ألفوا من]<sup>(٥)</sup> رحلة الشتاء والصيف.

وقال مجاهد: ألفوا ذلك فلا يشق عليهم في الشتاء والصيف<sup>(٦)</sup>.

والعامة على أنهما سورتان، واختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله «إيلاف»، قال الكسائي،

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت (إيلاف قريش) بمكة .

انظر الدر المنثور: ٦٣٤/٨ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٣) انظر: فتح الباري: ٧٣٠/٨ .

(٤) في «ب» أهلك أصحاب .

(٥) في «ا» قال الفراء: ... وبالرجوع إلى الفراء: ٢٩٣/٣ نجد قوله: «كأنه قال: ذلك إلى نعمته عليهم في رحلة الشتاء والصيف» .

(٦) انظر: فتح الباري: ٧٣٠/٨ .

والأخفش: هي لام التعجب، يقول: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة ربّ هذا البيت، ثم أمرهم بعبادته كما تقول في الكلام لزيد وإكرامنا إياه على وجه التعجب: اعجبوا لذلك. والعرب إذا جاءت بهذه اللام اكتفوا بها دليلاً على التعجب من إظهار الفعل منه.

وقال الزجاج: هي مردودة إلى ما بعدها، تقديره: فليعبدوا ربّ هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف.

وقال [ابن عيينة]:<sup>(١)</sup> لنعمتي على قريش.

وقريش هم ولد النضر بن كنانة، وكل من ولده النضر فهو قرشي، ومن لم يلد له النضر فليس بقرشي.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أخبرنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي، أخبرنا عبد الله بن مسلم أبو بكر الجوربدي، حدثنا يونس بن عبد الأعلى الصدفي، أخبرنا بشر بن بكر عن الأوزاعي، حدثني شداد أبو عمار، حدثنا واثلة بن الأسقع، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى من كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»<sup>(٢)</sup>.

وسموا قريشاً من القرش، والقرش وهو التكسب والجمع، يقال: فلان يقرش لعياله ويقرش أي يكتسب، وهم كانوا تجاراً حراساً على جمع المال والإفضال.

وقال أبو ريحانة:<sup>(٣)</sup> سأل معاوية عبد الله بن عباس: لِمَ سُميت قريش قريشاً؟ قال: لدابة تكون في البحر من أعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا أكلته، وهي تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلو، قال: وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم، فأنشده/ شعر الجمحي:

وَقَرِيشٌ هِيَ الَّتِي تَسْكُنُ الْبَحْرَ      رَ، بِهَا سُمِّيَتْ قَرِيشٌ قُرَيْشًا  
سَلَطَتْ بِالْعُلُوِّ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ      رَ عَلَى سَائِرِ الْبُحُورِ جُيُوشًا  
تَأْكُلُ الْغَثَّ وَالسَّمِينَ وَلَا تَتَرَكُ      رَكَ فِيهِ لَذِي الْجَنَاحَيْنِ رِيشًا

(١) في «ب» أبو عبيدة.

(٢) أخرجه مسلم في الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ برقم (٢٢٧٦): ١٧٨٢/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٩٤/١٣.

(٣) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٠٢/٢ وعزاه البيهقي.

وانظر: الدر المنثور: ٦٣٨/٨.

# إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

هكذا في الكتاب حي قريش يأكلون البلاد أكلا [كميشا]<sup>(١)</sup>  
ولهم في آخر الزمان نبئ يُكثِرُ القتل فيهم والخُموشا

قوله تعالى: ﴿إِلَافِهِمْ﴾، بدل من الإيلاف الأول، ﴿رحلة الشتاء والصيف﴾، «رحلة» نصب على المصدر، أي ارتحلهم رحلة الشتاء والصيف.

روى عكرمة، وسعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانوا يُشتون بمكة ويُصَيِّفون بالطائف، فأمرهم الله تعالى أن يقيموا بالحرم ويعبدوا ربَّ هذا البيت<sup>(٢)</sup>.

وقال الآخرون: كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة، إحداها في الشتاء إلى اليمن لأنها أدفاً، والأخرى في الصيف إلى الشام.

وكان الحرم وادياً جذباً لا زرع فيه ولا ضرع، وكانت قريش تعيش بتجارته ورحلتهم، وكان لا يتعرض لهم أحد بسوء، كانوا يقولون: قريش سكان حرم الله وولاة بيته فلولاً الرحلتان لم يكن لهم بمكة مقام، ولولا الأمن بجوار البيت لم يقدرُوا على التصرف، وشق عليهم الاختلاف إلى اليمن والشام فأخصبت تباله وجرش من بلاد اليمن، فحملوا الطعام إلى مكة، أهل الساحل من البحر على السفن، وأهل البر على الإبل والحمير، فألقى أهل الساحل بجدة، وأهل البر بالمحصب، وأخصب الشام فحملوا الطعام إلى مكة فألقوا بالأبطح، فامتاروا من قريب وكفاهم الله مؤنة الرحلتين، وأمرهم بعبادة ربَّ البيت فقال:

﴿فليعبدوا ربَّ هذا البيت﴾، أي الكعبة.

﴿الذي أطعمهم من جوع﴾، أي من بعد جوع يحمل الميرة إلى مكة، ﴿وآمنهم من خوف﴾، بالحرم وكونهم من أهل [مكة]<sup>(٣)</sup> حتى لم يتعرض لهم [في رحلتهم]<sup>(٤)</sup>.

(١) في «ب» نكيشا، وما أثبت هو الصواب والمعنى: سريماً.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٠٨/٣٠، والنسائي في التفسير ٥٥٢/٢ بإسناد حسن. وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦٣٥/٨ لابن أبي حاتم وابن مردويه والضياء في المختارة.

(٣) ساقط من «ب».

(٤) ساقط من «ا».

وقال عطاء عن ابن عباس: إنهم كانوا في ضرٍّ ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين، وكانوا يقسمون ربهم بين الفقير والغني حتى كان فقيرهم كغنيهم.

قال الكلبي: <sup>(١)</sup> وكان أول من حمل [السمر] <sup>(٢)</sup> من الشام ورحل إليها الإبل: هاشم بن عبد مناف، وفيه يقول الشاعر <sup>(٣)</sup>:

|                                                      |                                                |
|------------------------------------------------------|------------------------------------------------|
| قل للذي طلب السماحة والنُدَى                         | هَلَا مررت بآل عبدِ منافِ                      |
| هَلَا مررت بهم تريد قِراهم                           | منعوك من ضرٍّ ومن أكفافِ                       |
| الرائشين وليس يُوجدُ رائش                            | والقائلين هَلَمْ للأضيافِ                      |
| والخالطين فقيرهم بغنيهم                              | حتى يكونَ فقيرُهم كالكَافي                     |
| والقائمين بكل وعدٍ صادق                              | والراجلين برحلة الإيلافِ                       |
| عَمُرُوا [العلا] <sup>(٤)</sup> هَشَمَ الثريدَ لقومه | ورجالُ مكةَ [مُسْتُونَ] <sup>(٥)</sup> عَجَافِ |
| سَفَرَيْنِ سنهما له ولقومِهِ                         | سَفَرَ الشتاءِ ورحلةَ الأَصِيفِ                |

وقال الضحاك والربيع وسفيان: «وآمنهم من خوف» من خوف الجذام، فلا يصيبهم ببلدهم الجذام.

(١) انظر: الطبري: ٢٥٢/٢، البداية والنهاية: ٢٥٣/٢.

(٢) في «هـ» السمن.

(٣) هو ابن الزُّبَيْرِ. كما في البداية والنهاية والطبري.

(٤) في «هـ» العالي. وفي البداية والنهاية والطبري: الذي.

(٥) مجدبون.

المسورة  
الحمد





## سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾  
وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ  
صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾

«أرأيت الذي يكذب بالدين»، قال مقاتل: نزلت في العاص بن وائل السهمي<sup>(٢)</sup>. وقال  
السُّدي، ومقاتل بن حيان، وابن كيسان: في الوليد بن المغيرة. قال الضحاك: في [عمرو]<sup>(٣)</sup> بن  
عائد المخزومي. وقال عطاء عن ابن عباس: في رجل من المنافقين<sup>(٤)</sup>.

ومعنى «يكذب بالدين» أي بالجزاء والحساب.

«فذلك الذي يدعُ اليتيم»، يقهره ويدفعه عن حقه، والدعُ: الدفع بالعنف والجفوة.

«ولا يحضُ على طعام المسكين»، لا يطعمه ولا يأمر بإطعامه، لأنه يكذب بالجزاء.

«فويل للمصلين \* الذين هم عن صلاتهم ساهون»، [أي: عن مواقيتها غافلون]<sup>(٥)</sup>.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، أخبرنا أبو عبد الله

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: أنزلت (أرأيت الذي يكذب) بمكة .

انظر: الدر المنثور: ٦٤١/٨ .

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي صفحة (٥٠٤) .

(٣) في «ه» عمر والصحيح ما أثبت.

(٤) انظر: زاد المسير: ٢٤٣/٩-٢٤٤ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من «ب».

## الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

محمد بن عبد الله الصفار، أخبرنا أبو جعفر محمد بن غالب بن تمام الضبي، حدثنا حَرَمِيُّ بن حفص [القَسْمَلِيُّ] <sup>(١)</sup> حدثنا عكرمة بن إبراهيم الأزدي، حدثنا [عبد الملك] <sup>(٢)</sup> بن عمير عن مصعب بن [سعد] <sup>(٣)</sup> عن أبيه أنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن «الذين هم عن صلاتهم ساهون»، قال: «إضاعة الوقت» <sup>(٤)</sup>.

قال ابن عباس: هم المنافقون يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس، ويصلونها في العلانية إذا حضروا <sup>(٥)</sup>، لقوله تعالى: «الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ». وقال في وصف المنافقين: «وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يُرَاءُونَ النَّاسَ» (النساء-١٤٢).

وقال قتادة: ساء عنها لا يبالي صَلَّى أم لم يصل.

وقيل: لا يرجون لها ثواباً إن صلّوا، ولا يخافون عقاباً إن تركوا.

وقال مجاهد: غافلون عنها يتهاونون بها.

وقال الحسن: هو الذي إن صلاها صلاها رياءً، وإن فاتته لم يندم.

وقال أبو العالية: لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها وسجودها.

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾، روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: هي الزكاة، وهو قول ابن عمر، والحسن، وكتادة والضحاك.

وقال عبد الله بن مسعود: «الماعون»: الفأس، والدلو، والقدر، وأشباه ذلك <sup>(٦)</sup>، وهي رواية

(١) في «أه القاسم»، والصحيح ما أثبت كما في التهذيب.

(٢) في «أه عبد الكريم»، والصحيح ما أثبت كما في التهذيب وشرح السنة.

(٣) في «أه سعيد»، والصحيح ما أثبت كما في التهذيب وشرح السنة.

(٤) أخرجه البيهقي في السنن: ٢١٤/٢، ٢١٥ مرفوعاً وموقوفاً، وأبو يعلى في المسند: موقوفاً ٣٣٦/١ والطبري: ٣١١/٣٠، والمصنف في شرح السنة: ٢٤٦/٢.

قال البيهقي في السنن: وهذا الحديث إنما يصح موقوفاً، وعكرمة بن إبراهيم قد ضعفه يحيى بن معين وغيره من أئمة الحديث. وقال الهيثمي في المجمع: ٣٢٥/١: رواه البزار وأبو يعلى مرفوعاً وموقوفاً ... وقال البزار: رواه الحفاظ موقوفاً ولم يرفعه غير عكرمة.

وراجع الدر المنثور: ٦٤٢/٨.

(٥) أخرجه الطبري: ٣١/٣٠.

وزاد السيوطي في الدر: ٦٤٢/٨ عزوه لابن مردويه.

(٦) قال الحفاظ ابن حجر في فتح الباري: ٧٣١/٨: «وقال بعض العرب: الماعون الماء وقال عكرمة: أعلاها الزكاة المفروضة =

سعيد بن جبير عن ابن عباس.

قال مجاهد: «الماعون» [العارية]. وقال عكرمة<sup>(١)</sup>: أعلاها الزكاة المعروفة، [وأدناها عارية المتاع]<sup>(٢)</sup>.

وقال محمد بن كعب والكلبي: «الماعون»: المعروف الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم.  
قال قطرب: أصل الماعون من القلة، تقول العرب: ما له: سعة ولا منعة، أي شيء قليل، فسمى الزكاة والصدقة ماعوناً لأنه قليل من كثير.  
وقيل: «الماعون»: ما لا يحل منعه، مثل: الماء، والملح، والنار<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>.

= وأدناها عارية المتاع، أما القول الأول فقال الفراء: قال بعضهم: إن الماعون المعروف كله، حتى ذكر القصعة والدلو والفأس، ولعله أراد ابن مسعود فإن الطبري أخرجه من طريق سلمة بن كهيل عن أبي المغيرة: سأل رجل ابن عمر عن الماعون قال: المال الذي لا يؤدي حقه، قال قلت: إن ابن مسعود يقول هو المتاع الذي يتعاطاه الناس بينهم، قال هو ما أقول لك، وأخرجه الحاكم أيضاً وزاد في رواية أخرى عن ابن مسعود هو الدلو والقدر والفأس. وكذا أخرجه أبو داود والنسائي عن ابن مسعود بلفظ (كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدلو والقدر) وإسناده صحيح إلى ابن مسعود. وأخرجه البزار والطبراني من حديث ابن مسعود مرفوعاً صريحاً.

- (١) ما بين القوسين ساقط من «ب».
- (٢) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ٧٣١/٨: «وأما قول عكرمة فوصله سعيد بن منصور بإسناد إليه باللفظ المذكور، وأخرج الطبري والحاكم من طريق مجاهد عن علي مثله».
- (٣) ما بين القوسين زيادة من «ب».
- (٤) قال صاحب البحر المحيط: ٥١٨/٨: «يعني بالماعون الزكاة وهذا القول يناسبه ما ذكره قطرب من أن أصله من المعن، وهو الشيء القليل فسميت الزكاة ماعوناً لأنها قليل من كثير، وكذلك الصدقة وغيرها».



سُورَةُ  
الْكَافِرَاتِ



## سُورَةُ الْكَوْثَرِ

سورة الكوثر <sup>(١)</sup> مكية <sup>(٢)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ١

٢٠٢ / محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد / بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا علي بن مسهر عن المختار - يعني ابن فلقل - عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءً ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت عليّ آناً سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم: «إنا أعطيناك الكوثر \* فصل لربك وانحر \* إن شاتلك هو الأبر»، ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعذني به ري عز وجل عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آينته عدد النجوم، فيحتلج العبد منهم، فأقول: رب إنه مني، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك» <sup>(٣)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عمرو بن محمد، حدثنا هشيم، حدثنا أبو بشر وعطاء بن السائب، عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس، قال: «الكوثر»: الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر قلت لسعيد ابن جبير: إن أناساً يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه <sup>(٤)</sup>.

(١) في «أ» سورة إنا أعطيناك .

(٢) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة «إنا أعطيناك الكوثر» بمكة.

انظر الدر المنثور: ٦٤٦/٨.

(٣) أخرجه مسلم في الصلاة، باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة برقم: (٤٠٠): ٣٠٠/١.

(٤) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة الكوثر - ٧٣١/٨، وفي الرقاق والمصنف في شرح السنة: ١٦٧/١٥ - ١٦٨.



قال الحسن: هو القرآن العظيم.

قال عكرمة: النبوة والكتاب<sup>(١)</sup>.

وقال أهل اللغة: الكوثر: فَوَعْل [من الكثرة، كنوفل: فَوَعَلَ]<sup>(٢)</sup> من النفل، والعرب تسمي كل شيء [كثير في العدد أو]<sup>(٣)</sup> كثير في القدر والخطر: كوثرًا. والمعروف: أنه نهر في الجنة أعطاه الله رسوله ﷺ كما جاء في الحديث:

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني، أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري، حدثنا أحمد بن [علي]<sup>(٤)</sup> الكشميهني، حدثنا علي بن حُجْر، حدثنا إسماعيل بن جعفر، حدثنا حُمَيْد عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: دخلت الجنة فإذا أنا بنهر يجري بياضه [بياضُ] اللَّبَنِ، وأحلى من العسل، وحافاته خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي فإذا الثرى مسك أذفر، فقلت لجبريل: ما هذا؟ قال الكوثر الذي أعطاكه الله عز وجل<sup>(٥)</sup>.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الداوودي، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى الصِّلْت، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أخبرنا أبو سعيد الأشج، حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة، حافاته الذهب، مجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وأشدُّ بياضاً من الثلج»<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه هناد في الزهد: ٢٢١/١، وابن أبي شيبة في المصنف: ٥٠٨/١١، والطبري: ٣٢٢/٣٠، وإسناده صحيح.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٤) في «أ» عبد الله والصحيح ما أثبت.

(٥) ساقط من «أ».

(٦) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٠٣/٣، ١١٥، من طريق حميد عن أنس، وهناد في الزهد: ٢١١/١، والنسائي في التفسير: ٥٥٩/٢، والطبري: ٣٢٣/٣٠-٣٢٤، وابن أبي شيبة في المصنف: ١٤٧/١٣، والآجري في الشريعة صفحة ٣٩٦ والمصنف في شرح السنة: ١٧٠/١٥.

وأخرجه البخاري من طريق قتادة عن أنس بنحوه، في الرقاق باب في الحوض: ٤٦٤/١١.

(٧) حديث صحيح أخرجه أبو داود في الرقاق: ٣٣٧/٢، والترمذي في التفسير- تفسير سورة الكوثر: ٢٩٤/٩ وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه في الزهد برقم: (٤٣٣٤): ١٤٥٠/٢، من طرق عن عطاء بن أبي السائب عن محارب ابن دثار عن ابن عمر، والدارمي في الرقاق، باب في الكوثر: ٣٣٨/٢، والحاكم: ١٧١/٣، وهناد في الزهد: ٢٠٨/١، والإمام أحمد: ٦٧/٢، ١٥٨، والطبري: ٣٢٤/٣٠، والمصنف في شرح السنة: ١٦٨/١٥-١٦٩، وقال الشيخ الأرناؤوط: ... وعطاء سمع من محارب قبل الاختلاط.

وانظر: فتح الباري: ٧٣٢/٨، والزهد لهناد: ٢٠٩/١ مع تعليق المحقق.

## فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا نافع [بن عمر، عن] <sup>(١)</sup> ابن أبي مليكة قال: قال عبد الله بن عمرو: قال رسول الله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزائه كنجوم السماء، من يشرب منها لم يظمأ أبداً» <sup>(٢)</sup>.

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، أخبرنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البراز، أخبرنا محمد بن زكريا العذافري، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، حدثنا عبد الرزاق، أنا معمر عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «[أنا عند عُقْرِ حوضي] <sup>(٣)</sup> أذودُ الناسَ عنه لأهل اليمن»، إني لأضربهم بعصاي حتى يرفضوا عنه، «وإنه [لَيَعْتُ] <sup>(٤)</sup> فيه مِيزَابَانِ من الجنة، أحدهما من ورق، والآخر من ذهب، طوله ما بين بُصْرَى وصَنْعَاءَ، أو ما بين أُيْلَةَ ومكة، أو من مقامي هذا إلى عُمان» <sup>(٥)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾، قال محمد بن كعب: إن أناساً كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله، فأمر الله نبيه ﷺ أن يصلي وينحر لله عز وجل <sup>(٦)</sup>.

وقال عكرمة وعطاء وقتادة: فصلُّ لربك صلاة العيد يوم النحر، وانحر نسكك.

وقال سعيد بن جبير، ومجاهد: فصلُّ الصلوات المفروضة بجمع، وانحر البُذْن بيمينى <sup>(٧)</sup>.

وروي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: «فصل لربك وانحر» قال: وَضَعُ اليَمِينِ على الشمال في الصلاة عند النحر <sup>(٨)</sup>.

(١) ساقط من «ب».

(٢) أخرجه مسلم في الرقاق، باب في الحوض: ٤٦٣/١١، ومسلم في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ برقم: (٢٢٩٢).

١٧٩٤/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٦٨/١٥.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ا» وعُقْرِ الحوض: مؤخره.

(٤) يدفق الماء فيه دفقا متتابعاً.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: ٤٠٦/١١، ومسلم في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته برقم: (٢٣٠١).

١٧٩٩/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٦٩/١٥.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٢٧/٣٠.

(٧) انظر: الدر المنثور: ٦٥١/٨.

(٨) يروى هذا أيضاً عن علي كما هو عند الطبري: ٣٢٥/٣٠ وعن الشعبي مثله ولا يصح.

وقد ساق الطبري: ٣٢٥/٣٠ - ٣٢٨ ثم قال: «وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً دون ما سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك تحرك اجعله له دون الأوثان، شكراً له على ما أعطاك =

## إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ شَأْنُكَ﴾، عدوك<sup>(١)</sup> ومبغضك، ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، هو الأقل الأدل المنقطع دابره<sup>(٢)</sup>.

نزلت في العاص بن وائل السهمي؛ وذلك أنه رأى النبي ﷺ يخرج من [باب] المسجد، وهو يدخل، فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا، وأناس من صناديد قريش جلوس في المساجد، فلما دخل العاص قالوا له: من الذي كنت تتحدث معه؟ قال: ذلك الأبتَر، يعني النبي ﷺ، وكان قد توفي ابن لرسول الله ﷺ من خديجة رضي الله عنها<sup>(٤)</sup>.

وذكر محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ قال: دعوه فإنه رجل أبتَر، لا عَقَبَ له فإذا هلك انقطع ذُكْرُه، فأنزل الله تعالى هذه السورة<sup>(٥)</sup>.

وقال عكرمة عن ابن عباس: نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من قريش، وذلك أنه لما قَدِمَ كعب مكة قالت له قريش: نحن أهل السقاية والسدانة، وأنت سيّد أهل المدينة، فنحن خير أم هذا [الصنوبر]<sup>(٦)</sup> المُنْتَبَر من قومه؟ فقال: بل أنتم خير منه، فنزلت: «ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت» (النساء-٥١). الآية، ونزل في الذين قالوا إنه أبتَر: ﴿إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾<sup>(٧)</sup> أي المنقطع من كل خير.

- = من الكرامة والخير الذي لا كفاء له، وخصك به من إعطائه إياك الكوثر. وقد استحسنة ابن كثير في تفسيره: ٥٦٠/٤.
- (١) ذكره البخاري تعليقاً عن ابن عباس في الفتح: (٧٣١/٨) ووصله ابن مردويه.
- (٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: ٥٦٠/٤: «فهووا لجهلهم أنه إذا مات بنوه انقطع ذكره ومات وحاشا وكلّا بل قد أبقي الله ذكره على رؤوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمراً على دوام الآباد، إلى يوم المحشر والمعاد، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم التناد». ساقط من «أ». (٣)
- (٤) أخرجه الطبري، ٣٢٩/٣٠، والواحد في أسباب النزول صفحة (٥٤١) وانظر: ابن كثير: ٥٦٠/٤، الدر المنثور: ٦٥٣/٨. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ٧٣٢/٨: «اختلف الناقلون في تعيين الشائء المذكور فقيل: هو العاص بن وائل وقيل: هو أبو جهل، وقيل: عقبة بن أبي معيط». وانظر: ابن كثير: ٥٦٠/٤ فقد ذكر أقوالاً آخر.
- (٥) أخرجه ابن إسحاق بلاغاً: ٣٩٣/١ من سيرة ابن هشام. وانظر الطبري: ٣٢٩/٣٠، وابن كثير: ٥٦٠/٤، والواحد في أسباب النزول صفحة: (٥٤١ - ٥٤٢)، والدر المنثور: ٦٥٢/٨.
- (٦) في «الصنوبر».
- (٧) أخرجه النسائي في التفسير: ٥٦٠/٢، والطبري: ٣٣٠/٣٠، وصححه ابن حبان برقم: (١٧٣١) من موارد الظمان. وذكره ابن كثير: ٥٦٠/٤ من رواية البزار (وليس عنده ذكر آية سورة النساء) وصحح إسناده. وزاد السيوطي في الدر: ٦٥٢/٨ عزوه لابن أبي حاتم وابن مردويه.

# سورة الكافرون



## سُورَةُ الْكَافِرُونَ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، إلى آخر السورة.

نزلت في رهط من قريش منهم: الحارث بن قيس السهمي، والعاص بن وائل، والوليد بن المغيرة، [والأسود]<sup>(٢)</sup> بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب بن أسد، وأمّية بن خلف، قالوا: يا محمد [هَلُمَّ فَاتَّبِعْ]<sup>(٣)</sup> ديننا وتبع دينك ونشركك في أمرنا كلّهُ، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فإن كان الذي جئت به خيراً كنا قد شركناك فيه وأخذنا حظّاً منه، وإن كان الذي بأيدينا خيراً كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظّك منه، فقال: معاذ الله أن أشرك به غيره، قالوا: فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك، فقال: حتى أنظر ما يأتي من عند ربي، فأنزل الله عزّ وجلّ: «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» إلى آخر السورة، فغداً رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملاء من قريش، فقام على رؤوسهم ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة، فأيسوا منه عند ذلك وآذوه وأصحابه<sup>(٤)</sup>. ومعنى الآية: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، في الحال ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، في الحال،

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: نزلت سورة (قل يا أيها الكافرون) بمكة. انظر: الدر المنثور: ٦٥٤/٨.

(٢) في «أ» الأسد، والصحيح ما أثبت.

(٣) في «أ» هل تتبع.

(٤) أخرجه ابن إسحاق، سورة ابن هشام: ٣٦٢/١.

وانظر الطبري: ٣٣١/٣٠، ابن كثير: ٥٦١/٤، أسباب النزول للواحدي صفحة (٥٤٣).

قال الحافظ في الفتح: ٣٣٣/٨ وقد أخرج ابن أبي حاتم من حديث ابن عباس قال: قالت قريش للنبي ﷺ: كف عن آلهتنا فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل فاعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فنزلت. وفي إسناد أبي خلف عبد الله بن عيسى، وهو ضعيف.

مَا أَعْبُدُ ﴿٢﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾، في الاستقبال، ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾، في الاستقبال<sup>(١)</sup>.

وهذا خطاب لمن سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون.

وقوله: «[ما]<sup>(٢)</sup> أعبد» أي: مَنْ أعبد، لكنه ذكره لمقابلة: «ما تعبدون».

ووجه التكرار: قال أكثر أهل المعاني: هو أن القرآن نزل بلسان العرب، وعلى مجاز خطابهم، ومن مذاهبيهم التكرار، إرادة التوكيد والإفهام كما أن من مذاهبيهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز.

وقال القتيبي: تكرار الكلام لتكرار الوقت، وذلك أنهم قالوا: إن سرَّك أن ندخل في دينك عاماً فادخل في ديننا عاماً، فنزلت هذه السورة.

﴿لکم دینکم﴾، الشرك، ﴿ولی دین﴾<sup>(٣)</sup> الإسلام، قرأ ابن كثير، ونافع، وحفص: ﴿ولی﴾ بفتح الياء، قرأ الآخرون بإسكانها. [وهذه الآية منسوخة بآية السيف]<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: البخاري : ٧٣٣/٨ ترجمة الباب.

(٢) في «ب» لا.

(٣) قال الفراء في معاني القرآن: ٢٩٧/٣ «ولم يقل «ديني» لأن الآيات بالنون فحذفت الياء، كما قال: «يهدين» و «يشفين».

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».

وقوله: وهذه الآية منسوخة بآية السيف:

نقل ذلك عن ابن عباس، وهذه الآية لا تعارض بينها وبين آية السيف، فلا مجال للقول فيها بالنسخ، لأن الجمع بينهما ممكن، ولا يصار إلى القول بالنسخ إلا بعد تعذر الجمع بين الآيتين.

ومعنى الآية (لكم دينكم) فلا تتركوه أبداً، لأنه ختم على قلوبكم (ولي دين) الذي لا أتركه أبداً، وذلك أن المشركين - كما تقدم - طلبوا من الرسول ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة فنزلت السورة بياناً لحالهم وتقيساً للرسول ﷺ من إيمان أشخاص بأعيانهم وعدم الطمع في إيمانهم.

انظر: تفسير الطبري: ٣٣٠/٣، الناسخ والمنسوخ للبغدادى، صفحة: (١٦١-١٦٢) مع التعليق.

وراجع فيما سبق: ٣٢/٣ تعليق (١).

السورة  
التي  
في  
الكتاب





## سُورَةُ النَّصْرِ

مدنية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، أراد فتح مكة.

وكانت قصته- على ما ذكر محمد بن إسحاق وأصحاب الأخبار- أن رسول الله ﷺ لما صالح قريشاً عام الحديبية، واصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض، وأنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فدخلت بنو بكر في عقد قريش، ودخلت خُزاعة في عهد رسول الله ﷺ، وكان بينهما شرٌّ قديم.

ثم إن بني بكر عدت على خزاعة، وهم على ماء لهم بأسفل مكة، يقال له «الْوَيْبَر»، فخرج نوفل بن معاوية الدؤلي في بني الدئل من بني بكر حتى بيّت خزاعة، وليس كلُّ بكرٍ تابعه، فأصابوا منهم رجلاً وتحاربوا واقتتلوا، ورفدت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل مستخفياً بالليل، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم، وكان ممن أعان بني بكر من قريش على خزاعة ليلتذ بأنفسهم متكرين: صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، مع عبيدهم فلما انتهوا إلى الحرم قالت بنو بكر: يا نوفل إنا دخلنا الحرم، إلَهْكَ إلَهْكَ، فقال كلمة عظيمة: إنه لا إله لي اليوم، [يا بني بكر<sup>(٢)</sup>] أُصِيبُوا ثَأْرَكُمْ فيه.

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: أنزل بالمدينة (إذا جاء نصر الله والفتح).

وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير قال: أنزل (إذا جاء نصر الله) بالمدينة.

وأخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار قال: نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) كلها بالمدينة بعد فتح مكة ودخول الناس في الدين ينعي إليه نفسه.

انظر: الدر المنثور: ٦٥٩/٨.

(٢) من سيرة ابن هشام تمام المعنى.

فلما تظاهرت قريش على خزاعة وأصابوا منهم ونقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد بما استحلوا من خزاعة- وكانوا في عقده- خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، وكان ذلك مما هاج فتح مكة، فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهري الناس، فقال:

لاهم إني ناشد محمدا حلف أينا وأيه الأثلدا  
إن قريشاً أخلفوك المؤعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا  
الآيات كما ذكرنا في سورة التوبة<sup>(١)</sup>.

فقال رسول الله ﷺ: «قد نُصِرْتُ يا عمرو بن سالم»، ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان من السماء، فقال: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب»، وهم رهط عمرو بن سالم. ثم خرج بُدَيْل بن ورقاء في نفرٍ من خزاعة، حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأخبروه بما أصيب منهم [وبمظاهرة]<sup>(٢)</sup> قريش بني بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة، وقد كان رسول الله ﷺ قال للناس: كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليشد العقد ويزيد في المدة.

ومضى بدیل بن ورقاء فلقي أبا سفيان بعُصفان، قد بعثه قريش إلى رسول الله ﷺ ليشد العقد ويزيد في المدة، وقد رهبوا الذي صنعوا، فلما لقي أبو سفيان بُدَيْلاً قال: من أين أقبلت يا بُدَيْل؟ وظن أنه قد أتى رسول الله ﷺ، قال: سرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي، قال: أو ما أتيت محمداً؟ قال: لا، فلما راح بُدَيْل إلى مكة قال أبو سفيان: لكن كان جاء المدينة لقد علف ناقته بها التوى، فعمد إلى مَبْرَك ناقته فأخذ من بعرها ففتته فرأى فيه التوى، فقال: أحلف بالله لقد جاء بُدَيْل محمداً.

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: يابنية أرغبت بي عن هذا الفراش أم أرغبت به عني؟ قالت: بلى هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس على فراش / رسول الله ﷺ، فقال: والله لقد أصابك يابنية بعدي [شيء]<sup>(٣)</sup>.

١/٢٠٣

(١) راجع فيما سبق: ٩/٤-١٠.

(٢) المعاونة.

(٣) في «ب» شر.

ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلّمه فلم يرد عليه شيئاً [غير أنه قال: نقض أهل مكة العهد]<sup>(١)</sup>.

ثم ذهب إلى أبي بكر فكلّمه أن يكلم له رسول الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر ابن الخطاب فكلّمه فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ؟! فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به، ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعندها الحسن بن علي رضي الله عنهما، غلام يدب بين يديها، فقال: يا علي إنك أمس القوم بي رجماً وأقربهم مني قرابة، وقد جئت في حاجة فلا أرجع كما جئت خائباً، اشفع لنا إلى رسول الله ﷺ، فقال: ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه، فالتفت إلى فاطمة فقال: يا بنت محمد، هل لك أن تأمرني بئيك هذا فيجبر بين الناس فيكون سيّد العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ بئي أن يجبر بين الناس، وما يجبر على رسول الله ﷺ أحد، فقال: يا أبا الحسن - إني أرى الأمور قد اشتدت عليّ فانصحنى، قال: والله ما أعلم شيئاً يغني عنك، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأجر بين الناس، ثم الحق بأرضك، قال أوترى ذلك مغنياً عني شيئاً؟ قال: لا والله، ما أظن، ولكن لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان في المسجد فقال: يا أيها الناس إني قد أجرت بين الناس، ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكلّمته والله ما رد عليّ شيئاً ثم جئت ابن أبي قحافة، فلم أجد عنده خيراً، فجئت ابن الخطاب فوجدته أعدي القوم، ثم أتيت علي ابن أبي طالب فوجدته ألين القوم، وقد أشار عليّ بشيء صنعتُهُ، فوالله ما أدري هل [يغنيني]<sup>(٢)</sup> شيئاً أم لا؟ قالوا: وماذا أمرك؟ قال: أمرني أن أجبر بين الناس ففعلت، قالوا: فهل أجاز ذلك محمد ﷺ؟ قال: لا، قالوا: والله إن زاد عليّ على أن لعب بك، فلا يغني عنا ما قلت، قال: لا والله ما وجدت غير ذلك.

قال: وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز، وأمر أهله أن يجهّزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها وهي تصلح بعض جهاز رسول الله ﷺ، فقال: أي بنية أمركم رسول الله ﷺ بأن تجهّزوه؟ قالت: نعم فتجهّز، قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: ما أدري. ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجد والتهيو، وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى [تُبَغَّتْهَا]<sup>(٣)</sup> في بلادها، فتجهّز الناس.

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) في «ا» يغني عنا.

(٣) نفجوها.

وكتب حاطبُ بنُ أبي بلتعة كتاباً إلى قريش [- وفيه قصة<sup>(١)</sup>] ذكرناها في سورة الممتحنة-<sup>(٢)</sup> .

ثم استخلف رسول الله ﷺ على المدينة أبا رُهم كلثوم بن حُصَيْن بن خلف الغفاري، وخرج عامداً إلى مكة لعشر مَضِيَّين من رمضان سنة ثمانٍ، فصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكديد- ماء بين عُسْفَانِ وأَمَجٍّ - أفطر.

ثم مضى حتى نزل بمر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين، ولم يتخلف من المهاجرين والأنصار عنه أحد، فلما نزل بمر الظهران، وقد عميت الأخبار عن قريش، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ ولا يدرون ما هو فاعل، فخرج في تلك الليلة: أبو سُفْيَان بن حَرْب، وحكيم ابن حِزَام، وبُدَيْل بن ورقاء، يتحسسون الأخبار هل يجدون خبراً؟ وقد قال العباس بن عبد المطلب ليلئذ: وَأَصْبَحَ قريش، والله لئن [بغتها]<sup>(٣)</sup> رسول الله ﷺ في بلادها فدخل مكة عنوة إنها لهلك قريش إلى آخر الدهر.

فخرج العباس على بغلة رسول الله وقال: أخرج إلى الأراك لعلني أرى حطاباً أو صاحب لبي أو داخلاً يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ فيأتونه فيستأمنونه قبل أن يدخلها عليهم عنوة.

قال العباس فخرجت وإني -والله- لأطوف في الأراك ألتمس ما خرجت له إذ سمعت صوت أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء، وقد خرجوا يتحسسون الخبر، فسمعت أبا سفيان يقول: والله ما رأيت كالليلة قط نيراناً، وقال بُدَيْل: هذه والله نيرانُ خِزَاعَةَ [حَمَشْتَهَا]<sup>(٤)</sup> الحرب، فقال أبو سفيان: خِزَاعَةُ الأُم من ذلك وأذل، فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتي فقال: يا أبا الفضل، فقلت: نعم، فقال: مالك فداك أبي وأمي؟ قلت: ويحك يا أبا سفيان هذا، والله، رسول الله ﷺ قد جاء بما لا قبَل لكم به، بعشرة آلاف من المسلمين، قال: وما الحيلة؟ قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فاستأمنه، فردفني، ورجع أصحاباه فخرجت أركض به بغلة رسول الله ﷺ، كلما مرت بنار من نيران المسلمين فنظروا إليّ قالوا: / هذا عم رسول الله ﷺ، حتى مرت بنار عمر بن الخطاب، فقال: من هذا؟ وقام إليّ فلما رأى أبا سفيان على عَجْزِ الدابة، قال: أبو سفيان عدو الله!

ب/٢٠٣

(١) ساقط من «ب».

(٢) راجع فيما سبق: ٩١/٨ .

(٣) في «أ» دخلها.

(٤) أحرقتها.

الحمد لله الذي أمكن منك بغير عهد ولا عَقْد، ثم اشتدَّ نحو رسول الله ﷺ فركضتُ البغلة وسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء، فافتحمت عن البغلة فدخلتُ على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر، فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد، فدعني فلاضرب عنقه، فقلت: يا رسول الله إني قد أجزئته، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه وقلت: والله لا ينجيه الليلة أحدٌ دوني، فلما أكثر فيه عمر رضي الله عنه قلت: مهلاً يا عمر، فوالله ما تصنع هذا إلا أنه رجل من بني عبد مناف، ولو كان من بني عدِّي بن كعب ما قلت هذا. قال: مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، [وذلك لأنني أعلم أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم]<sup>(١)</sup>، فقال رسول الله ﷺ: «أذهب به يا عباس إلى رَحْلِكَ، فإذا أصبحت فأتني به»، قال: فذهبت إلى رَحْلِي فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه قال: «ويحك يا أبا سفيان [ألم يَأْنِ]»<sup>(٢)</sup> لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله إله غيره فقد أغنى عني شيئاً بعد، قال: ويحك يا أبا سفيان ألم يَأْنِ لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمي وما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أأنا هذه فإن في النفس منها [حتى الآن]<sup>(٣)</sup> شيئاً، قال العباس: قلت له: ويحك! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قبل أن يضرب عنقك، قال: فشهد شهادة الحق وأسلم، قال العباس: قلت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر، فاجعل له شيئاً، قال: نعم، مَنْ دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ: يا عباس، أحبسهُ بمَضِيقِ الوادي عند حَظْمِ<sup>(٤)</sup> الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها، قال: فخرجت به حتى حبسته حيث أمرني رسول الله ﷺ.

قال: ومررتُ به القبائل على راياتها، كلما مرث قبيلة قال: من هؤلاء يا عباس؟ قال: أقول: سليم، قال يقول: مالي ولِسليم، ثم تمر القبيلة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: مُزَيْنَةُ، فيقول: مالي ولمزينة، حتى نفذت القبائل لا تمر قبيلة إلا سألتني عنها، فإذا أخبرته يقول: مالي ولبني فلان حتى مرَّ رسول الله ﷺ في الخضراء، كتيبة رسول الله، فيها المهاجرون والأنصار، لا يُرى منهم إلا الحَدَق من الحديد، قال: سبحان الله من هؤلاء يا عباس؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار،

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) ألم يَجْنِ، يقال: آن الشيء يَجْنِ، وأنى يَأْنِي (كرمي يرمي) وأنى يَأْنِي (من باب فرج) كله بمعنى حان.

(٣) ساقط من «ب».

(٤) أنف الجبل، وهو شيء يخرج منه يضيق به الطريق.

فقال: والله ما لأحدٍ بهؤلاء من قِبَل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً، فقال: ويحك! إنها النبوة، قال: نعم إذاً.

فقلت: أَلَحَقِ الآنَ بقومك فحذّرهم، فخرج سريعاً حتى أتى مكة فصرخ في المسجد بأعلى صوته: يامعشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبَل لكم به، قالوا: فمه؟ قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: ويحك وما تغني عنا دارك؟ قال: ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.

قال: وجاء حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ فَأَسْلَمَا وَبَايَعَاهُ، فَلَمَّا بَايَعَاهُ بَعَثَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى قَرِيشٍ يَدْعُوَانِهِم إِلَى الْإِسْلَامِ.

ولما خرج حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءٍ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ عَامِدِينَ إِلَى مَكَّةَ بَعَثَ فِي إِثْرِهِمَا الزَّبِيرَ وَأَعْطَاهُ رَايَتَهُ وَأَمَّرَهُ عَلَى خَيْلِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكُزَ رَايَتَهُ بِأَعْلَى مَكَّةَ بِالْحُجُونِ، وَقَالَ: لَا تَبْرَحْ حَيْثُ أَمَرْتُكَ أَنْ تَرْكُزَ رَايَتِي حَتَّى آتِيكَ، وَمَنْ ثَمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ وَضَرَبَتْ هُنَاكَ قَبْتَهُ، وَأَمَرَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِيمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قِضَاعَةَ وَبَنِي سَلِيمٍ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ وَبِهَا بَنُو بَكْرٍ قَدْ اسْتَنْفَرْتَهُمْ قَرِيشٌ وَبَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةٍ وَمَنْ كَانَ مِنَ الْأَحَابِيشِ، أَمَرْتَهُمْ قَرِيشٌ أَنْ يَكُونُوا بِأَسْفَلِ مَكَّةَ، وَإِنْ صَفَوَانَ بَنِي أُمَيَّةٍ وَعُكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَسَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو، وَكَانُوا قَدْ جَمَعُوا أَنْاساً بِالْحَنْدَمَةِ لِيُقَاتِلُوا، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَالزَّبِيرِ حِينَ بَعَثَهُمَا: لَا تَقَاتِلَا إِلَّا مَنْ قَاتَلَكُمَ، وَأَمَرَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ أَنْ يَدْخُلَ فِي بَعْضِ النَّاسِ مِنْ كُذْيٍ، فَقَالَ سَعْدٌ حِينَ تَوَجَّهَ دَاخِلًا: الْيَوْمَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تُسْتَحْلُ الْحَرَمَةُ، فَسَمِعَهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْمَعْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمَا نَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي قَرِيشٍ صَوْلَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: أَدْرِكْهُ فَخُذِ الرَّايَةَ مِنْهُ، فَكَانَ أَنْتَ الَّذِي تَدْخُلُ بِهَا، فَلَمْ يَكُنْ بِأَعْلَى مَكَّةَ مِنْ قِبَلِ / الزَّبِيرِ قِتَالًا، وَأَمَّا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَقَدِمَ عَلَى قَرِيشٍ وَبَنِي بَكْرٍ وَالْأَحَابِيشِ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ، فَقَاتَلَهُمْ فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ، وَلَمْ يَكُنْ بِمَكَّةَ قِتَالٌ غَيْرَ ذَلِكَ.

وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَرِيبٌ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ أَوْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ، وَلَمْ يُقْتَلْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلٌ مِنْ جُهَيْنَةَ يُقَالُ لَهُ: سَلَمَةُ بْنُ الْمَيْلَاءِ، مِنْ خَيْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَرَجُلَانِ يُقَالُ لهما: كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ [وَحُنَيْسٌ] <sup>(١)</sup> بَنِي خَالِدٍ، كَانَا فِي خَيْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَشَدَّ عَنْهُ وَسَلَكَا طَرِيقًا غَيْرَ طَرِيقِهِ، فَقَتَلَا جَمِيعًا.

(١) فِي «أ» حَنِيش، وَفِي «ب» خَبِيش، وَالثَّبِتُ مِنْ ابْنِ هِشَامٍ.

وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا أحداً إلا من قاتلهم، إلا [أنه قد عهد]<sup>(١)</sup> في نفر سَمَاهم أمر بقتلهم، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة. منهم: عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وإنما أمر بقتله لأنه كان قد أسلم فارتدّ مشركاً، ففرّ إلى عثمان، وكان أخاه من الرضاعة، فغيبه حتى أتى به [رسول الله ﷺ] بعد أن اطمأن أهل مكة، فاستأمن له.

وعبد الله بن خَطَل، كان رجلاً من بني تميم بن غالب<sup>(٢)</sup>، وإنما أمر بقتله لأنه كان مسلماً فبعثه رسول الله ﷺ مصدّقاً، وكان له مولى يخدمه وكان مسلماً، فنزل منزلاً وأمر المولى أن يذبح له تيساً ويصنع له طعاماً ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً فعدا عليه فقتله، ثم ارتد مشركاً، وكانت له قِيتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ، فأمر بقتلهما معه.

والحويرث بن [نُقَيْد]<sup>(٣)</sup> بن وهب، كان ممن يؤذيه بمكة.

ومُقَيْس بن صبابه، وإنما أمر بقتله، لقتله الأنصاري الذي قتل أخاه خطأً ورجوعه إلى قريش مرتداً.

وسارة؛ مولاة كانت لبعض بني المطلب كانت ممن يؤذيه بمكة.

وعكرمة بن أبي جهل، فأما عكرمة فهرب إلى اليمن، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث ابن هشام، فاستأمنت له رسول الله ﷺ فأمنه، فخرجت في طلبه حتى أتت به رسول الله ﷺ فأسلم.

وأما عبد الله بن خطل، فقتله سعد بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي، اشتركا في دمه، وأما مقيس بن صبابه، فقتله ثُمَيْلَةُ بن عبد الله، رجل من قومه، وأما قَيْتَان ابن خطل؛ فقتلت إحداهما وهربت الأخرى حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ، فأمنها، وأما سارة، فتغيبت حتى استؤمن لها فأمنها، فعاشت حتى أوطأها رجل من الناس فرساً له في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها، وأما الحويرث بن نقيد، فقتله علي بن أبي طالب.

فلما دخل رسول الله ﷺ مكة وقف قائماً على باب الكعبة وقال: لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا إن كل مأثرة أو دم أو مال في الجاهلية

(١) استدركتها من سيرة ابن هشام.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ا».

(٣) في «ب» نفر.



يدعى فهو تحت قدمي هاتين، إلّا سدانة البيت وسقاية الحاج، يامعشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم خُلِقَ من تراب، ثم تلا: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى» (الحجرات - ١٣) الآية، يا أهل مكة، ماذا ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله ﷺ، وقد كان الله أمكنه من رقابهم عنوة، فلذلك سُمي أهل مكة الطلقاء.

ثم اجتمع الناس للبيعة؛ فجلس لهم رسول الله ﷺ على الصفا، وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس، فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا، فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء.

قال عروة بن الزبير: خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير ابن وهب الجمحي: يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيّد قومي، وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر، فأمنه، قال رسول الله ﷺ: هو آمن، قال: يارسول الله أعطني شيئاً يعرف به أمانك، فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل بها مكة، فخرج بها عمير حتى أدركه بجدة، وهو يريد أن يركب البحر، فقال: يا صفوان فذاك أبي وأمي أذكرك الله في نفسك أن تهلكها، فهذا أمان رسول الله ﷺ قد جئت بك به، فقال: ويلك أغرب عني فلا تكلمني، قال: أي صفوان فذاك أبي وأمي، أفضل الناس وأبر الناس، وأحلم الناس، وخير الناس، ابن عمك عزّه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك. قال: إني أخافه على نفسي، قال: هو أحلم من ذلك وأكرم، فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله ﷺ، فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك أمتني؟ قال: صدق، قال فاجعلني في أمري بالخيار شهرين، قال: أنت فيه بالخيار أربعة أشهر.

قال ابن إسحاق: وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف، وكان فتح مكة لعشر ليالٍ يقين من رمضان سنة ثمان، وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة [يقصر<sup>(١)</sup> الصلاة].

ثم خرج إلى هوازن وثقيف، وقد نزلوا حنيناً<sup>(٢)</sup>:

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو نعيم، حدثنا شيبان عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة،

(١) في «ه» يقضي.

(٢) أخرجه ابن إسحاق، سيرة ابن هشام: ٣/٣٩٨-٤١٩.

وانظر: تاريخ الطبري: ٣/٧٠-٨٦، البداية والنهاية: ٤/٣٥٢-٣٦١، إمتاع الأسماع للمقريزي ص (٤٠١) وما بعدها، زاد المعاد لابن القيم: ٣/٤٦٥-٤٧٤.

## وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾

أن خزاعة قتلوا رجلاً...» وقال محمد بن إسماعيل، قال عبد الله بن رجاء: حدثنا حرب عن يحيى، حدثنا أبو سلمة «حدثنا أبو هريرة: أنه عام فتح مكة قتل خزاعة رجلاً من بني ليث بقتيل لهم في الجاهلية، فقام رسول الله ﷺ فقال<sup>(١)</sup>: إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليهم رسوله والمؤمنين. ألا وإنما لم تجل لأحد قبلي، ولا تجل لأحد من بعدي، ألا وإنما أجلت لي ساعة من نهار، ألا وإنما ساعتني هذه، حرام / لا يُختلَى شوكرها ولا يُغصَّد شجرها، ولا يلتقط ساقطتها ٢٠٤/ب إلا منشد، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظر إما يؤدَّى وإما أن يقاد<sup>(٢)</sup>، فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاة فقال: اكتب لي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: اكتبوا لأبي شاة. ثم قام رجل من قريش فقال: يا رسول الله إلا الإذخر فإننا نجعله في بيوتنا وقبورنا، فقال رسول الله ﷺ: «إلا الإذخر»<sup>(٣)</sup>.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك، عن أبي النضر - مولى عمر بن عبيد الله - أن أبا مرة مولى أم هانئ بنت أبي طالب أخبره أنه سمع أم هانئ بنت أبي طالب تقول: ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح، فوجدته يغتسل، وفاطمة ابنته تستره بثوب، قالت: فسلمت، فقال: من هذه؟ فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب، قال: مرحباً بأم هانئ، فلما فرغ من غسله قام فصلّى ثماني ركعات مُلتحفاً في ثوب واحد، ثم انصرف فقلت له: يا رسول الله، زعم ابن أُمي، علي بن أبي طالب، أنه قاتل رجلاً أجزته، فلان بن هبيرة، فقال رسول الله ﷺ: قد أجزنا من أجزت يا أم هانئ، وذلك ضحى<sup>(٤)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ إذا جاءك نصر الله يا محمد على من عاداك وهم قريش، ﴿وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة.

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾، زُمرًا وأرسالاً، القبيلة بأسرها، والقوم بأجمعهم من غير قتال.

(١) في «ب» (فحمد الله وأثنى عليه ثم قال).

(٢) في «أه» إما أن يؤدوا وإما يفادوا.

(٣) أخرجه البخاري في الذيات، باب من قتل له قتيل فهو بخير النظرين: ٢٠٥/١٢، ومسلم في الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها .. برقم: (١٣٥٥): ٩٨٨/٢.

(٤) أخرجه مالك في قصر الصلاة في السفر، باب صلاة الضحى: ١٥٢/١، والبخاري في الصلاة، باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحقاً به: ٤٦٩/١ وفي الجزية والموادعة وفي الأدب، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى برقم: (٣٣٦): ٤٩٨/١، والمصنف في شرح السنة: ٨٩/١١.

## فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

قال الحسن: لما فتح الله عز وجل مكة على رسوله قالت العرب بعضها لبعض: إذا ظفر محمد بأهل الحرم - وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل - فليس لكم به يدان، فكانوا يدخلون في دين الله أفواجا بعد أن كانوا يدخلون واحداً واحداً، واثنين اثنين .

وقال عكرمة ومقاتل: أراد بالناس أهل اليمن:

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أخبرنا عبد الله ابن عمر الجوهري حدثنا أحمد بن الكشميني حدثنا علي بن حجر حدثنا إسماعيل بن جعفر حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً وأرق أفئدة، الإيمان يمان والحكمة يمانية»<sup>(١)</sup>.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، فإنك حينئذ لاحق به.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو النعمان، حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر فقال بعضهم: لم تُدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليُرِيهم مني، فقال: ما تقولون في قوله: «إذا جاء نصر الله والفتح» حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا جاء نصر وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، ولم يقل بعضهم شيئاً، فقال لي: يا ابن عباس أكذلك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه به، «إذا جاء نصر الله والفتح» فتح مكة، فذلك علامة أجلك «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا»، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثني عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يُكثِرُ أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» يتأول القرآن<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب قدم الأشرعين وأهل اليمن: ٩٩/٨، ومسلم في الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه برقم: (٥٢): ٧١/١، والمصنف في شرح السنة: ٢٠١/١٤.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة النصر - باب قوله: (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً): ٧٣٤/٨ - ٧٣٥.

(٣) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة النصر - ٧٣٣/٨، ومسلم في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم: (٤٨٤): ٣٥٠/١، والمصنف في شرح السنة: ١٠٠/٣.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم ابن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا محمد بن المثني، حدثني عبد الأعلى، حدثنا داود عن عامر، عن مسروق، عن عائشة؛ قالت: كان رسول الله ﷺ يُكثِرُ من قول: «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه»، [قالت: فقلت: يا رسول الله، أراك تكثر من قول: «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه؟»<sup>(١)</sup>] فقال: أَخْبَرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى علامةً في أمتي، فإذا رَأَيْتَهَا أَكْثَرَ من قول: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه، فَقَدْ رَأَيْتَهَا: «إذا جاء نصر الله والفتح». فالفتح: فتح مكة، «ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا» فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً<sup>(٢)</sup>.

قال ابن عباس: لما نزلت هذه السورة علم النبي ﷺ أنه نُعِيَتْ إليه نفسه<sup>(٣)</sup>.  
قال الحسن: أعلم أنه قد اقترب أجله فأمر بالتسبيح والتوبة، ليختم له بالزيادة في العمل الصالح<sup>(٤)</sup>.  
قال قتادة ومقاتل: عاش النبي ﷺ بعد نزول هذه السورة سنتين.

(١) ما بين القوسين ماقط من «ا».

(٢) أخرجه مسلم في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم: (٤٨٤): ٣٥١/١.

(٣) أخرجه الإمام أحمد: ٢١٧/١، وأخرجه النسائي في التفسير مطولاً: ٥٦٧/٢ من حديث هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس. قال يحيى بن معين: ثقة مأمون لم يتغير، ووثقه ابن حبان وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح وأخرجه الطبراني في الكبير: ٣٢٨/١١.

قال ابن حجر في الفتح: ٧٣٦/٨ أخرجه الإمام أحمد عن أبي رزين عن ابن عباس وفي إسناده عطاء بن السائب وقد اختلط. وللحديث شاهد أخرجه البخاري عن ابن عباس في جوابه لعمر عن قوله تعالى: (إذا جاء نصر الله ..) الآية قال: «مكَّلَ ضرب محمد ﷺ، نُعِيَتْ له نفسه» صحيح البخاري، كتاب التفسير: ٧٣٤/٨.

وانظر: مجمع الزوائد: ١٤٤/٧ ، ٢٢/٩ ، ٢٣.

(٤) انظر: الطبري: ٣٣٥/٣٠.



المسورة



## سُورَةُ الْمَيْدَةِ

مكية (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسى، حدثنا محمد بن حماد، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: صعد رسول الله ﷺ ذات يوم على الصفا فقال: يا صباحاه، قال: فاجتمعت إليه قريش، فقالوا له: مالك؟ قال: أرايتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقوني؟ قالوا: بلى، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك، ألهذا دعوتنا جميعاً؟ فأنزل الله عز وجل: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ» إلى آخرها<sup>(١)</sup>.

قوله: ﴿تَبَّتْ﴾ أي: خابت وخسرت يدا أبي لهب، [أي هو]<sup>(٢)</sup>، أخبر عن يديه، والمراد به نفسه على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله.

وقيل: «اليد» صلة، كما يقال: يد الدهر ويد الرزايا والبلايا.

وقيل: المراد بها ماله وملكه، يقال: فلان قليل ذات اليد، يعنون به المال، و«التباب»: الخسار والهلاك.

وأبو لهب: هو ابن عبد المطلب عم النبي ﷺ / واسمه عبد العزى. قال مقاتل: كني بأبي لهب لحسنه وإشراق وجهه.

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: أنزلت (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) بمكة. انظر: الدر المنثور: ٦٦٥/٨.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة المسد - ٧٣٧/٨، ومسلم في الإيمان، باب في قوله تعالى (وأندر عشرتك الأقرين) برقم: (٢٠٨): ١٩٣/١ - ١٩٤.

(٣) ساقط من (١).



# مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾

وقرأ ابن كثير «أني لهب» ساكنة الهاء، وهي مثل: نهر ونهر. واتفقوا في «ذات لهب» أنها مفتوحة الهاء لوفاق الفواصل.

﴿وتب﴾، أبو لهب، وقرأ عبد الله: وقد تب<sup>(١)</sup>. قال الفراء: الأول دعاء، والثاني خبر، كما يقال: أهلكه الله، وقد فعل<sup>(٢)</sup>.

﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾، قال ابن مسعود: لما دعا رسول الله ﷺ أقباءه إلى الله عز وجل قال أبو لهب: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فإني أفندي نفسي ومالي وولدي<sup>(٣)</sup>، فأنزل الله تعالى:

﴿ما أغنى عنه ماله﴾ أي ما يغني، وقيل: أي شيء يغني عنه ماله، أي: ما يدفع عنه عذاب الله ما جمع من المال، وكان صاحب مواشر، ﴿وما كسب﴾، قيل: يعني ولده، لأن ولد الإنسان من كسبه كما جاء في الحديث: «أطيب ما يأكل أحدكم من كسبه، وإن ولده من كسبه»<sup>(٤)</sup>.

ثم أوعده بالنار فقال: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾، أي ناراً تلهب عليه.

﴿وامراته﴾، أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾، قال ابن زيد والضحاك: كانت تحمل الشوك والعضاة فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ، وأصحابه، لتعقرهم، وهي رواية عطية عن ابن عباس.

وقال قتادة، ومجاهد، والسدي: كانت تمشي بالثيعة وتنقل الحديث فتلقي العداوة بين الناس،

(١) انظر: البحر المحيط: ٥٢٥/٨.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٩٨/٣.

(٣) ذكره صاحب البحر المحيط: ٥٢٥/٨.

(٤) حديث صحيح روي من طرق بألفاظ متقاربة. فأخرجه أبو داود في الإجازات (من البيوع) باب في الرجل يأكل من مال ولده: ١٨٢/٥، والترمذي في الأحكام، باب ما جاء في أن الوالد يأخذ من مال ولده: ٥٩٢/٤ وقال: «هذا حديث حسن» والنسائي في البيوع، باب الحث على الكسب: ٢٤١/٧، وابن ماجه في التجارات، باب ما للرجل من مال ولده، برقم: (٢٢٩٠): ٧٦٩-٧٦٨/٢، والدارمي في البيوع، باب في الكسب: ٢٤٧/٢، وصححه ابن حبان صفحة (٢٦٨) من موارد الظمان.

وأخرجه الإمام أحمد في المسند: ٣١/٦، وفي مواضع أخرى، وعبد الرزاق في المصنف ١٣٣/٩، وابن أبي شيبة: ١٥٧/٧، والمصنف في شرح السنة: ٣٢٩/٩.

## فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

وتوقد نارها كما توقد النار [بالخطب]<sup>(١)</sup>. يقال: فلان يحطب على فلان، إذا كان يُعْرِى به<sup>(٢)</sup>.

وقال سعيد بن جبیر: حمالة الخطايا، دليله: قوله: «وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم» (الأنعام - ٣١).

قرأ عاصم «حمالة» بالنصب على الدم، كقوله: «ملعونين».

وقرأ الآخرون بالرفع، وله وجهان: أحدهما سيصلى ناراً هو وامراته حمالة الخطب. والثاني: وامراته حمالة الخطب في النار أيضاً.

﴿فِي جِيدِهَا﴾، في عنقها، وجمعه أجياد، ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾، واختلفوا فيه، قال ابن عباس، وعروة بن الزبير: سلسلة من حديد ذرْعُها سبعون ذراعاً، تدخل في فيها وتخرج من دبرها، ويكون سائرُها في عنقها، وأصله من «المسد» وهو القتل، و «المَسْدُ» ما قُتِلَ وأُحْكِمَ من أي شيء كان، يعني: السلسلة التي في عنقها فقتلت من الحديد فتلاً محكماً.

وروى الأعمش عن مجاهد: «مِّن مَّسَدٍ» أي من حديد، والمسد: الحديدية التي تكون في البكرة، يقال لها المحور.

وقال الشعبي ومقاتل: من ليف. قال الضحَّاك وغيره: في الدنيا من ليف، وفي الآخرة من نار. وذلك الليف هو الحبل الذي كانت تحتطب به، فبينما هي ذات يوم حاملة حزمة فأعيت فقعدت على حجر تستريح فأتاها ملك فجذبها من خلفها فأهلكها.

قال ابن زيد: حبل من شجر ينبت باليمن يقال له مسد.

قال قتادة: قلادة من ودع<sup>(٣)</sup>. وقال الحسن: كانت خرزات في عنقها [فاخرة]<sup>(٤)</sup> وقال سعيد ابن المسيب: كانت لها قلادة في عنقها فاخرة، فقالت: لأنفقنها في عداوة محمد ﷺ.

(١) في «ب» الخطب.

(٢) أورد الطبري: ٣٣٨-٣٣٩/٣٠ أقوالاً مردها إلى رأيين ثم قال مرجحاً: «وَأُولَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدِي قَوْلُ مَنْ قَالَ: «كَانَتْ تَحْمِلُ الشُّوكَ، فَطَرَحَهُ فِي طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ أَظْهَرُ مَعْنَى ذَلِكَ».

(٣) ساق الطبري: ٣٤٠-٣٤١/٣٠ أقوال المفسرين ثم قال: «وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ حَبْلٌ جُمِعَ مِنْ أَنْوَاعٍ مُّخْتَلِفَةٍ، وَلِذَلِكَ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِهِ عَلَى النُّحُوِّ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ».

(٤) زيادة من «ب».



سورة الاخلاص



## سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

مكية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝

﴿قل هو الله أحد﴾، روى أبو العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسُب لنا ربك، فأنزل الله تعالى هذه السورة<sup>(٢)</sup>.

وروى أبو ظبيان، وأبو صالح، عن ابن عباس: أن عامر بن الطفيل وأزبد بن ربيعة أتيا النبي ﷺ فقال عامر: إلام تدعوننا يا محمد؟ قال: إلى الله، قال: صفه لنا أمن ذهب هو؟ أم من فضة؟ أم من حديد؟ أم من خشب؟ فنزلت هذه السورة. فأهلك الله أربد بالصاعقة وعامر بن الطفيل بالطاعون، وقد ذكرناه في سورة الرعد<sup>(٣)</sup>.

وقال الضحاك، وقتادة ومقاتل: جاء ناسٌ من أحبار اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: صف لنا ربك يا محمد لعلنا نؤمن بك، فإن الله أنزل نعته في التوراة، فأخبرنا من أي شيء هو؟ وهل يأكل ويشرب؟ ومن يرث منه؟ فأنزل الله هذه السورة<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرج ابن الضريس وابن جرير عن أبي العالية رضي الله عنه قال: قالوا: انسب لنا ربك، فأتاه جبريل بهذه السورة (قل هو الله أحد الله الصمد).

وأخرج الطبراني وأبو الشيخ في العظمة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قالت قريش: يا رسول الله أنسب لنا ربك، فأنزل الله (قل هو الله أحد).

انظر: الدر المنثور: ٦٦٩/٨-٦٧٠، وما يأتي من الأحاديث.

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير - تفسير سورة الإخلاص - ٢٩٩/٩-٣٠٠، وأخرجه مرسلاً أيضاً: ٣٠١/٩، والإمام أحمد:

١٣٤/٥، وصححه الحاكم: ٥٤٠/٢ ووافقه الذهبي، والبيهقي في الأسماء والصفات: ٤١٩/١، والطبري: ٣٤٢/٣٠.

(٣) راجع فيما سبق: ٣٠١/٤.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٤٢/٣٠-٣٤٣.

وانظر الفتح السماوي: ١١٣٥/٣، الدر المنثور: ٦٧١/٨.

## لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

﴿قل هو الله أحد﴾ أي واحد، ولا فرق بين الواحد والأحد، يدل عليه قراءة ابن مسعود: قل هو الله الواحد<sup>(١)</sup>.

﴿الله الصمد﴾، قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وسعيد بن جبير: «الصمد» الذي لا جوف له.

قال الشعبي: الذي لا يأكل ولا يشرب.

وقيل: تفسيره ما بعده، روى أبو العالية عن أبي بن كعب قال: «الصمد» الذي لم يلد ولم يولد؛ لأن من يولد سيموت، ومن يرث يورث منه<sup>(٢)</sup>.

قال أبو وائل شقيق بن سلمة: هو السيد الذي قد انتهى سؤدده، وهو رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قال: هو السيد الذي قد كمل في جميع أنواع السؤدد<sup>(٣)</sup>. وعن سعيد بن جبير أيضاً: هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله. وقيل: هو السيد المقصود في [الحوائج]. وقال السدي<sup>(٤)</sup>: هو المقصود إليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب، تقول العرب: صمدت فلاناً أصمده صمداً - بسكون الميم - إذا قصدته، [والمقصود]<sup>(٥)</sup>: صمد، بفتح الميم.

وقال قتادة: «الصمد» الباقي بعد فناء خلقه. وقال عكرمة: «الصمد» الذي ليس فوقه أحد، وهو قول علي. وقال الربيع: الذي لا تعثره الآفات. قال مقاتل بن حيان: الذي لا عيب فيه.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، قرأ حمزة وإسماعيل: «كُفُوًا» ساكنة الفاء مهموزاً، وقرأ حفص عن عاصم بضم الفاء من غير همز، وقرأ الآخرون بضم الفاء مهموزاً، وكلها لغات صحيحة، [ومعناها]<sup>(٦)</sup>: المثل، أي: هو أحد.

وقيل: على التقديم والتأخير، مجازة: ولم يكن له أحداً كفواً أي مثلاً.

(١) قال أبو حيان في البحر المحيط: ٥٢٨/٨: «وأحد بمعنى واحد».

(٢) أخرجه الطبري: ٣٠/٣٤٦.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: ٤٠٧/٢، والطبري: ٣٠/٣٤٦.

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٥) في «ب» والمصمود.

(٦) في «ب» ومعناها.

قال مقاتل: قال مشركو العرب: الملائكة بنات الله، وقالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، فأكذبهم الله ونفى عن ذاته الولادة والمثل<sup>(١)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري، أخبرنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: كذّبتني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقلوه: لن يعيدني كما بدّاني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقلوه: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي / أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة الأنصاري عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ: «قل هو الله أحد» ويردّها، فلما أصبح أتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقالها، فقال له رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لتعبد ثلث القرآن»<sup>(٣)</sup>.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن الأصفهاني، أخبرنا عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس، حدثنا يونس بن حبيب، حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا شعبة عن قتادة: سمعت سالم بن أبي الجعد يحدث عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ قلت: يا رسول الله ومن يطيق ذلك؟ قال: «اقرأوا قل هو الله أحد»<sup>(٤)</sup>.

وأخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك، عن عبيد الله بن عبد الرحمن عن عبيد بن جبير مولى زيد بن الخطاب أنه قال: سمعت أبا هريرة يقول: أقبلت مع رسول الله ﷺ فسمع رجلاً يقرأ «قل هو الله أحد \* الله الصمد \* لم يلد ولم يولد \* ولم يكن له كفواً أحد»، فقال رسول الله ﷺ: «وجبث»، فسأله: ماذا يارسول الله؟

(١) ذكره صاحب زاد المسير: ٢٦٩/٩ .

(٢) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة (قل هو الله أحد) -: ٧٣٩/٨ .

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب القرآن، باب ما جاء في قراءة (قل هو الله أحد) ٢٠٨/١، والبخاري في فضائل القرآن باب فضل (قل هو الله أحد) ٥٨/٩-٥٩ والمصنف في شرح السنة: ٤٧٤/٤ .

(٤) أخرجه الطيالسي في المسند صفحة: (١٣١)، وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة (قل هو الله أحد) برقم: (٨١١): ٥٥٦/١ .



فقال: «الجنة». فقال أبو هريرة: فأردتُ أن أذهبَ إلى الرجلِ فأبشّره، ثم فرقت أن يفوتني الغداء مع رسول الله ﷺ فأثرت الغداء، ثم ذهبت إلى الرجل فوجدته قد ذهب<sup>(١)</sup>.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسى، حدثنا عبد الرحيم بن منيب، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا المبارك بن فضالة عن ثابت، عن أنس قال: قال رجل لرسول الله ﷺ: إني أحبُّ هذه السورة: «قل هو الله أحد»: قال: «حبُّك إياها أدخلك الجنة»<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح أخرجه الإمام مالك في الموطأ في القرآن، باب ما جاء في قراءة (قل هو الله أحد): ٢٠٨/١، والترمذي في ثواب القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص: ٢٠٩/٨ وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث مالك بن أنس، وابن حنن وهو عبيد بن حنن»، والنسائي في عمل اليوم والليلة صفحة: (٧٠٢) وفي السنن، كتاب الافتتاح: ١٧١/٢ وفي التفسير: ٥٧٠/٢، وابن السني في عمل اليوم والليلة صفحة (٣٢٤) وصححه الحاكم في المستدرک: ٥٦٦/١ ووافقه الذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان: ٤٨٠/٥، والمصنف في شرح السنة: ٤٧٦/٤-٤٧٧. وله شواهد عند أحمد والطبراني وابن السني والدارمي. انظر: التعليق على تفسير النسائي في الموضع السابق. وراجع: مجمع الزوائد: ١٤٥/٨.

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً في الأذان، باب الجمع بين السورتين في ركعة: ٢٥٥/٢، ووصله الترمذي من طريقه في ثواب القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص: ٢١٢/١٨-٢١٣، وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه»، والبيهقي في السنن: ٦١/٢، وفي شعب الإيمان: ٤٨٣/٥، وأبو يعلى في المسند: ٣٤٨/٣-٣٤٩. وأخرجه الدارمي في فضائل القرآن، باب فضل قل هو الله أحد: ٢٣٠/٢، وابن مندة في التوحيد: ٦٨/١-٦٩، وابن السني في عمل اليوم والليلة صفحة (٣٢٤) وابن حبان صفحة: (٣٤٩) من موارد الظمان، والمصنف في شرح السنة: ٤٧٥/٤، وله شاهد عند الشيخين من حديث عائشة- رضي الله عنها- وانظر: فتح الباري: ٢٥٥/٢-٢٥٧.

# سورة الفلق



## سُورَةُ الْفَلَقِ

مدنية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، قال ابن عباس، وعائشة -رضي الله عنهما-: كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ [فدبت]<sup>(٢)</sup> إليه اليهود، فلم يزالوا به حتى أخذ مُشَاطَةً رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ وعدة أسنانٍ من مشطه، فأعطاهها اليهود فسحروه فيها، وتولَّى ذلك لَيْيُدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، رجلٌ من يهود، فنزلت السورتان فيه<sup>(٣)</sup>:

أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحى، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، حدثنا محمد بن عبد الله بن [عبد الحكيم]<sup>(٤)</sup> أخبرنا أنس بن عياض عن [هشام]<sup>(٥)</sup> عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ: طُبَّ حَتَّى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ صَنَعَ شَيْئاً وَمَا صَنَعَهُ، وَأَنَّهُ دَعَا رَبَّهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْعَرْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: جَاءَنِي رَجُلَانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ الْآخَرُ: هُوَ مَطْبُوبٌ قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ لَيْيُدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَ: فِي مَاذَا؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفٍّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي ذَرَوَانَ - وَذَرَوَانُ بَثْرٌ فِي بَنِي زُرَيْقٍ - قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٧٠/٩ وفيها قولان: أحدهما: مدنية، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة في آخرين.

والثاني مكية: رواه كريب عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر.

والأول أصح، ويدل عليه أن رسول الله ﷺ سحر وهو مع عائشة، فنزلت عليه المعوذتان.

(٢) في «أ» فذهبت.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره: ٥٧٥/٤ عن الثعلبي ثم قال: «هكذا أورده بلا إسناد وفيه غرابة وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعضه شواهد مما تقدم والله أعلم».

(٤) في «أ» عبد الحكيم، والصحيح ما أثبت.

(٥) في «أ» هاشم، والصحيح ما أثبت.

ثِقَاعَةُ الْجِنِّاءِ، وَلَكَأَنْ نَخْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَّا أُخْرِجَتْ؟ قَالَ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ بِهِ شَرًّا»<sup>(١)</sup>.

وروي أنه كان تحت صخرة في البئر، فرفعوا الصخرة وأخرجوا جُفَّ الطلعة، فإذا فيه مشاطة رأسه، وأسنان مشطه<sup>(٢)</sup>:

أخبرنا المطهر بن علي الفارسي، أخبرنا محمد بن إبراهيم الصالحاني، حدثنا عبد الله بن محمد ابن جعفر أبو الشيخ الحافظ، أخبرنا ابن أبي عاصم، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد بن حبان بن أرقم قال: سَحَرَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ، قَالَ: فَاسْتَكْبَى لَذَلِكَ أَيَّامًا، قَالَ: فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ سَحَرَكَ وَعَقَدَ لَكَ عَقْدًا<sup>(٣)</sup>، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا فَاسْتَخْرَجَهَا فَجَاءَ بِهَا، فَجَعَلَ كُلَّمَا حَلَّ عَقْدَةً وَجَدَ لَذَلِكَ خَفَةَ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّمَا نَشَطَ مِنْ عَقَالٍ، فَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ لِلْيَهُودِ وَلَا رَأَوْهُ فِي وَجْهِهِ قَطُّ<sup>(٤)</sup>.

قال مقاتل والكلبي: كان في وتر عُقْدٍ عليه إحدى عشرة عقدة. وقيل: كانت العُقْدُ مغروزة بالإبرة، فأنزل الله هاتين السورتين وهما إحدى عشرة آية؛ سورة الفلق خمس آيات، وسورة الناس ست آيات، كلما قرئت آية انحلَّت عقدة، حتى انحلت العُقْدُ كُلُّهَا، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ كَأَنَّمَا نَشَطَ مِنْ عَقَالٍ<sup>(٥)</sup>.

وروي: أنه لبث فيه ستة أشهر واشتد عليه ثلاث ليال، فنزلت المعوذتان:

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا بشر بن هلال الصواف، حدثنا [عبد الوارث]<sup>(٦)</sup> حدثنا عبد العزيز بن صهيب، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد: أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اشتكيت؟ قال: نعم، فقال: «بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك والله يشفيك»<sup>(٧)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده: ٣٣٤/٦، ومسلم، في السلام، باب السحر برقم (٢١٨٩): ١٧١٩-١٧٢٠ والمصنف في شرح السنة: ١٨٥/١٢-١٨٦.

(٢) عزاه صاحب الدر المنثور: ٦٨٧/٨ لابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٣) زاد الإمام أحمد: في بئر كذا وكذا، فأرسل إليها من يجيء بها.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ٣٠/٧ (القسم الثاني)، والإمام أحمد في المسند: ٣٦٧/٤.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٦٨٧/٨.

(٦) هو عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التميمي العنبري.

(٧) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب الطب والمرض والرق، برقم (٢١٨٦): ١٧١٨/٤ ماعدا الجملة الأخيرة (والله يشفيك)

وهي من نسخة «ا» فقط.

## مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، أراد بالفلق: الصبح وهو قول جابر بن عبد الله والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، وأكثر المفسرين<sup>(١)</sup>، وهي رواية العوفي عن ابن عباس، بدليل قوله «فالتق الإصباح».

وروي عن ابن عباس: إنه سجن في جهنم. وقال الكلبي: واد في جهنم.

وقال الضحاك: يعني الخلق، وهي رواية الوالبي عن ابن عباس، والأول هو المعروف.

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ \* وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾، أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر ابن أحمد أخبرنا جعفر بن محمد المغلس، حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني، حدثنا وكيع عن ابن أبي ذئب، عن [خاله]<sup>(٢)</sup> الحارث بن عبد الرحمن، عن أبي سلمة عن عائشة قالت: أخذ النبي ﷺ بيدي فنظر إلى القمر فقال: «يا عائشة، استعيزي بالله من شر غاسق إذا وقب. هذا غاسق إذا وقب»<sup>(٣)</sup>.

فعلى هذا: المراد به: القمر إذا خسف واسودَّ «وَقَبَ»، أي: دخل في الخسوف وأخذ في الغيوبة [وأظلم]<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن عباس: «الغاسق»: الليل إذا أقبل بظلمته من المشرق ودخل في كل شيء وأظلم، و «العسق»: الظلمة، يقال غسق الليل [وأغسق]<sup>(٥)</sup> إذا أظلم، وهو قول الحسن ومجاهد، يعني الليل إذا أقبل / ودخل و «الوقوب»: الدخول، وهو دخول الليل بغروب الشمس.

قال مقاتل: يعني ظلمة الليل إذا دخل سواده في ضوء النهار.

وقيل: سمي الليل غاسقاً لأنه أبرد من النهار، والعسق: البرد.

(١) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣/٣٠١، فتح الباري: ٨/٧٤١.

(٢) في «ب» بخالد بن، والصحيح ما أثبت.

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير - تفسير المعوذتين: ٩/٣٠٢ وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والنسائي في عمل اليوم والليلة، صفحة (٢٧١) برقم (٣٠٥)، والحاكم: ٢/٥٤١، والإمام أحمد ٦/٦١، ٢١٥، وأبو يعلى في المسند: ٤/٢٧٢، والطبري: ٣٠/٣٥٢، والمصنف في شرح السنة: ٥/١٦٧. زاد ابن حجر نسبته في الكافي الشاف ص (١٩٠) لإسحاق وابن أبي شيبة وحسنه في الفتح: ٨/٧٤١.

(٤) ساقط من «ب».

(٥) في «ا» واغتسق.

## وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

وقال ابن زيد: [يعني] <sup>(١)</sup> الثريا إذا سقطت <sup>(٢)</sup>. ويقال: إن الأسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها <sup>(٣)</sup>

﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾، يعني السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها. قال أبو عبيدة: هن بنات لبيد بن الأعصم سحرن النبي ﷺ.

﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾، يعني [اليهود] <sup>(٤)</sup> فإنهم كانوا يحسدون النبي ﷺ.

(١) زيادة من «ب».

(٢) قال ابن جرير: ٣٥٢/٣-٣٥٣: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله أمر نبيه ﷺ أن يستعيذ (من شر غاسق) وهو الذي يُظلم، يقال: غسق الليل يفسق غسوقاً: إذا أظلم (إذا وقب) يعني: إذا دخل في ظلامه، والليل إذا دخل في ظلامه غاسق، والنجم إذا أفل غاسق، والقمر غاسق إذا وقب، ولم يخص بعض ذلك، بل عمّ الأمر بذلك فكل غاسق، فإنه ﷺ كان يؤمر بالاستعاذة من شره إذا وقب».

(٣) انظر: تعليقنا على شرح حديث «إذا طلع النجم ارتفعت العاهة» في حجة الله البالغة للدهلوي (تحت الطبع)، مشكل الآثار للطحاوي: ٩٢/٣.

(٤) ساقط من «ا».

السورة  
٦٠  
س





## سُورَةُ النَّاسِ

مدنية<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ  
شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾  
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ \* مَلِكِ النَّاسِ \* إِلَهِ النَّاسِ \* مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾، يعني الشيطان، يكون مصدراً واسماً.

قال الزجاج: يعني: الشيطان ذا الوسواس «الخناس» الرجاء، وهو الشيطان جاثم على قلب الإنسان، فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس.

وقال قتادة: الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الإنسان فإذا ذكر العبد ربه خنس. ويقال: رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يُمْنِيهِ ويَحْدُثُهُ، فإذا ذكر الله خنس وإذا لم يذكر رجع فوضع رأسه، فذلك:

﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾، بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع.

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، يعني يدخل في الجنى كما يدخل في الإنسى، ويوسوس للجنى كما يوسوس للإنسى، قاله الكلبي.

(١) أخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير - رضي الله عنه - قال: أنزل بالمدينة (قل أعوذ برب الناس). انظر: الدر المنثور: ٦٩٣/٨.

وقوله: «في صدور الناس» أراد بالناس: ما ذكر من بعد، وهو الجنة والناس، فسمي الجن ناساً، كما سمّاهم رجالاً، فقال: «وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن» (الجن-٦). وقد ذكر عن بعض العرب أنه قال وهو يحدث جاء قوم من الجن فوقعوا، فقبل: من أنتم؟ قالوا: أناس من الجن. وهذا معنى قول الفراء<sup>(١)</sup>.

قال بعضهم: أثبت أن الوسواس للإنسان من الإنسان كالوسوسة للشيطان، فجعل «الوسواس» من فعل الجنة والناس جميعاً، كما قال: «وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن» (الأنعام-١١٢)، كأنه أمر أن يستعبد من شر الجن والإنس جميعاً.

أخبرنا إسماعيل [بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر]<sup>(٢)</sup> بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير عن بيان عن قيس بن أبي حازم، عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت الليلة لم يُر مثلهن قط: «قل أعوذ برب الفلق» و «قل أعوذ برب الناس»<sup>(٣)</sup>.

أخبرنا أبو سعيد محمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم العدل، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا أبو العباس ابن الوليد بن مرثد، أخبرني أبي، حدثنا الأوزاعي، حدثني يحيى بن أبي كثير، حدثني محمد بن إبراهيم ابن الحارث التيمي، عن عقبة بن عامر الجهني، أن رسول الله ﷺ قال له: «ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ المتعوذون؟ قلت: بلى، قال: «قل أعوذ برب الفلق» و «قل أعوذ برب الناس»<sup>(٤)</sup>.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، أخبرنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا قتيبة، حدثنا المفضل بن فضالة عن عقيل، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه فنث فيهما، فقرأ فيهما: «قل هو الله أحد» و «قل أعوذ برب الفلق» و «قل أعوذ برب الناس» ثم مسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده. يفعل ذلك ثلاث مرات<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣/٣٠٢، الطبري: ٣٠٦/٣٠.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ا».

(٣) أخرجه مسلم، في صلاة المسافرين، باب فضل قراءة المعوذتين برقم: (٨١٤): ٥٥٨/١.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤١٧/٣.

وعزاه صاحب الكنز: ٤٨٥/١ للطبراني.

(٥) أخرجه الترمذي في الشمائل صفحة (١٥٧) بشرح الباجوري والبخاري في فضائل القرآن، باب فضل المعوذات: ٦٣/٩ =

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه يده رجاء بركتها<sup>(١)</sup>.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي وأبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحي قالوا: حدثنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري، أخبرنا محمد بن أحمد بن معقل الميداني، أخبرنا محمد بن يحيى، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار»<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن حمزة، حدثني ابن أبي حازم عن يزيد، يعني ابن الهاد، عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنّى بالقرآن يجر به»<sup>(٣)</sup>. ثم<sup>(٤)</sup>.

= والمصنف في شرح السنة: ٤٧٨/٤.

- (١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب العين، باب التعوذ والرقية في المرض: ٩٤٣/٢، والبخاري في فضائل القرآن، باب فضائل المعوذات ٦٣/٩، ومسلم في السلام، باب رقية المريض بالمعوذات... برقم: (٢١٩٢) ١٧٢٣/٤.
- (٢) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: ٣٦٠/٣، والبخاري في فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن: ٧٣/٩، ومسلم في صلاة المسافرين، باب فضائل من يقوم بالقرآن ويعلمه برقم: (٨١٥): ٥٥٩/١، والمصنف في شرح السنة: ٤٣٣/٤.
- (٣) أخرجه البخاري في فضائل القرآن، باب من لم يتغن بالقرآن: ٦٨/٩، ومسلم في صلاة المسافرين، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن برقم: (٢٣٤): ٥٤٦/١، والمصنف في شرح السنة: ٤٨٥/٤.
- (٤) من «أ» ومن «ب» والله عز وجل سبحانه أعلم.



# الفهارس



## فهارس الأحاديث والآثار

### حرف الألف

أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين ؟ ٣٥٤/١  
 أتريدون أن ترجعي إلى رفاة ؟ ٢٧٣/١  
 أتضحكون وبين أيديكم النار ؟ ٣٨٣/٤  
 أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب ٧١/٧  
 اتق الله واصبر أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله ١٥١/٨  
 أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ١٤٧/٧  
 اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ٧٨/٨  
 اتقوا الله في النساء فإنكم ١٨٧/٢  
 اتقوا الله في النساء فإنهن عندكم ٢٩٤/٨  
 اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم ٢٤١/٢  
 اثبت أحد ما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد ٣٢٧/٧  
 اجتنبوا السبع الموبقات ٢٠٢/٢  
 اجعلوا لإهلالكم بالحج عمرة ٢٢٧/١  
 اجعلوا لإهلالكم بالحج عمرة إلا من قلد الهدي ٢٢٤/١  
 اجعلوها في ركوعكم ٢٧/٨  
 اجعلوها في سجودكم ٢٧/٨  
 أحب الكلام إلى الله تعالى أربع: ١٤٠/٥  
 احتج آدم وموسى فقال موسى : يا آدم أنت أبونا ٢٩٩/٥  
 أحسنتم وأجملتم كذا فاصنعوا ٢٣/٤  
 أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم ١٦٣/٢  
 أحلت لنا ميتتان ودمان ١٨٣/١  
 أحلت لنا ميتتان ودمان ١٠٠/٣  
 أحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي ٣٧٨/٣  
 أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس ٢٥٢/٨  
 أخبركم بما سألتكم غداً ولم يقل إن شاء الله ١٢٥/٥  
 آخر سورة نزلت كاملة براءة ٣١٦/٢  
 أخر عني يا عمر ٨١/٤  
 أخرج يا فلان فإنك منافق ٨٩/٤  
 أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ٣٢/٤  
 أخرجوا فصلوا على أخ لكم مات ١٥٥/٢  
 أخلفت غازياً في سبيل الله في أهله ٢٠٤/٤  
 أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ٢١٣/٥  
 أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم ١٥/٨

أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً ١٠٠/٨  
 إبراهيم الذي وفي صلى أربع ركعات ٤١٥/٧  
 أبشر بخير يوم مر عليك مذ ولدتك أمك ١٠٨/٤  
 أبشر يا هلال فإن الله قد جعل لك فرجاً ١٤/٦  
 أبشروا قد جاءكم اليسر لن يغلب ٤٦٤/٨  
 أبشروا يامعشر صعاليك المهاجرين بالنور ٧٦/٨  
 أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور ١٤٨/٣  
 أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام ٣٩٢/٥  
 أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك ٢٢/٦  
 أبطأت علي حتى ساء ظني واشتقت إليك ٢٤٣/٥  
 ابعتها قياماً مقيدة سنة محمد صلى الله عليه وسلم ٣٨٥/٥  
 ابن آدم اركع لي أربع ركعات ٤١٥/٧  
 ابن آدم أنفق أنفق عليك ٣٣٣/١  
 أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة ٣٢٥/٧  
 أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً وأرق ٥٧٦/٨  
 أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً وأرق أفئدة ٧٢/٣  
 أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن ٢٦٨/٧  
 أتعب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ٥٦/١  
 أتعب ذلك ؟ ١٠٤/٤  
 أتدرون أي يوم ذلك ؟ ٣٦٥/٥  
 أتدرون ما أخيارها ؟ ٥٠٢/٨  
 أتدرون ما الغيبة ؟ ٣٤٦/٧  
 أتدرون ما هذان الكتابان ؟ ١٨٥/٧  
 أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس النار ؟ ١٩١/٨  
 أتدرون من المفلس ؟ ١١٩/٧  
 أتدري أين تذهب ١٨/٧  
 أتردين عليه حديثه ٢٧١/١  
 أترضون أن تكونوا ربيع أهل الجنة ١٧/٨  
 أترضون أن يكون بيني سيرة بن عمرو ؟ ٣٣٧/٧  
 أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ ١٣١/٣  
 أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها ؟ ٢١٣/٧



إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ٢٨٥/٧  
 إذا عملت سيئة فاعمل بجانبها حسنة تمحها ٣١٣/٤  
 إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا: ٥٥/١  
 إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصى ٤٠٩/٥  
 إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان ٣٥٠/٤  
 إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا ٤٩/٣  
 إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان ٨٢/١  
 إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان ٣٢١/٣  
 إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة ٣٩٨/٦  
 إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت ملائكة ٣٧٢/٤  
 إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب ٣٢٠/٣  
 إذا كان أول ليلة في شهر رمضان صفدت الشياطين ٢٠٢/١  
 إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ١٢٣/٨  
 إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد ٣٦٣/٨  
 إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان ٥٦/٨  
 إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة ٢٦١/١  
 إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: ١٦٩/١  
 إذا مس أحدكم ذكره فليتوضأ ٢٢٤/٢  
 إذا نزلتم يقوم فأمرؤا لكم بما ينبغي للضيف ٣٠٤/٢  
 إذا نفس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب ٢١٩/٢  
 إذا وجدتم الرجل قد غل ١٢٨/٢  
 إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة ٢٨٥/٧  
 اذكروا أنتم اسم الله وكلوا ١٨٣/٣  
 أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله ١٤٠/٧  
 اذهب إلى مكة فطف أنت ومن معك ٢٢٥/١  
 رأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يقتسل منه ٢٠٤/٤  
 رأيتمكم ليلتكم هذه ؟ فإن على رأس مائة سنة ١٩٧/٥  
 رأيتم إذا جاء الليل أين يكون النهار ١٠٤/٢  
 رأيتم إن أعطيتكم هذا هل أنتم معطي كلمة ١٧٦/٣  
 أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: ١٠٢/٨  
 أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً: ٥٧/٢  
 أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ٢٠٤/١  
 أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ٢٣٧/٣  
 أرجع فقل السلام عليكم آدخل ٣٠/٦  
 أرحم أمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله ٣٢٦/٧

أدنى أهل الجنة منزلة لمن يغدو عليه ويروح ١٦/٨  
 إذ انبعث أشقاها : انبعث لها رجل عزيز ٤٤٠/٨  
 إذ انبعث أشقاها : انبعث لها رجل عزيز عارم ٢٥١/٣  
 إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء من ٣٦٨/٤  
 إذا أحب الله العبد قال لجبرائيل : ٢٥٧/٥  
 إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها ٢١٠/٣  
 إذا أراد أحدكم البول فليستمخر الریح ١٣/٥  
 إذا أراد الله أن يوحى بالأمر تكلم بالوحي ٣٩٨/٦  
 إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة ٣٥٥/١  
 إذا أرسلت كلبك المعلم وسميت فأمسك ١٦/٣  
 إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله تعالى ١٧/٣  
 إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع ٣٠/٦  
 إذا أقبل الليل من ها هنا وأدبر النهار ٢٠٩/١  
 إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله ١١٥/٧  
 إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ١١٧/٨  
 إذا أكتبوكم فعليكم بالنبل ٣٧١/٣  
 إذا التقى الختانان أو مس الختان الختان ٢٢١/٢  
 إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليفيض فراشه ١٢٢/٧  
 إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل ١٢٢/٨  
 إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب ٣٣٤/٥  
 إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر ٣٦٨/٦  
 إذا خلاص المؤمنون من النار وأمنوا ٢١٥/٢  
 إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح ١١٥/٧  
 إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ١٣٠/٤  
 إذا دخل رمضان صفدت الشياطين ٢٠٢/١  
 إذا رأيتم الله يعطي العبد ما يحب ١٤٤/٣  
 إذا رأيتم الرجل يتعاقد المسجد ٢١/٤  
 إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم مؤذناً ٢٧٠/٢  
 إذا زلزلت الأرض تعدل ثلث القرآن ٥٠٤/٨  
 إذا زنت أمة أحدكم فبين زناها ١٩٨/٢  
 إذا سألت الله فاسأله الفردوس ٢١١/٥  
 إذا سلم أحدكم ثلاثاً فلم يجب فليرجع ٣٠/٦  
 إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ١١٧/٥  
 إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ٢٩٢/١  
 إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار ٢٣٣/٥

أعوذ بوجهك ١٥٣/٣  
أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ ٢٣٢/١  
اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك ٢٢١/٦  
اغزوا بسم الله وفي سبيل الله ٢١٣/١  
أفرس الناس ثلاثة: العزيز في يوسف ٢٢٦/٤  
أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان جائر ٢٣٩/١  
أفضل الصلاة طول القنوت ١٤١/١  
أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم ٣٠٦/٦  
أفضل الكلام أربع كلمات ١٧٤/٥  
أفلا أخبركم بأمر تدركون من كان قبلكم ٣٦٦/٧  
أفلا أكون عبداً شكوراً ١١٦/٥  
أفلا تنقيت لنا من رطبه وبسره ٥٢٠/٨  
أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفاً ٢٦٨/٢  
أقبلت غير يوم الجمعة ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم ١٢٣/٨  
أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا ٢٧٨/٢  
اقتدوا بالذين من بعدي من أصحابي: ٣٢٧/٧  
اقرأ القرآن في كل شهر ٢٥٧/٨  
اقرأ علي ٢١٧/٢  
اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفاعة ٤٢/١  
اقرأوا القرآن قبل أن يرفع ١٢٧/٥  
اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة ٤٢/١  
اقرأوا على موتاكم يس ٣٠/٧  
أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ٤٨١/٨  
اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل ٧٧/٨  
اقضي بينكما بكتاب الله ٣٩٣/٧  
اقعدي في بيتك حتى يأتي فيك أمر الله ١٨٥/٢  
أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل ٢٦/٧  
بشيء من الشعر  
أكبر الكبائر: الإشراف بالله والأمن من مكر الله ٢٠٢/٢  
اكتب باسمك اللهم ٣١٦/٧  
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ٣١٦/٧  
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ٣١٨/٤  
أكرموا عمتكم .. النخلة ٣٤٨/٤  
أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم ٦٩/٤  
أكل كل ذي ناب من السباع حرام ١٩٩/٣

أردنا أمراً وأراد الله أمراً والذي أراد الله ٢٠٧/٢  
ارفعوا السيف إلا خزاعة من بني بكر ١٨/٤  
ارقبوا محمداً في أهل بيته ١٩١/٧  
استأذنت ربي عز وجل في أن أستغفر لها ١٠١/٤  
استطعمتك فلم تطعمني ٣٨١/٧  
استغفروا لأخيكم واسألوا الله له التثبيت ٣٥١/٤  
استكثروا من الباقيات الصالحات ١٧٥/٥  
استنصت الناس .. لا ترجعن بعدي كفارا ٢٠٠/٢  
أسر أصحاب رسول الله صلى الله عليه عليه ٢٧٩/٧  
وسلم رجلاً من بني عقيل  
اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي ١٧٤/١  
أسلم وغفار وشيء من جهنمة ومزينة خير ٨٧/٤  
اسمع وأطع ولو لعد حبيشي ٢٤٠/٢  
اشتد غضب الله على من قتله نبي ١١٤/٢  
أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ٣٣٣/٦  
اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين ٤٥٣/٨  
اشفعوا لتؤجروا ليقضي الله على لسان نبيه ٢٥٦/٢  
أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله ١٣٤/٢  
أشيروا علي أيها الناس ٣٣١/٣  
أشيروا علي أيها الناس ٣١٣/٧  
اصرف بصرك ٣٣/٦  
أطت السماء وحق لها أن تغط ٦٤/٧  
اطلبوا فضلة من ماء ٩٦/٥  
اطلبوها الليلة الشهر تسع وعشرون ٤٨٩/٨  
أطلقوا غامة ٢٧٩/٧  
أطيب ما يأكل أحدكم من كسبه ٥٨٢/٨  
أعذر الله تعالى إلي امرئ آخر أجله ٤٢٥/٦  
أعط ابنتي سعد الثلاثين وأمهما الثمن ١٧٦/٢  
أعطي يوسف نصف الحسن ٢٢٣/٤  
أعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة ٢٦١/٥  
أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ٣٠٩/١  
أعطيت مكان التوراة السبع الطوال ٤١/١  
أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين ٤٢٥/٦  
أعوذ برضاك من سخطك ٢٢٣/٢  
أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر ٣٠/٥

اللهم اجعل في بصري نوراً وفي قلبي نوراً ١٥٠/٢  
 اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً ٣٧٦/٤  
 اللهم اشد وطأتك على مضر ٢٥٣/٨  
 اللهم اشد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين ٤٢٢/٥  
 اللهم أعم أبصارهم عنا ٥٣/٤  
 اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف ٢٢٩/٧  
 اللهم العن أبا سفيان ، اللهم العن الحارث ١٠٢/٢  
 اللهم العن فلانا ، وفلانا ، وفلانا ١٠٢/٢  
 اللهم أمتي أمتي وبكى ٤٥٥/٨  
 اللهم أمتي وبكى ١٢٣/١  
 اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار ٣٢٤/٦  
 اللهم أنجز لي ما وعدتني ٣٣٢/٣  
 اللهم إني اتخذت عندك عهداً لن تخلفني ١٢٤/٤  
 اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ٢٦٥/٧  
 اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء وأبرأ ٣٣٧/٦  
 اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس ١٨٧/٣  
 اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ٤٣٩/٨  
 اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ٤٣٤/٧  
 اللهم رب السموات ورب الأرض ورب  
 العرش العظيم ٣٢/٨  
 اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ١٢٣/٧  
 اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا ٤٠٧/٥  
 اللهم سلط عليه كلباً من كلابك ١٥٨/٥  
 اللهم صل على آل أبي أوفى ٩١/٤  
 اللهم علمه الكتاب ٣٤/١  
 اللهم فقهه في الدين ٣٤/١  
 اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا ٧٠/١  
 اللهم لا تكن لي إلى نفسي طرفة عين ١١٢/٥  
 اللهم لا يغفلون علينا ، اللهم لا قوة لنا إلا بك ١١٠/٢  
 اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ٣٧٤/٧  
 اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني ٢٩٦/٢  
 اللهم هذه قریش قد أقبلت بخيلائها وفخرها ٣٦٦/٣  
 اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ١٢/٢  
 ألم أعهد إليكم أن لا تتركوا المركز ١٢٦/٢  
 ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير ٦٠٠/٨

أكنت تجالس النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال: ٤١٨/٧  
 ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ المتعذون ؟ ٦٠٠/٨  
 ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة ٢٨٦/٢  
 ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ ١٩٣/٨  
 ألا أخبركم بما يمحو الله الخطايا ١٥٧/٢  
 ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق ٢٢٧/١  
 ألا إن في قتل العمد الخطأ بالسوط أو العصا مائة ٢٦٥/٢  
 ألا أنبيكم بأكبر الكبائر ؟ ٢٠١/٢  
 ألا أنبيكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ٢٤٦/٦  
 ألا إنها ستكون فتنة قلت: فما المخرج ٣٩/١  
 ألا تحيوه .. قولوا الله أعلى وأجل ١١١/٢  
 ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم ٣٣/٧  
 ألا تصلين ؟ .. وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً ١٨٢/٥  
 ألا فاصبروا حتى تلقوني على الحوض ٧٧/٨  
 ألا قد عرفناك يأسودة ٣٧٠/٦  
 ألا لا إيمان لمن لا أمانة له ٢٣٩/٢  
 ألا لا تغالوا صدقة النساء ١٩٥/٢  
 ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ١١/٤  
 ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ١٣٩/١  
 ألا هل من مشمر للجنة ٧٥/١  
 ألا وإن هذه الأمة توفي سبعين أمة ٩٠/٢  
 ألا إن هذه الدنيا جلوة خضرة وإن الله مستخلفكم ١٢٥/٤  
 ألا ترضوا يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ٣٤١/٦  
 الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير إليهم ٣٤٤/٦  
 اتمسوا في العشر الأواخر من تسع ٤٨٧/٨  
 ألحقوا الفرائض بأهلها ١٧٥/٢  
 الذي يقرأ القرآن وهو ماهر ٤١/١  
 الذين إذا رؤوا ذكر الله ١٤٠/٤  
 ألسن تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ٥/٢  
 الله أكبر ، الله أكبر ، خربت خير ٣٠٧/٧  
 الله أكبر خربت خير ٣٠٩/٧  
 الله أكبر خربت خير ٦٥/٧  
 الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ٢٧٤/٣  
 الله الذي لا إله غيره ؟ ٣٤٢/٣  
 الله في أصحابي ٣٢٨/٧

- إلى أقربهما منك بابا ٢١١/٢  
 أليس يحرمون ما أجل الله فتحرمونه ؟ ٣٩/٤  
 أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم ٣٩٠/٤  
 أما آن لكم أن تفقهوا وإذا قرئ فاستمعوا ٢١٩/٣  
 أما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه ١٥٤/٨  
 أما الإسلام فأقبل وأما المال فليست ٣١٥/٧  
 أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب ٤٢١/٦  
 أما إن حلف على ماله ليأكله ظلماً ٢١٠/١  
 أما إنه قد صدقكم ٩٢/٨  
 أما إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها ١٥٩/١  
 أما إنهم مبخله بجنة وإنهم لمن ربحان ٣٤٨/٣  
 أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر ٧٦/٢  
 أما ترضى أن تعيش حميداً ، وتقتل شهيداً ٣٣٦/٧  
 أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ١٥٥/٢  
 أما ترى ديناراً ؟ ٦٠/٨  
 أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل ٣٦٦/٦  
 أما لكن حلف على ماله ليأكله ظلماً ٥٨/٢  
 أما ما ذكرت من آنية أهل الكتاب فإن وجدتم ١٧/٣  
 أما هو فقد أتاه اليقين من ربه ٢٥٣/٧  
 أما والذي نفسي بيده لأقضين بينكما ١٨٣/٢  
 أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى ٢٤٠/١  
 أمر القعقاع معبد بن زرار ٣٣٤/٧  
 أمر الله عز وجل المؤمنين أن لا يقرؤا المنكر ٣٤٦/٣  
 أمر الناس أن يكون آخر عهدهم الطواف بالبيت ٣٨٢/٥  
 أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ٢٤٢/٨  
 أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ١٦/٤  
 أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ٦٩/٣  
 أمسك أربعاً وفارق سائرهن ١٦٢/٢  
 أمسك عليك زوجك ٣٥٥/٦  
 أمكني في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله ١٥٦/٨  
 أمني جبريل عند البيت مرتين ٢٨٢/٢  
 إن آدم لما أكل من الشجرة التي نهي عنها ٨٤/١  
 إن أبغض الرجال إلى الله تعالى الألد الخصم ٢٣٦/١  
 إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه ١٨٠/٥  
 إن أثقل شيء يوضع في ميزان المؤمن ١٩٠/٨  
 إن أحب الصيام إلى الله صيام داود ٧٥/٧  
 إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة ٢٣٩/٢  
 إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة ١٥١/٧  
 إن أخا لكم لا يقول الرفث ٣٠٦/٦  
 إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ٣٢٦/١  
 إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ١٦٦/٤  
 إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى وجهه ٢٨٥/٨  
 إن ارتفاعها لكما بين السماء والأرض ١٣/٨  
 إن استطعتم أن تكونوا من السبعين فكونوا ١٧/٨  
 إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه ٣٣٠/١  
 إن أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكر ١٤٠/٥  
 إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ٢٦٨/١  
 إن الأواه الخاشع التضرع ١٠٢/٤  
 إن الجن ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة ٢٦٩/٧  
 إن الجنة حرمات على الأنبياء كلهم حتى أدخلها ٩١/٢  
 إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة ٣٧٤/٥  
 إن الدجال يخرج وإن معه ماء وناراً ١٥٥/٧  
 إن الدعاء هو العبادة ١٥٥/٧  
 إن الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه ٢٠٣/٤  
 إن الذي أمشاه على رجله قادر على أن يمشيه ١٣١/٥  
 إن الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن ٤١/١  
 إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة ١٩٤/١  
 إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق ٤٣/٤  
 إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق ١٢٠/٥  
 إن الشيطان قال: وعزتك يارب لا أبرح ١٨٤/٢  
 إن الصعيد الطيب وضوء المسلم ٢٢٢/٢  
 إن العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ١٦٤/٧  
 إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ٣٥٠/٤  
 إن العبد يعمل فيما يرى الناس بعمل أهل الجنة ٢٢٤/٣  
 إن العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر ٢٥٨/٤  
 إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً ١٩١/٥  
 إن الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام طبع كافراً ١٣٩/٨  
 إن القدر إذا جاء حال دون البصر ١٥٣/٦  
 إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ٤٦/١  
 إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ٢١٣/٤

إن الله غالبكم وحاشركم إلى جهنم ١٣/٢  
 إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن أشياء ١٠٦/٣  
 إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه ولا وصية لوarith ١٩٢/١  
 إن الله قد رخص لي فلازیدن على السبعين ٧٩/٤  
 إن الله كتب على ابن آدم حفظه من الزنا ٤١٢/٧  
 إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور ١٥٤/٧  
 إن الله لا يظلم المؤمن حسنة ٢١٥/٢  
 إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ٣٤٦/٣  
 إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ٣٢٧/٤  
 إن الله لا ينال ولا ينبغي له أن ينال ٣١٢/١  
 إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ٣٤٩/٧  
 إن الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات ٦١/٤  
 إن الله ليلى للظالم حتى إذا أخذه ١٩٩/٤  
 إن الله يؤيد حسان بروح القدس ١٣٧/٦  
 إن الله يدخل بالسهم الواحد الجنة ثلاثة ٣٧٢/٣  
 إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر ٣٧٢/٣  
 إن الله يدخل قوما النار ١٥١/٢  
 إن الله يدين المؤمن فيضع عليه كنفه ١٦٨/٤  
 إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق ٢١٦/٢  
 إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ٢٦٤/١  
 إن المؤمن إذا أذنب كانت نكته سوداء في قلبه ٣٦٥/٨  
 إن المؤمن ليدرك بحسن خلق درجة ١٩١/٨  
 إن المؤمن من يضيء نوره من المدينة إلى ٣٤/٨  
 إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ١٣٦/٦  
 إن المؤمنين وأولادهم في الجنة ٣٨٩/٧  
 إن المرأة من أهل الجنة ليرى بياض ساقها ٤٥٥/٧  
 إن المستشار مؤتمن ٥٢٠/٨  
 إن المشركين قالوا لرسول الله صف لنا ربك ٥٨٧/٨  
 إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب ٣٧٣/٤  
 إن الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء ٨٨/٥  
 إن الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء ٣٠٣/٦  
 إن الملائكة لتلق روح رجل ٣٤٦/١  
 إن الميت يسمع حس النعال إذا ولى عنه الناس ٣٥٠/٤  
 إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيروه ٨٥/٢  
 إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيروه يوشك ١٠٩/٣

إن الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ٣٢٧/١  
 إن الله اصطفى إبراهيم بالخلعة واصطفى موسى ٤٠٣/٧  
 إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ٥٤٦/٨  
 إن الله أنزل أربع بركات من السماء ٤١/٨  
 إن الله بعثني تمام مكارم الأخلاق ١٨٨/٨  
 إن الله بعثني تمام مكارم الأخلاق ٣١٧/٣  
 إن الله تبارك وتعالى يقول: أنا أغنى الشركاء عن الشرك ٢١٣/٥  
 إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة ١٦/٢  
 إن الله تعالى أعطاني السبع الطوال ٣٩١/٤  
 إن الله تعالى أمرني أن أقرأ عليك ٤٩٧/٨  
 إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات ١٠٤/٣  
 إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ١٢٦/٣  
 إن الله تعالى خلق ثلاثة أشياء بيده: ٤١١/٥  
 إن الله تعالى قال: أنفق أنفق عليك ٤٠٢/٦  
 إن الله تعالى قد جعل لكم إخواناً وداراً ٨٤/٢  
 إن الله تعالى يدين المؤمن يوم القيامة ٣٥٦/١  
 إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم ثلاثاً ٧٩/٢  
 إن الله تعالى يرفع بالقرآن أقواماً ٤٠/١  
 إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغفر ١٨٤/٢  
 إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك ١٦٧/١  
 إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليهم ٥٧٥/٨  
 إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ٤٢٩/٨  
 إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة ٣٨٤/٤  
 إن الله عز وجل اتخذ إبراهيم خليلًا وإن صاحبكم ١٢١/٥  
 إن الله عز وجل أمرني أن أعلمكم ١٣٣/٦  
 إن الله عز وجل أنزل أربعة أنهار من الجنة ٤١٣/٥  
 إن الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار ٤١٣/٥  
 إن الله عز وجل تجاوز عن أمتي ما وسوست به أنفسها ٣٥٥/١  
 إن الله عز وجل جعل بالمغرب باباً مسيراً ٢٠٨/٣  
 إن الله عز وجل خلق آدم ثم مسح ظهره يمينه ٢٩٨/٣  
 إن الله عز وجل لا يظلم المؤمن حسنة ١٦٦/٤  
 إن الله عز وجل لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ٤٣/٤  
 إن الله عز وجل ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة ٣٠٨/١  
 إن الله عز وجل منعني أن أقبل منك صدقتك ٧٧/٤  
 إن الله عز وجل يرفع ذرية المؤمن في درجته ٣٨٩/٧

أن النبي أمر بالذين رموا عائشة فجلدوا الحد ٢٣/٦  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة ٦٣/٥  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرأه خمس عشرة سجدة ٤٠٢/٥  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم أقسم أن لا يدخل على ٣٤٦/٦  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر رجلاً كان جنباً ٢٢٨/٢  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم توضعاً فمسح بخاصيته ٢٢/٣  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا في مسجد ١٥٤/٣  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم ٤٢١/٧  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخوف بإحدى ٢٧٨/٢  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم فتح مكة الصلوات ٢٠/٣  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب ١٨٢/٢  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم طب حتى إنه ليخيل إليه ٥٩٣/٨  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سبوح اسم ربك الأعلى ٣٩٩/٨  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال: ٢٧٨/٣  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ ٦٠١/٨  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أصاب أهله ضرر ٣٠٤/٥  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اغتسل ٢٥/٣  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا ركع ٢٣/٣  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سئل لمن هذا الأمر ٢١٥/٧  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا بنا قوماً ٣٠٧/٧  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قال سمع الله لمن حمده ٢٧٣/٢  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة ١٦٢/١  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر فقرأ ٤٧٣/٨  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر شيئاً لغده ٢٥٣/٦  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت ٢٦/٧  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالناس ٢٧٨/٢  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر ٢٠٩/١  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش ١٩٠/٧  
 أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن غن الكلب ٣٤٣/١  
 أن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها ملك ٣٦٦/٥  
 أن اليهود إذا سلم عليكم أحدهم ٢٥٨/٢  
 أن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين ٢٦/٣  
 أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة ٣١٠/٧  
 أن أمتي اقتلت نفسها فهل لي أجر ٤١٦/٧

إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم ١١٤/٧  
 أن أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح ١٢٣/٤  
 إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم ٢٨٦/٥  
 إن أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم ٢٢٢/٧  
 أن أهل جهنم يدعون مالكا خازن النار أربعين ٤٣١/٥  
 أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم ٤٢٥/٧  
 إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها ١٧٨/٦  
 إن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد ١٢٠/٨  
 إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ٧٤/١  
 إن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب ١٠١/٥  
 إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي ٣٣٣/٧  
 إن أول ما يسأل العبد يوم القيامة من النعم ٥١٩/٨  
 إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة ٣٧٣/٦  
 إن أوليائي من عبادي الذين يذكرون ١٤٠/٤  
 أن أيوب لبث في بلاءه ثمانين سنة ٣٤٣/٥  
 إن بالمدينة جنا قد أسلموا ٨٤/١  
 إن بلالا ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ٢٠٨/١  
 إن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين فرقة ٢٠٩/٣  
 إن بني إسرائيل لما اعتدوا وقتلوا الأنبياء ٦٧/٥  
 إن بها ملكا صالحا لا يظلم وذي يظلم عنده أحد ٨٥/٣  
 إن بين يديه ثلاث سنين: ١٥٣/٧  
 إن بيننا وبينك قرابة فأمر إلينا متى الساعة؟ ٣٠٩/٣  
 أن تجعل لله ندا وهو خلقك ٧٢/١  
 أن تجعل لله ندا وهو خلقك ٢٠١/٢  
 أن ترهب أمتي الجلوس في المساجد ٨٩/٣  
 أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر ١٨٦/١  
 أن تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ٢٥٨/٢  
 أن تطعمها إذا طعمت ٢٦٨/١  
 أن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا ألأ ١٢٨/٧  
 أن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا ألأ ٤١٢/٧  
 أن تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله ١٦٨/١  
 أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله ٢٤٦/٦  
 أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله ٣١٣/٧

٢٨١/١ أن سبيعة نفست بعد وفاة زوجها  
 ٣٢٨/٧ إن سرك أن تكون من أهل الجنة فإن قوما  
 ١٨١/٨ إن سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية  
 ٨٩/٣ إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله  
 ٩٩/٤ إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله  
 ١٧١/١ إن شئت دعوت الله أن يشفيك  
 ٧٧/٨ إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم  
 ٦٢/٤ إن شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغني  
 ٢٤٤/٦ إن صلاته تنهاه يوما  
 ٢٤٥/٦ إن صلاته لتردعه  
 ١٠٨/٢ إن عبدا أذنب ذنباً فقال : أي رب  
 ١٧١/١ إن عظم الجزاء عند الله مع عظم البلاء  
 ٩٥/٧ إن عفريتاً من الجن تفلت بالراحة  
 ٤٦/٥ إن عماراً ملئاً إيماناً من قرنه إلى قدمه  
 ٩٨/٣ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضى في الضبع بكبش  
 ٣٠٦/٦ إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها  
 ٧٥/١ إن في الجنة لسوقاً ليس فيه بيع ولا شراء  
 ٧٦/١ إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة  
 ٢٧٠/٢ إن في المدينة لأقواماً ما سرتهم من مسير ولا قطعهم  
 ٦٩/٤ إن في أمتي اثنا عشر مناقفا لا يدخلون الجنة  
 ٣٨٩/٨ إن في صدر اللوح : لا إله إلا الله وحده  
 ١٧٦/١ إن في هاتين الآيتين اسم الله الأعظم  
 ٣١٧/٧ أن قريشاً صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم فاشترطوا  
 ٢٥٨/١ إن كان الدم عبيطاً فليصدق  
 ١٨٩/٨ إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله  
 ٨٩/٣ إن لأنفسكم عليكم حقاً فصوموا وأفطروا وقوموا  
 ٤٣/٨ إن لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة  
 ٤٣/٢ إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير  
 ١١٨/٥ إن لكل نبي دعوة مستجابة  
 ٤٥٨/٧ إن للمؤمن في الجنة لحيمة من لؤلؤة  
 ٣٠٧/٣ إن لله تسعة وتسعين اسماً  
 ١٤٠/٤ إن لله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء  
 ١٣١/٣ إن لله مائة رحمة واحدة بين الجن  
 ٣٧٤/٦ إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني  
 ١٧٩/٥ إن للوضوء شيطاناً يقال له ولهان

١٣٩/٧ إن جدلاً في القرآن كفر  
 ٧/٢ إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه  
 ٨٢/٧ إن داود النبي عليه السلام حين نظر إلى المرأة  
 ١١٠/٢ إن رأيتمونا نخطفنا الطير فلا تبرحوا  
 ٣١٦/٣ إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك  
 ١٥٠/٢ أن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله  
 ٣٤/١ أن رجلاً يأتونكم من أقطار الأرض  
 ٥٨/٢ أن رجلاً أقام سلعة وهو في السوق فحلف  
 ٢٤٨/٥ أن رجلاً في النار ينادي ألف سنة يا حنان يا منان  
 ٢١٥/٣ أن رجلاً ينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً كل سجل  
 ١٢٨/٧ أن رجلاً كانا في بني إسرائيل متحابين  
 ٣٤٠/٣ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاث  
 ٣٥٩/٣ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسهم لرجل ولفرسه  
 ٢٠/٣ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالوضوء عند كل  
 ٢٣/٤ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى السقاية  
 ١٦٧/٨ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءها حين أمره الله  
 ٣٤٧/٣ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة  
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى مكة عام الفتح  
 ١٩٩/١ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يسوق بدنة  
 ٣٨٤/٥ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند أبي الشحم  
 ٣٥٣/١ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة  
 ١٦٢/١ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقاً في جح  
 ٥٢/٣ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه أمر فزع  
 ٣٩٧/٤ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صافح الرجل  
 ١٨٩/٨ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة  
 ٤١٢/٦ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفل  
 ٣٦٠/٣ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشاً  
 ١٨٩/٨ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن إلى  
 ٢٣/٨ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار  
 ١٦٣/٢ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء  
 ١٩٣/٢ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر حرقوا

٩٩/٣ إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم  
 ١٦٨/١ أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه  
 ٢١٠/٢ أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا  
 ٢٨٢/٧ أنت أحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إلي  
 ٤٩/٤ أنت صاحبي في الغار وصاحبي على الحوض  
 ٣٧٦/٣ أنتم اليوم عائلة فلا يفلتن منهم أحد  
 ٣٠٤/٧ أنتم خير أهل الأرض  
 ٣٠٩/٧ أنزعت عنك الرحمة يا بلال  
 ٤٨٩/٨ أنزل ليلة ثلاث وعشرين فصلها  
 ١٩٨/١ أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في ثلاث ليال مضيئ  
 ٥٥٧/٨ أنزلت علي آناً سورة  
 ١٦٦/٣ أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد  
 ٤٢٥/٧ انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ٢٦٦/٧ انطلق النبي صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه  
 ٣٦٨/٦ انظر إليها فإن في أعين نساء الأنصار  
 ٣٩٢/٤ انظروا إلى من هو أسفل منكم  
 ٣٩٨/٤ انظروا إلى هذا الذي قد نور الله قلبه  
 ١٢/٦ انظروا فإن جاءت به أسحم أدعج  
 ٢٥٧/١ أنفست ؟  
 ٢٥٤/١ أنفقه على نفسك  
 ٣٣٤/١ أنفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك  
 ٦٦/٤ إنك تأتي قوما أهل كتاب فادعهم إلى  
 ١٢٨/٣ إنك تعيش قرنا  
 ٩٠/٢ إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها  
 ٢٥/٧ إنكم تدعون فيقدم على أفواهكم بالفدام  
 ٣٠٣/٥ إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر  
 ١٧٧/٢ إنكم تقرؤون الوصية قبل الدين  
 ١٩٧/٣ إنكم حرمت أصنافا من الغنم على غير أصل  
 ١٧٤/٣ إنكم سترون ربكم عيانا  
 ٢٠٤/٢ إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم  
 ٣٥٨/٥ إنكم محشورون حفاة عراة غرلا  
 ١٧٦/٥ إنكم محشورون حفاة عراة غرلا  
 ٤٦/٨ إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم  
 ١١٦/٢ إنما الأعمال بالنيات  
 ١٠٧/٣ إنما الولاء لمن أعتق

٣٥٩/٦ إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد  
 ٣١٣/٤ إن مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات  
 ١٣٧/٧ إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد  
 ٨٥/٧ إن مثل عيني داود كقربتين تنطفان ماء  
 ٣٠/٤ إن معي من ترون وأحب الحديث إلي أصدقاه  
 ٤٤٦/٧ إن مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضاء  
 ٢٧٢/١ إن من أبغض الحلال إلى الله الطلاق  
 ٢٨٤/٧ إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم  
 ٣٤٨/٤ إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها  
 ١٣٨/٦ إن من الشعر لحكمة  
 ٢٥١/١ إن من العنب خمرا  
 ١٩٠/١ إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره  
 ١٨٤/٥ إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل  
 ٣٧٨/٦ إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً لا يرى من جلده شيء  
 ٧٩/٣ إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت  
 ٢١٥/٧ إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد  
 ١٤٦/١ إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض  
 ٧٨/٢ إن هذا القرآن حبل الله وهو النور المبين  
 ٤٠/١ إن هذا القرآن مأدبة الله  
 ٣١٦/٧ إن هذا من قوم يتأهلون فابعثوا بالهدي في وجهه  
 ٥٦٨/٨ إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب  
 ٢٢٢/٧ إن يدخلك الله الجنة لا تشاء أن تتركب  
 ١٤٦/٦ أنا أخشاكم لله  
 ٢٣/٢ أنا الله ملك الملوك، ومالك الملوك  
 ٣١٠/٤ أنا الله وأنا الرحمن وهي الرحم شققت  
 ٢٨٨/٣ إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب  
 ١١٣/١ إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب  
 ١١٤/١ إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب  
 ٤٥٤/٨ إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة  
 ١٢٠/٥ أنا أولهم خروجاً إذا بعثوا  
 ١٢٠/٥ أنا سيد ولدي آدم يوم القيامة  
 ١٦٧/١ أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني  
 ٥٥٩/٨ أنا عند عقر حوضي أذود الناس  
 ٢٧/٥ أنا فرطكم على الحوض  
 ٣١٤/٧ إنا لم نجيء لقتال أحد ولكننا جئنا



إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين ٥٠/٤  
 إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة ٢٦٧/٧  
 إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله ١٩١/٧  
 إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله ٤٤٧/٧  
 إني رأيت في منامي بقرا تذبج ٩٧/٢  
 إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري ٣١٨/٧  
 إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ٢٥٤/٧  
 إني على جناح سفر ولو قدمنا إن شاء الله ٩٣/٤  
 إني عند الله مكتوب خاتم النبيين ١٥١/١  
 إني فرطكم على الحوض ٨٨/٢  
 إني لأستحي أن لا أدع له يدا يستنجي بها ٥٣/٣  
 إني لأستحي من الله أن أرد شيئا قاله أبو بكر ١٧٩/٢  
 إني لا أدري ما بقائي فيكم فاقتلوا باللذين من بعدي ٢٤١/٢  
 إني لا أصافح النساء ١٠٣/٨  
 إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد ٢٥٢/٥  
 إني لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار ٢٥١/٥  
 إني لأعرف حجرا في مكة كان يسلم علي ١١١/١  
 إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه ٤٥٠/٧  
 إني لأنذركموه وما من نبي إلا وأنذر قومه ١٥٤/٧  
 إني لفني الصف يوم بدر إذ التفت عن يميني ٣٤١/٣  
 إني وجدت من فلان ريح شراب ٢٥٢/١  
 أمهجم أو هاجهم وجبريل معك ١٣٧/٦  
 أمهجو قريشا فإنه أشد عليهم من رشق النبل ١٣٨/٦  
 اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد ١١٢/١  
 أهل الجنة جرد مرد كحل ٧٥/١  
 أهل الجنة عشرون ومائة صف ٩١/٢  
 أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ٧٤/١  
 أهل بيته من حرم الصدقة عليه بعده ٣٥١/٦  
 أو قد فرغت يا أبا الوليد؟ ١٦٨/٧  
 أوتي النبي صلى الله عليه وسلم السبع الطوال ٣٩١/٤  
 أوتي نبيكم علم كل شيء إلا علم مفاتيح الغيب ١٥٠/٣  
 أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان ٢٠٩/٣  
 أوفي هذا أنت يا ابن الخطاب؟ ١٦٧/٨  
 أو كلما اشتبهت يا جابر اشتريت؟ ٢٦٢/٧  
 أول الآيات الدخان ونزول عيسى ٢٣٠/٧

إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ٢١١/١  
 إنما أنا رحمة مهداة ٣٥٩/٥  
 إنما أنا لكم مثل الوالد لولده ٤٠٤/٥  
 إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد ٣٥٨/٣  
 إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار ٢٠٨/١  
 إنما سمي خضرا لأنه جلس على فروة بيضاء ١٨٨/٥  
 إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله ١٣٩/٧  
 إنما هي طعمة أطعمكموها الله تعالى ٩٩/٣  
 إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ٣٥٠/٦  
 إنما يكفيك هكذا فضرب ٢٢٨/٢  
 إنه جاءني جبريل فقال: إن ربك يقول أما يرضيك ٣٧٤/٦  
 إنه سيأتىكم إنسان فينظر إليكم بعيني شيطان ٧٤/٤  
 إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون ٢٣٧/٣  
 أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه ٢٧/٨  
 إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع ٩٢/٨  
 إنه قد نزل تحريم الخمر وهي من خمسة أشياء ٢٥١/١  
 أنه كان إذا طاف في الحج أو العمرة أول ٣٨١/٥  
 أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين ٧٥/٨  
 إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله ٢٨٥/٧  
 إنه يشب الوجه فلا تجعله إلا في الليل ٢٨٠/١  
 إنه ينزل على ثنية بالأرض المقدسة ٢١٩/٧  
 إنها ستكون هجرة بعد هجرة فخير الناس ٣٣٠/٥  
 إنها طيبة تنفي الذنوب كما تنفي النار ٢٥٩/٢  
 إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات ٣٥٥/٥  
 أنهار الجنة في غير محدود ٧٣/١  
 إنهم كانوا يأكلون لحوم الخيل على عهد رسول الله ١٠/٥  
 إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم ٢٢٩/٥  
 إنهم يتقون بوجوههم كل حذب وجهة ١٣١/٥  
 إني أجد في التوراة مكتوبا محمد رسول الله ٢٨٩/٣  
 إني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها ٣٥٠/٨  
 إني أحسن ٢١٢/١  
 إني أخشى عليهم أهل نجد ١٣٢/٢  
 إني أراكم تقرؤون وراء إمامكم ٣٢١/٣  
 إني أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع ٤٨٨/٨  
 إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون ٢٣/٥

الأنبياء والأمثال فالأمثال ١٧١/١  
الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها ٦٢/١

### حرف الباء

بش الشعب شعب أجياد ١٨٠/٦  
بادروا بالأعمال ستا: طلوع الشمس من مغربها ١٧٧/٦  
بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم ٨٨/٢  
بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة ٧٢/٣  
بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة ٢٤٠/٢  
بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ٢٦٨/٢  
بخ يخ ذاك مال رابع ٦٧/٢  
بسم الله أريقك أريقك من كل ٥٩٤/٨  
بسم الله الحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا ٢٠٧/٧  
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله  
ورسوله إلى هرقل ٥٠/٢  
بشر هذه الأمة بالسنا والرفعة والتمكين ١٨٩/٧  
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين جيشاً ١٩٢/٢  
بعثت أنا والساعة كهاتين ٢٨٤/٧  
بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار ٨/٥  
بعثت بالحنيفية السمحة السهلة ١٩٩/٢  
بعثني النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل تزوج امرأة أبيه ١٨٧/٢  
بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ٣٦/٤  
بعنيها بنخلة في الجنة ٤٤٦/٨  
بكى شعيب النبي صلى الله عليه وسلم من  
حب الله عز وجل ٢٠٤/٦  
بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ١١٠/٣  
بل أنتم الكرارون ٣٣٨/٣  
بل هو من أهل الجنة ٣٣٥/٧  
بلغوا عني ولو آية وحديثوا عن بني إسرائيل ١٣٤/٣  
بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح ٢٦/٦  
بنى الله له بيتاً في الجنة ٢١/٤  
بني الإسلام على خمس: شهادة ٧٢/٢  
بيننا أنا في المسجد الحرام بين النائم واليقظان ٥٧/٥  
بين كل أذانين صلاة ١٧٤/٧

أول زمرة تدخل الجنة يوم القيامة ٧٤/١  
أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ٤٥٤/٧  
أول سورة أنزلت فيها السجدة: النجم ٤٢١/٧  
أول سورة نزلت قوله عز وجل: اقرأ ٤٧٨/٨  
أول شيء بدأ به حين قدم أنه توضأ ثم طاف ٣٨١/٥  
أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي ٤٧٧/٨  
أول من أظهر إسلامه بسيفه النبي صلى الله  
عليه وسلم وأبو ٣٤/٨  
أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة ٩٩/٤  
أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون ١٣٩/٥  
أولئك العصاة ٢٠٠/١  
أولئك قوم عجلوا طيبتهم في الحياة الدنيا ٢٦٠/٧  
أولم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب ٣٥٧/٦  
أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة ٣٢٦/٧  
أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك ١٠٠/٤  
أيؤذك هوامك؟ ٢٢٣/١  
إياكم والظن فإنه أكذب الحديث ٣٤٥/٧  
إياكم ومحقرات الذنوب ١٧٧/٥  
أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله ٢٣٤/١  
آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب ٧٨/٤  
آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ٦٠/٨  
أوجب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد ثلاث ٤٣/١  
أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن ٥٨٩/٨  
أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه؟ ٢٥٨/٨  
أيما امرأة سألت زوجها الطلاق ٢٧٢/١  
أين قريش؟ كم القوم؟ ٣٣٩/٣  
أيها الناس اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة ٧٧/٢  
أيها الناس اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من ٢٣٦/٧  
أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله تعالى ٨٠/٣  
أيها الناس عليكم بالسكينة ٢٣١/١  
أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا ٣٧٩/٥  
أيها الناس ليس من شيء يقر بكم من الجنة ويباعدكم من ٢٥٤/٦  
الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ٣٨/٥  
الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ١٧٢/٧  
الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ٢٠٣/٤

تكلم أربعة وهم صغار: ابن ماشطة ابنة فرعون ٢٣٥/٤  
تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة ٣٦٢/٤  
تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (أفلا  
يتدبرون القرآن) ٢٨٧/٧  
تلك سورة رفعت تلاوتها وأحكامها ١٣٤/١  
تلك عاجل بشرى المؤمن ١٤١/٤  
تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ٢١٩/١  
تمر طيبة وماء طهور ٢٦٧/٧  
تنكح المرأة لأربع ٢٦١/١

### حرف الثاء

ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها ٢٠٨/٣  
ثلاث جدهن جد وهزلهن جد ٢٧٥/١  
ثلاث لأن يكون النبي صلى الله عليه وسلم بينهن لنا ١٧٩/٢  
ثلاث هن علي فريضة وهن سنة لكم ١١٥/٥  
ثلاثة تحت العرش يوم القيامة القرآن يحاج ٣١١/٤  
ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ٥٩/٢  
ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ٥٩/٢  
ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له جارية ٢١٤/٦  
ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل ٤٥/٨  
ثم أنتم يا خزاعة قد قتلتم هذا القليل ١٩١/١  
ثم ذهب بي إلى سدره المنتهى فإذا ورقها ٤٠٦/٧  
الثلث والثلث كثير ١٩٣/١

### حرف الجيم

جئتم في عهد أو هل جعل لكم أحد أماناً؟ ٣١٣/٧  
جاء الحق وزهق الباطل ١٢٣/٥  
جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: إني رأيتني ٨٦/٧  
جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وأنا مريض ١٧٦/٢  
جاء ملك الموت إلى موسى بن عمران فقال له: ٤٠/٣  
جاءت مشركو قريش إلى النبي صلى الله  
عليه وسلم يخاصمونه ٤٣٥/٧  
جاءت ملائكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم ٢٨/٢

بيننا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجل ٦١/١  
بيننا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم ٢٣/٧  
بيننا أيوب يغتسل غريانا خر عليه جراد ٣٤٧/٥  
بيننا أنا في الحطيم بين النائم واليقظان ٥٩/٥  
بيننا أنا نائم إذ أتيت خزائن الأرض ١٦٨/٣  
بيننا رجل يتبختر في بردين وقد أعجبته نفسه ٢١٣/٢  
بيننا رجل يسوق بقرة إذ عبي فركبها ١١١/١  
بيني وبينكم التوراة ٢٢/٢  
البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك ١٠/٣  
البينة وإلا حد في ظهرك ١٣/٦

### حرف التاء

تابعوا بين الحج والعمرة ٢١٨/١  
تجب الجمعة على كل مسلم ١١٨/٨  
تجدون الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ١١٢/٤  
تحتاج الجنة والنار فقالت النار ٣٧٤/٥  
تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر ٤٨٦/٨  
تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر ٤٨٧/٨  
تحلفون خمسين يمينا وتستحقون دم صاحبكم ١١٠/١  
تخرج الدابة من صدع في الصفا كجري القوس ١٧٩/٦  
تخرج الدابة ومعها عصا موسى وخاتم سليمان ١٧٨/٦  
تحلف عنار رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر سافرناه ٢٣/٣  
تردين عليه حديثه ٢٧٠/١  
تسوموا فإن الملائكة تسومت بالصوف ١٠١/٢  
تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة ٣١٢/٤  
تعجبون من غيرة سعد؟ والله لأنا أغير منه ٣١٢/٢  
تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ٢٩٦/٧  
تفضل صلاة الجمع على صلاة أحدكم وحده  
بخمسة وعشرين ١١٤/٥  
تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق ٤١٧/٧  
تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان ٢٢٨/٧  
تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال ٥٠١/٨  
تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه ٢٤٩/٢  
تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته ٥٧/٤

## حرف الحاء

- خدعهما إبليس مرتين مرة في الجنة ومرة في الأرض ٣١٣/٣  
 خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال ١٨٨/٨  
 خذ من كل عالم ديناراً ١٦٦/٢  
 خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً ١٨١/٢  
 خرج برجل فيمن كان قبلكم أرباب ٢٠٠/٢  
 خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحي فلان وفلان ٤٨٧/٨  
 خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع ٢١٨/١  
 خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره ٢٢٦/٢  
 خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً ثم قال ٢٠٥/٣  
 خل عنه ياعمر فلهي أسرع فيهم من نضح النبل ١٣٧/٦  
 خلق الله آدم عليه السلام من تراب ١٢٧/١  
 خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم ٣١٠/٤  
 خليلان مؤمنان وخليلان كافران ٢٢١/٧  
 خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم ١٩٩/٣  
 خمس قتلن حلال في الحرم ١٠٣/٣  
 خمس قد مضين اللزام والروم والبطشة ٢٢٩/٧  
 خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلن جناح ١٠٣/٣  
 خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا ٢٥٣/١  
 خير المال مهرة مأمورة ٨٣/٥  
 خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك ٢٠٨/٢  
 خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم ٤٥٧/٨  
 خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها ٣٧٧/٤  
 خير نسائها مريم بنت عمران ٣٦/٢  
 خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ١٢١/٨  
 خيرات الأخلاق حسان الوجوه ٤٥٨/٧  
 خيركم قرني ثم الذين يلونهم ٨٩/٢  
 خيركم من تعلم القرآن وعلمه ٣٩/١  
 خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترنا الله ورسوله ٣٤٧/٦  
 خيروا أصحابكم فإن اختاروكم فهم منكم ٣١٤/١  
 الخيل ثلاثة لرجل أجر ورجل ستر ٣٧٣/٣

- جاءت ملائكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم ١٢٩/٤  
 جامعوهن في البيوت واصنعوا كل شيء إلا النكاح ٢٥٦/١  
 جاورت بحراء فلما قضيت جوارى ٢٦٣/٨  
 جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي ٢٤٩/٥  
 جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ٢٢٧/٢  
 جلدها بكتاب الله، ورجمتها بسنة رسول الله ١٨٢/٢  
 جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما ٤٥٦/٧  
 الجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل ٢٨٠/٧

## حرف الحاء

- حاضت صفية ليلة النفر فقالت: ما أراني إلا حابستكم ٣٨٢/٥  
 حبك إياها أدخلك الجنة ٥٩٠/٨  
 حجابها النار لو كشفها لأحرقت سبحات ٢٦٦/٥  
 حجابها النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ١٤٥/٦  
 حجي واشترطي وقولي ٢٢١/١  
 حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير ٧١/٨  
 حرمت النار على ثلاث: عين بكت من خشية الله ١٣٧/٥  
 حسبك إذا ذكرت أخاك بما فيه ٣٤٦/٧  
 حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران ١٧٢/٨  
 حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران ٣٧/٢  
 حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حيناً ألقى في النار ١٣٨/٢  
 حق المرأة أن تطعمها إذا طعمت ٢٠٨/٢  
 حملة العرش ثمانية فأربعة منهم يقولون ١٤١/٧  
 حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن ٥٥٩/٨  
 الحسب المال والكرم التقوى ٣٤٨/٧  
 الحمد لله الذي أذهب عنكم عيبة الجاهلية ٣٤٨/٧  
 الحمد لله الذي جعل في أمي من أمرت أن أصبر ١٦٦/٥  
 الحمد لله الذي جعل في أمي من أمرني أن ١٤٧/٣  
 الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي ١٤٦/٣  
 الحمد لله رأس الشكر ١٣٩/٥  
 الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الأخيار ٢٥١/٨  
 الحمي من فيح جهنم فأبردوها بالماء ٢٤٩/٥

الحليل معقود بنواصبيها الخير إلى يوم القيامة ٣٧٢/٣

## حرف الدال

دخلت الجنة فإذا أنا بنهر ٥٥٨/٨  
دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ٦٠/٤  
دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين ٢٤/٣  
دعوه فإن لصاحب الحق مقالا ٣٤٦/١  
دعي الصلاة أيام أقرائك ٢٦٦/١  
دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المزدلفة ٢٢٩/١  
دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى  
إذا كان ٢٢٩/١  
دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف درهم ٢٦٥/٢  
الدعاء مخ العبادة ٣٥٨/٤  
لدينا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة ٢٣٢/١

## حرف الذال

ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي ٢٦٦/٧  
ذاك شيطان يقال له خنزب ١٨٠/٥  
ذاك عملك ٢٥٣/٧  
ذكاة الجنين ذكاة أمه ٧/٣  
ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل ٤٠١/٧  
الذاكرون الله كثيراً ٢٤٦/٦

## حرف الراء

رأى أدريس في السماء الرابعة ٢٣٨/٥  
رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي ٤٣/٥  
رأى جبريل في صورته له ستائة جناح ٤١١/٦  
رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً قد  
صار مثل الفرخ ٢٣٣/١  
رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرى المنام ٢٥٣/٧  
رأى رفرقا أخضر سد أفق السماء ٤٠٧/٧  
رأيت ربي عز وجل في أحسن صورة ١٠١/٧

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ومعه ٩٩/٢  
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي ٢٣/٣  
رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار ١٠٨/٣  
رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندب ٤٧/٤  
رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله ٩٩/٢  
رأيت ليلة أسري بي إلى السماء يوسف ٢٣٧/٤  
رأيت ليلة أسري بي رجالاً ٨٨/١  
رأيت ليلة أسري بي قوماً لهم مشافر ١٧١/٢  
رأيت ليلة أسري بي موسى رجلاً آدم طوالاً ٣٠٨/٦  
رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ٣٣٨/٦  
رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا ١٥٦/٢  
رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ٤٠٢/٥  
رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني ٢٥١/٤  
رحمة الله علينا وعلى موسى ١٩٢/٥  
ردوا السائل ولو بظلف محرقة ١٨٧/١  
رضا الله في رضا الوالد ٨٧/٥  
رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ٨٧/٥  
رفع عن أمتي الخطأ والنسيان ٣٥٧/١  
رفعت رأسي يوم أحد فجعلت ما أرى أحداً من القوم ١٢١/٢  
ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها ٣٦٥/٧  
الرؤيا الصالحة من الله تعالى ٢١٤/٤  
الرؤيا جزء من أربعين أو ستة وأربعين ٢١٤/٤  
الربا سبعون باباً أهونها ٣٤٤/١  
الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ١٤٨/١  
الريح من روح الله تأتي بالرحمة والعذاب ٢٣٩/٣

## حرف الزاي

زوجت اختاً لي من رجل فطلقها ٢٧٦/١

## حرف السين

سأل بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم  
فقالوا: أقریب ربنا ٢٠٤/١  
سألت ربي ثلاثاً سألته أن لا يهلك أمتي بالغرق ١٥٣/٣

سبهم الجمع ويولون الدبر ٤٣٤/٧  
السخي قريب من الله قريب من الجنة ١٠٥/٢  
السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ٢٤٠/٢

### حرف الشين

شاهت الوجوه ٢٦/٤  
شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ٣١٧/٤  
شغلونا عن الصلاة الوسطى ٢٨٨/١  
شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان لا يقاتل إذا ٣٦٥/٣  
شهرا عيد لا ينقصان ٤٦٦/٨  
شييتني هود وأخواتها ٢٠٨/٤  
شييتني هود وأخواتها ٢٠٣/٤  
شييتني هود والواقعة والمرسلات ٢٠٨/٤  
الشعث التفل... العج الشج... زاد وراحلة. ٧٣/٢  
الشمس والقمر يكرران يوم القيامة ٣٤٦/٨  
الشهداء ثنية الله عز وجل ١٨٢/٦  
الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى تروا الهلال ٢٠١/١  
الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ١٣٥/٢

### حرف الصاد

صارت الأوثان التي كانت تعبد في قوم نوح ٢٣٢/٨  
صدق الله: إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت إلى ١٤٤/٨  
صدق الله وكذب بطن أخيك ٣٠/٥  
صدقة السر تطفئ غضب الرب ٣٣٥/١  
صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة ٣٣٥/٣  
صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا ١٥١/٢  
صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال من الضحى ٨٨/٥  
صلاة في مسجدني هذا أفضل من ألف صلاة ٧١/٢  
صلوا على صاحبكم ١٢٧/٢  
صلى بهؤلاء ركعة وبهؤلاء ركعة ٢٧٩/٢  
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف نصفنا ٢٧٩/٢  
صيده ما اصطيد وطعامه ما رمي به ١٠٠/٣

سألت ربي مسألة وددت أني لم أكن سألته ٤٥٥/٨  
سألت عليا رضي الله عنه هل عندك عن النبي ١٨٩/١  
سئل أسامة وأنا جالس كيف كان يسير رسول الله ٢٣١/١  
سئل أنس كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ٢٥٠/٨  
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أكرم ٣٤٩/٧  
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين

هم عن صلاتهم ٥٥٢/٨  
سئل عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ١٨٧/٨  
سابقنا سابق ومقتصدنا ناج ٤٢١/٦  
سافر رسول الله بين مكة والمدينة ٢٧٥/٢  
سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ٢٢٧/١  
سبعة يظلهم الله في ظله ٣٣٦/١  
سبق المفردون الذاكرين الله كثيرا والذاكرات ٢٤٧/٦  
سبقك بها عكاشة ٣٦٥/٥  
سبقك بها عكاشة ١٧/٨  
ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله عز وجل ٣٧١/٣  
ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ٣٤٦/٣  
ستناه قراءته ٢٤٥/٦  
سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ١٣٧/٥  
سجدة ص ليست من عزائم السجود ٨٦/٧  
سجدت بها خلف أبي القاسم ٣٧٧/٨  
سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ٣٧٦/٨  
سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ ٤٠٢/٥  
سجين: أسفل سبع أرضين ٣٦٣/٨  
سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود ٥٩٤/٨  
سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار ١٦٨/٥  
سلمان منا أهل البيت ٣٢٣/٦  
سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يكره ٤٠٤/٥  
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما ١٢٥/٨  
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في المغرب ٣٩٦/٧  
سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٨٨/١  
سنوا بهم سنة أهل الكتاب ٣٥/٤  
سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة ٢٨٢/٧  
سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة ٢٣٢/٦  
سيعيش هذا الغلام قرنا ٨٤/٥

عراة حفاة... يا عائشة الأمر أشد من ذلك... ١٧٧/٥  
 عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أحد ١٦٥/٢  
 عرضت على الأُم فجعَل يمر النبي ومعه الرجل ١٦/٨  
 عرضت على الأنبياء الليلة بأُتباعها ١٧/٨  
 عرضت علي أمتي في صورها في الطين ١٤٠/٢  
 عشر .. عشرون .. ثلاثون ٢٥٧/٢  
 علام تشتمني أنت وأصحابك ؟ ٦١/٨  
 على الصراط ٣٦٢/٤  
 على أي شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣٠٠/٧  
 عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ٦٦/٢  
 عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله ٣٢٧/٤  
 عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ٣٠٥/٦  
 عم الرجل صنو أبيه ٢٩٤/٤  
 عم الرجل صنو أبيه ١٥٤/١  
 عهد لي النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يحبك إلا مؤمن ٣٢٧/٧  
 العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته ٢٤٣/٦  
 العيافة والطرق والطيرة من الجبت ١٢/٣  
 العيافة والطرق والطيرة من الجبت ٢٣٤/٢  
 العين حق ٢٠٣/٨  
 العينان تزنيان واليدان تزنيان ٢٠٣/٢

### حرف الغين

غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد ١٢١/٢  
 غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم ٢٠٦/٥

### حرف الفاء

فاتقوا الله في النساء فإنهن عوان ٢٦٨/١  
 فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه ٩/٢  
 فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني ١١٩/٥  
 فألقى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس ٣٥٦/٤  
 فأما أول أشرط الساعة فنار تحشر الناس ٢٥٤/٧  
 فإن أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدى ٢٠٩/٣  
 فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن ٢٥٠/٨

الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان ١٨٧/١  
 الصراط المستقيم: كتاب الله ٥٤/١  
 الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو إلى عشر سنين ٢٢٩/٢  
 الصلاة أول ما فرضت ركعتين فأقرت صلاة السفر ٢٧٤/٢  
 الصلاة وما ملكت إيمانكم ٢١٢/٢  
 الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ٢٠٤/٢  
 الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان ٢٠٤/٤  
 الصيام والقرآن يشفعان للعبد ٢٠٤/١

### حرف الضاد

ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما ٧٧/٨  
 ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين ١٧/٣  
 ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم ٣٢٤/٦  
 ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد ٢٣٧/٢  
 ضعوها مما يلي رأسه واجعلوها على رجله ٣٣٧/٦

### حرف الطاء

طريق مظلم لا نسلكه ٣٠٩/١  
 طلب العلم فريضة على كل مسلم ١١٢/٤  
 طلق أربعا وأمسك أربعا ١٦١/٢  
 طوبى شجرة غرسها الله بيده ٣١٧/٤  
 طول القنوت ٢٨٩/١  
 الطاعون رجز أرسل على بني إسرائيل ٢٧٢/٣  
 الطعام بالطعام مثلا بمثل ٣٤٢/١

### حرف العين

عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريض لا أعقل ٣١٦/٢  
 عاجز أركن في الدنيا عمشا رمضا ١٤/٨  
 عجب ربكم من سؤالكم وقنوطكم ٣٦/٧  
 عجب ربكم من شاب ليست له صبوة ٣٦/٧  
 عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه ولخافه ٣٠٥/٦  
 عجب للمؤمن إن أصابه خير حمد الله وشكر ١٧٢/١

قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن ٥٨٩/٨  
قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ١٤١/١  
قال الله تعالى: كذبني عبيدي ولم يكن ذلك له ١٩/٥  
قال الله تعالى: لا يقل ابن آدم يا خيبة ٢٤٥/٧  
قال الله تعالى: من عادى لي وليا ٣٧٥/٦  
قال الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ٣٧٥/٦  
قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر ٣٧٥/٦  
قال الله عز وجل إذا تحدث عبيدي بأن يعمل حسنة ٢٣١/٤  
قال جبريل عليه السلام: قال الله تعالى:  
هذا دين ارتضيته ١٤/٣  
قال ربكم عز وجل: أنا أهل أن أتقى ٢٧٥/٨  
قال رجل- لم يعمل خيرا قط- لأهله إذا مات فحرقوه ١٢٧/٧  
قال سليمان: لأطوفن الليلة على تسعين ٩٤/٧  
قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية ٢٥١/٨  
قام النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد والوليد ٢٦٨/٨  
قتل الأسود البارحة قتله رجل مبارك ٧٠/٣  
قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلاثة ٣٥١/٣  
قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فكفن ٢٦١/٧  
قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذا لم يعلموا ٢٢١/٢  
قد أجرنا من أجرت يا أم هانيء ٥٧٥/٨  
قد أصبنا الخير وأفلحتما ١٣٦/١  
قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وفتحه الله ٤٥٧/٨  
قد أنبأني الله من أخباركم ٨٣/٤  
قد أنزل فيك وفي صاحبك فاذهب فأت بهما ١٢/٦  
قد سألت عن أمر عظيم وأنه ليسير على من يسره الله ٣٠٤/٦  
قد سبق المفردون ٣٥٢/٦  
قد عفوت عنكم وغفرت لكم ٣٥٨/١  
قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل ويحفر له في الأرض ٣٤٢/٣  
قد نصرت يا عمرو بن سالم ٥٦٨/٨  
قد والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه ٦٤/٥  
قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم والنجم ٤٢١/٧  
قرن ينفخ فيه ١٥٧/٣  
قسمت الصلاة بيني وبين عبيدي نصفين ٣٩١/٤  
قضى أكثرهما وأطيعهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٠٣/٦  
قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق ٢٨٥/١

فأنت مع من أحببت ٢٤٧/٢  
فإني أعطي رجلاً حديثي عهد بالكفر أتألفهم ٢٩/٤  
فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء ٢٦٤/٨  
فتلت قلائد بدن النبي صلى الله عليه وسلم بيدي ٨/٣  
فرج عني سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ٥٩/٥  
فرض الله الصلاة على لسان نبيكم ٢٩٠/١  
فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ١١٣/٤  
فضلت على الأنبياء بست ٣٠٩/١  
فضلنا على الناس بثلاث ٢٢٥/٢  
ففرض الله على أمتي خمسين صلاة ٦٢/٥  
فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن على أهل الحائط ٣٣٢/٥  
فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ١١٣/٤  
فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام لإخوانكم من الجن ٢٦٨/٧  
فلم أر عبقرياً يفري فريه ٢٢٨/٥  
فلم أر عبقرياً يفري فريه ٤٥٩/٧  
فلولا أن الله تعالى قضى لأهل الجنة الحياة والبقاء ٢٣٢/٥  
فهلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم ٢٢/٢  
في أي الخرمين أو في أي الخرزتين ٢٦١/١  
في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان ٢٠٣/١  
في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها ١٢/٨  
في الجنة شجرة يقال لها طوى ٣١٧/٤  
في السارق يسرق أن سرق فاقطعوا يده ٥٣/٣  
في الصلاة منهي ومزدرج عن معاصي الله ٢٤٤/٦  
فيما سقت السماء والعيون أو كان عثرياً ٣٣١/١  
فيمر الرجل من أهل الجنة فيقول: ٢٧٣/٨  
فيمن ترون هذه الآية نزلت (أيود أحدكم) ٣٢٩/١  
فيما والله أهل بدر نزلت (ونزعنا ما في صدورهم) ٢٢٩/٣  
الفارسي والدقل والحلو والحامض ٢٩٤/٤  
الفلق جب في جهنم مغطى ٣٦٤/٨

## حرف القاف

قاتل الله اليهود إن الله عز وجل لما حرم شحومها ٢٠٠/٣  
قاربوا وسددوا واعلموا أنه لا ينجو أحد منكم بعمله ٢٤٨/٢  
قال الله تعالى: إذا ذكرت ذكرت معي ٤٦٣/٨



قل: اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ٩٣/٥  
 قل آمنت بالله ثم استقم ٢٠٣/٤  
 قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة ٢١٥/٦  
 قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة ١٠٠/٤  
 قلت لعائشة رضي الله عنها: أرايت قول  
 الله تعالى: (أن الصفا ١٧٤/١  
 قم يا عبدة بن الحارث ويا حمزة بن عبد المطلب ٣٧٣/٥  
 قمت وراء أبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ٥١/١  
 قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً متتابعاً ٢٩٠/١  
 قنت شهراً يدعو في الصباح على أحياء من أحياء العرب ١٣٤/٢  
 قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه ٣٧٣/٦  
 قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ٣٧٣/٦  
 قل: اللهم أنك عفو تحب العفو فاعف عني ٤٩١/٨  
 قوموا فانحروا ثم احلقوا ٣١٨/٧  
 قوموا فانحروا ثم احلقوا ٢٢٢/١  
 قيل لبي لإسرائيل ادخلوا الباب سجداً ٩٩/١  
 قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: لو أتيت عبد الله بن أبي ٣٤٠/٧  
 القاتل لا يرث ١٧٤/٢  
 القبلة ما بين المشرق والمغرب ١٦٣/١  
 القطع في ربع دينار فصاعداً ٥٢/٣  
 القلوب بين أصابع الرحمن ٢٩٥/١

## حرف الكاف

كاتب الحسنات على يمين الرجل ٣٥٩/٧  
 كان آدم رجلاً طوالاً كأنه نخلة ٢٢٠/٣  
 كان إذا قام كبير الله عشرة ٣٩٦/٧  
 كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ينتظرون العشاء ٢٢٤/٢  
 كان الشعر أبغض الحديث إليه ٢٧/٧  
 كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قومه بصدقة ٩١/٤  
 كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا افتتح الصلاة قال ٣٩٥/٧  
 كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة ٣٦٥/٦  
 كان النبي صلى الله عليه وسلم سهر فلما قدم المدينة ٨٠/٣  
 كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ تبارك ٣١١/٦

كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي مسجد قباء كل سبت ٩٦/٤  
 كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام ١٠٢/٨  
 كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الخلاء والعسل ٩٠/٣  
 كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة  
 خطبتين ١٢٤/٨  
 كان النبي صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الأسود ١١١/٥  
 كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر ٤٨٨/٨  
 كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين ٤٠٤/٨  
 كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين ١٢٦/٨  
 كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر يوم ٣١٠/٦  
 كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ غلاماً لبني المغيرة ٤٤/٥  
 كان النبي صلى الله عليه وسلم يقطع نخلهم ٧١/٨  
 كان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الخندق ٣٢٤/٦  
 كان النبي يبعث إلى قومه خاصة ويبعث إلى الناس ٤٠٠/٦  
 كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر ١١٥/٨  
 كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم ٣٥/٣  
 كان خلقه القرآن ١٨٧/٨  
 كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده ٣٨٨/٦  
 كان ذلك حلالاً لإبراهيم عليه السلام ٦٧/٢  
 كان ذهباً وفضة ١٩٥/٥  
 كان رجل يصلي فوق بيته فكان إذا قرأ ٢٨٨/٨  
 كان رجلاً له عشرة من البنين تيامن منهم ستة ١٥٥/٦  
 كان رجلاً من العرب وله عشرة من الولد ٣٩٣/٦  
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً ١٨٨/٨  
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً  
 أقرع بين ١٨/٦  
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أرد السفر أقرع ٢٩٧/٢  
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اعتكف  
 أدنى إلى رأسه ٢١٠/١  
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه ٦٠٠/٨  
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب  
 استند إلى جذع ١١٢/١  
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل ٤٨٧/٨  
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم من الصلاة ٤٥٩/٧  
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى يتكفأ ٩٣/٥

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه جبريل ٢٨٣/٨  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما  
يجلس عند المروة ٤٤/٥  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن  
الناس خلقاً ١٨٨/٨  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن  
نخرج الصدقة ٣٣٠/١  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي ٢٦١/٧  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في  
العشر الأواخر ٤٨٦/٨  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله  
على كل أحيانه ٢٨١/٢  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر  
بالحاجرة ٢٨٨/١  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على  
راحلته ١٤٠/١  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيما  
بين أن يفرغ ١١٦/٥  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي الحاجة ٢٢٠/٢  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن ٥٧٦/٨  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر  
أن يقول: ربنا آتنا ٢٣٣/١  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر  
من قول: سبحان الله ٥٧٧/٨  
كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ١٩٥/٢  
كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة ١٢٦/٧  
كان فيما أنزل في القرآن عشر رضعات معلومات ١٩٠/٢  
كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل إذا عمل العامل ٨٤/٣  
كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر ٣٨٣/٨  
كان يقرأ بـ ( هل أتاك حديث الغاشية ) ١٢٦/٨  
كان ينفخ النار على إبراهيم ٣٢٨/٥  
كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية ١٩٦/١  
كانت الأولى من موسى نسيانا والوسطى ١٩٠/٥  
كانت اليهود تقول في الذي يأتي أهله في دبرها ٢٦٠/١  
كانت امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب ٣٣٤/٥

كانت زينب تفتخر على أزواج النبي  
صلى الله عليه وسلم فتقول: ٣٥٦/٦  
كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية ٢٢٨/١  
كانت للقوم ركعة واحدة وللنبي ٢٧٩/٢  
كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما ١٢٥/٨  
كانت ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلو التوراة ٤٣/٨  
كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعاً ٢٨١/٣  
كانما أنشط من عقال ٣٢٤/٨  
كانوا يحذفون أهل الطرق ويسخرون منهم ٢٣٩/٦  
كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض ٤٣٥/٧  
كذب أبو السنابل ١٥٣/٨  
كذب من قال ذلك، بل له أجره مرتين ٣٠٨/٧  
كذبت بقولك الأول فلن نصدقك في الآخر ٢٧٣/١  
كرامة الكتاب ختمه ١٥٩/٦  
كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت ١٦٨/٥  
كفل الله لمن جاهد في سبيله ١٣٥/٢  
كفوا أيديكم فإني لم أؤمر بقتالهم ٢٥١/٢  
كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول ٢٥٧/٢  
كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها ٤٤٥/٨  
كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ٢٧/٢  
كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه ٣٠/٢  
كل ذلك قد فعل رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قصر الصلاة ٢٧٥/٢  
كل سبب ونسب ينقطع إلا نسبي وسبي ٤٢٩/٥  
كل شراب أسكر فهو حرام ٢٥١/١  
كل شيء بقدر حتى العجز والكيس ٤٣٥/٧  
كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها ٢٠٣/١  
كل مال زاد على أربعة آلاف درهم فهو كنز ٤٢/٤  
كل مسكر حرام إن حتماً على الله أن لا يشربه ٩٥/٣  
كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ٢٥١/١  
كل مطيع يكال له كيلاً ويوزن له وزناً ١١١/٧  
كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه ٤٠٣/٦  
كل من مال يتيملك غير مسرف ١٦٨/٢  
كلا الفريقين برىء من إبراهيم ودينه ٤٩/٢  
كلا الفريقين برىء من دين إبراهيم ٦٣/٢

كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث ٣٢١/٦  
 كنت قينا فعلت للعاص بن وائل فاجتمع  
 مالي عنده ٢٥٣/٥  
 كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد ٢٣٠/٥  
 كية .. كيتان ٤٣/٤  
 كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم ؟ ٢٢٠/٧  
 كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه ١٥٧/٣  
 كيف يارب والغضب ٣١٧/٣  
 كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم ١٠٢/٢  
 الكبائر: الإشراف بالله وعقوق الوالدين ٢٠١/٢  
 الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء ٤١٥/٦  
 الكفاة من المن وماؤها شفاء للعين ٩٧/١  
 الكوثر نهر في الجنة حافظه الذهب ٥٥٨/٨  
 الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه ٥٥٧/٨  
 الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ٢٩٦/٣

### حرف اللام

لئن عشت إن شاء الله تعالى لأخرجن اليهود والنصارى ٣٢/٤  
 لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة ٤٣٣/٨  
 لا أجد ما أحملك عليه ٨٤/٤  
 لا أحد أغير من الله فلذلك حرم الفواحش ٢٢٦/٣  
 لا أسأل فقد اكتفيت ٢١٦/٧  
 لا إله إلا الله وحده أعز جنده ونصر عبده ٣٤٤/٦  
 لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب ٨٣/٥  
 لا إنما هي أربعة أشهر وعشر ١٠٢/٥  
 لا بل تستأني بهم ١٠٢/٥  
 لا بل شيء قد قضى عليهم ومضى فيهم ٤٣٨/٨  
 لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير ٤٣٩/٨  
 لا تبيعوا الذهب بالذهب ولا الورق بالورق ٣٤٢/١  
 لا تجالسوهم ولا تكلموهم ٨٥/٤  
 لا تجوز شهادة خائن أو خائنة ٣٥١/١  
 لا تحدثوا حلفا في الإسلام ٢٠٦/٢  
 لا تحرم المصّة من الرضاعة والمصتان ١٩٠/٢  
 لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك ٢١١/٢

كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من صاحبه ٥٩/٨  
 كلا والذي نفسي بيده أن الشملة التي أخذها ١٢٧/٢  
 كلتا يديه يمين ٧٧/٣  
 كلمة حق أريد بها باطل ٣٤٢/٧  
 كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ٢٦٥/٦  
 كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ٢٨/٨  
 كلهم من هذه الأمة ٤٢١/٦  
 كلوا رزقا أخرجه الله إليكم أطعمونا إن كان ١٠٢/٣  
 كلوه إن شقتم فإن ذكاته ذكاة أمه ٦/٣  
 كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا ٣٧/٢  
 كنا إذا أحرر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ٦٠/١  
 كنا إذا أحرر البأس نتقي به ٢٦/٤  
 كنا إذا أحرر البأس ولقي القوم اتقينا برسول الله ١٨٨/١  
 كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده  
 تحت الشجرة ٣٠٤/٧

كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم  
 نتحدث أن عدة أصحاب بدر ٣٠٢/١  
 كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فرجع من الغائط ٢١/٣  
 كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى ينزل بسم الله ٥٢/١  
 كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا ١١٢/١  
 كنا نتكلم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 في الصلاة ٢٨٩/١  
 كنا نحيض عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نطهر ٢٥٨/١  
 كنا نسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 في رمضان فمنا ٢٠٠/١  
 كنت أشرب وأنا حائض فأناوله النبي صلى الله  
 عليه وسلم ٢٥٧/١  
 كنت أصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فكانت  
 صلاته قصدا ١٢٥/٨  
 كنت أغتسل أنا والنبي صلى الله عليه وسلم من  
 إناء واحد ٢٥٧/١  
 كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وعليه برد ١٩٠/٨  
 كنت أنام بين يدي رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم ٢٢٣/٢

لا نبرح حتى نناجز القوم ٣٠٥/٧  
 لانصرت إن لم أنصركم ١٠/٤  
 لا نورث ما تركنا صدقة ٧٣/٨  
 لا هجرة بعد الفتح ٢٧٢/٢  
 لا وأن تعتمروا خير لكم ٢١٨/١  
 لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع ٤٣٦/٧  
 لا يابنت الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ٤٢١/٥  
 لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ٤٠/٤  
 لا يتوارث أهل ملتين ١٧٣/٢  
 لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم ٧٩/٨  
 لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين ١٩٢/٢  
 لا يحرم من الرضاع إلا ما ففق الأمعاء ١٨٩/٢  
 لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن ٢٨٤/٦  
 لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ٩١/٥  
 لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ٢٠٣/٣  
 لا يحل لامرأة أن تحد على ميت فوق ثلاث ٢٨٠/١  
 لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد ٢٨٠/١  
 لا يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من ٢٣٣/٥  
 لا يدخل الجنة سيء الملكة ٢١٣/٢  
 لا يدخل الجنة قاطع ٣١٢/٤  
 لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ١٥٠/٥  
 لا يدخل الجنة منان ولا عاق ٨٧/٥  
 لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة ٣٠٦/٧  
 لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من ٢٥٤/٣  
 لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات ٤٠/٤  
 لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم ١٧٣/٢  
 لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة ١٧٤/٧  
 لا يركبن رجل بحرا إلا غازيا أو معتمرا ٣٨٦/٧  
 لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله ١٧١/١  
 لا يزال الله مقبلا على العبد ما كان في صلاته ٤٠٨/٥  
 لا يزال هذا الأمر في قریش ما بقي اثنان ٢١٥/٧  
 لا يسب أحدكم الدهر ٢٤٦/٧  
 لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي ١٢١/٨  
 لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة ٣٣٩/٦  
 لا يقتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع ١٢٢/٨

لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة ٦٤/٤  
 لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا ٣٨٩/٤  
 لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها ٨٠/٨  
 لا تزال جهنم تقول هل من مزيد ٣٦٢/٧  
 لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ٣٠٨/٣  
 لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة ٣٨/٧  
 لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم ١٠٥/٣  
 لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله ٣٤٦/٦  
 لا تسبخي عنه بدعائك عليه ٢٥٤/٨  
 لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن ٣٢٨/٧  
 لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن ٨٩/٢  
 لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق ٨٨/٤  
 لا تسبوا تبعا فإنه كان قد أسلم ٢٣٤/٧  
 لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله ١٣٣/٥  
 لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ١٥٦/١  
 لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا ٢٤٨/٦  
 لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قریش بأنسب العرب ١٣٨/٦  
 لا تغبطن فاجرا بنعمته فإنك لا تدري ٣٩٢/٤  
 لا تقام الحدود في المساجد ١٩٠/١  
 لا تقبل صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ ٢٢٤/٢  
 لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول ٤٦/٣  
 لا تقدموا الشهر بصوم يوم ولا يومين ٢٠١/١  
 لا تقولوا إذا صليتم انصرفنا من الصلاة ١١٥/٤  
 لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ٢٠٧/٣  
 لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل ١٢٧/٥  
 لا حاجة لنا في جسده وثمنه ٣٢٧/٦  
 لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن ٦٠١/٨  
 لا خير في دين لا ركوع فيه ١١١/٥  
 لا رضاع إلا ما أنشز العظم وأنبت اللحم ١٨٩/٢  
 لا سواء قتلتان في الجنة ١١١/٢  
 لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ٢٣٤/٦  
 لا طلاق قبل النكاح ٣٦٢/٦  
 لا فكرة في الرب ٤١٧/٧  
 لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل ٥٣/٣  
 لا لم يزل ملك بيني وبينها يسترني ٩٧/٥

لعن الله الخمر وشاربها وساقبها وبائعها ٩٥/٣  
 لعن الله الراشي والمرتشي ٥٩/٣  
 لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ٥٢/٣  
 لعن الله المحلل والمحلل له ٢٧٤/١  
 لعن الله الواشحات والمستوشحات ٧٥/٨  
 لعن المحلل والمحلل له ٢٧٤/١  
 لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله ٣٤٣/١  
 لغو اليمين قول الإنسان لا والله ٢٦٣/١  
 لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ٢٦١/٧  
 لقد أعانك عليه ملك كريم ٣٣٦/٣  
 لقد أنزلت علي الليلة سورة هي أحب إلي ٢٩٥/٧  
 لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ٣٤٢/٦  
 لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم ٢٦١/٧  
 لقد رأيته يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبيع ٣٠٠/٧  
 لقد رأيته في الحجر وقريش تسألني عن مسراي ٦٦/٥  
 لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات ٢٦٥/٦  
 لقد كان يأتي علينا الشهر وما نوقد فيه نار ٢٦٠/٧  
 لقد وافقك ربك يا عمر ١٢٥/١  
 لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة ١١١/٤  
 لكل شيء لباب وللباب القرآن الحواميم ١٣٧/٧  
 لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ٢١٠/٨  
 للبننت النصف ولابنة الابن السدس ١٧٦/٢  
 لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه ١٩٣/٧  
 لله أفرح بتوبة عبده من رجل ١٩٣/٧  
 لم تحل الغنائم لأحد من قبلي ٣٧٨/٣  
 لم دخلت من الباب وأنت محرم ٢١٢/١  
 لم يبق من النبوة إلا المبشرات ١٤١/٤  
 لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ٤٠٣/٧  
 لم يزل النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم يلبي ٢٣٠/١  
 حتى رمى جمرة العقبة ٣٢٥/٥  
 لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ٣١٧/٣  
 لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ٣٤/٤  
 لم يكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ الجزية ١٩٧/٥  
 لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا

لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث ٢٠/٣  
 لا يقبل الله قولا إلا بعمل ولا قولا ولا عملا ٤١٥/٦  
 لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة ٢٤٧/٦  
 لا يقيم أحدكم الرجل من مجلسه ٥٨/٨  
 لا يقيم أحدكم أخاه يوم الجمعة ٥٨/٨  
 لا يكسب عبد مالا حراما فيتصدق ٣٣٠/١  
 لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى ١٣٦/٥  
 لا يمس القرآن إلا طاهر ٢٣/٨  
 لا يمتعكم من سحوركم أذان بلال ٢٠٩/١  
 لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد ٢٦٢/١  
 لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار ٢٤٨/٥  
 لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ١٥٤/١  
 لا ينبغي لنبي أن يلبس لأتمته فيضعها ٩٧/٢  
 لا ينزع رجل من الجنة من ثمرة ٢٢٢/٧  
 لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه ٢١٣/٢  
 لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء ٢٢٠/٦  
 لأمرقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ١١٦/٥  
 لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ٣٠٨/٧  
 لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ١٧٥/٥  
 لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب فيأتي ٣٣٨/١  
 لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من ١٣٦/٦  
 لبيك بحج وعمره ٢١٩/١  
 لتبعن سنن من قبلكم شيئا بشير ٧٢/٤  
 لتبعن سنن من كان قبلكم شيئا شبرا ٣٧٦/٨  
 لتردن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ١٤٢/٣  
 لتركين طبقا عن طبق حالا بعد حال ٣٧٦/٨  
 لتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما ٣١٠/٣  
 لتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما ٢١/٧  
 لجميع أمتي كلهم ٢٠٤/٤  
 لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل ٣٨٣/٤  
 السيف على أمتي  
 لحم الصيد لكم في الإحرام حلال ما لم تصيدوه ١٠٠/٣  
 لست لك بأمر إنما أنا أم رجالكم ٣١٩/٦  
 لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ١٠٠/٤

١٩٢/٦ لو قال فرعون يومئذ هو قرّة عين لي  
 ١١٤/٨ لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجل من هؤلاء  
 ١١٤/٨ لو كان الدين عند الثريا لذهب إليه رجل  
 ٤٠/١ لو كان هذا القرآن في إهاب ما مسته النار  
 ٢١٣/٧ لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة  
 ٢٩٢/٢ لو كنت متخذًا خليلاً لا تتخذت أبا بكر  
 لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت  
 ٢٤٨/٤ الداعي  
 ١٠٨/١ لو لم يستثنوا لما بينت لهم إلى آخر الأبد  
 ٣٧٧/٣ لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه غير عمر  
 ٣٧٥/٥ لو وضع مقمع من حديد في الأرض ثم اجتمع عليه  
 ٣٠٤/٦ لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول  
 ١٦٨/٣ لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكم  
 ٧٠/٣ لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكم  
 ١٤١/٣ لولا أن الكلاب أمة لأمرت بقتلها  
 ٩٨/١ لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام  
 ١٢٤/٨ لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء  
 ٢١١/٥ ليأتي الرجل السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح  
 ٢١٥/٣ ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة  
 ٢٠٢/٤ ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد  
 ٢٠٨/٥ ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج  
 ١١٥/١ ليردن علي ناس من أصحابي الخوض  
 ٤٥٧/٨ ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن  
 ٣٣٨/٣ ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف  
 ٣١٢/٤ ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل  
 ٢٨٧/٢ ليس بالكذاب من أصلح بين الناس  
 ١٦٤/٣ ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا إلى  
 ٤٢٤/٦ ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم  
 ٥٣/٣ ليس على خائن ولا منهب ولا مختلس قطع  
 ٣٣٢/١ ليس في حب ولا تمر صدقة  
 ٣٣٢/١ ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة  
 ١٢٠/٢ ليس لهم أن يعلونا اللهم إن تقتل هذه العصاة  
 ٢٠٠/١ ليس من البر الصوم في السفر  
 ١٥٥/٧ ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال  
 ٨٩/٣ ليس منا من خصى ولا اختصى

١٤٧/١ لما أتى إبراهيم عليه السلام بإسماعيل وهاجر  
 لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى ٣٥٩/١  
 لما أسري بي إلى السماء رأيت موسى يصلي ٣٠٨/٦  
 لما أصيب أخوانكم يوم أحد جعل الله ١٣١/٢  
 لما اعتزل النبي صلى الله عليه وسلم نساءه ١٦٨/٨  
 لما أغرق الله فرعون قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي ١٤٨/٤  
 لما اتبيننا إلى بيت المقدس قال جبريل ٦٣/٥  
 لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة ١٠٩/٥  
 لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه ١٦١/١  
 لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار ٣٤٦/٧  
 لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سأل ربه ثلاثا ٣٩٠/٦  
 لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا ٣٦١/٨  
 لما قضى الله الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ١٣٠/٣  
 لما نزلت هذه الآية خد أربعة نفر: عبد الله بن أبي ٢٤/٦  
 له؟ قال: لأن الله تعالى وعدك إحدى الطائفتين ٣٣٧/٣  
 لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ١٥٦/٦  
 لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة ٢٠٧/٢  
 لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد ٢٦٩/١  
 لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله ٢٦١/١  
 لو أن امرأة اطّلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ٣١/٦  
 لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطّلت ٧٥/١  
 لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطّلت ٤٥٨/٧  
 لو أن راضاة مثل هذه ٢١٣/٨  
 لو أن عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل ٣٠٣/٤  
 لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما أدركت فضل ١٢٠/٨  
 لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله ١٥١/٨  
 لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله ١٢٥/٢  
 لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم ٢٥٤/٦  
 لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلا ٤١٩/٦  
 لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم به ١٩٠/١  
 لو تمنوا الموت لفص كل إنسان بريقه ١٢٣/١  
 لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ٤٠٩/٥  
 لو دنا منه لاخطفته الملائكة عضوا عضوا ٤٨٠/٨  
 لو رأيته البارحة وأنا استمع لقراءتك ٣١١/٢  
 لو علمت أن هذا ينظرني حتى آتية لطعت ٣١/٦

ما بين مكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب  
 ٢٣٧/٢ المسرع  
 ٢٨٢/٢ ما بين هذين الوقتين وقت  
 ٥٧/٣ ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟  
 ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا  
 ٢٤٨/٦ تكذبوهم  
 ١٩٣/١ ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي به  
 ٧/٤ ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي  
 ٣١٤/٧ ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق  
 ٣٨٧/٤ ما خلق الله نفساً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم  
 ٣٠٥/٣ ما ذبيان جاثعان أرسلوا في غنم بأفسد لها  
 ١٥٢/٦ ما رأيتم أخذاً أكثر تبسماً من رسول الله  
 ١٢٤/٢ ما رأيتم رجلاً أكثر استشارة للرجال من رسول الله  
 ١٥٢/٦ ما رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط  
 ٩٤/٥ ما رأيتم شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ٣٦٧/٣ ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا  
 ٢١١/٢ ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى  
 ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول  
 لأحد يمشي على الأرض  
 ٢٥٥/٧  
 ما شيع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير  
 ٢٦٠/٧  
 ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم  
 ٣٢٥/١  
 ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيئاً قط  
 ١٩٠/٨  
 ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا  
 ٢١٩/٧  
 ما طلع النجم قط وفي الأرض من العاهة شيء  
 ٣٩٩/٧  
 ما ظنك باثنين الله ثالثهما  
 ٨٢/٣  
 ما على الأرض رجل مسلم يدعو الله  
 ٢٠٦/١  
 ما على وجه الأرض مسلم إلا له في هذا الشيء  
 ٣٦١/٣  
 ما فعل كعب  
 ١٠٦/٤  
 ما فقد جسد النبي صلى الله عليه وسلم ولكن الله  
 ٥٨/٥  
 ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة إلا  
 ١٣/٨  
 ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله  
 ٣٧/٨  
 ما كان حديث بلغني عنكم؟  
 ٢٩/٤  
 ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء  
 من النوافل أشد  
 ٢٦٤/٧

ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب  
 ١٠٢/٨  
 ليس منا من لم يتغن بالقرآن  
 ٣٩٣/٤  
 ليس بين أقوام سفع من النار بذنوب أصابوها  
 ٢٠٠/٤  
 ليلة أسري بي لقيت موسى  
 ٦٣/٥  
 ليتبين أقوام عن ودعهم الجمعات أو  
 ١١٩/٨  
 ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم  
 ٢١٩/٧

## حرف الميم

ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد أن أسقي الحاج  
 ٢٢/٤  
 ما أحصني ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ٣٦٥/٧  
 ما أخذ الله على أهل الجهل أن تعلموا  
 ١٤٩/٢  
 ما أدري تبع نبيا كان أو غير نبي  
 ٢٣٥/٧  
 ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت  
 ٦٠١/٨  
 ما أراك إلا قد حرمت عليه  
 ٤٩/٨  
 ما أسكر كثيره فقليله حرام  
 ٢٥١/١  
 ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء  
 ١٩٦/٧  
 ما أصر من استغفر، وأن عاد في اليوم  
 ١٠٧/٢  
 ما اصطفى الله للملائكة أو لعباده سبحانه الله وبحمده  
 ٧٩/١  
 ما أعظمك وأعظم حرمتك  
 ٣٤٥/٧  
 ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من  
 ٣٣٠/١  
 ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم  
 ٢٥١/٢  
 ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً  
 ٩٠/٤  
 ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح  
 ٢٥/٨  
 ما أنزل علي فيها شيء إلا هذه الآية  
 ٥٠٣/٨  
 ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكل  
 ١١/٣  
 ما أوحى إلي أن أجمع المال وأكون من التاجرين  
 ٣٩٧/٤  
 ما أول النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من نسائه  
 ٣٥٧/٦  
 ما بال أقوام ينتزهون عن الشيء أصنعه  
 ٤١٩/٦  
 ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء؟  
 ٤٠٩/٥  
 ما بال العامل نبعثه على بعض أعمالنا  
 ١٢٧/٢  
 ما بال رجال ينجسون هذه المتعة وقد نهى  
 ١٩٤/٢  
 ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت  
 ٣٣٨/٧  
 ما بين النفختين أربعون  
 ١٣٢/٧  
 ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة  
 ٩٥/٤

ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ١١٦/٥  
ما كان لنا خمر غير فضيخكم ٢٥٠/١  
ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ٣١٧/٦  
ما كنا نشاء أن نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل ١١٧/٥  
ما كنت جديراً بذلك يا عمر ٢٠٦/١  
مالك يا أبا بكر ٥٠/٤  
ما لم تصطبحو أو تغتبقوا أو تحتفتوا ١٤/٣  
ما لي مما أفاء الله عليكم إلا الخمس ٣٦٠/٣  
مالي أراكم سكوتاً للجن كانوا أحسن منكم ٤٤٣/٧  
مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكم؟ ٣٤٤/٧  
ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء ٣٦٦/٦  
ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة ١٠٢/٨  
ما من أحد إلا وله منزلة في الجنة ٢٣١/٣  
ما من أحد يموت إلا ندم ٢٣٣/٥  
ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد ٣٠/٢  
ما من ذنب أحرى أن يعجل الله لصاحبه العقوبة ٣١١/٤  
ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها ٤١/٤  
ما من عبد إلا له في السماء بابان؟ ٢٣٢/٧  
ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك ٢٣٣/٢  
ما من عبد مؤمن يذنب ذنباً ١٠٨/٢  
ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات: سبحان الله ٤١٤/٦  
ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه ٣٢٢/٣  
ما من عبد يموت له عند الله خير ١٣٢/٢  
ما من مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا ٣١٩/٦  
ما من مؤمن يغرس غرساً أو يزرع ٣٣٢/١  
ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يصلي الصلاة ٢٦/٣  
ما من مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله ٢٧٦/٦  
ما من مصيبة تصيب عبداً فيقول: ١٧٠/١  
ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي ٣٠٩/١  
ما من نفس منفوسة إلا قد كتب مكانها ١٩٩/٤  
ما من نفس منفوسة إلا كتب الله مكانها ٤٤٦/٨

ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ٤٠٣/٦  
ما منعك أن تحبيني إذ دعوتك؟ ٣٤٤/٣  
ما منكم من أحد إلا وله منزلان: منزل في الجنة ٤١١/٥  
ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً ٤٠٣/٦  
ما هكذا ذكرت إماماً البضع ما بين الثلاث إلى التسع ٢٥٩/٦  
ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة ١٠٩/١  
ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء ١١٥/٤  
ما يؤمنك أن أقول نعم؟ والله لو قلت نعم لوجبت ١٠٦/٣  
ما يبيحك يا عمر؟ ١٣/٣  
ما يدريكم أنهم إناث؟ ٢٠٩/٧  
ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ١٧٠/١  
ما يضرك ما كان قبل هذا ٣٣٨/٧  
ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى ٢٨٤/٧  
مثل أصحابي في أمتي كالملح في الطعام ٢٤١/٢  
مثل القلب كرنشة بأرض فلاة ١١/٢  
مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ٤٢/١  
مثل المؤمن كمثل الزرع ١٧٢/١  
مثل الماهر بالقرآن مثل السفرة الكرام ٤١/١  
مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت الصائم ٢٤٩/٢  
مثل المداهن في حدود الله تعالى والواقع فيها ٨٦/٢  
مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل ٤٦/٨  
مثل المنافق كمثل الشاة العائرة ٣٠٢/٢  
مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره ٩١/٢  
مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ٢٤٠/٣  
مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه ٣٥٩/٦  
مرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم ١٨٩/٥  
مرت بك وأنت تقرأ وأنت تخفض من صوتك ١٣٨/٥  
مرت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول ٢٢٧/٢  
فسلمت  
مره فليراجعها ثم ليمسك حتى تطهر.. ١٤٧/٨  
مره فليراجعها حتى تطهر ٢٦٦/١  
مره فليراجعها فإذا طهرت فليطلق ١٤٨/٨  
مره فليعتق رقبة ٥٣/٨  
مستقرها تحت العرش ١٨/٧  
مطل الغني ظلم ٣٤٧/١



٣٧١/٣ من بلغ بسهم في سبيل الله فهو له  
 ٢١/٤ من بنى الله مسجدا بنى الله له  
 ٢٠٨/٣ من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها  
 ١١٩/٨ من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاونا بها  
 ٤٢/٤ من ترك بيضاء أو حمراء كوي بها  
 ٢٨٩/١ من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله  
 ٨٤/١ من تركهن خشية أو مخافة نائر فليس منا  
 ٢٠٧/١ من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه  
 ٦٤/٣ من تصدق من جسده بشيء كفر الله عنه بقلده  
 ٣٧٤/٧ من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله  
 ١٢/٣ من تكهن أو استقسم أو تطير طيرة تردده  
 ٢٠/٣ من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات  
 ٢٥/٣ من توضأ وضوئي هذا خرجت خطاياها  
 ٣٩٥/٧ من جلس مجلسا وكثر فيه لغطه  
 ١٢١/٨ من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة  
 ١١١/٤ من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا  
 ٢٢٧/١ من حج لله فلم يرفث ولم يفسق  
 ٤٠٤/٧ من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب  
 من حدثك أن محمدا صلى الله عليه وسلم  
 ٧٨/٣ كتم شيئا مما أنزل  
 ٢١٤/٥ من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف  
 ٢٦٣/١ من حلف بيمين فرأى غيرها خيرا  
 ٥٧/٢ من حلف على يمين صبر وهو فيها فاجر  
 ٩٣/٣ من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها  
 ٣٧٤/٨ من حوسب عذب  
 ٤٥١/٧ من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل  
 ٣٧٧/٥ من دخل دار أبي سفيان فهو آمن  
 ١٥/٥ من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور  
 ٨٥/٢ من رأى منكم منكرا فليغيره بيده  
 ١٥٦/٢ من رابط يوما وليلة في سبيل الله  
 ٣٣٩/١ من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة  
 ٦٣/٤ من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة  
 ٦٣/٤ من سأل وله أوقية أو عدلها فقد  
 ٣٣٨/١ من سأل وله أوقية أو عدلها فقد  
 ١٤٩/٢ من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة

مع الدجال يومئذ سبعون ألف يهودي  
 ١٥٥/٧ مفاتيح الغيب خمس : إن الله عنده علم الساعة  
 ٢٩٥/٦ مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله  
 ١٥٠/٣ ملعون من أتى امرأته في دبرها  
 ٢٦١/١ من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته  
 ٤٢/٤ من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له  
 ١٤٢/٢ من آدم إلينا ثلة ومني إلى يوم القيامة ثلة  
 ١٦/٨ من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام  
 ٢٧١/٢ من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها  
 ٤٣/٨ من أبغض الحلال إلى الله الطلاق  
 ٢٨٤/١ من اتخذ كلبا إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع  
 ١٥/٣ من أحب أن يبسط له في رزقه  
 ٣١١/٤ من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى  
 ٦٦/٧ من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل  
 ٦٧/٤ من أحب أن ينظر إلى رجل يمشي على وجه  
 ٣٣٨/٦ من أحب أن ينظر في أحوال القيامة فليقرأ  
 ٣٤٥/٨ من أحب دنياه أضرب بآخرته ومن أحب آخرته  
 ٤١/٥ من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا  
 ٣٤٠/١ من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا  
 ٣٧٢/٣ من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام  
 ٣١٨/٦ من استمع إلى آية من كتاب الله عز وجل  
 ٤٣/١ من أطاعني فقد أطاع الله  
 ٢٤٠/٢ من أعان ظالما سلطه الله عليه  
 ١٨٩/٣ من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو  
 ٤٣٢/٨ من أعظم المساجد حرمة على الله  
 ١٧٩/٦ من اغبرت قدما في سبيل الله حرمهما الله  
 ١١٠/٤ من اغتسل يوم الجمعة واستن ومس من طيب  
 ١٢٢/٨ من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله  
 ٥٨/٢ من الذاكر فلانة؟  
 ٣٤٧/٧ من الكبائر الفرار من الزحف  
 ٣٣٨/٣ من الكبائر أن يسب الرجل والديه  
 ٢٠٢/٢ من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله  
 ٣٤٦/١ من أنظر معسرا أو وضع عنه أنجاه الله  
 ٣٤٦/١ من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبعمائة  
 ٢١٦/١ من أنفق نفقة في سبيل الله كتب له  
 ١١١/٤

من قرأ القرآن فليسأل الله عز وجل ٤٤/١  
 من قرأ أول سورة الكهف وأخرها كانت له نورا ٢١٤/٥  
 من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح ٢٣٨/٧  
 من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين ٣١١/١  
 من قرأ خمسين آية في يوم أو في ليلة ٢٥٧/٨  
 من قرأ سورة الأنعام يصلي عليه أولئك السبعون ١٢٥/١  
 من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم ٢٨/٨  
 من قرأ والتين والزيتون ٤٧٣/٨  
 من قرأ منكم والتين والزيتون ٢٨٧/٨  
 من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ٣٧٠/٣  
 من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ٣٧٦/٧  
 من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ٢١١/٢  
 من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ٢١٢/٢  
 من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ١٨٧/١  
 من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو ١١٩/٧  
 من كانت له امرأتان فمال إلى إحداها ٢٩٦/٢  
 من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه  
 في قلبه ١١٥/٢  
 من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج ٢٢١/١  
 من كظم غيظا وهو يقدر على أن ينفذه ١٠٥/٢  
 من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه الله إياه ٣٧٦/٥  
 من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس ٧٤/٢  
 من لم يدع الله غضب الله عليه ١٥٥/٧  
 من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ٤٥٩/٨  
 من مات على شيء بعثه الله عليه ٣٧٨/٤  
 من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ٢٦٧/٢  
 من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ٢٣٣/٢  
 من مات من أصحابي بأرض كان نورهم ٣٢٧/٧  
 من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير ١٥/٨  
 من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ٢٤٦/١  
 من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ٢١٦/١  
 من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا الله ٢١٠/٢  
 من نذر أن يطيع الله فليطعه ٢٩٤/٨  
 من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها ١٦٣/٥  
 من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها ٢٦٧/٥

من سبح في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ٣٦٦/٧  
 من سره أن يقوم له الرجال صفوا فليتبوأ ٨٩/٧  
 من سره بجوحة الجنة فعليه بالجماعة ٨٦/٢  
 من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به ٥٩/٨  
 من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به ٢١٣/٥  
 من سن في الإسلام سنة حسنة ٩/٧  
 من سيدكم يا بني سلمة ٣٤/٢  
 من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب ٩٥/٣  
 من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ٣١٤/٢  
 من صام رمضان إيمانا واحتسابا ٢٠٢/١  
 من صلى العشاء في جماعة كان كقيام ٣٠٤/٦  
 من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم الكتاب فهي خداج ٥٧/١  
 من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا ١٧/٤  
 من صلى على صلاة صلت عليه الملائكة ٣٧٤/٦  
 من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرا ٣٧٣/٦  
 من صنع إليه معروف فليجز به فإن لم يجد ٤٥٩/٨  
 من طال عمره وحسن عمله ١٤٠/٢  
 من ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه ١٤٨/٢  
 من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب ١٠٩/٢  
 من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له ٢١/٤  
 من غسل يوم الجمعة واغتسل ثم بكر وابتكر ١٢٢/٨  
 من فر من ثلاثة فلم يفر ومن اثنين فقد فر ٣٣٨/٣  
 من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة ١١٧/٥  
 من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع ٨٨/٨  
 من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده ٢٦٥/٦  
 من قال سبحان الله العظيم وبحمده؟ ٢٨/٨  
 من قال سبحان الله وبحمده في كل يوم مائة مرة ٢٦٥/٦  
 من قال في القرآن برأيه فأصاب ٤٥/١  
 من قال في القرآن برأيه فليتبوأ ٤٥/١  
 من قال في القرآن بغير علم ٤٥/١  
 من قال لا إله إلا الله فليقل على إثرها ١٥٧/٧  
 من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ٤٩١/٨  
 من قتل قتيلًا له عليه بينة فله سلبه ٣٦٠/٣  
 من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب ٢٠٠/٢  
 من قرأ القرآن فأحكمه وعمل بما فيه ٤٤/١

نضر الله عبدا سمع مقالتي فحفظها ووعاها ١٣٤/٣  
 نعم إلا الدين ٣٤٧/١  
 نعم المال الصالح للعبد الصالح ٤٣/٤  
 نعم إن الرضاة تحرم ما يحرم من الولادة ١٨٩/٢  
 نعم فلو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين ٢٠٣/٨  
 نعم ليكررن عليكم حتى يؤدي إلى كل ذي حق ١١٨/٧  
 نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهير ١٩٨/٨  
 نعم ولك أجر ٤١٦/٧  
 نعم ومن لم يسجد لهما فلا يقرأهما ٤٠١/٥  
 نعم ويعتلك الله ويدخلك النار ٢٨/٧  
 نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ٥٢١/٨  
 نفس المؤمن معلقة بدينه ٣٤٧/١  
 نقرم على ذلك ما شئنا ٣١١/٧  
 نهي النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم ١٠/٥  
 نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسمى  
 المدينة يثرب ٣٣٢/٦  
 نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب ١٩٩/٣  
 نهي عن أكل لحوم الخيل والبغال ١١/٥  
 نهي عن ثمن الكلب وكسب الزمارة ٢٨٤/٦  
 نور أني أراه ٤٠٤/٧  
 نور قذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له ١٨٦/٣

### حر الهاء

هؤلاء أهل بيتي ٣٥١/٦  
 هذا أحق مطاع وأنه على ما ترين لسيد قومه ٣٦٧/٦  
 هذا جبريل أخذ برأس فرسه ٣٣٣/٣  
 هذا جبل يحبنا ونحبه ١١١/١  
 هذا خير من ملء الأرض مثل هذا ٢٤٣/١  
 هذا نجم رمي به ٣٩٣/٨  
 هذا والذي نفسي بيده من النعم ٥٢٠/٨  
 هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا ٢٩٢/٧  
 هذان خصمان اختصموا في ربهم: نزلت في  
 الذين برزوا يوم بدر ٣٧٢/٥  
 هذه عمرة استمتعنا بها ٢٢٠/١

من يرد الله به خيرا يصب منه ١٧٠/١  
 من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ١١٢/٤  
 من يقوم فيذهب إلى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم ٣٣٠/٦  
 من ينظر لنا ما صنع أبو جهل؟ ٣٤١/٣  
 من يوق شح نفسه ويطلع ربه ١٥٩/٢  
 من يولد يولد على الفطرة ٢٦٩/٦  
 مهلا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش ٥٦/٨  
 موت العالم ثلثة في الإسلام لا يسدها شيء ٣٢٧/٤  
 المؤمن أكرم على الله من الملائكة ١٠٩/٥  
 المتبايعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ٢٠٠/٢  
 المرء مع من أحب ٢٤٧/٢  
 المستبان ما قالوا فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم ٣٠٤/٢  
 المسجد الحرام ٧٠/٢  
 المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه ٣٤١/٧  
 المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله ٣٤٩/٤  
 المقسطون عند الله على منابر من نور ٥٩/٣  
 المقسطون عند الله على منابر من نور ٢٣٩/٢  
 المهاجر من هجر ما نهى الله عنه ٢٦٠/٢

### حرف النون

نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين ٢١/٨  
 نبأ بما بدأ الله به ٢٤/٣  
 نبأ بما بدأ الله تعالى به ١٧٤/١  
 نخرت ها هنا ومنى كلها منخر فأنحروا في رحالكم ٣٨٥/٥  
 نحن أحق بالشك من إبراهيم ٣٢٣/١  
 نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم ٥٢/٥  
 نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وورقها ذهب ٤٥٧/٧  
 نزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا ٢٩٥/٧  
 نزلت في عذاب القبر ٣٥٠/٤  
 نزلت هذه الآية في أهل قباء ٩٦/٤  
 نزلت هذه الآية فينا ( إذ همت طائفتان ) ٩٨/٢  
 نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم محتف بمكة ١٣٧/٥  
 نصرت بالصبا وأهلكك عاد بالدبور ٣٦٥/٣  
 نصرت بالصبا وأهلكك عاد بالدبور ٣٢٢/٦

وافقني ربي في ثلاث ٣٧٠/٦  
والذي نفس محمد بيده أن لهذه الآية لسانا ٣١٠/١  
والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ١٦٧/٤  
والذي نفس محمد بيده لو تابعتكم حتى لا يبقى منكم ١٢٤/٨  
والذي نفس محمد بيده ليوشكن أن ينزل فيكم  
ابن مريم ٤٦/٢  
والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ١٩٥/٧  
والذي نفسي بيده إن العذاب قد تدل على أهل نجران ٤٨/٢  
والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن ٢٢١/٨  
والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن ٥٨٩/٨  
والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي ١٣٧/٢  
والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ٢٥٧/٢  
والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله ١٣٥/٢  
والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ٨٥/٢  
والذي نفسي بيده لو أن رجلا قرأها على جبل لزل ٤٣٢/٥  
والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ٢٤٨/٣  
والذي نفسي بيده ما من رجل يكون له إبل ١٤٢/٢  
والذي نفسي بيده ما من عبد يتصدق بصدقة  
من كسب ٩٢/٤  
والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته ٢٨٩/٣  
والله إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ٣٦٤/٥  
والله إني لرسول الله وإن كذبتوني ٣١٦/٧  
والله لئن باعني وأسلفني لقضيته وإني لأمين ٣٠٣/٥  
وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي الدرداء ٤٥٢/٧  
وإن سرق شيئا من غير حرز كثر ٥٢/٣  
وإننا إن شاء الله بكم لاحقون ٣٢٣/٧  
وهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ٤٦/٢  
وجبت ٥٨٩/٨  
وجهوا هذه البيوت عن المسجد ٢٥٨/١  
وجهوا هذه البيوت عن المسجد فإني لا أحل ٢٢٠/٢  
وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص علينا ١٨٥/٥  
وقفت على باب الجنة فرأيت أكثر أهلها المساكين ٢٤٢/١  
وكانت أم هانئ تواظبني على خدمة النبي ٣٦٩/٦  
وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى ٢٨١/٣  
وكل الله بالرحم ملكا فيقول: ١٤٠/٨

هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها ٣٠٨/٣  
هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ ٢١٠/٨  
هل تدرون ما قال ربكم؟ ٤٥٦/٧  
هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ٢٤/٨  
هل تدرون مما أضحكك.. من مخاطبة العبد ربه ٢٥/٧  
هل تدري يا معاذ ما حق الله على الناس؟ ٢١٠/٢  
هل ترون قبلي ها هنا فوالله ما يخفى ١٣٤/٦  
هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سبحانه ٢٥٠/٥  
هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ٢٤/٧  
هل تعوذت بالله من شياطين الجن والإنس ١٧٩/٣  
هل عندك من شيء تصدقها؟ ١٩٦/٢  
هل كان أصحاب رسول الله يضحكون؟ ٤١٨/٧  
هل لكم إلى خير مما جئتم له ٧٩/٢  
هل نظرت إليها فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم ٣٦٨/٦  
هل هو إلا بضعة منك ٢٢٥/٢  
هم أخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ٢١٢/٢  
هم الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا ٤٢/٤  
هم الذين بارزوا يوم بدر على وحمة ٣٧٣/٥  
هم في الظلمة دون الجسر ٣٦٣/٤  
هما جميعا من أمتي ١٨/٨  
هن إلى السبعمئة أقرب ٢٠٢/٢  
هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد ٤٠٨/٥  
هو الطهور ماؤه الحل ميتته ١٠١/٣  
هو الغناء والله الذي لا إله غيره ٢٨٤/٦  
هو مسجدكم هذا مسجد المدينة ٩٥/٤  
هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم ١٤٠/٤  
هي اليتيمة تكون في حجر وليها ١٦٠/٢  
هي رؤيا عين أراها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري ٦٣/٥  
هي في علم الله قليل وقد آتاكم الله ما أن عملتم ٢٩٢/٦

## حرف الواو

وارأساه ٤٣٦/٥  
وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي ٣٧١/٣  
وافقت الله في ثلاث ١٤٧/١

يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي ؟ ٤٣/٨  
يا ابن أم عبد هل تدري من أين اتخذت بنو إسرائيل ٤٣/٨  
يا ابن عمر لو سألت ربي لأعطيني مثل ملك كسرى ٢٥٣/٦  
يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم علي ٤٢/٨  
يا إخوان القردة والخنازير ١١٤/١  
يا أعرابي إن يدخلك الله الجنة ؟ ٢٢٢/٧  
يا أكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة ١٠٨/٣  
يا أم بشر ما زالت أكلة خيبر التي أكلت بخير ٣١٢/٧  
يا أم سلمة تيب علي كعب ١٠٨/٤  
يا أم فلان اجلسي في أي سكك المدينة شئت ١٨٩/٨  
يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز ١٤/٨  
يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق ٧٦/٧  
يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي ٢١١/٦  
يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا ١٣/٣  
يا أيها الناس ابكوا فإن لم تستطيعوا فتابكوا ٨٠/٤  
يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة ٣٢٦/٨  
يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ١٨٢/١  
يا أيها الناس إنه قد أظلكم شهر عظيم ٢٠٣/١  
يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع ١٩٣/٢  
يا أيها الناس عدلت شهادة الزور بالشرك بالله ٣٨٣/٥  
يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو ٣٦٥/٣  
يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم ١٠٣/٧  
يا بني فهر يا بني عدي ١٣٢/٦  
يا بني كلهم في الجنة أما السابق بالخيرات ٤٢٢/٦  
يا جابر مالي أراك منكسراً ١٣٢/٢  
يا جبريل إن قومي لا يصدقوني ٦٥/٥  
يا جبريل ما جئت حتى اشتقت إليك ٤٥٤/٨  
يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا ٢٤٣/٥  
يا حاطب ما هذا ؟ ٩١/٨  
يا رب جعلت أمتي أقصر الأمم أعماراً ٤٩٠/٨  
يا رسول الله أليس أبي قميصك الذي يلي جلدك ٨١/٤  
يا رسول الله المؤمن يزني ؟ ٤٥/٥  
يا رسول الله أن امرأتي لا تدفع يد لأمس ١٠/٦  
يا رسول الله أنكح عناقاً ؟ ٩/٦  
يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقاً ٢١١/١

ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ٢٨٩/٧  
ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم هي أم القرآن ٥١/١  
ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ٨٠/٤  
وما هي يا عبد الله .. هذه مؤمنة ٢٥٦/١  
وما يدريك أن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً ٣٠٦/٣  
وما يدريك أن الله قد أكرمه ؟ ٢٥٣/٧  
وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع ٩٣/٨  
وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله شيئاً ٨٢/٤  
وهم فيها كالحون قال: تشويه النار ٤٣٠/٥  
ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل  
حذب ينسلون ٣٥٤/٥  
ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم ٥٧١/٨  
ويل أمه مسعر حرب لو كان معه رجال ٣١٩/٧  
ويلك فمن يعدل إذا لم أعدل ٦٠/٤  
ويهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ٤٠/٤  
والوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ ٨٦/٥  
الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر ١١٤/١

### حرف الياء

يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم الميزان ١١١/٧  
يؤتى بالموت كهيفة كبش أملح فينادي مناد ٢٣٢/٥  
يا أبا القاسم ما الروح ؟ ١٢٤/٥  
يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل ٣٣٣/٣  
يا أبا بكر ألا أقرئك آية أنزلت علي ؟ ٢٩٠/٢  
يا أبا بكر إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ٣٤/٨  
يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ٥٠/٤  
يا أبا جندب احتسب ٣١٧/٧  
يا أبا سعيد من رضي بالله ربا وبالإسلام ٢٧١/٢  
يا أبا عبيدة قتل بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين ٢١/٢  
يا أبا عماره فررت يوم حنين ؟ قال: ٢٦/٤  
يا أبا قيس ما لك أمسيت طليحاً ٢٠٨/١  
يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟ ٣١١/١٠  
يا أبا وهب هل لك في جلاد بني الأصفر ؟ ٥٧/٤  
يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني ٢٩٤/١

١٥٩/١ يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له:  
 ١١٨/٥ يحبس المؤمن يوم القيامة حتى يهتموا بذلك  
 ١٨٩/٢ يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة  
 ١٧٦/٥ يحشر الناس على ثلاث طرائق  
 ٣٦١/٤ يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء  
 ٢٠٠/٤ يخرج قوم من النار بشفاعه محمد فيدخلون  
 ٢٤٨/٥ يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه  
 ٣٣١/١ يخرج كذا يخرج النخل  
 ٢٣٠/٣ يخلص المؤمنون من النار فيحبسون  
 ٢٠٧/٣ يدا الله بسطان لمسيء الليل ليتوب بالنهار  
 يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم ٧/٢  
 يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم ٣٢٤/٤  
 يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً ١٥/٨  
 يدخل سبعون ألفاً من أمتي الجنة بغير حساب ١٢٥/٢  
 يرحم الله المحلقين ٣١٨/٧  
 يرحم الله أم إسماعيل لو تركت ماء زمزم ٣٥٦/٤  
 يرحم الله موسى لقد أؤذي بأكثر من هذا فصير ٣٧٩/٦  
 يستجيب الله لأحدكم ما لم يدع بإثم ٢٠٥/١  
 يسير الراكب في ظل الفن منها مائة عام ٤٠٥/٧  
 يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن ١٣١/٧  
 يعذب أناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا ٢٥١/٥  
 يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ١٧٨/٥  
 يغفر الله للوط أن كان ليأوى إلى ركن شديد ١٩٢/٤  
 يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل ٤٢/١  
 يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء ١٣١/٧  
 يقتل المحرم السبع العادي ١٠٣/٣  
 يقول ابن آدم: مالي مالي. وهل لك من مالك ٥١٨/٨  
 يقول الله تبارك وتعالى: من جاء بالحسنة فله ٢١١/٣  
 يقول الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين ٣٠٧/٦  
 يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ١٤٦/٢  
 يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذاباً ٦٦/٢  
 يقول الله تعالى إني خلقت عبادي حنفاء ٢٧٩/٦  
 يقول الله سبحانه وتعالى شتمني عبدي ٣٧٥/٦  
 يقول الله عز وجل: ابن آدم أئني تعجزني وقد ٢٢٥/٨  
 يقول الله عز وجل: الكبرياء ردائي ٢٤٨/٧

٢٥٩/١ يا رسول الله هلكت قال : وما الذي أهلكك  
 ١٣٣/٨ يا زيد إن الله صدقك وأوفى بإذتك  
 ٣٢٤/٣ يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي  
 ٥٨١/٨ يا صباحاه  
 ٥٩٥/٨ يا عائشة استعيزي بالله من شر غاسق  
 ٢٧٢/٧ يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي محمد ولا لآل  
 ٢٠٩/٣ يا عائشة إن الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً  
 ٣١٠/٧ يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخير  
 ٢٦٣/٧ يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب  
 ١٢٦/٧ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم  
 ٩٣/٣ يا عبد الرحمن بن سمره لا تسأل الإمارة  
 ٣٩/٤ يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك  
 ٣٢/٦ يا علي لا تتبع النظرة النظرة  
 ١٨٠/٢ يا عمر ألا يكفئك آية الصيف التي  
 ٣٦٧/٦ يا عيينة فأين الاستئذان  
 ١٣٢/٣ يا غلام احفظ الله يحفظك الله يحفظك الله تجده  
 ٣٣٩/١ يا قبيصة إن المسألة حرمت إلا في أحد ثلاث  
 ١١٩/٥ يا محمد لرفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع  
 ١٣١/٧ يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على  
 ١٣/٦ يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما قال سيدكم؟  
 ٢٩/٤ يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟  
 ٧٥/٢ يا معشر المسلمين أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم  
 ٢٠/٦ يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه  
 ١٣٣/٦ يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله  
 ٣٤٥/٧ يا معشر من آمن بلسانه ولم يفيض الإيمان إلى قلبه  
 ٢٣١/٢ يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا  
 ٣٤٥/٣ يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك  
 ١٥٥/٧ يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة  
 ٣٤٠/٨ يبعث الناس حفاة عراة غرلاً قد أجمعهم العرق  
 ٢٢٤/٣ يبعث كل عبد على ما مات عليه  
 ١٥٥/٧ يتبع الدجال من أمتي سبعون ألفاً  
 ٥١٨/٨ يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى  
 ٣٠٠/٤ يتعاقبون فيهم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار  
 ٨٩/١ يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار  
 ١٩/٢ يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله تعالى

يقول الله عز وجل: من أهان لي وليا فقد بارزني ١٩٤/٧  
 يقول الله عز وجل لأهل الجنة يا أهل الجنة هل رضيتم ٧٣/٤  
 يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم قم فابعث ٣٦٤/٥  
 يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم ٣٦٢/٨  
 يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ٢٠٠/٨  
 يكفيك الثلث فتصدق به ٣٤٧/٣  
 يكفيك الوجه والكفان ٢٢٨/٢  
 يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر ١٧٨/٦  
 يلتئم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه ٣٠١/٥  
 يلقي إبراهيم أباه آزر يوم القيامة ١٠٢/٤  
 يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة ١٥٤/٧  
 ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ٢٣٠/٣  
 ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيامة ٢٠٣/٢  
 ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا ١٧/٢  
 ينزل الله جل ثناؤه ليلة النصف من شعبان ٢٢٧/٧  
 ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا كل ليلة ٣٧٣/٧  
 ينزل الله عز وجل في آخر ثلاث ساعات ٣٢٥/٤  
 ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرأة ١٥/٨  
 يتفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن ١٨٢/٦  
 ينكح العبد امرأتين، ويطلق طلقتين ١٦٢/٢  
 يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما ٣٠٨/٢  
 اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود ٣٨١/٨

## فهرس المصادر والمراجع

(أ)

- الآثار - للإمام محمد بن الحسن الشيباني - إدارة القرآن بكراتشي ١٤٠٧ هـ .
- إتحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام - لابن حجر الهيتمي - تحقيق: محمود النواوي - مكتبة النهضة بمكة المكرمة .
- الإتيقان في علوم القرآن - للسيوطي - تحقيق: إبراهيم الإياري - طبعة الشعب .
- الإجابة لإيراد ما استدرسته عائشة على الصحابة - للزركشي - تحقيق: سعيد الأفغاني - المكتب الإسلامي .
- أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام - للدكتور عبد الكريم زيدان - مؤسسة الرسالة .
- الإحكام في أصول الأحكام - لابن حزم - مطبعة الإمام بالقاهرة .
- أحكام القرآن - لابن العربي - تحقيق: علي البجاوي .
- أحكام القرآن - للجصاص - دار المصحف بالقاهرة .
- أحكام القرآن - للشافعي - جمعه البيهقي - تحقيق: عبد الغني عبد الخالق .
- اختلاف الحديث بهامش الأم - للشافعي .
- اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملاء الأعلى - لابن رجب - مكتبة المؤيد بالطائف .
- الأدب المفرد - للبخاري - مكتبة الآداب بالقاهرة .
- الأربعين النووية - للنووي .
- أسباب النزول - للسيوطي بهامش الجلالين - المكتب الإسلامي بيروت .
- أسباب النزول - للواحدي - تحقيق: السيد أحمد صقر - الطبعة الأولى بالقاهرة، والطبعة الثانية بجدة .
- أسد الغابة - لابن عبد البر - طبعة الشعب .
- الإسرائيليات في التفسير والحديث - للذهبي - مكتبة وهبة بالقاهرة .
- الإسرائيليات والموضوعات - لمحمد أبي شعبة - الطبعة الأولى منشورات مجمع البحوث ، والطبعة الثانية منشورات مكتبة السنة بالقاهرة .
- الأسرار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة - لملا علي القاري تحقيق: د . محمد لطفي الصباغ .
- الأسماء والصفات - للبيهقي - تحقيق: عماد أحمد حيدر - دار الكتاب العربي بيروت .
- الإشراف على مذهب العلماء - لابن المنذر - جزء واحد دار طيبة بالرياض ، وجزآن طبع قطر .



- الإصابة في تمييز الصحابة - لابن حجر - تحقيق : علي البجاوي - مكتبة نهضة مصر .
- أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن - للشنقيطي .
- الأعلام - للزركلي .
- أعلام الحديث - للخطابي - تحقيق : د . محمد بن سعد بن عبد الرحمن - منشورات جامعة أم القرى .
- اقتضاء العلم العمل - للخطيب البغدادي - تحقيق : الألباني مع أربع رسائل من كنوز السنة - دار الأرقم بالكويت .
- الاكتفاء في مغازي رسول الله - للقلاعي - تحقيق : مصطفى عبد الواحد .
- إمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام - للكنوي - تحقيق : عثمان جمعة ضميرية - مكتبة الوادي بجدة ١٤١١ هـ .
- الأم - للشافعي - طبعة الشعب مصورة عن طبعة بولاق .
- إمتاع الأسماع - للمقرئزي - تحقيق : محمود محمد شاكر - طبع قطر .
- الأمثال في الحديث النبوي - لأبي الشيخ الأصبهاني - تحقيق : الدكتور عبد العلي عبد الحميد - الدار السلفية بالهند .
- الأموال - لأبي عبيد - تحقيق : محمد خليل هراس - الكليات الأزهرية - وطبعة الشئون الدينية بقطر .
- الأوسط في السنن والإجماع - لابن المنذر - تحقيق : حنفي محمد صغير - دار طيبة بالرياض .
- الإيمان - لابن أبي شيبة - تحقيق : الألباني - دار الأرقم .
- الإيمان - لابن تيمية - طبع المكتب الإسلامي .
- الإيمان - لأبي عبيد - تحقيق : الألباني - دار الأرقم .

## ( ب )

- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث - لابن كثير - تأليف : أحمد شاكر - دار التراث بالقاهرة .
- البحر المحيط في التفسير - لأبي حيان الغرناطي - مكتبة النصر بالرياض .
- البداية والنهاية - لابن كثير - مكتبة المعارف بيروت .
- البرهان في علوم القرآن - للزركشي - طبعة الحلبي .
- البيان في غريب إعراب القرآن - لابن الأنباري - تحقيق : طه عبد الحميد - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

## ( ت )

- تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي - دار الكتاب العربي عن طبعة الخانجي .
- تاريخ جرجان - للسهمي - عن طبعة دائرة إحياء المعارف بالهند .
- تاريخ الطبري - تحقيق : الإبياري - دار المعارف بمصر .
- التاريخ الكبير - للبخاري .
- التبيان في إعراب القرآن - للعكبري - تحقيق : السيد أحمد صقر - طبع عيسى الحلبي .
- تحفة الأحوذى شرح الترمذي للمباركفوري - راجعه : عبد الرحمن محمد عثمان - نشر محمد عبد المحسن الكنتي - مطبعة المعرفة بالقاهرة .
- تحفة الأشراف - للمزي .
- تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب - لابن كثير - تحقيق : عبد الغني الكبيسي - دار حراء مكة .
- تخريج أحاديث إحياء علوم الدين - للعراقي وابن السبكي والزبيدي - دار العاصمة بالرياض .
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي - للسيوطي - تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف - مكتبة إحياء السنة .
- تذكرة الحفاظ - للذهبي - مصورة عن طبعة دائرة إحياء المعارف العثمانية بالهند .
- ترتيب مسند الشافعي - نشره عزت العطار - مصورة بيروت .
- الترغيب والترهيب - للمنذري - تحقيق : مصطفى عمارة - طبع قطر .
- تعظيم قدر الصلاة - لمحمد بن نصر المروزي - تحقيق : الدكتور عبد الرحمن الفريوائي - مكتبة الدار بالمدينة المنورة .
- تفسير ابن أبي حاتم الرازي - تحقيق : د. حمد الزهراني ، د . حكمت بشير - مكتبة الدار بالمدينة المنورة .
- تفسير ابن عطية - تحقيق : المجلس العلمي - طبع مراكش ، وطبعة قطر .
- تفسير ابن كثير - مكتبة الرياض - وتحقيق الوادي - دار الأرقم بالكويت .
- تفسير الخازن - المكتبة التجارية الكبرى بمصر .
- تفسير الطبري - بتحقيق محمود شاكر - دار المعارف ، وطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- تفسير القاسمي المسمى « محاسن التأويل » - طبعة بيروت .
- تفسير القرطبي « الجامع لأحكام القرآن » - الطبعة الثانية عن طبعة دار الكتب المصرية .
- تفسير عبد الرزاق - تحقيق : د . مصطفى مسلم - دار الرشد بالرياض .
- التفسير والمفسرون - للذهبي - مكتبة وهبة بالقاهرة .

- تفسير المنار - محمد رشيد رضا - دار المنار بالقاهرة .
- تفسير النسائي - تحقيق : صبرى عبد الخالق وسيد الجليمي - مكتبة الرشد بالرياض .
- تفسير الواحدى - تحقيق : محمد أبو العزم الزفيتى - القاهرة .
- تقريب التهذيب - لابن حجر - تحقيق : محمد عوامة - دار القلم .
- تلخيص الحبير في تخرىج أحاديث الرافعي الكبير - لابن حجر - عني بتصحيحه: عبد الله بن هاشم البجلي ١٣٨٤ هـ .
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - لابن عبد البر .
- تمييز الطيب من الخبيث - لابن الديع الشيباني - طبع بيروت .
- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة والموضوعة ، لابن عراق الكناني - دار الكتب العلمية بيروت .
- تنقيح التحقيق - لابن عبد الهادي - تحقيق: عامر صبري - المكتبة الحديثة بالإمارات ١٤٠٩ هـ .
- تهذيب الأسماء واللغات - للنووي - دار الكتب العلمية بيروت .
- تهذيب التهذيب - لابن حجر - دار الفكر بيروت .
- تهذيب الكمال - للمزي .
- التوحيد - لابن خزيمة .
- التوحيد - لابن منده .

### ( ث )

- الثقات - لابن حبان .

### ( ج )

- جامع بيان العلم وفضله - لابن عبد البر - دار الكتب الإسلامية بالقاهرة ١٤٠٢ هـ .
- جامع العلوم والحكم - لابن رجب الحنبلي - مطبعة مصطفى الحلبي .
- الجرح والتعديل - لابن أبي حاتم الرازي - تحقيق : عبد الله المعلمي - مصور عن طبعة الهند .
- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام - لابن القيم - تحقيق : عبد القادر وشعيب الأرناؤوط - دار العروبة بالكويت .
- جمهرة أشعار العرب - لأبي زيد القرشي - تحقيق : د . محمد علي الهاشمي - مطابع جامعة الإمام بالرياض .

## ( ح )

- الحاوي للفتاوي - للسيوطي - تحقيق : محمد محيي عبد الحميد - مطبعة السعادة .
- حجة القراءات - لابن زنجلة - تحقيق : سعيد الأفغاني - طبعة دار الفكر .
- حلية الأولياء - لأبي نعيم - دار الكتاب العربي ، بيروت عن طبعة الخانجي .
- حياة محمد صلى الله عليه وسلم - محمد حسين هيكل - مكتبة النهضة المصرية .

## ( خ )

- خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم - محمد أبو زهرة - طبع قطر .
- الخراج - لأبي يوسف - المطبعة السلفية .
- خلاصة البدر المنير - لابن الملقن - حققه : حمدي السلفي - دار الرشد بالرياض .
- خلق الإنسان بين الطب والقرآن - للدكتور : محمد علي البار - الدار السعودية بجدة .

## ( د )

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور - للسيوطي - دار الفكر بيروت ١٤٠٣ هـ .
- الدعوات الكبرى - للبيهقي .
- دقائق التفسير - لابن تيمية - تحقيق : محمد السيد الجلند - دار علوم القرآن بيروت .
- دلائل النبوة - للبيهقي .
- الديات - لابن أبي عاصم - دار الأرقم بالكويت .
- ديوان جرير - طبع بيروت .

## ( ر )

- الرد الشافي الوافر على من نفى أمية سيد الأوائل والأواخر - للشيخ أحمد محمد أبو طالب - قطر .
- الرد على الجهمية - للإمام عثمان بن سعيد - مصورة بيروت عن طبعة أوروبا .
- الرسالة - للشافعي - تحقيق : أحمد محمد شاكر .
- الرسالة المستطرفة - للكثاني - طبع بيروت .
- الروح - لابن القيم - قدم له : محمود حسن ربيع - القاهرة .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - للآلوسي - دار التراث العربي عن الطبعة المنيرية .

- الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام - للسهيلي - طبعة السلطان عبد الحفيظ .

### ( ز )

- زاد المسير في علم التفسير - لابن الجوزي - المكتب الإسلامي .
- زاد المعاد في هدي خير العباد - لابن القيم - تحقيق : الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة .
- الزهد - لأحمد بن حنبل - مطبعة الحكومة بمكة المكرمة .
- الزهد - لهناد - تحقيق : محمد أبو الليث الآبادي - طبع قطر .
- الزهر النضر - لابن حجر - ضمن مجموعة الرسائل المنيرية طبع أمين .

### ( س )

- سلسلة الأحاديث الصحيحة - للألباني - المكتب الإسلامي .
- سلسلة الأحاديث الضعيفة - للألباني - المكتب الإسلامي .
- السنة - لابن أبي عاصم - تحقيق : الألباني - المكتب الإسلامي .
- سنن ابن ماجه - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
- سنن أبي داود مع مختصر المنذري ، وتهذيب السنن .
- سنن الترمذي مع تحفة الأحوذى .
- سنن الدارمي - تحقيق : محمد أحمد دهمان - طبع بيروت .
- سنن سعيد بن منصور - تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي - دار الكتب العلمية .
- السنن الكبرى - للبيهقي - دار المعرفة عن طبعة الهند .
- سنن النسائي - بعناية الشيخ عبد الفتاح أبو غدة .
- سير أعلام النبلاء - للذهبي - مؤسسة الرسالة .
- السيرة النبوية - لابن هشام - تحقيق : مصطفى السقا وآخرين بيروت .

### ( ش )

- شذرات الذهب - لابن العماد - دار الكتاب العربي - بيروت .
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - للالكائي - تحقيق : د . محمد سعد حمدان - دار طيبة الرياض .
- شرح ديوان زهير - طبع بيروت .
- شرح السنة - للبغوي - تحقيق : شعيب الأرناؤوط - المكتب الإسلامي .
- شرح السير الكبير - للسرخسي - تحقيق : صلاح المنجد - جامعة الدول العربية .

- شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور - للسيوطي - مؤسسة الإيمان بيروت ١٤٠٧ هـ .
- شرح العقيدة الطحاوية - لابن أبي العز - تحقيق : محمد بشير عون - مكتبة المؤيد بالطائف .
- شرح قانون الأحوال الشخصية - للسباعي - مطبعة جامعة دمشق .
- شرح الكافية الشافية - لابن مالك - تحقيق : د . عبد المنعم هريدي - منشورات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى .
- شرح ما ذئبان جائعان - لابن رجب .
- شرح مسند أبي حنيفة - لملا علي القاري - تقديم : خليل الميس - طبع بيروت .
- شرح معاني الآثار - للطحاوي - تحقيق : محمد النجار - مطبعة الأنوار المحمدية .
- شرح المعلقات السبع - للأنباري - طبع دار المعارف بمصر .
- الشريعة - للأجري - مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .
- شعب الإيمان - للبيهقي - تحقيق : عبد الله عبد الحميد حامد - الدار السلفية بالهند .
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى - للقاضي عياض - مطبعة عيسى الحلبي .
- شفاء العليل - لابن القيم - مطبعة المدني بالقاهرة .
- الشمائل المحمدية - للترمذي بشرح الباجوري - مطبعة السعادة بمصر .

### ( ص )

- صحيح ابن خزيمة - تحقيق : الأعظمي - المكتب الإسلامي .
- صحيح البخاري مع فتح الباري .
- صحيح الجامع الصغير - للألباني - المكتب الإسلامي .
- صحيح مسلم - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي - تصوير بيروت .
- الصحيح المسند في أسباب النزول - للوادعي - دار الأرقم بالكويت .
- صحيفة همام بن منه - تحقيق : د . رفعت فوزي عبد المطلب - مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- صفة الجنة - لابن أبي الدنيا .

### ( ض )

- الضعفاء الصغير - للبخاري - مطبوع مع الضعفاء للنسائي .
- الضعفاء والمتروكين - لابن الجوزي .
- الضعفاء والمتروكين - للنسائي - طبع الهند .
- ضعيف الجامع الصغير - للألباني - المكتب الإسلامي .

## ( ط )

- طبقات ابن سعد - دار صادر بيروت .
- طبقات الشافعية - للإسنوي .
- طبقات الشافعية - للسبكي - تحقيق : الطناحي - مطبعة الحلبي بمصر .
- الطبقات الكبرى - لابن سعد .
- طبقات المفسرين - للداودي .
- طبقات المفسرين - للسيوطي - مكتبة وهبة .

## ( ع )

- عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي - عثمان ضميرية - الطبعة الثانية مكتبة الوادي بجدة .
- العبر - للذهبي .
- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية - لابن الجوزي .
- العلو - للذهبي - طبعة منير الدمشقي مصورة عن طبعة الهند .
- علوم الحديث - لابن الصلاح - تحقيق : د . نور الدين عتر - دار الفكر دمشق .
- علوم القرآن - د . عدنان زررور - المكتب الإسلامي بدمشق .
- عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير - للشيخ أحمد شاكر - دار المعارف بمصر .
- عمل اليوم والليلة - لابن السني - تحقيق : محمد بشير عيون - دار البيان مكتبة المؤيد .
- عمل اليوم والليلة - للنسائي - تحقيق : د . فاروق حمادة - مؤسسة الرسالة .

## ( غ )

- غريب الحديث - لأبي عبيد القاسم بن سلام - تصوير بيروت عن طبعة الهند .

## ( ف )

- الفائق في غريب الحديث - للزمخشري - تحقيق : علي البجاوي ومحمد أبو الفضل - مطبعة عيسى الحلبي .
- فتح الباري بشرح البخاري - لابن حجر العسقلاني - إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض .

- الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير البيضاوي - للمناوي - تحقيق: أحمد السلفي - دار العاصمة بالرياض .
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - للشيخ عبد الله حسن - تحقيق : الأرناؤوط - مكة - المؤيد .
- الفتوحات الربانية على الأذكار النووية - لابن علان - عن طبعة لجنة التأليف والنشر الأزهرية.
- فضائل الصحابة - للإمام أحمد بن حنبل - تحقيق : وصي الله عباس - مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى .
- فضائل القرآن - لابن كثير - مطبوع في آخر التفسير - كلية الرياض .
- فضائل القرآن - للفريابي - تحقيق : يوسف عثمان - دار الرشد .
- فقه السيرة - للغزالي بتخريج الألباني - طبع قطر .
- الفقيه والمتفقه - للخطيب البغدادي - تحقيق : إسماعيل الأنصاري - مطابع القصيم بالرياض .
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة - للشوكاني - بتحقيق : المعلمي - بيروت .
- في ظلال القرآن - سيد قطب - دار الشروق .
- فيض القدير بشرح الجامع الصغير - للمناوي - دار المعرفة بيروت .

### ( ق )

- القرطين - لابن مطرف الكناني .
- القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع - للسخاوي - تحقيق : محمد بشير عيون - مكتبة المؤيد بالطائف .

### ( ك )

- الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف - لابن حجر العسقلاني - مطبوع في نهاية الكشاف للزمخشري .
- كتاب الديات - لابن أبي عاصم .
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما يدور من الحديث على ألسنة الناس - للعجلوني - تحقيق : أحمد قلاش - مؤسسة الرسالة .
- كشف الظنون - لحاجي خليفة - مكتبة المثنى ببغداد .
- الكلم الطيب - لابن تيمية - تحقيق : الألباني - المكتب الإسلامي .
- الكنى - للدولابي .
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال - للمتقي المنذري - مؤسسة الرسالة .



## ( ل )

- اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة - للسيوطي - دار المعرفة بيروت .
- لباب التفسير - لمحمود حمزة الكرمانى - رسالة دكتوراة - تحقيق: د . ناصر - على الآلة الكاتبة .
- اللباب في تهذيب الأنساب - لابن الأثير الجزري - دار صادر . بيروت .
- لباب النقول - للسيوطي - مطبوع بهامش تفسير الجلالين - المكتب الإسلامى .
- لسان العرب - لابن منظور - دار صادر . بيروت .
- لسان الميزان - لابن حجر .
- لوامع الأنوار البهية - للسفاريني - المكتب الإسلامى .

## ( م )

- مجاز القرآن - لأبي عبيدة معمر بن المثنى - تحقيق : فؤاد سزكين - مؤسسة الرسالة .
- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين - لابن حبان تحقيق : محمود إبراهيم زابط - دار الوعي بحلب .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - للهيثمى - تصوير بيروت عن طبعة القدسي .
- المجموع شرح المذهب - للنووي - مطبعة الإمام بالقاهرة .
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - طبعة المغرب .
- محاضرات في النصرانية - للشيخ محمد أبو زهرة - رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء .
- المحرر الوجيز - لابن عطية .
- مختصر سنن أبي داود - للمنزري مع معالم السنن للخطابي - مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .
- مختصر قيام الليل والوتر - لمحمد بن نصر المروزي - طبع الهند .
- المدخل إلى السنن الكبرى - للبيهقي - تحقيق : د . محمد حبيب الرحمن الأعظمي - دار الخلفاء للكتاب الإسلامى بالكويت .
- المدونة الكبرى - للإمام مالك بن أنس - دار صادر .
- مرآة الجنان .
- المراسيل - لأبي داود - القلعي - مؤسسة الرسالة .
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع - للبغدادي - طبع عيسى الحلبي .
- مسائل الرازي وأجوبتها - لمحمد عبد القادر الرازي - تحقيق : إبراهيم عطوة - دار الكتب العلمية - لاهور .

- المستدرك على الصحيحين - للحاكم - تصوير دار المعرفة عن طبعة الهند .
- مسند أبي بكر الصديق - للمروزي - تحقيق : شعيب الأرناؤوط - المكتب الإسلامي .
- مسند أبي داود الطيالسي - دار المعرفة عن طبعة الهند .
- مسند أبي يعلى الموصلي - تحقيق : إرشاد الحق الأثري - دار القبلة بجدة .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل - المكتب الإسلامي .
- مسند الحميدي .
- مسند الفردوس - للدليمي - طبع بيروت .
- مشكاة المصابيح - للتبريزي - بتحقيق : الألباني - المكتب الإسلامي .
- مشكل الآثار - للطحاوي - تصوير مؤسسة قرطبة بالقاهرة عن طبعة الهند .
- مشكل القرآن - لابن قتيبة - تحقيق : السيد أحمد صقر تصوير بيروت .
- مصابيح السنة - للبغوي - تحقيق : المرعشي وآخرين - دار المعرفة بيروت .
- المصنف - لابن أبي شيبة - تحقيق : علي الأعظمي وآخرين - طبعة الهند .
- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع - لملا علي القاري - تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة .
- المطالب العالية في زوائد المسانيد الثانية - لابن حجر - تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي -
- وزارة الأوقاف - الكويت .
- مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش - للدكتور : زاهر عواض الأملعي .
- معاني القرآن - للفرأء - تحقيق : أحمد نجاتي ومحمد علي النجار - دار السرور . بيروت .
- معاني القرآن - للنحاس - تحقيق : محمد علي الصابوني - مركز البحث العلمي بمكة المكرمة .
- معجم البلدان - لياقوت الحموي .
- المعجم الصغير - للطبراني .
- المعجم الكبير - للطبراني - تحقيق : حمدي السلفي - بغداد .
- معجم المؤلفين - عمر كحالة .
- معجم مقاييس اللغة - لابن فارس .
- معرفة علوم الحديث - للحاكم النيسابوري - تحقيق : د . السيد معظم حسين - منشورات المكتبة العلمية بالمدينة عن طبعة حيدر آباد .
- المغني عن حمل الأسفار - للعراقي - مطبوع مع الإحياء للغزالي .
- المغني في الضعفاء - للذهبي - تحقيق : د . نور الدين عتر - طبع قطر .
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة - لابن القيم - مكتبة الرياض .
- مفتاح السعادة - لطاش كبرى زادة .

- مفردات القرآن - للراغب الأصفهاني - تحقيق : سيد كيلاني - مطبعة الحلبي .
- مقدمة ابن خلدون - دار الكتاب اللبناني .
- مكارم الأخلاق - للخرائطي .
- ملاك التأويل - لابن الزبير الغرناطي - تحقيق : د . محمود كامل أحمد - دار النهضة العربية .
- المنار المنيف في الحديث الصحيح والضعيف - لابن القيم - تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة .
- المنتخب من مسند عبد بن حميد - تحقيق : مصطفى بن العدوي - دار الأرقم وطبعة أخرى تحقيق صبحي السامرائي .
- منهاج السنة النبوية - لابن تيمية - تحقيق : محمد رشاد سالم - جامعة الإمام .
- المنهاج في شعب الإيمان .
- منهج الإسلام في الحرب والسلام - عثمان ضميرية - دار الأرقم بالكويت .
- موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان - للهيثمي - حققه محمد عبد الرزاق حمزة .
- موافقة الخبر الخبر - لابن حجر .
- الموضوعات لابن الجوزي .
- موطأ الإمام مالك - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي - طبع عيسى الحلبي .
- ميزان الاعتدل - للذهبي - تحقيق : البجاوي - دار المعرفة بيروت .

## ( ن )

- الناسخ والمنسوخ - لأبي عبيد القاسم بن سلام - دار الرشد - الرياض .
- الناسخ والمنسوخ - للبغدادي - دار الفرقان - عمان .
- الناسخ والمنسوخ - هبة الله بن سلامة - طبع مصطفى الحلبي .
- النجوم الزاهرة - لابن تغري بردي .
- نصب الراية لأحاديث الهداية - للزيلعي - المكتبة الإسلامية - بيروت عن طبعة المجلس العلمي بالهند .
- نظم المتناثر في الحديث المتواتر - للكتاني - دار الكتب السلفية بالقاهرة .
- نقائص جرير والأخطل .
- النهاية في غريب الحديث والأثر - لابن الأثير - تحقيق : الزاوي والطناحي - المكتبة الإسلامية بيروت .
- النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد - تصنيف جاسم الدوسري ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي بالكويت .
- نواذر الأصول - للحكيم الترمذي - طبع بيروت .

- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار - للشوكاني - طبع مصطفى الحلبي .

( و )

- الوسيط في تفسير القرآن - للواحدى - تحقيق : محمد حسن أبو العزم - المجلس الأعلى للشفون الإسلامية .

- وفيات الأعيان - لابن خلكان - تحقيق : إحسان عباس - دار الثقافة بيروت .



## الفهرس العام

### الجزء الأول

|        |       |                        |
|--------|-------|------------------------|
| ٧-٥    | ..... | مقدمة التحقيق          |
| ١١-٨   | ..... | منهج البغوي في التفسير |
| ١٣-١٢  | ..... | منهجنا في العمل        |
| ٢٢-١٥  | ..... | ترجمة الإمام النووي    |
| ٣٢-٢٣  | ..... | وصف النسخ              |
| ٤٧-٣٣  | ..... | مقدمة المصنف           |
| ٥٧-٤٩  | ..... | سورة فاتحة الكتاب      |
| ٣٥٩-٥٨ | ..... | سورة البقرة            |

### الجزء الثاني

|         |       |               |
|---------|-------|---------------|
| ١٥٧-٥   | ..... | سورة آل عمران |
| ٣١٧-١٥٩ | ..... | سورة النساء   |

### الجزء الثالث

|         |       |              |
|---------|-------|--------------|
| ١٢٤-٥   | ..... | سورة المائدة |
| ٢١٢-١٢٥ | ..... | سورة الأنعام |
| ٣٢٢-٢١٣ | ..... | سورة الأعراف |
| ٣٨١-٣٢٣ | ..... | سورة الأنفال |

### الجزء الرابع

|         |       |             |
|---------|-------|-------------|
| ١١٦-٧   | ..... | سورة التوبة |
| ١٥٥-١١٩ | ..... | سورة يونس   |
| ٢٠٨-١٥٩ | ..... | سورة هود    |

|         |              |
|---------|--------------|
| ٢٨٧-٢١١ | سورة يوسف    |
| ٣٢٩-٢٩١ | سورة الرعد   |
| ٣٦٣-٣٣٣ | سورة إبراهيم |
| ٣٩٨-٣٦٧ | سورة الحجر   |

## الجزء الخامس

|         |               |
|---------|---------------|
| ٥٤-٧    | سورة النحل    |
| ١٤٠-٥٧  | سورة الإسراء  |
| ٢١٤-١٤٣ | سورة الكهف    |
| ٢٥٨-٢١٧ | سورة مريم     |
| ٣٠٥-٢٦١ | سورة طه       |
| ٣٦٠-٣٠٩ | سورة الأنبياء |
| ٤٠٤-٣٦٣ | سورة الحج     |
| ٤٣٣-٤٠٧ | سورة المؤمنون |

## الجزء السادس

|         |               |
|---------|---------------|
| ٦٨-٧    | سورة النور    |
| ١٠١-٧١  | سورة الفرقان  |
| ١٣٩-١٠٥ | سورة الشعراء  |
| ١٨٥-١٤٣ | سورة النمل    |
| ٢٢٨-١٨٩ | سورة القصص    |
| ٢٥٦-٢٣١ | سورة العنكبوت |
| ٢٧٩-٢٥٩ | سورة الروم    |
| ٢٩٥-٢٨٣ | سورة لقمان    |
| ٣١١-٢٩٩ | سورة السجدة   |
| ٣٨٢-٣١٥ | سورة الأحزاب  |
| ٤٠٧-٣٨٥ | سورة سبأ      |
| ٤٢٧-٤١١ | سورة فاطر     |

## الجزء السابع

|         |               |
|---------|---------------|
| ٣٠-٧    | سورة يس       |
| ٦٦-٣٣   | سورة الصافات  |
| ١٠٣-٦٩  | سورة ص        |
| ١٣٤-١٠٧ | سورة الزمر    |
| ١٦٠-١٣٧ | سورة غافر     |
| ١٧٩-١٦٣ | سورة فصلت     |
| ٢٠١-١٨٣ | سورة الشورى   |
| ٢٢٤-٢٠٥ | سورة الزخرف   |
| ٢٣٨-٢٢٧ | سورة الدخان   |
| ٢٤٨-٢٤١ | سورة الجاثية  |
| ٢٧٣-٢٥١ | سورة الأحقاف  |
| ٢٩٢-٢٧٧ | سورة محمد     |
| ٣٢٩-٢٩٥ | سورة الفتح    |
| ٣٥١-٣٣٣ | سورة الحجرات  |
| ٣٦٧-٣٥٥ | سورة ق        |
| ٣٨١-٣٧١ | سورة الذاريات |
| ٣٩٦-٣٨٥ | سورة الطور    |
| ٤٢٢-٣٩٩ | سورة النجم    |
| ٤٣٧-٤٢٥ | سورة القمر    |
| ٤٥٩-٤٤١ | سورة الرحمن   |

## الجزء الثامن

|        |               |
|--------|---------------|
| ٢٨-٧   | سورة الواقعة  |
| ٤٦-٣١  | سورة الحديد   |
| ٦٣-٤٩  | سورة المجادلة |
| ٨٨-٦٧  | سورة الحشر    |
| ١٠٣-٩١ | سورة الممتحنة |



|         |                |
|---------|----------------|
| ١١٠-١٠٧ | سورة الصف      |
| ١٢٦-١١٣ | سورة الجمعة    |
| ١٣٥-١٢٩ | سورة المنافقون |
| ١٤٤-١٣٩ | سورة التغابن   |
| ١٥٨-١٤٧ | سورة الطلاق    |
| ١٧٢-١٦١ | سورة التحريم   |
| ١٨١-١٧٥ | سورة الملك     |
| ٢٠٣-١٨٥ | سورة القلم     |
| ٢٢٦-٢٠٧ | سورة الحاقة    |
| ٢٣٤-٢٢٩ | سورة نوح       |
| ٢٤٥-٢٣٧ | سورة الجن      |
| ٢٥٩-٢٤٩ | سورة المزمل    |
| ٢٧٦-٢٦٣ | سورة المدثر    |
| ٢٨٨-٢٧٩ | سورة القيامة   |
| ٣٠٠-٢٩١ | سورة الإنسان   |
| ٣٠٨-٣٠٣ | سورة المرسلات  |
| ٣١٩-٣١١ | سورة النبأ     |
| ٣٣١-٣٢٣ | سورة النازعات  |
| ٣٤١-٣٣٥ | سورة عبس       |
| ٣٥١-٣٤٥ | سورة التكويد   |
| ٣٥٨-٣٥٥ | سورة الانفطار  |
| ٣٧٠-٣٦١ | سورة المطففين  |
| ٣٧٧-٣٧٣ | سورة الانشقاق  |
| ٣٨٩-٣٨١ | سورة البروج    |
| ٣٩٥-٣٩٣ | سورة الطارق    |
| ٤٠٤-٣٩٩ | سورة الأعلى    |
| ٤١١-٤٠٧ | سورة الغاشية   |
| ٤٢٥-٤١٥ | سورة الفجر     |
| ٤٣٤-٤٢٩ | سورة البلد     |
| ٤٤١-٤٣٧ | سورة الشمس     |
| ٤٤٩-٤٤٥ | سورة الليل     |

|         |               |
|---------|---------------|
| ٤٦٠-٤٥٣ | سورة الضحى    |
| ٤٦٧-٤٦٣ | سورة الشرح    |
| ٤٧٣-٤٧١ | سورة التين    |
| ٤٨١-٤٧٧ | سورة العلق    |
| ٤٩٢-٤٨٥ | سورة القدر    |
| ٤٩٧-٤٩٥ | سورة البينة   |
| ٥٠٤-٥٠١ | سورة الزلزلة  |
| ٥١٠-٥٠٧ | سورة العاديات |
| ٥١٤-٥١٣ | سورة القارعة  |
| ٥٢١-٥١٧ | سورة التكاثر  |
| ٥٢٦-٥٢٥ | سورة العصر    |
| ٥٣١-٥٢٩ | سورة الهمزة   |
| ٥٤١-٥٣٥ | سورة الفيل    |
| ٥٤٨-٥٤٥ | سورة قريش     |
| ٥٥٣-٥٥١ | سورة الماعون  |
| ٥٦٠-٥٥٧ | سورة الكوثر   |
| ٥٦٤-٥٦٣ | سورة الكافرون |
| ٥٧٧-٥٦٧ | سورة النصر    |
| ٥٨٣-٥٨١ | سورة المسد    |
| ٥٩٠-٥٨٧ | سورة الإخلاص  |
| ٥٩٦-٥٩٣ | سورة الفلق    |
| ٦٠١-٥٩٩ | سورة الناس    |